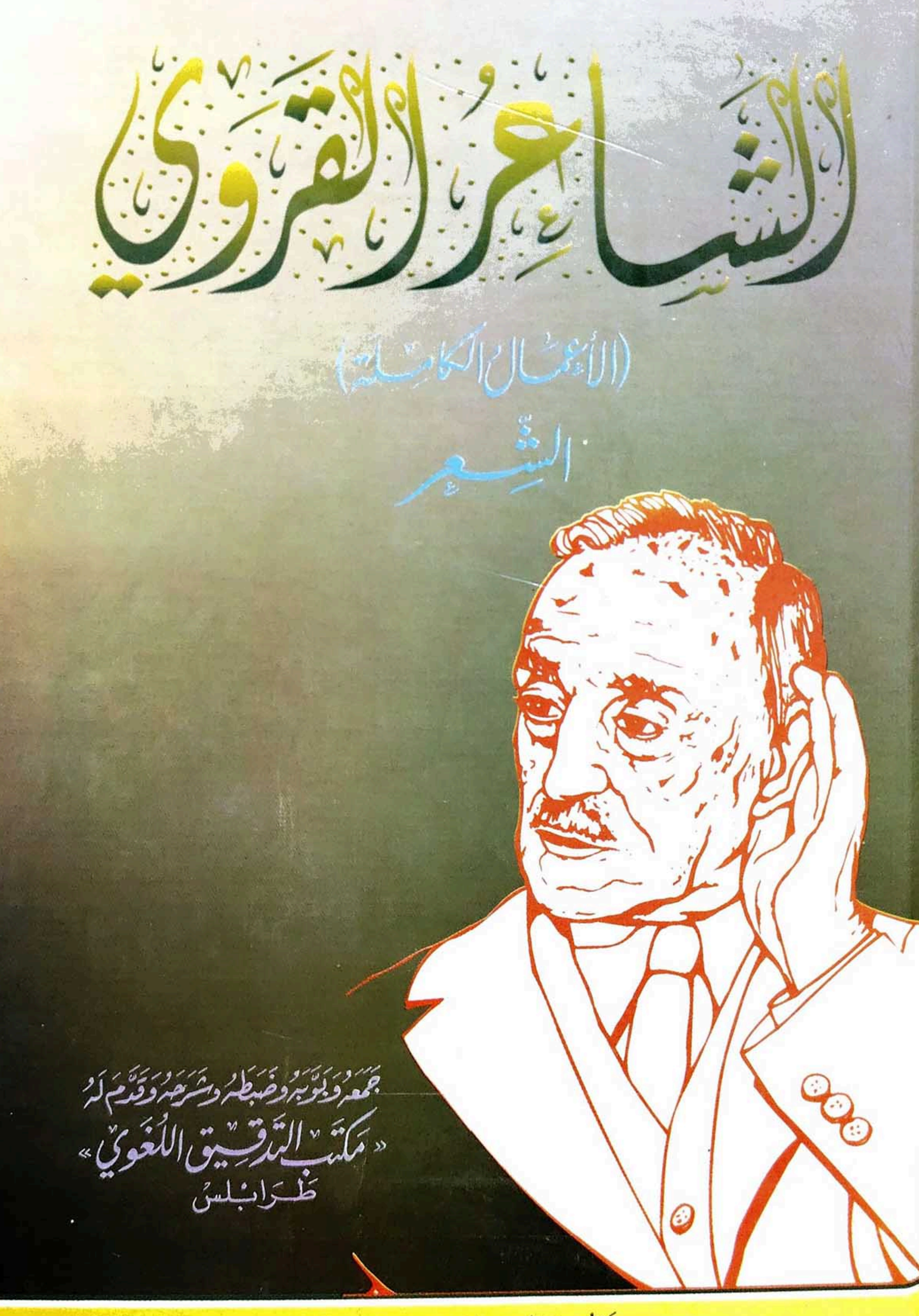


الشاعر القروي
(الأعمال الكاملة)
الشعر
جمعه وبوّبه وضبطه وشرحه وقدّم له
«مكتب التدقيق اللغوي»
طرابلس
منشورات جروس برس - طرابلس - لبنان

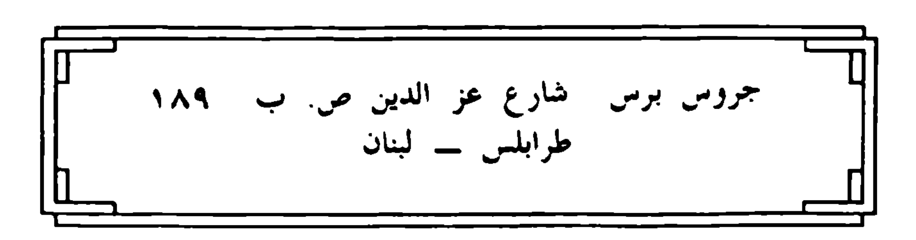

الشاعر القروي



جمعه وبوّبه وضبطه وشرحه وقدّم له
«مكتب التدقيق اللغوي»
طرابلس



منشورات
جرّوس برس
طرابلس - لبنان


جروس برس شارع عز الدين ص. ب ١٨٩
طرابلس ــ لبنان

الإهداء(*)

[من الكامل]

هذي السطورُ مَسَاحِبُ الشُّهْبِ الَّتي
بِـــدَمـــي أُزَيِّــنُهُــنَّ لا بمدادي

آياتُهُنَّ لــذي الحجى شَــفَّافَــةٌ
عن خَيْرِ أخلاقٍ وخير مـــبـــادي

فاقبلْ إذا طالــعتَهُنَّ تحــيــتي
واذكُرْ جــهادي في سبيل بلادي

(*) العربارة، شباط ١٩٨٣
أبيات مكتوبة بخطه وموقعة بتوقيعه. والأرجح أنه أعدها لتكون إهداء الديوان في طبعته السابعة

تقديم

صدرت الطبعة السادسة والأخيرة لديوان الشاعر القروي سنة ألف وتسع مائة وثلاث وثمانين ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق. وقدّم الشاعر لهذه الطبعة بقوله[1]: «. وبعد فإني أقدّم إلى مواطنيّ الكرام هذه الطبعة السادسة من ديواني ممتازة بثلاثة أمور:

١ - إنّي أثبتّ فيها من شعري القديم بعض ما أغفلته في سابقاتها.
٢ - إني أضفت إليها من منظوماتي الجديدة ما يعادل ديوانا صغيرا.
٣ - إني بدلا من وضعه في آخر الديوان جعلته في الصدّر، وأسميته «فجر على شفق».

وهكذا. فإن الطبعة السادسة للديوان تمتاز في نظر صاحبه بهذه الإضافات الهامّة التي تفتقر إليها سابقاتها. ونحن نعلم أن الشاعر قد أسلم الروح بعد صدور هذه الطبعة بعام تقريباً بعدما بلغ من الكبر عتيا[2] وبهذا تتضاءل فرص الإبداع عند شاعرنا، وتبدو الإضافات الى أي طبعة بعد الطبعة السادسة شبه مستحيلة. وهنا لا بُدَّ أن يبرز السؤال الآتي:

لماذا نهتم بهذه الطبعة السابعة؟

بعيد وفاة القروي تعاقد ورثته مع دار جروس برس على طبع اثاره الشعرية والنثرية على السواء. واثرت الدار المذكورة البدء بديوانه فوضعت بين

---

(١) ديوان القروي. ط/٦ اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١/٧

(٢) توفي في ٢٧ اب ١٩٨٤ وأجريت له مراسم دفن رسمية في ٢٩ اب ١٩٨٤ . فقد عمّر ما يناهز قرنا من الزمن

أيدينا في مكتب التدقيق اللغوي مخلّفاته الشعرية والنثرية، وأوراقه الخاصة التي عثرنا فيها على كنز دفين. وتبيّن لنا بعد مراجعة متأنيّة لهذه الأوراق التي كان الأقدمون يقدّرونها بحمل بعير، أن الطبعة الجديدة للديوان ستحمل الكثير من الجديد الذي لم يتوافر وجوده في الطبعة السادسة التي أشاد الشاعر نفسه بما فيها من جديد.

كما عثرنا بين مخلّفاته على الطبعة السادسة للديوان وقد راجعها الشاعر بنفسه، وكتب عليها معلّقا حينا، مصوّبا ومعدّلا في بعض قصائدها حينا آخر، متنكّرا لبعضها الآخر، شاكًّا في نسبة بعض المقطّعات والأبيات إليه، متخلّيا طوعا عن بعض أبياتها.

ثم إنّنا وجدنا بين أوراقه ثلاثة أبيات خطّها بيد مرتجفة بعدما أصابها وهن السنين نظمها في شباط ١٩٨٣ يفهم منها أنّها إهداء للطبعة السابعة، وقد أثبتناها في مكانها حفظا للأمانة. وتاريخ نظم هذه الأبيات إن دَلَّ على شيء فعلى أن الشاعر مصمّم على طبع ديوانه طبعة سابعة في الوقت الذي كانت تقذف المطبعة بنسخات الطبعة السادسة قبل أن تتلقّفها أيدي القرّاء.

والمتتبّع للملاحظات القرويّ التي دوّنها بخطّه على الطبعة السادسة يدرك على الفور أنه يريد أن تكون حقوق الطبع في الطبعة السابعة محفوظة له فقط. راقب ما كتبه بخطّه على الصفحة الثانية من الجزء الأول:

حقوق الطبع محفوظة

للشاعر القروي و~~لاتحاد الكتاب العرب~~

تضمّنت الطبعة السادسة مقدمة الطبعة الأولى للديوان[1]. وهذه المقدّمة طويلة شغلت حيّزا كبيرا من هذه الطبعة وقد احتلّت منها أكثر من ثلاثين صفحة[2]. ويبدو أن هذه المقدمة دائمة الوجود في طبعات الديوان الخمس اللاحقة، وقد أصرّ الشاعر على إثباتها لأنّها أشبه ما يكون بسيرة الشاعر الذاتية إلاّ أن أحداثها غير وافية بالغرض. فلقد عُمِّر الشاعر بعد كتابتها ما يناهز نصف قرن من الزمن غابت أحداثه عنها غيابا تاما. ولكنّ الشاعر مقتنع ـ على ما يبدو ـ بأن القارئ يجهل الفترة الأولى من حياته أما الفترة الثانية فلا يعقل أن يجهلها مثقّف. وكيف يجهلها والقروي من أواخر الخمسينيات حتّى الرمق الأخير دائم الحضور في واقع الأمّة وضمير أبنائها يرقص في أفراحهم، ويوقّع نشيد الحزن في أتراحهم؟!

لقد أبقينا في طبعتنا السابعة على هذه المقدّمة ـ السيرة نظراً لأهميتها من جهة، واحتراما لرغبة الشاعر من جهة أخرى. وإنّنا نعد القارئ الكريم بسدّ هذه الثغرة في سيرته الذاتية في الآثار النثرية لأنّه ذكر هناك بعض خطوطها الصغرى والكبرى.

أما مقدّمات الطبعات الأخرى التي أثبتها في الطبعة السادسة فلقد أراد التخلّي عن اثنتين منها. ففي فهرس المجلد الأول إشارة بخطّه تقضي بحذف مقدمة الطبعتين الثانية والخامسة. وقد حذفناهما نزولا عند رغبته:

مقدمة الطبعة الخامسة

مقدمة الطبعة الاولى

مقدمة الطبعة الثانية

(١) صدرت الطبعة الأولى في صنبول ـ البرازيل في أول آب ١٩٥٢

(٢) من الصفحة ٩ وحتى الصفحة ٤٠.

ذكرنا هذه التفاصيل جميعا ليدرك القارئ الكريم أن الطبعة السابعة رغبة من رغبات الشاعر، وقد تقدّم الشعور بضرورة الوفاء بهذه الرغبة كل ما عداه.

أولاً: عملنا في هذه الطبعة

إذا كان الأقدمون قد لاحظوا أنّ المتنبّي فاق أقرانه، وبزّ أسلافه من الشعراء في حسن عنايته بديوانه بعدما أصرّ على كتابته بيده، مدوّنا مناسبات قصائده. فإن المحدثين لا بُدَّ أن يدركوا أن القروي فاق القدامى والمحدثين على السواء في حسن العناية بمنظومه ومنثوره. لقد وقعنا في كنزه المخبوء الموضوع بين أيدينا على قصاصات وجذاذات ومسوّدات ومبيّضات عديدة للقصيدة الواحدة. ولا نبالغ إذا قلنا إنّنا حقّقنا ديوانه لأننا رافقنا معظم قصائده منذ ولادتها مخطوطة في مسوّدة فإلى كتابتها في مبيّضة متخلّصة من شوائب الحذف والإضافة، إلى ضربها على الآلة الكاتبة لتخرج بشكلها النهائي قبل وصولها إلى الديوان مطبوعاً. وكثيرا ما راجعنا طبعات ديوانه مقارنين بين الطبعات لنرصد الإضافات، أو لنسدّ بعض الثغرات. أو لنصوّب محرّفا أو مصحّفا. هذه المراجعات الدقيقة والمتأنية لقصائده عادت بإضافات خلت منها الطبعات السابقات نذكر أهمّها:

أ ـ إضافة مقطّعات وقصائد كاملة

انفردت طبعتنا هذه بإضافة ثمانٍ وعشرين قصيدة ومقطّعة استخرجناها من مخطوطاته، وعدّة أبياتها مجتمعة مئتان وواحد وثلاثون بيتا موزّعة على الشكل الآتي:

عنوان القصيدة	رويّها	بحرها	عدد أبياتها
بكيتهم	الهمزة	الطويل	٥
يا يوسف الحسن	الهمزة	الكامل	٧
نعمت بالا	الباء	البسيط	٦
من القروي إلى حسن الأمين	الباء	البسيط	١٢

عنوان القصيدة	رويّها	بحرها	عدد أبياتها
أقسى حبيب	الباء	الخفيف	٣٦
لك يا بني	الحاء	الكامل	٠٢
روحي فداك	الدال	الكامل	١١
ليلات عرسك	الراء	البسيط	٠٤
الزعيم الثائر	الراء	الرّمل	١٩
دعابة شاكرة	الراء	السّريع	١٢
لا تقعدوا معهم	الراء	الكامل	٠٢
حديثك أشهى	السين	الطويل	٠٢
أتتني الضاد	الضاد	الوافر	٠٤
هل أذنب اليأس	الفاء	المجتث	٠٢
سلوى	القاف	الرّمل	٠٤
اعمل لما يرضيه	القاف	الكامل	٠٧
جودي	الكاف	البسيط	٠٤
تحيّة	الكاف	السريع	٠٣
ألا يا عبيدا	الكاف	المتقارب	٠٣
خير ما تتلونه	اللام	الرمل	٠٣
أتاك الهوى	الميم	الطويل	٠٦
صلاة وابتهال	الميم	المتقارب	٢١
لهفي على وطن	النون	البسيط	٠٥
الموت والبعد	النون	البسيط	٠٣
إذا أحجم	النون	الطويل	٠٣
مظلّتها	النون	الوافر	٠٢
يا غزالا	الهاء	الخفيف	٠٥
الإبريق والجمل	-	أرجوزة	٣٨

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض هذا الشعر يرقى في تاريخ نظمه إلى أيّام الفتوّة والشباب وبعضه الآخر يسبق وفاة الشاعر بأشهر معدودة وقد أشرنا إلى ذلك كلّه في الحواشي.

ولا يفوتنا في هذا المقام الاعتراف بأن كثيرا من التردّد قد انتابنا أمام شعر الفتوّة والصِّبا. لقد عثرنا بين أوراقه على دفتر كبير يزخر بعدد وفير من القصائد التي لم ينشر أكثرها. تساءلْنا عن سبب إغفاله لها، واهتدينا في النهاية إلى حلٍّ مفاده اختيار بعض هذه القصائد التي لا تسيء في معناها ومبناها ومستواها الفنّي إلى شاعرية صاحبها. ولم نلجأ إلى هذا الحل إلاّ بعد مقارنة ما ارتضينا نشره بما نشر في الطبعات السابقة من شعر هذا الدفتر المذكور. فما هو في مستوى ما نشر أو ما يفوقه جودة في نظرنا أضفناه، وما هو دون شاعرية أهمل. ولا غرابة في أن يحتفظ الشاعر ببداياته حين كان يتلمّس طريقه لأن شعر هذه الفترة يتضاءل فيه الشعر ويطغى عليه النظم. والشاعر ـ أي شاعر ـ يحتفظ ببداياته ولا يتلفها إلاّ أنه يربأ بديوانه أن يضمّ شعر المحاولات الفجّة المتعثّرة. وإذاا كان الأستاذ حسن توفيق قد نشر مجهول الشاعر الكبير بدر شاكر السيّاب فإنّه في نظرنا لم يحسن في صنيعه ذاك إلى الشعر ولا إلى الشاعر[1].

ب ـ إضافة أبيات إلى بعض القصائد

تبيّن لنا عند مراجعة المخطوطات سقوط بعض الأبيات وعدم وجودها في المطبوع. تساءلنا عن السبب واهتدينا إلى إثبات هذه الأبيات في المتن وفي موضعها الذي اختاره الشاعر لها في المخطوط ما لم يشطب عليها معلنا براءته منها. فإذا شطب عليها اثبتناها في الحاشية، مشيرين إلى ذلك كله. ولا بُدَّ أن نذكر هنا ضآلة الأبيات المضافة في هذا الباب. وهي على الشكل الآتي:

---

(١) توفيق، حسن أزهار ذابلة وقصائد مجهولة، شعر بدر شاكر السيّاب المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨١

عنوان القصيدة	روِيّها	بحرها	عدد الأبيات المضافة
لبست إلى العذراء	الجيم	الطويل	١
حليفك	الدال	الطويل	١
الهاشمية	الراء	الكامل	٩
أكرم	السين	الكامل	١
بلبل عند جدول	اللام	الطويل	١
أهلا بكاملة	اللام	الكامل	٤
يوبيلكم	اللام	الكامل	٢
رشيد أيّوب	مختلف	الخفيف	٢

جـ - ضبط ما لا بُدَّ من ضبطه

لا تخلو الطبعات السابقات من ضبط بعض الألفاظ؛ غير أننا وجدنا هذا الضبط غير كاف ولا واف بالغرض. لهذا عمدنا إلى ضبط ما لا بُدَّ من ضبطه تسهيلا للقراءة، وابتعادا بالقارئ عن مواطن الزلل الإعرابي والخلل العروضي.

د - شرح العويص من الألفاظ

قليلا ما يلجأ الشعراء المحدثون إلى شرح الألفاظ العويصة المبثوثة في دواوينهم. والقروي لم يغفل الشرح إغفالا كاملا، ولم يعتمده بشكل كاف. قد يشرح ما يراه بعيدا عن جوِّ الشرق ولغة أبنائه الناصعة؛ لكنّ يضنّ بشرح بعض ما يستعصي فهمه على أنصاف المثقفين. ولقد وفّقنا بين الإعراض عن الشرح والاسهاب فيه، فاكتفينا بشرح ما يستغلق فهمه على أنصاف المثقفين. وليعذرنا القارئ إذا ما توقّف عند لفظ لم يفهمه وقد أهملنا شرحه لأنَّ الصعوبة والغرابة نسبيّتان. ويجب أن يعرف القارئ الكريم أن شرح ديوان القروي ليس على منوال شرح القدامى لدواوين الجاهليين والإسلاميين. نحن لم ننهج نهجهم لأنّ متغيرات العصر ترفض هذا النهج وتأباه. ولا يفوتنا في هذا المقام

الإشارة إلى أن الشاعر كان سخيًّا في ذكر مناسبات قصائده إلاّ أنه كان يذكر المناسبة في المتن حينا وفي الهامش أحيانا أخرى. ولقد رأينا أن نثبت هذه المناسبات في الحواشي مشيرين إليها إشارات واضحات لا تربك القارئ ولا تحرمه اللّذة والمتعة والفائدة.

هـ ـ وضع الحواشي الشعرية في مكانها الصحيح.

أثبت القروي في حواشي المقدّمة خاصة عددا كبيرا من الأبيات التي لم يعد إثباتها في المتن ووضعها في مكانها المناسب فسقط بذلك عدد كبير من الأبيات. لهذا رأينا ضرورة إثبات هذه الأبيات في مكانها الصحيح بعدما رتّبنا قصائده بحسب الروّي.

كما أثبت الديوان ـ وفي المتن ـ بعض القصائد المتبادلة بين الشاعر القروي ومعاصريه من شعراء العروبة. وبهذا العمل اختلط بعض شعر القروي بما ليس من شعره. وتداركا لهذا الخلط أثبتنا قصائد الآخرين في الحواشي وتركنا المتن لقصائده وحدها من غير أن يزاحمها غريب أو دخيل.

ثانيا: نواقص هذه الطبعة:

غريب جدًّا أن يذكر ناشر نواقص طبعة يصدرها عن طبعات سابقات. ولكن الغرابة تزول إذا عرف القارئ أن المثالب السابقات بعامل التسرّع وعدم التثبّت أو غيرهما من العوامل.

ذكرنا سابقا أن الشاعر راجع ديوانه المطبوع، وكتب ملاحظاته عليه. **والأبيات التي تخلّى عنها هي الآتية:**

١ ـ ثلاثة أبيات بعنوان تشرشل كتب تحتها بخطّه تحذف:

تشرشل

إذا كان عند الناس شرشل منقذاً
فما شرشلٌ عندي سوى ايدنٍ ثان

وسبحان رب العرش ما أكذب الورى
وغفرانه عن جمع كذبك سبحان

أتمسي نيوب الوحش بعد مماته
بُنَمَيلات نسرين وحبات رمان

٢ ـ بيتان بعنوان «**قيمة العلم**» تبرأ منّها كما تلاحظ:

قيمة العلم

قيمةُ العلمِ أن يُريبي بعيـــــي
ما يُريبي من عالمِ الغيبِ قلبي

ترقُبُ النفس من بعيـــد جمالا
نتقصّى آثـــاره في الـــــدرب

٤٢٦

٣ ـ أربعة أبيات بعنوان مفارقة يشكك في صحة نسبتها إليه:

مفارقة

إنجيلُكـــــم بَنَحْـــــرُ الصـــلاح
ومصـــــدر الخيرِ الصحيـــحْ

تتلونَـــــــه وشرور كـــــــم
طبـــــارةٌ مـــع كَل ريحْ

هـــذي كنـــائِسُكم تكـــاد
تضيـــقُ الكونَ الـــفسيـــحْ

غصّـــتْ بـــأتبـــاع الطقوس
فأين أتبـــــــاع المسيح ؟

٤ ـ سبعة أبيات بعنوان حرب لبنان عدّها مدسوسة في الديوان دسًّا:

حرب لبنان

كـــن سفيراً للحقِ أيّـــان كانا
لا تحـــدّدْ زمـــانَـــهُ والمكانا

وطنُ الحرفِ بات أحوجَ للحـــرفِ
الذي كم وكم بنى أوطـــانا

نشر الضوءَ في البـــــلادِ الـــتي
كانت ظلامـــاً وأهلُها عميانــا

ربِّ أينَ الأرزُ الــــــذي ملأ الدنيا
سلاماً وبهجـــــةً وأمـــــانا

كيف أقلامُــــــهُ التي طالما كانت
شموعـــاً تحــولت مُــرّانــا

كان إنسانُـــــهُ مـــــلاكاً كريماً
فلمـــــاذا جَعَلْتَـــهُ شيطــانا

فاعدْ وجهَهُ الجميلَ كما كـــان
فلبنانُ لم يَعُدْ لبنــــــــانا

٥٣٦

وهكذا نرى أن الشاعر طلب حذف ثلاثة أبيات (تشرشل)، وأنكر نسبة بيتين إليه (قيمة العلم)، متخليًا عن الأبيات الثلاثة بملء إرادته، رافضا البيتين التاليين رفضا قاطعا جازما بأنهما ليسا من نظمه. أما الأبيات الأربعة التي بعنوان (مفارقة) فتخلّى عنها مدّعيا أنه لا يذكـر أنها من نظمـه. فكيف تسلّلت إلى ديوانه؟ ـ لست أدري!! وكنّا نميل إلى الشك في قوّة ذاكرته لولا أنه قال بكثير من الثقة والحزم معلّقا على القصيدة التي بعنوان «حرب لبنان» هذه القصيدة مدسوسة في الديوان دساً. ترى هل عدنا في جاهلية القرن العشرين إلى قضية النحل والشك في صحّة نسبة الشعر إلى أصحابه وهم أحياء يرزقون؟

وهكذا نكون قد تخلّينا في طبعتنا السابعة عن ستة عشر بيتا أثبتت في الطبعة السادسة بعدما تنكّر لها الشـاعر فحقّ لنـا احترام مشيئتـه، والامتثال لرغبته.

ثالثا: إعادة ترتيب قصائد الديوان

قسم الشاعر ديوانه ثمانية أبواب هي[1]:

١ ـ فجر على شفق
٢ ـ البواكير ويضم الرشيديات والقرويّات
٣ ـ الأعاصير
٤ ـ الزمازم
٥ ـ الجماهير
٦ ـ زوايا الشباب
٧ ـ الموجات القصيرة
٨ ـ الأزاهير.

فالديوان كما رأينا ليس مبوّبا بحسب نظام الروي ولم يخضعه الشاعر للتسلسل الزمني لتاريخ نظم القصائد. وقد بلغ عدد قصائده ومقطّعاته سبعمائة وسبع قصائد ومقطعات. وعدم إخضاعه لنظام الروي أوقع في أخطاء طباعية عديدة. فقد طبعت القصيدة أحيانا أكثر من مرّة في الجزء الواحد. وقد تطبع في الجزء الأوّل ويعاد طبعها ثانية في الجزء الثاني. وقد تنبّه الشاعر إلى ذلك وهو يراجع ديوانه ويعدّه للطبعة السابعة.

صحيح أن دواوين الشعراء ملك لأصحابها ما دام أصحابها أحياء يرزقون يخضعونها لأذواقهم في تسلسل قصائدها وإخراجها وما إلى ذلك؛ أمّا وقد صاروا إلى دار البقاء فدواوينهم ملك للدارسين يخضعون مادّتها لمنهجيّة متطوّرة في الدراسة وتجدّد أساليب البحث الموضوعي. لهذا سوّغنا لأنفسنا ترتيب القصائد ترتيبا جديدا بعد إخضاعها لأبواب بحسب روّي كل منها. فالقصائد الهمزية انتظمت تحت باب روي الهمزة وهكذا الأمر بالنسبة إلى البائية والتائية وصولا إلى الياء وفق النظام الألفبائي المعمول به حديثا في تبويب الدواوين المكتملة.

---

(١) ديوان الشاعر القروي ط/٦ اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١/٤٧

واتّبعنا في تسلسل القصائد ذات الروي الواحد نظاما مطّردا مقدّمين الرويّ ذا الحركة الأضعف بحسب قوّة الحركات على الشكل الآتي: السكون فالفتحة فالضمّة فالكسرة.

ولم نهمل البحر في هذا الترتيب فالقصائد البائية المكسورة مثلا تخضع في ترتيبها إلى البحر الذي نظمت عليه. أمّا تسلسل البحور فخاضع للتسلسل الألفبائي فالبسيط قبل الطويل والكامل قبل المتدارك والخفيف قبل المجتث وهكذا...

ولقد أعطينا لكل قصيدة عنوانا محافظين على عناوين الشاعر إذا وجدت وإلاّ فالعناوين أجزاء من البيت الأول من القصيدة أو المقطوعة بعامّة. وسبق كل عنوان برقم القصيدة بحسب التسلسل العددي. وفوق الأبيات اسم البحر الذي تنتسب إليه القصائد والمقطعات.

وقد واجهتنا في عملنا هذا قصائد ومقطّعات تعدّد فيها الروّي وربّما تعدّدت البحور أيضا. والحل الذي ارتأيناه لمثل هذه القصائد هو تخصيصها بباب مستقل سمّيناه «المختلف» وبلغ عدد القصائد فيه ثمانيا وسبعين قصيدة ومقطّعة. وجعلنا هذا الباب آخر أبواب الديوان.

أما ما سمّاه الشاعر بالموجات القصيرة وهي عبارة عن مقطّعات بلغ مجموعها مائة واثنتي عشرة مقطّعة استقلت كل واحدة منها ببحر وروي مستقلّين فلقد وزعناها على الديوان بحسب موقعها من نظام الروي والبحر المعمول بهما وأشرنا في الهامش إلى أنّها من «الموجات القصيرة» مثبتين رقمها التسلسلي.

وتوجنا عملنا بفهرسين لأشعار المتن وأشعار الحواشي.

إنّه لجهد متواضع بذلناه في خدمة من وقف الشاعر قلمه للدفاع عنهم، والتغنّي بمآثرهم، والتصدّي للمتحاملين عليهم من أعداء الداخل والخارج. وإنه لوفاء منّا لبعض الدين الذي لهذا الشاعر في ذمّة أبناء العروبة سعينا جاهدين أن نحلّق في أجوائه علّنا نفيه حقه من العناية والتكريم. ولكن

التحليق في أجواء النسور صعب والعذر مقبول على التقصير إن حصل، فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى وما جهدنا إلاّ جهد بشر يستولي عليهم النقص والنسيان.

نسأل الله تعالى أن يتغمّد الشاعر بفيض من رحمته، وأن يسدّد خطانا ويلهمنا الصواب في ما أثبتنا إنّه نعم المولى ونعم الوكيل.

عن مكتب التدقيق اللغوي
د. محمد أحمد قاسم
طرابلس في شهر آب ١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

توطئة وترجمة:

طالما رغب إليَّ غير واحد من إخواني الأدباء في الأقطار العربية وسواها أن أوافيه بسيرتي فكنت أضيق بهذه المحاولة وأعتذر، حتى سنحت لي فرصة طبع ديواني. فبعد أن رجوت صديقاً من أعلام الأدب أن يضع مقدمتـه، بَدَا لي فقلت: غداً ينفسح مجال النقد والتشريح، وتتعثّر الأقلام بين الحقائق والأوهام، وبيس أعرفَ بي مني. فلما أولاني بأن أزود الراغبين بما يكفيهم عناءَ البحث، وريب الظن، ومذاهب التأويل. وسيرون أني بإيقافهم على مـراحل حيـاتي، والهبـوط بهم إلى حنايـا نفسي، قد سلّمت إليهم المفـاتيـح بـل أشرعت لهم الأبواب، ولم أشترط عليهم إلا أن يلجوا المخادع بقلوب نقية، وألا يستبصروا بغير النظارات البيض المغسولة. وأُشهد الله أني لم أُزيِّن لهم باطلاً ولم أعرض زائفاً، بل أكاد أُشبع فضولَ كلّ طُلَعَة، حاسوساً كـان أم جاسـوساً. وربمـا سهوت عن بعض ما يجب إثباته. فمَن أضاف إلى حسناتي فمِن عنده، ومن زاد في سيئاتي فلعله أقوى حافظةً أو أصدق نظراً.

مولــدي:

ليلة عيد الفصح في الخامس من نيسان سنة ١٨٨٧، فإذا أضفنا الفرق بين الحسابين الشرقي والغربي وهو في القرن الماضي ١٢ يوماً كان تاريخ ولادتي

بالضبط ١٧ نيسان، وهو عيد الجلاء في سوريا. وقد ارتجلت بهذا الاتفاق السعيد بيتين افتقدتهما ولا أذكر غير الثاني وهو:

[من السريع]

إن فاخَر الناسُ بأعيادِهِمْ فعيدُ ميلاديَ عيدُ الجلاَءْ

نسبي:

أمي تقلا ابنة أسعد بشارة الرحباني. وأبي سليم بن طنوس بن منصور بن حنا الخوري.

نزح جدي أسعد وأخوه مشرق بعائلتيهما من «الشوير» إلى «البربارة» واشتغلوا بالحدادة. وكان أخوالي ستة من أفتى الشباب. قضوا تباعا في عز الصبا، ولم أعرف منهم غير أكبرهم بشارة وأصغرهم إلياس الذي امتاز بجمال صوته، فظلت أمي وجدتي تصلان حداداً بحِداد حتى راهقتُ[1]. وكان جدي

---

(١) قضى منهم ثلاثة فيمن قضى في المهاجر من اعمامي وعماتي وابنائهم وقد ذكرت بعضهم عام وصولي إلى البرازيل سنة ١٩١٣ وأنا صريع الحمى بقولي: (من الطويل)

لئن كان في أرض البرازيل موتتي فقد مات من قبلي سليم وأسعدُ
ونصري ومناشي وإلياسُ كلهم غريب الحمى في أرض «كولمب» ملحدُ
وكلهُمُ غض الإهاب وكلهُمْ نسيب له في القلب ذكر مخلدُ
بعيدٌ عن الأوطان يصحبني أخٌ له كبدي الحرَّى وما تتكبدُ
أخاف عليه الهمَّ إنْ مسّني أذى فوَالَوْعتي إن متُّ يشقى وينكدُ
وأم حنون ليس ينشف دمعها تصلي وسكان الصوامع رقَّدُ
تراقب عودي كل يوم فان مضى تقول غداً يأتِي فلا ينفع الغدُ
ومن حولها شبه الحساسين إخوة صغار سوى التغريد لم يتعوّدوُا
فما أنا ممن يرهب الموت قلبُه ولي سيَرٌ في سالف العمر تشهدُ
ولكنْ حياتي للذين ذكرتهم فأرغب أن أحيا شقياً ليسعدوُا
وأخشى عليهم من كتابٍ يروعهم كتاب عليه شارة الموت أسودُ
فيا ربِّ رفقاَ بالفراخ وأمِّهم وعجِّلْ شفائي ربِّ إياك أقصدُ

طنوس طبيباً نَقل بخطه عن ابن سينا عدة كتب وجلّدها بيده. وكان يضيف إليها كل ما يقع عليه من مستحدثات الطب ولا يحجم عن القيام ببعض الجراحات البسيطة. أخذ والدي عنه مبادىء القراءة، ثم طلب العلم في مدرسة «عبيه» الأميركية، فالكلية السورية الإنجيلية ببيروت ـ الجامعة الأميركية اليوم، ثم علّم بضع سنوات في طرابلس وصافيتا وعكار، واحترف بعد زواجه التجارة بالتبغ والحرير وغيرهما فأصاب ثروةً معتدلة. وقد خلَف جدي في مشيخة القرية، وعُرِضت عليَّ قبيل وفاته فرفضتها. كان يجيد النظم والنثر بعض الإجادة، وقد صدَّرت «الرشيديات» ـ أول مجموعاتي الشعرية ـ بأبيات من نظمه أثبتُّها في باب «البواكير» من هذا الديوان.

إخـــوتي:

قيصر، الشاعر المدني، يصغُرني بأربع ونصف. كان الأول في الدروس والمسابقات الرياضية وحسن السلوك طيلة السنوات الأربع التي أمضاها طالباً في مدرسة الفنون في صيدا. زاول التعليم عند الأميركان في جبيل والبترون وطرابُلس. تزوج في الوطن في سن العشرين، ثم تزوج في المَهجر بعد وفاة زوجته الأولى وأنجب البنين والحفدة. يشتغل في محل تجاري بصنبول.

ڤيكتوريا؛ رخيمة الصوت بدوية المحاسن. تلقت مبادىءَ العلم في مدرسة البنات الأميركية بطرابلس، وعندي في مدرسة بشمزين الوطنية. ما إن بدا نبوغها في إرسال الخواطر الشعرية الفاتنة حتى تزوجت في مستهل الخامسة عشرة وهاجرت وزوجها إلى الولايات المتحدة منصرفة إلى نظم البنين والبنات وتنظيم البيت.

فيليب؛ تخرَّج في القسم العملي من مدرسة الفنون في صَيْدا فأتقن الخياطة ومبادىء العلم وتفوق في المباراة الرياضية هناك كأخويه قبله. نظم

بعض المقاطع الممتازة ظرفاً وفكاهة، واشتغل بعائلته الكبيرة في الغربة السحيقة فهجر النظم، وطلّق الأدب(*)

فؤاد: كان أشد إخوته جاذبيّة ولطفاً ذكياً خطّاطاً. دوَّى ذكره منذ حداثته لجمال صوته، فكان الناس يؤمُّون بيتنا من مسافة يومين ويلتمسون إيقاظه من نومه ليسمعوا إنشاده. قَضى إبّان الحرب الأولى في مثل عمر البدر.

أديب: امتاز منذ حداثته بقوة بدنية خارقة طغت على ميله إلى العلم فلم يصب منه إلا مبادىء القراءة البسيطة. يحب المطالعة وله في الأدب ذوق ممتاز انتفع به أحياناً. تزوج في العشرين كأخويه وأنجب ثلاثة بنين، أكبرهم خالد في السادسة والعشرين بطل الملاكمة في أميركا الجنوبية ويحرر القسم الرياضي في بعض الجرائد البرازيلية.

نديم: تعلم في القرية وامتاز في الحساب والقوة البدنية والصوت الجميل. وله ذوق في الأدب، نظم قطعة غزلية إثر الخِطبة... ثم انقطع عن النظم والزواج.. بعد فسخها.

دعد: تعرف مبادىءَ القراءة والخط. رخيمة الصوت ميّالة إلى الموسيقى، تزوجت سنة ١٩٣٩ من سليم أبي شهلا، وهو أيضاً من هواة الموسيقى، فأنجبا

(*) حفظت من منظومه القليل هذين المقطعين:

[من المجتث]

لا ينفعنَّ جهادٌ … والفقر أمرٌ محتّم
ولا تفيد صلاة … والرب لاه بجريم

[من مجزوء الرمل]

ربّةَ الدير كفانا … صلواتٍ واحتجاب
وكفى النفس شقاء … وكفى القلب عذاب
كان داوود نبياً … حسب ما قال الكتاب
كم تلهى بحسانٍ … وتغنى بالرباب
ولكم طوّق خصراً … راشفاً حلو الرضاب
غنم اللذة في الدنيا … وفي الأخرى الثواب

وحيدهما انتنُور الذي برز نبوغه في العزف على البيان منذ السادسة. وهو الآن في العاشرة حديث الناس.

مسقط رأسي:

قرية «البربارة» على هضبة مشرفة على البحر الأبيض بين مدينتي جبيل والبترون من جبل لبنان، وقد عُرف أهلها بالقوة البدنية ورخامة الصوت. لا يكاد يشذ منهم في الميزة الأخيرة أحد ذكوراً وإناثاً.

ظروف تكويني وولادتي:

لما تكوَّنت جنيناً في أحشاء أُمي كان أبي أقوى شباب محيطه عضلاً، وأبعدهم وثبةً، وأعذبهم صوتاً، وأعلاهم ثقافةً. وكانت أُمي أرشق بنات جيلها حركةً، وأصفاهنَّ بَشرةً. وأشدَّهن توردأ. وقد عُقِد لهما في الصيف وأسِرَّةُ الناس السطوح، وقناديلهم النجوم، ونوافذ منازلهم وأبوابها عَرض الفضاء. فكنت أشهد روائع السماء والأرض بعينيْ والديَّ، وأوقع نبضات قلبي الخياليَّ على نبض قلبيهما الفتيّين. وكانت ولادتي أيسَرَ على أُمي وأنا بكرها من ولادة سائر إخوتي، فما كادت تشعر بألم المخاض حتى انطلقتُ من أحشائها انطلاق السهم. وشمل الحظ أعمامي فأصابوا من البحر تلك الليلة رزقاً عظيماً، وأشبعوا أهل الحي سمكاً وأبواقاً وسراطين وغيرها من خيرات الماء الملح.

طفولتي:

دَرَجت في الشهر السابع برشاقة مدهشة؛ وقد سامني هذا النشاط عذاباً شديداً لكثرة صدماتي وعثراتي.

تعلمي وتعليمي:

أول ما تتلمذت على معلمي الشاعر قيصر وحيد الغرزوزي[1] ثم تعاقب المعلمون في مدرسة قريتنا، وآنس مني آخرهم المعلم إيليا نصار - وأنا في العاشرة - رغبة في مطالعة المجلات العلمية والأدبية التي كنت أجدها على طاولته. فعني بي عناية خاصة، وصار يكتب لي الخطب والأشعار فأستظهرها وأتمرَّن على إلقائها بصوت تردد صداه كهوف الوادي.

ولما ناهزت الثالثة عشرة طلبت العلم سنتين في مدرسة الفنون الأميركية في صيدا، فسنةً في مدرسة سوق الغرب، علّمت بعدها سنةً في مدرسة (أنْفه) الوطنية؛ وعدت فأنهيت الاستعدادية في الكلية السورية الإنجيلية ببيروت. ثم انصرفت إلى التعليم سبع سنوات متوالية في مدرستي طرابلس والمينا الأميركيتين، فمدرسة بِشْمِزِّين الوطنية، فالكلية الشرقية في زَحْلَة، فمدرسة الإنكليز في الشُّوَيْر، فمدرسة الأميركان في سوق الغرب. وما كانت كثرة تنقُّلي إلاَّ اختياراً منّي لأفضل الشروط التي كانت تُعرَض عليَّ من مختلف المدارس في عطلة كل سنة.

أوصـــــافي:

طولي متر وثمانية وسبعون سنتيمتراً ووزني سبعة وستون كيلو. ومحيط رقبتي ثمانية وثلاثون سنتيمتراً. حنْطي اللون، عسلي العينين أقرب إلى السواد. صغير حجم الرأس والفم والأذنين، واسع الجبهة ببروز قليل، دقيق الأنف،

(١) وهو صاحب البيتين المشهورين:

[من الخفيف]

لا تسلني عن مذهبي فأنا من ... مذهب القائلين باللامذاهب

أنا من هذه الطبيعة ات ... وإلى هذه الطبيعة ذاهب

وقد بعثت إليه من مدرسة الفنون في صيدا بأول منظوماتي وهي مثبتة بعنوان «الباكورة» في ديواني «الرشيديات» المطبوع سنة ١٩١٦ مع شرح أوجزه بأن معلمي المرحوم شاكر داغر لما قرأها غضب وأهانني لظنه أني سرقتها ولم يصدق إلا بعد أن نظمت له في الحال قطعة اقترحها علي في السباحة وفي أحد أبياتها تورية باسمه واسم طفله فؤاد وهذه القصيدة والقطعة على علاتها

بيضوي شكل الوجه، متناسب طول واستدارة العنق.

عـاهــاتي:

سقطت في طفولتي من أعلى السلّم سقطة خلّفت في بؤبؤي الأيمن نكتة لم تُغنِ فيها مهارة الجراح الأميركي جورج بوسط. وانفجر في يساري وأنا في الثانية عشرة قداح دينميت، فنكبني في البنصر والوسطى بانعقاف أيأسني فيما بعد من التفوق في الضَرب على العود. وسقطت تحت الحافلة فافتقدت خنصري اليمنى رقبتي بانخلاع خـالد الأثـر. وصفَق أحدهم بـاب السيارة عـلى يميني فحطّم وُسطاها وشوَّه إحدى براجمها[1]. وفي عدة مواضع أُخرى من جسدي ندوب تسجل ما مرَّ عليَّ حتى اليوم من الحوادث البسيطة والخَطِرَة.

حياتي اليوميـــة:

لم أُدخِّن قط. وأحبُّ الشراب إليَّ قهوة البن، ولكنها تعقد مني أعالي كل هُدْب بحاجب. فلا أذوقها إلاَّ نادراً. أما الخمر ولا سيما العرق اللبناني، فقد أقبل فيها دعوة المتنادمين من إخواني أحسو حَسْوة الطير لا أزيد.

لا أعاف من الطعام المألوف غير لحم الخنزير. معتدل في المقدار، مفرط في المضغ. ولا أشْرَه إلا في الفاكهة. وأطيبها عندي البرتقـال والعنب، وربما لقيتني مـاشياً في السـوق أقضِم تفاحتي وأنت تنفـخ دخان سيكـارتك، فـإذا (فتحت) عينيك استغراباً (سددت) أنفي أنَفاً، وراح كلانا يضحك.

أُحب الأناقة ولا أُطيق التقيد بها. فبينا أتخطّر بالقشيب إذ يوشِـك أن يمسي بعد يوم وليلة لبيساً، منمنماً... برَشاش عصير البرتقال، أو مزخرفاً. ببصمات أصاغر الأسرة؛ إذ يتألّبون عليَّ محاولين صرْعِي وخنقي. فأنصرع لهم وأتقلب معهم حتى تنجلي المعركـة عن ثوبي المعفَّـر وقلبي المغسول. [من المتقارب]

---

(١) البراجم عقد الأصابع.

تسلَّ بعشرتهم وتمتَّعْ بإخلاصهِمْ قبلَ أنْ يكبرُوا

وكنت ألبس الجوخة الانكليزية فقاطعتها منذ انفضاح وعد بلفور سنة ١٩١٧ ولم أقبلها هديةً من صديق عزيز. وها أنا منذ سنة ١٩٥٠ أتعلل بما عندي من عتيق اللباس، وقد بات أكثره زرِياً، عسى أن يصدُق حُلمي بالرجوع قريباً إلى وطني، فأصطنع جديدي مما تنسج بلادي ولو أنه الخيش!

ملت إلى السينما في أول عهدها ولم ألبث أن اكتشفت ما فيها من دعاوة ماكرة، وجريمة سافرة، لا يخلو شريط منهما أو من إحداهما، فقاطعتها.

كان الغناءُ والعزف على العود والرياضة البدنية أحب هواياتي. ثم شرعَت نفسي تعزِف عن ذلك كله حتى أوشكتُ أن أنقطع عنه نهائياً.

ولم تعد لي تسلية بعد القراءة والكتابة إلا بالداما أو بالنرد[1].

معارفي:

لست من العِلم في شيء ولكني أميل إلى مطالعة الأخبار العلمية قبل أية قصيدة. وأحسن القصص عندي المترجم عن الروسية وما شاكله بساطةً وعمقاً.

---

(١) ألفت في «صنبول» منذ نيف وثلاثين عاماً بعض أصوات جلها وطني. وأخرجت منها مئتين وخمسين قرصاً نفدت كلها في وقت قصير. ولكني لم يعجبني الإخراج وأنكرت فيه صوتي فأشرت بإتلاف الأمّات على الرغم من الربح المادي وأهملت الموهبة. وقد ظللت حتى الخمسين أباري الفتيان عدواً وقفزاً وربعاً. وفي سنة ١٩٣٦ رغبت إلي آنسة في أن أنظم رباعية في النرد فلبيت في الحال. وبعد أسبوعين فاجأتني بهدية «طاولة زهر» جميلة. منقوشة أبياتي على زواياها الأربع وهي:

[من مجزوء الكامل]

العبْ أخي ما نحن إلا لعبة بيد القدرْ
العب أخي العب فما رد المقادير الحذرْ
صنعت بنا الأيام ما «بالزهر» تصنع «والحجرْ»
لا يدفع اللهو الردى لكنه ينسي الخطرْ

لم أتعلم من اللغات الأجنبية غير نزرٍ من الإنكليزية أهملته فنسيت أكثره، ونزر من البرتوغالية أقلّ. وما أكملت قط مطالعة كتاب غير عربي. أما أمُّ اللغات فأتمنى لو تجدَّد عمري لأشبع نَهَمي من درسها، وأعترف من كنوز حكمتها المخبوءة عن أكثر أدباء العربية، ولا سيما المغتربين.

صفاتي:

لا أترفَّع عن العمل مهما يكن متواضعاً. وأختدم وأخدم في كثير مما يُلقى على عواتق الأجَراءَ.

أحب الأطفال الرضَّع حتى لأجلسُ إلى سرير أحدهم ساعةً لا أملّ. ولكم سبقتُ أمي إلى ضم إخوتي وتقبيلهم فورَ غسلهم ساعة ميلادهم. ولا تزعجني جلَبة الصغار وهم يلعبون حولي ولو كنت أطالع أو أكتب. فإذا تشيطنوا نَفَطتُ[1].

يكهربني الجمال على أنواعه فأُشيد بذكر القطعة البارعة ولو أنها لعدو لدود. بل حتى لو كانت لي...

أضحك للنكتة البكر ضحكةً ذات جلاجل وأجراس.

أغضب ولا أحقد، وكثيراً ما أرضى في الحال. جريءٌ صريح حتى الخشونة، بل الفظاظة أحياناً.

وفي القليل الذي أرويه ـ من كثير أطويه ـ أمثلة على هذا الخلق الذي شَبْبت وشِبْت عليه، والذي يسيطر على قلمي كلما جردته لنظم أو نثر. اجتمع مرة في بيتنا وأنا غلام مطرانٌ وميرالاي. وخيّراني بين أن أصير مطراناً أو قائداً. فقلت: أصحيح يا سيدنا أن المطارين لا يتزوجون؟ قال: صحيح. قلت: فالمرأة أحب إليَّ.. وبعد بضع سنوات مرَّ علينا الضابط «وديع عقل» بشرذِمة من خفراء الساحل اللبناني في طريقهم إلى «بعبدا» للمطالبة بحقوق عددوها

---

(١) التهبت غضباً.

لي، فخطَبت فيهم محمساً، وأذكرتهم بنَدين جوهريّين غفلوا عنهما، فشرعوا «يقوصون» ويهتفون باسمي. فأهبت بهم: «يا حماة الأمن؛ ذخيرتكم للموقف الحاسم، فلا تضيعوها في تحية الأصدقاء».

ولما كنت في السادسة عشرة تلميذاً في مدرسة سوق الغرب، أُخذت بجريرة سواي في عراك نشب بين الطلاب؛ وشرع الرئيس (هَاردِن) يركِّع المتهمين ويجلد أقدامهم، حتى جاءَ دوري فقلت: «يا حضرة الرئيس، إذا كنت بريئاً فإنك تظلمني، وإن كنت مذنباً فإني أُوثر الطّرد». فجمد الرئيس، وأمر بفصلي عن الدروس أياماً. ولكني وقفت في البهو الحافل، وفنّدت الحكم بصوت عالٍ وقلت: «لا آسف على ترك مدرستكم ما دمت واثقاً من رضى والديَّ حين أجلو لهما حقيقة أمري».

وفي خلال تعليمي في تلك المدرسة بعد عشر سنوات، شجر بيني وبين مديرها المستر «فْرَيدنغر» أكثر من خلاف، فقلت له مرةً: «يا مستر فريدُنغر، ثق بأني أُحبك ولم أقصد معاكستك قط. ولكني أُصارحك بأنك لو نشأت نوتياً أو فلاحاً لكنت اليوم قبطاناً أو مزارعاً كبيرا، بيد أنك لم تخلق لإدارة مدرسة».

وفي تلك السَنة حرَّرت عريضةً (واسمتضيت) عليها جميع رفاقي المعلمين: تطالب الرئيس (جَصب) بإصلاحات صحيّة في بناية المدرسة، فضلاً عن حقوق أدبية تصون كرامة التعليم؛ فأبى، فأصررنا وظللنا نناوره وأنا أحض الزملاءَ على الثبات، وأكثرهم أكبر مني سناً وأغزر علماً، حتى فزنا بتحقيق كل البنود، وكلّفنا الخزينة ما لا يقل عن ثلاثمائة ليرة انكليزية. فلما أوشكت السنة المدرسية أن تنتهي دعاني الرئيس، فقلت لا ريب في أنه سيُخطرني بالفصل. ولكنه ألح بأن أعود، ووعدني بزيادة أجرتي وتوليتي منصب أستاذ كبير عزم على هجر التعليم. قلت: «يا مستر جصب، لم أنتظر منكم هذا بعد الذي بلوتم من خشونتي». فأجاب: «بل انّا قَدرنا صراحتك وإخلاصك، وما نكره غير الرياء والزلفى». بيد أني كنت قد وطّنت نفسي على السفر فاستعفيت شاكراً. وإني ليسرني الآن أن لم يَفُتني تسجيل هذه المحمَدة للأميركيّين الكريمَين.

إيماني وتسليمي:

أؤمن به تعالى إيماني بوجودي، ولن يساورني الشك حتى أجد من يقنعني أني أنا خلقت نفسي. وأعد بحث العلماء في هل الله موجود أدل على الحماقة من تساؤل بصير في رائعة النهار: هل في السماء شمس أم لا

وقد برز فيَّ وأنا في مطلع الرابعة عشرة إحساس ديني غريب، غمرني بحبور عظيم وسعادة لا توصف. فكنت أُفيق منتصف الليل، وأخرج إلى حديقة المدرسة وقد غرقت في لجة هادئة شفافة من ضياء القمر فأسبح في تأملاتي وابتهالاتي البريئة. وقد تجلّت هذه الروح في حياتي اليومية بِشراً يفيض من وجهي ورقّةً متناهية في عشرتي. فما تحرَّش بي رفيق إلا قلت وقلبي بين شفتي: «لماذا يا أخي؟ ألا تشعر أني أحبك»!

ولو لم يستجب فيما بعد مزاجي الناري إلى إغراء المرأة ـ وهي أقوى منافس لله في قلوب الأتقياء ـ لما كانت لي عنده خطيئة. رافقني هذا الشعور الديني طيلة حياتي فرأيت ظلَّ خالقي يصحبني أيان رحلت وحللت وقد علمتني التجارب أنْ لا أمل ولا تعزية إلا به وحده، وأن لا حبَّ إلا حبه. ولولا شغفي بجمال وجوده، ويقيني من رحمته، وتسليمي لمشيئته، لانتحرت من زمن طويل.

قد أنسى الله حيناً في بأسائي، ولكني لم أنسه قط في نعمائي. فصلاتي مجرد تسبيح وشكر وإعجاب بعظمة الخلق، واستقواء بذكر الخالق على نزعات نفسي واطمئنان إلى رضاه عني. وشعوري بهذا الرضى يُمدُّني بشجاعة لا تحسُب حساباً لخطر مهما عظم، ويغمرني بسعادة لا تضاهيها سعادة. ولو أني ملكت كنوز الأرض لما صرفت عني ألماً سبّبه لي لممٌ من أثم حتى أنيب إلى ربي. ولو أني فقدت آخر فَلس وآخر صديق وآخر حبيب وبقي لي عفو الله لكفاني به أملاً يروح عني ويحييني.

حسناتي من الله ومساوئي مني، هكذا اعتقادي. وما أصابتني مصيبة إلا أحسنت تأويلها. ففقْدُ مالي تدارك من لطف الله أن أستعمله فيما يؤذيني.

واعتلالي نوع من الاستجمام العقلي وتلاف لخطر أكبر أتعرض لـه في غدوي ورواحي. وموتي قبض إلى رحمته تعالى في الظَّرف الأنسب.

حبـــي:

عرفت الحب في السابعة حين جاءَت لِدَتي السمراءُ ذات العينين البدويتين والخدين النضيرين تقول لأمي: «يا خالتي أمَّ رشيد. أمي ترجوكِ أن تعيريها الحصيرة لتشمِّس البُرغل». فافتُتن عقلي الصغير بتلك النغمة وذلك الشكل، ولم أعد أجد لذة إلا بقربها ألتمسه وهي مع أترابها الصغيرات بين الكروم وعلى الشواطىء. وكبرنـا وافترقنـا حين طلبت العلم في المـدارس البعيدة ولم ننس الحب. وتزوَّجَتْ وأنا في العشرين، ثم سافر زوجها إلى أميركا وظللنا نجتمع كما لو كنا بعد في السابعة. كانت معتدلة القَد أدنى إلى العبالة، ولكنّي عندما أتذكرها أتكلف تصور قوامها. هكذا كنت وهي بقربي لا أفطُن لجسدها ولا ما يكسوه. كان كل ما يستلفتني منها وجهها المكلثم الساحر التكوين، كأنها روح متجلية في محيّا لا يتصل ببدن. أو كأنها رسمُ حي لرأس مَلكٍ سماوي يتراءَى لي في صفحة الأفق، ويدانيني حتى (يتائمني) فأغرق في مناجاته لا أُحس عبـور الزمن. كشاعر يتلقى الوحي من نجيته ينبهونه إلى انتصاف الليل فلا يكـاد يصدق أن قد مضى هزيعه الأول. كنا نسهر تحت أبصار النجوم، جالسين جنباً إلى جنب على شفير عال، وأرجلنا متدلية وروحانا متعانقان عند ملتقى العيون، لا نكاد ننبس بحرف ولا نتلامس، كأننا لا نجد في اللغة تعبيراً صادقاً لما كنا فيه من نعيم، وكأن جسدينا عادا جُزءاً من تلك الصخرة التي اتخذناها مقعداً، لا تدب فيهما الحياة من جديد إلا حين ينحسر نقاب الغلَس عن جبين الفجر، ونهمّ بالنهوض فنفترق لا نتبادل ضمةً ولا قبلة غير تلفتات العين والقلب. ذلك حبي الأول. ذلك الحب العذري الذي أؤمن به لأني خبَرته. ولا أزال أحار في سره، وأجده عجباً عُجابا. كيف كنت أرضى بتلك اللذة الروحية من أجمل الصبايا وأحبّهنَّ إلى قلبي؟ ولماذا كنت إذا لقيت غيرها من النساء يضطرم دمي ويضطرب في عروقي كلُجّة من نار. الحب الطاهر حقيقة لا ريب فيها أيُّهـا

الشباب. وأؤكد لكم أني لو كان قُدر لي العيش مع «م» لنعمنا العمر كله في عدْنٍ جديدة، حتى تزعجنا عنها حية وتفاحة. وهذا ما لم يكن يخطر لي أنا - آدم الجديد - على بال. .

وتوالت خلال ذلك وبعدهُ قصص الحب المغري. تنقُّلٌ في الأمكنة وتنقلٌ في الهوى. أحببت وبكيت كثيراً وأحببت وأبكيت أكثر. لم أكن قط مستهتراً، ولا مَنّيت فتاةً بوعد، بل كنت في كل حب مطلوباً أكثر مني طالباً. ولطالما حاولت بالنَقلة خنق أكثر من حب في مهده إشفاقاً على صاحبتي وعليَّ. فكنَّ يتفجّعنَ حتى أجد المصيبة في القرب أقل خطراً وأدنى إلى السترة فأستسلم لقضائهن اللذيذ. وتمضي السنة المدرسية لتتجدَّد الرواية في غير مكان. وما قولك بشاعر غض الإهاب، أرشق من النمر إذا وثب، ينظم أغانيه ويلحنها ويعزفها على عوده فيشغل بيئته حديثاً عنه، وتظل غرفته مَغدى ومَراحاً لرفاقه من الأُدباءِ وعشاق الفتوَّة وهواة الفن.

ابتُليت بالمعاصي كسائر الشباب أمثالي، إلا من وصف بشذوذ من عفة أو عُنّة. ولكني استترت ما وسعني الاستتار ولم أُخلَّ في غرامياتي بالآداب العامة. وقد أخلصت بها في «سيرتي» إلى المدى الذي يحده الذوق. وربما جاوزته بضع خطوات. . .

لماذا لم أتزوج:

كان شبابي وقفاً على إخوتي الأصاغر فلما كَبِرَت بي السن كبر عقلي ولم يكبر جيبي. ولو كبر جيبي لما نفعني كبر عقلي. . .

شغفي بالطبيعة:

أراني في حياتي أشعرَ مني في شعري، فما زرت بلدةً إلا وشاقني قبل التعرف إلى باطنتها وناسها، أن أرود ما يحيط بها من الأرض الفضاء، مصعِّداً في الروابي، هابطاً الأودية، سابراً المغاور جائساً الكهوف، باحثاً عن الينابيع.

وأشد ما يستهويني تلك الهضاب التي تتوسط الصخور تعاشيبَها، كأنها الأغنام رابضةً في المراعي الخضر. فإذا ما انحجبتُ عن العيون واطمأننت إلى المعزلِ البعيد، استخفني السرور. وأطعت سنّة الهواء والنور، فرحت أطرح عني ثيابي قطعة قطعةً، وأنا أطفِر بين التلال هازجاً أُنفر السائمة.

وإذا طغى الجمال كما في لبنان فجمع بين سموِّ الجبال ونَضرة السفوح، وترقرق الجداول، وزرقة البحر والسماء. ردَّني إلى خشوع يُلصق جبيني بالتراب. ويسكب من عينيَّ وشفتيَّ تسبيحةً رطبة حارَّة.

وقد يتجسّم شعوري بصلة القربى بيني وبين هذه الأكوان فأنعطف على الشجرة أُعانقها، والصخرةِ أضمّها، والزهرة أُناغيها، والمرْجة أتقلّب عليها، وأمدُّ ذراعيَّ إلى السماء أحييها، وأبعث إلى الشمس بقبلاتي على أطراف بناني. والشمس بين روائع الطبيعة حبيبتي الأولى وفتنتي الكبرى، ليس أبعثَ لنشاطي الجسدي والذهني من الاستحمام بنورها، ولا ينافس إشراقتها في قلبي غير ابتسامة المرأة الحسناء. وأعتقد أن تشاؤم المعري كان بقدر حرمانه من كلتيهما.

وقد تسكن نفسي المضطربة في المدينة إلى عشبة خضراء بجانب الطريق، فأقف عندها، أو أمشي متمهلاً حذاءَها، شاكراً لها إحساناً غير مقصود...

وكم هزَّني الشتاء العاصف، كالربيع الضاحك. فإذا اهدودرَ الشؤبوب صحت: «لبَّيك!» فنضوت عني. وقفزت إليه وبيدي الليفة والصابونة، حتى إذا أشبعتُ جامحَ رغبتي في الاغتسال بماء السماء، عدت فتنشّفت وجلست إلى مكتبي أشدَّ ما أكون استعداداً لتقبّل الرؤى ونظمها.

شعوري الوطني:

أمتي: أنا مُكثِّراً، ووطني: أنا مكبّراً. إذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعةً فكأنما أكلوا جارحةً من جوارحي، وإذا هدروا عربياً في لُبنان أو تَطوان فكأنما شربوا نُغْبةً[1] من دمي. وكأنَّ كل بلدٍ قويٍّ من بلادي ساعدي مفتولاً،

(١) النغبة (بالضم) الجرعة، وقد تفتح.

وكل شعب خامل فيها زندي مشلولاً بل ما أعدُ ذاتي إلاّ خليّةَ في جسد أمتي. أنا واحدٌ من سبعين مليوناً من العرب، كلُّ واحد منهم أنا فينبغي أن أحبهم قدر سبعين مليون نفس كنفسي. من افتداهم فكأنما أحياني سبعين مليون مرة، ومن خانهم فكأنما قتّلني مثلها. ولذا تراني أصب جامات غضبي على الظالمين، وصنائع الظالمين، والصابرين على الظلم، بعنفِ مَن يدرأ الموتَ والعارَ لا عن نفسه فحسبُ، بل عن سبعين مليون نفس كنفس محشودة فيه، شاغلةٍ عالَمَ الأرض من لا نهاية روحه. وقدرَ الشعور يكون الألم. ومن فقدَ الغيرةَ أنكر الغضب. وما استكثر اللعنة إلاّ من استقلَّ الخيانة. وما ياسر السفّاحين إلا من استهان بدماءِ قومه فحسبها ماءً كدمه.

أصدقائي وأعدائي:

لم أعتدِ قط، ولا تربّصت بخَصم، ولا فكّرت في الكيد لمن مسني ضره. وطالما تجاوزت عن الوقيعة، وصبرت على أقبح الذم. وما أثارني من أصوات المعادين غير الصئيِّ والفحيح. فقد خلُقت يقشعر بدني لمرأى العقارب والحيات. وأظن كل معارفي أصدقائي، حتى يخيِّب الواقع ظني، فتأخذني حيرة وأسف يمازجهما شيء من الإكبار لنفسي كلما خلَفتُ في حلبة الود صديقاً يظلع وصديقاً يهوي مقطّع الأنفاس. وكم تمنيت لو أنهم عاتبوني لاكتشفت ذنبي فأعتذر. وكم تغافلت عن الإعراض، وجاذبتهم الحبْل. فإن آنست من طَرَفه إجابةً وإلاّ رفعت عنه يدي، كالآسي يجد سرطاناً مستحيلاً شفاؤه محتوماً قضاؤه، فيخيط عليه الجرح ويمضي أسفاً. وربَّ رفيق مِبداء جفاني فخلّيت له مكانه من قلبي يعود لاحتلاله ساعَةَ يشاء. ورب أُديب تغنّى بأدبي ثم عيّر أمتي فنبذته ظِهريّاً، فعلاقتي بمواطني تقوى وتضعف بقدر حبه للوطن لا بقدر حبه لي. مَن أخلَص للعرب ونَفعَهم أحببته ولو كرهني، ومن نافق أو تولّى كرهته ولو أحبني. كتب إليَّ مطران عزيز عندي أن أضع مقدمة لكتابه ففعلت مُطرياً حسناته ولكني نعيت عليه فتوراً في العاطفة الوطنية، ولم ألبث أن قرأت في الصحف حملته الصادقة في سبيل فلسطين، وكنت أحرر جواباً إلى صديق

فكلفته أن يحيّي المطران ويقبل يده عني، فجاءني الرد «ما علمتنا تقبيل الأيدي يا قروي». صدق الصديق. ولكني أجهر بأن الشذوذ في هذا الموقف هو القاعدة. وإني لمستعد لتقبيل أية يد تفيض على العرب بالأيادي البيض، استعدادي لقطع كل يد تتحرك لخيانتهم.

اقتصادياتي:

ما هاجمتني الفاقة إلا وأوهت قَرنها بحائط من عناية الله حولي. ولكم أمسيت خالي الوفاض فضحكت استهزاءً من العُدم وتساءلت: رشيد سليم خوري يجوع؟ كلاً لا يجوع. فما أصبحت إلا وقد تهيّأ لي ما به كفافي وفضلة أرصدها للأحوج من أهلي وقومي. ولا أذكر أني اقترضت إلا مرة سنة ١٩١٨ بإلحاح من صديقي جرجس موسى الخوري (رح)، إثر جراحة كنّست جيبي.. ومنذ بضع سنوات ألهم الله صديقي إلياس عاصي فسعى إلى ترجمة وبيع كتابي «حضن الأم» فأوسع عليَّ أدباً ومادةً تجمّد أكثرها في بيت اشتريته في البر فأورثني المتاعب والخسائر. ثم تناوبتني العلل فأكرهتني أواخر عام ١٩٥٠ على أن أبيع من ضنائني عودي[1] وكتباً نفيسةً جُلّها هدايا من خُلّص إخواني لأستعين بثمنها على رحلة رحلتها إلى الأرجنتين والحمى تشوي جسدي، عسى أن أتزود من كرومها نشاطاً يعينني على الوصول إلى وطن الأرْز. وكان صديقي البار المذكور قد شفع مأثرته الأُولى بثانية، إذ تنادى هو ونفر من كرام الأصدقاء لشراء بيت لي في صنبول وبلغ ما جمعوه حوالي عشرة آلاف ليرة لبنانية، ولكنه عبثاً حاول إقناعي بقبولها فأعلنت في إحدى المذاعات شكري واعتذاري وإيثاري قبراً في وطني على قصر في غربتي. وطلبت رد المال إلى المتبرعين، حتى زُفّت إليَّ البشرى بتحويله إلى مشروع طبع هذا الديوان. فقبلت وشكرت،

(١) زارني غب عودتي شاري العود وقال: لما هبطت من غرفتك والعود بيدي استدعتني الخالة أم رشيد وقالت لي وعيناها مغرورقتان: يا بني. هذا العود رفيق رشيد منذ صباه، وإني متشائمة من خروجهما معاً من البيت كل في سبيل. فعدني أنك تجيئني به حالما يرجع ولدي من سفرته معافى بإذن الله. قال الصديق. فوعدتها، وهاك العود! والحمد لله على سلامة قروينا العزيز فذابت نفسي لحنان الوالدة وأكبرت مروءة الصديق ورددت إليه المال شاكراً.

وعدت حامداً هذه الفرصة السعيدة التي أتاحها الله لي بأصدقائي لتحقيق أعز الأماني الشخصية الباقية لي في هذه الحياة.

كيف أنظم الشعر:

في أية ساعة وأي مكان. في يقظات الليل، في الشارع، في الحافلة، على المائدة، أثناء الحديث. أدوِّن الخاطرة أو البيت. لم أنظم ليلاً من القصائد التي تعجبني غير «حضن الأم» و«تحية الأندلس»، ولعلهما خير ما نظمت. أما سائرها فنهاراً في سَفراتي، أو في الحدائق العامة، أو الضواحي الهادئة. أتزوَّد غذائي من الخبز والجبن والبيض المسلوق وزجاجة ماء قَرَاح. وأنسطح على العشب، أو الصخرة الملساء. في فُرجة من غابة، أو مطمئن من ربوة. ناضياً عني لأشعة الشمس. وأغيب في مناجاة لذيذة، أو أتنزَّى غيظاً وألماً وأسىً إذا كان الموضوع وطنياً؛ فلا ألبث أن تسنح لي الخواطر دراكاً، تلدها القريحة في الغالب سويّةً مقمّطة كاملة الصياغة والوزن. وأمضي على هذا النحو، إلا فترات أمسح على جبيني ووجهي، وألهو برياضة خفيفة، أو ملاحظة نملة تجول جولةً في عالم جسدي، فتسرح على بطحاء بطني، وتتمشى في صعيد صدري، وتغور وتُنجد بين رقبتي ووجهي، وتشرف على دنياها لحظة من أرنبة أنفي. وربما كرَّت إلى قطبي الجنوبي، وعجمت بمخلبها إصبعاً من قدمي، فأرعشتني كما يرعَش الإنسان الأرض إذا أشعل بين ضلوعها لغماً، ونهزتُ برجلي نهزة تنفضها عني، أو تمرثها وتدعها مَثُلَةً لأخواتها. وهكذا أُتم القصيدة من حوالي سبعين بيتاً ثم أعود بها في الأصيل لألقيها ذلك المساء أو الذي يليه في محفل عام، وقد رضيت نفسي واطمأنّت أُمي إلى اطمئناني، تقول: حمداً لله يا ولدي. أما زايلك الهم؟ الآن أغسل وجهك. وتناول عودك. حتى أنتهي من جَبْلِ (الكبة). هكذا أُلهِمت معظم قصائد الأعاصير وكثيراً سواها.

وربما استعصت عليَّ كلمة، أو شمست قافية، أو ركّت عبارة، فقضَّ مضجعي، وقلق وسادي، وضاق صدري؛ وتشبّث موضوعي بدماغي، فبات أكبر همي أن أتفلّت منه، وأن أصيبَ استجمامةً أستأنفُ بعدَها معالجته، حتى

أروض الصعب، وأقتنص الشارد؛ فيُسَرَّى عني، وأطمئنُّ إلى بلوغي قصاراي من فني.

وقد أستعين بأول من أُصادف من إخـواني الشعراء؛ فـإذا وُفِّق إلى ما أردت قَبَسْته جاهراً بالشكر.

رأيي في الشعر:

إنه أرفع الفنون. وقد يسمو حتى يداني مـرتبة النبـوَّة. وللشعر أربـابه المـوهـوبـون، فـلا يغني في نـظمـه أن تكـون سقـراط أو ميشـال أنجلو أو الفيروزبادي. والشاعرية كاللانهاية لا حدود لها؛ فكلما تعدَّدَت أجواءُ الشاعر كان أدلَّ على انطلاق روحه واتساع مملكته. وكل ما يقع ولا يقع تحت الحس، في هذا الوجود العظيم، يستحق أن يكون موضوعاً للشعر، فالمواضيع قـديمة كالزمان، ولا جديد إلا ما يخلقه خيال الشاعر ويخلعه على موضوعه من فاتن الصور. ثم إنَّ من الشعراء مَن يضرب المثل فيجمع عالماً في بيت، ومَن يبسِّط الفكرة فيشيِّد قصراً ذهبياً من آجُرَّةِ الطين، ومَن ينفض مَـزادة نفسه فيُشبـع الملايين من جياع الروح.

لماذا غلبت الحماسة على شعري:

ما كدت أنهض بقادمَتَيَّ حتى صكّت مسمعي أنّات أُمتي، ولفحت وجهي زفراتها. فطويت جناحيَّ عند سريرها مخضعاً خيـالي لواقعهـا الأليم، مقدِّمـاً واجب تمريضها على التغريد في الخمائل والتنقير بين الحقول. ولو أني أدركت أمّتي صحيحةً قويَّةً، لحلّقت مع الأسراب في ألف سماء بعد سمائها. لقد سلب اللصوص نصيب أُمتي من خبز الحرية والعدالة والحق، وغادروها في وطاء الذل مدنَفةً تدمِّيها القيود. والحرِّية والعدالة والحق أسمى المعقولات التي ينشدها الإنسان الراقي، بل أغلى الجواهر الروحية، المشعّة من صدر الرحمان؛ لا يحيا قلبٌ بشريٌ نبيل إلا بقطر نداها، ولا يمكن أن يُتصورَ خيرٌ ولا جمالٌ ولا سعادةً

في هذا الوجود إلاّ بانعكاس نورها. فما شعري الحماسيُّ إلا ألمٌ صارخٌ في أغوار نفس أزعجت عن ذلك المحل الأرفع، ومُثُلِه العليا؛ فهي دائمة الحنين إليها، والتوجع لفراقها، والسّجع بذكراها، واستنزال بركاتها، وتثبيت ظلالها الفاتنة وتوضيحها في لوحة الحياة. وما الشاعر الوطنيّ الحميُّ في أمة مستعبدة إلا الشاعر الإنساني قبل أي شاعرٍ سواه؛ لأن هذه المبادىء التي يسبِّح لها، ويصلّي في محرابها، ويجاهد في سبيلها، ليست معبودة وطنه فحسب، بل هي معبودة الأوطان جميعاً. ولعمري أية قيمة وأي سرور وأي فأل يجد المتبجّحون بإنسانيتهم المتخدرة، في عالم لا حرية ولا حق ولا عدالة فيه، ولئن زعموا أن الإنسانية أولى بالتقديم، فليورِّثوها أموالهم من دون أبنائِهم ان كانوا صادقين!!

وهب أنه أصاب من قال إني كان في وسعي أن أصير شاعراً عالميّاً لولا حصري شاعريتي في أُفق الوطنية المحدود.. فإني لست بآسف أني أحببت أُمتي وبلادي أكثر من نفسي، وأني حاولت أن أفتدي مجدها بمجدي وخلودها بخلودي.

وبعد فلا يُفقهَنَّ من قولي هذا أن الشاعر الحماسي أشعر من سواه؛ فمن الشعر الوطني ما هو أتفه الشعر ومنه أنفَسُهُ. ومقياس الشاعرية إنما هو في الإجادة أيّاً كان الموضوع، إن القرازيم لمسفون ولو اتخذوا سدرة المنتهى أو سُدَّة العرش عنواناً لماينظمون. وما حق الخلود إلا للمجلّين وإن كانوا كفّاراً.

لماذا ومتى هاجرت:

نشرت لي جرائد بيروت على عهد المتصرف التركي يوسف فرانكو باشا بعض القصائد الوطنية الثائرة، فما قرأها عمي اسكندر[١] وهو قبطان في الجيش البرازيلي ويعشق الشعر الحماسي على الخصوص - حتى شرع يرغبني في السفر

(١) هاجر هو وأخواه أسعد وقسطنطين إلى البرازيل وأنا ابن سنتين، وتزوج برازيلية فنجلا ستين ولداً وحفيداً. لم يزده طول غربته إلا شغفاً ببلاده فا سمعته قط يقحم في حديثه العربي كلمة برتغالية. وكان لا يفتر عن إنشاد ما ينظم من «الزجل والعتابا» وصوته يتهدج ودموعه تستبق وحشة وحنيناً. توفي منذ ثلاث سنوات بسرطان الحلق عن ثمانين عاماً.

إليه واستمرَّ على ذلك بضع سنوات وأنا أتردد في هجر وطني الذي تيمني حبه منذ حداثتي، وأسأل العارفين: هل في البرازيل جبال جميلة كجبال لبنان وسماء نقية كسمائه. حتى جعلني عمي أمام الأمر الواقع بإرساله إليَّ خمسين ليرة انكليزية لأسافر في الدرجة الأولى. وكان والدي قد توفي سنة ١٩١٠ غمّاً وكمداً لفرط حيائه من (لا) وتوزيعه ثروته قروضاً لم يستوف منها فلساً وخلّف علينا ديوناً لا يرجى إيفاؤها من أجر التعليم الضئيل، فوطّنت النفس على الاغتراب وأنا أمنّيها بالأوْبة حالما أبرِىء ذمة والدي. وركبت البحر لكن لا في الدرجة الأولى ولا في الثانية، فإن شقيقي قيصر أعرض عن نصحي له بالبقاء ريثما أصل فأستدعيه أو أعود أدراجي، وأبى - لعدم طاقته فراقي - إلا أن يصحبني مع زوجته وطفلتها الرضيع، فاضطررنا لاستدانة ما يكفينا للسفر في الدرجة الثالثة.

أبحرنا من بيروت في أول آب سنة ١٩١٣ ووصلنا أواخر أيلول إلى مدينة مريانا من أعمال ولاية ميناس حيث يقيم عمي وعائلته البرازيلية الكبيرة. لبثنا عنده سنة لم أُطق في خلالها صبراً على ناعم العيش، فحملت «الكشة»[1] وضربت في مناكب الولاية ببضاعتي متعرضاً لأقسى مشقات الحر والسيول الطامية وكنت أرفع بصري إلى السماء عمداً لأملأ فمي بالغيث المدرار وأنا أُغني العتابا في غابات البرازيل المخيفة. ذلك دأبي مذ كنت يافعاً أميل إلى السير ضد العاصفة. وأشد ما كانت تستهويني السباحة إذا اعرَوْرَف البحر، واسترخيت على سنَام الموج فزحف بي ثم راح يطويني وينشرني ويشبعني عركاً وركساً حتى يلقيَني على بَيدَر ذهبي من رملةِ «المُغر» في شاطئنا البرباري الحبيب.

كيف ودعت لبنان:

قُبيل نهاية السنة المدرسية في سوق الغرب، بين منتصف حزَيران ومنتصف تموز من عام ١٩١٣، اصطنعت سلّماً، وأعددت في عب صنوبرة

---

(١) هي صندوق من الزنك يملأونه بمختلف السلع أو بسطات من الأقمشة يشدونها رزماً ويعلقونها بأكتافهم بسيور جلدية ويجولون لبيعها في المدن والقرى والدساكر.

منفردة عن غابتها فراشاً علقت حوليه عودي وقنديلي. فكنت أروح إليه كل مساء أعزف ساعة وأطالع ساعة ثم أنام توقظني العصافير مطلع الفجر. فأهبط لأرتمي في حضن صعيدٍ طيب أقلب عليه جسدي تقليباً، وأشمَّ حصاه وترابه، وأبُل قلبي الهيمان بمقدار كأسٍ من الندى أترضبها من شفاه أعيشابه، (وأترحّقها) من عيون أزاهيره. ثم أعدو ساعة في منعرجات جبلية تنحدر بي إلى جدول أبترد بذوب لُجَينه، وأعود الهوينا مُجيلاً طرفي بين برٍّ لبنان وبحره وسمائه، مالئاً جوانحي من نُسيمات أسحاره، ومتموناً من مناظره الساحرة أفلاماً أذخرها في حنايا صدري، لأتعزى بعرضها على مخيلتي، كلما خيّم الحزن على مضجعي، في ليالي غربتي الموحشة.

الريو دي جانيرو:

كنت وأخي قيصر قد وفينا بعض الدين عندما نشبت الحرب العالمية الأولى وانقطعت المراسلات بين العالَمين. وسئمت العيش في «مريانا» التي اشتهرت بسوادها المثلّث: رهبانها وغربانها وعبدانها. ووقر أذنيَّ سماع لقب «توركو» يرشقنا به كحجارة المنجنيق، صباح مساء، زنوج أُمِّيُّون حفاة نصف عراة، وكلانا شاعرٌ معلمٌ نظيف الثوب، فألقيت عزمي بين عينيَّ ذات صباح، ووضَّنت ثيابي، واعتنقت عودي الذي كنت قد أممت الشام خصيصاً لأشتريه قبيل سفري، وودعت الأهل إلى الريو دي جنيرو عاصمة البلاد وفي جيبي عشرون ليرة لا غير.

عودي يفرج أزمتي:

اشتدت أزمة الحرب[1] اشتداداً هائلاً. فأوصدت متاجر كبرى في

(١) لما ملأ الباهلون والمتشردون طرقات العاصمة عمدت الحكومة إلى قيد أسمائهم وإيوائهم في باحات «أقسامها» يؤمونها كل ساء فرادى وثنى، ويلقون بأجسادهم المنهوكة على حبال مشدودة بين حيطانها. فإذا أصبحوا حل الموكلون بهم أطراف الحبال فسقطوا على وجوههم ثم خرجوا يهيمون.

العاصمة أبوابها بعد أن سرَّحت عُمّالها. وظللت أشهراً أسعى لا أجد مرتزقاً، حتى إذا استحكمت حلقاتها وفرغ هِمياني من آخر فلس، قيّض الله لي تلك الليلة أحد هواة العود فشرعت في تعليمه مستلفاً أجرتي. وتكاثر زملاؤه فاطمأننت إلى العيش، ثم تعاقدت مع جمعية «زهرة الإحسان» فعلّمت سنة في مدرستها.

«صنبول»:

انتقلت إليها سنة ١٩١٥ بترغيب من صديقي المعلم جرجس موسى الخوري[١] واشتغلت أول وصولي بالتعليم في مدارس عربية ومدارس أجنبية

---

(١) فلسطيني من قرية (البصة) ومن حائزي شهادة العلم العليا من كلية بيروت الأمريكية. كان «رح» رفيقي من عهد التلمذة في مدرسة صيدا وأقدم خل وفيّ لي بعد معلمي إيليا نصار. وكان مثلاً أعلى في الصلاح والبر والخلق الرضي. قدر مواهبي فحفظ أكثر أشعاري وتغنى بأناشيدي وقدرت أخلاقه فأشدت بها في كل مجتمع وناد. وكنت أثق بأخلاقه وحكمته فأفتح له مغلق صدري وأستشيره في أكثر شؤوني ولا سيما الاقتصادية لا أكاد أخالف له فيها رأياً. فلذلك الصديق الغالي أكبر أثر في تيسير أمور معاشي في صنبول زمناً ليس بالقصير، فضلاً عن تأسيتي من جراح روحية لم تكن نفسي ترتاح في الكشف عنها إلى سواه. وقد قدمت له سنة ١٩٢٣، غب مرور سنة على قرانه، عند ولادة بكره نجيب، هذه القصيدة:

[من الوافر]

تعالَ وشاهدِ الحب الوثيقا ... وكيف به الغريب غدا شقيقا
وقلْ «لدجينس» نمْ مطمئنا ... فإني قد وجدتُ لك الصديقا
فتى خُلقتْ له الحسناتُ طرًّا ... فكان بكلِّ محمدةٍ خليقا
يراعي للصديق أقلَّ حقٍّ ... ويترك عند صاحبه حقوقا
فما بِك أن تكون بلا شقيق ... إذا يوماً غدوتَ له رفيقا
يفوقُ النحل في الأزماتِ هديا ... إذا ضل الدليلُ بها الطريقا
مُكِباً فوق أحداث الليالي ... برأي يُخجلُ النصل الرقيقا
فليس بغاسلٍ منها يدَيْه ... إلى أن يرأبَ الصدعَ العميقا
يُطلُّ على العواقب من بعيدٍ ... فيجلو من غوامضها الدقيقا
ويجعلُ من مضيق العيش بحرا ... وبحر العيش قد أمسى مضيقا
فلمْ أرَ مثله عقلاً رجيحا ... ولم أرَ مثله قلبا رقيقا
أخيَّ وقد مضى للعرس عامٌ ... ضمنت به لك العيش الأنيقا
ووافتك السعادة مع قيود ... تكادُ تشوقُ صاحبك الطليقا =

وفي البيوت[١]، ثم تحولت إلى التجوال في الولايات مُعْتمداً لبعض المحلات التجارية.

عهد الجهاد الأدبي في صنبول:

كانت عاصة اللوائيين[٢] عندما بلغتها مزدانةً سماؤها ببعض نجوم الأدب العربي بين كاتب وخطيب ولغوي ولكنها تفتقر إلى شاعر فقنعَت بي. وكانت الصحف والجمعيات والأندية على ازدياد مستمر، فشرعت الحفلات الأدبية والخيرية والوطنية تقوم على قدم وساق وكلها تحتاج إلى القصيدة والأنشودة فتجدهما على أسلة لساني ووتر عودي. ثم كان عهد الانتداب وانفضاح وعد بلفور، وغليان الخواطر وشبوب الثورات في العالم العربي، فقويت الحركة الفكرية وانشطر كتّاب المهجر إلى احتلاليين واستقلاليين ومرتزقة مذبذبين. عندئذ مسّت حاجة الجالية إلى شاعر ينشدها ألحان الحرية، ويمجد لها البطولة، ويذكي الحماسة، ويحض على الجهاد والغوث؛ فأصغيت إلى صوت الهاتف وانبريت لتأدية الرسالة مهتبلاً كل سانحة، ملبياً كل دعوة، لا أبغي أجراً ولا شكوراً، بل مذيباً قلبي ودماغي وصحتي ورزقي في سبيل هذا الواجب الوطني. فلطالما انقطعت عن التجوال شهراً كاملاً مضحياً بأجرتي ومنفقاً من جيبي لأنظم القصيدة أُلقيها والتراتيل ألحنها وأُمرِّن الجوقة على إنشادها. حتى إذا انتهت الحفلة بعد منتصف الليل وبعد أن أكون قد أقمت الحفل وأقعدته تحمساً وهتافاً وحملاً على الأكتاف، أخرج والعرق يبلل ثوبي إلى ريحٍ نعور، ورذاذ كرؤُوس الإبَر. لا أجد عربةً تقلُّني إلى بيتي. ثم أصبح لأرى الجرائد الاحتلالية توسعني

= فقد وَجَبَتْ عليَّ لك التهاني ... لأنك قد غدوت بها حقيقا
ليهنئك «النجيب» سليل فضل ... سينمو للعلى غصناً وريقا
فدم بقدومه خلاً وفياً ... وزوجاً صالحاً وأباً شفيقا

(١) لمع من بين الذين درسوا علي مبادىء العربية من مواليدنا في البرازيل أسماء عديدة يتولى أصحابها اليوم مناصب رفيعة في الأدب والسياسة.

(٢) لقب مدينة «صنبول».

قذعاً، وقد تحمل على الذين دعوني إلى الكلام فيتبرأون من موضوعي[1]. ثم لا يجدون بدًّا من دعوتي مثنى وثلاث ورباع فلا يثنيني عن التلبية إغراء الاحتلاليين ولا تهديدهم. وكم زلَّ عن شاهق إبائي وعد، وتململ تحت أخمَصه وعيد!

وقد توليت رئاسة تحرير جريدة «الرابطة» ثلاث سنوات عقيب وفاة الرئيس الأول الدكتور خليل سعادة «رح» سنة ١٩٣٤

سفر أمي وأختي:

لما توفيت زوجة أخي قيصر في صنبول سنة ١٩٢٣ عن وليدها المُهلِّ وإخوته الأصاغر، حنّت أمي إلى ضم الفراخ تحت جناحيها. وكنت إثر نهاية الحرب العالمية الأولى قد اقتصدت بعض المال وبعثت به إلى ابن عمّتي القس نجيب يواكيم (رح) ليوزعه على يتامى القرية. ثم نُقلَت إليَّ من صديق في عاصمة الأرجنتين رسالة تائهة من صبية في «البربارة» إلى عمها في عاصمة البرازيل تستعينه على فاقة مدقعة، وأنا أجهل عنوانه، فأشفقتُ أن تفوتها الإغاثة، وهالني أن تعتفدَ[2] برباريّةٌ أو تأكلَ بثَدييها فأرسلت مبلغاً آخر باسم الفتاة رأساً مغيِّراً اسمي وخطي وإنشائي. وذاع الخبر فقال ابن عمّي لأمي: لا يصنع هذا غير ابنك ولا يجود بمثله إلاّ غني... فضاعف هذا الأمل رغبتها في السفر، وما عتمت صيف سنة ١٩٢٤ أن استدانت وأعدَّت الأهبة لها ولأختي وقالت: يا الله... وما لبث إخوتي أن تلاحقوا بهما بعيالهم وخلوا الدار تنعَى من بناها...

وقد قَلَبَت هذه الهجرة الإجماعية مساقي رأساً على عقب. فقصت جناحيَّ، وأوهَت أملي بالرجوع وانتظام الشمل في الوطن الحبيب. وغادرتني فريسة القلق والاضطراب الفكري والمادي حتى اليوم.

---

(١) ما دعيت للكلام في موضوع إلاّ وسخّرته للغرض الوطني الذي استبدّ بمشاعري أو فاجأت الحفل بموضوع من عندي للغرض نفسه.

(٢) اعتفد فلان: أغلق الباب على نفسه ومات جوعاً.

كنت بعد نهاية تلك المجزرة ببضع سنوات قد أبرأت ذمة المرحوم والدي وعزمت على الرحيل بفضلة أضَعها بين يدي أمي ثم أستأنف حياتي الأولى خالياً من الهم بعد أن نهضَت الفراخ ووقعت على أشكالها. ولنا بيت ومزرعة غنية بكروم التين والعنب واللوز والزيتون والتوت، وسليخ كثير صالح للزراعة، مما كان يساعدني على الزواج في السن المناسبة والاستقرار في أجمل أقطار الدنيا وأحبها إلى قلبي. حقاً إن ظاهر أمري خيبة مُرة، ولكني أومن أن شرَّ ما أكره مما كتبه الله لي خيرٌ لي من خير ما أُحب مما أردته لنفسي، وأن ما رجوته إنما هو تقدير ربما كان يضحك منه القدَر؛ فالحاصل بعد القيام بالواجب هو الحكمة، والتسليم لمشيئته تعالى إحدى الراحتين.

اشتغالي بصنع الأرب:

كتب لي يوماً صديقي جرجس موسى الخوري (رح) وأنا في إحدى سفراتي التجارية يقول: هنا ثلاثُ حصَص أرضٍ واعدة أبغي شراءها، ولك في البنك رصيد ثَلاثمائة ليرة تفي بثمن واحدة، أفأحتجزها لك؟ أجبت: احتجزها. فلما حضرت الوالدة والشقيقة بعد سنتين، بعت حصتي بألف وخمسمائة ليرة، فاستأجرت بيتاً وافتتحت مصنعاً للأرب ـ ربطات العنق ـ أقفلته بعد ثلاث سنوات محتفظاً بنصف رأسمالي وباسم تجاري من أشرف الأسماء خلفته في جميع المتاجر والمصارف التي تعاملت مَعها. ومرد إخفاقي إلى عوامل عديدة أهمها مبالغتي في إحسان الظن ببعض عملائي، وانشغالي بالمصالح العامة عن مصلحتي.

نظيرة زين الدين:

ما كنت، حتى قبل أن أُولد إلا عربياً صميماً. ولكن لم تكن لي فكرة سويّة عن الرسول العربي ولا قرأت كتابه وحديثه. حتى آتاني الله فضله على يد هذه الآنسة. تكرَّمَت علي سنة ١٩٢٧ بكتابها «السفور والحجاب» فأماطت عن بصيرتي حجاباً من الجهل كثيفاً، وحلّقت بي إلى سماء من تراثنا الروحي لم تكن

خطرت لي على بال. وأيّ حرّ يعشق الحق حيث وجده، وأديبٍ يهيم بالحكمة وساحر البيان، لا يخرُّ ساجداً للحديث الشريف ومعجز القرآن. فطفرت فرحاً باكتشافي وجهرت بإعجابي في مقال نقلته الآنسة فيما بعد إلى كتابها «الفتاة والشيوخ»، وشرع يقيني بتفوق أُمتي يزداد رسوخاً من ذلك الحين. ونار حبي وحماستي تزداد ذكاءً ببرد هذا اليقين.

مقياس الوطنية:

للمحبة الوطنية ميزان حراري، هو حب المرء نفسه، إذا أهانك جارك الخباز، رحت تشتري الخبز من فرن بعيد، لأنك تقدم كرامتك على راحة قدميك. وإذا اعتللت استدعيت الطبيب، لأن صحتك أعز من جني يديك. وإذا سطا اللئام على دارك، استقبلت الموت بصدرك، لأن عرضك أغلى من النسمة التي بين جنبيك. وقد أنزل الأعداء هذه الضربات جميعاً على أشدها بوطنك فإلى أي مدى بلغت غيرتك عليه بالنسبة إلى غيرتك على نفسك؟ قس تعلم رتبتك في جدول المجاهدين. وتكتشف درجة حرارتك في ميزان الوطنية.

التعصب الوطني:

تساهلنا في وطنيتنا شر علينا من تعصبنا لأدياننا فلا غلو في وطنية من يكافح الاستعباد.

إنما مَثل المستكين للرق كمثل المنتحر بيد سواه. وكائن ترى من متروض يصيد وحوش الغاب وهي أبرأ وأقلّ شراسةً. فلماذا لا يكون للشرقي حق الصراع مع السباع التي تفترس حريته وشرفه وهما أثمن من حياته ألف ضعف؟ لله ما أبسط عربياً يدعو ـ وبلغته العربية ـ إلى السلام إنسانية تأبى أن تعترف به إنساناً. . . بل هي تكرم كلابها وتحتقره. ولا قيمة لمواهبه عندها إلا حين تسخرها للتغني بفرو تماسيحها، وترياق ثعابينها، وتقوى شياطينها!

وطنية العربي:

ما كانت قط اعتداءً أثيماً، ولا حقداً لئيماً. نشأت رسالة تكبير وتوحيد،

ودعوة تعاون على البر. ومشت في أحلك العصور، في يمينها قسطاس العدل، وفي يسارها نبراس الهدى. ومـا زالت تعطي بـاختيارهـا أضعاف مـا أخذت بانتصارها، حتى ملأت دنيا الناس حكمة وفناً وعمراناً ورفاها، وعادت طيبة الخـبر جليلة الأثر، مبكيـة في تاريـخ من فارقت. مشكـورة من أعقـاب من حكمت. وها هي ذي في صحوها الجديد نهضة من كبوة، وإصلاح من فساد، واستعداد للجهاد، تـأديباً للسفـاحين، واسـترداداً للسلب، وإرضاء لـلإباء، واطمئنـاناً إلى العـزة، فكفٌ بعد ذا وعفـة، ونسيان للخصـومة، ومصـافحة للمغلوب. وعود إلى المعروف. وضرب المثل الأعلى في مكارم الأخلاق. تلك روح العروبة وهذه تقاليدها، سِلْمها أمن وإيمان وخيرٌ عميم، وحربها شجاعة نادرة، وفروسية باهرة، وتقدير للبطولة، وعفوٌ عند المقدرة، ورفق بالجرحى، ورحمة لليتامى، وتأمين لمن ألقى السَلَم. حرب أشبه بالمباراة الـرياضيـة منها بالعداء. وفي قديم تاريخنا وحديثه أمثلة للجاهلين، وحجج للجاحـدين. أما وقد جاوز إجرام «الأبالسة» في حربهم وسلمهم كل حد، فأنصح أن تكون حيل «الناس» في قمعه بقدره، وأن يرحموا نفوسهم من عدو يرحمون.

المقـاطعـــة:

حركة نفسانية يباشرها المرءُ بهاتفٍ من بداهة الطبع حرصاً على الكرامة، كما تنقبض الرِّجل تجنُباً للمكروه إذا أَحست وخزاً. فإذا أوقع العدوّ بك ولم تنتصف منه، أو لم تمِلْ عنه، فأنت إما إنسانٌ فـوق الناس وإمـا رجُلٌ فـاقد الحس، مقبور النفس في جسد حيّ. ولئن كنت مسيح الغفران إذا أُوذيت في شخصـك، وراح المجرم ينكِّـلُ بإخـوتك ووالـديك وأولادك، فقـد اختلفت القضية. وبطلت في الحِلم دعواك. إنَّ الدجاجة تستنسر دفاعاً عن فراخها، والبقـرة تصرع الأسد ذوداً عن عِجلتهـا، ولم يسلِّح الله أُمّات الحيـوان بهذه الشجاعة الوقتية عبثاً. فلئن أصررتَ على مباركة الأعداء في مثل هذه الحال، فأنت مسيحٌ دجّال، والصَّلب أخفُّ ما تستحق عقوبة.

إن الطواغيت. من مليكهم إلى صعلوكهم، حرموا نفوسهم الطيبات،

وشرعوا يقتّرون في الكساء والغذاء ليصنعوا بثمن الخمور التي غمروا عالمنا بصناديقها، أسلحة يقتلوننا بها ويخربون ديارنا. ونحن العرب نكاد نكون أشد أهل الأرض إقبالاً عليها واستهلاكاً لها. نحسب أننا نبتلعها وهي التي تبتلعنا وتبتلع شرفنا الوطني معنا. أفهكذا يقابل الأحرار الصفعة؟ أتلك عادة العربي في دفع الضيم؟ لقد لجأ مسيح الهند إلى المقاطعة في مجاهدة الطغيان ـ والمقاطعة أيسر النضالين ـ فزهد وأتباعه حتى في الضروريات الصادرة عن بلاد الأعداء، ولم يضحُّوا بالكرامة الوطنية في سبيل مثلهم الأعلى بل جعلوه سبيلاً إلى صيانتها. إنها الحرب السلمية أو السلم الحربية؛ ولكنها على أية حال، ليست بهذا الضرب من الشلل في بعض أعصاب الحس الوطني الذي ابتلى به ٩٩ بالمائة من العرب، على أقل تقدير...

العروبة والبرامج والأحزاب:

ويسألكم الشعوبيون هازئين: ما العروبة وما برنامج العروبة؟ قولوا العروبة شعار الأمة العربية، وروحها، وشمس أوطانها، ومهوَى أفئدتها، وملتقى ما تعدَّد من أقاليمها ولهجاتها. العروبة دين الأمة الشامل، والدين إيمان ومحبةٌ وتعاون وخير عميم. وبرنامج العروبة ليس أبجديّة مواد وبنود. بل هو معانٍ تعمُرُ بها القلوب، ومناقبُ حفلت بها سيَرُ أبطالكم في العصور. وبدون هذه المعاني وهذه المناقب باطلٌ كل مجلس وكل حزب وكل مبادىء تشغل الطروس.

العروبة روح حاتم ومَعن والسموءل في سلوك كل نبيل عربي، وروح عنترة وطرفة وامرىء القيس والأخطل والمتنبي في خيال كل شاعر عربي، وروح خالد وأُسامة وطارق وصلاح الدين ويوسف العظمة على سيف كل جندي عربي، وروح عليٍّ وأبي بكر وعمر على قلب كل متسلط عربي. العروبة ليست أحواضاً لسباحة في نادٍ هنا وناد هناك وآخر هنالك؛ بل هي بحرٌ محيط يضم أرخبيل أقطارنا، وتجري فيه رياح تضامننا كما تشتهي سفن أمانينا.

العروبة أن يشعر اللبناني أن له زحلةً في الطائف، والعراقيُ أن له فراتاً

في النيل. العروبة دمٌ زكيٌ يجري في عروق جسد واحد أعضاؤه الأقطار العربية، وكل ما يعوق دورة هذا الدم يعرض الجسد كله للأخطار.

ويقولون فشلت العروبة. قولوا: بل عُوِّقت عن النصر إلى حين، ثم كان المؤتمرون بها هم الفاشلين. من سار على نور العروبة لم يضل، ومن عمل بوحيها لم يضَرّ. باسفنجة العروبةُ يمسح الضِغن، وبميثاقها تزول القطيعة، وعلى شاطىء وحدتها يتكسر الاستعمار، وعند آفاقها يقف زحف الليل، وفي ظل عَلَمِها تغمض عين الأمن، وفي ميادينها الواسعة تَعمّ الحرمة وتثمر المواهب ويُنشَد اليُسر والرخاء. من أحشائها تولد العبقرية، ومن عروقها يتفجّر دم الأصالة؛ فأين كانت خيلها فهنالك تعقَد ألوية النصر وتُنفخ أبواق السبق في المضامير. كل حزب لا يولد من صلبها فهو دخيل عليها، متربص بها. وهي كالبحر لا يشقه إسفين. تضرب فيه العمود فيَشغل منه بقدر حجمه وهو به محيط، فما إنْ تنزعْه حتى يتعانق الماء ويعود جسداً واحداً وروحاً واحدة كما كان.

العروبة والأنظمة:

لا خوف على العروبة من أي نظام اشتراكي؛ لأن كل ما يُنصف العامة من الخاصة، ويأخذ حق الضعيف من القوي، يلائمُ سجيتها ويرضي دينها. وإن في روحانيتها العميقة جوهراً عُلويّاً يعصمها من الانحدار إلى مادِّيّة أي واحدٍ من النظامَين اللذين يتجاذبانها. وقد سبقت العروبة كليهما في ضرب المثل الأعلى للديمقراطية الحقة، فهي لا يعوزها بعض ما جدَّ في دساتير الناس بقدر ما يعوزها حكومة منها قوية، تحترم وتطبق دستورها هي.

قبل الثورة الإفرنسية وقبل شريعة تحرير العبيد الاسمية في أميركا بأكثر من ألف سنة جهر شارعنا العربي الأعظم بمبدأ الحرية والإخاء والمساواة، فجعل فكَّ الرقاب كفّارة عن الذنوب وزلفى إلى الله. وقال في حديثه. الإنسان أخو الإنسان حب أم كره. فبقليل من الاجتهاد نتلافى التصادم مع أحدث الأنظمة الاقتصادية؛ إذ نعلو بما نسمّيه صَدَقةً ومترادفاتها، من دركة هذه الأسماء الزارية

بالقيَم، إلى اسمه العادل النبيل: ألا وهو حق المواطن على أخيه. فمبدأ التعاون يقضي بأن يكون كلنا خادماً وكلنا مخدوماً. وما السيادة العليا إلا لمجموع الأمة.

تجمعت مياه في أوطأ الأمكنة فكانت البحار. وشغل جماهير من الناس المِهَن فكانت الشعوب. وفضل هذه فضل تلك. يرتفع سحابها من الأداني فيظلِّل الأعالي ثم ينسكب عليها ريّاً وخصباً وحياة. فلا مَنَّ للقلب إذا ساوى بين الأطراف والأعضاء الرئيسية في توزيع الدم، لأن في اختلال الدورة علةً شاملة قاتلةً لا يغنى فيها رأس عن قدم.

هذه حقائق لا تخفى على العروبة وحكّامها الأتقياء العادلين. وإن لها من فطرتها السليمة ومن شغفها بالعلم مرونةً تساير بها مستحدثات العصور دون أن تفقد عنصراً من عناصر خلودها الروحية، وتجعلها أبداً هي العُليا. فلا يخوِّفنّنا الاستعمار مما لا يُخيف غير لصوصه وقرصانه. فوالله لو أنَّ لنا بأهله متَاتاً من لغة ونَسَب ونظام ودين، وكنا نحن الأقوَين، لاستعدى علينا وحالف الذين يخوّفنا منهم، ويحتقر جنسهم ولونهم. فما إلى الرفق بالغنم تدعونا أيها الذئب الأغبر، بل إلى مشاركتك في الإثم والعدوان على بُعبعك الأكبر، وهوائه الأصفر.. وما أدرانا أن يكونوا أصدق منك دعوةً وأهدى سبيلاً!!

لغـة العروبـة:

هي هذه اللغةُ الخصبةُ الخلاَّقـةُ المطواع، لغـةُ أهل الجنّـة. اللغةُ التي اتْسعَت لرسالة الرحمان. اللغةُ التي ملكَت فُصحاها ألسنة أفذاذ الأدب العربي، وألّفت بين قلوبهم في كل قطر سحيق؛ والتي يتناشد ألحانَها بلابلُ الشعر من الخليج العربي إلى المغرب الأقصى، إلى كل مغترَب قذيف، فتتجاوبُ قلوبُهم بأصدائها وتعلو على كل صوتٍ شعـوبيٍّ نكير. بهـا التفاهمُ وبهـا الألفةُ وبهـا الوَحدة؛ فيها القوةُ فالهيبةُ فالسِّلْمُ فالنعيم المقيم. كل عادلٍ إلى العامِّيَّة عنها، مبشِّر بها دونها، إنما هو كافرٌ بها وبكم أيها العرب، دسّاسٌ عليها وعليكم، كائدٌ لها ولكم. عاملٌ على قتلها وقتلكم. فعلِّموا القرآن والحديثَ ونهجَ البلاغة

في كل مدارسكم وجامعاتكم؛ لتَقُوم بالفصحى ألسنتكم. وتتقوّى ملكاتكم ويعلوَ نَفسُكم، وتزخَر صدوركم بالحكمة، وتشرق طروسكم بساحرِ البيان.

نـــداء:

فيا إخواني يا فتيان العرب: لقد كثر بينكم قادةٌ غُمْمٌ يُوقِعون في قلوبكم أنكم لستم عرباً فيُضلُّونكم عن أنفسكم، ويتعسّفون بكم كلَّ طِلمِساء[1] وإنَّ لكم من النَسَب الكريم الذي به تُعرَفون لهادياً يغنيكم عن الأعلام والصُّوى؛ فما ضلَّ امرؤٌ بيته وهو يمشي إليه على صراط. وعلى مشمخرٍّ قبّته للمدلجين كوكبٌ منيرٌ. إن عروبتكم لن تجحد فضل أقاليمكم؛ ولكنَّ أقلَمَتكم تُخسركم عزَّ العروبة وأيْدَها وغُنمهَا. أنتم كُثُرٌ أقوياءُ فلا تجعلُنَّ أنفسكم في الأضعفين.

يا شباب العرب: هذا فجرُ بعثكم لاحت أقاحيه. ومهمتكم إنما هي الإصلاح. وإن القدوة لأبلغُ الواعظين. فأصلحوا ذات بينكم بالحسنى وتعاونوا على رفعِ الحجر الأسود بحكمة (الأمين). إن الله مشيئةً فيكم أن تعيدوا لهذه الدنيا روحها المفقود، وإنها لأمانةٌ أثقل من الجبال، فلن تستطيعوا حملها متفرقين. فإذا فرغتم من جهاد النفس، فثَنُّوا بغزوةٍ تُواكبها المكرمات. غزوة لا بالحديد والنار، بل بِعلم ترودون به مجاهلَ الأكوان. فلا تطوون البساط حتى تلثَموا بدر الحق في الجبين.

ختـــام:

وبعد، يا مواطني العزيز، فلا يبرِّئُني من الغرور أني أُكرهت بهذه السيرة على الإكثار من التحدث إليك عن نفسي، ولا يقلل من شناعته إخلاصي في عَرض عيوبها قبل حُلاها. فأرجو ألاَّ يكون كرَمُ عفوك أقل من جرأة اعترافي!

رشيد سليم الخوري

«صنبول» في أول آب ١٩٥٢ وفق الحادي عشر من ذي القعدة ١٣٧١

---

(١) الطلمساء: الأرض ليس بها منار ولا علم ـ والظلمة.

روي الهمزة

١ ـ ما سرّني (*)

[من البسيط]

مــا سرّني مــوضــعٌ إلاّ وأزعــجني ... عـن عَــدْنِـه حـيّــةٌ منهــا وحــوّاءُ
يـطغى على المرءِ من أسبـاب نعمتـه ... شرٌّ كـما قَـذِيَتْ بـالهُـدبِ وَطفــاءُ(١)

٢ ـ مدنف في مستشفى (**)

[من الخفيف]

ســاهــرٌ لا تمــتُّـعــاً بــل عــذابــاً ... نــائـمٌ لا اســتراحــةً بــل عَـيــاءَ
في مـكــان، هَـبْــهُ الـســماءَ جمــالاً ... أيــرى المــدنَـفُ الـســماءَ ســماءَ!؟
لـيس يـغـني الـضـيــاءُ إن زارَهُ حـيـنــاً عـن الـشــوقِ أن يــزورَ الـضـيــاءَ
يــســمــعُ الـنــاسَ يسرحــونَ إلى الأعــمــالِ صــبـحــاً ويمــرحــونَ مــســاءَ،
وهــو عــنـهــم في قــبـضــة الـداءِ لا يمــلكُ إلا الإصــغــاءَ والإغــضــاءَ
إن يشــاهــدْ منهـم فَـوَجْــهَ طبيبٍ ... عــادَه ثـم عــاد مـن حــيــثُ جــاءَ
أو نــســيــبٍ إن زاره فــكــما ـ ... زار مُحـــبٌّ قــبــراً ومــلَّ الــبــقــاءَ
أو صــديـقٍ يـلُمُّ إلمــامـةَ الـطـيـفِ ـ ... تــوارى ولم يــكــد يــتراءَى
أو ثـقـيــلٍ لا يــســتــطيــع فــرارا ... منـه لـو شـاءَ وهـو بــالمـوتِ شــاءَ!

(*) القطعة رقم ١٠٠ من مجموعة «موجات قصيرة»

(١) قذيت: أصابها القذى وهو ما ترسّب في العين من غبار ونحوه.
الوطفاء: هي التي كثر شعر حاجبيها وأهدابها مع استرخاء وطول.

(**) احتفلت سيداتنا بوضع الحجر الأساسي «للمستشفى السوري» ٢٩ ت ٢، ١٩٣١

ليس يستمرىءُ الزلال شراباً ليس يستهنىءُ السُّماني غذاء[1]
وإذا التذَّ بالكتابِ فحيناً لم يعادلْ فيه اهناءُ العناء
ثم يُرخي من جفنه بَرحُ الداء على البُؤبؤ الكليل غشاء
يستحي حين يَسألُ الشيءَ - مضطراً ويحتاجُ غيره أشياء
وإذا حاول الكلامَ فهمساً يتلاشى في كفهِ إيماء
يا صحيحاً لم يحجبِ السقفُ والجدرانُ يوماً عن ناظريه الفضاءَ
أوَ تدري وأنتَ حرٌّ طليقٌ نعمةً فيكَ قد تحولُ شقاءَ
هذه الصحةُ التي لكَ كنزٌ عنه تعطي كلَّ الكنوزِ فداءَ
فاملأ العين ما استطعت ضياءً واملأ الصدر ما استطعت هواء
واخشَ قبل الأعضاءِ من داءِ نفسٍ يُتلفُ النفسَ منك والأعضاءَ
رُبَّ ساعٍ لم يشكُ في الجسمِ داءً وهو في النفس قد شكا أدواءَ
صحة النَّفس أن تكون نقيّاً طاهراً لا يُدنِّس الأنقياءَ
وكريماً ما همّهُ الأخذ لو لم يك بالأخذِ يستطيعُ العطاءَ
وأبيّاً قد صافحَ السيفَ حتى عاد حُرّاً فصافحَ الأعداءَ
عالماً أن للحياةِ خلوداً لا يساوي مع الهوان فناءَ

* * *

يا عليلاً بالأمس نالَ مع المنِّ - شفاءً فما استطاب الشفاءَ
دع أليمَ الذكرى فإن يدَ الرحمة - ذرَّت على الجراحِ عزاءَ
ها جَناحُ الحنانِ يخفقُ في الأفقِ - كنجمٍ يبشرُ البؤساءَ
ما ترى في فمِ الحمامةِ غصناً أخضراً يملأ القلوبَ رجاءَ؟
ذاك رمزُ الغدِ المجيدِ ابنِ يومٍ مجّدَ الأمّهاتِ والآباءَ
ته يناديكَ عن قريبٍ ومستشفاك، واضمنْ وقايةً ودواءَ
يَا لَبيتين وطّدا لكَ في العلياءِ - بيتاً يجاورُ الجوزاءَ
قد كُفيتَ العلاجَ عند غريب فأمنتَ الذي يفوق الداءَ
ليس أدهى على الندى من كريم عربيٍّ يستعطفُ الغرباءَ

* * *

(١) السُّماني: ضرب من الطير.

نحمـدُ اللّهَ بعـد بـذلِ الغنى في خدمةِ الذلِّ قد خـدمنا الإبـاءَ
وظفـرنـا من الحيـاةِ بنـصف فـلنـوكّـلْ بـالآخَـرِ الأبنـاءَ
لم نجـدْ للحمى رجـالاً ولكن قـد وجدنـا للمكـرُمـاتِ نسـاءَ

٣ - الميتم السوري(*)

[من الخفيف]

هـكـذا فليشيِّـدِ الأغنيـاءُ تفتديكَ القصـورُ يـا ذا البنـاءُ
أنـت خـيرٌ مـن قصرِ بـانيـك - للخـير ولـو أنَّ قصـرَهُ (الحمـراءُ)
ربَّ كُـوخٍ يفـوقُ في المجـدِ صرحاً سـطعـت في قـبـابـه الجـوزاءُ
وإذا تـفـرغُ الـدنـانُ من الخمـرِ - فـخـيرٌ منهـا كـؤوسٌ ومـاءُ
كـفكـفِ الـدمـعَ يـا يتيم فـما - أنـت يـتيـماً يحق فيـه البكـاءُ
أبـاً تـبتـغي وأمّـاً وهـذي حـولـك الأمـهـات والآبـاءُ
من تعش أنت بعـده يـا محـرداويُّ - لـيسـت تـشـقـى لـه أبـنـاءُ
أنـت أسخـى الـورى يمينـاً إذا - قيس عـلى نسبـة اليسـار العـطاءُ
أيهـا الأقـويـاءُ لا بـد من يـومٍ - عـصيـب تـقـوى بـه الضعفـاءُ
شعـراءُ الأزمـانِ قـد أنـذرتـكـم ويـلكـم يـوم تُـنـذِرُ الشعـراءُ
أنـظروا واقـرأوا فـقـد لاح في - اللـوح سـطورٌ يخـطهنَّ القضـاءُ
مـن أقـاصي الشـمال والشرق - تجتـاحُ البرايـا جـوائـحُ دهمـاءُ(١)
يـترامـى مـع الريـاح صُراخُ هـائـلٌ تـقـشعـرُّ منـه السـماءُ
يتجـافى عنـه الأثـيرُ انقبـاضـاً ويـود الفِـرارَ منـه الفضـاءُ
تـتـدانى! مـا تـلك؟ تـلك جنـودٌ وبـنـود خـفـاقـةٌ حمـراءُ
إنها ثـورةٌ وسـيـفٌ ونـارٌ ودَمـارٌ وأدمـعٌ ودمـاءُ
ضربـات الفؤوس حـطمـتِ الأ - صفـادَ، تلك العـواصفُ الهـوجـاءُ

(*) ابتنى المحسن بشارة محرداوي جناحاً في الميتم السوري في «صنبول» سنة ١٩٢٦

(١) جوائح: جمع مفرده جائحة وهي المصيبة والجوائح الدهماء: المصائب الكبرى.

زَأرَاتُ العبيد بالظالمين - المستبدين هذه الضوضاءُ

لا تطوّبْ فيها الأصمَّ فأشقى سامعيها المسامعُ الصمّاءُ!!

كن وديعاً تأمنْ غوائلَ يوم ترثُ الأرض بعده الوُدَعاءُ

ليت شعري كم محسنٍ كالمحَرْ - داويَّ فيكم يا أيها الأغنياءُ

لو صنعتم في الأرض خيراً لصارت جنةَ الخلدِ هذه الرمضاءُ

ربِّ احفظ «شبيبةً»[1] شاب منها - اليأسُ يأساً وشبَّ فينا الرجاءُ

أنشأت لليتيم دارَ هناء أوهَمت أن كلَّ يُتمٍ هناءُ

لليتامى فيها عزاءٌ عن الأهل - وللأهل في السماءِ عزاءُ

كلَّ يوم يُوفي الكريمُ ديوناً ليس فيها وعدٌ ولا إمضاءُ

تصنع المعجزاتِ كفُّ سخي يا أُولي الفضل إنكم أنبياءُ

ليس محيي الرميمِ أفضلَ ممن يتوقّى به الردى الأحياءُ

ودواءٌ فيه الوِقايةُ خيرٌ من دواءٍ يكون فيه الشفاءُ

٤ - ورائي أمام(*)

[من الطويل]

ورائي أمامٌ والأمامُ وراءُ «إذا وقفَت في وجهيَ السفهاءُ»

«وحسبيَ من إصغارهم ليَ مُكْبراً» إذا أنا لم تُكبِرْنيَ الكبراءُ

بأيِّ لسانٍ ذامني متجاهلٌ «وقد أطنَبت في مدحيَ العلماءُ»

«لعمرك أنفاسُ الرياض تحيةٌ» عليَّ وخفقُ الريح فيَّ ثناءُ

تكلم بالقولِ المضلِّل حاسدٌ «فصفّق إعجاباً به الجهلاءُ»

«وأضْحَكَ أربابَ العقول هُراؤُه» وكُلُّ كلامِ الحاسدينَ هُراءُ

ومن هو حتى يُحملَ النطقُ عن فمي «إليه ويُجزى بالصُداح عُواءُ»

---

(١) يعني بها جمعية الشبيبة الحمصية «بصنبول».

(*) سقطت هذه القصيدة من الطبعة الأولى وهي للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري (سقط الزند ص ١٨٩ - ١٩٠) أرسلها إليه أحد أصدقائه الصحافيين من عاصمة «الأرجنتين» طالباً إليه تشطيرها ووجدها تنطبق على واقعه فشطرها في الحال «صنبول» - سنة ١٩٤١

«وهـل قـدْرهُ قـدري لتسعى نجائبي» إلـيــه وتمشي بـيـنـنــا الــسـفــراءُ

وإني لمـثـرٍ يـا ابــنَ آخـرِ لـيـلـةٍ «ولي عن مـواليـك الـعبـيـدِ غَناءُ»

«إذا صين ماءُ الـوجـه فالنيـلُ موردٌ» وإن عــزَّ مــالٌ فــالــقــنــوعُ ثــراءُ

ومــنـذ قـال إنَّ ابنَ اللئيمــة شـاعــر «فتى اللؤم عـابت شعــريَ الـلؤماءُ»

«إذا في عُكـاظ العبقــريّـة حـكِّمَـت» ذوو الجهـل مـات الشعـرُ والشعـراءُ

تسـاورُ فحـلَ الشعـر أو ليثَ غـابـه «ونسرَ قـوافــيـه وفـيـكَ حـيـاءُ؟»

«وتجـري مع الفرسان في حلبة العلا» سَـفــاهــاً وأنت الـنــاقــةُ الـعُشَراءُ

أتمشي الـقــوافي تحت غـيرِ لــوائـنــا «وهـل لــســوانــا فــوقـهــن لِـواءُ»

«وهـل تخضـع الأقـوالُ إلاًّ لأمـرنــا» ونــحــن عــلى قُــوَّالهـا أُمَـراءُ

وأيُّ عـظيـم رابَ أهــلَ بــلادنــا «فــإنّا عــلى أنـفـاسِـه رُقَـبـاءُ»

«ولـو قــدَرٌ أفــتى بــغــير مُـرادنــا» فـــإنّــا عــلى تــغــيــيره قُــدَراءُ

ومــا سَـلَبَـتْـنــا الـعــزَّ قطُّ قـبـيــلةٌ «ونسلبُ عزَّ الـنــاس حينَ نشــاءُ»

«أسرنا قلوبَ الخلقِ لم يُغْـرِنـا الـنـدى» ولا بــاتَ مــنّــا فــيــهـمُ أُسَرَاءُ

ولا ســار في عَـرض الســماوة بـارقٌ «ولا هـبَّ خلفَ الرافـديـن هَـواءُ»

«ولا انهل في نـاءٍ من الأرض عارضٌ» ولـيس لــه مـن قــومــنـا خـفــراءُ

ولسنـا بِفَقْـرى يـا طـغـامُ إليـكم «وآيـاتـنـا رِيٌّ لـكــمْ وغِـذاءُ[1]»

«غَنينا بفضل الله عن فضل سُحتِكم» وأنـتـم إلى مـعــروفـنــا فُــقَــراءُ[2]

* * *

(١) فقْرى: جمع فقير. الطغام: أرذال الناس وأوغادهم.

(٢) السُّحت: ما خبث وقبح من المكاسب فلزم عنه العار كالرشوة.

٥ - بَكَيْتُهُمْ(*)

[من الطويل]

بَكَيْتُهُمُ حتّى بكَوْا لبكائي ... ولم يبقَ لي دمعٌ لنظم رثائي
يغيبون عني كوكباً إثرَ كوكبٍ ... ويخبو أمامي من أطلَّ ورائي
أتاني يعزيني «بنعمة» صاحبي ... وعاد يعزيني بفقد عزائي
إذا نعمتي ولَّتْ إلى غير عالَمٍ ... فهل بَعْدُ في دنياي غير شقائي
حياتيَ أمست عِلَّةً مئويةً ... فيا ربِّ عجِّلْ بالمنون شفائي

٦ - تمثال العذراء(**)

[من الطويل]

أيا فخر أنجالي ويا خير أرزة ... تقرُّ بها عيناي في الموطن النائي
بآدابك الغراء شرفتِ سمعتي ... وقدَّستِ تاريخي بتمثال عذرائي

٧ - ولربَّ ذنب

[من الكامل]

أنا لست من ينسى وداداً سالفاً ... لأخبةٍ قد أحسَنوا وأساؤوا
ولربَّ ذنب أسودٍ شفَعَت له ... في ما مضى عندي يدٌ بيضاءُ

(*) في هذه الأبيات يرثي صديقه نعمة الحاج، وهي مستخرجة من مخطوطاته.

(**) شيدت الجالية اللبنانية في ولاية «باهيا» بالبرازيل كنيسة للعذراء فقدمت لها الأديبة أنجال عون تمثالاً عليه هذان البيتان:

[من الكامل]

أمَّ الحنان زها بشخصك معبد ... شادته جالية رضاك رعاها
حتى إذا طَوَتِ الحياة لواءها ... بك جدَّدت «أنجالها» ذكراها

فنظم القروي بلسان الجالية البيتين أعلاه وضمنهما تاريخ صنع التمثال بحساب الجُمَّل سنة ١٩٥٥

٨ - فوضى

[من الكامل]

مــر لــلوروودِ وقــد تــفشّى الــداءُ ... وتحالــفَ الحــشراتُ والأنــواءُ
ضُــرِفَـتْ عيــونُ الحـسنِ لمــا وُلِّيت ... نـقــدَ الــظِّبــاءِ حـســيــرةٌ رمــداءُ
وبكى الهـلالُ غـداةَ عــدَّت نفسهـا ... بــين الــكــواكــب غــيمــةٌ ســـوداءُ
حتَّـام يُبتــذَلُ الجمــالُ وتلتـقـي ... في ســوقــه الحسنــاءُ والشــوهــاءُ
واهــا عــلى الأدب الــرفيــع وأهله ... ضــاعَ القيــاسُ وضــاعتِ الأدبــاءُ
سكت الـطيـورُ عن الغنــاءِ فقامَ في ... ذهـنِ الــدجى أن الـنقيـقَ غِنــاءُ
واللهِ لست أكُفُّ عن قــرعِ الـعصــا ... حتى تـكُـفَّ ريــاءَهــا الـشـعــراءُ
شـكــوى ولا ألمٌ، وتـشـبيــبٌ ولا ... حــبٌّ، وتــألــيــهٌ ولا عــظماءُ
يـتبـجّـحــون بـكــلِّ مجــدٍ غـابــر ... والــظلمُ يــشـهــدُ أنَّهم جُــبَـنــاءُ
ويــردِّدون عـليـك آيَ مسيحِهــم ... والكّــارزونَ بهــا همُ الغــرمَــاءُ[1]
لَأقــولُ كــلَّ الحــق حــين عــدوِّ - ... يَ الــراضي وحــين صـديقيَ المستـاءُ
فـلكـم تـنـكّــر لي صـحــابٌ لم أردْ ... إغــضــابَهـم وتــشــكّــر الأعـداءُ
لـلعــدلِ قسـطــاسٌ بـكفّـيَ قــائـمٌ ... الـعــربُ والإفــرنـجُ فيــه سَـواءُ
خـلُقٌ أمــوتُ عـليــه غــير مهــاودٍ ... ولــوَ انَّ خُسرانَ الــنعــيمِ جَـزاءُ

٩ - الفقـــير

[من الكامل]

جــاءَ الــفـقــيرُ إليَّ ذاتَ عَـشـيّـةٍ ... يشكـو الـزمــانَ كســائِــرِ الفقــراءِ
قــالَ: المــروءَةَ! لي ثـلاثــةُ أكبُــدٍ ... نـامـوا على قِـدْرِ الحَصى والمــاءِ. . .
فـنفـحتُـه شـيـئـاً فـســالـت جمــرةٌ ... من عينــه وقَعَـتْ عــلى أحشــائـي
ومَضى فـبكّـتـني ضـمــيري قــائــلاً ... أقلَلْتَ. بئس عَــواطفُ الشعـراءِ[2]

---

(١) الكارزون بها: المستخفون وراءها.
(٢) بكّتني: وبخني.

وذَهِلْتُ عن فقري وطِرْتُ وراءهُ ... خجلاً أحاول أن أزيد عطائي
ولكم فقيرٍ يا لُمَيّةُ بائسٍ ... خفَّفْتُ بعض شقائه بشقائي
فوجدتُه والحزنُ يكسو وجهَهُ ... بسواده في القاعة الخضراء[1]
شاءَ المُعَثَّرُ أن يجرِّب حظهُ ... بدريهماتِ أخيه في البأساء
حتى إذا خسر الذي أعطيتُهُ ... لعشائِهِ لَعَنَ الفقيرُ مسائي.

١٠ ـ أوحشتنا قبل الأوان(*)

[من الكامل]

يا يازجيُّ! وحسْبُ ذكرِك نسبةً ... لأجلِّ مسبوقٍ بياءِ نداءِ
أوحَشْتَنا قبل الأوانِ وهكذا ... ليست تطولُ زيارةُ الغُرباءِ
فقدت بك الشعراءُ ألطفَ زهرةٍ ... فوَّاحةٍ يا ألطفَ الشعراءِ
ليتَ الحِجى مالٌ يخلّفُ للورى ... لبقيتَ للأوطانِ في الخلفاءِ
يا خاسرَ الأموالِ حسبك حسرة ... أوَ ما رأيتَ خسارةَ الأدباءِ
إن تبكِ «أوراقَ» الخريفِ فإننا ... نبكي ربيعَ محاسنٍ وذكاءِ
تبني القصورَ وقصرُ عمرك فاقدٌ ... حجراً لكل غروب شمسِ مساءِ
فاعملْ ليومٍ لا رجوعَ به إلى ... عملٍ ولا عملٌ بغيرِ جَزاءِ
آمنتُ بالأخرى فليس وجودُنا ... عبثاً وليس مصيرنا لفناءِ
ضلَّ الذي حسِبَ الشِّتاءَ نهايةً ... إنَّ الربيعَ موكَّلٌ بشتاءِ
عجباً يَجِلُّ عن الهَباءِ حِذاءَه ... ويقول ليس الكونُ غيرَ هباءِ[2]

* * *

يا يوسفَ الحسنِ السلامُ عليك من ... روح تحنُّ لشطِّكَ المتنائي
فارفعْ به عَلم «اليراع» شهادةً ... للسبق يا كُولُمْبُسَ الشعراءِ

(١) القاعة الخضراء: إشارة إلى مائدة القمار

(*) احتضر الشاعر الرقيق يوسف ابراهيم اليازجي في البرازيل سنة ١٩٢٣

(٢) حذاء الشيء: ما يحاذيه أي ما صار بإزائه.

١١ - يا يوسف الحسن(*)

[من الكامل]

يا يوسف الحسن الذي قد ساقه ... شَبهُ إلى ڤكتوريا الحسناءِ
يهنيك حب قد كرعت كؤوسه ... في غفلة العذال والرقباءِ
فالحبُّ أعظم نعمة روحيةٍ ... والحاء ما خلقت لغير الباءِ
وَدَّ الزمان لو التقت أصباحه ... عقداً يُزَيِّنُ أجمل الأمساءِ
والسبت شاطرك السرور لأنه ... فيك ارتقى من «راحة» لهناءِ
ما أنت غير أخٍ لخير أخ له ... قد شاعَ بين الناس ذكر إخائي
فَلْتَسْلَمَا وَلْتَهْنَآ وتَعَمَّدا ... خير البنين وأنجب النجباءِ

١٢ - كفى! يكفي!

[من الوافر]

كفى! يكفي! لقد طفحَ الإناءُ ... وضجَّ لهذه الفَوضى الفَضاءُ
وطيرُ الأمن طارَ فليس إلاَّ ... نسورُ الظلمِ طابَ لها البقاءُ
إذا لم يُشفَ «يوسفُ» من خَبالٍ ... أما من داء «سكتتنا» شِفاءُ
أتى في عصرهِ الدستورُ لكنْ ... كما طلَعت على الأعمى ذُكاءُ
فسادٌ في الدوائرِ واختلالٌ ... وظلمٌ في المحاكم والتِواءُ
ولا ترفعْ إلى الحُكام شكوى ... فأذْنُ العَدْلِ يُزعِجُها النِّداءُ!!!
أجَلْ سبحانَك اللَّهمَّ ربًّا ... يُغيِّرُ في الوجود كما يشاءُ
أفي بيروتَ أمنٌ واتحادٌ ... وفي لبنانَ نهبٌ واعتداءُ؟!!

(*) أبيت مستخرجة من مخطوطته. قد بمناسبة زواج.

١٣ - صديقي(*)

[من الوافر]

صديقيَ كيف رحتَ ولم تودِّعْ ... أخاكَ وأنتَ عنوانُ الإخاءِ
وحُبّكَ ما فُطِرتَ على جَفاء ... ولكن عاجَلَتكَ يدُ القضاءِ
لئن سالَتْ مآقينا دموعاً ... فقد فاضت عروقُك بالدماءِ
تَفجَّرُ من دِماغكَ ساكناتٍ ... كأدعيةِ ابنِ مريم في الخفاءِ
ظَلَلْتَ تسحُّها حتى عرفنا ... دمَ الإخلاصِ من دمعِ الرياءِ
فوا لهفي عليك وطولَ حُزني ... لبُعدك يا أعزَّ الأصدقاءِ
لَوَ انَّ الحزنَ تشرحهُ المراثي ... نظمتُ دموعَ أُمِّكَ في رثائي
جللتَ فجلَّ داؤكَ عن دواء ... وعزَّ أليمُ فَقْدِكَ عن عزاءِ

١٤ - سئمت

[من الوافر]

سئمتُ الحبَّ حتى لا أبالي ... ولو هبط الجمالُ من السماءِ
أرى الجسدَ الشهيَّ بعين آسٍ ... قديمِ العهدِ في طبِّ النساءِ[١]

١٥ - رُبى جردون(**)

[من الوافر]

رُبى «جُردونَ» كم تشفِين داءً ... ويقضي فيكِ زِنديقٌ بدائِهْ
تألَّقَ فيك وجهُ اللهِ حتى ... عيونُ الأرضِ زاغت من ضِيائِهْ
فطِرتُ إلى ذُراك الخضر لما ... حضَنَّ الخاطئينَ على لِقائِهْ
عسى من قلبهِ يُدنينَ قلبي ... كما أدْنَيْنَ رأسي من سمائِهْ

(*) قضى صديقه المحامي أسعد بشارة فجأة بانفجار شريان في الدماغ في ١٦ آب سنة ١٩٣٦
(١) الآسي: الطبيب.
(**) يعجب لتلك الهضاب التي تكثر فيها المشافي لطيب مناخها والتي هي آية من آيات الباري تعالى بجمالها، كيف لا تشفي النفوس من الإلحاد كما تشفي الجسوم من العلل

روي الباء

١٦ ـ إذا

[من البسيط]

إذا اللصوصُ أضاعوا من مُروءتهم ... ضِعفَ الغنيمةِ فالمسلوبُ من سَلَبا
وقد تعودُ لك الأموالُ إن ذهَبَتْ ... ولا يعود حميدُ الصيتِ إن ذَهبا
في المال همٌّ وفي تحصيله تعبٌ ... فالمرءُ يَتْعَبُ حتى يربحَ التعبا

١٧ ـ المسَاواة في الموت

[من البسيط]

دَعْ مَنْ قَضَى وادَّخرْ دمعاً لُمرْتَهنٍ ... فإنه ذاهب في إثر من ذهبا
ولا تَقُلْ: ذاك مملوك وذا ملكٌ ... فالرِّجلُ والرأسُ في حُكْمِ التُّرابِ هَبَا
والموتُ ما عفَّ عن عبدٍ ولا ملكٍ ... كالنّهرِ يجترفُ الأقذار والذَّهَبَا

١٨ ـ نَعِمْتَ بالأ(*)

[من البسيط]

من ذا لأرسلَ طيفي كَيْ يُؤَدِّبَهُ ... طيفٌ ألمَّ بمحبوبي فعذَّبَهُ
قد جاءه منذراً أني قُتلت فيا ... لله من منذرٍ ما كان أكذَبَهُ
كم كنتُ أدعوك ربي لا تُطلْ أجلي ... والآن يا ربِّ زدْ عمري لتُغْضبَهُ
ما أغرب النوم في أطواره فلكمْ ... أبدى لها الليث من طيف فأرعبَهُ
نعمتَ بالأَ أخي لا تضطربْ فأنا ... مستمتع من رغيد العيش أطيَبهُ
وكي تكون بلا ريبٍ فها أنذا ... أُهدي كتابي طويلَ الشرح مُسْهَبَهُ

(*) أبيات مستخرجة من مخطوطاته، دوّنها في رسالة يطمئن فيها أخاه الذي رأى في حلمه أنه قُتل.

١٩ - من الشاعر القروي إلى حسن الأمين(*)

[من البسيط]

أنــزلـتني رتبــةً مـن دونها الـرتَـبُ ... ولستُ أهــلاً لهـا لـكنْ هُــو الأدبُ
عــزّي ، إذا كــان لي عــزٌّ أُدِلُّ بــه ... أنّي إلى جــبــل الإلهــام أنتــســبُ
وأنــني عــربيٌّ مــلء بُــرْدتــه ... ذاك الـوفاء الـذي اعتزَّت بـه العربُ
أُصــفــي المـودةَ في سّرٍ وفي عَــلَنٍ ... إذا تخبّــأ خلف الـبسمــة الكـذِبُ
وإنْ تقــطّعت الأسبــاب عنــد أخٍ ... فللعــروبـة عنـدي في الهوى سببُ
قلبٌ من الـذهب الإبـريـز جـوهــرُهُ ... لا ينقضُ العهـدَ حتى يصدأ الـذَّهَبُ
يا ابن «الأمين» حباكَ اللهُ كآسمِك أو ... أحـلى وكم خَـدَعَ آسْمُ المرءِ واللَّقَبُ
عِــلْمٌ وفَــنٌّ وأخــلاقٌ وعــاطـفــةٌ ... يُغنــينَ عن نسَبٍ لَـوْفـاتـك النَّسَبُ
آيــاتُـك البيّنــاتُ الغــرُّ لــو رُفِعَت ... إلى الــرشيــد لثنّى عِــطفَــهُ العُجُبُ
طَــوَيْـتُهــا وَهْـي لي عــزٌّ ومفـخــرةٌ ... إنَّ المصــابيــحَ لم تُخلَقْ لهــا الحُجُبُ
فاعْذُرْ فـديْتُكَ إن طـال السكوتُ ولا ... تَعْتَبْ أخـاً نـال منــه العجزُ والتَّعَبُ
إنْ كنتُ أبـطأتُ في ردّ الـسلامِ فقـد ... يـطيبُ بعـد انتهــاءِ الموسِمِ العِنَبُ

(*) قصيدة مستخرجة من مخطوطات الشاعر، رد فيها على قصيدة من حسن الأمين إلى الشاعر القروي.

حنّت لِعــودكَ في عـليــائـهــا الـشُهُــبُ ... واستلهــمَت عِــطركَ الأجيــال والحِقَبُ
مهــرتَهــا الشعــرَ مــا هــانت ومـا رخُصَت ... أغــلى المهـورِ لـديهـا جــرحُكَ الـطرِبُ
غنَّيت للعُــرب شعــراً مــا انفجـرت بـه ... إلا لـتنــفضَ عنهـا عــارَهـا الـعَــرَبُ
يــا ثــائـرَ الشعرِ الـثـوراتُ مــا بــرِحَت ... نــيرانها الهــوجُ تــسـتــعــلي وتلـتـهــبُ
دكَّــت بمصرٍ صروح الجــور وانــطلقَــت ... ســمــحــاء جــامحــةً خــلاّقــةً تهــبُ
مــرّت عــلى «بــردى» أنســامُ نعمتــهــا ... فــاستيـقظَ الثــأر والتــاريــخ والنسبُ
والــرافـدان وقــد مــاجـا وقــد صخبــا ... العــارمُ الـسمــح مــوّارٌ ومصــطخبُ

يــا فــرحــةً في ســوامـي الأرز هــازجــة ... وبهــجــةٌ من ذرى صــنّــين تنــســربُ
أشــرِقْ عـليهـن فقــد جُـنَّت شــواطئــه ... شــوقـاً إليـك وقـد هــامت بك الهضبُ

٢٠ - أغْضِبْ صديقك (*)

[من البسيط]

أغْضِبْ صديقَك تَسْتَطْلِعْ سَريرتَه … للسرِّ نافذتانِ السكرُ والغضبُ
ما صَرَّح الحوضُ عمّا في قرارته … من راسب الطين إلاّ وهو مضطربُ

٢١ - شجرة مباركة (**)

[من البسيط]

يا بنتَ صنبولَ تُزْهى بالدم العربي … زيّنتِ حسبيَ لي في فُرصة الهربِ
حيّرتِني ومُذيبُ الشوقِ يدفعُ بي … نحو الحمى أنتِ «أم بربارتي» أرَبي
لم يُغرِني منكِ ما يغري الشبابَ ولا … ما يفتِنُ التجرَ من حُسن ومن نَشَبِ
ولا حديثٌ يُشيحُ السامعونَ له … عن رنّة العود أو عن أنّة القَصَبِ
ولا صُداحٌ وعَزْفٌ ما سمعتُهما … إلاّ نسيت وقارَ السنِّ من طربي
لكن سبانيَ عقلٌ زانه خَفَرٌ … يُغني الجمالَ عن الأخدار والحُجبِ[1]
وجوهرٌ طاهرٌ ترتدُّ خاسئةً … عنه قذائفُ جُندِ البُطلِ والكَذِبِ
ومبدأ عربيٌ ليتَ كلَّ أخ … وكلَّ أُختٍ حَوَت في الموطن العربي
وعِزّةٌ وإباءٌ قلّما رُويا … عن غير «عائشةٍ» في سَوْرةِ الغَضَبِ
هذي المزايا التي للبعل قرَّبَها … أهلوك لو أنصفوا كانت نصيب نبي
وكنتِ أسطعَ شمسٍ تستضيءُ بها … محافل الضاد في شام وفي حَلَبِ
تحالف الظلمُ والجهلُ العريقُ على … مواهبٍ لسواكِ اللّهُ لم يَهَبِ

(*) القطعة رقم ٧٨ من مجموعة «موجات قصيرة»

(**) ﴿اللّهُ نورُ السماوات والأرض مثلُ نورِه كمشكاة فيها مصباح المصباحُ في زجاجة الزجاجة كأنّها كوكب دُرّيٌّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربيّة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنورِه من يشاء﴾ (سورة النور ٢٤/٣٥)

(١) الأخدار: جمع مفرده خدر وهو كل ما واراك من بيت ونحوه.

خاطوا لك الخزَّ في شرخِ الصِّبا كفناً ... وصفَّدوك بأسوار من الذهبِ[1]

وضيّعوا منك كنزاً لا تعادله ... كنوزُ أهل الغنى من سالف الحِقَبِ

عَرَضتِ في مثل سنِّ البدر لي وأنا ... كالسمهريِّ صليب العودِ لم أشِبِ

لما انتُدِبْتُ إلى تمرينكنَّ على ... أُنشودةِ العيدِ حيّا اللّهُ منتدِبي!

وكنتِ في هالة الأقمار جوهرةً ... في خاتم أو سوادَ العين في الهُدُبِ

تَلَملَمين حياءً إن حضرتُ وفي ... خدَّيْكِ تهليلةُ القلب المرحِّب بي

وتُسْبِلينَ الجفون الكُحلَ مشفقةً ... من لحظِ نقّادةٍ للدرِّ منتخِبِ

بشدوك العذب أسكرتِ المعلمَ أم ... بالمنطقِ العذبِ أم بالمبسم العَذِبِ

أنوثةٌ كلما أذْكُرْ مفاتِنَها ... يثبْ فؤاديَ للتذكار أو يَذُبِ

وشمسُ عهدٍ سعيد بعدما غربَت ... ماذا تبقّى من الدنيا لمغتربِ.

* * *

ثم انقضى ثُلثُ قَرنٍ أيَّ مجتَمَعٍ ... لم أغشَ أو أُفُقٍ ناءٍ ولم أجُبِ

وأنتِ في لجّة الأهوال غارقةٌ ... لا تعثرين على لوح من الخشبِ

سبحانَ ربّيَ أنّى غبتِ عن بصري ... ووجهك البدرُ عن صنبولَ لم يَغِبِ

كأنني لم أكن رضوانَ جنّتها ... ولا اشتهرتُ برصدِ الحُور والشُّهُبِ

حتى قضى الله باللقيا فعوَّضني ... من حضن أُمي التي أسلمتُ للتُربِ

ندى حنانك بالآمال أنعشَني ... وردَّ لي في شتاءِ العمرِ فألَ صبي

لما ظفرتِ بالاستقلالِ وابتَسَمَت ... لكِ الأمانيُّ عن دُر وعن حَبَبِ[2]

وحذوَ أُمكِ ربّيتِ البنين كما ... أغلى اليتامى وخيرُ المرسَلين رَبي

كريمتانِ ونجلٌ ما أرقَّ وما ... أحلى وأسبقَ يوم الجِد واللَّعِبِ

كواكبٌ في ليالي الأنس ساطعةٌ ... سطوعَها في ليالي الدرسِ والطَّلَبِ

بهم خزيتِ عيون الحاسدين كما ... أقررت عين الهدى والفضل والحَسبِ

فيا سراجَ لياليَّ الطويلةِ يا ... زَيتونةً ذُكِرَتْ في أشرفِ الكتبِ

الشرق والغرب في تكوينكِ اشتركا ... هذا يجاذب هذا غُرةَ النَّسبِ

---

(١) شرخ الصِّبا: أوّل الشباب ونضارته.

(٢) حبب: الحباب وهو الفقاقيع على وجه الماء.

حسبي وحسبك ما كاد العُداة لنا ... وما احتملناه من همٍّ ومن نَصَبِ
العدل يقضي لنا أن نستريحَ وأن ... يبقى الحواسدُ والحسّادُ في تعبِ
ما همّني رضيَ العذّال أم غضبوا ... إن كنتُ أرضيت أمي في السما وأبي
وهل أحبّكِ إلاَّ كلُّ من شهدتْ ... له العلا بالحجى والذوق والأدبِ
كم شاعرٍ فيكِ قبل اليوم ذابَ جوىً ... وكان آخرَ صبٍّ شاعرُ العَرَبِ

٢٢ - الحمد للجوع

[من البسيط]

الحمدُ للجوعِ حمداً واضحَ السببِ ... إن كان أيقَظكم يا معشرَ العربِ
إني لأحْمَدُهُ من أجلِ عُصبتكم ... وإن يكن عضَّ إخواني ومضَّ أبي
قدِ اجتمعتم على خيرٍ ولا عجبٌ ... فكم أتى الدهرُ قبل الآنَ بالعجبِ
داءُ التفرقِ لم تنجعْ به خُطَبٌ ... وفي الخطوب دواءٌ ليس في الخُطبِ
أثمارُكم سقطت ما ذاقها أحد ... في الناس فاعجبْ لكرمٍ مُجدِبٍ خَصِب
ما لابنِ آدمَ إلا ما يجود به ... إن الذهاب لمشتقٌّ من الذهبِ
غداً تبرهن أيدي المحسنين لنا ... أأعجميٌّ هو السوريُّ أم عربي[1]

(١) في هذا البيت إشارة إلى الجدال الذي قام بين صحافيي المهجر في وصف السوري: أعربيٌّ هو أم أعجمي؟

٢٣ - باسم الفضيلة(*)

[من البسيط]

باسمِ الفضيلة قبلَ العلمِ والأدبِ ... أحني لرسمِك رأسي يا فتى العربِ
فوق الإمامةِ ما في العلمِ من لَقَبٍ ... أمّا الذي روَّض الأخلاق فهو نبي
يا جبرُ يا مرشدي يا آخذاً بيدي ... إلى العلى يا صديقي يا رفيقَ أبي
هذي رسائلكَ الغراءُ شاهدةٌ ... على أياديك عندي واحتفالِك بي
أنهضتَ لي همةً للشعر أقعدَها ... تقديسُ هذي البرايا عجلَها الذهبي
فصنتُ وجهي، وما واللهِ يؤلمني ... شيءٌ كمرأى أديب ساجدٍ لغبي
إني لأعتبُ ضَنّاً بالنبوغِ وما ... عندي لذي الجهلِ غيرُ الضنِّ بالعتب
يا صولةَ الجوع كم ذلّلتِ من أسدٍ ... يا دولة الجهلِ كم رأسّتِ من ذنبِ
يا قائد العلمِ تؤتيه يراعتُه ... نصراً من الله في نَصْلٍ من القصبِ
قطّعتَ قلبك أفلاذاً وَجُدتَ بها ... لكلِّ مقتربٍ منا ومغتربِ
إن كنتَ لم تُفنهِ في الذودِ عن وطنٍ ... فإنّما كنتَ تُفنيهِ على الأدبِ
والعمرُ فرصةُ تخليدٍ برائعةٍ ... من شقِّ ذي عُقدٍ أو حَدِّ ذي شُطَبِ[1]
لم يبقَ فينا أديبٌ لم يُصب شبعاً ... من خبزِ حكمتكَ المذخورِ في الكتُبِ
أسفارُ علمٍ كماءِ المُزنِ سائغةٌ ... تُروي الغليلَ بلا جَهدٍ ولا نصَبِ
أوراقُها لجياعِ الروحِ أرغفةٌ ... مغموسةٌ بعصيرِ القلبِ لا العنَبِ
أنضجتَ رأيك في الدنيا وجُدت به ... حلوَ المذاقِ على طلأبِكَ النجُبِ
«إنْ رمت يا ابنيَ للعلياءِ من سبب ... فليس كالمال للعلياءِ من سببِ
فاغصِبْ طعامَك من شوقِ الحياة تفزْ ... بالعيشِ فالرزق مرهونٌ لمغتصبِ»

* * *

(*) أحيت جمعية متخرجي الجامعة الأميركية حفلة تأبينية في صنبول للمعلم جبر ضومط في ١٢ أيلول سنة ١٩٣٠

(١) ذو عقد: كناية عن الرمح وذو شطب كناية عن السيف

أصبتَ يا جبرُ! إن الأرض مَسْبَعةٌ ... لكنَّ ظنَّك في الأقدارِ لم يُصبِ
كم فاز بالمالِ دوني عاجزٌ وَكِلٌ ... وكم تعبتُ فلم أربحْ سوى التَعبِ
فالجِدُّ مولايَ لا يُغني بمعركةٍ ... الغبنُ يرفعُ فيها رايةَ الغلَبِ
والناسُ قد عبدوا الدينارَ فانقلبت ... فضيلةُ الجدِّ فيهم شرَّ مُنقلَبِ

* * *

كم غيّب القبرُ ذا مالٍ فما اكترثت ... له المحافلُ في بعدٍ ولا قُربِ
ومتَّ أنتَ ولم تُخلِفْ سوى كتبٍ ... من ثروةٍ وسوى الأستاذِ من لقَبِ
فهل تبيَّنتَ قلباً غيرَ مضطربٍ ... لما نُعيتَ وجفناً غير منتحبِ؟
لو لم يزنْ «يافثُ» بالعلمِ ثروتَه ... لَمَا رثيناهُ بالأشعارِ والخُطَبِ
لا يَكسِبُ العلمَ إلا كلُّ مجتهدٍ ... وكم ثراءٍ بغيرِ الجِدِّ مُكتسَبِ

* * *

قل للمحنَّطِ ماذا قد حفظتَ لنا ... من ناضرِ العودِ إلا يابسَ الحطبِ
ليس الملوكُ الأُلى خلَّفتَ غيرَ دُمىً ... أبقَت عليها بناتُ الدهر للَّعِبِ
لم تَعدُ بعضَ الذي في القبر من خزَف ... ولو غلَت لغدَتْ نهباً لمنتهِبِ
دافعتَ دودَ البِلى عنها ولو نطقت ... تلك العظامُ لصاحت صيحةَ الغضَبِ
يا قاتلي مرَّةً أخرى ببلسمه ... وآسري بعد ما أمعنتُ في الهربِ
ذَرْني لأُمِّيَ تبلَى في عناصرِها ... عناصري وتصفِّي نارُها ذهبي
صبَّرتَني فحرمتَ السمَ جدَّتَه ... في الأملَدِ الرطْبِ أو في الصادحِ الطربِ
رقَّعتَ لي ذلك الطمر القديمَ وقد ... أوشكتُ أرفلُ في أبرادِيَ القُشُبِ[1]
إنَّ الملوك لَمَن تلقى مَوامِيَهم ... مخبوءةً في بطون الكُتْبِ لا التُرَبِ[2]
تجري الحياةُ سطوراً في صحائفها ... جريَ الجداولِ بين الزَهرِ والعُشُبِ

(١) الطِّمْرُ: الثوب البالي، أرفل: أتبختر: أبرادي القشب: ثيابي الجديدة.
(٢) الموامي: جمع مفرده موماة وهي الفلاة الواسعة.

٢٤ ـ الكـــرام قليل

[من البسيط]

إن قلَّ ذو الفضل في الدنيا فلا عجبٌ		فليس كـلُّ تـرابِ الأرضِ من ذهب
وقـد يُـذَمُّ الفتى يـومـاً لمنقـصـةٍ		مـهـما تـفـرَّد في فـضـلٍ وفي أدبِ
فـطالما كـان كعبُ الـرمـح من قصبٍ		وقبضـةُ الصـارمِ الهنديِّ من خشَبِ

٢٥ ـ قلَّ رواحي (*)

[من مخلّع البسيط]

قَـلَّ رواحـي إلى صـديـقـي		مُـذْ شـاذَ قـصـراً، وزاد حـبِّـي
تـسـومـني الـنفسُ عـنـه بُـعْـداً		ويـشـتـهـي الـقـربَ مـنـه قـلبي
لـسـحـبـتي الأثـريـاءِ مـنِّي		كُـلُّ وفـائـي وبـعضُ قـربي

٢٦ ـ الـدبُّ المترهب(**)

[من الخفيف]

حَـلَم الـدبُّ بـالـسـيـادةِ يـومـاً		واشـتـهـى أن يكـون لـيـثـاً أغـلَبْ
غـير أنَّ الـزئـيرَ أعـيـاهُ فـارتـدَّ		ـ مـغـيـظاً يُـبَـرِّدُ الـغـيظَ بـالـسَّـبْ
ومضى يـسـتـشـيرُ دبّـاً حـكـيـماً		طـالما جـرَّبَ الـذي هـو جـرَّبْ
قـال إنَّ الخمـولَ يـا صـاحِ صعبٌ		بَـيـدَ أنَّ الـذي أحـاولُ أصـعـبْ
فـأفِـدني كيف السبيـل إلى الشُّهـ		ـرةِ قـالَ: الـسـبيـلُ أن تَـتـرَهَّـبْ
وتـنـادي في النـاسِ آمـنـتُ بـاللهِ		ـ وتـدعـو إلى الـطهـارةِ والحُـبّ
هـاتـفـاً أيهـا الـنيـام استـفيـقـوا		أيهـا الخـاطئـون تـوبـوا إلى الـربّ

(*) القطعة رقم ٢١ من مجموعة «موجات قصيرة»

(**) عاشره وتتلمذ عليه في «صنبول» قبل ثلاثة عقود ونيف محاولاً عبثاً محاكاته في الشعر القومي الحماسي، حتى يئس منها. فمال عنه موغر الصدر وراح يتكلف الدعوة إلى المحبة المسيحية والسلام الإنساني معبراً عنها بنقمة هستيرية على صديقه ومعلمه القديم.

هـكــذا يُـدرك الحـكــيـمُ الأمــاني … راكــبــاً لــلخــلـود أنــعــم مــركــبْ
والــذي لا يكــون ليـثــاً خــطـيــراً … فـليـكـنْ في الأقــل دبّــاً مـهــذّبْ!
ومضى دُبُّـنــا الـتـقــيُّ مـذيـعــاً … نــبــأً كــاذبــاً بــبـوقٍ أكــذبْ
زاعــماً أنّــه نــبــيٌّ جــديــدٌ … يــا لــهُ مُــرسَــلاً بــنــابٍ ومخلَبْ
رام بـاسم التـدجيـل أن يغلب الشـ - … ـرَّ ولـكـنْ طـبـيـعــةُ الشر أغـلبْ
فــانتهى الأمــرُ أنّــه في الضــواري … كــان دبّــاً فـصــار أحقــرَ مـن دَبْ
لم يُـطِقْ صحبـةَ الـليـوث فـأمسى … ذاهــبــاً في نفــاقــه ألفَ مـذهـبْ
فهــو حيـنــاً ذئبٌ وحـيـنـاً خــروفٌ … وهــو في أغـلب الأحــايــين ثَعلبْ

٢٧ ـ وثبــات العقــول(*)

[من الخفيف]

مــا لِعَينَيْـكَ تـرعيــانِ الكــواكبْ … أيَّ خــطـبٍ وراءَهــنَّ تُــراقــبْ
تــتــلظّى حمــاســةً، تــتــنــزّى … ألمــاً، تــقــذفُ الشّرارَ الــذائــبْ؟
أنــت واللهِ شــاعــرٌ عــربيٌّ … ضــائــعٌ بـين قــومــهِ والأجــانبْ
حــامــلٌ فــوقَ همِّــهِ هــمَّ شعــب … ســاورتـهُ الخـطوبُ من كـل جــانبْ
بلبلتْ عـقلَه المـذاهـبُ والأحـزابُ - … حـتّى سُـدَّت عـلـيـه المــذاهــبْ
أيـنــما حطَّ رحــلَهُ فــالأمــاني … والمــنـايــا أبـاعـدٌ وأقــاربْ
أنت من أنت أيها الراكب «التمبيـل» - … والعُجـبُ بـين عِـطفيـه راكـبْ[1]
أنت «تـوركـو» ولــو وطِئت الثـريّــا … وأقمتَ السُّهى ببــابــكَ حــاجبْ
مستضــامٌ مهـمـا اعــتززتَ، فـقـيرٌ … ولئن شِـدتَ نـاطحـاتِ السحـائبْ
تكسِبُ السُحتَ بالهوان وبـالافـك - … وبـالشُّحِ بِئسَ مـا أنت كـاسبْ[1]
لم تـطالـبْ بـحـقِّـكَ الـنـاسَ إلاّ … رصــدَتـكَ المنــونُ حيثُ تـطالبْ
لا سـفــيرٌ يــذودُ عـنــكَ ولا رايــةَ - … تحميــكَ من تعــدِّي الـغـاصـبْ

(*) ألقاها في إحدى الحفلات زمن العدوان الإيطالي على الحبشة.
(١) التمبيل: الأوتومبيل أي السيّارة.
(٢) السُّحت: ما خبث وقبح من المكاسب كالرشوة مثلاً. والإفك: الكذب.

كــلُّ مــن يـــدَّعي الــكــرامــة منــا ... فيــك يــا غــربُ كــاذبٌ ثم كــاذبْ

يُشبعــونَ الغـريب مَنّــا ولا يغــرِسُ - إلا لهــم ويجــني المــكــاســبْ

كــم وهَـبنــا لهــم دمــاً وشــبــابــاً ... وصــدوراً غــنــيّــةً بــالمــواهــبْ

نــترُك المــالَ والــبــنــينَ ونمضي ... زادُنــا الــداءُ والـضنى والمصــائــبْ

بــرِيء الــوحشُ من تمــدُّنِ غــرب ... تــتبــاهــى ســراتُــه بــالمعــايــبْ[1]

خُــلُقٌ ســافــلٌ وقــلبٌ غــليظٌ ... ولــســانٌ سَــلْطٌ وَوجْــهٌ نــاضــبْ

وازدراءٌ بــكــل نــاشــدِ عــدل ... واحــتــفــاءٌ بــكــلِ لصٍّ نــاهــبْ

واجــتراءٌ عــلى الســلاطيــنِ من كــلٍ - لقيط نشءِ الــرَّعــاعِ مُشــاغِبْ[2]

يــا نــجــاشي أيَّ نَــدبٍ تُــشــاكــي ... في «جنيفٍ» وأيَّ شهــمٍ تعــاتــبْ[3]

كــان شيءٌ في الغَــربِ يُــدعى حيــاءً ... لــو عــثرنــا عليه بــينَ الخرائبْ!!

إن يكن صــاحب القــداســة سفّــاحــاً - فــماذا تــريــد من غــيرِ صــاحبْ؟

ربمــا كــان مَنْ تُــوالي من الإفــرنــج ... أدهــى عــليــك ممــن تحــاربْ

لن يعــادي من أجلك العلج علجــاً ... والأفــاعــي بنــاتُ عــمٍّ العــقــاربْ

حــكمَ الــدهــرُ أن تــلوذَ بــأكنــافِ - الأعــادي منهــم إلــيهــم هــاربْ

وامتنــاع الفــرار قــد يُكـره المضروب - أن يحتــمي بجــســم الــضــاربْ

لــو تــأهــبتَ لــلنــوائــب يــا هــلاً - سِــلاسِي مــا حــطَّمَتــكَ النــوائــبْ

رُبَّ رزق يصيبــه الجــرَذُ اليــقــظان - مــن شــدق ضيــغــمٍ مــتــثــائــبْ

أيــن تــلك الــســبــائــكُ الــصــفــرُ - والأعلاقُ ناءَت بحملهنَّ المراكبْ[4]

أنت راضٍ بــذكر (عــدْوَةَ) والمَــوتــورُ - مــاض في محــوه الــعــارَ دائــبْ[5]

يتــركُ الجــرحُ نَــدبــةً تُــذكــر المغلوبَ - بــالــثــأر حــين ينــسى الــغــالــبْ

يــا مُضَرِّي الســبــاعِ للحــرب قــل لي ... مــا تعلّمت من كتــاب التجــاربْ[6]

---

(١) سراته: أشرافه، وجهاؤه.

(٢) يشير إلى الصفير والتشويش اللذين أحدثهما الصحفيون الطليان عندما اعتلى النجاشي المنبر في عصبة الأمم.

(٣) الندب: الخفيف في الحاجة السريع الإجابة.

(٤) الأعلاق: جمع مفرده عِلْقٌ وهو النفيس من كل شيء يتعلّق به القلب.

(٥) «عدوة» اسم وقعة قديمة عقد فيها النصر للأحباش.

(٦) اشتهر النجاشي بتربية الأسود وترويضها.

هــل وَقَتْــكَ الليــوثُ من نكبــاتٍ غــيرِ مجــدٍ فيهنَّ غــرضُ المنــاكــبْ
عبثــاً والــعَتــادُ سيــفٌ ورمــحٌ تــتنــادَوْن لــلوغــى يــا أعــاربْ
ذهبت دولــةُ الجحــافِــل والــرايــات ـ والخيــلِ والقنــا والــقــواضِــبْ[1]
وَأتَــتْ دولــةُ الــقــنــابــل والــغاز اتِ والــسمِّ والــشهــاب الــثــاقــبْ
فــغــدا الــرُّمــحُ في يمــينِ شــجــاع مِــروَدَ الكحــلِ في أنــامــلِ كــاعبْ
والحِصــانُ الأصيــلُ دميــةَ طفــل والحُســامُ الصقيــلُ مِــبراةَ كــاتــبْ
لم يــعــدْ يــنــفــعُ الأســودَ وثــوبٌ بعــد أن طــارَ بــالجنــاح الثعــالبْ
وثــبــاتُ الأقــدامِ في التــربِ لــكن وثبــاتُ العقــولِ فــوق الكــواكبْ
فــاضرب البــازَ بــالعُقــابِ وحــاربْ بســـلاحِ العــقــول أو لا تحــاربْ!

٢٨ ـ العبء الثقيــل(*)

[من الخفيف]

راعَ آسِيَّ مــا رأى مــن نــحــولي ورثــى لي مــســتــغــربــاً مــرتــابــا
وأتــاني بــوصــفــة تُكــثِرُ الــشحــم ـ فتُغــري الغــربــانَ بي والكــلابــا!
لا تَــزِدْ يــا طــبيــبُ حِمــلي فــإني قــد كفــاني ستــونَ (كيلو) تُــرابــا
كــدتُ أعيــا بحَــملهــا بينــما كــا نــت نشــاطــاً وصحــةً وشبــابــا
مــا شكــوت الأوصــابَ من هــذه ـ الــطينة حتى تحــوَّلتْ أعصــابــا[2]
خــلِّ هــذا الإهــاب يــرجــعْ هَبــاءً ذاك خــيرٌ مــن أن يــظلَّ عــذابــا
إنَّ غُــولَ المَنون أرفقُ بــالشــاعــر ـ ظُــفــراً مــن الــلــيــالي ونــابــا
كِلْهُ لــلمــوتِ يُبق منــه رُفــاتــاً ربّمــا طــالــتِ الحــيــاةُ فــذابــا

---

(١) القنا: الرماح، والقواضب: السيوف.

(*) صنبول سنة ١٩٣٢

(٢) الأوصاب: جمع وصب وهو التعب.

٢٩ ـ فزع إلى الله سبحانهْ(*)

[من الخفيف]

أنــا في غُـربَـةٍ عـن الأهـل لـكنْ ... عنـك يـا ربُّ يستحيـلُ اغـترابُ
لـيس لُـبـنـانُ والـبرازيـلُ إلا ... طـرفـا ذرَّةٍ وأنــت الـسـحـابُ
أنـا طـفـلٌ وأنت تحـرسُ مَـهـدي ... فَـلْتُكَشِّرْ عـن الـنّـيـوبِ الـذئـابُ
أنـا قـزمٌ وأنـت رأسٌ لـرأسي ... فـلْتَـطاوَلْ مـا شـاءَت الأربـابُ
زدتَ حِـلماً حتى حسبتُـكَ تـرضى ... عن ذنـوبي وكم يضيـع الحسـابُ
فلك الشُّكـرُ في قِصـاصي فكم مـن ... خـطأ يـسـتـفـادُ مـنـه الـصـوابُ

٣٠ ـ هـاك رسـمي(**)

[من الخفيف]

هـاكَ رسـمـي مـن بـعـد أن حـطّم الحـبُّ فـؤادي وهـشَّـمَـتـني الخـطوبُ
لا تـعـرِّضْـهُ لازدراءِ الـغـواني ... فَـلَكَمْ أضحـكَ الغـواني المشيبُ
وأذِعْـهُ لـكـلِّ عـاثـر جـدٍّ ... ومحـبٌّ مـثـلي جـفـاهُ الحـبـيـبُ
ربمـا كـانَ في شـحـوبي عـزاءٌ ... لـقلوبٍ قَـسَتْ عـليهـا قـلوبُ

(*) في الريو دي جانيرو سنة ١٩١٤

(**) أهدى إلى الدكتور جورج صوايا رسمه وتحته هذه الأبيات.

٣١ - أقسى حبيب(*)

[من الخفيف]

ربي إني ظُلمتُ من أقرب الناس - فلا تَظْلمنَّهم يا ربّي
إن حبي هم بغير حدود ربِّ اغفر لهم على قدر حبي
أنا لا أبغض العدوَّ فهل أُبغضُ - روحي وناظريَّ وقلبي

* * *

جاءني يحمل الشباك لصيدي وأنا أحمل الصليب لصلبي
قال بِعْني فبعتُهُ كلَّ ما أملكُ - لم أحتفظ بحبة تُرْبِ
منزلي في «الوطا» ومثوى عظامي ومزارَ الألوف من كل شعبِ
حرم آمن لعصفورة الحقل - تغني في كل غصن رطبِ
وقبضنا من ذلك الثمن المزعوم - ريحاً تهبُّ كلَّ مهبِّ
صفقةٌ لم ألَوِّثِ اليَد منها بسوى الزائفين: غش ونصبِ

* * *

لا تسلني عن اسم أقسى حبيب بارد القلب جامد كالصُّلبِ
حلَّ عندي والحرب نارٌ وعارٌ ناعماً آمناً معي في سربي
ثم أشركتُه بدفتر وفري ساحباً منه ما يشاء كسحبي
ما دعاني لحاجة قطُّ إلا كنت في سرعة البُراقِ ألَبِّي
يتعشّى على هواه ويمضي سالكاً في الظلام أخطر دربِ
وأنا أسهر الليالي وحيداً ليس إلا ربّي وسلوى بقربي
علم الله أنه لم يسامرني - ولو مرة تفرِّجُ كربي
نحن في حيرة وخوف وسهد وهو في غبطة ولهو ولعبِ
يسرد المضحكات عني ويروي قصصاً كلهنَّ كذب بكذبِ
ما له حيلة سوى العنف لا - يفتح باباً إلا كخائض حربِ

(*) البربارة في 1-2-1982 - وجدناها بين مخطوطاته.

حَمَـلٌ في الـرضـا وديـع فـان - تُغضبْـهُ فالليث عنـده نصف كلب
ولـه إن نـوى الـتَّـخَـفِّـي وطءٌ مثـلُ وطء العصفور فـوق العشبِ
أرفـع الـرأس حـين أَلْمـحُ ظـلاً وإذا المـارد المـهـذب جـنـبـي
ومضى عـائـداً إلى الأهـل لا - يكتبُ حـرفـاً ولا يصيـخ لعتب
ثـم جـاء الـوكيـل يـقـرع بـابي منـذراً يـطلب الصكـوك بعجب

* * *

يـا ابن أمي بـأي ذنب أُجـازى منـك هـذا الجـزاءَ قُـلْ أي ذنبِ
أو تـنسى يـا ظـالمـي أنـنـا مـن رحـم طـاهـر وحـيـد وصُـلْبِ
أيـن أمضي؟ وأيَّ بـيـت ألاقـي غـير بيتي لمتحفي ولكـتبـي؟
ولـنـثر كـأنـه فـلق الـصـبـح - ونـظم يـرقِّص المـتـنـبـي
وكـنـوز مـن وحـي أمي تَحَـدَّتْ شـعـراء العـصـور شرقـاً بغـربِ
وابـنـة الخـالـة التي بـادلـتـني مثـلَ أمي الحنون أطهـر حـبِّ
ربـع قـرن في خـدمـتي وهـي إلاّ لـقمـةَ العيش لم تُـرِدْ مـن كـسـبِ
أيَّ شيء أبـقـيـت لي أتـولى بـذلـه بعـدمـا تـوليـت نهبي
أيهـا الـنـاس هـل رأيتـم محبًّـا فـاقـد الـوعي مثـل هـذا المحب
كـنـت في ذلـك الأوان مـريـضـاً حـجـتي في يـدي تـقـاريـر طبـي
يـا إلهـي إلـيـك وكّـلْتُ أمـري حسب نفسي رضـاً بـأنـك حسبي

٣٢ ـ ما صنيعي(*)

[من الخفيف]

مـا صنيعي وحـدي بـأغمـارِ قمـحٍ مـلأتْ بيـدري بـألـفِ كـئيـبِ
أُتْخِـمَـتْ هـذه الأطـايـبُ قـلبـي فـإلى الـزادِ يـا جيـاعَ الـقـلوبِ
فُضَّ يـا شـعـرُ خَـتْـمَ حبّـي وإلاّ مِتُّ في عـزلتي اختنـاقـاً بـطيبي

(*) القطعة رقم ١٠٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٣ - سـامحْتُهُ

[من الرجز]

أضحَكُ ما يُضحِكني مُسْتَعْجِمٌ … يسُبُّني بلغةٍ يسبُّها
وحقِّها إن لم أكن أحبُّهُ … سامحته لأنني أحِبُّها

٣٤ - كوكب الشرق(*)

[من الرمل]

تِهْ على الخُطَّابِ يا أسعدَ خاطبْ … نلتَ «فرجيني» وكم قبلك خائبْ!
كلُّ ما تطلبُ يا «سعد» تَنَلْ … ليتكَ استقلالَ سوريةَ طالبْ!
كوكبُ الشرقِ فدى غُرَّتهِ … كلُّ ما في «هولُوودٍ» من كواكبْ
وَرِثتْ عن أمها حشمَتَها … واستقلّت بفَريدات المناقبْ
قبلَ أن زِينَت بإكليلِ ورُودٍ … زانها اللّهُ بإكليلِ المواهبْ
نَظَمَت في مثلِ عُمرِ البدرِ ما … يَتَمنّى شاعرٌ في النظم شائبْ
فهْيَ لولا قَدَرٌ عانَدَها … لأرَتنا من قَوافيها الغَرائبْ
إن جهلتم فاسألوا إبرَتَها … عن سطُورٍ لم يُدبِّجهُنَّ كاتبْ
كلُّ سطرٍ هُوَ رمزٌ للفدى … ولبذلِ النفسِ من أجلِ الأقاربْ
عَرفَ اللّهُ لها ألطافَها … فجزَاها بكَ يا ألطفَ صاحبْ
فادخُلا فردوسَ أحلامكما … واجنيا من جنّةِ الحبِّ الأطايبْ
ولتدمْ دارُ ابن «سعد» فَلَكاً … يطلعُ السعدُ بها من كلِ جانبْ

(*) في عرس صديقيه ميشال سعد وفرجيني سالم سنة ١٩٤٢

٣٥ ـ همست(*)

[من الرمل]

هَمَسَت في أُذُني عصفورةٌ خبراً أرقص قلبي طربا
أنَّ توفيقاً وليلى التقيا صدفةً في مجلس فاضطربا
مجلس أحظى بِحُرٍّ حُرَّةً واصطفى فيه العفافُ الأدبا
قلتُ فلننشدْ فقالَت ريثما يُعلنُ المذياعُ أن قد خطبا
قلتُ إني راحل بعدَ غد فاصدَحي عنِّي صُداحاً مطربا
وأشيدي بكريمَيْ حَسَب طيِّبِ العِرْقَيْنِ أمّاً وأبا
هَوِيَا العُربَ، ولا بُورِكَ في عربيٍّ لا يحبُّ العَربا

٣٦ ـ على سرير الآلام

[من مجزوء الرمل]

أسفي ولّى شبابي وتلاشى كالضَبابِ
وانطوى سِفرُ الأماني وانقضى عهدُ التصابي
كم مُصابٍ ساحبٍ لي خلفَهُ ألفَ مُصابِ

كلما قلتُ عذابي خفَّ يزدادُ عذابي
ربِّ كم ألقى حساباً قبلما يأتي حسابي
ذهب السقمُ بجسمي وتمشّى في ثيابي

بتُّ مما قد سقاني ـ الدهر من خَلٍّ وصابِ[1]
لو أتاني الآنَ بالكوثر ـ صفَّيتُ شرابي

أيها الناس احذروا مِنْ سُكْرِ الدهرِ المذابِ
يأخذُ المالَ مع الفائِظ ـ فالدهرُ مُرابِ

(*) بلغه وهو على وشك السفر إلى «الأرجنتين» سنة ١٩٤١ أن صديقه توفيق الريس يهم بالخطبة فبعث إليه ببطاقة عليها هذه الأبيات.

(١) الصاب: في الأصل الشجر المر وهو هنا كناية عن السقاء المُرّ.

٣٧ ـ مثلما أسلفت(*)

[من مجزوء الرمل]

رحِمَ اللّهُ شبابَك وسقى الغيثُ ترابَك
ما لنا ندعوكَ في الفجرِ فلا نرجو جوابَك
نمتَ حين الناسُ هبُّوا نومةً أنهت عذابَك
صابَ سهمُ البينِ أوْجاعَك طُرّاً حينَ صابَك
فاسترحْ في القبر واطرحْ عنكَ يا سيفُ قِرابَك
واخلعِ الثوبَ الذي قد كنتَ تكسوهُ ثيابَك
كم تشكّينا إذا طوَّلتَ في البَرِّ غيابَك
سوف يمضي العامُ تلوَ العامِ لا نرجو إيابَك
أيها الذاهبُ نحوَ الخلدِ ما أشهى ذَهابَك
لم يُسَطَّرْ لكَ لكن أنتَ سطّرتَ كتابَك
رُبَّ أقوالٍ وأفعالٍ تولّينَ حِسابَك
مثلما أسلفت تُجزى أجزلَ اللّهُ ثوابَك

٣٨ ـ الاحتفاظ بالصديق

[من السريع]

مَن شاءَ ألاّ يَنثَني صَحبُهُ ... عن حُبهِ فليحتَمِلْ صَحبَهْ
كم صاحبٍ حرصاً على ودِّهِ ... طلبتُ أن يغفرَ لي ذنبَهْ

٣٩ ـ حَلَفَتْ

[من السريع]

قد حَلَفَت صاحبتي أنّها ... لم تكُ إلاّ لي أنا صاحبَهْ
حسبي رضىً عنها وعن كذبها ... بَردُ يقيني أنّها كاذِبَهْ

(*) على ضريح صديقه الجوالة سليم مطر سنة ١٩٤١

٤٠ - أصبح عيشي

[من السريع]

أصبح عيشي بندقاً فارغاً ... والعيشُ حبُّ لُبُّه الحُبُّ
كأنَّ قلبي يوسفٌ في الهوى ... والصدرَ من وَحشَتِهِ الجُبُّ

٤١ - تباعدت عنها

[من الطويل]

تباعَدتُ عنها رَغبةً في سلوِّها ... فزايلَتِ العينينِ واحتلَّتِ القلبا
وفتّشتُ عنْ عيبٍ يبغِّضها إلى ... فؤاديَ فازدادَ الفؤادُ لها حُبا
وأكبرُ ذنبي عند لمياءَ أنني ... أحدِّثُ نفسي أن ترى ذنبَها ذنبا

٤٢ - يذيع خليلي(*)

[من الطويل]

يذيعُ خليلي أنّني صِرتُ مُترباً ... أجلْ كنتُ يا خِلي وما زلتُ مُتربا[١]
وتضعيفُكَ الأرقامَ فألٌ مباركٌ ... وإني لأرجو اللّهَ ألاَّ تُكَذَّبا!
وما أنا ممن يجحَدُ الفضلَ أهلَهُ ... وإن قلَّ، بل ممن أذاعَ وأطنَبا
ولكنني بَلَّغتُ قومي رسالةً ... سيودعُها التاريخُ سفراً مذهّبا
وأفرَغتُ ريّانَ الصبا في شطورها ... أتستكثرُ الخمسين «كنطا» على الصبا؟[٢]
فلو أنا أزمعتُ الرجوع إلى الحِمى ... لَطارت - ولم أهبط مطارَ الحمى - هبا
فلا عمّرَت بيتاً جديداً مؤثّثاً ... ولا رمّمت بيتاً عتيقاً مخرَّبا
فَخُذْ كلَّ ما ردَّت عليَّ قصائدي ... من النقد. واضمنْ لي معاشاً مرتّبا

(*) نشر أحد أصدقائه أنه أثرى من ريع بعض دواوينه.

(١) المترب من كثر ماله ومن قل ماله ضد.

(٢) الكنط (Conto) نقد برازيلي قيمته ألف كروزيرو.

وكـوخـاً حقيـراً يغمرُ النـورُ قلبَـه ... ومـكـتبــةً حــول السريــر ومكـتبـا
لأمـلأ كـل الأرض في كـل لـيـلة ... بـأعذب من عـزف الرّبـاب وأطـربـا
وأنشــدُ مــا لم تنـشــدِ الـطيرُ مثله ... عدا «الطائرَ المحكيَّ» شرقاً ومغربا[1]
ألـيسَ عـظيـماً أنني بـعـدَ شيبـتي ... ألاقي من الأحبــاب نُكــراً مشيِّبـا
وأنِّيَ في الستــينَ مــا زلتُ مُكـرَهـاً ... لأجـل كـفـافي أن أكُـدَّ وأتـعَـبـا
فـواللهِ لو لم تمحُ «صنبولُ» «عـاصيـاً» ... أبـرَّ من العـاصي وأنقى وأعــذبا[2]
بصيــراً بـأقــدار الـرجــال إذا سقى ... فحيثُ يكـونُ الغـرسُ أزكى وأطيبَـا
شهــدنـا عجيبــاً من بـواكــير فضله ... وعـمّا قـريب يشهـدُ الفضـلُ أعجبَـا
ولــولا أيــادي عــصـبـةٍ أدبـيـةٍ ... مهــذبــة تــرعى الأديبَ المهـذَّبـا
لمـا جـازَ تكـريمُ النبـوغ شِفـاهَكُم ... ولا زاد عن أهـلاً وسهلاً ومـرحبـا[3]
فـيـا أمـةً أعـداؤهـا أنـبيـاؤهـا ... فـديـنـاكِ أن نشـقى وأن نـتعـذبـا
بُعِثْتِ إلى الـدنيـا ومـا زلت طفـلة ... ومـا عـالت الأطفــال أمّـاً ولا أبـا

٤٣ ـ إذا فرطت(*)

[من الطويل]

إذا فَـرَطتْ منـك الإسـاءةُ فـاعتـرفْ ... بهـا واعتـذرْ إن كنت حُـرًّا مهـذّبـا
فـإن قَبِـلَ المستـاءُ عُـذراً شكـرتـه ... وإن هــو لم يـقبــلْ بَــرِئْـتَ وأذنـبـا

(١) يعني به «المتنبي» في قوله: أنا الطائر المحكي...
(٢) صديقه الياس عاصي وقد ورد ذكره في هذا الديوان أكثر من مرة.
(٣) جاز: بمعنى تجاوز.
(*) القطعة رقم ٥٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

٤٤ - لعينيك يا لبنان(*)

[من الطويل]

لنا وطنٌ هلاً سمعنا نحيبهُ ... وهلاّ رأينا ضعفه وشحوبهْ
أنأسو صحيحاً في غِنًى عن دوائنا ... ونجفو عليلاً قد أضاع طبيبهْ
بلادُ السّوى لم تحرموها نَصيبَها ... فلا تحرموا برَّ الشآم نصيبهْ
إذا كان حُبُّ الغيرِ فرضاً على الفتى ... فكم هو فرضٌ أن يحبّ قريبهْ
لعينيكَ يا لبنانُ قوتي وقوّتي ... وتعرفُني غضَّ الشبابِ رطيبهْ
لأنت حبيبي قبلَ كلِّ حبيبة ... وإني محبٌّ لا يخون حبيبهُ
نداؤُك من عامين دوَّى بمسمعي ... فوا خجلي قد حان لي أن أجيبهُ
سأبذُلُ جهدي في رضاكَ فإن أفزْ ... بقربٍ فما أشهى المماتَ عَقيبهُ
حملت صليبي قاصداً أرضَ موعدي ... فمن شاءَ فليحمِلْ ورائي صليبَهُ

٤٥ - حبي ونفسي

[من الطويل]

إذا شئتِ يا سلمى بقائي على الهوى ... فلا تزدري قلباً يعزُّ به الحبُّ
فنفسي فدى حبي إذا هزَّكِ الجوى ... وحبي فدى نفسي إذا هزَّكِ العُجبُ

(*) أول قصيدة نشرها بتوقيع (الشاعر القروي). كان ذلك على أثر صدور ديوانه الأول (الرشيديات) سنة ١٩١٦، إذ راح المرحوم نجيب قسطنطين الحداد يتابع نقده في جريدته «المؤدب» كيفما اتفق. ولقي صاحب الديوان ذات يوم المرحوم جورج الحداد صاحب جريدة «القلم الحديدي» وفي يده عدد من المؤدب يلوّح به ويقول: «خذ اقرأ. إنه في هذه المرة يسلخ جلدك سلخاً. . .» فتناوله ضاحكاً ومضى يتصفح طائفة من النعوت حتى وصل إلى قوله: من هو هذا الشاعر الـ. . .؟ شاعر جرن الكبة. . . الشاعر القروي؟ فوقف عند هذا النعت الأخير وقد عرته لرنته هزة. ثم طار إلى أقرب حديقة ونظم هذه القصيدة داعياً فيها الشباب المغترب للتطوع معه في «الحملة الشرقية» وقد كان على وشك التوجه إلى البلاد العربية للانضمام إلى جيش بطل العروبة الخالد الذكر فيصل بن الحسين لو لم يقم في سبيله العراقيل صديقه الأديب نجيب طراد الذي كان من متزعمي الحركة، ضناً به من الموت، كما تبين له بعد حين.

٤٦ - كفى بك(*)

[من الطويل]

إلى مُنقذي من قبضةِ الموتِ بعدما ... تناهَشَني أنيابُهُ ومخالبُهْ
ولم يبقَ مني غيرُ ظلٍّ ابتسامةٍ ... على الثغرِ تُنْبي أنني بك غالبُهْ
ومنْ تكُ يا أُعجوبةَ الطبِ ساهراً ... بجانبهِ لا يرهبِ الداءَ جانبُهْ
كفى بكَ أنَّ الموتَ لم يرعَ صاحباً ... ويجتازُ من يدري بأنك صاحبُهْ

٤٧ - رسم(**)

[من الطويل]

ألا حوِّلوا هذا الغديرَ إلى قلبي ... أما للأماني عندكم قيمةُ العشبِ؟
عسى غُلَّة كالنار يطفئها الندى ... بمُجدِبَةِ الآمالِ مُخصبةِ الحبِّ
ضلوعٍ كمشدودِ المثاني إذا سرَت ... بها الآهُ أَنَّتْ إنّةَ الوالهِ الصبِّ
مشى القَلبُ من أنحائِها في مفازة ... تكادُ بها تشكو الصدى كبدُ الضبِّ(١)
ومرَّ بتذكاراتِ عهدٍ محبّبٍ ... فصاح بأحلامي «وقوفاً بها صحبي»
تحمّلَ رَكبُ الحب والشعرِ والصبا ... فهلاَّ ألحتمْ بالمناديل للرَّكب؟
فيا لك من صدر رحيب ويا له ... فؤاداً يعاني الكربَ في ذلك الرحب
يراقبُ في ليلِ السُّرى دمعةَ الأسى ... فيحسَبُها في وجنتي نجمةَ القُطب
سلامٌ على روض الهوى كم طرقتُها ... وكم تحتَها عانقتُ من غُصُنٍ رَطْبِ
وكم فتّحتْ أزهارُها فيَّ أعيناً ... وفي زهرةِ الأنسِ التي جلسَتْ جنبي
بنفسجةٍ مذْ نبَّهَ العلم جفنَها ... تبدَّت وأغناها العفافُ عن الحُجْبِ
وكم زهرةٍ حامَت على النحل روحُها ... وهَيكلُها بين الأسنّةِ والقُضْبِ(٢)

(*) قدم إلى صديقه الدكتور فضلو حيدر نسخة من ديوانه الأعاصير ووقعها بهذه الأبيات.
(**) كان على ضفة غدير يطالع إحدى المجلات فرأى فيها رسم فتاة عربية أطرت الصحف الإفرنجية موهبتها الخطابية وأطنبت في وصف روائع آدابها ومحاسنها.
(١) يقال إن الضب لا يعطش.
(٢) الأسنة الرماح والقضب: السيوف.

أُسائلُ عن أمنيَّةٍ مستحيلة ... لإدراكها مات الرجاءُ على الدّرب
وما أنا إلا شاعرُ الوهمِ هائمٌ ... بظلٍ وحسبي ظلُّها في الهوى حسْبي
«سماءٌ» حباها الله شكلَ صبيةٍ ... وقال لها إصبي نفوس الورى وآسْبي
وما هي إلا صورةٌ في صحيفةٍ ... سبت كبدي سبياً وكم صُوَرٍ تَسْبي
توزَّع قلبُ الليل ما بين شَعرها ... وحاجِبِها واللحظِ والجفنِ والهدب
ولاح لعيني في الدجى من جبينِها ... ومن وجنتيها مطلع الشفق القطبي
كأنَّ الضّحى قد أفرغت كُلَّ حسنِها ... على جيدها المنحوتِ من حجرِ اليشب[1]
كتِمثالِ عشتاروت أو طيفِ زينبٍ ... على تَدمُرٍ يبكي وعن مجدها يُنبي
إذا رنَّ من فوقِ المنابرِ صوتُها ... رأيتَ زِحامَ الحشرِ في المحفل الرَّحْبِ
وذرَّ ضياءُ الشرقِ من فجرِ ثغرِها ... يمزِّقُ عن تاريخهِ مُسبَلَ الحُجبِ
تقابِلُ إعجابَ الأنام بحشمةٍ ... وكم قادَ إعجابُ الأنامِ إلى العُجْبِ!
فيا لهيامي واحتشاميَ عندما ... خلوتُ بها بين المحابرِ والكتبِ
أُحاولُ قتلي إذ أحاولُ لثمها ... وما أنا في «نوُيُرْك» حارمةِ الشُربِ[2]
ولكنَّ إجلالي لها حالَ بينها ... وبيني بسَدٍّ سهلُه جبلُ الألبِ
أعاذلُ قد أذنبتَ ذنبين في الهوى ... خلوُّك من حُبٍّ ولومُك في الحُبِّ
ستُبطلُ ذنباً حين تعشق في غد ... وتبحثُ عني تطلب الصفحَ عن ذنبِ
وهيهاتَ تلقاني فإني مضيَّعٌ ... بحبي كما قد ضاع في حبِّهِ شعبي
لقد شُغلوا بالناس عن حُبِّ ناسهم ... ومالوا على الإخوانِ بالسَّبِ والثلبِ
يكاد الفتى منهم يقاتل نفسه ... فلو قابل المرآة هبَّ إلى الحربِ
سأضربهم من خاطري وتنهّدي ... ومن أدمعي بالبرقِ والرعدِ والسُّحْبِ
وأنشبُ كفّي بينَ جنبيَّ حاملاً ... على القلبِ عَلِّي أستريحُ من القلْبِ
يعذِّبني هذا الشقيُّ مكلِّفي ... أناةً على الأعداءِ ليست على الصَحبِ
ويطلبُ مني أن أغضَّ على القذى ... وأذكرَ إنّي لستُ أحسنَ من ربي
رويدَكَ يا قلبي فلستَ مجرِّبي ... وما أنا من يرضى بمركَبِك الصَّعبِ
لئن كان قومي كاليهودِ ضلالةً ... أتحسَبُ لي صبرَ المسيحِ على الصلبِ؟

(١) اليشب: حجر متبلّر.
(٢) سنَّت أميركا في ذلك العام شريعة «الجفاف» ويعنون به تحريم شرب المسكرات

بكيتُ على غابٍ أبيحَت دِحالها وصالَ على أشبالِها ذَنَبُ الذئبِ[١]
يسوقهمُ كالشاءِ للذبحِ خُضَّعاً وكانوا يقودونَ الجحافلَ للذَّبِّ[٢]
فيا غازياً سادَ العبيدُ بعهدِه وطوَّحَ سهمُ البينِ بالسادةِ النُجُبِ[٣]
عدلتَ جزاكَ اللّهُ خيراً بنفيهم فمثلكَ عنه البعدُ خيرٌ من القربِ
تحكّمْ بنا ما شئت واكرُبْ قيودَنا فما نحن إلا للركوبِ وللكَربِ!
ونمْ راضياً عن موبقاتٍ لهولِها تكاد تغورُ العين في داخلِ الوَقْبِ[٤]
ولا تخشَ من عدلِ السماءِ فإنه على الأرض يرعى جانبَ العسكرِ اللَّجْبِ
فواللهِ لولا ضعفُنا ما زريتَنا ولكنَّ هذا السيبَ أغراكَ بالسلبِ

٤٨ - وللنفس حالات(*)

[من الطويل]

ألا لا تُلِحِّي يا ابنة العُربِ في عتبي ولا تعجبي من زهد شاعركِ الصَبِّ
رغبتُ عن اللذات في ميعة الصبا وجنّبتُ ثغري كل كأسٍ سوى الحبِّ
ومن عافها والعمرُ في الشرق مشرق أيُدمنُها والعمرُ يغربُ في الغربِ
وللنفس حالاتٌ يطيب بها الأسى وتمسي بها الأفراحُ عبئاً على القلبِ
وقد تهربُ الأبطالُ من ساعة الصفا كما تهربُ الأنذالُ من ساحةِ الحربِ
سأشربُ هذي الكأسَ لا لذةً ها فما رغبَتْ نفسي بأكلٍ ولا شربِ
ولكن لأرضي من بني حمص نخبةً أراني إذا أغضبتهم مغضِباً ربِّي
فدى وردةِ الميماسِ كلّ خميلة منمنمة الأزهارِ مخضلّةِ العُشبِ
ولا بَرِحَت في الشرق والغرب جنةً تتيه بعاصيها على الكوثر العذبِ

---

(١) الدحال جمع دحل وهو خرق في البيت، ويعني بها المنازل.
(٢) الشاء: جمع شاة والذبّ: الدفاع.
(٣) يعني بهم أعضاء مجلس إدارة مجلس لبنان وأمر نفيهم مشهور. وطوّح: أهلك.
(٤) الوقب: نُقرة العين.
(*) لما كان ورفيقه فرحات سنة ١٩٣٤ في «بونس ايرس» أحيت جمعية الأوانس الحمصيات على شرفهما سهرة حافلة، وألحت عليه إحداهن بالشراب، وهو من عائفيه، فتناول الكأس مجاملة ثم ارتجل.

٤٩ - حبق الحب(*)

[من الطويل]

ألا رُبَّ إخوانٍ عليَّ تحاملوا ... كأنْ لم يكونوا قبلُ من خيرةِ الصَّحْب
أثاروا من العُدوانِ حولي «زوابعاً» ... فما حرَّكَتْ مني سوى حبقِ الحبِّ(١)
إذا جمحَت بي نزوةٌ راضها الرضا ... وعاتَبني قلبي فأذعنتُ للعتب
وكم نشَراتٍ دأبها أن تُهينَني ... وأن أتغاضى عن إهاناتها دأبي
صبرت عليها ربع قرنٍ فلم أُجبْ ... بسوءٍ ولم أشهرْ على شاتمٍ حربي
وهوَّنَ عندي السبَّ أن لبعضِهِم ... زغاليلَ أطفالاً تعيشُ على سبِّي
لأشهدُ أني أستحقُّ احتقارَهم ... فلو كنتُ شيئاً ما سلمتُ من الصلبِ!

٥٠ - أخي(**)

[من الطويل]

أخي إننا صرنا على آخرِ الدربِ ... وحان الذي يُعيي عباقرةَ الطبِّ
فإن كنتُ قد فرّطتُ سهوًا بحقكم ... فما حُلْتُ عن عهدِ الاخوَّةِ والحبِّ
أزفُّ إليكم من بعيدٍ تهانئي ... ولكنْ حديثُ الودّ أحلى مع القربِ
ألا زورةٌ نحيي بها سالف الرضى ... ونغسلُ قلبينا بصابونةِ العَتْبِ

٥١ - أحوّل طرفي

[من الطويل]

أحوِّل طرفي عن محيّا لُميّةٍ ... فتنزل من إنسان عيني إلى قلبي
وأنأى لأسلوها فيزدادُ حبُّها ... كأنّ النوى قربٌ ألحُّ من القُرْبِ

(*) صنبول سنة ١٩٤١

(١) الحبق حشيشة عطرة يطلق عليها اللبنانيون هذا الاسم ويكثرون من غرسها حول بيوتهم. إذا داعبتها الأيدي أو حركها النسيم زاد تأرّجها. وقد ورّى بالزوابع عن جريدة (الزوبعة) الخاصة بالحزب القومي السوري التي كانت تتناوله بلاذع النقد.

(**) إلى الصديق عجاج نويهض.

٥٢ ـ لكم أخطأ المأوى (*)

[من الطويل]

لكم أخطأ المأوى غريبٌ مسافرُ لأجل اختصار الدربِ تاهَ عن الدربِ
فدُرْ في هضابِ المجد تأمَنْ عثارَها وتبلغْ وشيكاً قِمَّةَ المرتقى الصعبِ

٥٣ ـ تَوَقّ سفولا (**)

[من الطويل]

تَوَقَّ سفولا بالذي رمتَ رِفْعَةً فما الحجرُ المعلي سوى الحجرِ المُكْبي
وكمْ قَتَلَ المغوارَ في عُقر دارهِ مُسَدَّسُه يومَ الرُّجوعِ من الحَرْبِ

٥٤ ـ تذوّقت أنواع الشراب (***)

[من الطويل]

تَذَوَّقتُ أنواع الشراب فلم يَسُغْ بحقِّيَ أشهى من حلالِ المكاسِبِ
ونمتُ على ريش النَعامِ فلم أجِدْ فراشاً وثيرًا مثل إتمام واجبي

٥٥ ـ يعيد التماس العذر (****)

[من الطويل]

يعيد التماسُ العذرِ للنفس روحَها ويُخمِدُ جمرَ الشرِّ قبل شبوبِهِ
عجبت لحرٍّ يستحي باعتذاره وأولى به أن يستحي بذنوبِهِ

(*) القطعة رقم ١٠٧ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) القطعة رقم ٤٨ من مجموعة «موجات قصيرة».

(***) القطعة رقم ٤٦ من جموعة «موجات قصيرة».

(****) القطعة رقم ٦٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

٥٦ - بَعَثْتُ

[من الطويل]

بَعَثْتُ إلى لبنــانَ قبــلي خيــالكـم ... ليحلو عــلى هـوج الـريـاح ركـوبي

فـما في جنــان الخلد لـلعين بهجــةٌ ... إذا لم يـصاحِبْـهـا خيــال حـبيـب

٥٧ - أتكلّف البغض(*)

[من الكامل]

رُدّوا إلى الــوطـن القــديـم تُـرابَــه ... هــذا أقــلُّ الــبرِّ يــا غُـيَّــابَـهُ

أنــتـم ثَــراهُ الحــيُّ ذرَّتُــهُ الـنــوى ... في الخـافِقَـيْنِ ونتَّفَـتْ جلبَـابَـهُ

عَـرِيَ الحِمى وبكى الربيعُ قميصَـه - ... الـزهـريَّ وافتَقَــد النَّدى أعشـابَهُ

ذاكَ الإهــابُ الغضُّ تحت ثيــابكـم ... بــالأمس كــان إهــابَــه وثـيــابَــهُ

تـتعـجّبــونَ لـضَعـفــهِ ولَــوَ انكـم ... فـيــهِ لكُـنـتــم جُـنـدَهُ وحِــرابَــهُ

تـشكــون فــاقَـتَــه وكنـتـم كـنــزَهُ ... أغــنى بـكــم وبـنــسلِكــم نَهَّابَــهُ

عِبتُـم جَهَــالَـتَــهُ ولــولا بُعــدكـم ... عـنــهُ لمــا فَقَــد المـحبُّ صـوابَــهُ

سَلَبَت مَهــاجـرُكـم غَــداةَ رحيلكم ... عـنــه حجــاهُ وعــزمَــه وشـبــابَــهُ

عــذَّبـتمــوهُ وحَـسبُــهُ مـن بــرِّكـم ... ألاَّ تــزيــدوا بــالمــلام عَــذابَــهُ

من عــابَ أمـراً في يــديـهِ صــلاحُـه ... فـفسـادُهُ عـيـبٌ عــلى مـن عــابَـهُ

وأشــدُّ مــا يلقى من النُّـوَبِ الـفتى ... وعظُ الــذي بــنـبــاهــنَّ أصــابَــهُ

(*) أنشدها في مدينة «لونغفيو Longview» وترجمتها «المطلة» وقد أطلق عليها مع أصحابه هذا الاسم لكثرة القرى المسماة به في الوطن بتاريخ ٧ نيسان سنة ١٩٥٤، في حفلة الوداع التي أقامها له رهط من أخوانه أدباء المهجر الشمالي قبيل عودته إلى البرازيل، مهيباً بمواطنيه المغتربين للعودة إلى بلادهم. راداً ما يشكون من ضعفها وفقرها وتأخرها إلى بعدهم عنها وحرمانها من همتهم وذكائهم ونشاطهم، ومنوهاً بأسماء الشعراء الذين كرموه بقصائدهم: إيليا أبو اضي. الدكتور سليمان داود. قيصر وحيد. نعمه الحاج. الدكتور أحمد زكي أبو شادي. وبمحاسن بعض المدن التي زارها في ولاية «تكسس» وجوارها ومحاكاتها وادي «الوطا» مكان بيته في قريته بلبنان.

ليتَ الأحبّةَ عندَ إزماعِ النوى ... للغرب أغلقَ دونهم أبوابَهُ
أوَ ليتَ برَّ الشام أدركَ أنَّ في ... سفَر الزنودِ العامراتِ خَرابَهُ
أو ليتَ دنيا الناس بعدَ أن ارتَوتْ ... من خمرهِ ما حطّمَت أكوابَهُ
أو لم تُبحْ لبناتِ آوى كرمَهُ ... ينثرنَ فوقَ صعيدهِ أعنابَهُ
فارثوه بالعبرات يا شعراءَهُ ... وصِفوه للأجيالِ يا كُتّابَهُ
وابكوا فتاهُ فليسَ إلا قطعةً ... من قلبهِ قد نَابها ما نابَهُ
أنا كالحِمى قد هدَّمت أعصابيَ الغِيَرُ - التي قد هدّمت أعصابَهُ
ليس الذي يرمى الأحبّةَ كالذي ... لو صابَ من عاداهُ سهمٌ صابَهُ
أدمت محاجره الشجونُ ورافقَت ... غصصُ الوَداع ذَهابَهُ وإيابَهُ
ما إنْ يشاهدْ ساعةً أصحابَه ... حتّى يفارقَ للمدى أصحابَهُ
يا مَن هُم في كلِّ مَحمدةٍ يدٌ ... فيها الثوابُ لمن أضاعَ ثوابَهُ
أوليتموني من جميل صنيعكم ... شرفاً رفعتُ على السِّماك قِبَابَهُ
شكراً لكم في الحُبِّ كلَّ عبارةٍ ... جَمعت من الأدب الرفيع لُبابَهُ
شكراً لكل أخ أتاني نَفلُهُ ... وأخٍ أرقَّ خطابَه وجوابَهُ
وأخٍ كأنَّ الفجرَ يفتحُ قلبه ... وذراعَه ليَ وهو يفتحُ بابَهُ
في مطرحٍ رغمَ اختلافِ لِسانِه ... أغنى بسحر بيانكم آدابَهُ
شدتُمْ به للشعرِ هيكلَ حكمةٍ ... هوت النجومُ وقبّلت أعتابَهُ
لما وصلْتُ إلى منابع نفطهِ ... وسمعتُ وحشَ المال يحرقُ نابَهُ
لم أدرِ كيف الوحيُ يهبطُ أرضَه ... أو كيف يخرِقُ غازَهُ وضبابَهُ
أم كيف «إيليا» اعتلى كسَميِّهِ ... فيه مطيّتَه وحثَّ ركابَهُ[1]
أم كيف «داودٌ» تلا مزموره ... سَحَراً وأنطقَ عودَه ورَبَابَهُ
أم كيف غنّى «الحاج» من «خضرائه» ... والعمُّ «قيصرُ» من «تُلارَ» أجابَهُ
وشكا «أبو شادي» جَواه فردَّدت ... أرجاءُ مِصرَ حنينه وعتابَهُ
حتى انجلى سرُّ الجمال لناظري ... لّما «بالباسو» أماط نقابَهُ
فهبطتُ في أودائها وادي «الوطا» ... وصعِدت من تلك الهضاب هضابَهُ

---

(١) إيليا النبي الذي صعد إلى السماء في مركبة نارية حسب رواية التوراة.

ولمحت في طـور «المطلّة» شمسه ... وضممت نجمتـه وبثّت شهابـهُ
ووطئتُ رملته «بليـك تشرلس» ... عند البحيرة فـاذّكـرتُ غبابـهُ
وسمعتُ من «لـوسنجـل» أطيـارَه ... ونشقتُ من جنّاتها أطيابَـهُ
وعـرفتُ «لؤلؤةَ الخليـج» وأهلَها ... فقـرأتُ عنوان الوفا وكتابـهُ[1]
وعلمـتُ أن الحسنَ غيرُ مُقيَّد ... ومواطنَ الدنيا به تتشابـهُ
إلا مكانـاً في الوجـود حبَبْتُـهُ ... قبلَ الوجـودِ وإن سلا أحبابَـهُ
بَلَدٌ شأى بجمالـه نظراءَهُ ... وشأى فتاهُ بحبه أترابـهُ[2]
هـو موطـني وأُقِرُّ أني مثلُهُ ... فيَّ التعصُّبُ ضاربٌ أطنابَـهُ.
أتكلّفُ البغضَ الذميمَ لأجله ... حتى ينالَ من العدى آرابـهُ
حتى يوفّيَـهُ الغريمُ حقوقَه ... (ويسدِّدَ) الباغي عليه حسابَـهُ

* * *

يا من على يده جماعُ الخير خُذ ... بيد الغريب ولا تضع أتعابَـهُ
وأثِرْ عواطفَـهُ وحنِّنْ قلبَه ... كي لا يُطيلَ عن الربوع غيابَـهُ
حتى يقبِّلَ كلُّ من هجَرَ الحمى ... قبلَ الرجوعِ إلى الترابِ ترابَـهُ

٥٨ - العمر مرحلة(*)

[من الكامل]

العمرُ مرحلة التَّنقّلِ والفتى ... أبدا يدور كما يدورُ الكوكبُ
تصِلُ الحياةُ بدايةً بنهايـة ... كالشمسِ تشرُق حيثما هي تَغرُبُ

---

(١) لؤلؤة الخليج لقب لمدينة هيوستن.
(٢) شأى يعني سبق.
(*) القطعة رقم ١٠٣ من مجموعة «موجات قصيرة».

٥٩ ـ الاسبانية(*)

[من الكامل]

يا ربَّ رفقاً بي وخلِّ شبابي ... وارحمْ قلوبَ أحبّتي وصحابي
أنعِمْ عليَّ من السماءِ بنجدةٍ ... ركني ضعيفٌ والعدوُّ ببابي
جيشُ الوباءِ على البريةِ زاحفٌ ... زحفَ الجرادِ يُلِمُّ بالأعشابِ
جيشٌ ترابُ الأرضِ عند عديده ... صِفرٌ كجيشِ الأرضِ عند ترابِ
مليونُ أسطولٍ يسير بقطرةٍ ... منه ولَكُّ كتيبةٍ بكتابِ(١)
يحتلُ حِصنَ الصدر ليس يصده ... عزُّ الحجابِ وصولةُ الحجّابِ
متغلغلاً طيَّ الضلوع ولم يكن ... إلا عن الأرواحِ بالنَّقّابِ
يغدو الصحيحُ به عليلاً مُدْنَفاً ... ما بينَ ردِّ تحيةٍ وجوابِ
أين المفرُّ وتلكَ مكروباتُه ... وكأنها الحيّاتُ تحتَ ثيابي
إن صمتُ مِتُّ وإن أكلت فإنها ... منبثّةٌ في مأكلي وشرابي
سُحْقاً «لأسبانية» شيطانةٍ ... جلبت عُبابَ الموت فوق عُبابِ
جاءَت مدلّلةً وقد فرشوا لها ... عند الركوبِ جوانحَ الرُكّابَ
ولقد عَففتُ وما هتكت حجابها ... فتبذَّلت وأتت لهتكِ حجابي
أوصدتُ بابي دونها فاستضحكت ... مني وجازت من خَصاصِ البابِ(٢)
في ساعة البلوى ضرعت إليك يا ... ملك الملوك وسيدَ الأربابِ
إن كان أهلي في الحياة فنجّني ... إني أتوق لرؤية الأحبابِ(٣)
أوْ لا فلستُ بآسفٍ أن ينقضي ... عمرٌ إذا ما طال طال عذابي

(*) الحمى التي اجتاحت العالم إبان الحرب الأولى.
(١) اللك: اسم عدد ـ عشرة ملايين.
(٢) خصاص الباب: ثقبه
(٣) نظمها والمواصلات بين الشرق والغرب مقطوعة إبان الحرب العالمية الأولى.

٦٠ - فليفــرحوا(*)

[من الكامل]

هــل بــينهــا عــلم عــليــه أرزة؟ ... قــل لي وإلاَّ خــلّني وعــذابي

فَلْيَفْــرحــوا وَلْيَضْـحكـوا وَلْـيبشِروا ... وَلأَبْــقَ مــنــزويــاً وراء الــبــاب

الضحــكُ في وجـه الحــزين زيــادة ... في حــزنــه وأنــا كــفــاني مــا بي

٦١ - يا أيّها الجيل(**)

[من الكامل]

يـا أيُّها الجيــل الــذي عــاصرتــه ... كـم مـن أديـبٍ فيـك غـيرِ أديـبِ

كُــلٌّ يَــعــيــبُ أخــاه لي ولــطالمــا ... عَـمَـرَتْ مجـالسُهم بِـعَـدٍّ عيـوبي

ولــو اسـتـطاعــوا أن يُحبّـوا بعضهم ... بَـعْضـاً لـكنـت لهم أحـبَّ حبيـبِ

٦٢ - جئنـــاكِ(***)

[من الكامل]

جئنـــاكِ مـن خَـصِـبٍ إلى خَـصِـبِ ... نُقــري «اللُجـينَ» تحيــةَ الـذهبِ(١)

يــا مهـدَ «سمّــرتــينَ» يــا وطن الــ ... ـلآســادِ والأقـمــارِ والـشُّـهُـبِ(٢)

مــن كــل مـغــوار فُــروسَــتُــهُ ... جـعلت خيــولَ عــداه من قـصـبِ

(*) خرج في عيد استقلال «البرازيل» فنظر إلى الأعلام تخفق على النوافذ والشرفات، ولقي موكب العيد وجماعات من مواطنيه يسيرون مع المحتفلين، فعاد مريض النفس، وقال.

(**) القطعة رقم ١٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

(***) أنشدها في حفلة إكرامية أحياها له رهط من كبار أدباء الأرجنتين سنة ١٩٤١ إثر ترجمة قصيدته «حضن الأم» إلى الأسبانية.

(١) اللجين: الفضة وبها يسمى النهر العظيم «لابلاتا» الذي يخترق الأرجنتين، ولـذلك سميت الجمهورية الفضية. وفي تحية الذهب إشارة إلى البرازيل المشهورة بهذا المعدن.

(٢) «سمرتين» هو محرر الأرجنتين وغيرها من الأقطار الأميركية المجاورة وتمثاله منصوب في أكثر ساحات البلاد.

وغـريـرةٍ طَبـعَ الصبـاحُ عـلى ... وَجَـنـاتهـا قُبـلاً مـن الـلّهـبِ
ويـراعـةٍ رقَصَ الـبـيـانُ لهـا ... فـكـأنّها صـنّـاجـةُ الـطرَبِ
من عـصبـةِ الأدب الـتي رفـعـت ... عَـلَم الهـدايـةِ أشرف العُـصَبِ
سِردابُ «تُـرتُـوني» أعـزُّ بهـم ... من كـلِّ صرحٍ شـامخِ القُببِ[3]
إيـوانُ «كِسرى» دون حُـجـرتـهِ ... والعـرشُ دون المقـعـد الخشَـبِ
لـو شـاءَ «كِـنـكـيـلا» لـزيّنَـهُ ... بـالقبـة الـزرقـاء والشُّهـبِ[4]
وأرانيَ الـوطَـنَ الـعـزيـزَ بـه ... حـتى كـأنيَ عـنـهُ لم أغِـبِ
وأفـاضَ مـن جـدرانـه «بـردى» ... حـتى لـشـمّـرْنـا عـن الـرُّكَـبِ
حـفَّـت بـه الجـنّـاتُ مـثـقـلَةً ... بـالخـوخ والـتفّـاحِ والـعِـنَـبِ
وتـشـاغـتِ الأغـنـامُ واردةً ... منـه نِـطافَ الـكـوثـرِ الـعـذبِ
الـبحـرُ يـكـرَعُـهـا مُحَـبـحَـبـةً ... والأرز يـرضِعُـهـا من الـسُّحُـبِ
وهـنـاك فـوق الـتّـلِ جـاثـيـةٌ ... حـرَّى الـضـلوع بـليـلةَ الهـدُبِ
تـرنـو وراءَ الـلجِ لاهـفـةً ... وتـغـيـب في لُجـجٍ من الـكُـرَبِ
«بـربـارتي» ـ مغنـاي ـ مُـرتـبعي ... فـردوسُ أحـلامـي فـتىً وصَـبـي
كـلُّ الـقـرى آبـت أحـبّـتُـهـا ... وحـبـيـبُـهـا الـقَـرَويُّ لم يَـؤبِ
أتُـرى أعـودُ إلى شـواطئـهـا ... وأنـالُ مـن «وادي الـوطـا» أربي
عـودَ «الأمـين» إلى «فُـرَيـكَـتِـه» ... أو عـودَ «جـبرانٍ» إلى الـتُّـرَبِ

* * *

يـا مـنـكـراً أدبي هُـديـتَ ألا ... أنـا مـن صميـمِ عـشيـرةِ الأدبِ
مـن دولـةِ الـفـن الـتي عُـصـمَـت ... وتـنـزهـت عـن مُـدَّعٍ وغـبـي
مـن أُسـرةِ الـنـورِ الـتي تـركـت ... لـيـلَ الـغـرور ممـزقَ الحـجُـبِ
الـفجـرُ أُختي والـصبـاحُ أخـي ... والـشـمسُ أمـي والـنهـارُ أبي
مـا عـابـني وأنـا الخـضـمُّ إذا ... شـمخَـت عـليَّ معـاطسُ الهِـضَـبِ

---

(٣) «ترتوني»: اسم مقهى في «بوينس ايرس» له قبو يرتاده أدباؤه للسمر والمساجلة كل ليلة.
(٤) «كنكيلا مارتين»: أشهر رسام أرجنتيني يفاخر بانتسابه إلى العرب مفاخرة أحرار العرب أنفسهم.

كم تلةٍ جرداءَ عارية ... إلا من الأشواك والحطب
كللتُها باللؤلؤ الرَّطِبِ ... وكسوتُها بالزَّهرِ والعُشُب

* * *

يا سادةً نلنا بهم شرَفاً ... يبقى على الأجيالِ والحِقبِ
لم تكرموا غير القريب، ومن ... أدنى من الإسبان للعرب؟!
إنّا بنو الأخوالِ تربطُنا ... منذ القديمِ أواصرُ النسب
نسبٍ على الدنيا نتيهُ به ... عُجباً على عُجْبٍ على عُجُبِ
أوَ يستحي بأبيهِ مَنْ دمُه ... دمُ شاعرٍ وخليفةٍ ونبي
لا تنكِروا عجزي وقلبيَ في ... نارَينِ من حزنٍ ومن غضَبِ
أنّى يُجيدُ الشعرَ مضطربٌ ... أوطانُهُ نَهْبٌ لمنتَهِبِ
فَلَوَ آنّ «سمَرتينَ» يَسمعُني ... وثبَ الحِصانُ به عن النّصبِ
وأغارَ صوبَ البحر مصطَرخاً ... لبيكَ جاء أخوك يا عربي

* * *

٦٣ - العبقري

[من الكامل]

العبقَريُّ يعافُ شهرتَه ... فتجيئهُ عفواً بلا تعبِ
والمدَّعي يُمسي ويصبحُ من ... دعواهُ في همٍّ وفي نصَبِ
يبني قصوراً لا أساس لها ... إلاَّ مَهيلُ دماغِهِ الخَرِبِ
يغشى المحافلَ للظهور ولو ... قرأ الصدورَ لجدَّ في الهَرَبِ

٦٤ - يا صاحباً(*)

[من مجزوء الكامل]

يا صاحباً هجر الديارَ - ولم يودِّعْ من أَحَبْ
خلَّفت فينا حسرةً لنواكَ قاذفةَ اللهَبْ
كم سهرة أدبيةٍ أسمعتَني فيها العجَبْ
ولكم جلستُ إليكَ - كالتلميذِ أُصْغي عن كثَبْ
حتى سكرتُ بلا مُدام - واستَخفَّنيَ الطربْ
ذهنٌ عجيبٌ قد حوى أخبارَ أيامِ العَربْ
ووعى فنونَ الشعرِ والحكَمِ البليغةِ والخُطَبْ
يُغني جليسك عن مراجعةِ الدفاترِ والكتُبْ
تبّاً لهذا الدهرِ كم يُعلي ويُسفلُ مِنْ رُتَبْ
كم خاملٍ لولا التجارةُ كان أنبهَ مَنْ كتَبْ
ومضيَّعٍ بين البضاعةِ وهو نابغةُ الأدَبْ
كأخيك عيسى كنت للتاريخ لو لم تغترِبْ
وارحمتا للنازحينَ عن الشآمِ بلا سبَبْ
ذهب الزمانُ بهم وهم يتهافتونَ على الذهَبْ
ولَو انهمْ في أرضِهم كدَحوا لفازوا بالأرَبْ
ولأحرزوا أضعافَ هذا الوفرِ مع نصفِ التعَبْ
ولعمّروا أوطانَهم من بعد أن أمست خِرَبْ

* * *

يا من يجاورُ في المجرَّة كوكباً عنّا احتجَبْ
فوزي فتى الشعر الذي ما قاله إلا خلَبْ
يهنيك بعد جوارهِ نسبٌ يضافُ إلى نَسَبْ

(*) في مأتم جرجس اسكندر المعلوف، سنة ١٩٣٠

٦٥ - العندليب(*)

[من مجزوء الكامل]

أرياضُ يا زينَ الشبابِ الحُرّ يا ابن أخي الحبيبا
ان لم أكُ العمّ القريب اكنْ لك العمَّ الأديبا
سلْ عن قرابتنا أباك الشاعر الفحلَ النجيبا
حسْبُ العروبة بيننا نسَباً يشرّفني نسيبا
إني لأدعو أن تجوز مدى المشيبِ ولا تشيبا
عُمرٌ قشيبٌ كلَّ يومٍ لابسٌ فرحاً قشيبا
و«نهاد» فرقدك المخلَّدُ لن يغيب ولن تغيبا
سبحان من سوّاكما وأتمَّ بينكما النصيبا
جمع الربيعَ إلى الربيعِ أزاهراً وندًى وطيبا
واخيبتي إن لم أقم في يوم عرسكما خطيبا
أتكون روضاً للطيور ولا أكون العندليبا

٦٦ - أبغضت أعدائي(**)

[من مجزوء الكامل]

أبغضتُ أعدائي فلم أتْعِبْ ببغضِي غيرَ قلبي
وحببتُهم فأرحته وربحتُهم وسررت ربّي
حبّي لنفسي عائد لا فضل لي أبدا بحبّي

(*) نظمها وألقاها مساء الاحتفال بخطبة صديقه رياض حلاق ونهاد اسطمبولي في «جونيه» سنة ١٩٦٦

(**) القطعة رقم ٩٤ من مجموعة «موجات قصيرة».

٦٧ - بعض القلـوب(*)

[من المتقارب]

تـعجبتُ من غـدراتِ الـصـديق ... وأعــجب مــن ذاك أن أتـعــجبْ
وبعضُ القلوب كـطقس الـبرازيـلِ ... - في كــل ثــانــيـة يـتــقـلّبْ
يسيءُ إلـيـك ويـغـضـبُ مـنـك ... وكــم من صـديق يسيءُ ويغضـبْ

* * *

وكــم مــن دنيءٍ كـأنيَ نـجـمٌ ... أظَـل بمـرصـده الـدهـرَ أرقـبْ
ومــن ثـعـلبٍ ظـلَّ حـولي يـدور ... فـقلت لـه اذهـب فـإنـك ثـعلبْ
إذا كـنـت خِـلّي فـخـلِّ الـريـاءَ ... وأنــت قـريـبٌ فـلِمْ تـتـقـرَّبْ

* * *

٦٨ - ليصمت بتشرين(**)

[من المتقارب]

أحيِّـيـك بـاسم فحـول الـعـربْ ... وكــلِّ أديـب صـحـيـح الأدبْ(١)
عـريـقِ الإبـاء عـريـق الـوفـاء ... عـريـقِ الجهـاد عـريـق الـنـسبْ
مـقيمٍ عــلى عهـد أهــل الحـمى ... يشرِّق في حـبـه مـا اغـتـربْ
إذا ضـنَّ بـالفـلس أهــلُ الـيـسـار ... فـقـد وهبَ الـعـمـرَ في مـا وهـبْ
وإن تــاه غــرٌّ بـأوراقـه ... هـديـنـاه بـالـنـار ذات الـلهبْ
تــذيبُ الحـديـدَ عـلى الـلابـسـينَ ... وتُحـرقُ كـالشمـع عجـلَ الـذهبْ
صـبرنـا طـويـلاً ولـولا الغُـرورُ ... لمـا احتـكَّ بـالجمـر هـذا الحـطبْ

(*) الريو دي جنيرو سنة ١٩١٤

(**) وجدناها بين أوراقه بعنوان «ليحيي العرب» غير أنّه شطب على العنوان.

(١) يعني بطل العروبة جبران تويني عند مروره بثغر «سنطس» في طريقه إلى «الأرجنتين» وزيـراً مفوضاً للجمهورية اللبنانية. وقد كتم المسؤولون خبره عن أحرار الجالية ففاتهم واجب موافاته والترحيب به

ولكنهنَّ الليالي البغايا ... يلدنَ لنا كلَّ يوم عجبْ
ليصمُتْ بتشرينَ من طالما ... بأيلول في كل نادٍ خطبْ[1]
فقد ملَّ لبنانُ هذا النفاقَ ... وهذا الصغارَ وهذا الكذبْ
وحبَّ الظهور ونفخَ الصدور ... وحرق البَخور وهزَّ الذنبْ

* * *

تحيِّي العروبةُ فيك فتاها ... وحسبُك هذا العلى والحسبْ
فلا زلتَ «جبرانَها» في العِثار ... ولا زلت «غسّانها» ابناً وأبْ
نصبتَ على الأرز أعلامَها ... فأعليتَ قدر الحمى والنُّصُبْ
وأكسبتَ لبنانَ حُبَّ الأخوَّة ... - والحب أثمنُ ما يُكتسبْ
ومَن حَبَّ لبنانَ حَبَّ الشآمَ ... وحَبَّ العراق وحَبَّ.. وحَبّ.
وما المرءُ إلا بإخوانِه ... إذا الكَونُ بالحادثات اضطربْ
وما الأرزُ إلا بأعلامه ... ذوي الرأي مثلِكَ لا بالخشبْ
لقد كان بالأمس عبدَ الغريب ... فلم يُغنِه أنّهُ أرزُ ربّ!
كفانا من الغرب ما نالنا ... وحسبُ تعصُّبِنا ما جلبْ
لنا مجد صور وغرناطة ... إذا الغربُ يومَ الفَخار انتسبْ
وأعظم من ذا وذا طارفٌ ... لنا من شدوق العلى مغتصَبْ
تصيدُ الأسودُ سباعَ الفلاة ... إذا ما الضباعُ نبشنَ التُّرَبْ!

* * *

لِتَحْيَ جميعُ البلادِ التي ... تَمُتُّ إليها بأقوى سَببْ
وقبلَ الجميع، وبعدَ الجميعِ ... وفوق الجميع، لِيَحْيَ العرَبْ

---

(١) تشرين شهر استقلال لبنان الحقيقي سنة ١٩٤٣ وأيلول عيد استقلاله. على عهد الانتداب.

٦٩ ـ العود إلى لبنان

[من المتقارب]

أيـا مَـن نـصيبـك كـان المعـادَ نـصيبـك والله أشـهـى نـصـيبْ
هـنيئـاً وإن كـنت لـست غـنيـاً فـحسبُـك أنـك لـسـت غـريبْ
وإن كـنت لـست تـلاقـي الحبيبَ ألَـستَ تـلاقي تـرابَ الحبيبْ؟!

٧٠ ـ إلامَ(*)

[من المتقارب]

إلامَ عِـيـافُـكَ أن تشربـا كـأنَّ دنـانَـك لـن تـنـضـبـا[١]
نبـذتَ العنـاقيـدَ حتى استبـدَّت ريـاحُ الخـريـفِ بـكـرم الـصـبـا
وهـذي بـقـايـاه فـاقـنـع بها وكـم حـوَتِ الأنـضـجَ الأطـيـبَـا
أكُـفُّ الحـوادثِ مُـدَّت إلـيـك وأهـونهنَّ الـقـنـا والـظُّـبـى[٢]
فـقـد تُجـتـنَى قـبـل أن تجـتـني وتُـنـهَـبُ مـن قـبـلِ أن تَـنـهـبـا
ألَـستَ بـصنبـولَ ذاتِ الشـوارع ـ فـيـهـا الـوهـادُ وفـيـهـاالـربى
وفـيـهـا الـزِحـامُ زِحـامُ الـنشـور فـأيـن الجـرادُ وأيـن الـدَّبى[٣]
يـلاحـظك المـوت أنّى اتَّجـهـت فـلا تـطـمـعـنَّ بـأن تهـرُبـا
يـصيـب القـضـاءُ الـرميّـةَ أعـمى فـكـيـف وعـيـنـاه مـن كـهـربـا
يسمُّـونـه «الأوطُمُـوبيـل» جهـلاً ولـو أنـصـفـوه دَعَـوْهُ الـوبـا
ومـا الـداءُ منتشـراً في البسيـطة مـن «فُـرْدَ» أنـكـى ولا أنـكـبـا
يـفـاجـئ لـيس لـه نـبـأةٌ وتَـسـمَـعُ لـلمـوتِ عـنـه نـبـا

(*) دهمته سيارة «في صنبول» فصدعت رجله.
(١) عيافك: تركك. دنان: جمع دن وهو وعاء الشراب. تنضب: تنفد.
(٢) الظبى: جمع ظبة وهي حدّ السيف وما أشبهه.
(٣) الدّبى: النحل.

٧١ - أخمراً(*)

[من المتقارب]

أخمراً أرى أم قلوباً مُذابَهْ | تهلّلن من كل جفن سحابهْ
جلَتهنَ أيدي الصِبا في الكؤوسِ | وطافت بهنَّ جواري الصبابهْ
تجنبتُ إلاَّ كؤوسَ الغرام | وعفتُ من الخمر إلا شرابَهْ
ولم أرضَ غيرَ الحبيب نديماً | يديرُ سلافته المستطابهْ
إذا شعشعَ العاشقونَ المُدامَ | مزجتُ بماءِ الجفونِ رُضَابهْ
كرعتُ دِنانَ الهوى الطافحات | وها أنا اشتفُّ منها الصُبابهْ(١)
وذلّلتُ تيّارَه حين كانت | تحاذرُ أهلُ الغرامِ سرَابهْ
وما زلتُ أمخَرُ فيه إلى أن | علا زبدُ الموجِ رأسي فشابهْ(٢)
رويداً رويداً نسورَ الخيالِ | فقشعَمُكم بات خلف العصابهْ(٣)
عجبتُ لإقدامكم في الزَّواج | ومن لا يهاب المنيةَ هابهْ
ألا تتّقونَ غداً أن يُقالَ | نبيُّ الهوى سبقتهُ الصَّحابهْ

٧٢ - عَمّ الجمال(**)

[من المجتث]

عَمَّ الجمالُ فَقَلِّبْ | عينيك في الكونِ واكتبْ
كُلُّ الطبيعة شعرٌ | لأنّها كلُّها حُبّ

(*) في خطبة صديقه الشاعر حسني غراب في ١٧ - ١٢ - ١٩٣٢ وقد ارتجل بعد القصيدة أبياتاً من السريع على روي الصاد الساكنة (تراجع في مكانها).

(١) الصُّبابة: البقية القليلة من الماء ونحوه.

(٢) شابه: خالطه، ويقصد بزبد الموج الشيب.

(٣) القشعم: النسر المسن.

(**) القطعة رقم ٤٥ من مجموعة «موجات قصيرة».

٧٣ ـ تسلحوا

[من المجتث]

تَسلَّحوا واستعدُّوا   للدهرِ سِلْماً وحرْبا
فالليث ظُفرٌ ونابٌ   لولاهما كان كلبا

٧٤ ـ وأنتِ يا مصر

[من المجتث]

كم ألفِ صبٍّ وصبٍّ   مدلَّهين بحبي
أنا العروبةُ أمّ ـ   الرسولِ والمتنبي
بحبلِ ديني وعلمي   وصلتُ شرقاً بغربِ
وقد ربحتُ بحبّي   أضعاف ربحي بحربي
سيانِ أرضي وعرضي   للطامعين بسلبي
فكل حبةِ رملٍ   تُغذى بحبة قلبِ
يمشي معي العزُّ أنّى   مشيتُ جنباً لجنبِ
لا أعرفُ الذلَّ إلا   عند السجودِ لربي
وأنتِ يا مصرُ ماذا   يا خير أرضٍ وشعبِ

٧٥ ـ يا لك شعراً(*)

[من المنسرح]

يا لكَ شعراً في الحسنِ منفرداً   فرحاتُ فوقَ السُهَى به وثبا
لو نقشوهُ بالحبرِ في جبلٍ   عادلَ أضعافَ وزنهِ ذهبا
يُنسي النواسيَّ لو تنسّمَهُ   أطيبَ ما في حياتهِ شرِبا

(*) أعجبته بائية فرحات في الأمير عادل أرسلان فارتجل على الوزن والقافية.

ولـو رأى أحـمـدٌ بـلاغَـتـه لأطـعـم الـنـار جُـلَّ مـا كتبـا[1]
لا تـطلبـوا بـعـد سحـره عـجبـاً أبـطلَ فـرحـاتُ بـعـده العـجبـا

٧٦ ـ نطلب أمراً (*)

[من المنسرح]

نـطلبُ أمـراً يـزيـدنـا تـعـبـا لم نَـكُ لـولا الـطمـوحُ نـطلبُـهُ
لـيس لأنّ الطمـوحَ يـسـعـدنـا لـكنْ لأنّ الحـيـاةَ تـوجـبُـهُ

٧٧ ـ قل لأديب شكا (**)

[من المنسرح]

قـل لأديـب شـكـا خـصـاصَتَـه شـكـواك كفـرٌ بـنعـمـة الأَدَبِ[2]
أعجـز «رُطْشِـلْدَ» مـا زهـدت بـه لـو كـان يُشرى النبـوغُ بـالـذهبِ
أي حـكـيـم يَـوَدُّ لـو بَـذَلـوا حظ غـبـيٍّ لـه بِـحَظِّ نـبـي!

٧٨ ـ بنات الغرب (***)

[من الهزج]

بـنـاتِ الـغـرب قـلبـي عـنـد ـ أقـدام ابـنـةِ الـعُـربِ
فـلا تـطـمـعـنَ في حُـلُـم مـن الـقـرويِّ بـالحـبِّ
ولا تـأمـلنَ إغـرائـي فـلن تـفـلحـنَ في جـذبي

---

(١) أحمد: أي المتنبي.
(*) القطعة رقم ٤٤ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) القطعة رقم ٢٠ من مجموعة «موجات قصيرة».
(٢) الخصاصة: الفقر والحاجة وسوء الحال.
(***) إثر القائه قصيدة في مسرح سرفتس، حامت عليه معجبات «عصريات» ضيقت أنفاسه بدخان سكايرهن.

نـفـورٌ فِيَّ مـنـكـنَّ غـريـبٌ يـا ابـنـةَ الـغَـرْب!
فـسـبـحـانَ الـذي شـاء فـأنـاكـنَّ عـن قـلـبـي!

٧٩ - بين الصداقة والحب(*)

[من الوافر]

وفـاتـنـةٍ كـأنَّ اللَّهَ لمـا حباها الحسنَ ما راعى الحسابا
بـرازيـليّـةٍ وطـنـاً ولـكـن إلى الأعرابِ تنتسبُ انتسابا
كـأن الـوردَ خـضَّـب وجنتيها وغـيرَ الحسنِ لم تعـرفْ خضابا
لها لحظٌ سألتُ عن المنايا ولاحظني فلم أطلبْ جوابا
يصيبُ إذا يَرى ويُرى سَواءً فلا حرجٌ عليه إذا أصابا
وشَعْرٌ لامعٌ لم أدرِ منه أليلاً قد أرتني أم شهابا
وصوتٌ يسكرُ الألبابَ فاعجب لمن شربوا بأسماعٍ شَرابا
إذا ماجت رخامتُه علينا مع الأنْفاسِ تغمُرنا مَلابا(١)
فنغرقُ منه في بحرٍ لذيذ من النغماتِ يضطرب اضطرابا
فكالقيثارِ إن غنّت قَراراً وكالمزمار إن غنّت جوابا
ليالٍ أربعٌ مرَّت علينا نهبناها من الدهر انتهابا
أرتني من محاسنها عجيباً ومن أدبي رأت عجباً عُجابا
فقد أسمعتُها سحراً حلالاً وقد أرشفتها شهداً مذابا
بشادٍ من رياض الشام يغدو له شحرور «صنبول» غرابا(٢)
يساعفني فأستهوي الغواني وأسعفه فيستهوي الربابا
تدب أناملي طوراً عليه دبيباً ثم تنساب انسيابا
فلو سَمِعَته في المحرابِ بِكرٌ محجّبةٌ لمزقتِ الحجابا
كأن القومَ حولَ العود أسرى إلى الأوتار قد شدُّوا الرقابا

(*) في إحدى جولاته التجارية في ولاية (بارانا) سنة ١٩١٩

(١) عطرا.

(٢) يعني بالشادي عوده المصنوع في دمشق.

فإن أنشدْ فما في الدار حسٌّ ... كأن الدارَ قد أمست خرابا
وإن أصمت أفاقوا من ذهولٍ ... كمن قد كان في سفرٍ وآبا
وشِعْرٍ مثلِ حَبِّ المنِّ لفظاً ... ترقرقَ تحته المعنى فذابا
كأنَّ حروفَه أقداحُ خمرٍ ... من الحركات قد كُسِيتْ حبابا
صلَيْتُ بذينك الفَنَّيْنِ قلباً ... من «الفُصْفورِ» يلتهب التهابا!
وكيف يظل للأنثى فؤادٌ ... بحضرة شاعرٍ فتن الشبابا
سَبَيْتُ فؤادَها وسَبَتْ فؤادي ... ولكنْ ما سبَت إلا سرابا
فرأسي في الهوى قد شاب طفلاً ... وقلبي عن ذنوب الحبِّ تابا
فلما لم تجد مني هُياماً ... أضاعت في مراودتي الصوابا
وضِقتُ فكلما أوصدتُ باباً ... عليها أشرعت للحبِّ بابا
ولما أن دنا يوم النوى لم ... تُطِقْ صبراً فخطّت لي كتابا
ولفّته بمنديلٍ بديع ... تضمَّنَ لي دعاءً مستجابا
تقول: حماك ربي يا حبيبي ... بربك لا تُطلْ عنا غيابا
أخذت قلوبنا فاحرص عليها ... وعجِّلْ نحو بلدتنا الإيابا
ولا تنس التي وهبتك روحاً ... وما أبقت لها إلا ترابا
خلوتَ بغرفتي قَلِقاً حزيناً ... ودمْعُ العين ينسكب انسكابا
فقلبي للهوى يهوى انغلاباً ... وتأبى النفسُ للقلبِ انغلابا
فطمتُ عن الغرامِ القلبَ ستّاً ... لدن أزمعت عن وطني اغترابا
وقد تاق الخليُّ إلى حبيب ... يعاتبه فيستحلي العتابا
ولكنَّ الحبيبةَ ذاتُ بعل ... حَسَبْتُ لحقِّ صحبته حسابا
أباحَ ليَ الصداقةَ مطمئنًّا ... وعاطاني وداداً مستطابا
تبصَّرْ يا رشيد لها تبصر ... ولا تسلك سلوكاً مسترابا
إذا نادى الهوى والعقل يوماً ... فصوت العقل أولى أن يجابا
تناولتُ اليراعَ وفي فؤادي ... ضبابٌ فاضَ من عيني سَحابا
وحرّرتُ الجوابَ لها بشعر ... حكى نظماً ثناياها العِذابا
«فلانةُ» لا تلوميني فإني ... شبعت من الهوى خَلاًّ وصابا
وِصالُكِ جنّتي لكنّ نفسي ... تفضِّل في محبتكِ العذابا

فــإن شئتِ السعــادةَ فــاهجــريـني   وزيــديــني صـدوداً واجــتــنــابــا
لأقضي في الهــوى الـعــذريِّ وجــداً   ولستُ أخــونُ في الــودِّ الصحــابــا

٨٠ - إلهي

[من الوافر]

إلهـي مــنــكَ أنــتــظرُ الجــوابــا   فلستُ بــقــارعٍ لــســواكَ بــابــا
وقــفــت بــذِلّــةٍ فــيــه كــأني   أبيــعُ ببــاب ســوريٍّ كــتــابــا[1]
إلهـي مــن بــنــيــك إلــيــك أشــكــو   فقــد ألفــوا الــوقيعــةَ والــسِّبــابــا
فكم شحــذوا لخدشِ الفضــل ظُفــراً   وكم سنُّــوا لــنهشِ العــرض نــابــا
أكــلّفُ أن أرى مــنــهــم ضــلالاً   وويــلي إن أريــتُــهــمُ صــوابــا
فــامــا أن أبــيــتَ لهــم خــروفــاً   وإمّــا الــذئبَ مــلــتــقــيــاً ذئــابــا
إلهي قــد خــلــقــتَ مــعــي رفــيــقــاً   كــرهتُ لأجــل صحبتــهِ الصحــابــا
طــفــيــليٌّ ثــقــيــلٌ مــســتــبــدٌ   دنيءٌ طــالمــا عــبــدَ الــترابــا
كم استمــددتُ في الخلواتِ وحيــاً   فــوَلّــد من سكينتهــا اضــطرابــا
وكــم أوشــكــتُ أن ألــقــاك يــومــاً   فــألــقــى دون بــاصرتي حــجــابــا
وســاوسُ في أذيــن الــقــلــبِ ظــنّــت   وفي أنــحــائِــه انــتشرت ضــبــابــا
إذا قــلــت الــطهــارةَ يــا رشــيــداً   يــقــول لي المــلــذةَ والــشــبــابــا
فــإمّــا امنحْــهُ يــا مــولاي هَــديــاً   لــيحــتــرمَ الشــريــعــة والــكــتــابــا
وإمــا أقــصِــني عــنــهُ فــإني   كــفــاني مــا حَمــلــتُ بــه عــذابــا

(١) كان معظم الأدباء يدورون على أبواب المحلات التجارية عارضين كتبهم للبيع.

٨١ ـ إذا احتدم الجدال(*)

[من الوافر]

إذا احتــدم الجدالُ فكن رزينـا ... وأجمـل في المنـاقشـة الخطابـا
فإن حملَ السفيـهُ عليك فـاجعَلْ ... تمنّـيَـهُ الجـواب لـه جـوابـا
ولا تـغضـبْ فكـم خصمٍ عنيـد ... خلقتَ من الهـدوء لـه اضطرابـا
وهَبْك ـ إذا غضبت ـ على صـواب ... فقـد ضيّعت بـالغضب الصـوابـا

٨٢ ـ كقلب الطفل(**)

[من الوافر]

إذا انـتَكـثَ الحبـالُ فحبـلُ ودّي ... شـديـدُ الفتـلِ يجتـذبُ القلوبـا
أعـدتُ بـه المـراسَ الصعبَ سهلاً ... وصيّـرتُ البـعيـدَ بـهِ قـريـبـا
ولي إن هـاجـتِ الأحـقـادُ قـلبٌ ... كقلبِ الـطفلِ يغتفـرُ الـذنـوبـا
كـأنَّ سـماءَ لبنـانٍ كَستـهُ المحـا ـ ... ـسنَ قبـلَ أن تـكسى العـيـوبـا
يُـطلُّ عليـكَ فـجـرُ الأرزِ منـهُ ... سنـاً ونـدىً وهينمـةً وطـيبـا(١)
أوَدُّ الخـيرَ لـلدنـيـا جمـيـعـاً ... وإن أكُ بـين أهـليـهـا غـريـبـا
إذا مـا نـعـمـةٌ حـصَلَت لـغـيري ... شَـكـرتُ كـأنَّ لي فيـهـا نصيـبـا
تـفيضُ جـوانـحي بـالحبِّ حتى ... أظُـنَّ النـاسَ كـلّهـمُ الحـبيـبـا
فـلولا أن حـبـاني الـلّهُ نـوراً ... غـريـبـاً يلمـحُ الـوهـمَ المُـريبـا
لـصـدَّقْتُ ابتسـامـةَ كـلِّ ذئـبٍ ... يـسُـنُّ لِيَ الأظـافـرَ والـنـيـوبـا

(*) القطعة رقم ٩٣ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) صنبول سنة ١٩٤٠
(١) الهينمة: الصوت الخفي.

٨٣ - أبا الأحرار(*)

[من الوافر]

أبا الأحرارِ شُقَّ لك الحجابُ ... وأشرعَ خلف باب القبر بابُ
خلصتَ من التراب إلى سماءٍ ... كأنَّ سماءَنا منها الترابُ
عرَجتَ بها فحيّتك الثريا ... وخرَّ مقبِّلاً يدَك الشهابُ
ولاشى نورُك الأنوارَ حتّى ... كأن شعاعَها الهادي ضبابُ
زهِدتَ بهذه الدنيا قديراً ... ولم يُطمعك بالأخرى ثوابُ
وعفْتَ الطيِّباتِ فصمتَ عنها ... لمن أكلوا الخبائثَ واستطابوا
وهب حاولت تجديدَ الخلايا ... كما زعموا فهل في الأمر عابُ؟(١)
وقفت على حماك العمرَ تبني ... إلى أن أدرك العمرَ الخرابُ
أهبتَ بشعبه ليعيشَ حُرّاً ... وقصّر دون غايتك الاهابُ
وقد شهدَت لك الفتيانُ شيخاً ... فكيف إذا يعودُ لك الشبابُ
أراك لدى سرير الحقِّ حراً ... جريئاً دارَ بينكما عتابُ
تناشده الجهاد فلا تُلبّى ... وتسأله الرجوع فلا تُجابُ
يقول لك استرحْ فتجيب أنّي ... ولي وطنٌ يُحيق به العذابُ
نعيمك أيها المولى جحيمٌ ... وأجرك أيها المولى عقابُ
أجنّاتٌ وفي لبنان ظلمٌ ... وأنهارٌ وفي الشام انتدابُ
أعدني للحمى وأعد يراعي ... فقد حنّت لزأرته الشبابُ
أنا السيفُ المجرَّدُ من قرابي ... أتهملني إذا بلي القرابُ

***

(*) في الحفلة التأبينية للدكتور سعادة سنة ١٩٣٤. وقد أرخ وفاته بأبيات رائية من الوافر (تراجع في مكانها).

(١) توفي الدكتور سعاده إثر صيام اختياري طويل.

أبا الأحرار ألهمني خطاباً فقومي لا يحركهم خطابُ
تحمَّسنا لنجعلَهم رجالاً فظلَّ العشبُ واحترق الثقابُ

* * *

لكم تحميك يا وطني لصوصٌ وكم ترعاك يا شعبي ذئابُ
أفِقْ أفما ترى الدنيا أفاقت وضجت حولك الأسدُ الغضابُ
لئن لم تصحُ مختاراً لَتَصحو بهزِ يدٍ أصابعها حِرابُ
ألا قل للذين طغَوا رويداً فللأيام والدولِ انقلابُ
سنقتلكم ونحييكم إلى أن يمزَّقَ عن عيونِكُمُ الحجابُ
وكم كفٍّ يطير بها صوابٌ وأُخرى يُستعادُ بها الصوابُ
غداة نروِّعُ الدنيا بجنٍّ على صهواتها شبّوا وشابوا
إذا هبّوا إلى الغارات غارت وهاداً تحت زحفِهمُ الهضابُ
وللتاريخ رُجعى ثم يطمو ويجتاز العُبابَ لنا عُبابُ
ويجرفكم من الصحراءِ سيل له في شاطىءِ «السين» اضطرابُ
ظننتم كل ما فيها سراباً سيشرب بحركم هذا السرابُ!
لقد طال الحسابُ وعن قريب يُصفَّى بالمهنّدَةِ الحسابُ

٨٤ - ألا هات اسقني نفطا(*)

[من الوافر]

أيدعوك الشبابُ ولا تجيبُ متى نَكِر الغصونَ العندليبُ
جنودَ الحق لبّيْكمْ فإني على العهد الذي قطع الأديبُ

(*) رغبت «الجامعة» في بيروت من شاعرنا الكبير «الشاعر القروي» إحياء أمسية شعرية لطلابها إثر حرب تشرين. فلبّى شاعرنا الكبير طلبهم، وأنشدهم هذه القصيدة يصور الواقع العربي الوحدوي المذهل الذي أسفرت عنه المعركة. ولعل في نشرها بمناسبة إعادة تلك الذكرى فألاً سعيداً، فيعيد التاريخ نفسه، وتتجدد تلك «الوحدة» - ولكن لتستمر هذه المرة. وإلى الأبد - إن شاء الله.

لأضْحكَ في رضاكم من مشيبي ... ويضحكَ راضياً مَعِيَ المشيبُ
وإنْ أفخرْ فما شيبي بشيبٍ ... ولكنْ يزهر الغصن الرطيبُ
أيسكتُ شاعرُ العربِ المجلّي ... ورمز الصمت في الدنيا خطيبُ
سلوا «بلْهولَ» ينبئكمْ عجيبا ... غريباً لا يضارعه غريبُ
جعلنا قلعةَ الطغيان دكّاً ... زعيقُ نسورهم فيها نعيبُ
جبال حديدهم رملٌ مهيلٌ ... وجيشُ حدودهم شمعٌ يذوبُ
فأوعر ما بنى «برليف» سهلٌ ... وأبعد ما تصوّره قريبُ
أتاهُ الخزيُ في يومٍ عصيبٍ ... تبارك ذلك اليومُ العصيبُ
أسِحرٌ ما جرى لا بل بُعِثنا ... وهذي الوحدةُ الكبرى تؤوبُ
وعهدُ شقاقنا المشؤوم ولّى ... فكل أخٍ لكلّ أخٍ حبيبُ
وما للسلم أو للحرب داعٍ ... دعا إلا استجاب المستجيبُ
أتزحفُ عبرَ سيناءَ الأفاعي ... وصقر قريشَ في مصرٍ رقيبُ
ويعوي الذئب في الجولان تيهاً ... وليس يزمجر «الأسد» الغضوبُ
وهل يغضي العراقُ على هوانٍ ... ورافع بنده «البكر» المهيبُ
وذكر «القادسية» و«المثنّى» ... تضجُّ به المدائن والسهوبُ
أيلبثُ «فيصلُ» في الغمد غمداً ... وسيف البُطل مسلولٌ خضيبُ
ألا هاتِ اسقني نفطاً فإني ... شروبٌ من مناقعه طروبُ
سباسبهُ الجفاف لنا رياضٌ ... وشوكُ قتادها زهرٌ وطيبُ[1]
هو الترياقُ من سمّ الأعادي ... شفانا حين أيأسَنا الطبيبُ
قتلنا «نكْسُنا» عطشاً إليه ... ففي أحشائه منه لهيبُ
لئن عقلوا أفضناه بحوراً ... لكلّ مسالمٍ منها نصيبُ
وإنْ لم يعقلوا فالحظر باقٍ ... بقاءَ غرورهمْ حتى يثوبوا
أما واللهِ لو مُحِيتْ يهودٌ ... لهلّلت القبائل والشعوبُ
وَلانتفتِ الدنايا والرزايا ... وَلانتهتِ المجازر والحروبُ
فكلُّ قلوب أهل الأرض حُبٌّ ... وكل حجارةِ الدنيا قلوبُ

---

(١) السباسب: جمع سبسب وهو الصحراء. القتاد: نبات له شوك كالإبر.

٨٥ - يفاخرني

[من الوافر]

حرثتُ قرائحاً لولا بذاري ... تُحلن فلا الجَنيُ ولا الرَّطيبُ
فلما أن زكا فيهنَّ غرسي ... ومارَ العُشبُ وازدهر القضيبُ[1]
تمرَّدت الفسائلُ واستطالت ... على أدبٍ يخرُّ له الأديبُ[2]
وأنكر ما دهاني في زمان ... عجيب كل ما فيه عجيبُ
رثيثٌ يزدري ثوبي ويمسي ... على أطماره بُردي القشيبُ
يعيبُ قصائدي ولكم غزاها ... فغلّى ما يبيعُ بما يعيبُ
يفاخرني بأنجالي عقيمٌ ... ويزعَمُ أنه الفحل النجيبُ!

٨٦ - زورة كتاب[*]

[من مجزوء الوافر]

أتى لم يقرع البابا ... حبيبٌ زارَ أحبابا
أتاني مُمسياً فانزاح ... عنّي الليل وانجابا
كأنَّ الشمسَ قد غابت ... ونورُ الشمس ما غابا
ففاضَ الجو أضواءً ... عليَّ وفاحَ أطيابا
كتابٌ علّمَ الإخلاصَ ... شُعَّاراً وكُتّابا
فهزتني سذاجته ... وطرت إليه ترحابا
وكم متطرِّف ظرفاً ... ولطفاً غتَّ أصحابا[3]
إذا لقِيَ النساءَ حنى ... لهنَّ الرأسَ إعجابا
ورقَّقَ صوتَه حتّى ... لتحسبُ أنه ذابا. . .

---

(١) مار العشب: تحرّك وتدافع.
(٢) الفسائل: جمع فسيلة وهي جزء من النبات يفصل عنه ويغرس.
(*) رداً على كتاب من صديقه الشاعر نعمه الحاج.
(٣) غتّ: غطّى.

وإن عــاشرتــه ألـفـيـتَ ـ محـتــالاً ونَـصّــابــا
وجــاسـوســاً عن العــو ـ رات لا يـنفـك نـقّـابـا
حـوى كـلَّ العيـوب فـإن عـطستَ أمامـه عـابـا
وأبْـرَمَـنـا بـأنـظمـةٍ يـسـمِّـيـهـن آدابـا
تـعلمـهـنَّ ممـن يـشـ ـحذون الظفر والنـابـا
ويـقتـحمـون أبـوابـا ويـغـتـالـون بـوَّابـا
وقـد مـلأوا بقـاع الأرض ـ إجـرامـا وإرهـابـا
أخي عـذراً فهـذا الشِّعـر مثـلُ الشَّعـرِ قـد شـابـا
ونـكّـل بـالـقـريحـةِ ذلـك الأمـلُ الـذي خـابـا
حنى ظهـري فـصـارَ الـقـوسَ عـودُ كـان نُـشّـابـا
وبـتُّ كـذلـك الليـثِ الـذي قـد غـادر الـغـابـا
فـأمسى بهـلوانـاً عـارضـاً لـلنـاس ألـعـابـا
ولـكـن قـد يـؤوبُ الـعـز إن هـو لـلحـمـى آبـا
فـنفـتن بـالـبيـان الـفـذ أعـجـامـاً وأعـرابـا
أيحـطم ربـك القفص الحـديـد ويـفـتـحُ الـبـابـا؟

٨٧ ـ بلـوت الناس

[من الوافر]

بلوتُ النـاسَ لستُ أرى بـشـوشـاً بهـم حـتى أرى ألـفَـيْ قَـطوبِ
فـراسـتـهـم تـدلُّ عـلى افـتراس وفي لحـظاتِهـم شَـرَرُ الحـروبِ
فـلو صـوَّرتَ وجـهَ الفكـر فيهم لمـا صـورتَ إلا وجـهَ ذيـبِ
كـأن رؤوسـهُمْ حُـشيـت لـفـتـكٍ بمعجـونِ المخـالب والنيـوب[1]

---

(١) يعني به أدمغتهم المفكرة بالأذى.

٨٨ ـ موتوا لنكرمكم(*)

[البسيط]

تــالله يــا خــالــداً يــرثيــه أمــواتُ ... هــل في يديـك عـلى الـرائـين مَـرنـاةُ
إني أراكَ حيـالَ العـرشِ قمتَ وقـد ... فاضت عليكَ من العرشِ الكراماتُ
وزان رأسَـكَ من يمنـاه تـاجُ سنـاً ... بمثـله لم تُـزَنْ في الخـلدِ هـامـاتُ
واستُعلِنَت لـك مكنـونـاتُ معـرفـةٍ ... من خبـزهـا كنتَ في دنيـاكَ تقتـاتُ
قـدَّمت للشـرقِ منـه كـل مُشبعَـةٍ ... والشـرقُ قـد فتَكَت فيـه المجـاعـاتُ
هــذي روايـاتـكَ الغـرَّاءُ شـاهـدةٌ ... أنَّ الحـقـائقَ تجلوهـا الـروايـاتُ
شيِّدت من (كوخِك الهندي) قصرَ عُلاً ... قصـورنـا منـه أكـواخٌ حقـيراتُ
وفي منـاجاتِـكَ (الشـلاَّلَ) آيُ هـدىً ... تحـلو بهـنَّ مـع اللهِ المـنـاجـاةُ
مـاذا تمنّيت من دنيـاك «يـا فـرحـاً» ... حسبُ النـوابغِ هـذي الاحتفالاتُ!
واهنـأ بمـا نلتَ من أجـرٍ فقـد تُلِيَتْ ... عـلى ضريحـكَ أبـيـاتٌ أبيّـاتُ!
يـا أيها الأدبـا مـوتـوا لنكـرمكم ... إن يخبُثِ العيشُ قـد تحلو المنيّـاتُ
مـن لا يكـرِّمـني إلا عـلى جـدثـي ... فـما تـكـاريمـه إلا إهـانـاتُ
لـو بعضُ إكـرامنـا للنـابغـين بـدا ... منـا لهم قبـلَ أن مـاتـوا لمـا مـاتـوا
صفحـاً أخيَّ ولا تعتبْ عـلى نـفـرٍ ... مجهـودُ إكـرامهم تلكَ الصحيفـاتُ
مـا لـلأديبِ سـوى فكـرٍ وعـاطفـة ... يـوم الـوفـاء إذا تُهـدى الهـديـاتُ
أمـا الأُلَى ملكـوا غـير البيـان فهم ... في بؤسهم... شَغَلتهم عنك أزمات(١)
لا في الحيـاةِ ولا في المـوتِ تعـرفُهم ... حتى ولا يومَ تصطفُّ الجماعاتُ.

(*) ألقاها في الحفلة التأبينية التي أحياها النادي الحمصي في صنبول لفرح أنطون في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٢٢

(١) لم تكد تقع العين على تاجر غني في الحفلة

٨٩ - في ذرَّة الترب(*)

[من البسيط]

علَّ الوجودَ هو اللّهُ الذي اتّجهَت هذي النفوسُ إليهِ بالعباداتِ
لهُ العوالمُ أعضاءٌ مرددةٌ فيها الحياةُ عَلَى بُعدِ المسافاتِ
وما الأثيرُ وما الأجرامُ سابحةً فيهِ سوى الدمِ يَغلي بالكُرَيّاتِ
ما كان قطُّ عن الأشياءِ منفرداً بل هُنَّ فيهِ لصوقَ الذاتِ بالذاتِ
تعاشقَ الكل من أعلى الشموسِ إلى أدنى الرِّمالِ إلى أخفى الذُّرَيراتِ
في التفجُّرُ إلا الاحتجاجُ عَلَى سلخِ المحبِّين عن صَدرِ الحبيباتِ
سبحانَه وتعالى أن يُصاحبَه نقصٌ ويُعنى بنفي أو بإثباتِ
لو قال «كنْ» كان للتكميلِ مفتقراً وكان في حاجةِ الماضي إلى الآتي
تجري المقاديرُ فيضاً من طبيعته يصدرْنَ عنه مويجاتٍ مويجاتِ
سرُّ التحوُّلِ والتكرارِ مطّرِدٌ هذي البداياتُ من تلكَ النهاياتِ
لعلَّ منحجِب الأشياءِ أكثرُ من منظورِهنَّ وكم تحظى بآياتِ
مهما تبيّنتَ لا تلقَ الذي لقَطَت أدنى العصافيرِ من أدنى الحُشيراتِ
لو دقَّ جسمي عن الأبصار كنت أرى ما لا تَرون بأبصارٍ وآلاتِ
في ذرَّة التُربِ أكنافُ موطّأةٌ للسَّاكنِيها رحيباتُ المساحاتِ
وكلُّ قطرةِ ماءٍ أنتَ تَشربُها دنياً تموجُ بأحياءٍ وأمواتِ
ربّاه أشرقْ لروح منك منبثق أما أنا فيك من بعض الخلياتِ؟
حاولتُ ترويض عقلي فاندفعتُ بهِ في مدحَضٍ زَلِقٍ بالعبقريّاتِ
فخذْ بكفِّي ولا تُغضبكَ فلسفتي وعُدَّها ليَ من بعضِ الحماقاتِ

(*) في القطار بين «صنبول» و«سنطس» سنة ١٩٤٧

٩٠ ـ ليت العيون(*)

[من البسيط]

قـدْ حـدَّثتنـا رُواةٌ عنكـمُ فجـرى حـديثُهـم سُـوراً فيـنـا وآيـاتِ
قـالـوا رأينـاهمُ عـامـاً بجملتِـهِ نـاجينَ قـد عـبروا بحـر الملمّـاتِ
قلنـا صـدقتم ففي ألحـاظكم أثـر من ذلـكَ الحسنِ مقبـولُ الشهـاداتِ
يـا من تقـطّعـتِ الأرواحُ بعـدهـمُ شـوقاً سحـابـاتِ آهـاتٍ وأنّـاتِ
ليتَ العيـونَ التي قـرَّت بكم سنـةً مـوزَّعـاتٌ علينـا بضعَ سـاعـاتِ

٩١ ـ إنّ الذليل(**)

[من البسيط]

إنَّ الـذليـلَ ولـو أصفـى مـودّتَـهُ ففي النفـوس انقبـاض عن مـودّتِـهِ
كـلُّ الفضـائـل بعـد العزِّ ضـائعـةٌ أمـانـةُ الكلب لم تشفـعْ بـذلّـتِـهِ

٩٢ ـ أيها المكرمون(***)

[من الخفيف]

أيّهـا الْمـكـرمـون كُـلَّ رُفـاتٍ ليس يحيـا ان تكـرمـوه الـرُّفـاتُ
رُبَّ ميـتٍ في الـعيش لم تـذكـروه كـان حَيًّـا لـو كـان فيكم حيـاةُ

(*) لقي بعض مواطنيه المهاجرين بعد الحرب فبشروه بسلامة أهله.
(**) القطعة رقم ٧٤ من مجموعة «موجات قصيرة».
(***) القطعة رقم ١٠١ من مجموعة «موجات قصيرة».

٩٣ ـ دعوة الحب(*)

[من الخفيف]

دعــوةُ الحــبِّ أولُ الــدعــواتِ أعــلنَــتْ مــن مــآذنِ الــسـمَــواتِ
خــرجَــت من فــم الإلــه فـكــانــت آيــةُ الخــلق أعــجــبَ الآيــاتِ
بــ هــا نــبــرةً تــولّــدَ عــنهــا كــل مــا في الــوجــودِ من حَــرَكــاتِ
قــبــلَ أن تلتقي الــشفــاهُ عــليهــا رتّــلَتهــا الــقــلوبُ بــالــنّبَــضَــاتِ
هــي سرُّ الــبــقــا ومــن لم يــصــدِّق فــليــلذْ بــالــصيــامِ والــصــلــواتِ
فــتزوجْ وانــعَــمْ ولــد ثــمَّ زوِّجْ واصنــعِ الخــالــدينَ والخــالــداتِ
لا تقــطّعْ أسبــابَ عيشــك مــثــلي بــل صِــلِ الحبــلَ بــين مــاضٍ وآتِ

* * *

يــا حبيبي «فيليبُ» زِدْنــا ولا تخشَ ـ مجــيءَ الــبــنــاتِ بــالــعشراتِ
لــو جميعُ الأصهــارِ مثــلُ «نُقُــولا» مــا تمــنّى الآبــاءُ غــيرَ الــبــنــاتِ

٩٤ ـ طلّقت دنياي(**)

[من السريع]

طــلّقــت دنــيــايَ عــلى حُــبِّــهــا كــأنّــني حــيٌّ بهــا مَــيْــتُ
مــا عُــدْت أسْتَصْعِبُ فيهــا العمى لــطولِ مــا عــنهــا تــعــامَــيْــتُ

(*) في حفلة زفاف هند ابنة أخيه فيليب إلى نقولا غريب سنة ١٩٣٩

(**) القطعة رقم ٨٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

٩٥ ـ سيّداتنا وساداتنا(*)

[من الطويل]

مَنِ الزهَراتُ البيضُ يعبَقنَ عفةً ... بتيلاتُهنَّ الأنملُ النضِراتُ[١]
يفيض عليهن الندى فيُفضنه ... على الناس وسميّاً هو الحسناتُ
إذا سرنَ سار الفضلُ والطهرُ والتقى ... وسارت على آثارها الدعواتُ
وإما هززن الزيزفون لجائعٍ ... تساقَطَ من أغصانه الثمراتُ[٢]
حماماتُ يُمنٍ ما تواقعنَ مرةً ... على القفر إلا اخضرَّت الجنباتُ
بكينَ مع الباكين حتى تألّقت ... على عبراتِ البائسِ البسماتُ
ولو مرَّ لم تبصرْه منهنَّ أعيُنٌ ... فتبكي، بكت من أجله الوجناتُ[٣]
فيا وتَرَ الإحساسِ من قلب أمةٍ ... تحجّر لولا أنتِ فيه حياةُ
يلومونني في مدحكنَّ جهالةً ... وتمدحكنَّ الأرضُ والسمواتُ
هبوني من العُميان تُخفى محاسنٌ ... عليَّ ولكن تظهر الحسناتُ
وإن أنا لم أنطق أيخرس بائسٌ ... وتنسى جياعٌ غوثَها وعُراةُ؟!
تورَّعْ إذا حادثتَهنَّ بمجلسٍ ... فانَّ حديثَ الفاضلات صلاةُ
وغضَّ وقاراً حين يغضضنَ عفةً ... فإنَّ مليكاتِ التقى خَفِراتُ
فديتُ اليدَ البيضاءَ خاتَمُها الندى ... ودُمْلُجها المعروف والصدقاتُ
تجود لها كفُّ البخيلِ وتلتقي ... على كفها الأحزابُ والنزعَاتُ
فليس لها دأبٌ سوى الخيرِ للأُلى ... أرادوا حياةً في الخصام فماتوا
لهم أن يعيشوا في الصِّياحِ كأنما ... على كل شِدقٍ للصياح قَطاةُ[٤]
وليس عليهم أن يُسلَّ مُهنّدٌ ... وليس عليهم أن تُهزَّ قناةُ
وليس عليهم أن تُعال جياعهم ... وليس عليهم أن تصان بناتُ!!!
ألا أيها القوم الأُلى ضلَّ سعيهم ... أساةٌ، ولكن جاهلون قُساةُ!

(*) بمناسبة انصرافهن للإحسان وانصرافهم للسياسة.

(١) البتيلة: كل عضو اكتنز وتميّز عن غيره.

(٢) الزيزفون شجر ينور ولا يثمر.

(٣) يعني إذا غفلن عن إسعاف بائس عرقن من الحياء فكأنما بكين بوجناتهن.

(٤) الشدق: جانب الفم مما تحت الخد. والقطاة: نوع من اليمام.

أقيلوا ذويكم من عثارٍ فطالما تأتت عليهم مِنكم العثراتُ
ألا فترةً يرتاح فيها رجالكم فللحرب مهما أُرِّثت فتراتُ![1]
كفاكم جهاداً في السياسة باطلاً فلستم دُهاةً والفَرنجُ دُهاةُ
مضت سنواتٌ أربع تذكرونها ولله تلك الأربعُ السنواتُ!
نجوتم من البلوى فإن قلَّ شكركم فليس لكم يومَ الحسابِ نجاةُ
صِلوا رحِماً قد قطّعتها يد النوى وأقربُ أسبابِ الصلاتِ صِلاتُ!!
عجبت لأرضٍ يوبسُ القلبَ ماؤُها وما جفَّ منها في الخريفِ نباتُ!
كأنَّ ذوي القربى جراثيمُ علة تدرَّن منها أكبدٌ ورئاتُ
فليس بها يَعني الفتى غير نفسه ولا إخوةٌ ترجى ولا أخواتُ
مساكينُ من قد شيَّعتنا قلوبُهم دموعاً تجارت خلفها المُهُجاتُ
بكوا فبكينا ساعةً ثمَّ أنضبت مدامعنا الأبحارُ والفلواتُ
وماتوا فما نُحنا ولا جفَّ دمعهم علينا، وهم وسطَ اللحودِ رفاتُ
بكيتُ على الشعب الذي ضاع مجده وحانت له في المكرُماتِ وفاة
وأصبح بارود الحماسة عنده رماداً أثارت نقعَه الزفراتُ
فما قام فيه سيدٌ يستثيره على الظلم لما اشتدَّتِ الأزماتُ
ومات كما مات الكلام مجاعةً ومِنْ حولِهِ الأهراءُ والخزناتُ
بل اختطف المتخوُم لقمة جائع فيا ليتها في جوفه جمراتُ!

***

إذا وفر العرضَ الرغيفُ ولم يُنلْ رغيفٌ فإن الباخلين زُناةُ
وإن قَتَل الفقرُ اليتيمَ ولم يجد مغيثاً فإن الموسرينَ جُناةُ
فيا غانمَ اللذاتِ أمّا طعامُهُ فمَنٌّ وأمّا كأسهُ ففُراتُ
عن الفضلات استغنِ لله إنها لتحيي نفوساً هذه الفضلاتُ
ودع قطرةً بعد الشراب لظامئٍ يفيض لها من جفنه قطراتُ
فإنَّ خلودَ العالِمين بعلمهم وإنَّ خلود الأغنياءِ هِباتُ

---

(١) أرّثت: سُعِّرت.

٩٦ ـ عيد استقلال لبنان(*)

[من الكامل]

تُروَى بدَجلةَ مدمعي وفُراتهِ ... يا موطناً لم يبقَ غيرُ رُفاتهِ
خلَت المحافلُ من بلابله فلا ... تقعُ العيونُ على سوى حشراتهِ
حسبُ الحزينِ عليكَ أنّك مائتٌ ... قد عَيّدت أحبابُه لمماتِهِ
شقُّوا له الأعلامَ من أكفانه ... وتبادلوا الأنخاب من عبراتهِ
أعلامُ إذلال كأنَّ خفوقَها ... في جوه لطمٌ على وجناتهِ
ملفوحةٌ بتحسُّراتِ سَراته ... خفَّاقةٌ بتنهداتِ هُداتهِ
مادت رواسيهِ لثقلِ ظِلالها ... وعلا دخانُ الغيظِ من قُنّاته[1]
أمدوِّنَ التاريخ مرحمةً ولا ... تذكرْ لهم لبنانَ في صفحاتهِ!!
لا تمحُ رسمَ المجدِ من تاريخه ... يكفيه عيثُ بنيه في آياتهِ
لا تخبرِ الأحفادَ أن جدودَهم ... لم يشهروا سيفاً بوجه عُداتهِ!

* * *

يا عالماً بصروفِ هذا الدهرِ قلْ ... ماذا دها لبنانَ من ويلاتهِ؟
أوَ ذاك لبنانُ الذي عهدي به ... خلَعَ الجمالُ عليه كلَّ هباتهِ؟
التبرُ منشورٌ على آفاقِه ... والماسُ منثورٌ على جنباتهِ؟
مِنْبَاتُ كل فتى كأن الرعد في ... صيحاته والبرقَ في غاراتهِ
كالغيثِ في استقلاله وسخائه ... والليثِ في وَثَباته وثَبَاتهِ؟

* * *

لهفي على (صنّين) تجفوهُ العلى ... ويغيبُ نجمُ العز عن ذرواتهِ
لهفي على الجبلِ الأشمِّ مطأطئاً ... هامَ الذليلِ أمام عزِّ غزاتهِ

(*) كان المتهوسون من إخوانه اللبنانيين يحتفلون في أيلول كل سنة باستقلال لبنان. . ، على عهد الانتداب. . . الافرنسي. فوقف مرة على سطح بهو اجتماعهم يسمع خطبهم وأناشيدهم وينظم قصيدته.

(١) القُنّات: جمع قُنّة وهي القمة.

والبحرُ في عبراتِه و(يزوف) في زفراتهِ والموتُ في سكرانَه!
هفي على بيروتَ تصبحُ مسرحاً لمغارمِ الغازي وعهر بناتهِ
فردوسُ أملاكٍ يضمُّ أبالساً وتُعَذَّبُ الأبرارُ في جنّاته
قالوا أتعشقهُ وهذي حالُه يا حبذا وطني على حالاتهِ!
العيش حلوٌ في سبيل رُقيِّهِ والموتُ أحلى في سبيل حياتهِ

٩٧ - إذا شيّدت(*)

[من الوافر]

إذا شيّدت بالصُّفَّاح بيتا فخلّد بالمكارم ما بنيتّا
فربّت صخرة بالجود حيّت وبحرٍ عادَ بالإمساك ميتا

٩٨ - بين الحلم والحقد

[من الوافر]

يزلُّ الغيظ عن صدري كغيثٍ تحدَّر عن جبال شاهقاتِ
وكم تلقى صدوراً سافلاتٍ جمعنَ الحقدَ كالمستنقعاتِ

(*) القطعة رقم ٧٠ من مجموعة «موجات قصيرة».

روي الثاء

٩٩ ـ «الأرض العانس»

[من الخفيف]

أذوتِ النـــائبــات زهـــري وعشبــي وكَــسَـتــنــي بــلأْنهــا الأَحـــداثُ
مــذ تــوالى عـــلى كـــراسيَّ في السنِّ ـ شــيــوخٌ وفي الحــجــى أحــداثُ
فـحقــولي بـعــد الشبــاب مــواتٌ والقُــرى بعــد هـجــرهم أجــداثُ
أنــا حــرثٌ مــقــدَّسٌ بَــيــد اني أعـــرضَـــت عـن بـنــاتيَ الحُــرّاثُ
كـم وكم عــانسٍ بسفـحيَ بكــر تـشـتـهـي أن يمَسّـهـا المـحــراثُ
أين من أولــدوا صخـوري كــروماً أفــحــولٌ أبــنــاؤهـــم أم إنــاثُ
جـنّـــةَ الخـلد كـنـتِ بــالأمس حـتى طــلّقــتــنــي وفــرّتِ الـوُرّاثُ

١٠٠ ـ رأيي بجامعكم

[من الكامل]

يــا مسلمــون نصيحــةً من مخـلصٍ يـتلو محــامــدكـم بكــل حــديـثِ
رأيــي بجــامِـعِكـم كــرأيِ نبيكـم كــم آيــةٍ منــهُ لَــكُــم وحــديــثِ
لا خــيرَ فــيــه لمــســلم إلا إذا ألحَقتُمــوهُ عــلامــةَ التــأنيثِ[1].

---

(١) أي إذا بنيتم معه جامعة علمية.

١٠١ ـ مـــاذا؟

[من مجزوء الكامل]

مـــاذا تُــرى أعــددت يـــا وطــني لــيـوم الـــكــارثَـةْ
غــير الـــذي تَــفــنــيــهِ مــن هــذي الــليالي الـعـابــثـةْ
أمسى عـــلى الأبــواب يـــا وطــني خـــيـال الـــثـالــثـةْ[1]

(١) يعني الحرب المتوقعة

روي الجيم

١٠٢ ـ بطاقة العيد(*)

[من البسيط]

بطاقةُ العيدِ أم طيف الأُخيةِ جا ... معبّأ الجيبِ من أنفاسها أرجا
أم ابتسامتُها الوضاءَة انبلجت ... كألفِ صبحٍ على برباريتي انبلَجا
بلّت غليلي أمدّتني بعافيةٍ ... وبدّلت كُربتي في غربتي فرَجا
فيا لشيخٍ على الكانون مرتعِشٍ ... أحسَّ بالدفءِ لما صدره ثلجا

١٠٣ ـ كم بين صحبك(**)

[من البسيط]

كم بين صحبكَ من غالٍ تَضِنُّ به ... بالرغم من عِوَجٍ فيه ومن هَوَجِ
تمشي وتصبح مَعنِيًّا به حَذِراً ... من أن تضيّعه كالخاتم الحَرِجِ(١)

١٠٤ ـ عرس البنفسج(***)

[من الخفيف]

يا لبشرى بها الأثير تموَّجْ ... وفضاء البلاد منها تأرَّجْ
رنَّ في قمة السماء صداها ... فأطلّت أقمارها تتفرَّجْ

(*) رد على بطاقة معايدة.
(**) القطعة رقم ٩٧ من مجموعة «موجات قصيرة».
(١) الحَرِج: القَلِقُ في الإصبع.
(***) في عرس «ڤيوليتا» كريمة صديقه شكري الراسي.

وانثنت نحو حارس الخلد سكرى سائلات بألسن تتلجلجْ
ما «لصنبول» دُقَّ فيها طبول كطبول الحجيج عادوا من الحجّ
ما لقصر الراسي يشعُّ بزهر هنَّ أزهى منّا وأبهى وأبهجْ
قال رضوان قد غرسنا على الأرض زهوراً قليلة بين عوسجْ
كل حين ترفُّ منها عروسٌ والذي تشهدون عرس البنفسجْ[1]
أنا لا أحمد الزواج ولكن من يجدْ مثلَهنَّ فَلْيَتَزَوَّجْ

١٠٥ - عصبة الفن[*]

[من الخفيف]

عصبةَ الفنِّ زحزحي هذه السُحبَ - وكوني لكل قلبٍ بهجَهْ
لستِ جَوْقاً من الهواةِ بنادٍ أنتِ سربٌ من الطيورِ بمرجَهْ
قد غرِقنا من الهموم بلُجٍّ فاغمرينا من السرورِ بلُجَّهْ
أصلحي هذه النفوسَ على رنةِ - عودٍ وأنَّةٍ من كمنجَهْ
أسمعينا ما شئتِ حتى الذي قد سئمته الأسماعُ والذوقُ مَجَّهْ
حسبُنا منكِ ذكرياتُ بلادٍ ملءِ عينِ الغريبِ حيثُ توجَّهْ
أغناء الافرنجِ نسمعُ في المَوَّاج - يا قوم أم خصاماً وضجَّهْ[2]
ربَّ صوتٍ يهوي كمطرَقةِ الحدَّادِ - لو صَابَ رأسَ ثَوْرٍ لشجَّهْ
يا أميرَ الأوتار حنِّنْ ورخِّمْ وأذِبْهُنَّ مهجةً إثرَ مُهجَهْ
جُدْ «بتقسيمة» لنا وليباركْ لك ربي بكلِ مغنى الفَرَنجَهْ

---

(١) «فيوليتا» البرتغالية تعني بنفسجة

(*) ختام خطبة في الموسيقى ألقاها في إحدى حفلات الرابطة الفنية العربية في صنبول.

(٢) المَوَّاج: الراديو.

١٠٦ ـ دخلت على قوم (*)

[من الطويل]

دخلتُ على قومٍ فهبّوا ورحَّبوا … وقالوا لقد كُنّا بذكرك نلهجُ
وطالعتُ في ألحاظِهم غيرَ زعمِهم … فلم يُخفِ سيماءَ الوجوهِ التبرّجُ
إذا ذبحَ الوُدَّ الصديقُ يدلُّني … على دمهِ خدُّ الصديقِ المضرَّجُ
وإني لغفّارُ العثارِ لصاحبٍ … أسيرُ على ضوءِ النهار ويُدلجُ

١٠٧ ـ لَبِسْتُ إلى العذراء

[من الطويل]

لبستُ إلى العذراءِ جبّةَ راهبٍ … من الليلِ لم تعلقْ بها كفُّ ناسجِ
وبتُّ حِيالَ القصرِ أرعى إشارةً … بأبيضَ يعني جيء وأحمرَ لا تَجِ !
تطوِّقُني أغصانُ دوحٍ كأنها … معاصمُ من نُوّارِها في دمالجِ [1]
إذا داعبتَها الريحُ مادت فخلتُني … أطِل على «غمدانَ»[2] بين الهوادجِ [3]
وما زلتُ حتى أحْدَ عْشَرَ الليلُ أتّقي … بأفيائها ريبَ العيونِ الحوادجِ
فلما أُزيحَ السَّجْفُ أورقَ طالِعي … وأزهَرَ في منديلها المتماوجِ [4]
وراح فؤادي واثباً في أضالعي … كوثبيَ في أعطافِ تلك المدارجِ
وقعتُ عليها وهي في رِعدَة الهوى … فلاذت بصدري تصطلي بلواعجي
ورحتُ بروض النهدِ والخد عابثاً … أنقّل كفي بين فجٍّ وناضجِ
وعينُ الهوى تحتَ الظلامِ بصيرةٌ … بما عنه تَعمى تحتَ نورِ المسارجِ
وكم فاز من دنيا الهوى عُدْم شاعرٍ … بما عَجَزَت عنه كنوزُ المهارجِ

(*) القطعة رقم ٦٩ من مجموعة «موجات قصيرة».
(١) في إحدى رسائله المخطوطة: (تظلّلني) بدلاً من (تطوقني).
(٢) أحد قصور العرب المشهورة.
(٣) في المخطوطة: إذا ما واجهتها الريح قالت.
(٤) السُّجف: أحد السترين المقرونين بينهما فرجة.

فقالت وقد أحرجتُها بدعابتي لك اللّهُ فانهجْ غيرَ هذي المناهجِ
تعلِّمني في الحبِّ عاداتِ شاعر وتُنْزلني منها على غيرِ دارجِ
فقلتُ: ذريني أنتهبْ فرصةَ الهوى وأقضي من العمرِ القصير حوائجي
بصدري كنوزٌ للغرامِ خبيئةٌ وهذا الذي شاهدتِ بعضُ نماذجي
فتنتُ الغواني قبلها طرَّ شاربي فدائيَ داءٌ مُزمنٌ لا تعالجي
فما أنا مِمَّن يعشقُ الحُبَّ ساذجا وإن كنت مُغرًى بالعذارى السَّواذِجِ [1]

١٠٨ - قالت نسيت

[من الكامل]

قالت نسيتَ اسمي فقلت لها اعذري ذهب الشباب الغض وانقطع الرجَا
ذهني تيبّس طينه حتى غدت تتدحرج الأسماء عنه تدحرجَا

١٠٩ - سيد وخَواجا(*)

[من الكامل]

ما بين لفظةِ سيِّدٍ وخواجا حربٌ لها هاج «البريد» وماجا
والناس في هذا قد انقسموا إلى قسمين كلٌّ تابعٌ منهاجا
فالبعض يرغب في الجديد وبعضهم يهوى القديم لأنه قد راجا
لا حكم لي في الأمر إلاّ أنني من أمرهم أستنتجُ استنتاجا
شعبٌ يظلُّ مقيَّداً في لفظةٍ ويروم يوماً أن يحرِّر تاجا!

* * *

(١) ذكر أبياتاً منها في رسالة إلى صديقه جورج صيدح بتاريخ ٦ ـ ٦ ـ ٤٧ يقول له فيها وختامها وذكر هذا البيت غير المثبت في المطبوعة

(*) اقترح سنة ١٩١٥ على أصدقائه من شباب العرب في «صنبول» أن يطلقوا بعضُهم على بعض في المخاطبة والمكاتبة لقب «سيد» بدلاً من «خواجة» و«أفندي» التركيين. فأحدثت بدعته رد فعل عند المحافظين فنشر هذه الأبيات وتناقلها بعض المجلات والجرائد ثم لم يلبث هذا اللقب النبيل أن عم البلاد.

١١٠ - رسول الفن(*)

[من الكامل]

طُفْ يا رسولَ الفنِّ في معراجِهِ ... متنقِّلاً كالشمس في أبراجِه
لك في سماءِ العبقرية منزلٌ ... يتهافتُ الشعراءُ دون رتاجِه
الفجرُ من أبوابهِ والدهرُ من ... حجّابهِ والزهرُ من حُجّاجِه
من ذا يهنِّىء بالوزارة شاعراً ... التاجُ أرخص درَّةٍ في تاجِهِ
لبّيتَها لما دعتك وطالما ... مدَّ الكريمُ يداً إلى محتاجِهِ
من للعروبةِ يستعيدُ شبابَها ... إن ضنَّ زينُ شبابها بعلاجِهِ؟
فلربَّ معتركٍ أثرتَ عَجاجَهُ ... وبرزتَ للتنّينِ في عجّاجِهِ
واجهتَهُ بالحقِّ غيرَ مخاتلٍ ... شتّانَ بين مُغايبٍ ومواجِهِ
بيديكَ رايتُه وفي شفتيكَ آيتهُ - وفي عينيك نورُ سراجِهِ
لله درُّك هادياً لو أبصروا ... نور الهدى وجرَوْا على منهاجِهِ

* * *

١١١ - نكبة الشام

[من الوافر]

تعوجُ بها فلا تلقى مَعاجا ... وقد نُسِفت معالمها فِجاجا
وباتت جنةُ الدنيا جحيماً ... وكوثرُها جرى مِلحاً أُجاجا
فجنحُ الليل مبيضٌّ لهيباً ... ووجه الصبح مسودٌّ عَجاجا
فلو رُمتَ السُّرى في الفجر فيها ... قبسْتَ من الظلام له سراجا
تعيث بها ذئابٌ كم تراءت ... نعاجاً قبلما رَعَت النعاجا
ولو ضرَبت عصاها من عصاها ... لما كان الهِياج تلا الهياجا
ولكنَّ القشاعمَ أعجزَتها ... فروَّعتِ الحمائمَ والدجاجا

(*) أحيت الجالية العربية في صنبول سنة ١٩٥٠ حفلة إكرامية لوزير سوريا المفوض في البرازيل الشاعر عمر أبي ريشة.

وأسرَفت (الـوصيـة) في انـتـقـام | طغى من هـولـه (بـردى) ومـاجـا[1]
فـرُبَّ مُحَـصَّـنـات مـا تخـطّى | إليهـا الـوهمُ قـد عـدِمَت سيـاجـا
حـرائـرَ كـالـقـلوبِ مخـبَّـآتٍ | وكـنَّ لهـا سروراً وابـتـهـاجـا
نـجـوم أصبـحـت بـالـكـفِّ تُجنى | وقـبـل الـيـوم عـزَّت أن تُـنـاجـى
فيـا «كُـرْبيـه» بـل يـا شرَّ كـرب | وجـدنـا منـه بـالمـوت انفـراجـا
وفـينـاك الخَـراجَ فـرحـت تسـطو | عـلى الأعـراضِ تحسبهـا خَـراجـا
ويـا «سرَّيـل» أزعجنـاك كَـرهـاً | ومـا كنـا نـريـد لـك انـزعـاجـا
تـظَلَّمْنـا إليـك فـملتَ عـنـا | ولم تقبـلْ عَـلَى الـظلمِ احتجـاجـا
لـقـد أغـراك من لـبنـانَ شعـبٌ | عـن الآبـاءِ مخـتـلفٌ مِـزاجـا
كـأن لم يُنْبِـكَ الـتـاريـخُ مـاذا | يـكـون إذا الفتى العـربيُّ هـاجـا
وأنّـا بـالأسـنَّـةِ والمـواضي | نقـوِّمُ من نـرى فيـه اعـوجـاجـا
ومـا زلـنـا كـما كـنـا قـديمـاً | نفـاجـىءُ كـالنسـورِ ولا نُـفـاجَـا
وإن لم تنفـعِ الـشكـوى عـلاجـاً | وجـدنـا بـالسيـوفِ لنـا عِـلاجـا
تمـيـدُ بـنـا الجـبـالُ إذا زحـفـنـا | وتـرتـجُّ السهـولُ بنـا ارتجـاجـا
وتُـنـجـدنـا قـلوبٌ مـن حـديـد | تحـطِّمُ مـن أضـالِعِـكـم زجـاجـا
قـلوبٌ كـالـدروع تـزِلُّ عـنهـا | قـذائـفـكـم وتـنـزلـج انـزلاجـا
سنفـتـحُ فيـكمُ لـلمـوتِ سـوقـاً | تـلاقـي في صفـوفـكـمُ رَواجـا
عـسـاكـم بـعـدَهـا تـدرون أيّـا | أشـدُّ إلى الـوصـايـاتِ احتيـاجـا

* * *

١١٢ ـ حسبتك خير إخواني (*)

[من الوافر]

حـسـبـتـك خـير إخـواني لهـذا | قصرت عليـك في الحُبِّ احتجـاجي
فـإنّ الـزيـفَ في الألمـاس يُخشى | ولـكـن لـيس يُخشى في الـزُّجـاجِ

---

(١) يعني بالوصية «فرنسا».

(*) القطعة رقم ١٩ من مجموعة «موجات قصيرة».

روي الحاء

١١٣ ـ باسم العروبة(*)

[من البسيط]

باسم العروبةِ بعدَ اللهِ أفتتِحُ ... للهِ ثمَّ لعيدِ الوَحْدَةِ السُبَحُ
شرَحتُ صدري لها طفلاً وهل بسوى ... ذكر العروبة صدر الحُر ينشرحُ
كم جرَّعَتني ليالي بؤسِها تَرَحاً ... فحقَّ لي في ليالي عُرسِها الفَرحُ
حسبي اسمها يا نديمي إنني ثَمِلٌ ... كالشاربينَ ولا خمرٌ ولا قَدَحُ
أما سمعتَ «جمالاً» وهو يسفحُهُ ... والشعب مغتبقٌ منه ومصطبِحُ[1]
أسقطتُ دعواي يا دنيا فهاك يديِ ... لم يبقَ لي ألمٌ يُشكى ولا جُرُحُ

١١٤ ـ النوكى

[من السريع]

كم غُرِيَ النَّوْكى بذَّمّي فَلَم ... أنبسْ بردٍّ ولساني فصيحْ[2]
ماتوا وفي أكبادهم حَسْرةٌ ... على جوابٍ حَسَنٍ أو قبيحْ

١١٥ ـ القلب المثلث(**)

[من السريع]

يا ليلةَ القَدرِ اخدمي ليلةً ... عقدتُ والدهرَ بها صُلحا
قد ثَلَّثَ اللهُ سروري بها ... مذ قلب قلبي قلبُه صحّا

(*) من خطاب القاه يوم عيد الوحدة في ٢٢ شباط ١٩٦٠ بالقاهرة في حفل عظيم ضم مئات الألوف من الخلق.

(١) مغتبق من الاغتباق أي الشرب مساء ومصطبح عكسها.

(٢) النوكى: جمع أنوك وهو الأحمق.

(**) رأى صديقه الياس عاصي حانياً على سرير طفلته ليلى يناديها: يا قلبي، وقد سلمت من عارض خطر على قلبها فقال.

١١٦ - على اسم فلسطين(*)

[من الطويل]

عـلى اسمِ فلسـطينَ الحبيبـةِ بعتـه ... ولم أبغِ عند النـاس شكراً ولا ربحـا

بـألـف تـؤدِّيهـا لـغـيري مخلَّفـاً ... لنفسـكَ ذكـراً آخـر الـدهـر لا يُمحى

إذا حـدَّثَ الأحـفـادَ عـنـهُ مؤرِّخٌ ... يقـدِّسهُ الأحفـادُ ما قـدَّسوا الأضحى

١٧٩ ١٢٥ ٤١ ١٧١ ٨٥

١٣٦٦

١١٧ - ولما التقينا

[من الطويل]

ولَمـا التقينـا بعـد بـينٍ وأسلَمَت ... لُميٌّ لصبٍّ جـامح الـوجـدِ فضَّـاحِ

عـلِقتُ بـدُرِّيِّ الـثـنـايـا أمصُّـهُ ... وأطـلقتُ كـفَّـي بـين وردٍ وتـفَّـاحِ

كـأنَّ وليـداً يَلقَمُ الثـديَ جـائعـاً ... تلقَّفَـه بـالـعـين والفـمِ والـراحِ

فـآلمُتُهـا عضّـاً فصـاحت فلم أبـلْ ... لقـد أسمَعَت لمياءُ لـو أنني صـاحِ

وقـالت وقـد شـدَّت بفَـودي وراءهـا ... جنـوني بخمـرٍ لم تُشَعشَـعْ بـأقـداحِ

لكَم تـدَّعي بـالـراحِ زهـداً وكلما ... منحتُـك ثغري تُتبـعُ الكأسَ بـالـراح

١١٨ - الليل يعلم

[من الكامل]

الـليـلُ يـعـلمُ والـكـواكـبُ أنَّ لي ... عينـاً مسهَّـدةً بـكم حـتى الضُّـحى

ومـعـذَّبـاً بـين الضـلوع أروضُـه ... في حـبـكـم ويهُمُّ بي أن يجـمـحـا

جـاهـدتـه زمنـاً بكِتمـانِ الهـوى ... وأخـافُ كـلَّ هنيهـةٍ أن يَفـضحـا

يـا حبـذا لـو تلمسُـونَ جـراحـه ... لـوددتُ كـلَّ دقيقـةٍ أن يُجـرَحـا

(*) أقبل المعيدون ليلة عيد الأضحى سنة ١٩٤٧ م و١٣٦٦ هجرية على شراء كتابه البرتغالي (حضن الأم) في سبيل فلسطين وطلب بعضهم توقيعه فوفق إلى نظم هذا التاريخ الهجري في الحال.

١١٩ ـ لك يا بُنَي(*)

[من الكامل]

لـك يـا بُـنَيَّ دعـاء أمٍّ تـرتجـي ... لـك مـا يسُرُّ مـدى الحياة ويُفْـرِحُ
إنْ لَمْ تصف لـك مـا يكنّ فـؤادهـا ... فلسان هـذا الـطفـل منهـا أفصـحُ

١٢٠ ـ لا فضل للشعراء

[من الكامل]

لا فـضـلَ للشـعـراءِ في وثَـبَـاتهـم ... ولـو انهم فـوق المجـرَّة سـاحـوا
فـالشعـرُ من نفحـاتِ وادي عبقـر ... منـا الكـؤُوسُ ومن هـنـاك الـراحُ
لا نـسـتـحـقُّ ثـنـاءكـم إلا إذا ... شُـكِـرت عَـلَى «زحـليّـة» أقـداحُ
دعـوى المُدلّ عـلى الأنامِ بشعـره ... دعـوى الـزجـاجـةِ أنها المِصبـاحُ
يـا من بلَغتُ عَـلَى جَنـاح ولائـهم ... مـا لم يـبلّغـه الـنسـورَ جَـنـاحُ
ونـعِـمـتُ من آلائـهـم في جَـنّـةٍ ... يُحيـي الـرمـيـمَ أريجُـهـا الـفـوّاحُ
تـأوي المنى فيـهـا إلى أعشـاشـهـا ... وتـبـيـتُ بـين غـصـونها الأوراحُ
طَلعَت منـاقِبكم فـما افتقـدَ الضحى ... سـارٍ ولا رصـدَ الـسُّـهـى مـلاّحُ
وتـضـوّعَت أخـلاقُـكم فـكـأنمـا ... هبّت عن الـوطنِ الـعـزيـز ريـاحُ
وكسَت محيـا «التَرْيَنُـونِ» بشَـاشـةٌ ... فجبينُـه كـوجـوهـكم وضّـاحُ(١)
حيّـاه من فجـرِ الشبيبـةِ طـالـعٌ ... سعـدٌ ومن صُبـح المِـلاح مـلاَحُ
مـن كـل كـرسيٍّ تـطِلُّ غـزالـةٌ ... وبـكـل «منـظرة» يـلوحُ صبـاحُ
غـابٌ من الأرز الـنضـيرِ وروضـةٌ ... لـلحُـرِّ فـيـهـا زأرةٌ وصُـداحُ
أعـوادُهـا سَعَفُ السـلامِ فـإن دعـا ... داعـي الحمى فـقـواضبٌ ورمـاحُ
طـوَّقتمـونيَ من فـرائـدِ مـدحكم ... بـقـلائـدٍ أوْلى بهـا المُـدَّاحُ

(*) بيتان مستخرجان من رسالة الشاعر إلى أخيه قيصر. نظمهما بلسان والدته على بطاقة مرفقة بهدية زواج.

(١) «الترينون» هو البهو الذي أحييت فيه الحفلة.

لـكنْ هــو الـعــربيُّ وهي خــلالُــه | إنَّ الـكــريـم إلى الـنـدى يَـرتــاحُ
دُمْـتُـمْ لــلاسـتـقــلالِ أنـصــاراً بهم | تـلـتــامُ في صــدر الـشــآمِ جِــراحُ
ولِمـعشر الأحــرارِ في أكـنـافـهــم | عــزٌّ ولــلـوطــن الأعــزِّ فَــلاحُ

١٢١ ـ حَلْوى الحُلوة

[من الكامل]

حَلواكِ فــاكهــة الـقلوبِ وصـحــةٌ | تُـضْفَـى عــلى الأجـســادِ والأرواحِ
هـفَّـت عــليّ طـيــوبها فـكــأنــني | في الـشــام بــين جنــائـنِ الـتـفّــاحِ
أعجَنْتِهــا بــالمســك ثم نَضَحْـتِهـا | بــالـطّلِّ ثم غمَسْتِهــا بــالـراحِ؟
لا! بـل حلت لما خَبـرتِ مـذاقهــا | وزكـت بـعِــطرِ لُهــاثِـكِ الـفــوّاحِ
وعــرقتِ فـانحــدَرت عليها قـطرةٌ | من مــاءِ وردِ جبـينِــك الــوضّــاحِ

١٢٢ ـ الشعراء الشرّاح:

[من الكامل]

كـم شــاعــرٍ مـتـفـلـسـفٍ أردفـتــه | خـلفي فـطار محـلِّقــاً بـجَـنــاحـي
ومضى يـفصِّــل بـعضَ مــا أجمـلتُــه | لـذوي العقـولِ فكــان من شُرَّاحي

١٢٣ ـ أفْقَدْتِني

[من الكامل]

لمِيــاءُ إن ســالت يــراعــةُ شــاعــر | يشكـو الغرامَ تسيـلُ فيـكِ جـروحي
شـرحُ الصبابـةِ في الـوجـوهِ فـطالعي | في نــاظــريَّ ووجـنــتيَّ شروحــي
لم يـبقَ لي فـكــرٌ لـنـظمِ قـصـيـدةٍ | إلا مــوشــحَ دمــعـيَ المـســفــوحِ
أفــقــدتـني عــقــلي فــقــلتُ أردُّه | بــالبعدِ عنـكِ، فكـدتُ أفقِـدُ روحي

١٢٤ ـ فساد الأخلاق

[من الكامل]

زمنٌ يسودُ به الحسودُ، فَمَن سَعَى ... فنجاحُه سببُ لهدمِ نجاحِهِ
ساءَت به الحسناتُ حتى كادَ أن ... يَخْشَى الضليلُ به طلوع صباحه
فإذا أردتَ بأن تحقِّر صالحاً ... يَكفيكَ بينَ الناسِ ذِكرُ صلاحِهِ
وإذا مدحتَ فتىً فعَظِّمْ شرَّه ... فلقد غدا فخرُ الفتى بِطَلاحِهِ

١٢٥ ـ يقدم ثغرك

[من المتقارب]

حبيبيَ لم أقضِ حقَّ هواكَ ... ولو مدمعي فيه كالسيل سحّا
يقدِّمُ ثغرُك لي سكّراً ... فترجعه لك عيناايَ مِلحا

١٢٦ ـ أطِيقُ العيشَ(*)

[من الوافر]

أطِيقُ العيشَ بعدكَ كي أنوحا ... وأشفِقُ أن أموتَ فأستريحا
أجَدِّدُ ذرفَ دَمعي كلَّ يومٍ ... ولو جاوزتُ في الأيّامِ نوحا
أخي المدَنيَّ يا أوْفَى وَفيٍّ ... فَقَدتُ بفَقْدِهِ الحبَّ الصَّحِيحا
ويا عيني التي تعمَى بُكَاءً ... ويا قلبي الذي يحيا ذبيحا
مَلَلتَ من الحياةِ فَرُحت قبلي ... وكنتُ أودّ قبلَكَ أن أروحا
شكوتَ العيشَ في «طلَلٍ» فقُلْ هَلْ ... وجدتَ بديلَهُ البيتَ الُمريحا
أبَعدَ «مَخازِنِ الأظلالِ» ظلٌّ ... تُدير بهِ غبَوقَكَ والصَّبوحا[1]
أباريقاً من الأدَبِ المصفّى ... سقاها اللّهُ أحمدَ والَمسِيحا

(*) في رثاء أخيه قيصر «الشاعر المدني».
(١) «الطلل المأهول» و«مخازن الأظلال» قصيدتان شهيرتان للشاعر المدني.

شبيهي كنتَ سيماءً وفنّاً ... كأنك توءمي جسداً وروحا
أتطوى النسختانِ معاً ترى أم ... تُغلِّفُ كل خالدةٍ ضريحا

١٢٧ ـ إذا حمّ(*)

[من الوافر]

إذا حُمَّ القضاءُ فلا سلاحُ ... يرد الموت عنك ولا صلاحُ
ولو أغنى النواحُ لكان أغلى ... من الأبصار للعين النُّواحُ
ولكنْ منطق الشعراء روحٌ ... تروح مع الأحبة حيث راحوا
فيا للثُكلِ ثُكلِ هزارِ شعرٍ ... لطيف الشدو قُص له الجَناحُ
أخي طنوسَ تعزيتي دموعٌ ... وكم لنُواحك الشعراءُ ناحوا
رأيتكَ باكياً فجرحتَ قلبي ... وقلبي لا تفارقهُ الجراحُ
ويا ماري فَجعتِ أباً حنوناً ... وزوجاً خانَهُ القدَرُ المتاحُ
يذكِّره جمالَك كلُّ حسن ... فيعبسُ كلما بشَّ الصباحُ
ويُعْوِلُ كلما غنّى هزارٌ ... ويبكي كلما ابتسمَ الأقاحُ
سقت بالطيب مثواكِ الغوادي ... وبالنفحاتِ حيّتهُ الرياحُ

١٢٨ ـ الغرور

[من الوافر]

حلَمتم أنكم أُمراءُ شعرٍ ... فما ذنبي إذا طَلَعَ الصباحُ...
إذا عصفَ الغرورُ برأس غِرٍّ ... توهَّمَ أنَّ منكِبَه جَناحُ
ألا قلْ للمبوِّق أيْنَ تُمسي ... إذا ما جلجلَ الحقُّ الصُّراحُ[1]
إذا اعلولى البناءُ ولا أساسٌ ... قل اعلولى على الأثَر الصَّياحُ

(*) رثى بها السيدة ماري طنوس سعد، آذار سنة ١٩٣٠
(١) شرع المغارير في تنقص أدبه والتذبيع بعضهم لبعض.

خمولُ الذكر للجهّال سترٌ وشهرة مدَّعي الأدب افتضاحُ
وقد تأتي البليّةُ من صديقٍ كما يودي بحامِله السلاحُ
وكم في الشعر من كثبان رمل تكوِّمها وتسفيها الرياحُ

١٢٩ ـ الحق عرض لا سلاح

[من الوافر]

شبابَ العرب لن تُرعى حقوقٌ ولا قِمَمٌ يثرنَ ولا بطاحُ
فصونوا الحق إن كنتم فحولاً فإنَّ الحقَّ عِرضٌ لا سِلاحُ

١٣٠ ـ لقد اخلفت(*)

[من الوافر]

لقد أخْلَفْتَ عند القبر ظنّي برأيك يا أبا العقل الرجيحِ
سألتك بعد فقد الحسِّ ماذا فجئت برمّةٍ وكريهِ ريحِ
لعمرك لم تزدْ حرفاً على ما يردّد كلّ عَيٍّ في ضريحِ
حفظنا العلم عن جسم بجسم فأين العلم عن روح بروحِ ؟

(*) القطعة رقم ٧٣ من مجموعة «موجات قصيرة».

روي الخاء

١٣١ - تهب

[من الطويل]

تهب هبوبَ الريح عني قصائدي ... وشعرُك بين البيت والقِنّ رابخُ
تحاولُ بالتذييع مجداً وشهرَةً ... كأنّك في دَوٍّ من الأرض صارخُ[1]
ويملأك المأجورُ كِبراً كأنه ... بجلدكَ لا بوق الدِّعاوة نافخُ
فلو كنتَ ممّن تستساغ لحومهم ... لما غفلَت عن مَنكِبَيك المسالخُ

١٣٢ - كم أغفلت

[من الكامل]

كم أغفَلَت أيدي الحنان ضحيةً ... حجبَ الإباءُ شقاءَها بشموخهِ
سلَب الذي مدَّ اليدينِ رغيفَ مَن ... وارى يديهِ رجُوعه في كوخِهِ[2]

---

(١) الدَّوّ: الفلاة الواسعة.

(٢) يَحْسَبُهُمُ الجاهلُ أغنياء من التَعفُّف «قرآن كريم». (البقرة ٢/٢٧٣).

روي الدال

١٣٣ ـ الشـــهداء

[من البسيط]

خـيرُ المـطالـعِ تسليمٌ عـلى الشهــدا ... أزكى الصـــلاةِ عـلى أرواحهم أبـــدا

فلتنـحنِ الهــامُ إجــلالاً وتـكــرمــةً ... لكـلِّ حُـرٍّ عن الأوطـان مـات فـــدى

يـا أنجمَ الوطن الـزُّهْرَ التي سـطعت ... في جـوّ لبنان للشعب الضليـل هـدى

قـــد علّقتكم يـــدُ الجـــاني مُـلَطَّخـــةً ... فـقـــدّست بـكمُ الأعـــوادَ والمســـدا

حتى غـــدا كـلُّ حـــرٍّ لـو نصبت لـــه ... حبـــل المنون عـــلى هُـدّابـــه سجـدا

بـــل علّقـوكم بصـــدر الأفق أوسمـــةً ... منهـا الـثريـا تلظّى صـدرُهــا حسـدا

أكـرمْ بحبـلٍ غـــدا للعـرب رابـطـةً ... وعقـــدةٍ وحّـــدت للعـــرب معتقـــدا

يـــا زائـــرَ الأرزِ خـــبّر زائـــر الـــبلدِ ـ الحـــرام أنّـــا جمعنـــا الأرز والـبـلدا

عـوجا عـلى حرش بـيروت معـاً وقفـا ... حيث الـنَّبِيَّـــانِ في قـــبرٍ معـــاً رقـــدا

المـحمـصـــانيُّ للتسـليـم مـــدَّ يـــداً ... تحت الـــرمـــال ومـــدَّ الخـــازنيُّ يـــدا

لـو شفَّ صدر الـثرى عما بـه انجليا ... قلبـاً يعـانق في صـــدر الـثرى كبـــدا

* * *

يـا لَلجبـانـة! بـل يـــا لَلخيـانـــة من ... شعب حيال حبـال الغـاشم ارتعـدا

قـد كـان منهـزمـاً إذ كـــان مـزدحمـــاً ... إنّ الجـبـــان لمـفـــقـــود وإن وُجـــدا

يـا شعب لبنان بـات الصبر مفضحـة ... ألا نـفـــادَ لـــصـــبرٍ أجـــره نـــفِـــدا

هل عُلِّقوا عن بلاد الصين فاضطربت ... وأنـت لا قـــامَ صنّـــينٌ ولا قـعـــدا؟

أين الحـماسـةُ يـا لبنـان؟ قـــد بـردت ... كـالثلج! والدم يـا لبنـان؟ قـد جمـدا

مـا في حيـاتـــك يـا لبنـــان من أمـلٍ ... حتى يغـــادرك الجيـل الـــذي فســـدا

لا يستـطيـع حـراكـاً إن دعـوت ولـو ... قـالوا الـوظيفـة تـدعـو خـائنـاً لعـدا

يا يوسف الحر يا بدر المجالس يا ... فخر النيابة يا «زغلولها» الغردا
أودى الشقاء بشعب لا زعيم له ... فكن له ذلك «السعد» الذي نشدا
حلّت به من حنو الأم داهية ... دهماء لم تبقِ لا أماً ولا ولدا
يَتِّمْهُ من أمّه واعطفْ عليه أباً ... يا لَلشقيِّ إذا يتّمْته سعدا!
صِحْ للعلى صيحةً تدوي الجبالُ لها ... ويقذف البحر من أمواجه الزبدا
أنت النفير إذا داعي الجهاد دعا ... أنت النصير إذا عادي الحِمام عدا
كم جولةٍ لك بالبرهان صادقة ... كنت البلادَ بها إذ كنت منفردا
تُدلي بمرهفةِ الحدَّيْن فاصلة ... لا تُسْمِها حججاً بل أنصلاً ومُدَى
شفّت بياناً فلاحت من صراحتها ... كُشفاً فألبستها من عصمةٍ زردا
قد نزّلَتْها يمين الوحي منصفةً ... للخائنين لظىً، للمخلصين ندى
يَمِّمْ بإهدنَ أمَّ المجد رابيةً ... كالنهد في صدر حسناء العلى نهدا
وطف بتابوت عهدٍ وسْطَ معبدها ... لو أُنصف البطل الثاوي به عُبدا
هذا فتى الأرز هذا ليث غابتهِ ... هذا سميُّكَ فاخلد مثلما خلَدا

* * *

وأنتمو يا شباب اليوم يا سنداً ... لأمة لا ترى في غيركم سندا
ناشدتكم بدماء الأبرياء ألا ... لا تُهدرُنَّ دماء الأبرياء سدى
تلك الجبابرةُ الأبطال ما ولدت ... للحرب أمثالَهم أمٌّ ولن تلدا
إن صاحبوا السيف لم يستكثروا عدداً ... يوم النزال ولم يستعظموا عُددا
لله أروعهم كالنار متقداً ... يبغي حياض الردى بالنار مبتردا
يقبّل الجرح لو لم يُغرِهِ طمع ... بغيره ما تمنّى أنه ضُمدا
كأنما الجرح ثغر المجد مبتسماً ... والنصل فيه لسان بالثناء شدا

* * *

يا من يروم كؤوس العز صافية ... جفت ينابيع لبنانٍ فردْ بردى
دم الشهادة يجري في مناهله ... حراً طهوراً يبلُّ الروح والجسدا
لا سِلم إن لم نُعِدْ للأرز نصرَتَهُ ... والعيش في الأرز مخضلاً كما عهدا
ولا معاد بغير الحق منتصراً ... ولا انتصار بغير الشعب متحدا

١٣٤ - عد يا معلم(*)

[من البسيط]

عُـدْ يـا معلمُ أو فـابعثْ لنـا أحَـدا | طـال السُرى وأضعنا بعـدك الرَشَـدا
هـا ربع قـرنٍ تقضّى مـذ رحلتَ ومـا | زالت سفينتُنـا تجـري بغـيرِ هُـدَى
فبـات في عهـدِ الاستقـلالِ منشـطراً | من كانَ في عهدِ الاستعمارِ متحدا(١)

أكنت تـرضى بـذا؟ كـلا! لقـد شهـدَ الجمعـانِ أنـك لا تـرضى بـه أبـدا

روحُ المـعـلمِ تـأبى أن تـطلَّ إذا | حيّـاهُ في عِيـدِهِ لـبنـان مُـنـفـرِدا
وليس يُسعـدُهـا شيءُ كحـين تَـرى | يُمـنى فتى الأرزِ في يُسرى فـتى بـردى
تكـريمـهُ الحقُّ في تكـريم مبـدئِـه | أو لا فكـلُّ كـلامٍ فيـه ضـاعَ سُـدى
لا قـدَّر اللّهُ أن تحمـرَّ أوْجُـهُـنـا | إذا التقينـاهُ في يـومِ الحِسـابِ غـدَا
فـلنتّـخـذْهُ دليـلاً في مـهـاجـرنـا | ولنسـعَ للمجـدِ قلبـاً واحـداً ويـدَا
وفي «النجيبِ» وفي آخـائـه عـوضٌ | فليحفظِ اللّهُ بعـد الـوالـدِ الـوَلَـدَا

١٣٥ - بين شمسين

[من البسيط]

يـا لاحتـمالِيَ من شـمسٍ ومن بشرٍ | كـلاهمـا أعـدمـاني الـروحَ والجسـدَا
فتلك تحـرقُ جسمي كلما اقـتـرَبَت | وذاك يحـرقُ قـلبـي كـلما ابـتـعـدَا

(*) أحيا آل يافث سنة ١٩٤٨ حفلة تذكارية لمرور ٢٥ سنة على وفاة عميدهم المعلم نعمة.
(١) كان كل المغتربين في عهد الانتداب الفرنسي يعترفون بأنهم سوريون ويُعرفون عند الأجانب بالجالية السورية.

١٣٦ ـ لا ترضَ صَفْعاً(*)

[من البسيط]

لا تـرضَ صفعـاً ولـو من كفِّ والـدةٍ ... مـا قـال رَبُّـكَ أن يُسْتَعبَدَ الـولَـدُ
مـا أبعـد العـز عن بيت وعن وطنٍ ... بـالـذلِّ فيـه تـربِّي الأمُّ مـن تـلدُ
أسمى التعاليمِ ما تـرضى العقولُ بـه ... ويـطمئـنُّ إليـه الـروحُ والجسـدُ
إذا استمـرَّ عـلى حمـلِ الأذى أسَـدٌ ... تُنسى الكـلابُ ويُنسى أنـه الأسـدُ

١٣٧ ـ يا عاقد الخير(**)

[من البسيط]

يـا عاقـد الخيرِ في الـدنيـا عـلى أمـلٍ ... كـالخيط، آخـرُهُ بـاللحـد معقـودُ
كم ذا تـطيل عـلى ما قـد فقدت أسىً ... وكـلُّ مـا لم يَـنَـلْهُ المـرءُ مـفـقـودُ
الـدُّود فيـك يُمَـنِّي نـفسـه بـغـدٍ ... كـما تَـعَـلَّل بـالمـوجـودِ مـوعـود
يـردّد الـلحظَ مـن قـلب إلى كبـد ... ومـلء حملاقـه سخـر وتهـديـدُ(١)

١٣٨ ـ يا ولدي(***)

[من البسيط]

يـا «نخلتي» يا طـريَّ العود يـا ولدي ... يـا حلم أمسي الذي زَخْـرَفْتُـه لغـدي
تـركتني لـريـاح الحـزن تعصف بي ... وتـوقـد النـارَ في روحي وفي جسـدي
أحنـو على رسمـك المحبوب يشبعني ... وهمـاً وأشـبعـه ضـماً إلى كبـدي
أعـلل النفس بـالـلقيـا إذا أذنـت ... مـشـيئـة الله لي في جـنـة الخـلدِ

(*) القطعة رقم ٦٣ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) القطعة رقم ٦٥ من مجموعة «موجات قصيرة».
(١) حملاق العين: ما يُسوِّده الكحل من باطن أجفانها.
(***) تحت رسم نسيب الشاعر نخله مخايل، بلسان والدته الثكلى.

١٣٩ ـ لميس(*)

[من البسيط]

بانت لميس فهل من عارفٍ نكدي ... ولوعة الوالد المفجوع بالولد
يحير الناسَ ما أبديه من جلد ... والموتُ أهون ما أخفيه من كمدِ
قالوا ستسلو مع الأيام قلت لهم ... كحزنيَ اليوم حزني آخرَ الأبدِ
أبكيكِ ما دام في التاريخ لي رمَقٌ ... حتى أضمَّك يا روحي إلى كبدي

١٩٧١

١٤٠ ـ أليس في العمر

[من البسيط]

أليس في العمرِ يومٌ أستريحُ به ... من شرِّ منتقمٍ أو لؤمِ منتقدِ
من كان يطمعُ في ما نِلتُ من شرف ... فَلْيَشْدُ وَلْيعتقدْ شدوي ومعتقدي
لو كان يدري حسودي ما أُكابدهُ ... في الحقِّ ما أكَلَتهُ جمرة الحسدِ
إني صعدتُ إلى مجدي على جبلٍ ... مما تهدَّمَ من روحي ومن جسدي

١٤١ ـ رباعية(**)

[من البسيط]

هذي الأناشيد غنّاها ودوَّنها ... شيخٌ طوى عمره في خدمةِ الضادِ
وعاد من آخرِ الدنيا يردّدها ... لكل طيرٍ بوادي دجلةٍ شادِ
أمضى ثلاثين يوماً في مرابعهم ... كأنه بين أولاد وأحفادِ
لم ترضَ أن تهجر الوادي فخلّفَها ... فيه وأرَّخها ذكرى لبغدادِ

(*) على لسان والدها العلامة عارف النكدي.

(**) الرباعية التي قَدَّم وأرّخ بها طبعة ديوانه في العراق سنة ١٩٧١

١٤٢ ـ هـذا جِدادك(*)

[من البسيط]

قل! هل رأيتَ شموسَ الغيدِ في العيد   تَختالُ بـالبيضِ من أجفـانها السـودِ

طـوراً فُـرادى عـلى مهلٍ منـظّمَـةً   مثـلَ العقـود وطـوراً كـالعنـاقيـدِ

يــرشُقْننـا بسهـام غـيرِ جـارحـةٍ   مصنوعـةٍ من عصـير النـدِّ والعـودِ

وتـارةً نـاثـراتٍ فـوقـنـا ورقـاً   كـأنـه مـدمـعُ العشّـاقِ في الجـودِ

أو راميـاتٍ بـه شهبـاً مـذنّبـةً   تقتـادُ قلبي بحبـلٍ غـيرِ مشـدودِ

مـا زلت حتّى انقضى عشرٌ وواحـدةٌ   من الـدجى وكـأني غـير مـوجـودِ

يقـول صحـبي لمـاذا أنـت مكـتئبٌ   وكـلنـا بـين تهـليـلٍ وتـغـريـدِ؟

قلت: اعـذروني فـإنّ النـوم يغلبني   قالوا: انطلق أنت مشتاق إلى العـودِ!

فـرحت عنهم وفي عيني وفي كبـدي   مـا ليس يـدرون من همٍّ وتسـهيـدِ

أمشي الهـوينا وأحشـائي مقـطعـةٌ   عـلى نصيب المسـاكـين المنـاكيـدِ

أرامـلٌ ويـتـامى يُـعـوِلـونَ عـلى   أسْـدٍ يُقَضُّـونَ هـذا العيـدَ في البيـدِ

حيـث الـسهـام هـي النـيران آكـلةً   فـلا يُـرى بـينهـا سهمٌ لـتـبريـدِ

حيث «النثير» كراتُ المـوت سـاقـطةً   مثـلَ الرجـومِ عـلى هـام الصناديـدِ

يـأتي عـلى الجيشِ لا يُبقي لـه أثـراً   مستـأثـراً بنصيبِ الـوحشِ والـدودِ

أولئـك الصيـدُ في حـومـاتهم وهنـا   نحـوم نحن عـلى اللّذاتِ كـالصيـدِ!

هـذا جِـدادك يـا غـربيُّ تـلبسـه   عـلى أخ بـين تنكيـلٍ وتنكيـدِ!

يـا حبـذا جهلُنـا، نِعْمَتْ بساطتنـا   أمُّ الـدموعِ المغـازيـر المجـاويـدِ

شرُّ البسـاطـة محـدودٌ بصـاحبهـا   ولـلـتـمـدن شرٌّ غـير محـدودِ

عَمَّت مصـائبـه الـدنيـا وقـد بلغت   إلى الـسـماءِ صعـوداً بـالمنـاطيـدِ

(*) نظمها في عيد «المساخر» في «صنبول» سنة ١٩١٥ إبان الحرب العالمية الأولى.

١٤٣ - خيرُ وليّ(*)

[من مخلّع البسيط]

إلى سموّ الأمير فهدِ ... خير وليّ لخير عهد
أزجي كتاباً وصلتُ فيهِ ... نهارَ جهدي بليل سهدي
نظمته في سبيل قومي ... وعشت أغنى الورى بزهدي
فلست أهدي ديوان شعرٍ ... بل هو قلبي السليم أهدي

١٤٤ - تَفْرُكُ الجَفْنَ

[من الخفيف]

المَها في شباكها والصيدُ ... ليسَ في الحبِّ صائدٌ ومصيدُ
رُبَّ جفنٍ بمَنْ رَمى يسفَحُ الدمعَ - من الوجدِ فهو جانٍ شهيدُ
ما نجا خافقٌ، وجَنّبني سِحرَ - العيونِ السودِ الليالي السُّودُ
قَفَلَ الحقُّ عن فؤادي حزيناً ... مذ درى أنَّ بيتَه مهدودُ
طرح القوسَ والكنانةَ والنّبلَ - وولّى متمتماً... «كوبيدُ»
كدتُ واللهِ لا أصدّقُ طَرْفي ... أفهذا الرشيدُ ذاك الرشيدُ؟
أين ذاكَ الشبابُ والزهوُ والتشبيبُ - أين الغِناءُ أين العودُ؟
الأغاريدُ والخمائلُ والآفاقُ - صمتٌ ووَحشةٌ وقيودُ
عبثاً تلتظي خُدُودٌ وتهتزُّ - قدودٌ وتشرئبُّ نُهودُ
سَلَبَتني الأيامُ سِحريَ حتّى ... أمِنَ الإلفُ واستراحَ الحسودُ
ما تبقّى من سالفِ العهدِ إلاّ ... ذكرَياتٌ بين الحُطامِ رُقودُ
كلّما عادها خيالُ حبيب ... تفرُكُ الجفنَ لمحةً. وتعودُ

* * *

(*) على نسخة من ديوانه إلى سمو الأمير فهد.

١٤٥ ـ أنا راضٍ (*)

[من الخفيف]

أنــا راضٍ بـنـعـمــة الله في خـلـقـي ـ مـذيـعٌ فـضـلَ الـغـنيِّ الحـمـيـدِ
وســواءٌ عـنــدي أكـنـتُ سـعـيـداً في حـيــاتي أم كـنـتُ غــيرَ سـعـيــدِ
أقــلـيـلٌ أنّي وُجِــدْتُ وأنّي وأنــا الــطـينُ شــاعــرٌ بــوجــودي
تــســتــحــقّ الحــيــاةُ أكــثر مِمّــا تـتـقــاضى الأحـيــاءُ مـن تـنـكـيـدِ

١٤٦ ـ الدكتور صوايا(**)

[من الخفيف]

يــا صــديـقــاً يــرعـى المــودّةَ إنّــا لم نَــحُــلْ قطُّ عــن عــهــودِ ودادِكْ
مــا نـسـيـنــا لــكَ الجـمـيــلَ ولـن ننسى تـفــانـيـكَ في سـبـيـــلِ بــلادِكْ
كــم مــقـــالٍ حَــبّــرْتَــه ودمُ الــقــلــبِ عــلى الــطرس نــابضٌ في مــدادِكْ
جُــدت بــالــثروتــينِ مــن أجــل ســوريــا وآثــرتَهــا عــلى أولادِكْ
مــا لــبــســنــا الهــوانَ والــذُلّ لــو كــان لــبـعضِ الملوكِ بـعضُ جـهــادِكْ

١٤٧ ـ هذا هو الرأي(***)

[من مجزوء الرجز]

هــذا هــو الــرأيُ الأسَــدّ كـفّــكَ في كـفِّ الأسَــدْ
فَسِرْ عــلى بَــرَكَــةِ الله ـ ولا تخشَ أحَــدْ

(*) القطعة رقم ٦١ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) مر صديقه الدكتور جورج صوايا سنة ١٩٥٠ على «صنبول» بعودته من الوطن إلى الأرجنتين فأحيا له إخوانه مأدبة ترحيبية تنوشدت فيها التكرمات.

(***) إلى بَطلي الوحدة السيدين الرئيسيين معمر القذافي وحافظ الأسد بمناسبة إعلان الوحدة بين سورية وليبيا.

وأرْسِيـاهـا وحـدةً ... عـلى قـواعِـدٍ جُـدُدْ
مـدروسَـةِ الخِـطَّةِ لا ... مـشـاكـلٌ ولا عُـقَـدْ
لا مِـثْـلَ هـاتيـكَ التي ... كـانـت قصيـرَة الأمَـدْ
وَوَسِّـعـا رُقـعَـتَـهـا ... لـكـي تجـوزَ كـلَّ حـدّ
قُـطرٌ يـليـهِ آخـرٌ ... إلى نِهايَـةِ الـعَـدَدْ
حتى تقـومَ الـوحـدةُ الـ ... ـكبرى على أقوى عَمدْ
إرادَةُ اللهِ ومـا ... لمـا أرادَ الـلهُ رَدّ
لا زلـتـمـا لـلعُـربِ - قَـلعتَيْ صـمـودٍ وتَـصَـدّ
فـجـاهـدا ليسَ الـذي ... جـاهـدَ كـالـذي قَعَـدْ
لم يُحصَرِ الإسـلامُ في ... رجـمٍ ولا في قـطع يَـدْ
عــدوّنـا مجـهّـزٌ ... بـألـفِ عـينٍ ورَصَـدْ
يـرقُـبُ مـنـا غـفـلةً ... يـغـنِـمهـا لحرب غـدْ
ونـحـنُ لـسـنـا دونـهُ ... في عَـدَدٍ ولا عُـدَدْ
فـحـسـبُنـا مـهـانـةً ... وحَسْبُهُ تـصـعـيرَ خَـدّ
وحـسـبـنـا تـودداً ... إلى عـدونـا الألَـدّ
نُمـدّهُ بـالـذهـبِ الـ ... أسـودِ مـا شـاء المـددْ
القُـدسُ عِيل صـبرهـا ... والمـهـدُ خـانـه الجَـلَدْ
ونحن بـانتـظارِ إنجـازِ - الـذي الحـرُّ وعَـدْ
يـا سـوريـا يـا ليبيـا اشْكُـرا ومن يشكُـرْ يُـزَدْ[1]
مـاحـيّرَ الإنسَ ولَمْ ... يَـدُرْ لجـنٍّ في خَـلَدْ
خمسـونَ مليـونـاً من الـ ... ـأغنـام يـرعـاهـا وَلَـدْ
ربّـاهُ أيـقظْ مَـنْ عـلى ... بـسـاطِ ذلِّـهِ رَقَـدْ
إنْ أمـروهُ: قُـمْ يَـقُـمْ ... أو أمـروهُ: اسجُـدْ سَجَـدْ
أسْـرَعُ في الـطاعـةِ مِنْ ... بـرقٍ إذا «بيغِنْ» رَعَـدْ
لم يُـرَ إلاّ نـازلاً ... لم نـرَهُ قطُّ صَعَـدْ[1]

---

(١) هذا البيت في المخطوطة ولم يرد في المطبوعة.

أيـن الـدَّمُ النـابِضُ في ... قلبك يا مصرُ؟ جَمَدْ.
إن كـان يـومـاً قـاتـلي ... فـإنـني لمسـتَعِـدّ
ومـا أنـا أولُ حُـرٍّ - ... نـال مـنـهُ مسـتـبـدُّ
ولستُ من يخشى الـردى ... فـما من الساعـةِ بُـدّ
أنـا الشهيدُ الحيُّ طـولَ - ... الـعـمـرِ والـلـهُ شَهـد
مـنـاضـلاً في غـربـتي ... مـالاً ونـفسـاً وجَـسَدْ
لم أنسَ يـومـاً وطـني ... وأمـتي ولـمْ أكَـدّ
ثُـرْتُ على الظلم ومـا ... بـلغتُ في سـني الـرَّشَد
لـو لم أهـاجـرْ مـا نجـا ... عنقـيَ من حبـل مَسَـد
أنـقـذني الله مـن الـ ... ـقـتـلِ مـراراً لا تُـعَـدّ
محـوّلاً نـار الـعـدى ... بـرداً عـلى قـلبي وَنَـدّ
زدْ عَبْـدَكَ الشـاكـر يـا ... ربي ومـنْ يَـشْـكـرْ يُـزَدْ
بـوحـدةٍ لا تـنـتـهـي ... إلا إذا انـتـهـى الأبـدّ

١٤٨ - يا صبايا الأرز(*)

[من الرمل]

يـا صـبـايـا الأرز ميسي طـربـاً ... وامسحي اللؤلـؤ عن عـاج الخـدودْ
لا تـغضي خـجـلاً إن زغـردَتْ ... بـنـت سـوريـا لأبـطال وصـيـدْ
غـسَلَتْ عـار الحـمـى أجمـعَـهُ ... وقفـةُ البـطركِ في وجـه الـعمـيـدْ

(*) في مدح غبطة البطريرك أنطون عريضة لمواقفه الوطنية

١٤٩ - «على أثر الثورة الليبية»(*)

[من الرمل]

ليبيا:

ليبيا يا معقلَ العُربِ الجديدا زدتِ أعيادَ شقيقاتكِ عيدا
مرحباً بالثورةِ البيضاء لا جَرَّدَت سيفاً ولا حزَّت وريدا
من شبابٍ همّه أمّتُهُ كادَ ينسى نفسَهُ حُبّاً وجودا
هبَّ للسِلمِ وللحربِ معاً بَطلاً يُنجزُ وعداً ووعيدا
غَلَب القوَّةَ بالرِفقِ ولو أغضبوهُ كان جبّاراً عنيدا
ينقلُ الخُطوةَ في نورِ الهدى جاعلاً رائدَه العقل الرشيدا

«فيصل»

عاهلَ البَطحاءِ خُذها نفحةً ضمّخت بالنَفسِ الحُرّ البريدا
من رُبى صنبولَ يُزجيها أخٌ عَربيٌّ كم وكم غنّى قصيدا[(١)]
يا طويلَ العمرِ نحن اليومَ في عصرِ عِلمٍ يُنكِرُ الجرْيَ الوئيدا
نفَضَ الغَربُ جَناحَيْ قَشعَمٍ نوويٍّ جاوزَ النجمَ صُعودا
ولَبِثنا بالأماني قُنّعاً حَسْبُنا أن نذكر المجد التليدا
قبْلَ أن نُؤتى كتاباً مُنزَلاً أبدَع اللّهُ لنا هذا الوجودا
فقَرأنا فيهِ آياتِ الهدى وذكرناهُ قِياماً وقُعُودا
أَيَضِيرُ الدينَ لو كنّا على هامة الجوزاءِ للهِ سُجودا
أنت أغنى مَلِكٍ فوق الثَّرى قدْرَ ما أنت غنيٌّ كنْ حَميدا
وخلودُ الذكرِ نوعان لمن شاءَ فانظرْ كيف تختارُ الخلودا
أَسْمعِ الأمّةَ ما يُطربُها طال منك الصمتُ فاجْعَله نشيدا

(*) وجدنا بين أوراقه مخطوطة القصيدة مكتوبة بخطه وعنوانها «الثورة الليبية».

(١) هذان البيتان موجودان في المخطوطة وقد شطب في المطبوع عليهما وكأنه أراد التخلص منهما.

قلّب الطرف قريبا وبعيدا ثمّ قلّبه قريبا وبعيدا
هل تَرى ملكا عليها خالدا في سوى الأكباد أو عرشا وطيدا.

دولـة الإسـلام لـو أسـعـدتَهـا كُنْتُ بـاركتُ لـك المُلكَ السعيـدا
إن في «الـظهـران» شمشـونَ الأذى وعَـدوَّ الـديـنِ والـدنـيـا الـلَّدودا
أمِـنَ الاسـلامِ أن تـبـقـى لـه ذلـك الصـاحبَ والخِـلَّ الـودودا
وتـظنَّ الـلَّهَ يـرضى عـنـك إن كنت خـوفَ النقـدِ تعـطينا نُقـودا
إن لـلنصرِ سـبـيـلاً قـاصـداً إن سلكـنـاهُ غـدا الـنصرُ أكيـدا
أمّـم الـنـفطَ وأسـقِـطْهُ نـدىً يصبـحِ الـرمـلُ سلاحـاً وجنـودا
أو فـمـوِّتْهـم إلـيـه عَـطَشـا آخـذاً عن «ديغـل» الـدرسَ المفيـدا
تُـرجـعِ الـقـدس إلى أبنـائِـهـا وتُـعِـدْ شعـبَ فلسـطينَ الشريـدا
وتـدكَّ الـدولـةَ المـسـخَ الـتي أقسمَـتْ إن لم نُبِـدْهـا أن تُـبيـدا
حـرَقـوا «الأقصى» ولـو أمكَنهـم جـعلوا «الـكـعـبـة» لـلنـارِ وَقـودا
سـيـعـودون إذا لِـنّـا لَهـم والـذي أبـدأ يُخشى أن يُـعِـيـدا
أذْلَـلْـنـا كـلّ هـذا الـذلِ لـو كنتَ يـا فيصلُ هـارون الـرشيـدا
حـبـذا الـعـهـدُ الـذي كـان بـه دينُنـا الحـقُّ جـهـاداً لا جمـودا[1]

«نِكسُن»

مَـن لـشـيـطانٍ مَـريـدٍ لَم يَـلِدْ مثلَه التـاريـخُ شيـطانـاً مَـريـدا
مـذ عَـرَفـنـاه تـرَحّمـنـا عـلى زمَـنٍ كـان بـه الـنـاسُ قـرودا
قـتّـلَ الصُـفـر «بِـفـتـنـام» ومـا عـفّ عن أبنـائـهِ بِيضـاً وسُـودا
مِئـتـا مليـونِ حُـرٍّ أصـبـحـوا «لـلشيـاليـخِ» إمـاء وعبيـدا[2]
يـبـذلـونَ المـالَ والنـفسَ لهـم ولأهـلِ الشـرقِ نـاراً وحـديـدا
أُمّـةٌ لا تـعـرف الـرحمـةَ مـا دلّـلت إلا كـلابـاً ويهـودا[3]

الفدائيون

والـفِـدائـيـون هـل مـن أمّـةٍ أنـجَبَـت أطيـبَ أو أصـلبَ عـودا

(١) هذا البيت ورد في المخطوطة بعد البيت الثامن عشر
(٢) الشياليخ جمع شيلوخ وهو رمز الشح اليهودي.
(٣) ذكرت صحف العالم أن جونسون عطّل جلسة «السنادو» حين أنذروه بموت كلبه.

في لُغات الأرضِ يبقى ذكرهم عربيّ اللفظ والمعنى جديدا
كلّما طُيِّرَ عنهم نبأُ زُلزِلت صهيونُ زلزالاً شديدا
أين عند «الفتح» ابطال الأسا - طير يوناناً وفُرساً وهنودا
مَن رأى الأطفال في العشر على لَهَواتِ الموتِ تنقضُّ أُسودا
من رأى الصاروخَ لحماً ودماً والبراكينَ غصوناً وورودا
يا لَمنبوذٍ شريدٍ لاجئٍ فَضَحَت خيمتُه القصرَ المَشِيدا
غسلَ العارَ وأحيا شرفاً مُنذ أعوامٍ بكيناه فقيدا
من يُغِثْ أمَّ فدائيٍّ شهيدٍ عدَّهُ اللّهُ فدائياً شهيدا

١٥٠ ـ أو ما في العرب(*)

[من الرمل]

أوَ ما في العُرب من قَرم عنيدِ ينقذ الأحرار من كيد العبيدِ
يا لها من غارة عبسيّةٍ كنتَ محسوباً لها يا ابن سعودِ

* * *

هدَّدتنا قوةٌ غاشمةٌ صَلَتِ الحقَّ بنارٍ وحديدِ
واستباحت قدسه جاعلةً منزلَ الرحمةِ داراً للقرودِ
كلُّ حرٍّ عربي مخلصٍ فيه رهن الموت أو رهن القيودِ

* * *

يا فلسطينُ اندبينا مَعَهُم فلكَم ميتٍ وكم حيٍّ شهيدِ
نالنا في العيش أضعافُ الذي نال من تبكين في جوف اللحودِ
ما لجنْدِ البُطلِ يغلي حَنَقاً كلما الحقُّ تغنّى بنشيدي
لم أقلْ وحدي، فمن أنبأهُم أنّ شعري وحدَهُ بيتُ القصيدِ

(*) تليت في «صنبول» ١٠ تموز سنة ١٩٣٥، في الحفلة التي أحيتها جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية، لمرور خمسة أعوام على إعدام الشهداء فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم.

زعمَ الأغرارُ أني شاعر ... ضيِّقُ الآفاقِ محدودُ الحدودِ
وستبلى وطنياتي التي ... رفلَت منها البوادي في بُرودِ
والتي يحسُد هُدَّابُ الضحى ... خيطهَا المنسولَ من حبلِ وريدي
إن يكُنْ غير الذي قد زعَموا ... واضَياعي بين أصنام الجمودِ!
أو يكن للموتِ قلبٌ واثبٌ ... في ضلوعي كلّما نادى ونُودي
و«الأعاصيرُ» التي اجتحتُ بها ... أعظُمَ الموتى كأجفان الرقودِ
والتسابيح التي رتَّلتها ... لبني أمي على أنَّاتِ عودي
ففِدى استقلالِ قومي شهرتي ... وأغاريدي وشعري وخلودي!
جعلوا الرقّة مقياساً وما ... أبعدَ الرقَّةَ عن تلك الكبودِ!
أرأيتم شاعراً تُطرِبُهُ ... أنّة الثكلى على رطب وجيدِ
ويرى إخوانه تنثرهم ... زعزعُ البغي على كلِّ صعيدِ
وهو لاهٍ ينسبُ الشعر على ... رنّة الكأسِ بقدٍّ وبجيدِ
ليس هذا شاعرَ الخلد كما ... وهموا بل شاعر «العصر الجليدي»

* * *

ليت فيهم منصفاً يخبرهم ... أنني شاعرهم رغم الجحودِ
قبل أن أجتاز عقداً ثانياً ... زِنْتُ جيد الدهر بالعِقد الفريدِ
أيُّ فنٍّ من فنون الشعر لم ... أقرع الأفذاذَ منه بِشَرودِ
أنا للحب وللحرب معاً ... وقوافيَّ لمن شاءَ شهودي!!

* * *

لستُ بالمزهوِّ لكن أدبي ... صُنتهُ عن كل مهذارٍ بليدِ
باحثٍ في الشعر صبحاً ومساً ... مبدىءٍ ما آجترَّ بالأمسِ مُعيدِ
قصّر العَيْر فغنّى. ساخراً ... من جنون الخيل بالعَدْوِ الشديدِ
فرَّ والغارةُ في غُلوائها ... يعِظ (الأبجر) بالجري الوئيدِ[1]
ما لهذا الشرقِ لا يبرح في ... نكبات من علوج الغرب سودِ

---

(١) الأبجر اسم حصان عنترة العبسي.

أشهيداً علقوا أم جرساً … رنَّ فاهتزَّ له قلب الوجود
وسَرَتْ ألحانُه مطربةً … حول عرش الله أرواح الجدودِ
نحن قومٌ فتَنتنَا مُثُلٌ … ما لنفسِ الحرِّ عنها من مَحيدِ
ليس يَثنينا عن استقلالِنا … جنةُ الوعدِ ولا نارُ الوعيدِ
كلما استُشهِدَ منا بَطَلٌ … هتف الأجداد أهلاً بالحفيدِ!
وتلقّى ابن زيادٍ روحَه … بتهاليل الرضى وابن الوليدِ
فرأى «بلفور» في أصفاده … يتلوَّى تحت أقدام «الرشيدِ»
«وفؤادٌ وعطا الزير وجمجومُ» … يُهوون عليه بعمود
والأُلى استقوى بهم لم يُغنِهم … جري أسطول ولا زحف جنودِ
تنبذ الجنةُ منهم مائةً … كلما احتلَّ فلسطينَ يهودي!

* * *

أنْجَبَتنا أُمّةٌ ما بَرِحت … تُنجبُ الأبطالَ من قبل «ثمودِ»
زرعوا الأرض سيوفاً وقناً … ثم روّوْها بإحسانٍ وجودِ
رقّصوا الخيل على الطعن كما … رقّصوا الطيرَ على خفقِ البنودِ
كلَّ يوم يكشف العلم لهم … أثراً عن ذلك الماضي المجيدِ
كلما قيل انطوت أعلامهم … وانطوَوْا هَبُّوا إلى مجدٍ جديدِ
كالنجوم الزُّهرِ في أفلاكها … أبداً بين هُوِيٍّ وصعودِ
لم يَضِرْنا راحةٌ بعد العنا … فالكرى يُغْمِضُ أجفان الأسُودِ
وسنُعلي ما بنى أسلافنا … بالمزايا الغرِّ والعزم الحديدِ
فارتقبْ يا أيها المزري بنا … ليس يوم البعث منّا ببعيدِ!!

١٥١ - وطني

[من مجزوء الرمل]

وطني لبنان يا نجواي في قربي وبعدي
أيّ خُلد شاغلي عنكَ وأنتَ الخُلدُ عندي

١٥٢ - على البردوني(*)

[من الطويل]

ألاَ لَيْتَ كُلِّي فيكَ يا جدولُ اتَّحَدْ ... وليتكَ في عيني لأبكي إلى الأبَدْ

إذا جفَّ دمعي فاضتِ النَّفْسُ أدْمُعاً ... فإنْ نَضَبَتْ أجريتُ في إثرها الجَسَدْ

وما أنا أبكي من بِعادٍ وإنما ... بكائيَ مِنْ قربي مِنَ الشّرِ والحَسَدْ

من الثعلبِ المحتالِ في جِلْدِ مخلصٍ ... من النابح الُمخْتَالِ في بِزَّة الأسدْ

مِنَ النّاسِ أصناماً من اللؤمِ صوِّرت ... جوامدَ إلا آلةَ السبِّ والمِعَدْ

إذا ما سرَوْا للبُطْلِ فالكل مبصرٌ ... فإن ضاءَ نورُ الحقِّ فالكلُّ في رَمَدْ

تظن الفتى شيخاً لفرطِ هُزالِه ... وتَحسَبُ أنَّ الشيخَ من هزله ولَدْ

أأجفوكِ يا نفسي لأنك حرَّةٌ ... وكان اصطحابُ الحرِّ مجلبةَ النكَدْ

وأعصيكِ في ما تطمعين من العُلى ... لأنكِ لا ترضَيْنَ منه بما يُحَدّ

تُجشِّمني منكِ الشبيبةُ مطلباً ... يعِزُّ على طَولِ السِّماكِ إذا قصدْ(١)

وترمي بيَ الأهوالُ في كلِّ مأزقٍ ... لو انحشَرَتْ فيه المنيةُ لم تكَدْ

سأضربُ في الآفاقِ أرتادُ مَوْرِداً ... عزيزاً على الوُرَّاد يصفو لمن ورَدْ

لَعَلِّي أرى بِكراً جديداً من العلى ... نقيَّ حواشي العزِّ لم يُبتذلْ بيَدْ

وأجعلُ بعدَ اللهِ نفسيَ ناصراً ... فما فاز إلا من على نفسهِ اعتمدْ

(*) زحلة سنة ١٩١١

(١) تجشّمني: تكلفني. السِّماك: نجم نيّر.

١٥٣ - برغم القبر(*)

[من الطويل]

لَحَيٌّ بـرَغمِ القبرِ فليخسإِ الرَّدى ... وقد سلم الغازي فلا يهنإِ العدى

ولو كل موت يضمَن الخلدَ سارعَت ... إليه ملوك الأرض مثنًى وموحدا

ولو كل حظِّ حظُّ غازي من العلا ... تفاءَلَ بالدنيا مُهلٌ فأنشدا(١)

بنيتَ له الملكَ الذي هو أهلُهُ ... وأطرفتَ ما هارونُ بالأمس أتلدا

فمكّنتَ آساساً وزخرفتَ قبةً ... وذهَّبتَ آفاقاً وأطلعت فرْقدا

ورمّمتَ في بغدادَ عرشاً مهدَّماً ... وخلّفتَ في الأكبادِ عرضاً مؤبّدا

وما أنت إلاَّ السيفُ أعقبَ خنجراً ... بلوناهُ في الجُلّى فكانَ المهنّدا

لَدُنْ أدَّبَ الجبارَ بالصفعةِ التي ... تداولَ أسماعَ النجوم لها صدى

وصبَّ على رأسِ السفيرِ صواعقاً ... نزَلنَ على أكبادِنا البردَ والندى

رآهُ وقد ضلَّ الهدى فانتضى له ... يداً قدحَت من عينه النورَ فاهتدى

يمينٌ شريفٍ تُقعِدُ الطودَ قائماً ... ولو شاءَتِ اليُسرى أقامتْه مُقعدا

أذابَت قلوبَ الخائنينَ وفوَّرت ... دماً في عروق «الإنكليزِ» تجمَّدا

ليرضَ عليكَ الله يا سِبطَ أحمد ... فإنك قد أرضيتَ جَدَّكَ أحمدا

شفيتَ بهذا الموقفِ الحرِّ نفسَه ... وزحزحتَ عن صدرِ العروبةِ جلمدا

وكم غضبٍ أدنى من الحِلم للتُقى ... وأهدى إلى المجدِ الرفيع من الهدى

وما شأنُ مَلْكٍ سامَه العبدُ ذلةً ... وأبرَقَ صعلوكٌ عليه وأرعدا

وكم تاجِ مُلك صار نيراً لربِّهِ ... وكم صولجانٍ عادَ في العُنْقِ مِقوَدا

أيزعمُ ذو القرنين. أنك عبدهُ ... ومثلك من يلقى السلاطين أعبدا

تعَوَّدَ منا أن نغُضَّ على القذى ... فعودّتَه نِسيانَ ما قد تعوَّدا

(*) ألقاها في مسرح «سرفنتس» في «بونس ايرس» آخر عام ١٩٣٣ بدعوة من الجالية العربية له ولرفيقه فرحات، للاحتفال بذكرى الملك فيصل بن الحسين. وقد بلغ من حماسة ألوف الحاضرين خلال إنشادها وبعده أن عقد نائب رئيس الجمهورية الأرجنتينية يده في يد الأقرب إليه وهذا في يد من يليه حتى تألفت سلسلة من الأيدي بلغ آخرها يد الشاعر على المنبر. وهزوها جميعاً هزة المصافحة والإعجاب.

(١) غازي: هو ملك العراق ووالد ملكه الأخير فيصل.

ليعلمْ عبيـدُ التـاج أنـك سيـدٌ تـزيـدُ بـه التيجـانُ مجـداً وسؤددا
وأنَّ قـريشـاً أعـظمُ الخلق هيبـةً وأكـرمُ أخـلاقـاً وأشـرفُ محتِـدا
تخـرُّ منيعـاتُ الجبـالِ مهـابـةً لبيت عـلى رمـلِ الحجـاز تشيّـدا
زكـا أصلهُ قبـلَ النبـيِّ محمـد فكيـف وقـد أزكى النبي محمـدا
بـتمكينـه عهـدٌ من الله خـالـدٌ على الدهـرِ ما كـرَّ الجديـدان جُـدَّدا
تَشيبُ الـثريـا قبـل إنـذارِ شيبـه ويـوشـكُ خـدُّ الشمسِ أن يتجعّـدا

* * *

أفيصـلُ إني مـرسـلٌ فيـك شُرَّداً يَـثبـنَ إليـكَ الـلانهايـة غُـرَّدا
أُكلّفهـا نَـوحـاً فتمضي شـواديـاً أوابيَ أن تـرثـيـك حـيـاً مخـلدا
كـأنَّ حـروفَ الخط أعـوادُ جنـةٍ عـلى كـل فـرع بلبـلٌ للعـلا شـدا
وقـلّدتُ منهـا كـلَّ شـطر مهنـداً يـظلُّ عـلى هـامِ الـعُـداة مجـرَّدا
إذا قـرَعَ الـراوي بـه سمعَ خـائن تـذوَّقَ طعمَ المـوت شِعـراً مـردَّدا
وحسبُ الـقـوافي أنها فيـك أُلهمت لأغـدو بهـا ربَّ الـبيـانِ المسـوَّدا
فقـد يَهبُ الحقُّ الغـراب فصـاحـةً وقـد يُخـرسُ البُـطلُ الهَزارَ المغـرِّدا
سـبيـلكَ لم تـسـلُكـهْ إلا منـوَّراً وسـهمُـك لم تـرسـله إلاَّ مسـدَّدا
وكنتَ لأشـتـاتِ البـلادِ مـوحِّـداً كـما كنتَ في الـدين الحنيفِ موحِّـدا
وكنتَ لأجـلِ المجـدِ بـالمـال زاهـداً وكنت لأجـل العُربِ بـالمجـد أزهـدا
وكم خضتَ لاستقـلالِ شعبِـك لجـةً وكمْ جُبْتَ آفـاقاً وكم جُـزتَ فـدفـدا
بعيـدَ المنى لم تُلق مِـرسـاةَ مطمـح إلى المجـدِ إلا سـامَـك المجـدُ أبعـدا
مشيتَ لـه تستبـطىءُ البـرقَ مـركبـاً وأدركتَـه تستـوطىءُ النجمَ مقعـدا
أرحْ كبـداً حمّـلتَهـا كـلَّ فـادحٍ من الهمِّ يُعيي الشُمَّ لـو كنَّ أكْبُـدا
طعـامٌ عـلى مضٍّ وشـربٌ عـلى قـذىً ومشيٌ عـلى جمرٍ ونـومٌ عـلى مُـدى
تصبّـرتَ حتى الصبرُ كـاليـأس قـاتـلٌ وحـتى ذممنـا في الخطـوب الـتجـلدا
صِعـدتَ جبـال الألبِ تَنشـدُ راحـةً وعُـدتَ كأنَّ الألب في القلبِ صعّـدا
كَـلاكِـلُ همٍّ لـو أُنيخت «بيـذبْـلٍ» لعـاد «يزوفـا» بقذِفُ الجمـر والـردى

خيانـةُ أحـلاف وإخـلافُ سـاسـة | وغـدرُ الـذي أكـرمتـه فتمـردا[1]
مَشَوْا بكَ بـين الجيشِ والتاجِ موكباً | أعـدَّت لـه نـظَّارةُ الخلد مـرصـدا
فلم يـرَ أهـل الأرضِ أروعَ مشهـداً | ولم تـر عـينُ الغيب أفـظع مشهـدا
يمـدُّون للتسـليم في «لـنـدنٍ» يـداً | ويُخفـون للتسليح في «نينـوى» يـدا
وقالوا مليكُ العرب في الغـرب مُكرَم | فقلتُ: إذن بـات المليـكُ مهـدَّدا
نصحتُـك لا تمـددْ إلى أبـرص يـداً | ولـو مـطرَتْ كـفـاهُ درًّا منـضَّـدا
لأمـرٍ يـلاقيـكَ الفـرنجيُّ بـاسـماً | فـزدْ حـذَراً مـا زادَ ذئـبٌ تـودُّدا
تـراهُ صحيـحَ الـودِّ وهـو سقيمُـه | كـما تُكسِب الحمّى الخـدود تـورُّدا

* * *

بني «جَنْبَل»[2] إن تلبسوا جلدَ ضيغم | فـما يُـرهبُ الآسـادَ ثـورٌ تـأسَّـدا
لئن حـكَّ قـرنَ الشمسِ روقـاهُ مُـدَّةً | فكـلُّ مـديـدٍ كـالقصـير لـه مَـدى[3]
وعهدُ الليالي عهدُكم، فاحتجـاجُكم | عليهـا، كشكوانـا لكم ضائـعٌ سدى
وإنّ قـضـاءً طـالمـا افـترَّ أفـقُـه | لكم عن نجومِ السعد قد باتَ أدردا[4]
وإنَّ الـذي أخنى عـلى «عـادَ» قبلكم | ليُخني عـلى «أوربَّـةَ» اليـومَ أو غـدا
نصبتم لهـذا الشـرقِ كـلَّ حُبـالـة | سيـاسيـةٍ من كيـدِ إبـليسَ أكيـدَا
تسـومـونَـهُ سبقَ الـطيـورِ وحسبُه | فَخـاراً أن استـطاعَ الـدَّبيب مصفَّـدا
وأنكى الـعـدى كلبٌ طـليقٌ مسلَّحٌ | يهـدِّدُ في الأقفـاصِ ليـثـاً مُقـيَّـدا
من المسجـدِ الأقصى إلى «وسْتِمِسْـترٍ» | يـروِّعكم صـوتُ الحسـينِ مهـدِّدا
«بَـريـطانِيـا! بْـريـطانيـا» أين فيصـلٌ | وأين تـركتمْ سيفَ عـدنـانَ مغمـدا
تحـدَّرَ من جـوِّ العـراقـين كـوكبـاً | فـادركـهُ من جـوِّكِ الكـالـح الصـدا

(١) يعني به مارشمعون الأشوري الذي أعلن الثورة وفيصل غائب عن عرش العراق في لندن، تقيم له إنكلترا مهرجانات التكريم بشكل منقطع النظير وهي في الوقت نفسه تنجد الأشوريون بالمال والعتاد مما أثار غضب الغازي فأوسع السفير الانكليزي في بغداد تأنيباً كما يستدل من البيت الثامن.

(٢) كلمة منحوتة من «جون بول» اللقب المعروف به الشعب الانكليزي، معناها حنا الثور والضيغم الأسد وهو شعار الدولة البريطانية.

(٣) روقاه: مثنى روق وهو قرن الدابّة.

(٤) الأدرد: من سقطت أسنانه كلها.

فعـاد أذمَّ العَـودِ عن ألأمِ الـورى ... وهـل كان عن أمثالكِ العـودُ أحمدا؟
فـأصلحَ مـا أيـدي الخيـانـةِ أفسدَت ... وأعجـزَهُ إصـلاحُ مـا الهمُّ أفسـدا
وراحت عيونُ النجمِ فوقَ سريـره ... مسهّـدةً تـرعى العليـلَ المسهّـدا
يئنُّ فـما يلقى سوى اليأس حولـه ... طـبيبـاً وأشبـاحِ المنيّـةِ عُـوَّدا
فـإن تـبرأوا من سَمِّـهِ مـا بـرئتمُ ... من القتلِ ، إنَّ الغَمَّ كالسّمِ موردا[1]
وشيّعـهُ (التـاميـزُ) يبكي معيِّـدا ... كلبنـانَ في أيلولَ يبكي معيِّـدا[2]
ألبنـان من يختَرْ لـه اليومَ مـرقـداً ... بسفحكَ فليختَرْ لـه القبرَ مـرقـدا
صبرنـا على عيشٍ من الذلِ أنكـدٍ ... وأنكـدُه ألا نـرى العيشَ أنكـدا
فسيِّـدنـا عبـدٌ ومـرشـدنـا عم ... ومن يـدَّعي حبَّ النصـارى تهـوَّدا
ومـزّقنـا الإرشـادُ عشرين دولـةً ... ومن نحن عنـد العـدِّ كي نـتعـددا
لئن وعـدونـا بـالجَـلاءِ عن الحمى ... فقـد ضربـوا يـومَ القيـامـةِ مـوعـدا
أرى الناس قد عـافوا السجـودَ لربهم ... فـما لي أراكم للصعـاليـكِ سُجّـدا
فـواللهِ إن لم تـشحـذوهـا عـزيمـةً ... قد اغتَلَفَت في الغمدِ غِمداً من الصدا
ولم تُلهبـوا صدرَ السماءِ بعـاصف ... من الجمرِ يكسو بالعقيق الزُّمُـرُّدا
يـذيبُ جبالَ الثلج بـين ضلوعِكم ... ويمـرُجهـا بحـراً من النار مـزبـدا
وإن لم تُـغـيروا بـالمعـاولِ غـارةً ... تهـدِّمُ هـذا «البـاسَتيـلَ» المُمَـرَّدا
وتغتصبـوا استقـلالكم وتُحَـطِّمـوا ... رِتـاجـاً على عـذراءِ لبنان مـوصـدا
فمـوتوا، ألا مـوتوا، فـما الموت سُبّـةً ... وإن الردى في العار لا العارَ في الردى
وخـيرٌ لهـذا الكـونِ من ألفِ أُمـة ... أرقّـاءَ حُـرٌّ يمـلأ الكـونَ مفـردا
رويـداً بـني أُمـي رويـداً أحـبّتي ... ويـا وطنـاً سـوداءُ قلبي لـه فـدى
أرى خلفَ مُـرْبَدِّ السحـاب سحـابـةً ... مـن الـنـور يـأبى الله أن تـتبـدَّدا
يصعِّـدهـا الـوادي المقـدسُ فِضـةً ... ويَعقِـدُهـا في مَفـرِق الأرز عسجـدا
تطوف بها الأرواحُ من قـبر «يوسف» ... إلى قبر «جـبرانٍ» سـلافـاً مُـبرَّدا[3]
تحيـةَ جبَّـارَيْ حسـامٍ ومـرقـم ... بـدولـة أقـزام تـرى العبـدَ سيِّـدا

---

(١) إشارة إلى ما شاع عن ميتة فيصل المريبة.

(٢) كان لبنان يحتفل بعيد استقلاله الزائف في شهر أيلول على عهد الانتداب الفرنسي.

(٣) يعني أحد اليوسفين الشهيدين: يوسف العظمة، ويوسف كرم.

شَراراً أطـارتـه الأعـاصـيرُ ربمـا ... ألَمَّ بـأذيـال الـدجـى فـتـوقَّـدا
رجـاءً ضعيفـاً يـزعقُ اليـأسُ حـولـه ... إذا كـفَّ عنـه مخلبـاً مـدَّ منقـدا
بـقيـةَ مجـد مـن عصـور حماسـة ... تضجُّ بذكـر السيف والضيفِ والندى
نـذود بهـا عنـا الـردى وهـو زاحفٌ ... يسـوقُ من الآفـات جنـداً مجنّـدا
وقـد يُكسِب الخطبُ النفـوسَ مناعـةً ... ويُضـرِمُ ذكـرُ العـزِّ مـا الـذلُّ أخمـدا
إذا اعتسفَ النـاسُ الوعـورَ إلى العلا ... سلكنـا لهـا القصـد السـويَّ المعبَّـدا
سبيـلَ الألى جـازوا ربى الخلدِ روَّدا ... وفـاتـوا ينـابيـعَ المجـرَّاتِ وُرَّدا
لهم علَمٌ بـاق عـلى كـل كـوكـب ... دليـلاً لـطلاب المعـالي ومـرشـدا
فهُبّـوا إلى التـاريـخ نهتِكْ حجـابَـه ... ونقـطعْ مـع الأجـداد عهـداً مجـدَّدا
لعـلَّ لنـا في اللوحِ سـطراً نضيفُـه ... إلى صفحـاتِ المجـدِ أسمى وأمجـدا

* * *

حفيـدَ رسـولِ الله يـا غـوثَ أُمـةٍ ... إذا استَنجَـدَت لم تَلق إلاَّك مُنْجِـدا
بـكـلِّ لـسـانٍ رتَّـلَت لـكَ آيـة ... وكـلِّ جَنان شيـدَت لـك معبـدا
أذبتَ عليهـا حبـةَ القلب سـاهـراً ... فسـافـرْ بحبـاتِ القـلوبِ مُـزوَّدا

١٥٤ ـ سيُعرف يوماً

[من الطويل]

وكم لي بميـدان الحـوادث جـولـةٌ ... مقلَّلةُ الأصحـابِ مُكثـرةُ العـدى
جهـرتُ غـداةَ الهمسُ بـالحقِّ لعنةٌ ... يجـرُّ عـلى من قـالـه الفقـر والـردى
وصنت لسـاني مذ غـدا القولُ مـدحَةً ... تـرجِّـعُ أسـلاكُ البـلاد لهـا صـدى
سيُعـرَفُ يـومـاً من دعَـا ممّن ادَّعى ... ومـن سلخَ الـرئبـالَ ممن تـصيَّـدا

١٥٥ ـ القرب والبعد

[من الطويل]

تَشـارك في تعـذيبيَ القـربُ والبعـدُ فـلا قَبْـلُ صـافـاني الـزمـان ولا بعـدُ
دنـوت من الأحبـاب يمـلؤني الأسى وغبت عن الأحبـاب يملؤني الـوجـدُ
عـليَّ يـدٌ بـيضـاءُ لـلدهـرِ أنّـهُ كفـاني عذاب المطلِ إذ مـا لـه وَعْـدُ

١٥٦ ـ أمّتي فأمّي فالإمام(*)

[من الطويل]

كفى الميتَ منّـا أن يحسَّ لـه فقـدُ أبعـد هـلاكِ الجمـع يُفتَقَـدُ الفـردُ؟
أبعـدَ فلسـطينٍ يُنـاحُ عـلى فـتىً وهـل بقيت في مقلةٍ دمعـةٌ بـعـدُ؟
بكـائي عـلى المليـونِ أنضبَ أدمعي فـما أنـا إلا النـارُ والحجـر الصلد
ومـا الحقـدُ من طبعي ولكن إذا بغى عـلى وطني البـاغـون فجرّني الحقـدُ
ومن شبّتِ النـيرانُ حـولَ وليـدهِ فليسَ لـه من خـوض لجتهـا بـدُّ
ومـا ردَّ عني عـارَ قـومي «تـأمْـرُكي» فهـل أنـا حقّـاً سيـدٌ وأخي عبـدُ؟
سلوا الناسكَ الدجالَ ذا الأدبِ الذي حـرارتـه إلا إذا احـتـكَّ بي بَـردُ
أكـان يسـلُّ السيفَ أم يُسلمُ ابنـه إذا استلّه من مهـدهِ خـاطفٌ وغـدُ

(*) من جواب الشاعر إلى صديقه عبد اللطيف الخشن صاحب جريدة «العلم العربي» في بوينس ايرس. وقدّم لها بما يأتي:

«وبعد، فهذا شعر خير ما فيه الصدق. لم أتكلف به معارضة قصيدة المتنبي في جَدَّته كما تصورت ولا مباراة سواه من قديم أو حديث. نظمته منساقاً كعادتي مع طبعي وشعوري، منساقاً كعادتي مع طبعي وشعوري، مقدّماً في رثائي الأسبق عندي فالأسبق أمتي فأمي فالإمام. إن نكبة فلسطين لا يماثلها لدي نكبة ما في الأرض ولا السماء؛ كل خطب مهما فدح يهون بالنسبة إليها، وكل إنسان عربياً كان أم غربياً لا يحزن ولا يغضب ولا يثور لها فقد تجرَّد من كل شعور وكل إنسانية، وكل دين. فويل لكتبة وفريسيّي هذا الزمان الذين يبشرون بالسلام العالمي ومعظمهم يعيش في قلب المأساة ويسبح في دمها، ويكرزون بالإنسانية وهم يرونها تتألب عليهم من جميع أطراف الأرض لتعركهم بأرجلها عركاً وتسحقهم بنعالها سحقاً وتجعلهم عصفاً مأكولاً «صنبول» ـ ١٩ كانون الأول ١٩٥٤ ـ ٢٣ ربيع الثاني ١٣٧٤».

فتبّاً لمن لم يألُ بالزهدِ واعظاً ... وفي جيبه كنزٌ وفي حلقه شهدْ
بزنّارهِ «الصوفيّ» للنقدِ خنجرٌ ... ولكنه للذبّ عن قومه غمدْ
ألا دمعةٌ من «لاجئ» أستمدها ... فأبكي بالبحرِ الذي جزْرُه مدُّ
وأندبَ أماً لم يجِدْ مثلَ حبها ... وحبي لها لا الوالداتُ ولا الوُلْدُ
يرفّهُ عني أنني غيرُ خالد ... ومهما يطلْ عمرُ الفتى فله حدُّ
طويتُ إليها الدربَ إلا أقلَّهُ ... ويُرْجى التلاقي كلما اختُصِر البعدُ
تنازعني حُبّيكِ يا أرزةَ الحمى ... بأقصى بلادٍ سروةٌ تحتها لحدُ
وحيثُ تكون الأمُّ يا أرزة الحمى ... يكون الحمى والأرز والقلب والوجدُ
شُغِلتُ بها عني وعن كل صاحب ... فلا قبلها - إلاّ بلادي - ولا بعدُ
ولكنَّ في أرض العراق أعزَّةً ... بذرتُ لهم وعدي وقد أحصد الوعدُ
وهل كل من يُنْعَون مثل محمد ... وهل أنا إلا مثلُه عهديَ العهدُ[1]
إمامٌ حباني من جميل ثنائه ... جواهرَ قولٍ كلُّ جوهرةٍ عِقدُ
أدِلُّ بها رداً على كل ناقدٍ ... بضاعته الأصدافُ والأدبُ الردُّ
فيَا راحلاً لا فرق بيني وبينه ... سوى أنه أغفى وحالفني السهدُ
هنيئاً لك المثوى السعيد تجوزه ... إلى جنة المأوى يواكبك السّعدُ
ومن كان جاراً للحسين وفيصل ... فقد ضمنَ الخلدَ الذي بعدَه الخلدُ

١٥٧ - الخدمة الشريفة

[من الطويل]

تَجافَيْتُ عن أهلِ القصورِ تَرَفُّعاً ... لأخدمَ مَنْ دُوني وذاك هو المجدُ
فَمَنْ خدمَ الأدْنى فذلك مُحْسِنٌ ... وَمَنْ خَدَمَ الأعلى فذاك هو العبدُ

* * *

(١) الإمام محمد الحسين ال كاشف الغطاء وقد دُعِي الشاعر من النجف الأشرف إلى كلمة في حفلة تأبينه.

١٥٨ - بُعثنــــا(*)

[من الطويل]

بُعِثنـا إلى الـدنيـا ويـوسفُ شـاهـدُ ... أبعـدَ طلوع الشمس للفجـر جـاحـدُ
رعـى الله أبـطالاً بهم صـحّت المُنى ... ومُعْــظَمُهم في مـرقـد العــز راقــدُ
عـلى رمـلِ بـيروتٍ يشيـدُ رُفـاتهم ... صروحـاً ستبقى حـين تفنى الجـلامـدُ
ألاَ إنَّ هــذا العيــدَ مــا فيــه ريبـةٌ ... وليس إذا عَيّــدْتم اليــوم نــاقِــدُ[1]
لنمحُ خـطايـانـا بـدمع سرورنـا ... عـفـا الله عـما لفّـقـتـهُ الجـرائـدُ
تـعـالَــوْا أُقبِّـلْكمُ فـلبنـانُ جَـنّـةٌ ... ومـا يستَحِقُّ العيشَ في الخُلد حـاقِـدُ
وهُبُّــوا نجــدِّدْ للمعــالي عهـودَنـا ... ففي مثـل هـذا اليـوم يحلو التعـاهـدُ
ومـا ضرَّنـا أن لم يـكُ العـربُ وَحـدةً ... وقـد وحّـدتنـا في الجهـاد المقـاصدُ
أصـابـعُ كفِّ الحـرِّ في العـدِّ خمسـةٌ ... ولكنهـا في مَقبضِ السيـفِ واحـدُ

١٥٩ - حليفــك(**)

[من الطويل]

حـليـفُـكَ ربٌّ نـاصرٌ أنـت عـبـدُهُ ... وجُـنْـدُكَ إن دارت رحـى الحـربِ جُـنْـدُهُ
وحـسـبـك مـن يـوم الـسـويس شـهـادةً ... بـأنّـك عَـضْـبٌ يـفـلق الـطَّوْدَ حَـدُّه[2]
فـلا تـرهَـبـنَّ الـغـيـب والله حـاضرٌ ... ولا تخـشـيَنَّ الـضـدَّ والـلّهُ ضِـدُّهُ

(*) عندما وصل إلى البرازيل أول وزير مفوض للجمهورية اللبنانية المستقلة سنة ١٩٤٥

(١) كان للبنانيين عيد استقلال. يعيدونه في شهر أيلول كل سنة على عهد الانتداب الإفرنسي؟!

(**) وجدنا هذه الأبيات بين أوراقه وعنوانها: «من الشاعر القروي إلى جمال عبد الناصر» وهي مؤرخة بخطه في ١٩٦٥/٨/٢٥ وفق ٢٨ ربيع ثانٍ ١٣٨٥ هـ. وموقعة بتوقيعه.

(٢) هذا البيت وارد في المخطوطة.

ولا عارَ في إغماد سيفٍ شهرته
على (البدر) إن كان «ابن غريون» غمدُهُ[1]
وجيشٍ بأطرافِ البلاد مُوزَّعِ
تُحوِّلُهُ عن زحفِهِ لا تردُّهُ
فهذا الرِّباطُ المالئُ الجوَّ رهبةً
لِصِهْيَونَ لا للمسلمين تُعِدُّهُ
واعظم[2] من سَدٍّ على النيل شِدتَه
بأسوان سدٌّ عند[3] يافا تهدُّهُ

١٦٠ - إلى الأجداد

[من الطويل]

أمـا من رسول بين أرضٍ وجنّةٍ فيمضي إلى الأجداد وهو سعيدُ
ويخبرهم كيف استحالت فروعهم فلم يبقَ من تلك الأرومةِ عودُ
لعلَّ لنا إن عاد روحاً جديدةً تهيب بماضي عهدهم فيعودُ

١٦١ - الشعرة البيضاء(*)

[من الطويل]

تبدَّت وميعادُ المشيبِ بعيدُ وجيشُ أمانيِّ الشبابِ عديدُ
ولا عجبٌ أن ولّدَ الفحمُ ماسةً برأسي وضغطُ الحادثات شديدُ
يلوح خلال الشعر نورُ بياضِها كما لاحَ في ليل الخطوبِ رشيدُ
كأنَّ الشعورَ السودَ أعصرُ ظلمةٍ بدا بينها عصرٌ أغرُّ مجيدُ
كأنَّ سوادَ الفَوْدِ حَيْرةُ جاهلٍ تصدَّى لها رأيٌ أجلُّ سديدُ

---

(١) إشارة إلى عودة جيش عبد الناصر من محاربة الإمام البدر في اليمن.
(٢) في المخطوطة «واعجب» بدل «وأعظم».
(٣) في المخطوطة «دون» بدل «عند».
(*) سوق الغرب سنة ١٩١٣

تجلّت عـلى عـرش الشبـاب كسيِّـد ... حـواليـه من سـود الشعـور عبيـدُ
يخـاطبنـا من قِمّـة الـرأس قـائـلاً ... ألا فـاعلمـوا أنَّ الـرشـادَ يسـودُ
هيَ الشعرات البيضُ من دولة الهدى ... منـاديبُ تـدعـو لـلهـدى ووفـودُ
لهنَّ اشتعـالٌ في النـواصي كـألسن ... مـن النـار لـكـن مـا لهـنَّ خمـود
إذا سطعت في الـرَّأسِ منهنَّ شعـرةٌ ... فقـد لاح نـورٌ في الـدمـاغ جـديـدُ
أرى شـعلةً عـمّت بهـا الـرأسَ إنّها ... لـعـودُ ثـقـاب والـشعـورُ وقـودُ
سـأتـركهـا تُعدي بـه أخـواتِهـا ... عَـلى مَهَـلٍ فـالنـزعُ ليس يفيـدُ
وفي نـزعهـا أغـدو كقـاضب كَـرْمـةٍ ... يـشـذب مـن أغـصـانها فـتزيـدُ
فيـا شعـرةً بيضـاءَ لاحت بمفـرقي ... كـما لاح من جيدِ الصبـاح عمـودُ
ذهبتِ بـأحـلامِ الصبـا وتـركتني ... أقـول «ألا ليت الـشبـاب يـعـودُ»

١٦٢ ـ لعمرك(*)

[من الطويل]

لَعَمْـرُكَ لـو لم ينضبِ المـاءُ مـا خَلَتْ ... ربـوعٌ ولم يـعمُـرْ سحيـقُ المـوارِدِ
ولـو كـان عنـد النـاس للنـاس رحمـةٌ ... لمـا التمسـوهـا رُكّعـاً في المعـابـدِ

١٦٣ ـ روحي فداك(**)

[من الكامل]

لا طـابَ وادٍ لا يـردُّ لـكـم صـدى ... شـكـوى ولا رَوَّى الـغـديـر لـه صَـدى
روحـي فـداكَ أخـي الحـبـيـبَ وإنها ... إن لم تـكـن لـك فـهْـيَ قـد خُـلقـت سُـدَى

(*) القطعة رقم ١١ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) قصيدة مستخرجة من مخطوطاته، دوَّنها في رسالة مرسلة إلى أخيه في ١٩١٦/٧/٢٤

ما لي سمعتُك كالحمامة نائحاً
ولقد عهدتُك كالهزار مُغرِّدا
في كل «عين» من كتابك أدمعٌ
لَوْ أنَّها جمدت لعادت أكبدا
خلٌّ البكاء لبائس من وجده
قد ودَّ لو كانت أحبَّتُه عِدَى
يبكي على ربع تناثر عقده
ليراه في سمط الدموع منضَّدَا
في كل أرض دُرَّةٌ مطروحة
والناس قد عدموا البصيرة والهُدَى
لَوْ أنها برزت بصورة عسجدٍ
خَرُّوا لصورتها جميعاً سُجَّدَا
عَوَّدت عوديَ أنَّ يرانيَ شاكياً
فإذا شدوت يظنُّ غيري قد شدا
وإذا لمست بأنملي أوتارَهُ
ناح «الصبا» و«الناهونْدُ» تنهدا
من لي بأن أرجو السعادة في غدٍ
والأمسُ علمني بأن أخشى الغدا

١٦٤ - «تيتانيك»(*)

[من الكامل]

عزوا الجبالَ وأنذروا الأطوادا
إن الشواهقَ ينخفِضنَ وهادا
جبلانِ يصطدمانِ، من أنباكمُ
أنَّ الجليدَ يحطمُ الفولادا
جبالا بمعتركِ الصدام فلم يُطقْ
جبلُ الحديدِ مع الجليدِ جِلادا
فهوى إلى الأعماق يلبسُ لجّها
كفناً ويفترشُ القرار وِسادا

(*) الشوير سنة ١٩١٢ بمناسبة غرق الباخرة الانجليزية «تيتانيك».

خفضاً ذوي الطغيانِ من غُلَوائكمْ ... كم ساد طاغٍ واستبدَّ فبادا

لا تستخفّوا بالضعيفِ وحاذروا ... زمناً يصير الماءُ فيه جمادا...

* * *

ضاقت بلادُ «الانكليز» بأهلها ... فبَنَت لهم فوقَ البحارِ بلادا

قِطَعٌ يُخَلْنَ إذا رَسَوْنَ جزائرا ... فإذا سريْنَ تخالهنَّ جيادا

نشرَت بيارقَها لأول مرةٍ ... مثلَ العروسِ بحسنها تتهادى

«تِيتَنيكُ» سيدةُ البحار وطالما ... كان القضاء مهدداً من سادا

تنسابُ في عُرض المحيط كأنها ... تطوي الزمان وتنهب الآبادا

حتى إذا أعيا النهار وراح في ... حِضن الظلام إلى الكرى منقادا

نُكِبت عروسُ الخافقين بصدمةٍ ... هزت عمادَ الخافقين فمادا

ودَوى بسمع الأرض صيحة بارق ... ماج الأثير لنقلها استنجادا

صُعِقَتْ بها (كَرْباثِيا) فاستصرخَت ... عزمَ البُخار ولفّتِ الأبعادا

حتى إذا احتُضِر الظلامُ بزفرةٍ ... باتت لها لجج المحيط مِدادا

وكواكبُ الغَلسِ ارتكضنَ حوائراً ... يَجْرينَ في حُبُكِ السماءِ طِرادا

طُرِفَت نواظرُها هناك بمشهد ... شاب الزمان لهوله أو كادا

أين الشهامة والبسالةُ والعلى ... والمكرماتُ تجسّمت أجسادا

عاشوا على دين المروءة فاغتدَوْا ... مستشهدين لأجلها استشهادا

وعلى مباسمهم ترددُ آيةٌ ... ستظل تُنْشَدُ بعدهم إنشادا

نحن اذكرونا بالرثاءِ وإنما ... نجُّوا النساءَ وأنقذوا الأولادا

يا شركة النجم اجترمتِ كبيرةً ... تركت بياض النجم منك سوادا[1]

لو لم تكن عُدَدُ النجاة قليلةً ... لحفظت أرواحاً وصنت عبادا

رمت اقتصاد المال في تجهيزها ... أتراه بعد ضياعهم قد زادا!!

من قاعِ «الأتْلَنْتيكَ» أسمعُ هاتفاً ... قد راع في البحر الكبير رِوادا[2]

«فِكْتورِيا» ها «تيتنيكُ» فأكرمي ... مثوى الشهامة واندبي الآسادا

---

(١) شركة «النجم الأبيض» التي ابتنت «التيتنيك».

(٢) هي الجزيرة التي في مياهها غرقت الدارعة «فيكتوريا».

صبراً على غِيَرِ الزمان فطالما رفع الوهاد وغوَّر الأنجادا
ولسوف يجمعنا بذروة شاهقٍ إن شاء ربك للرفات معادا

١٦٥ - ونَفَخْتَ بي

[من الكامل]

خصَّصتَ بالروح القليلَ من الورى وبَرَيْتَ أكثر من بريْت جمادا
ونَفَخْتَ بي روحاً يكاد أقلُّهُ يكفي ولو جُبل الثرى أجسادا
لو لم تكن أنت الوجودَ مجسَّماً لخفقت في صدر الوجود فؤادا

١٦٦ - القيصر وتولستوي

[من الكامل]

سيجيءُ يومٌ وهو ليس بعيدا يوم يساوي سيِّداً ومسودا
لا الظالمونَ بظالمين به كما عهد الزمان ولا العبيدُ عبيدا
أرأيتَهم لَّما تفاقمَ أمرُهم كيف استذلوا القيصرَ المعبودا
خلعوه لم تعصمْهُ عزَّةُ تاجِه فكأنما هو لم يكن موجودا
وغدا «نقولا رومنوفُ» اليوم من لقب الملوك مجرَّداً تجريدا

* * *

في بقعة وسطَ الحقولِ خصيبةٍ بيتٌ على ركن الوداعة شيدا
طلقُ الفِناءِ فليس يحرس بابَهُ جندٌ وليس طريقهُ مسدودا
زحفوا إليه كموج بحرٍ زاخر يتلون آياتِ السلامِ نشيدا
وقفوا كحُملانٍ لدى أعتابه من بعد أن خاضُوا الصفوف أُسودا
يترنمونَ بحمدِ أكبرِ مصلح ويرددون هُتافهم ترديدا
حتى إذا ظفروا برؤيةِ رسمه خرُّوا لديه ركَّعاً وسجودا
فغدا «طُلُستو» في ثراه قيصراً وغدا القياصر تبّعاً وجنودا
والمرءُ قيمته بما يغذو النهى لا بالذي في القبرِ يغذو الدودا

١٦٧ ـ ما الدهر (*)

[من الكامل]

مــا الـدّهــرُ إلاّ عبقريُّ جـراحــةٍ ... في كـلِّ مـقبـرةٍ يـشـيِّـدُ مَـعْـهَــدا
خلعت عــلى بـالِي الـرُّفـاتِ يمينُـهُ ... بُـرْدَ الحيــاة مـع العصــور مُجَـدَّدا
تَجِــذَ العنــاصرَ لـلجـراحــة عُـدَّةً ... والمــوتَ مــن ألم الجــراح مُـرَقَّـدا

١٦٨ ـ عجبا لمن (**)

[من الكامل]

عَجَبــاً لمن يهبُ الـطبيبَ جميـع مــا ... مـلكت يـداه لـكي يجـنّبـه الـرّدى
وإذا دعـتــه المكــرمــاتُ أعــارهــا ... صَـمَـمــا ولم يـبسط بـعــارفــةٍ يـدا
يعـطي الكثيرَ لكي يـطيـل حيــاتـه ... سنـةً ولا يعــطي اليســير لـيخـلدا

١٦٩ ـ يا أيها السعداء

[من الكامل]

يــا أيهــا السُّعَــدَاءُ هــل فيكـم فتىً ... صــاحٍ فـأطمــعَ أن أكــون سعيــدا
لــولا المروءَةُ كنت شيــخَ شبــابكم ... أحـســوا معـتّـقَـةً وألــوي جـيــدا
وَأَدَت محــافـظتي عــلى اسميَ لــذّتي ... يــا لـيتـهـم سمّــونيَ الـعــربيــدا
لــو لم تُـقَــدَّرْ لي التعــاســةُ لم أكن ... من يــوم ميـلادي عُــرفتُ «رشيـدا»

(*) القطعة رقم ٥٠ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) القطعة رقم ٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

١٧٠ - هات المدامة(*)

[من الكامل]

هـاتِ المُدامـةَ يـا نـديمُ وإن تكن — روحي بصـارعـةِ الجَبـابـرِ زاهـده
هي حُسـوةُ العصفور من ذات الأذى — مـوصـولـةٌ ببحـور ذاتِ الفـائـدَه(١)
أين التي جمـدت بهـا الأحيـاءُ من — تلك التي تحيي الصخـورَ الجـامـدَه
إن تُـرقِـد الخمـرُ الـرجـالَ ففي فمي — خمـرٌ أُثيرُ بهـا النفـوس الـراقـدَه
عـربيـةٌ صِـرفٌ ولِعـتُ بشربهـا — من كفِّ كـلِ مجـاهـدٍ ومجـاهـدَه
فـاحت بـطرسِ اليـازجيِّ فحـرَّكت — نفحـاتُهـا رِمَمَ القـرونِ البـائـدَه
للهِ إبـراهـيـم حـينَ أدارَهـا — فـأقـامَ سـوريـا بكـأس واحـدَه(٢)
لمـا أهـابَ بهم وصـاحَ «تنبّهـوا» — فـإذا رَمـادُ الـعـزم نـارٌ واقـدَه
شَـعّت فـعـمَّ المَشْرِقـينِ ضيـاؤُهـا — وذكَت فـألهَبَت الصـدورَ الخـامـدَه
أسليـلَ تلكَ الدوحـةِ الـزهـراءِ عش — واهنـأ بغـادتـكَ الكَعـابِ النـاهـدَه
أفعـالكم شهـدَت لكم فمن ادَّعَـى — حبَّ العـروبـة فليقـدِّمْ شـاهـدَه
والآن فلنحس الكؤوس عـلى «رجـا» — «التـوفيق» بالعقبى وحسن «العـائدَه»

١٧١ - القـربـة(**)

[من الكامل]

أدنى الجـفـونِ إلى المنـونِ الـراقـدُ — وأدلُّهـنَّ عـلى الحيـاةِ الـسـاهـدُ
والـعـلمُ نـورٌ إن فـقَـدتَ لأجـله — نـورَ العيـونِ فـأنت نعمَ الـواجـدُ

(*) في حفلة زفاف «عائدة» كريمة صديقه عزيـز سمين إلى «رجـا» نجل صـديقه الشيخ توفيق اليازجي.

(١) يعني بها بحور القوافي.

(٢) يعني الشيخ ابراهيم اليازجي اللغوي الشهير وقصيدته الخالدة التي مطلعها:

[من البسيط]

تـنـبّـهـوا واسـتـفـيـقـوا أيهـا الـعـرَبُ — فقـد طما الخـطبُ حتى غـاصت الـركَبُ

(**) احتفل في بيروت سنة ١٩٢٧ بيوبيل المعلم جبر ضومط صديقه ورفيق أبيه.

هَب طرفَ «زرقاءٍ» بجَبهة «باقل» ... ماذا تراه من الوجود يشاهدُ(1)
إن الجهولَ هو الضريرُ ولو حوى ... لحظاً تمناه الغزال الشاردُ
بالروحِ قد أدركتَ أنك خالدٌ ... والعلمُ سوف يريك أنكَ خالدُ
ما الدين لولا العلمُ غيرُ تعصب ... للنار لا لله فيه نجاهدُ
إن الكتابَ يقول ربُّك عالمٌ ... ما قال ربك «بطركٌ» أو «قاصدُ»
يسمو إلهُك ما حِجاكَ سما، ولا ... معبودَ إلا ما يراهُ العابدُ
فاسجد لربِّ العلمِ كم من أعصرٍ ... كرَّت وأنت لبعلِ جهلك ساجدُ
واطمع بكنزٍ فيه يُعذَل زاهدٌ ... ويُجَلُّ مطماعٌ ويُعذرُ حاسدُ
يا «رأسَ بيروتٍ» لأنتِ حقيقةً ... رأسُ الشآم وقلبُها والساعدُ
تجلو الدجى بمنارتين كم اهتدى ... فُلْكٌ بنورهما وفكرٌ شاردُ
هذي لبحرِ الرومِ مضطرباً وذي ... لعقولِ أهل الشرقِ وهي جوامدُ
نُشرَت بها العزَماتُ وهي بوائدٌ ... وارتاضت الأخلاقُ وهي أوابدُ
تلدُ الرجالَ رجيحةً أحلامُهم ... عِلْماً فقاصرُهم لبيبٌ راشدُ
وهمُ المعلمُ والشهيدُ الحرُّ - ... والبطلُ المجرَّبُ والزَّعيمُ القائدُ
فبهم تُشيّد للبلادِ مفاخرٌ ... وبهم تُحَقَّقُ للبلادِ مقاصدُ
يا «جبرَ» أفئدةٍ أطلنَ لك الدعا ... حتى الضلوعُ هياكلٌ ومساجدُ
يا أودعَ العلماءِ بل يا فرقداً ... للفضلِ يسطع من سناه فراقدُ
كم عندنا لك من أيادٍ ما لها ... إلأَّك من بين البرية جاحدُ
أرسلتَ كُتْبَك فالعبادُ بفضلها ... طُلأَّبُ علم والبلادُ معاهدُ
فلكَم تلامذةٍ عليك تعلموا ... لم تحوِهِمْ يوماً لديكَ مقاعدُ
مُدَّت لهم من أصغَرَيْك موائدٌ ... أضلاعُك الحرَّى لهنَّ مواقدُ
وجرى إليهم في نواحي الأرض من ... ينبوع حكمتكَ الزلالُ الباردُ
يهنِئْكَ بل يهنِ الأنامَ محامدٌ ... لك هنَّ في أيدي الأنامِ فوائدُ
صفحاتُ أيام ملأتَ حقولَها ... علماً ومعرفةً وغيرُك حاصدُ

* * *

(1) «زرقاء اليمامة» التي ضرب المثل بحدة بصرها، «وباقل» مضرب المثل في الحماقة.

هـذي من الشعرِ الـطريف قصيدةٌ فيهـا من الحبِّ التليـد قـصـائـدُ
زُفَّـتْ إلى فـطِنٍ يميِّـزُ حـسـنَهـا حـين التبسن عجـائـزٌ وخـرائـدُ
ولـطالمـا مُجّت بمِسـمـع جـاهـل جِـكَـمٌ كـذرَّاتِ الـضـيـاءِ شـواردُ
أقـلامُـنـا فـوضى فـلا عجب إذا ضـاعَ الأديبُ غـداةَ عـزَّ النـاقـدُ
يـشـدو بهـا ولـدٌ يسرُّك شـدوه فيعيـدُها تحتَ الصفـائـحِ والـدُ
ذاك الـرفـيقُ وكـم ذكـرتَ عهـوده ولـديَّ للتـذكـار منـك شـواهـدُ
إذ أنتـما غصنـان في روض الصبـا أو طـائـر شـادٍ وغـصـنٌ مـائـدُ
تـتـمـتـعـان بـجـوهـا وأديمهـا ونـسيمهـا حـتى رمـاه الـصـائـدُ
وظللتَ منـه، وقـد هـوى، متقـاربـاً وُدّاً وأنـتَ إلى الـعـلى مـتبـاعـدُ

* * *

أمـهـنِّئَ الأسـتـاذِ في يـوبـيـلـه بـروائـحٍ لـولاه هـنَّ كـواسـدُ
مـن فضـلهِ أن صرت تعـرف فـضلَهُ فـاحمـدْهُ ثم احمـده أنـكَ حـامـدُ
وأعـزُّ من دررِ القـريضِ فـريضـةٌ تُقضى إذا صلح الزمان الفاسدُ!..

١٧٢ - ربوا البنين(*)

[من الكامل]

رَبُّـوا البنـين عـلى الصَّـلاح فـإنّكم لن تَسْـعَـدوا أبـدا إذا لم يَسْـعَـدوا
إنّ الـبنـين مـسـانـدٌ لـظهـوركم وَلَـوَ انَّهُمْ بـظهـوركم لم يـولَـدوا

(*) القطعة رقم ٢٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

١٧٣ - يا آل جارور(*)

[من الكامل]

يـــا آلَ جـــارورَ اجـــترحـــتـــم آيـــةً ... ردَّت إلى الإيمـــانِ كـــلَّ مُـــعـــانـــدِ

هل طارَ فـوق جبالِ «انـدسَ» قبلكم ... نسرٌ وحلّقَ «بـــالجَناحِ» الـــواحـــدِ؟

أنتم صقـورُ العُـرب إن تـدعُ العـلا ... فـفـــراقـــدٌ يسرحـــنَ فـــوقَ فـــراقـــدِ

أينَ الـدخيـلُ عـلى النـدى من سـادةٍ ... ورِثـوا المكـارمَ مـاجـداً عن مـاجـدِ

إنّي لأسمـــعُ صيحـــةَ الشُّـــهـــداءِ من ... مهـدِ المسيح لكـــلِّ حـــرٍّ مـــاهـــدِ(١)

أمـــوَفّـــيـــاً حقَّ الـغـــريـبِ مـقـــدِّمـــاً ... بســـاحـــةِ العـــربيِّ ألْـفَي شـــاهـــدِ

أنـــا مـولـــدُ الإحســـانِ منبِتُ عـــزكم ... وطـــنُ الـنـــبـــوةِ والـــتُّراثِ الخـــالـــدِ

مـــن ذا أحقُّ بـغـــوثِكـــم وحنـــانِكـــم ... مـــن قلبِ والـــدةٍ ومـهـــجـــةِ والـــدِ؟

مـــاذا يـكـــونُ عـــطاؤكـــم لأقـــاربٍ ... إن كـــان ذاك عـطاؤُكم لأبـــاعـــدِ؟!

١٧٤ - وَقفة على قبر(**)

[من الكامل]

فـــوقَ الـــترابِ بـــقـــيـــةِ الأجـــدادِ ... أجـــثـــو وأنـــدبُ أُمـــتي وبـــلادي

وطـــنٌ ولـكـــنْ لـــلغـــريـــب وأمـــةٌ ... مـلهى الـــطغـــاة ومـلعبُ الأضـــداد

يـــا أُمـــةً أعيت لـــطول جـهـــادهـــا ... أسـكـــونُ مـــوتٍ أم سكـــونُ رُقـــادِ

يـا مـوطنـاً عـاث الـذئـابُ بـأرضـه ... عهـــدي بـــأنـــك مـــربِضُ الآســـادِ

مـــاذا الـتَّـمـهُـــلُ في المسـيرِ كـأننـا ... نمشي عـــلى حَســـكٍ وشـــوكِ قَـتـــادِ

هـل نـرتقي يـومـاً ومـلءُ نفـوسنـا ... وجَـــلُ المســـوقِ وذِلّـــةُ المـــنـــقـــادِ

هـل نـرتقي يـومـاً وحشـوُ رجـالنـا ... ضَـعـفُ الـشـيـــوخ وخـفّـــةُ الأولادِ

(*) أقيت على شرف آل جارور من مهاجري فلسطين في (تشيلي) حفلة لابتنائهم جناحاً في مستشفى أجنبي.

(١) الماهد: من هيّأ الخير لنفسه.

(**) الشوير سنة ١٩١١

واهــاً لأصــفــادِ الحــديــدِ فــإننــا — مــن آفــة الــتــفــريــق في أصــفــاد
واللهِ لــو ألــفــيــتُ عــبــداً صــالحــاً — لــلحــقِّ كــنــت لــه مــن الــعــبّــادِ

* * *

يــا أيهــا القــبرُ الأنيسُ بــقــرب مَنْ — يجــلو دُجــاكَ بــنــوره الــوقّــادِ
إن الــذيــن تــركــتَــهُــمْ في ســاحــة — الــدنيــا هم الأحــزان في أجــســادِ
لــولا الــرجــاءُ هــدمتُ ســدَّ مــدامعي — سقيــاً لــتربــك بــل نحــرتُ فؤادي
كم قــد وقفتُ لــدى جــلالــك واجمــاً — مُغضي الجفــونِ مُشَبَّــكَ الأعــضــادِ
شبحــاً يكــاد لضعفــهِ وشجــونــه — يــبــدو بــه الخــافي ويَخفــى البــادي

* * *

أمــديــنــة الأمــواتِ ألــف تحــيــةٍ — من مــدنفٍ دامي الحُشــاشــةِ صــادِ
فلأنتِ مستشفى النفوسِ من الــردى — حيث الفســادُ يُــزيــلُ كــلَّ فســادِ
من بــطن حــوّاءٍ إلى بــطن الــثرى — يمشي ابــنُ آدمَ ســاعــةَ المــيــلادِ
والــعــيشُ بــيــنــهــما يــدٌ وهمــيّــةٌ — تــلقــيــه مــن أزلٍ إلى آبــادِ
فــاهنــأ نــزيــل الــترب إنــك في حمى — أهــل المقــابــر ضيفُ كــلِّ جــوادِ
وأخــفُّ مــن هــذا الــزمــانِ وأهــله — جــدثٌ يُــقِــلُّ شــوامــخَ الأطــوادِ

١٧٥ ـ السابع من أيلول(*)

[من الكامل]

مــاذا؟ أأفــرح بــالحسان كــواسيا — حــلل الحــريــر يَمِسْــنَ في الأعــيــادِ
وبَنــات ســوريــا كُســين مهــانــة — صفحــاً وعفــواً يــا بنــات بــلادي
لــو لم أكن خصــماً لعــادات الــورى — رمــزاً لحــزنيَ مــا خلعتُ حــدادي

(*) هو عيد استقلال «البرازيل»، وافق إقباله وهو في مدينة «بو رطو الغرّي» وقد خرج من النزل فلقي موكب العيد وجماعات من مواطنيه يسيرون مع المحتفلين فرحين. وكـان جُرْحُ النكبة السورية لم يزل دامياً والبلاد مغصوبة، فلم يستطع احتمال المشهد، وعاد إلى سريره مريض النفس فلحق به بعض أصدقائه يُهوِّنون عليه ويدعونه للخروج.

١٧٦ ـ تلك المشاهد(*)

[من الكامل]

عـاد الـربيـعُ إلى الـربـوعِ فجددي ... عهـد الهـوى كشبـابـهِ المتجـددِ
وكسـا بسُنـدسـهِ المـروج كـأنـه ... نَبتُ العِـذارِ بصـحن خـد الأمـردِ
والـروضُ ألـبسَ كـلَّ غصـنٍ حـلةً ... خضراءَ زركشهـا الضحى بالعسجـدِ
وصـوادحُ الأطيار كم من «معبدٍ»[1] ... منهـا يـسـبِّـح ربّـه في مـعـبـدِ
والبـانُ تيَّمـه الهـوى فخيـالـه ... جاثٍ يقبل موطىء الـورد النـدي
قـومي نُقَبِّـلْ كُـلَّ ثغـرٍ أشـنـبٍ ... منهـا ونعـطفْ كـلَّ قـدٍّ أملدِ[2]
خجـلَ الهَـزارُ فشجعيـه بنـغمـةٍ ... لا تُـنشـدُ الأطيـارُ إن لم تنشـدي
قـولي: عـلى لـبنـانَ ألـف تحيـةٍ ... من نـازحٍ قلق الـوسـادِ مسهّـدِ
قولي: السلام على الشويرِ وغَورِها ... وضهـور مرحـاتـا وعـينِ الصرفـدِ
وعلى الصنوبرِ، مـا ذكـرتُ جـلالـه ... إلا ذكـرتُ تخشـعـي وتـعـبـدي
تلك المشـاهـدُ لـو رآهـا مـلحـدٌ ... نـزَل اليقينُ عـلى ضمـير الملحـدِ
أفْعَمْنَ صـدريَ بـالحبـورِ وبـالتقى ... فـغـدا فؤاديَ راقـصـاً في مسجـدِ
لبنان يـا وطني العزيـزَ وسيـدَ البُلْد ... ان بـالحسـن الـبـديـع المفـردِ
يـتعـوَّدُ الحُسْنَ الـفتى فـيَملُّـه ... لـكنَّ حسـنَـك لـيس بـالمتعـوَّدِ
لي كـلَّ يـوم منـه دهشـة مبصرٍ ... نـورَ الـوجـود وكـان أعمى المـولـدِ
لهـفي عـلى زمَـن أُغـلغـل ذكـرَه ... في الصدر خوفـاً من ريـاح تنهُّـدي
أيـامَ لي شغفٌ بـشبـهِ جـزيـرتي ... صخـرٍ كـأكبـاد الفـرنجـة جلمـدِ
فكـأنـه والبحـرُ يُـزبـد حـولَـه ... رمـزٌ لحـربِ مـدامعـي وتجـلّدي
أغشـاهُ كـل عشيّـةٍ متـصيّـداً ... مـا لـيس تخـرجـه يـدُ المتـصيّـدِ
وبـجـانـبـي عـودٌ نـديمـيَ تـارةً ... ألهـو بمنـطقـهِ وطـوراً مسنـدي
كـالـطفـل في حضني أدغـدغُ صـدره ... فيكـاد لـلإغـراب يفلت من يـدي

(*) يصف فيها جمال لبنان وغابر أيامه فيه، ولا سيما اختلافه إلى البحر مساء، وجلوسه على صخرة قائمة بين الأمواج ينشد على عوده.

(١) أحد مشاهير المغنين عند العرب.

(٢) الثغر الأشنب: الجميل. الأملد: الناعم اللين.

حتى أفوزَ من المساءِ بساعةٍ ... تحلو لعقل المستنيرِ المهتدي
وأعودَ بين تلفُّت وتطلع ... والليلُ جسرٌ بين أمسي والغد

* * *

١٧٧ - أوديــع(*)

[من الكامل]

أوديعُ يا خِلّي الوفيَّ وحافظاً ... في البعدِ مثلَ القربِ عهدَ ودادي
ما زلتُ أرقُبُ ساعةً ميمونةً ... فيها أبثُّك ما يكنُّ فؤادي
حتى انجلَت كالصبحِ في لبنانَ لم ... يغشَ الضبابُ بياضَها بسوادِ
لما بلغتَ بها مرادك بُورِكَت ... عندي كأنيَ قد بلغتُ مرادي
فاهنأ «بسلمى» ما تغزَّلَ شاعرٌ ... بجمالها وشدا بحسنِ سُعادِ
قد أُرضِعَت في المهدِ من ثدي العلى ... لبناً تنزَّهَ عن قذىً وفسادِ
في حضن والدةٍ حصانٍ زُيِّنت ... بالحليتين فضيلةٍ ورشادِ
يا أيها الأسدُ الوديعُ وحبذا ... دَعةُ الحمامِ وقوةُ الآسادِ
أنجبْ لنا ولداً يكون به غنىً ... للأرزِ عن لجبٍ من الأولادِ
ولداً يُرضَّعُ حبَّ «بِرْدَوْنِيِّهِ» ... ويشبُّ من أشبال ذاك الوادي(١)
بطلاً ينادي والصفوفُ تُجيبُه ... وتجودُ بالأرواحِ حين ينادي
بطلاً «كغندي» يفتدي بحياته ... أوطانَهُ من ذلِّ الاستعبادِ
ويصيحُ بالأعداءِ صيحةَ «خالد» ... ويكرُّ كرَّةَ طارقِ بنِ زيادِ

* * *

سلمى، عليك أمامَ شعبكِ واجبٌ ... أفأنتِ يا سلمى على استعدادِ؟
سرُّ الزواج أدقُّ عند الحرِّ من ... أن يَخْلُدَ الأجدادُ في الأحفادِ
لا خيرَ في جيل حكت أبناؤه ... حلقاتِ سلسلةٍ من الأصفادِ

(*) في عرس صديقه الدكتور وديع صفدي سنة ١٩٣١ وقد ارتجل بعد القصيدة أبياتاً عينية من الكامل (تراجع في مكانها).

(١) نهر البردوني بزحلة.

ربِّ البنينَ على فدى أوطانهم ... يومَ الجهادِ إذا دُعوا لجهادِ
لبنانُ مفتقرٌ إلى البطل الذي ... يحمي الحمى ويردُّ كيدَ العادي
وإلى الفتى الحرِّ المقطَّعِ سيفُه ... يومَ الجلادِ أصابعَ الجَلاَّدِ
طوبى لهاتيك التي من جوفها ... سيحرِّر الوطنَ المسيحُ الفادي!

* * *

١٧٨ - الشيخ فرحان السعدي(*)

[من الكامل]

عبثاً أنهنهُ عن هواك فؤادي ... سبحانَ من ألقى إليك قيادي
هذا قضاءُ الله فلأطرحْ على ... قَدَم القضاء المستبدِّ عنادي
خُيِّرتُ في حبِّكِ يا لمياءُ لو ... خُيِّرتُ في موتي وفي ميلادي
فلكم أروضُ على السلوِّ جوانحي ... وأنا بوادٍ والسلوُّ بوادِ
لو هِمتُ وحدي لاتّهمتُ نواظري ... وأطعتُ فيك مقالةَ الحسّادِ
لكنْ رأيتُكِ للعوالم فتنةً ... أيّانَ سرتِ عثرتِ بالأكبادِ
لا تستقرُّ عليك نظرةُ مُعجَبٍ ... إلاّ ويزحمها وقوع فؤادِ
واللهِ حتى اللّهُ فيك منافسي ... أنا آخر العشاق وهو البادي
لو لم يحبَّك لم يكن من ثغره ... أثرٌ على صفحاتِ خدِّكِ بادِ
ما دام حبُّكِ مثل هجركِ قاتِلي ... فإلامَ ذُلِّي فيهِ واستعبادي
قلبي إلى لبنانَ يحدوه الهوى ... قولي له: لا تتَّئدْ يا حادي
والعزم يشحذه السِّفارُ وطالما ... صَدئت سيوف الهند في الأغمادِ
لولا هواك لما صبرتُ على نوى ... «بربارتي» وسكنت غير بلادي
كم دمعةٍ لك غرَّقتْ سُفْني وقد ... شُدَّت مراسيها إلى الأطوادِ
ولكم تنهُّدَةٍ أثارت زعزعاً ... يومَ الرحيل فحطَّمت منطَادي

(*) بدعوة من جمعية السيدات السوريات الخيرية في «غواشوبه» شهر نوار ١٩٣٧ وقد اختار موضوعها وشرع في نظمها الساعة العاشرة من صباح يوم الحفلة، وهو يستحم بنور الشمس على بساطٍ مهّده لنفسه من ورق الموز على بقعة منعزلة في إحدى مزارع البن حول تلك البلدة.

مـا لي غنىً عن حُبِّ حُبِّكِ فـاعلمي ... سـأفـرُّ مـن قفص إليـه معـادي

مـرأى الـربـوع بـلا لُمَيَّـةَ لا تفي ... لـذَّاتُـه بـعـذاب يـوم بـعـاد

لكن هنـالـك غـير قلبٍ شـاقـه ... حسـن الشـآم وغـير قـلب صـاد

لكن هنـاكَ قـوىً ستقـذف بي ولـو ... حـاربـتِهـا بـسـلاحِـكِ المعتـادِ

مـاذا هنـاكَ؟ هنـاك أمٌّ ثـاكـلٌ ... خلف البحـار تصيـح وا أولادي

مـاذا هنـاكَ؟ هنـاكَ كـل نقيّـة ... عـذراء بـين مخـالـب الأوغـادِ

مـاذا هنـاكَ؟ هنـاك شعبٌ كـامـلٌ ... لـلمـوت رهـن أوامـر الجـلأَدِ

مـاذا هنـاكَ؟ هنـاك شيـخٌ عـابسٌ[1] ... كـالليـل من مهـد الضيـاء ينـادي :

ويـحٌ لمفـتـول الـذراعِ منعّـمٍ ... لم تـستـثِـرْهُ حمـاسـتي وجـهـادي

تَـبـاً لكـل صـليـبِ عـودٍ لم يَفُـرْ ... دمـهُ لإعـدامـي ولاستـشـهـادي

ويُـلـمّـةٍ شـبّـانُها لِـتَـنـادمٍ ... يـوم الحِـفـاظِ وشـيـبُـهـا لـتـنـادِ

الشيـخُ فـرحـانٌ ينـاشِـدُكم، أمـا ... مـن محسـنٍ إن لم يـكـن مـن فـادِ

من لم يكـن في مصرعِ الشـهـداءِ من ... أجـنـادنـا لَـيَـكـنْ مـن الأنـجـادِ

مثـل الحسـامِ بكفّ كـلّ مجـرِّبٍ ... غِـرشُ الزَّكـاةِ بكفّ كـل جـوادِ

فتسـابقـوا يـومَ المكـارمِ واحـذروا ... غـضبَ الجـدودِ ولـعنـةَ الأحـفـادِ

١٧٩ ـ شفيق عماد(*)

[من الكامل]

يـا مـوتُ سلَّمْنـا وأغمَـدْنـا الـظُّبى ... مـن ذا يجـاول صـارع الآسـادِ

نشكـو أذاك لـربِّ عيـد الفصـح يـا ... مُشقي الـورى في أسعـد الأعيـادِ

غُلْتَ «الشـفيـق» عـلى أبيـه وأمّـه ... وهـدمت فيـهِ عـماد بيت «عمـادِ»

نم في الضريـح مكـرَّمـاً يـا سيـداً ... سـحّت عـليـه مـدامـعُ الأسيـادِ

وكفـاك فـألاً بـالخلودِ على المـدى ... أن كـان مـوتـك يـومَ قـام الفـادي

---

(١) الشهيد الخالد الشيخ فرحان السعدي الذي شنقه الانكليز في ثورة سنة ١٩٣٦

(*) غالت المنية رفيقه في تحرير جريدة «الرابطة» شفيق عماد في عيد الفصح ٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٤٣

١٨٠ ـ أجَّلت توديعي(*)

[من الكامل]

أجلت توديعي لعلمك أنه ... مثل الدواءِ يكون في الميعادِ
ولو اختبرت الدهر ما أمّنته ... فالدهر للأحباب بالمرصادِ
ودّع صديقك كلما لاقيته ... فَلرُبَّ قربٍ منذرٍ ببعادِ
والبعد مثل الموت يبطىءُ تارةً ... ولقد يفاجىء ساعة الميلادِ

١٨١ ـ أوحت(**)

[من الكامل]

أوحت هياكلُ بعلبكَّ قصائداً ... سحرتْ عقول جميعِ أهل الضادِ
فتزاحم الشعراءُ إقبالاً على ... «إقبالها» بحرارة العُبّادِ
حظيَ الفؤاد الأعظميُّ بحبّها ... فكوى من الحسّادِ ألفَ فؤادِ

١٨٢ ـ دعني(***)

[من الكامل]

دعني فقرع طبولهم ضربٌ على ... أضلاع هذا اليائس المنكودِ
دعني فهذا يومُهم لا شأن لي ... فيه وعيدي غيرُ هذا العيدِ
أنا لا أشارك سادة في عيدهم ... ما دمتُ عبداً ينتمي لعبيدِ!

(*) أعجل فرحاتَ السفر عن توديعه فكتب له ما يأتي:

(**) وقّع بها على نسخة من ديوانه إلى الشاعرة البعلبكية إقبال الرفاعي عقيلة صديقه الدكتور فؤاد الاعظمي

(***) خرج في عيد استقلال «البرازيل»، فلقي موكب العيد وسمع قرع الطبول ونفخ الأبواق، وكان جرح النكبة السورية لم يزل دامياً. . فعاد مريض النفس إلى نزله وقال.

١٨٣ - عيني وخاطري

[من الكامل]

ما حيلتي بهوى حبيب فاتن ... ورث المهابة عن أبيه وجدِّهِ
ملك تحكم بالرعية واشتهت ... زهرُ النجوم لَوَ انها من جندِهِ
أهدى إليَّ على العشاء مخصصاً ... تفاحة رمز الرضى من عبده
فضممتها عن خصره ولثمتها ... عن ثغره وشممتها عن خده
عيني على الثمر الحلال وخاطري ... حول المحرم في جنينة قدِّه

١٨٤ - عذراً أخي(*)

[من مجزوء الكامل]

يا من إذا مدحَ امرؤٌ ... شعري تولأهُ الكَمَدْ
عذراً أخيَّ فليس لي ... في ما يقول الناس يَدْ
رأيي كرأيك إنني ... في الشعرِ أجهل مِن وَلَدْ
لكنْ أقولُ كما تقول - فلا يصدِّقني أحَدْ

١٨٥ - كم سائرٍ(**)

[من مجزوء الكامل]

كم سائرٍ مع من يسيرُ - بدون رأيٍ أو إرادَهْ
ومحافظٍ يهوى القديم - بغير نقصٍ أو زيادَهْ
مزّق له البُرْدَ القشيبَ - ولا تخالفْ رثّ عادَهْ

(*) بلغه في مجلس أن أحدهم يمتعض إذا أطروا شعره، فارتجل.
(**) القطعة رقم ١٥ من مجموعة «موجات قصيرة».

١٨٦ - أمعلمي

[من مجزوء الكامل]

أمـعـلّمي بـرشـادهِ ومؤلّـمـي ببـعـادِهِ[1]
إن الـذي خـلّفـتَـهُ بعـد الـنوى لسُـهـادِهِ
يحنـو عـلى أضـلاعـه لـيراك طـيَّ فـؤادِهِ
أبـداً يحن إلى لقـائـك - حـالمـاً بمـعـادِهِ
وإلى حـديثـك راشفـاً بـالسمع قـطرَ شِهـادِهِ
وإلى نـظيـمٍ دُرَّةٌ يُـنْبيـك عـن نـضَّادِهِ
أبقى على حَدَثان هـذا - الدهر مـن اطـوادِهِ
جـاء الـكـتـاب يـتـيـه كـالـطاووس في أبـرادِهِ
زَهـرُ الجنـانِ وعِطْرُهـا في طِـرْسِهِ ومِـدادِهِ
ومحاجر الغـزلان بعض - بـيـاضـه وسـوادِهِ
نـفـثـاتُ حُـرٍّ صـادقٍ في حـبِّـهِ لـبـلادِهِ
كَـلِفٍ بكـل مجـاهـدٍ من أجلهـا كـجـهـادِهِ
لـغـرِقْتُ في لُجَـج الأسى لـولا حِـبـالُ وِدادِهِ

١٨٧ - لا تَلْحَ

[من المجتث]

لبـنـان لا تَـلحَ نـاسـاً قـد آثـروا عنـكَ بُعـدا
من يهـجـرونـك حـراً أيـسـكـنـونكَ عـبـدا

---

(١) كان المعلم قيصر يمضي رسائله إليه «مؤلمك قيصر».

١٨٨ ـ إلى «بـاء»

[من المتقارب]

نصحتُـك يـا «بـاءُ» حسبك بغيـاً ... أَلَـيْس لـلُؤمـك يـا «بـاءُ» حـدّ
جُـبِنْتَ فَصُلْتَ عـلى من يـصـولُ ... وإن كَـلِب الـكَـلْبُ عضَّ الأسـدْ

١٨٩ ـ صيحة للجهاد(*)

[من المتقارب]

ولـو لم تـكـوني فـرنـجـيـةً ... لـكنتِ (سُـعـاديَ) قبـل سُـعـادْ
ولـكـنـني عـربيٌّ المـنـى ... ـ عـربي الهـوى عـربيّ الـفـؤادْ
لـعـمـركِ يـا «مـود» لـولا ذووك ... لمـا مـيّـز الحـبُّ بـين الـعـبـادْ
ولا أكـرهـوا شـاعـراً أن يـقـول ... ـ هـذي الـبـلاد، وتـلك الـبـلادْ
فهم أوغـروا بـالـعـداءِ الصـدورَ ... وهم أضرمـوا النـار تحت الـرمـادْ
فـلا تـعـذُلي شـاعـراً زاهـداً ... وكـم هـام بـالحـبِّ في كـل وادْ
فـإني حـرامٌ عـليَّ هـواكِ ... وفي وطـني صـيـحـةٌ لـلجـهـادْ

١٩٠ ـ مسـاؤكَ(**)

[من المتقارب]

مـسـاؤكَ عـرسٌ وفـجـركَ عـيـدْ ... فـأنـتَ بـرغـمِ الـليـالي سـعـيـدْ
بـلغـتَ مـن الحـب كـل المـرادِ ... فـماذا تُـرى فـوق هـذا تـريـدْ
مسرّاتُ هـذي الحـيـاةِ قـصـيـدٌ ... ووصـلُ الحـبيـبـةِ بيتُ القـصيـدْ
خُـلقـنـا لـتـجـديـد سرِّ الحـيـاةِ ... فـربُّـكَ يـبـدي ونـحـن نـعـيـدْ
ووكَّـلـنـا الله لّمـا بـرانـا ... بـخلعِ الـقـديمِ وخـلق الجـديـدْ
فـلا شـكَّ أنّـكَ أنـتَ الـرشـيـدُ ... ومـا ضـلَّ إلاّ الُمسَمّى (رشـيـدْ)

(*) فتاة انكليزية تحببت إليه، اسمها (مود) أحبّته وكاشفته بحبها ورغبتها في أن تكون (سُعادَهُ) فرفض القروي ذلك.

(**) في عرس جاره إميل يمين.

١٩١ - ماء الجبين (*)

لئن لم أكن أشعَر الشاعرين ... ولم أجنِ من أدبي فائِدَهْ
فحسبِيَ أن صنتُ ماءَ الجبينِ ... وتلك قصيدتيَ الخالِدَهْ

١٩٢ - أجود الخمر

[من المتقارب]

إذا ما رفاقي أداروا الكؤوسَ ... وصبُّوا اللهيبَ على الأكْبُدِ
ترَضَّبتُ فاكِ وليس من الذوق - شربُ الرديءِ مع الجيِّدِ

١٩٣ - نبا بالغني (**)

[من المتقارب]

نَبَا بِالغَنِيِّ الفراشُ الوَثِيرُ ... وَنَامَ الفَقيرُ على زَنْدِهِ
فَلا يُحزِنَنَّكَ فَقدُ الغِنى ... فَقَد تَجِدُ الخيرَ في فَقدِهِ
وقَد يُهلِكُ المالُ أربَابَهُ ... كما يغرَقُ النْحلُ في شَهدِهِ

١٩٤ - شبول الأرز (***)

[من الوافر]

إلهي رُدَّ ما لكَ مِن أيادٍ ... على وطني وَرُدَّ له الإيادا
خلعتَ على رُباهُ الحسنَ فذًّا ... وألبستَ القطينَ به الحِدادا
ومَا شرَفُ الجبال لِساكِنيها ... وشُمُّ إبائِهم خُسِفَتْ وهادا
أهيبُ بهم فلا ألقى سميعاً ... كأنّنيَ المُنادي والمُنادَى

(*) القطعة رقم ٩٠ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) القطعة رقم ٨ من مجموعة «موجات قصيرة».
(***) «صنبول» سنة ١٩٣٣

ألا ذوَّقـتـهـم المـي فـثـاروا ... فـيـا ربّـاهْ لـسـتُ أنـا الـبـلادا
شـبـولَ الأرز بـات الحِلم عـجـزا ... وبـعضُ الـصـبر مـوتٌ إن تمـادى
فكـونـوا النـارَ تحـرِقُ أو قـذىً في ... عُـيـونِ البُـطل إن كـنـتُم رمـادا

١٩٥ ـ أزِفُّ(*)

[من الوافر]

أزف إلى أحـب الـنـاسِ شـعـراً ... أذبـتُ عـلى قـوافـيـه الـفـؤادا
وإن تـسـألْ عـن الأسـماء قـلـنـا ... منى نجـوى نـدى خضـراً سعـادا[1]

١٩٦ ـ ملائك الإحسان(**)

[من الوافر]

أجـوقَ مـلائـكِ الاحسـانِ رتِّـلْ ... وهُـزَّ حـجـارةً تـدعـى كـبـودا
فعَـطْفُـك يمنـحُ الجلمـودَ عـطفـاً ... وجُـودكَ يُكسب الصـحـراءَ جـودا
طلعتَ عـلى الـوجـودِ فكم شـقيٍّ ... بفضلكَ صـار يَستحلي الـوجـودا
وكـم أنشـأتَ في المـدُنِ المـلاجي ... وكـم أطعـمتَ في الـبـيـدِ الأسـودا
رسمتَ من اسمـك الـدينيِّ حـدّاً ... ولم تـعـرف مـآثـرُك الحـدُودا
كَمِثْـلِ الشمسِ للحَـرَمَيـنِ ضـاءَت ... ولم تحـرمْ أشـعَّـتـهَـا الـيـهـودا
بـنـاتِ الـعُـربِ خـيرُ الـبرِّ بـر ... يحـطِّمُ عن بنـيكـنَّ الـقـيـودا
فـربِّـيـنَ الـبـنـينَ لـكي يشـبُّـوا ... لـتحـريـرِ الـشـآمِ غـداً جنـودا
فـإن شئـتـنَّ لم نـبرح عـبـيـداً ... وإن شئـتـنَّ حـرَّرنـا الـعـبـيـدا
ستُضـرَمُ نـارهـا يـومـاً وطـوبى ... لـكـل فـتى يـكـون لهـا وقـودا

(*) قدم الشاعر إلى صديقه الاستاذ خضر عمران نسخة من ديوانه وقعها بهذين البيتين.

(١) منى ونجوى وندى بنات الأستاذ خضر عمران وسعاد زوجته.

(**) أنشدها جمعية خيرية لسيداتنا العربيات في «بونس ايرس» سنة ١٩٣٤

١٩٧ - قل للمفوض(*)

[من الوافر]

ألا قُلْ للمفوَّضِ قد هزلنا ... وإنَّ الهزلَ قد يتلوهُ جِدُّ
جزاكَ الله خيراً عن مَعَدٍّ ... فبعد الحِلمِ قد غَضِبَت مَعَدُّ
إذا ما الظلمُ جاوز كلَّ حدٍّ ... فللصبرِ الجميلِ عليهِ حَدُّ
فلا تَلُمِ المحبَّ على جفاءٍ ... لقد أخْرَجته يا مستبدُّ
وعزَّ النفس عن حبٍّ شديدٍ ... دهانا بعده ندمٌ أشدُّ
سنسمِعُكَ الزمازمَ عن قريبٍ ... فما من ثورةِ الأحرار بدُّ
تخوِّفنا المنونَ وأنت أدهى ... لقد خوَّفتَنا مما نَوَدُّ
ومن أنباكَ أن المجدَ سهلٌ ... وأنَّ طريقَ الاستقلالِ وردُ؟
أيطمع بالسيادةِ كل قطر ... ولبنانٌ أبو الأحرار عبدُ
لكم أنكرتُه خجلاً وروحي ... تروحُ إليهِ تحناناً وتغدُو
أيا وطني المنيةُ فيكَ مَنٌّ ... لذائقِها والاستشهادُ شهدُ
ورفعُكَ من حضيضِ الذُّلِّ يوما ... مُرادُ ما لنا عنه مَرَدُّ
فخذ من سادةِ الدنيا دروساً ... بما وجَدوا وجدُّوا واستجدُّوا
شعوبُ الأرضِ للنُّوَبِ استعدَّت ... فَوَيلٌ للذي لا يستعدُّ

١٩٨ - فَعِشْ يا سيِّد القصْرَيْنِ(**)

[من الوافر]

وتصريحاتُ سيِّدنا سلامٌ ... على أكبادنا الحَرَّى وبَرْدُ
فعشْ يا سيد القصرَيْنِ إني ... بفضلك رحتُ بعد اليومي أشدُو
أنا القروي للأرز انتسابي ... ولبنانيتي شرفٌ ومَجْدُ

(*) يعني به المفوض الفرنسي وقد أثار طغيانه نقمة كثيرين من اللبنانيين محبذي الانتداب.
(**) في مدح غبطة البطريرك أنطون عريضة لمواقفه الوطنية.

١٩٩ ـ الدّمعة الأولى(*)

[من الوافر]

نبـذتُ نصيحةَ الـرأي السّـديـدِ ... ونُحتُ عليك بالحزن الشّديدِ
وقلتُ لمهجتي بالنار ضِني ... وقلتُ لمقلتي بالدّمع جُودي
فغصَّ القلبُ بالزفراتِ حتى ... خشيتُ من البخار على الحديد
وفاضَ الجفنُ بالعبراتِ حتى ... شكا البحرُ المديدُ من المزيدِ
«أقيصرُ» هل نظمتَ عليه دمعاً ... كَدُرٍّ كلامِه العذب النضيدِ
وهل قبّلتَ راحتَه احتراماً ... وقلتَ له وداعاً عن «رشيدِ»
ويا «فكتوريا» أقَبِلْتِ منه ... نصائحَ والدٍ هادٍ رشيدِ؟
ويا «فيليبُ» هل ألقيتَ عني ... عليه تحيةَ الحُبِّ الأكيدِ
«فؤاد» أخي أما أنشدتَ شعري ... عليه وهل ترنّحَ للنشيدِ؟
«أديبُ» «نديمُ» «دعدُ» أما انتظمتُمْ ... حواليهِ كإكليلِ الورودِ
ألم يُشْبِعْكُمُ لَثْماً وتَحْنُو ... عليكمْ روحُه قبلَ الصُّعودِ
أبي ماذا أُجيبُ العودَ إمّا ... أعودُ غداً ويسأل عنك عودي
أأُصدّعُه بموتِك أم أغنِّي ... وأخدعُه ببرّاق الوعودِ
فكم أوتارُه حنّتْ وأنّتْ ... وقالتْ يا ليالي الأنس عودي

* * *

رشيد! كفاك يا ولدي بكاءً ... وهل يَبْكي الشّقيُّ على السعيدِ
لعمرُكَ إنّ سَكْبَ الدمعِ أولى ... على من ظلَّ يَرْسِفُ في القيودِ
ولو يُبْكَى هنا لبكيتُ لكنْ ... دموعُ الحُزْنِ تنشف في الخلودِ
ولو أدري الحقيقةَ قبلَ موتي ... وعيشِك ما بكِيتُ على فقيدِ
ولم آسفْ على عُمْرٍ قصيرٍ ... يؤدي بي إلى عمرٍ مديدِ
فما الأمواتُ تودَعُ في لُحُودٍ ... سوى الأطفالِ توضعُ في المهودِ

(*) رثى بها المرحوم والده سنة ١٩١٠ وقد أرخ وفاته بأبيات من الطويل على روي الضاد والمفتوحة (تراجع في مكانها).

وما الغبراءُ تجمعُني إليها سوى أمٍّ تحنُّ على وليدِ
أجلْ لَمْ تفتحوا قبراً ولكن فتحتُمْ كوَّةَ النورِ الجديدِ
ولم أهجرْ أحبّائي ولكن وجودي بينهم يُخفي وجودي
إذا أدنيتَ من عينيك شيئاً بدا للعين كالشيءِ البعيدِ

* * *

أبي ولسوف أذكرها سعيداً وأنشدُها بإيمانٍ وطيدِ
لئن واروْكَ في جوف الثرى ما محَوْا ذكراكَ من لوحِ الوجودِ
همُ الأمواتُ كالأحياءِ: بعضٌ يفوقُ البعضَ حتى في اللحودِ
فبعضُ الناس يُدْفَنُ في تراب وبعض الناس يدفن في الكبودِ

٢٠٠ - عيد المساخر(*)

[من الوافر]

ذروا الأفراحَ للشعبِ السعيدِ وخلُّونَا لهمٍّ مستزيدِ
وعن عيدِ المساخر أبعدونا فنحن مساخرٌ من غير عيدِ
نرومُ تنكراً فيه كأنّا عُرفنا قبل ذلك في الوجودِ!
وهل هذي الوجوه إذا انتسَبنا تزكي أصلَنا عند الجدودِ؟
مضت شمُّ الأنوفِ فليس فينا سوى بيضٍ لهم شِيَمُ العبيدِ
وكم زورٍ بدا في لون صدقٍ وكم بخلٍ بدا في شكل جودِ
ألا رحمَ المهيمِنُ كلَّ جَدٍّ سعيدِ الجَدِّ في المثوى السعيدِ
كأنْ لم يُغمِضِ العينين إلا كراهةَ أن يرى ذُلَّ الحفيدِ
وهل من بعد هذا الذل ذلّ لشعبٍ يستجير من اليهودِ...
لقد مِتنا، أجل والله مِتنا فغيرُ الميت لم يخضعْ لِدود!!

(*) نظمت هذه القصيدة أثر وعد «بلفور».

٢٠١ - سـعدي(*)

[من الوافر]

أزفُّ إلـيـك شـعـراً عـبـقـريّـاً ... تـرتـلـه شـبـابُ الـعـرب بـعـدي

وأرجـع هـازئـاً بنحـوس دهـري ... وهـل أخشى النحوس وأنت سعـدي

(*) على نسخة من ديوانه إلى الأستاذ سعدي بصبوص.

٢٠٢ ـ ماذا ولماذا

[من الرمل]

أيها السائل عن هذا وهذا ... لم تُصبْ من وابل العلم رذاذا

كل علمِ الناس «ماذا» فإذا ... أدركوها وقفوا عند (لماذا)

روي الراء

٢٠٣ ـ خفضت رأسك(*)

[من البسيط]

خـفضـتَ رأسـك لا ذُلاً ولا خجـلا   بـل اتـضـاعَ وريقٍ مـثقـلٍ بِـثَـمـرْ
ولم يـطأطـئ لـغـير الله هـامـتـه   إلاّ ليـطعم صبيـان العجـوز (عُـمَـرْ).

٢٠٤ ـ الربيع الأخير(*)

[من البسيط]

لميـاءُ هـذا جبـينُ الفجرِ قـد سفـرا   ومـوسمُ الحبِّ عنـا مـزمـعٌ سفـرا
وأضيَـعُ الناسِ من يَمضي الشبابُ ولا   يـقضي مـن الحُـبِّ في أيـامـه وطـرا
طـيري نُـزوِّدْ قـليـلاً مـن لـذائـذه   مـاذا يفينـا بخيـلٌ زُوِّدَ العُـمُـرا؟!
إنْ يـرمِـنـا بـرُفـاتٍ مـن أزاهـره   فقـد خلعنـا عليـه الـرَّيِّقَ النضرا
طـيري نُنَقِّـرْ مـع الأسراب في فـرصٍ   إن طـرنَ لن تَجِـدِي حَبّـاً ولا ثمـرا
غـداً نـذوب إلى الأعنـاب من ظمـأ   ونهبِطُ الـكـرمَ لا نـلقـى لهـا أثَـرا
لنـا من الشفقِ السحـريِّ أجنـحـةٌ   فما التفاعُـكِ في جُنحَيْ دجىً وكَرى(١)

(*) ـ القطعة رقم ٩٨ من مجموعة «موجات قصيرة».

(*) ـ نظمها في ايتاكيرا وألقاها في حفلة تكريمية أحيتها الجالية العربية في صنبول لرفيقه الشاعر فرحات، سنة ١٩٣٢ وايتاكيرا قرية على عشرين كيلو متراً من صنبول. قضى فيها مع أمه وشقيقته سبعة أشهر يعدها من أسعد أوقات اغترابه، في بيت وسط بستان فيه أنواع الفاكهة، ناعماً بالهدوء في حضن الطبيعة التي يعشقها، فألهمته هذه القصيدة وقصيدة الغفران وغيرهما.

(١) ـ الالتفاع: الاشتمال بالثوب. الدّجى: سواد الليل وظلمته. الكرى؛ النعاس أو النوم.

عيبٌ علينا نكون البُلْبلين ولا ... نشاركُ الطيرَ في أعيادِها سحرا!
أما ترَيْنَ الدجى لّمت غدائرهُ ... سوداً فنشَّرها رأدُ الضحى شُقُرا[1]
وقد فشا بين أضلاعِ النوافذِ من ... عِطرِ الخمائلِ سرٌّ حرَّك السُرُرا
والغاب ألّفَ جوقاً من عشيرته ... ألريحَ والنهرَ والأطيارَ والشجرا
رفَّ النسيم على أدواحهِ فَبِها ... ما بالمحب إذا طيف الحبيبِ سرى
نحكي القيانَ من الأوراق حاملةً ... مثلَ الدفوف عليها الطَلُّ قد نقرا
والبدرُ كالناشيءِ العصريِّ عاد ضحىً ... من مرقصِ النجم يشكو الضعفَ والخورا
يمشي إلى الساحلِ الغربي متئداً ... كالشيخِ في سفحِ تلِّ الأفقِ منحدرا
والأرض حارت أتلقى الفجرَ ضاحكةً ... لأمِّها الشمسِ أم تبكي ابنَها القمرا
والليل فرَّ فِرارَ العبدِ حين رأى ... مستودَعَ النورِ في آفاقها انفجرا
والصبح أرخى نقاباً من أشعّتِه ... أخفى به الزُّهرَ لّما أعلنَ الزَّهَرا
سبحانَ من أبدعَ الأنوارَ مُعجزةً ... إن شاءَ أبدى بها الأشياءَ أو سترا
والريحُ تنفخ ناياتِ الغصونِ على ... سمعِ العقيقِ فيجري دمعهُ غُدُرا
ناحت على أرزها المهجورِ شارحةً ... ما رجّع الشاعرُ المنفيُّ مختصرا
حتى إذا لطّفَت بالبثِّ لوعتَها ... وصدَّعَت بمراثي حبِّها الحجَرا
راحت تُسَرِّحُ فرعَ الدوحِ ساكبةً ... من قُمقُم الفجرِ أذكى ما الندى قطرا
والنهر ساحَ كأن البحر مدَّ يداً ... بين المزارعِ تُهدي الماءَ والدررا
طوراً له زأرةُ الدرزيِّ ثار علَى ... جلّادهِ وإلى استقلالهِ نفرا
وتارةً يملأ الوادي تنهّدُهُ ... كأنَّ لبنانَ في أغلالِه زفرا
وللجداول أنّاتٌ مرجّعةٌ ... كأنها فُجِّرت من أكبدِ الشُعرا
ينصبُّ سلساُلُها خمراً معتقةً ... كادت تشعشِع منها القطرةُ النهرَا
فالغصنُ من طِيب ريّاها ترنُّحُهُ ... والطيرُ مما حسا من طلِّها هدَرا
وللسحابِ ثَنيّاتٌ مُصفّقةٌ ... بيضٌ كأنَّ عجوزاً جعّدت شعَرا
تذهّبُ الشمسُ أطرافَ اللجينِ بها ... كما توشّي يدُ الزوقيّة الحِبَرا[2]

---

(١) ـ رأد الضحى: ارتفاعه.
(٢) ـ نسبة إلى «الزوق» من قرى لبنان وقد اشتهر أهلها بالتطريز بخيوط الذهب والفضة. والحِبَرا: جمع حبرة: وهي ثوب مخطّط من قطن أو كتّان.

وللغمامةِ أذيالٌ معطّرةٌ مثلُ البخور علا في السفح وانتشرا
كأنما التلُّ أمَّ النهرَ مبترداً ثم استحى من عيون الفجر فاتّزرا
والطودُ حصنٌ وراءَ السحب ممتنعٌ والسَّرحُ قامت على أسواره خُفرا[1]
كأن دارعةً يوم الوغى ضربت دُخَانَها دون أبصار العدى سترا

* * *

هيّا إلى الغاب إني قد بنيتُ لنا من الرياحينِ عُشّاً ليناً عطِرا
تحنو علينا ظِلال الأيكِ رقّطها من الأشعةِ كفٌّ ترسم النَمِرا
إذا سئمنا ذُرى أفنانها سُرراً مدّت لنا الأرضُ من أعشابها حُصُرا
فِرِّي إليه معي عند المساءِ ولا تروي إلى بشرٍ من أمرِنا خبرا
إني كريمٌ أحبّ المال مشتركاً لكن غيورٌ: أريد الحسنَ محتكَرا
إيّاكِ! لا تجعلي في الحب خمرتَنا خَلاً ولا تمسخي فردوسَنا سقَرا
لا تأمُلي من جوارِ الناس منفعةً فلنبتعدْ عن جِماهم نأمَنِ الضرَرا
لم يعمُروا من بقاعِ الأرض عامرةً إلاّ وقد غمروا بالشرِّ ما عُمِرا
لا تعبُري السوقَ إلا بعد بسملة فالبحرُ أسلمُ من سوقٍ لمن عبرا
تلك الصفائحُ في أبوابهم مُلئت ـ مما به ملأوا أجوافَهم ـ قذرا. [2]
فحوِّلي الطرفَ عنها واحذري خطراً من كل درب به عزريلُهم خطرا
وحشُ المدينةِ ما ذئبُ الفلاةِ عوى حَولَ الخِباءِ وما ليثُ الشرى زأرا[3]
وما فحيحُ أفاعي الغاب مُحنَقةً أشدُّ وقراً على الأسماعِ إن جأرا
تدهى السوابلَ منه كلُّ داهية دمُ الأنامِ بها هدرٌ لمن هذَرا
حطمُ الأضالعِ إن وافاهُمُ قُبُلاً وخانقُ الغازِ إن ولاّهمُ دُبُرا

---

(١) ـ السَّرح: جمع سَرْحَة وهي شجرة عظيمة طويلة.

(٢) ـ كان يمر في شوارع «صنبول» عائداً إليها كل صباح من منزله في قرية «ايتاكيرا»، فيتقزز من مرأى صفائح الزبالة عند أبواب المنازل والمتاجر قبل أن يزيلها الموكلون بنظافة العاصمة

(٣) ـ يعني «بوحش المدينة» السيارة مشبهاً اياها بعزريل خاطف الأرواح ويقول ان صوتها أثقل على السمع من عواء الذئاب وزئير الأسود وفحيح الأفاعي.

كـاللصِّ ينتعـلُ المـطّاطَ من حـذرٍ ... ولا يحـذِّر حـتى يُـبـطِلَ الحـذَرا
(فُـرْدُ)، وهل راكبٌ رجليـه يجهـلُ ما ... (فُـرْدُ) وزمـرتُـه؟ أَلْئِمْ بهـا زُمَـرا!
كـأنهنَّ دوالـيـبُ المـنـونِ جـرت ... تغتـالُ كـلّ بـريءٍ في الـطريقِ جـرى
حشُـونتي حسبُنـا في دُورهم جـزَعـاً ... وحـسبنـا مـا لقينـا بينهم عِـبَرا

الـطيرُ مـنهـم إلى أوكـارهـا لجـأت ... فلنجـتنـبْ في زوايـا عُشِّـنـا الخـطرا
مـا أبهج القفـرَ! عنهم سوف يُبعـدنـا ... ومـا أحـنَّ علينـا البـازَ والـصقـرا
لا! لا! دعينيَ وَحـدي لا أريـدُ معي ... إلاّ الـكتـابَ وإلا الـعـودَ والـوتـرا
خُلقتُ للشعـرِ في الغـابـاتِ أُنشـده ... حُـرّاً، وما أَضْيَـعَ الأحـرارَ في الأُسَرا!
وأسمـعُ الـروضَ منـه كـلَّ مبتَكَـرٍ ... لم يُبقِ لـلبلبـلِ الـصـداحِ مبـتكـرا
فـرفـرفي أنتِ في القضبـانِ نـاعمـةً ... وأطـربي السقفَ بـالألحـانِ والجُـدُرا
لا تـبرحي قفَصـاً عُـوِّدتِ زُخـرُفَـه ... ولا تقـولي: حبيبُ القلبِ بي مكـرَا!
مـاذا تـلاقـين من حَـلْيٍ ومن حُلَلٍ ... في الغاب تفتِنُ منكِ السمـع والبصرا؟
ومـن غـرائـبِ أفـلامٍ إذا نـطقَـتْ ... أشباحُها خِلتِ يـومَ البعثِ قد حضرا؟
وكـهـربـاءٍ إذا أنـوارُهـا سـطَعـت ... تـوارتِ الشمسُ من لألائهـا خفَـرا؟
وواجهـاتٍ كـأرمـاسِ الملوكِ حـوت ... مـا عـزَّ من تحفِ الـدنيـا ومـا نـدرا؟
ما في الحقولِ سـوى درِّ الندى وسـوى ... مـاسِ الشُعـاعِ حُـلِيٍّ تبهـر النـظرا
كـأنّمـا القبـةُ الـزهـراءُ شعّثـهـا ... وهـجُ الضحى فهـوى بِلَّوْرُهـا شـذَرا

ولـن تـرى صـوراً فيـهـا مشبّحـةً ... إلا السـماءَ وإلا الأنجـمَ الـزُّهُـرا. .
ولا محـافـلَ إلا الـطيرَ شـاديـةً ... ولا مـنـابـرَ إلا الُمـيّسَ الخضُرا. .
ولا مـعـارضَ أزيـاءٍ سـوى قـطع ... من الـريـاضِ عليهـا اللؤلـؤُ انتـثرا
عـلى ضفـافِ السـواقي مُـدَّ مُخمَلُهـا ... وفـوق هـامِ الـربى ديبـاجُهـا نُشِرا
هِيفُ الغصـونِ تمـاثيـلُ لهـا ودُمى ... ويـانـعُ الـزَّهـرِ أزرارٌ لهـا وعُـرى.

* * *

هـذي سخافـاتُ أهـلِ الفنِّ يَنشـدُهـا ... من رهطِهم كلُّ من غنّى ومن شعرا!

وأنتِ من فئةِ الجدِّ التي زعمت أنَّ السعادة بيعٌ دائمٌ وشرا!
حتى كرائمهم في شرعهم سلعٌ لن تبرح الخدر حتى تُنقد المهرا

* * *

يا ساكنَ القصرِ لا تهجُرْ مشارِفَه أأنتَ من أجلِ كوخٍ تترُك القصرا؟
وهل لسُكنى بُيَيْتٍ فرشُه حَجَرٌ تفارقُ الغُرَفَ القوراءَ والحُجرا؟!!
مَن ذا يبدِّلُ بالأبهاءِ مزرعةً وبالطنافسِ طينَ الحقلِ والمَدرا؟!!!
ومن يميلُ عن الغزلانِ آنسةً أسرابُهنَّ ليرعى الشاءَ والبقرا؟

ما بالخيامِ لأربابِ القصورِ غنىً وليس للبدوِ شيءٌ يُعجب الحَضرا
خلِّ الهُيامَ بجنّاتٍ مزخرفةٍ لشاعرٍ يعشقُ الأوهامَ والصورَا
نحن الفلاسفةُ الحمقى. لنا ولعٌ بالغابِ حتى غدونا نكرهُ البشرَا
لا ننشقُ الريحَ هبّت عن حواضِرهم حتى تجوزَ حقولا رُصِّعَت بقُرى
ولا نشمُّ الصَّبا إلا وقد قطرَت أذيالُها من ندى أسحارِنا عطِرا
لجنِّ عبقرَ من كُتّابنا صَحَبٌ وللشياطينِ من شُعّارنا عُشَرا
يُسْرَى بنا من سماءِ الوحي في حُبُكٍ خضراءَ نُطلِقُ في أجوازِها الفكَرا
تنحلّ فيها طيوف النور صائغةً روضاً من السحر باللألاءِ مزدهرا
ويَنشرُ الحُبُّ في أرجائها أرَجاً لو شمَّ جبريلُ منه نفحةً سكِرا
إذا شرعنا له أقلامَنا نفثَت سِحراً، ألم تقرأ الآياتِ والسُّوَرا؟!

* * *

لا يَنبتُ الدينُ بغضاً في مزارِعنا مهما أخو الجهلِ من أشواكِه بذرا
الكل فينا جنودٌ للاخاء فما في دولةِ الشعرِ نوابٌ ولا وُزَرا
ولا أهازيلُ جمهوريةٍ وَلِيَت أمراً وسيّدُها عبد لمن أمرا[1]
أما الطغاةُ: فلا نخشى صوالجةً وكم نصبنا لها هاماتِنا أُكرا
نستعذبُ الموت من أجلِ الحياةِ فما يجني الورى الشّهدَ حتى نجنيَ الإبَرا
عفنا القشورَ وهِمنا باللُّبابِ فلا يُزري الجهولُ علينا أننا فُقَرا

(١) ـ كان لبنان وهو تحت الانتداب الافرنسي جمهورية ولها رئيس منه

لا نقــدِرُ النــاسَ إلا بــالـعقــول ولا نـقـيـمُ لـلمــالِ وزنــاً قــلَّ أو كـــثرا
ولا نـســاوي بفــردٍ من نــوابـغـنــا كلَّ الألى اشتهروا فوق الـثرى بِــثَرا
نــورُ المسيــحِ تجــلّى مــن مــذاوِدنــا وسيفُ أحمــدَ من صحــرائنــا شُهِــرا

* * *

وهــل سمعتَ «بغندي»؟ إنــه حمَــلٌ في الهنــدِ ثار عــلى الضرغــام وانتصرا
إن كــان عاب عليــه العُريَ مستــترٌ فــانَّ آدمَ لــولا الإثــمُ مــا استــترا[1]
هــذا الضعيفُ الـذي لــو هـزّه ولــدٌ لا نــدقّ كــالعــودِ في كفيّه منــدثــرا
هــزوا الحســامَ فلم يحفــلْ وهــزَّ لهم غصنَ الســلامِ فهزَّ البحــر والجــزُرا
وغــادر الـسيـفَ يحكي غِمــده فَـللاً فــاعجبْ لغصنٍ يفُلُّ الصــارمَ الـذكَـرا

* * *

قــل للذي تــاهَ بــالأسـطولِ مفتخــراً البغيُ لؤمٌ فَتِــهْ بــالعــدلِ مـفتـخـرا
لا بــدَّ لـلضعـفِ من ظُـلم يثــورُ بــهِ والــويــل للظلمِ من ضعفٍ إذا ثــأرا
يــا صــاحب الحق قــد حــالفتَ مقتدراً فــلا تخف، مــا صحبتَ الحق، مقتـدرا

٢٠٥ ـ الفرقدان(*)

[البسيط]

شقيقَ «عقــلٍ» وحسبُ الشعرِ أنكــما لَلفــرقــدانِ إذا مــا كـــوكبٌ سَـفَــرا
خفّت بجــوكــما المسحــور أجنحــةٌ من عــالم الخلد بـيضٌ تَخْـطَفُ البصرَا
زرتَ الحـمى فـتلقّــاك البـيــانُ كــما وفــدُ الثـريّــا مشى يستقبــلُ القَمَــرا
ثم انثَنَــوْا بـك فــالأبصــارُ شــاخصةٌ تــرنــو إلى ســاطعٍ في هــالــة الشُعــرا

* * *

(١) ـ ذاع أن قداسة الحبر الأعظم اعتذر عن عدم مقابلة «غندي» لأن ثوبه لا يغطي ساقيه.
(*) ـ زار الشاعر شكر الله الجر «صنبول» فأحيا له اخوانه الأدباء حفلة تكريمية.

أين البــلابــلُ في إنشــادهــا سحــراً من شــاعــرِ عــربيٍّ إنْ شــدا سحــرا
كم يــدَّعي الشعــرَ من لا يَشعــرون بــه ولا يُــعــادون إلاَّ كــلَّ مــن شــعــرا
يــلهــون منــه بــأوزان مــسجّــعــةٍ والــشعــرُ منهم ومــن أوزانهمْ سخــرا
دَعْهم عــلى الشــاطىءِ الــرمليِّ في لعبٍ إذا طــغى المــوجُ لم يــتــركْ هــم أثــرا
يــا نــافــثــاً دُرَرَاً يــا بــاعــثــاً شرراً يــا جــاليــاً غُــرراً يــا ملهــماً سُــورا
نــزلتَ بــرداً عــلى أكبــادِ طــائــفــةٍ تستنــزلُ الــوحيَ لا تستنــزلُ المــطرا
كم نــاعــمٍ من أمــاليــدِ البــلاغــةِ إذ أعــطَيتَنــا ثمــراً لم يُعــطنــا زَهــرا[1]
بمثلكَ الــيــومَ يُحيي الشعــرُ دولتَــه لا بــالــذي شــطَّرَ الأشعــارَ فــانشــطرَا
كم خــامــلٍ يبتغي ذِكــراً فيُعجِــزه يــودُّ لــوْ أنّــه بــالســوءِ قــد ذُكــرا

٢٠٦ ـ ليلات عرسك(*)

[من البسيط]

لــيلاتُ عــرسك نــور يخــطَفُ البصرا كــأنَّ في راحتيــك الشمسَ والــقَمَــرا
فــإن ظفــرت بــ«سلقــانــا» فــلا عجبٌ خُلقتَ لــلنصر والمنــصــور من ظَــفِــرَا
مهــما يَــرُمْ صــاحب الحظ السعيــد يَنَــلْ وتــعــقــد الــزُّهْــرُ في إكليله زَهَــرَا
فــاهنــأْ بحــوريــة مــا مَسَّهــا مَلَكٌ واخلدْ بشعــر أمير الشعــر والشُّعَــرَا

٢٠٧ ـ لا تخدعنّك(**)

[من البسيط]

لا تخــدَعَنّــكَ من ضــدٍّ مُســايَــرَةٌ فــالمــاءُ وهــو حميمٌ يــطفــئ النــارا
وَدُرْ ودارِ الــورى تــأمَــنْ غــوائلهــم مــا أخــطأ الحــزم من دارى ومن دارا

---

(١) أماليد: جمع أُملود وهو الناعم اللّين من الناس ومن الغصون. وهي هنا ضروب البلاغة والتعبير الجميل.

(*) ـ أبيات مستخرجة من مخطوطاته، قالها تهنئة بعرس.

(**) ـ القطعة رقم ٧٥ من مجموعة «موجات قصيرة».

من قـابـل الشرَّ بـالإحسـان أعقمـه أوْلا فـقـد أعـقـب الشريـرَ أشرارا
إن الـعَـدُوَّ الـذي تـرديـه منبعـث في شخصِ ألفِ عـدو يـطلب الثارا.

٢٠٨ ـ على ذراك(*)

[من البسيط]

عـلى ذراكِ تـرفُّ الأنـجـمُ الـزُّهُـرُ كـأنَّها بـين أعـشـاب الـربى زَهَـرُ
فيهـا وفيـك أرى لبنـان مـرتسـما ان الحقـائقَ عـنهـا تؤخـذُ الـصـوَرُ
عـلى هضـابـكِ من أطـواده شَبـحٌ وفي ريـاضِـكِ مـن جـنّـاتـه أثـرُ
عـاد الأصيلُ لـذكرِ الأصـلِ فاغتفـروا يـا واجـدينَ عـلى لبنـان وافتخـروا
الله يـرحـمُ عُـذّالي لـعـلّهُـمُ لـو أدركـوا غِـيرتي في حبِّـه عَـذَروا
لـو كنت عنـه غـريبـاً مـا اكـترثت لـه ولا لأهـليـه إن غـابـوا وإن حضروا
لله دمـعُ سروري يـومَ هـبَّـتِـهـم من ضجعـةِ الـذلِ كـالألغـامِ تنفجـرُ
ثـار الـعـراقُ ومصرٌ والـشـآمُ لهـمْ واستـصـرخَ الـثَّقَـلَيْنِ البـدوُ والحَضرُ
الحمـد للهِ مـا خـاب الـرجـاءُ بهم زال السّرافُ وطـابَ الغرسُ والثمرُ(١)
والحـمـدُ للظلمِ إن الـظلمَ عـلّمَهـم أنَّ العـروبـةَ فيهـا العـزُّ والـظّفَـرُ
تجـهّمـي واكفَـهـرِّي يـا سـماءُ لـنـا لا يُستقى من سحـابٍ أبـيضٍ مـطرُ
هضـاب جُـردَونَ يـا بُـرءَ العليـلِ ويـا سلوى الغـريبِ ويـا لبنـانَ من هجـروا
حَـسـبُ المَـودَّةِ أنّـا لا يـطيبُ لَنـا من بعـد لـبنـانَ إلا جـوُّكِ الـعـطِرُ
لـو لم يكن فيـكِ من أنفـاسـه عبقٌ لم نـرجُ منـكِ شفـاءً لـلأولى صُـدِروا
يـا حفـرةً وضعـوا ركنَ المصـحِّ بهـا كم كـانَ يُفتَـحُ لـو لم تُفتَحي حُفَـرُ
يـا جلمـداً في حنـايـا التُـربِ مختبئاً كـما تَخـبّـأُ في أصـدافِـهـا الـدُّرَرُ
لم تُخفِ وجهكَ لـلاحسـانِ من خجـلٍ لـكـنَّ مـن رامَ وجـهَ الله يـسـتـترُ
هـذا الجميلُ الـذي تخفيـهِ في جَـدَثٍ غـداً تشـعُّ بـه الأبهـاءُ والحُجَـرُ(٢)

(*) ـ ألقاها مساء ١٥ حزيران سنة ١٩٤٤ في حفلة وضع الحجر الأساسي للمصح السوري في هضاب «جردون» وهي أشبه الأقاليم البرازيلية بجبل لبنان.

(١) ـ السُّرفة: دويبّة غبراء تأكل ورق الشجر.

(٢) ـ الجدث: القبر والأبهاء: جمع بهو وهو البيت المقدّم أمام البيوت. والحجر: جمع حجرة وهي الغرفة في أسفل البيت.

تَنَكُّرُ الفضلِ زاد الفضل معرفةً ... كأنما بُرقُعاهُ الشمسُ والقمرُ
البرءُ من يدكَ البيضاءِ ملتمَسٌ ... رمز الحنان أقلبٌ أنت أم حجرُ
أنت الأمين على أرواحنا وغداً ... يُلقى على منكِبيك الأمنُ والخطرُ
تطامنَنَّ وثبِّتْ أخمَصَيكَ وكنْ ... جلداً على العبءِ لا يذهبْ بك الضجرُ
لو كنت تدري نهوضَ المريَمات به ... أيقنْتَ عجزكَ عما يحملُ البشرُ[1]
قام النساءُ بأعباءِ الحياة كما ... قام الرجال فما الأنثى وما الذَكَرُ؟
مشّيْننَا للمشاريع الجِسامِ كما ... مشّى الحديدَ بخارُ الماءِ والشَررُ
قد صفّقَ الأرزُ للميماسِ من طربٍ ... لا بدعَ أن يتآخى الماءُ والشجرُ![2]
بالحزمِ والصبر والايمانِ وَحدَتُنا ... ما فاز بالخُلدِ من لجُّوا ومن كَفَروا
لا بدَّ من شَفعِنا الأولى بثانية ... لن يمنعَ القَدَرَ المحتومَ مقتدرُ

٢٠٩ - عشراء السوء

[من البسيط]

يا من أمرُّ وقد دبّت عقاربُهُمْ ... كأنني ليس لي سمعٌ ولا بصَرُ
ليضرِبِ اللهُ قلبي مثلكم بعمىً ... إن كنتُ منكم سوى العوراءِ أنتظرُ
لا تعجبوا من حلولي بينكم زمناً ... فطالما حلَّ برجَ «العقربِ» القمرُ

٢١٠ - خَواطر

[من البسيط]

مَتِّعْ شبابَكَ إنّ العمرَ أطوارُ ... وكلُّ طورٍ له في العيش أوطارُ
إن أنت لم تجنِ منْ روضِ الصِّبا زَهَراً ... فليس في دِمنة الأيامِ أزهارُ

---

(١) ـ المريمات جمع مريم ويعني بهن السيدات الحمصيات اللائي وقفن نفوسهن على البر والاحسان. ولم يقم المصح إلا بمساعيهن وتضحياتهن.
(٢) ـ الميماس جدول رقراق في حمص يحن إليه المغترب الحمصي حنين أخيه اللبناني إلى الأرز.

أموالُ «رُطْشِلْدَ» في الصحراءِ ليس لها قدرٌ ويفضُلُها في السوق دينارُ
وقيمةُ الشيءِ مقدار الهيامِ به فان زهِدتَ فما للماس مقدارُ
إن كنت للروحِ كن للروح مشتغلاً أو كنت للجسم فلتهنئك أقذارُ
لا تعقدَنَّ على ذي ثروةٍ أملاً فما تصاحَبَ تجارٌ وشُعَّارُ
والماءُ والنارُ شيءٌ إن فصلتَهما فان وصلتَ فلا ماءٌ ولا نارُ

٢١١ - بنات حواء(*)

[من البسيط]

بناتُ حَوّاءَ أعشابٌ وأزهارُ فاستلهمِ العقل وانظرْ كيف تختار
ولا يغُرَّنَّك الوجهُ الجميل فكم في الزهر سَمٌّ وكم في العشب عَقّارُ.

٢١٢ - لو صبّ لقمان(**)

[من البسيط]

لو صَبَّ لقمانُ في البِلَّوْر حكمَتَهُ صِرْفاً تَدَفَّقَ من إبريقها النُّورُ
وقال للأحمق اشربْ لا عَدِمْتَ هُدىً لعافها وهو عِلْقُ الخمرِ سِكِّيرُ

٢١٣ - متى

[من البسيط]

متى تجوزُ بنا الغبراءُ منطقَةً فوقَ المجرَّات نورُ الخُلدِ يغمرُها
علَّ الجسومَ إذا رُشّت به رَدَحاً يدنو من الملأ الأعلى تطوُّرُها

(*) - القطعة رقم ١٤ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) - القطعة رقم ٥٧ من مجموعة «موجات قصيرة».

٢١٤ ـ تقدمة(*)

[من البسيط]

هــذي «أزاهـيرُ» أشعــاري أقـدِّمهــا ذكــرى لكـلِّ صحيــح الشمِّ والبصر
وقـد أكـون أنــا المغـرورَ إن عُــرضت ولم تَــرَوْا بينهــا شيئــاً من الــزهــرِ
فســامحُــوني ورُدُّوهــا عــلى جَــدَثي ثم انفـضــوا كفَّكم مـني ومن أثَــري

٢١٥ ـ يا ليتني

[من البسيط]

يــا ليتني كنتُ نـورَ البــدرِ أدخــلُ من شبــاكِ محبــوبـتي جهــراً بــلا حــذَرِ
يــأتي الــرقيبُ لــترويعي ويـكمـن في احـدى الزوايـا حليفَ السهـد للسَحَـرِ
ويـنـثــني قــائــلاً والـغــيظُ يقــتُــلُهُ أظنُّــهُ مــا أتى خــوفــاً من القمــرِ!!

٢١٦ ـ في حديقة(**)

[من الخبب]

الــزَهــرةُ تــبـسِــمُ لــلزهــرَهْ والخضرة تــعــتــنــق الخـضــرَهْ
(وســلامــة) يـنـشــد مـن فــوق ـ الأغــصــان ولم يــبــرحْ مِـصــرَهْ
والمــاء كــما نــاغــى الأطـفــالُ ـ تــرقــرق مـن قـلبِ الــصـخـرَهْ
فـاغـرفْ بــالـراح وخــل الـراح ـ فــتــلك الجـمــرةُ لا الخــمْــرَهْ

(*) لقد علم القارئ من تأبيني لصديقي الشاعر الخالد ميشال معلوف، في باب الجماهير، أنه أول من اقترح عليَّ طبع «الأزاهير» على نفقته وأمدَّني بمائتي ليرة برازيلية دفعةً أولى. وكنت قد هممت بتنفيذ ارادته الصالحة ونظمت للديوان فاتحةً هذه الأبيات:
ولكن سبقت ارادة الله تعالى فقبضت صديقي العزيز إليه. فالآن وقد تمَّ لي بعون أولي الفضل من مواطنيَّ طبع أشعاري كلها في مجلد واحد، فاني أحمده سبحانه أن أتاح لي هذه الفرصة لأشيد بجميل صديقي الذي سبقني إلى الدار الآخرة، مهدياً إلى روحه الطاهرة باقة «الأزاهير» التي طالما رعاها بعين عطفه وسقاها من معين إخلاصه.
فتقبّلها يا أخي ميشال تحيةً عطرةً من أخيك الذي لا ينسى برَّك.

(**) ـ «صنبول» سنة ١٩١٥

ودع الأشغال ولو شهراً وزُرِ الأوطان ولو مرَّهْ
ستموت غداً أو بعد غد أوَلم تضجرْ، أوَلم تكرَهْ؟
خذ عنّي الحكمة مجاناً لا تكسل، لكن لا تشرَهْ!

* * *

٢١٧ ـ المَدَافِعُ الخَرسَاء(*)

[من الخفيف]

أيها المسلمون الله أكبر أوَما حانَ ان نثورَ ونَثأرْ
جُثّةُ السِّلْمِ أنْتَنَتْ فاقْبرُوها قبلما هذه الملايينُ تُقْبَرْ
نشتَري الأمنَ بالغَضَاضةِ والذلِّ ـ ونمحو عاراً بعارٍ أكبَرْ
كُرَةٌ لِلهوانِ بين حِذاءَي «يَرِنٍ» تارةً وطوراً «رُدجَرْ»
أوَلا تخجلون أن تَفزَعوا من قِلّةٍ رَبُّها عَجوزٌ وأعورْ
نحنُ أضعافُ شَعبِ «فِتْنامَ» عَدّاً فلماذا لا ندفعُ الشَّرَّ بالشرّ
دَمَّرَ البغيُ أرضَهُم فَتَحَدَّاهُ ـ من العَزمِ جَوهرٌ لا يُدَمَّرْ
كلَّ يومٍ يُلقَى عليها جحيمٌ من لظىً وهْيَ كلَّ يومٍ أصبرْ
السِّلاحُ المركومُ من دون حربٍ ليتَهُ في يدِ الفدائيِّ خنجَرْ
لو ضَمِنْتُم له الكفاحَ طليقاً حرّرَ الأرضَ وحدَهُ وتحرَّرْ
رَحمةً يا مدافعَ الثأرِ إنّا قد ضجرنا وحقّنا ان نَضجَرْ
زَمجِري أو فَنَبّحي أو فموئي أو فموتي فموت مثلكِ أسترْ

(*) ـ قبل حرب سنة ٧٣ بأسبوعين، وهي مهداة إلى روح الشهيد الخالد غسان كنفاني.

٢١٨ ـ جانيت(*)

[من الخفيف]

شـهـرُ أيـلولَ يـومَ عـيـدكِ أزرى ... بـشـهـور الـربـيـع زهـراً وعـطرا
زِدتِ بـدرَ الـسـماءِ بـالسن عـامـاً ... وبـنـور الـذكـاءِ والـفـهـم دهـرا
أطلعَ العقـلُ من جبينـكِ يـا «جـا ... نيت» شمسـاً إن أطلعَ الحسن بـدرا
عـيـدك المـولـديُّ حـولاً فـحـولاً ... زانـه المـدرسيُّ شـهـراً فـشـهـرا
مـا أهَـلَّ الهـلالُ إلا بـبُشرى ... تمـلأ الأهـل والمـنـازل بِشرا
كم شـأوتِ الأتـرابَ فـاحمرَّ خـدَّاكِ ـ ... حـيـاءً كـأنَّ في الـشـأو نُـكـرا
والـتمـستِ الأعـذارَ عـنهنَّ لـطفـاً ... حـين لا يـلتمسـنَ لـلنفسِ عـذرا
شـرفٌ قـد ورثـتِـهِ عـن جـدودٍ ... سبقـوا الـنـاسَ في المـيـادين طُـرًّا
لم تَـكُ الكُتْبُ والمـدارسُ لـولاهم ـ ... ولا كـنـتِ تـقـرئـين وأقـرا
ولضـاعـت حـوادث العمـر كـالعمـر ـ ... ومـتـنـا مـوتـين عـيـنـاً وذكـرا
هم كسَـونـا بعـدَ الجسوم حـروفـاً ... فـخـلدنـا بهـا شـعـوراً وفـكـرا
كـلـما أخـلقـت يـد الـدهـر منهـا ... حـلّةً جـدَّدت يـدُ الـطبـع أخـرى
فتبـاهَيْ بهم ومن خلفكِ التـاريخُ ـ ... يُمـلي عـلـيـك نـثـراً وشـعـرا
وَاهْـنَئِي بـالـدمِ الـزكـيِّ ودومـي ... لـلبرازيـلِ والـعـروبـةِ فـخـرا

٢١٩ ـ أمن الطير (**)

[من الخفيف]

أمِنَ الـطيرُ بـالخبـوتِ ومـا أصميَ ـ ... إلاّ حـينَ اسـتُـثـيرَ فـثـارا
ولـكم أُعـفيَ المـريضُ مـن الغـارة ـ ... حـين الـسـليـمُ خـاض الـنـارا
وَلَـوَ انَّ الشرِّيـرَ مـات صـغـير ـ ... السنّ لم يـركب الـذنـوبَ الكبـارا
فتفـاءل بـالسقمِ خـيرا وإنْ هَـدَّدك ـ ... المـوتُ فـاضـحـكِ اسـتـبـشـارا
رُبَّ داءٍ يـقـيـك غـائـلة المـوت ـ ... ومـوتٍ يـقـيـك ذُلاً وعـارا.

(*) ـ في عيد ميلاد «جانيت» كريمة صديقه الياس عاصي.

(**) ـ القطعة رقم ٤٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

٢٢٠ - ليس بدعاً(*)

[من الخفيف]

ليس بدعاً أنْ حرّكت نغماتي للهوى برعُماً وهزَّت صغيرَهْ
أنا رمز التغريد في الطير ما - نادمت روضاً إلاَّ فتنت زهورَهْ
ومثال الحنان في الأم ما - ناغيت طفلاً إلاَّ هززت شعورَهْ

٢٢١ - ربّ(**)

[من الخفيف]

رَبِّ منك الإحسانُ والتيسيرُ ولك الأمرُ ان تهونَ الأمورُ
لم تُغَيِّبْ جميع وجهِكَ عَنَّا لك في الأمِّ جانبٌ منظورُ.

٢٢٢ - أيها الشاعر(***)

[من الخفيف]

أيها الشاعرُ الذي فتنَ السمعَ - بنظم كالدرِّ بل كالدراري
هاكَها عُلبةً قد اختارها الصَحبُ - شعاراً لشعرك المختارِ

(*) - من مساجلة شعرية جرت بين الشاعرين القروي وعقل الجر.
فقد نهض القروي يهز سرير طفلة مغنياً ففاجأه عقل قائلاً:

إن هَزَزْتَ السرير منها فجانبْ مكمن الحب طيَّ تلك السريرَهْ
إنها بُرْعُمٌ فلاتك ريحاً واتّقِ الله في فؤاد الصغيرَهْ

فأجابه القروي:

(**) - القطعة رقم ٢٤ من مجموعة «موجات قصيرة».

(***) أحيا للشاعر عقل الجر فريق من اخوانه الأدباء في «صنبول» ١٩٣٠ حفلة ترحيبية قدموا له فيها محفظة للرسائل مصنوعة من الخشب البرازيلي النفيس وعلى زاويتها بطاقة فضية مذهبة وقد نقشت على البطاقة أبيات من نظم صاحب الديوان، من السريع على روي الراء المكسورة (تراجع في مكانها)
وارتجل خلال الحفلة أبياتاً ثلاثة من الخفيف على روي الهاء المكسورة (تراجع في مكانها)

صُفِّحَت بـاللجـين يـزهـو مـن الابـريـز في مثـل ذوْب نـور الـنهـار[1]
أيـن في لـطفـهـا الخـفـيِّ يـدُ الـصـائـغ مـن سـحـر أنمـل الـنـجّـار
ان في قـطعـة من الخشب السـاذج ـ مـعـنىً لا يـنـطوي في الـنُّـضـار
أي روح عـلويـةٍ تـتـركُ الـعـودَ ـ لـتـصـغـي لـرنـةِ الـديـنـار
أيُّ روضٍ مـن عـسـجـد رتَّـلت ـ للهِ فـيـه بـلابـلُ الأسـحـارِ
هي من جـوهـر النسـاءِ ابنـةُ البـذرة ـ أختُ الأزهـار والأثـمـارِ
مـن ضلوع الـريـاض مـن مهـج الأشـجـار لا مـن مـقـالـع الأحـجـارِ
نَـسَبٌ بـالـصـليبِ قـد وَشَـجَـتـهُ مـن يـد الـغـيب أقـدس الأسرارِ[2]
إنها جـعـبـة لأشـهـى أحـاديـث ـ الهـوى عـن مجـاثـم الأطـيـارِ
إن فـيهـا أسرارَ شـعـر ومـوسيقى ـ وفـيـهـا شرارُ نـورٍ ونـارِ
إن فـيهـا رمـزاً لحَنجَـرةِ النـايِ ـ وصـدرِ الـربـاب والـقـيـثـارِ
فتكـرم واذكـر بهـا الصحب حيـنـاً فـجـمال الـتـذكـار بـالـتـذكـارِ

٢٢٣ ـ جرأة

[من الخفيف]

جـرأةُ الحـلمتـينِ خـلفَ الـصِدارِ عـلّمتْـنـا في الحبِّ خـلعَ الـعِـذارِ
خـبِّئـي هـذه المـفـاتـنَ عـنـا إنمـا الـصـدرُ مخـبـأ الأسرارِ
كـيـف لا تـطمـعُ الأكـفُّ بـكَـنـزٍ دافـعٍ نـفـسَـه إلى الـنـظّارِ

٢٢٤ ـ رُبَّ ذنب(*)

[من الخفيف]

رُبَّ ذنـبٍ محـوتُـه بـاعـتـذاري وحمـلت الـورى عـلى إكـبـاري
وإذا قـيـسـتِ الـفـضـائـلُ فـاقـت كـرَمَ الـعـفـوِ جُـرأةُ الإقـرارِ

(١) ـ اللجين: الفضّة. الإبريز: الذهب الخالص
(٢) ـ وشجته: وصلته.
(*) ـ القطعة رقم ٦٠ من مجموعة «موجات قصيرة».

٢٢٥ ـ كنتَ فرداً (*)

[من الخفيف]

أيهـا الـلابسُ الجـديـدَ هـنـيئـاً ... مـا تُـلاقـي مـن راحـةٍ وحـبـورِ
قـد يُمـلُّ الملبـوسُ عـامـاً فعـامـاً ... ولئـن كـان مـن نـفـيسِ الحـريـرِ
إنمـا الجسمُ دُمَّلُ الـروحِ يستأصلهُ ـ ... الموتُ عـنـد بـابِ الحـفـيرِ
بـل قميصُ العـذابِ يخلعـهُ المـرءُ ـ ... طـليقـاً مـن سجـنِ دنيـا الـغـرورِ
رُبَّ جـفـنٍ مـن الـبـكـاءِ قـريـحٍ ... فـوق جـفـن تحـت الـترابِ قـريـرِ
حـقٌّ من خـلّفَ الـذي أنتَ خـلّفتَ ـ ... رضى الله والـورى والـضـمـيرِ
دوحـةٌ مـن جـنـانِ «جـلّقَ» مَـدَّت ... في الـبرازيـلِ كـلَّ فـرع نـضـير
كـنـتَ فـرداً فـصـرتَ ألـفـاً ومـا ـ ... مـاتَ قـليـلٌ مخـلّدٌ بـكـثـيرِ

٢٢٦ ـ الغفران (**)

[من الخفيف]

قمتُ قبـلَ الـطيـورِ أشـدو حبـوراً ... لا أرى عـلّةً لـفـرطِ حـبـوري
مـؤنـسـاً وحشـةَ الـفـضـاء كـأني ... نـبـأ طـيِّـبٌ سرى في الأثـيرِ
وعـلى وجـنـتـيَّ لـلوردِ ظـلٌّ ... عـائـمٌ فـوق مـوجـةٍ مـن نـورِ
أتهـادى بـين الـغـصـون كـغـصـنٍ ... وأنـاغي العـصـفـورَ كـالـعصـفـورِ
قـلتُ ربي أزالَ عـهـدُ شـقـائـي ... أم أراني في عـالم مـسـحـور
وإذا زهـرةٌ كـوجـنـةِ طـفـل ... جنبَهـا شـوكـةٌ كـنـابِ هَـصـورِ
فـتـذكّـرتُ لـيـلة الأمس حُـلمـاً ... مـنـه أدركـتُ سرَّ هـذا السرورِ
أن كـفَّ الـرحمـن تحـتَ سكـون الـليـلِ بـالـعـفـو غـلغـلَت في سريـري
فـرمَـت نـفـحـةً مـن الـعـطر في قـلبـي وعـادت بـشـوكـةٍ مـن ضـمـيري

(*) ـ على ضريح جرجي زيدان والد صديقه الدكتور شكري زيدان الدمشقي.
(**) ـ «ايتاكيرا» سنة ١٩٣٢

٢٢٧ - سُورة القمر(*)

[مجزوء الرجز]

يا «نِكْسُنُ» اقتربتِ السا - عةُ وانشقَّ القمرْ
أعرضتَ عن آياتِنا وقلتَ سِحْرٌ مستمِرّ
واتّبعُوا اهواءَهُمْ وكلُ أمرٍ مستقِرّ
كم جاءَهُمْ من نبأ بالحقِ فيه مُزْدَجِرْ
وحكمةٍ بالغةٍ فُصْحى فما تغني النُذُرْ
تولَّ عنهُم يومَ يدعونَ - إلى شيءٍ نُكُرْ
يومَ خروجهمْ من الأ - جداثِ خُشَّعَ البَصَرْ
كأنهم في الأرضِ أر - جالُ جرادٍ منتشرْ
يومَ يقُولُ الكافرو - نَ إنَّ ذا يومٌ عَسِرْ
وقومُ نوحَ اتهمو - ه بالجنونِ وازدجرْ
فقام يدعو ربَّهُ إني غُلبتُ فانتِصرْ
فَفَتحتْ له السما أبوابَ ماءٍ منهمِرْ
والأرض فاضت فالتقى الما - ءُ على أمرٍ قُدِرْ
لّما حملناه على ألواحِ فُلْكٍ ودُسُرْ
تجري بأمرنا جزاءً - للذي كان كفرْ
وقد تركنا آيةً بها فهلْ من مُدَّكِرْ
فكيفَ يا جاحِدَها كان عذابي ونُذُرْ
يسرت قرآنيَ للذكرِ - فهلْ مِنْ مذَّكرْ
وكذّبتْ عادٌ فقلْ كيف عذابي ونُذُرْ
أرسلتُ ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مستمرْ
تنزعهمْ كأنهُمْ أعجازُ نخلٍ منقعرْ
ومثلَ عادٍ كذبت قومُ ثمودٍ بالنُذُرْ

(*) - نظم هذه القصيدة بعد قراءته لسورة القمر.

إنْ هو لو تدرونَ - إلا واحدٌ منا بَشَرْ
إن نتّبعْهُ إننا - لفي ضلالٍ وسَعَرْ
أيُصْطفى من بينِنا بلْ هوّ كذابٌ أشِرْ
سيعلمونَ غداً الـ - كذابَ منهمْ والأشِرْ
إذ نرسلُ الناقةَ فتنةً - فراقبْ وانتظرْ
وقل قسمتُ الماءَ فيكـ - م كلُ شربٍ محتضرْ
لما دعَوْا صاحبِهمْ لما تعاطى فعَقَرْ
صيرتَهُم بصيحةٍ مثلَ هشيمٍ المحتظرْ
يسرتُ قرآنيَ للذكرِ - فهلْ مِنْ مدَّكرْ
وكذبتْ مثلَ ثمودٍ - قومُ لوطٍ بالنُذُرْ
ولم نقِ الحاصب الا - آل لوط بسحرْ
بنعمةٍ من عندِنا كذاك نجزي من شَكَرْ
أنذرهمْ بطشتنا لكنْ تمارَوْا بالنُذُرْ
راودهُ عن ضيفهِ من شذَّ منهمْ وفَجَرْ
فطُمِستْ أعينهم ذوقوا عذابي ونُذُرْ
صبحهم في غفلةِ الْـ - فجرِ عذابٌ مستقِرّ
يسرتُ قرآنيَ للذكرِ - فهل من مدّكرْ
ولو ترى اذ جاء فر - عون وآله النُذُرْ

٢٢٨ - يا دهر(*)

[من مشطور الرجز]

يا دهرُ قد صيّرتَ حالي عِبْرَه
بعدٌ ووجدٌ وجوىً وعَبرَهْ
في حُجرةٍ ضيِّقةٍ بل حُفرَهْ
كأنني خيطٌ بسمِّ إبرَهْ

(*) - «الريو دي جنيرو» سنة ١٩١٤

أخــرجُ روحــي زفــرةً فــزفــرهْ
مــنــتــحــراً في الــيــوم ألــف مــرَّهْ
قــالــوا يــزيــدُك الــزمــان خِبــرهْ
إذا بَــلَوْتَ خــيــرَهْ وشــرَّهْ
فــقــلت بــل يــزيــد نــفسي حســرَهْ
يــا لــيتــهــا لم تــك تلك الــســفــرَهْ
ولم أذق هــذي الحــيــاةَ المُــرَّهْ

٢٢٩ ـ هبت الريح (*)

[من الرمل]

هَــبَّــتِ الــريــحُ فــمــلاَّحٌ شــكــا ... عــنــد مجــراهــا ومــلاَّحٌ شــكَــرْ
ليسَ في الــريــحِ ولا في البحــرِ بَــلْ ... في هــوى الأنــفُس مــا ســاءَ وسَرّ
سُــفُــن الأعــمــارِ إذ تجــري بــنــا ... لــيس في قــامــوســهــا خــيرٌ وشرّ
تــلفظُ الحُــكــمَ أنــانِــيَّــتُــنــا ... ثــم تــعــزوهُ إلى حُــكــم الــقَــدَرْ

٢٣٠ ـ العقد (**)

[من الرمل]

كهــربــاءُ الشَّجــوِ في العِــقــدِ سرت ... عــنــدمــا مسّــت يــداكِ الــوتَــرا
فــحــكى قــلبي خــفــوقــاً لــلهــوى ... ثُــمَّ حــاكــى أدمــعــي فــانــتَشَرا
وتــشــاغــلتِ بــألحــانِ الــســما ... عــن ثــرى مــنــفــرط فــوق الــثرى
حــلّقَــيت روحُــكِ في أحــلامِــهــا ... لــلدراري فــاحــتــقــرتِ الــدُّررَا

(*) ـ القطعة رقم ٢٨ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) ـ انفرط عِقدها وتبددت حباته فلم تأبه حتى أكملت العزف فقال مرتجلاً

٢٣١ ـ أرْسِ يايونُسُ (*)

[من الرمل]

مَن رأى الأُسدَ على الريحِ نُسُورا تملأ الجوَّ زُعاقاً وزَئِيرا
مرحباً بالليثِ بالغيثِ الذي فاضَ في النادي بياناً وشعُورا
لمْ نجدْ قبلَكَ صقراً أجدلاً يُخْجِلُ البلبل شَدْواً وصفيرا
غادرَ الوكرَ الذي عزَّ بهِ واليمامات تيمّمنَ الغديرا
باحثاً عن مُغربٍ من سِربهِ جاوزوا في طلَبِ المجدِ البحورا
أرسِ يا يونُسُ باسمِ الله في بلَدٍ ما زال للحقِّ ظهيرا
أنت في البؤبؤ من عينِ المُنى فاغمِض الجفنَ على الحُلمِ قريرا
لكَ في الذِكرِ سميٌّ بَطَلٌ لَبِسَ الحوتَ إلى القومِ نذيرا
حَمَلَ الأمن على راحتِه مؤمناً خاضَ إلى الخُلْدِ السّعِيرا
وجرى العاصفُ رَهْواً سَلِساً لرسولٍ جاءَ بالحقِّ بشيرا(١)

* * *

جنّدَ البُطلُ صفوفاً وقَفت دونَها أبطالُ سوريّةَ سُورا
ومَشى لبنانُ مع إخوانهِ يمزجانِ الدَّمَ قُدسِيّاً طَهُورا
فليدوما في ظلالِ العهدِ ـ وَليكلأ اللهُ من الضرِّ الوزيرا(٢)

(*) ـ دعته المفوضية السورية في «الريو دي جنيرو» سنة ١٩٤٨ إلى حفلة تكريمية أحيتها في دارها لصديقه النائب السوري عبد اللطيف يونس.

(١) ـ الرهو: الساكن والواسع

(٢) كان الوزير مظهر البكري وقتئذ في نيويورك مستشفياً.

٢٣٢ - ردني(*)

[من الرمل]

ردَّني عُـرسُـكَ بـالحسنِ بـصـيرا   وأعـادَ الـكـون في عـيـني زهـورا
يـا لهـا مـن سـاعـةٍ عـابـرةٍ   حَمَلَت من جنّـة الخُلد الـعـبـيرا
سـاعـةٍ ذاتِ جَـنـاحٍ أخضرٍ   آه لـو تـبقى وتـسـتـبـقي السرورا

٢٣٣ - الزعيم الثائر(**)

[من الرمل]

يـا رؤى المـاضي ووعيَ الحـاضرِ،
في أمـانيِّ الـزعـيـم الـثـائـرِ
مـن تخـوم «الآنَ» يـعـلو صـوتُـه،
فـيـدوِّي في «الـزمـانِ» الـغـابـرِ
ويـطوفُ الأرض، يـرغي هـادرا،
فـيروع «الأمسَ» وجـه الهـادرِ

* * *

أسمـرٌ كالـرمل، قـد عـاف الندى!
وتـصـدّى للشّراب الآخـرِ
خمـرة المـجـد الـتي عَـتَّـقـهـا
في دنـان الخـلد صـبر الـصـابـرِ

* * *

(*) - في عرس صديقه جميل العيد، أيلول سنة ١٩٤٧

(**) - قصيدة غير موجودة في الديوان، مستخرجة من مخطوطات الشاعر. وهي منظومة بتاريخ ١٩٥٨/٢/٢٧

رائعٌ كالفجر. يخشاه الردى،
فَهْوَ منه ناظر في ناظرِ
إنه وجدانُ شعبٍ ساهرٍ،
بعد أن طالت ليالي الساهرِ

* * *

ثابتٌ كالصَّخر، في جبهتِهِ
من جدودٍ، كابراً عن كابرِ
أسطرٌ خطَّتْ أماني أُمَّةٍ،
سامَها الدهرُ حظوظَ العاثرِ

* * *

مشرقٌ كالصبح، في طلعتِهِ
هيبةُ الليث، ولطفُ الشاعرِ
فَهْوَ في الحرب غضوبُ «عنترٌ»،
وهْوَ في السلم وديعٌ «ناصريْ»

* * *

يا فتى الأُمَّة في ثورتها
وحماها في الزمانِ الغادرِ
أنْتَ عنوانٌ لما أيْقَظْتَهُ
من تراثٍ في الحضارة زاهرِ
أمة تصبو إلى وَحْدتِها،
بعد أن فُكَّتْ قُيودُ الآسرِ
مَزَّقَتْها شِيَعاً أطماعُه،
فتمادى في فنون الماكرِ

* * *

يا صَدَى الماضي ووقع الحاضر:
في أفاعيل الزعيم الثائر
جَلْجلي في النفس حتّى ترعدي،
ويعودَ الكلُّ. «عَبْدَ الناصرِ»
أمةٌ في واحدٍ.. تَبْني كما -
يبني، بروح الملهمين الظافرِ
من ضفاف النيلِ حتى بَرَدَى..
تسحق الباغين سحقَ القادرِ

٢٣٤ - عبرة للمدمنين(*)

[من السريع]

يا قيسُ وافاكَ الذي خفتُهُ ... عليك من عامينِ هل تذْكِرْ؟
ألم أقلْ يا قيسُ رِفقاً فما ... يلبثُ هذا الغصنُ أن ينهصرْ
يا قيس إن أعتبْ فمن لوعتي ... على الشباب الريِّق المندثرْ
على ذكاءٍ نادرٍ طاهرٍ ... وكم رأينا من ذكاءٍ قَذِرْ
على يراعٍ قد فقدنا به ... نايأً يُغنّي لا يراعاً يَصِرْ
على حديثٍ كنت تُغنى به ... لو شئت عمّا روّق المعتصرْ
تَبًّا لكأسٍ ما حساها فتى ... في رَيَعانِ العمرِ إلاَّ قُبِرْ
كنتَ رقيق القلبِ إلا على ... قلبكَ لا يَعْنيك أن ينفطرْ
أسرفتَ في إجهادِها آلةً ... كأنما آليْتَ أن تنكسِرْ
ترمي اللظى في جوفها هازئاً ... يا لك من محترقٍ محتقِرْ
أحسنتَ بالموتِ إلينا فقد ... ألقيتَ فينا عِظةَ المختبِرْ
ما يُنقِصُ المُفرِطُ من عمره ... زيادةٌ في عمرِ من يعتبرْ

(*) - يعتب بها ويرثي صديقه الكاتب البليغ المرحوم قيس لبكي.

٢٣٥ ـ الدنيا والآخرة(*)

[من السريع]

ماذا تُلاقي في السُّهى مقلةٌ تَرعى السُّهى ساهيةً ساهرَهْ
والأرضُ نجمٌ مثلُه زاهرٌ ما بين تلك الأنجمِ الزاهرَهْ
الأرضُ أدنى لكِ يا مقلتي من كل ما أنتِ لهُ ناظرَهْ
والكون بحرٌ من رأى قطرةً واحدةً منه رأى سائرَهْ
قد كنتُ من لبنانَ في جنَّةٍ ناضرةٍ لم أَلْفِها ناضرَهْ
ولم أزل أصبو إلى غيرها حتى ركبتُ اللجّةَ الزاخرَهْ
فلم أُشاهدْ بلداً عامراً أطيبَ من مزرعةٍ عامرَهْ
لكن هي الآمالُ طوَّاحةٌ بكلِّ نفسٍ حرةٍ ثائرَهْ
تستطلعُ الأسرارَ مفتونةً بكلِّ ما يعدو مدى الباصرَهْ
يا نفسُ خَفضاً من جَناح المنى لأيِّ رَبْعٍ أنتِ بي طائرَهْ
دنياكِ هذي لن تريْ غيرَها كوني ملاكاً تكُنِ الآخرَهْ!

٢٣٦ ـ قل للذي(**)

[من السريع]

قل للّذي يعلن عن نفسه جاءكَ ما تهوى بما تكْرَهْ
ثلاثةٌ تهربُ من لاحقٍ: ألظلُّ والمرأةُ والشُّهْرَهْ

(*) ـ «صنبول» سنة ١٩٢٤

(**) ـ القطعة رقم ٤٣ من مجموعة «موجات قصيرة».

٢٣٧ - يا نافياً(*)

[من السريع]

يا نافياً عن نفسه أجرةً   مثلُكَ لا يُعطى له أجرُ
وكيف يَشْري تاجرٌ سِلعَةً   من رُخصِها ليس لها سِعرُ
أنصافَ أميين يا أعبداً   إلا بِذُلٍّ ما لهم ذكرُ
هاتوا لنا من صفِّكم شاعرا   إذا شدا قيل كذا الشعرُ
في كل يوم نابتٌ بينكم   غِرٌّ جديدٌ دأبه الهذرُ
مهما كثرتم ما لكم قيمة   مليون صفر قدرها صِفرُ
عصر ظلامٍ دامسٍ عصركم   والعصرُ قد يخلُفُه العصرُ
فليحتفِلْ خفّاشُكم بالدجى   لا بدَّ أن ينبلجَ الفجرُ

٢٣٨ - دعابة شاكرة(**)

[من السريع]

يا سَيِّدَ «الكارِ» الذي صيتُه   رنَّ بلا طَبْلٍ ولا زمر
أشهرُ خيّاطٍ سمعنا به   وقرننا العشرين في العَشْرِ
وشاعر يلهو بمنظومه   فيخلط الحصباءَ بالدرِّ
وينظمُ البيتَ بلا كُلْفة   كأنّه سطرٌ من النَّثرِ
بعدَ «منير» مالَهُ قاهرٌ   إلاّ أنا في لُعبة «الزَّهرِ»
أربى على السبعين لكنْ لَهُ   وجهُ فتىً في مَيْعة العمرِ
طلقُ الأسارير سريعُ الرضى   لم يُلْفَ إلاّ باسم الثَّغرِ
ما عابَهُ الشيبُ فكم صلعةٍ   شائبة الجلد بلا شَعْرِ
خيَّط لي من فضله بدلةً   صيفيّةً أجملَ من شِعري

(*) - وقف نفسه على خدمة الاستعمار وزعم انه غير مأجور. «صنبول» سنة ١٩٢٦

(**) - قصيدة مستخرجة من مخطوطاته، أهداها إلى صديقه جبرائيل غرزوزي عام ١٩٦١

لم يرضَ أجراً غيرَ عطرِ الثنا ولم يكلّفني سوى الشكرِ
لو لم يكُنْ حُرًّا لما هامَ بي ما هامَ بالحرِّ سوى الحُرِّ
يا آسر القلبِ بمعروفِهِ ظَلَمْتَني واللهِ في الشِّعْرِ

٢٣٩ - إليكها(*)

[من السريع]

إلَيْكَها من نفر معجب بشعرك المنظوم كالدُّرِّ
هدية ليست لها قيمة في ذاتها كالغار في البَرِّ
لكنه بالتاج يزري إذا كلل رأس البطلِ الحُرِّ

٢٤٠ - ليونور(**)

[من السريع]

راحَت «لِيُونورُ» ولّما تكَدْ تُوفي على العشرينَ من عمرِها
ماتت وخوفُ اللهِ في قلبِها وبسمةُ الطُهرِ على ثغرِها
تبّت يدُ المجنونِ في حُبِّها كيف أطاعتهُ على غدرِها
ودَّ الردى لو يَبِست كفُّهُ لّما على إعدامِها أُكرِها
وخنجرُ الوغدِ اشتَهى أنّه غُصْنٌ من الوردِ على صدرِها
بكى من الحزنِ عليها دماً كالنارِ ذاب النصل من حرِّها
يا رحمةَ الله اغمري نفسها واهْمِي معَ الغيثِ على قبرِها

(*) ـ رحب الأدباء في «صنبول» سنة ١٩٣٠ بالشاعر عقل الجر، وقدموا له محفظة للرسائل مصنوعة من الخشب البرازيلي النفيس وعلى زاويتها بطاقة فضية مذهبة، نقشت عليها هذه الأبيات للقروي:

(**) ـ كريمة صديقه سعيد عوده. هام بها برازيلي فانتصحت بألا تتزوجه فقتلها في مدينة «برزدنتي بدودنتي» شهر تشرين الأول سنة ١٩٤٧

٢٤١ ـ أبو سعدى(*)

[من الطويل]

سلمتَ أبا سعدى، أبا الفضلِ والتُّقى ولا زلت لـلاحسـان والـبِر جعفـرا[١]
قـرأتَ على اللهفـان خـامسَ سُـورةٍ مجسّمـةً خـبزاً وسـمـناً وسكّـرا[٢]
نـحيِّيـك من خـلف البـحـار تحيّـةً تضـوع بـوادي النيـل مسكـاً وعنـبرا
ومـا هـي إلاّ رَجـعُ صيتـكَ بيننـا سكـرنـا بـه لّما قـرأنـا «المصـورا»

٢٤٢ ـ إذا اسطعت(**)

[من الطويل]

إذا اسـطعتَ كن إمّـا مِسيحـا مسـامحـاً عِـداكَ وإمّـا فـارس الحـرب عنـترا
فـما الـلؤم إلاّ إن حَقَـدْت فـلم تكـن كـريمـا فتعفُـو أو شجـاعـاً فتثـأرا.

٢٤٣ ـ بطريرك العرب(***)

[من الطويل]

أيـا بـطريـرك العُـرْبِ من كـل ملّةٍ ومـن كـل قـطرٍ لا بـرحـتَ منـارا
تمـثَّـلَ في بُـرديـك عـيسىٰ وأحمـد وصـارت «بكـركي» كَـعبـةً ومـزارا
أسرت فـؤادي وهـو في آخـر الـدُنى طليق وقبـلي كم أسـرتَ كنـارا.
فغـرَّد في «صنبـول» بـاسمـكَ هـاتفـاً وصـفّق مشـتـاقـاً إلـيـك وطـارا

(*) ـ نشرت مجلة المصور أن «أبا سعدى» على رقة حاله جعل بيته مضافة لجمهور من مشردي فلسطين.

(١) ـ الجعفر: النهر الصغير، أو لعله يعني جعفر البرمكي.

(٢) ـ سورة المائدة.

(**) ـ القطعة رقم ٢٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

(***) ـ أثناء حلوله ضيفاً على غبطة البطريرك بولس المعوشي، أوائل عام ١٩٥٩، أهدى إليه مُوَقّعاً تحت هذه الرباعية، وفيها اشارة إلى سرب من طير الكناري الناعمة عند غبطته في أقفاصها تغرد له ليل نهار.

٢٤٤ ـ طلبَة

[من الطويل]

سألتك ربي اثنين مالاً وعَوْدةً ... إلى وطن أصبو إليه كثيرا
فان كنتَ ما قدَّرتَ لي غيرَ واحد ... سألتك ربي أن أظلَّ فقيرا . .

٢٤٥ ـ مسيح الفيحاء(*)

[من الطويل]

مسيحُكِ يا فيحاءُ غيّبه القبرُ ... وأسلَمَه للصلب ناسُك والدهرُ
تحالفتِ الدنيا عليه وأهلُها ... وقُلّها في جنبِ علّته كُثْرُ
لحىً كليالي الشكّ حولَ سريرهِ ... تحيَّرَ في ديجورِها وجهُه البَدرُ
يغاضبنَه في حين يحتاجُ للرضى ... ويُعْوِزُهُ عطفُ الأحبةِ والبِشرُ
قَطرْنَ له من ناقعِ المكرِ (سكّراً) ... فمات به والمكر سكّره مرُّ(١)
فيا ويحهم لم يرحموا ضعف سيدٍ ... له استضعف الغازي وعسكره المجرُ
ونكّس أعناقَ السلاطين فانحنت ... صفوفاً لدى عكازه البيضُ والسُمرُ
ونامَت عيونُ الظلمِ عنه مهابةً ... وذابَ حياءً من تواضعِهِ الكِبْرُ
فألقى جمالٌ عند أقدام برّه ... حساماً على إفْرِنْدِه يسطع الشرُّ(٢)
وأجرى عليه الرزقَ من مال غيره ... ولا منَّ للغدران إن شربَ البحرُ
ومن يُطعمُ الغَرْثى ويكسو عُراتَهم ... فلا بدع إن أجرى الزلالَ له الصخرُ(٣)
كذلك شأنُ الحرِّ في كل أُمة ... على الأرض لا يمتاز عصرٌ ولا مصرُ
أكاليلُ شوكٍ في الحياة لرأسهِ ... فان نابَ عنه الرسمُ فالزَّهرُ والزُّهْرُ(٤)

(*) ـ أحيت جمعية الرابطة السورية حفلة تأبينية للبطرك غريغوريس حداد ليلة الثلاثاء ٥ شباط سنة ١٩٢٩ بصالون «جرمانيا»، «صنبول».

(١) قضى بداء السكّر.

(٢) ـ جمال باشا السفاح التركي المشهور، الإفرند: ما يلمح في صفحة السيف من أثر تموّج الضوء.

(٣) ـ الغرثى: مفرده غرثان وهو الجائع.

(٤) ـ اشارة إلى رسم الفقيد وكان منصوباً على المنبر تجلله الزهور بأشكال النجوم.

ويُكرِمهُ المولى ويزري بقدرِه ... زعانفةٌ لولاه ليس لهم قدرُ
ألم ترَ أن البحر يلزم شطّه ... على حين يطغى فوق ضفّتهِ النهرُ
يهونُ على الأشبالِ في الغيلِ ضيغمٌ ... ويملأ وحش الغابِ من ريحه الذعرُ(١)
مضى البلبلُ الغرّيدُ فالروضُ نائحٌ ... على خدهِ يلطمنَ أوراقه الصفرُ
وأبكمَ صدّاح الكنيسةِ خاطفٌ ... من الموت لم يأمنْ مخالِبهُ النسرُ
فجُنّ الدجى شوقاً لسمع صلاته ... وحنّ إلى ألحان قدّاسه الفجرُ

أجل، مات من لو قام في الناس واعِظاً ... تناثرَ عن أعوادِ مِنبرهِ الدرُّ
وصاغَ لنا من لفظهِ كجميله ... فلا عاطلٌ سمعٌ ولا عاطِلٌ نحرُ
فيا مَلَكاً في الترب حلَّ وصيتُه ... على سفرٍ أدنى مراحلهِ الحشرُ
بَلَغْتَ خدورَ المجدِ بالفقر لا الغنى ... فأصبحَ شرطاً من شروطِ العلا الفقرُ
تعوّدتَ بذلَ المالِ حتى جعلتَه ... نظاماً على أحكامهِ نزلَ العمرُ
فأنفقتَها سبعينَ وهْي كأنّها ... إذا شفَّ وجهُ المرءِ عن عمرهِ عشرُ
مُحيّا يجولُ الطهرُ في قَسَماته ... وأبهى معاني الحسن في المَلَك الطهرُ
تجمّع فيه عِطرُ كلِّ خميلةٍ ... فأوشَكَ في الجنّاتِ يُفتقَدُ العِطرُ
وأطيبُ من وردِ الحدائقِ والرُّبى ... مناقبُكَ الحسنى وأخلاقُكَ الغرُّ

* * *

نكرِّم ثوباً للسلامِ نبذرتَه ... وإن عاد خُسراناً على الوطن النَذْرُ
فلولا عهودٌ للمسيح قطعتهَا ... لما فاخرَت شاماً بزغلولِها مِصرُ
عدِمناكَ والأحداثُ من كل جانب ... تُلمُّ بنا والأمر يزحمه الأمرُ
بمن يُرتجى دفعُ البلاءِ عن الحمى ... ومن يُحسنون الذودَ عن حوضهِ فرُّوا
رعى اللهُ في لبنانَ عهدَ أعزة ... حلا ليَ يوماً في مديحهمُ الشعرُ
طويتُ لهم أسفارَه بعدما انطوت ... لهم صفحةٌ في المجد ليس لها نشرُ
ولولا رجاءٌ عالقٌ بأشاوسٍ ... يموتون في الصحراءِ أو يُدرَك الثأرُ
أسودٌ تلظّى الجمرُ بين ضلوعِها ... كما يتلظى تحت أقدامِها الجمرُ

---

(١) ـ الغيل: موضع الأسد. الضيغم: الأسد.

لما كان للسوريَّ في العيشِ مطمعٌ ولم يبقَ للحرِّ الذي لم يمت عذرُ
فيا أيها الحقُّ الذي ليس غيرَه نصيرٌ ولا مِنْ غيره يرتجى النصرُ
أعِدْهمْ إلى خُضرِ المرابعِ فتيةً بأيمانهم بِيضٌ كأعلامِهِمْ حُمرُ
وكافِئْ بالاستقلالِ حسنَ جهادهم فانَّ جَزَاءَ الحرِّ موطِنُه الحرُّ

٢٤٦ ـ نَفَعَ الضُّرُّ

[من الطويل]

هي المرة الأولى بها نفعَ الضُرُّ نُسَرُّ بها في السِرِّ إن أخجلَ الجهرُ
ظلِلنا على التفريقِ والدهرُ جامعٌ فلم نتفقْ حتى توزَّعَنَا الدهرُ
سيبقى لهذا الجوعِ ذكرانِ بعدنا يفرِّحنا ذِكرٌ ويُحزِننا ذِكرُ

٢٤٧ ـ الحرب(*)

[من الطويل]

زمانٌ دهانا كالحُ الوجه أغبرٌ فمن هذه الأيامِ الله أكبرُ
دوارعُ أمثال البراكين قد جرت إلى الحرب من أنفاسها البحر يسعرُ
فهنَّ «الجواري» والسقاةُ مدافعٌ تدير المنايا والأساطيل تسكرُ
كأنَّ ثرى البيد استحال عساكراً ففي كل بيداءٍ من الأرض عسكرُ
وقد زهد الهنديُّ فالبيض صوَّمٌ وأقبل عيد النار فالنارُ تفطِر
تفرُّ من الموت النفوس جوازعاً محيَّرةً فالنفس بالنفس تعثرُ
فمن ملتقى الأجساد في الأرض محشرٌ ومن ملتقى الأرواح في الجو محشرُ
ممالك ظمأى للدماءِ ودولة لها من شكاوى العجز سيف ومغفرُ[1]

(*) ـ نظمها سنة ١٩١٣ إذ كان يعلّم في مدرسة سوق الغرب الأميركية. وقد امتنعت بعض الصحف اللبنانية عن نشرها، فنشرها في البرازيل حال وصوله إليها تلك السنة.

(١) ـ المِغْفرُ: زردٌ وينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

بكت واشتكت كالطفل يؤلم نفسه | فكان البلا منها ومنها التذمرُ
ولو ذكرَتْ عبدَ الحميد لأدركت | مثار الشقا لو يستطاع التذكُّرُ
يكاد يفرُّ الطرس ذعراً لذكره | ويحجم في الكف اليراع المسطَّرُ
إذا لاح لاح الموتُ فيه مجسماً | وإن غاب يستدنِي أذاه التصوُّرُ
فيبلغ من أجسامنا وهو ظاهرٌ | ويبلغ من أرواحنا وهو مضمرُ
زمانٌ مناجاةُ الضمير شجاعةٌ | به ومناجاة السمير تهوُّرُ
لدن كان موت الناس حَتفَ أنوفهم | يُعدُّ عليهم نعمة ليس تكفرُ
فتلك الأعادي لا الكماة مغيرةً | وتلك المنايا «لا كروبٌ» و«موررٌ»
وواللهِ لم يبلُغْ عدوٌّ من امرىءٍ | بلوغَ امرىءٍ من نفسه حين يبطرُ

ومنها

أتعسِر سوريّا وتلك رحابها | لو استثمرت لم يبق في الأرض معسرُ
ويُعدِمُ لبنانٌ وهذي بقاعه | وأخضرها لو أتقن الحرثُ أصفرُ
ألبنان جرِّدْ من بنيك صوارماً | فما البيض في الأجفان كالبيض تشهرُ
وكم تعجُمُ العيدانَ فاعجُمْ قواضباً | لدى الضرب لا تنبو ولا تتكسرُ
جواهرُ فضلٍ لا تزال دفينةً | فلا هي تستعلي ولا أنت تحفرُ
شموس نفوسٍ حُرةٍ لا يعيبها | سوى أنها في جو لبنان تسفرُ

* * *

إلام أزيد النفس بالكتم علّةً | وكلُّ خفيٍّ في الورى سوف يظهرُ
يقولون كم داوى القلوبَ تصبرٌ | فقلت وكم أدوى القلوبَ التصبرُ(١)
كأنَّ غِذا جسمي يُغَذِّي شقاوتي | فيضعفُ جسمي والشقاوة تكبرُ
أحنُّ إلى لبنانَ وجداً وما أنا | بعيداً ولكن موطنُ البؤس مَهجرُ
وأشتاقه شوق الغريب وما تَرى | نعيمي بقرب الحبِ والحِبُّ يُقبرُ
إذا لم تطِبْ سُكنى ولا لذَّ معشرٌ | فلا كانت السكنى ولا كان معشرُ

* * *

---

(١) ـ أدوى: امرض.

بني وطني والنصحُ مجهود مخلصٍ يرى الصمت ذنباً في الهوى ليس يغفر
لنا كل يوم عِبرة تلو عِبرةٍ وكم من بصيرٍ بيننا ليس يبصرُ

ومِنْ أرفع الأصوات ما لستَ سامعاً ومِنْ أسطع الأضواءِ ما لست تنظرُ
يُوَلّى عليكم جاهلٌ بعد جاهل لقد صحَّ فيكم ذلك القول فاذكروا
أما بينكم ندبٌ حديد لسانه شديدٌ إذا استرخى الزمام غضنفرُ
فبَينا يُرى عند الكلام مغرداً إذا هو عند الطعن والضربِ يزأرُ
ملأتم بيوتَ الحاكمين عرائضاً مواقدهم منها جحيمٌ تسعّرُ
إذا لم تملّوا من حديث مكرّرٍ أما ملّكم هذا الحديثُ المكرّرُ
ذروا زمناً كان اليراع رسوله فانَّ لسان البُكم طِرسٌ وأسطرُ
وسُلّوا من الأفواه كل مهند نُهَلِّلُ من آياته ونكبِّرُ
لعلَّ به خيراً وإلاّ إلى الظبى فانّ لسان السيف بالنطق أجدرُ

* * *

٢٤٨ ـ أسعد الناس(*)

[من الطويل]

«أتعلمُ من ذا أسعدُ الناسِ؟» قال لي خليلٌ يراني، ما يراني، أفكّرُ
فقلتُ: هداكَ الله هلاً سألتَها سوايَ فاني بالشقاوةِ أخبرُ
أصاب ببؤسي البائسون عزاءَهم وراح الذي يشكو الأسى وهو يشكرُ

* * *

صدقتَ فما في الأرضِ أتعسُ من فتىً يظلُّ على عينيه للشؤم مجهرُ
وأشقى الورى من كان مثلُك جاهلاً سعادتَهُ يا شاعراً ليس يشعرُ!!
أمثلُكَ يشكو النحسَ والسعدُ كلُّهُ بمن كان ذا أمٍّ كأمك، يُحصَرُ
لهذا هو الحبُّ الذي لا يشوبُه رياءٌ وهذا السلسبيل المقطّرُ
وتلك هي النعمى التي ما استحقّها عَقوقٌ باحسانِ الأمومة يكفرُ

(*) ـ «صنبول» سنة ١٩٢٦

فنبّهني من غفلتي ما سمعتُه ... وأذكرني الكنز، الذي كدتُ أخسرْ
وصوَّرَ لي أمي يعاقبُني الردى ... بفُرقتها، يا هول ما أتصورْ!!
فطوَّقتُها بالساعدينِ محاذِراً ... كأنيَ قبل اليوم ما كنت أحذرْ
ورحتُ على أقدامِها مترامياً ... كما راحَ قبلي دمعي المتحدِّرُ
وعفّرتُ خدِّي عند موطئِ نعلها ... فودَّ السهى لو كان خداً يُعفَّرُ
وألصقت ثغري بالتراب كأنّه ... على شفتي مسك فتيت وعنبر
وكرّرت لله الدعاءَ بحفظها ... وما زلت أدعو ضارعاً وأكرِّرُ
وأصبحتُ مهما سامني الدهرُ ذاكِراً ... بأنيَ لي أمٌّ فلا أتذمرُ!

٢٤٩ - جزى الله(*)

[من الطويل]

جزى اللهُ عنّا «بُلْفُراً» أجرَ محسن ... فواللهِ لم يبرأ من الفضل «بُلْفُرُ»
عرفنا به أنّا سُلالةُ أمّة ... مخلّدَةٍ كالفجر يُطوى ويُنشَرُ
إذا كان أوْلى الناس بالعيش باسلٌ ... فنحن به من سائر الخلقِ أجدرُ
أعَفُّ عن الأسرى وأنأى عن الخنا ... وأقوى على حرب الزمانِ وأصبرُ(١)
لنا خلفَ أرماسِ الشعوب أرومةٌ ... تعهّدها من عالم السِّحرِ عَبْقَرُ(٢)
فبينا يقول الناس جفّت نرى لها ... فروعاً بأزواج الكواكب تثمرُ
فقل لأناسٍ ينكرونَ مَعادَنا ... وغاراتُنا في القدسِ عنّا تخبِّرُ
أيفعلُ غيرُ العُربِ ما تشهدونهُ ... وهل بعدَ وجهِ الشمس للفجر مُنكِرُ
لنا كلَّ يوم غضبةٌ مضريّةٌ ... تبرهن أن الحق كالله أكبرُ
نخبّئ في أطمارنا كلَّ ضيغم ... يعرِّفكم عن نفسه حين يزأرُ(٣)

(*) - «صنبول» سنة ١٩٣٨
(١) - الخنا: الفحش.
(٢) - أرماس: مفرده رمس وهو القبر. الأرومة: الأصل والحسب عبقر: موضع يقال إنه موطن الجنّ.
(٣) - أطمار: مفردها طمر وهو الثوب البالي.

ومن كـان في أجـداده مثـلُ «خـالـد» فـمـن آيـهِ مـا تُـبصِرون وأكـثرُ
وقـلْ لخبيثٍ يـدَّعي السلمَ دمعُـه يغيضُ كـما شـاءَ النفـاقُ ويـزخـرُ؛
لئن كنتَ في بـرلـين صـادفتَ «هتلراً» فـكـلُّ أبيٍّ حـالـفَ الحـقَّ «هـتـلرُ»
لكـلٍّ صنيـع عنـدنـا ضعفُ وزنـهِ فـأنت ومـا تختـارُه يـا «طشَمْـبَرُ»[1]
فـان شئت لاقى طَـلُّ رفقِـك وابـلاً ولاقى حـديـداً قلبُـك المتحجِّـرُ[2]
فكـل فتـاة في فـلسـطين «خـولـةٌ» وكـلُّ غـلام في فـلسـطين «عـنـترٌ»

٢٥٠ ـ هنيئاً للراحلين

[من الطويل]

هـنيئـاً لمـن تمّـت أمـانيـه واعـتـلى سـفينـاً إلى ميـنـاءِ بـيروتَ يمـخُـرُ
تـرى عينُـه مـا لا أرى من جمـالهـا فيـا ليـت عيـني عينُـه حـين ينـظرُ
بـلاديَ تهـفـو بي إليـك صبـابـةً يقـاهـرهـا جيش الجـهـادِ فتُـقهـرُ
ولـو طُـوِيَـتْ بيني وبينـكِ أبـحـرٌ تعـرَّض لي من عـزَّةِ الـنفس أبـحـرُ
وأكـبرُ ظـني أنّـني غـيرُ عـائِـدٍ ولكنْ «عسى» يحلو لـديهـا التـصبّرُ

٢٥١ ـ الأحرار والحرائر(*)

[من الطويل]

ألا أيهـا الخـلُّ الـذي زان مـفـرقي بمـا تـتـمـنّـاهُ الملوكُ الـقـيـاصرُ
مـلأتَ بحـوراً أين منهـا بحـورهم جـواهـرَ فضـل أين منهـا الجـواهـرُ[3]
كـسـوتَ بيـاني مـن بـيـانـك حـلةً تغـارُ الضحى من حسنهـا والأزاهـرُ
وأنْـزَلْـتَني مـن ذروة الـفـنِّ مـنـزلاً تمسَّـحُ ركنيـه الـنجـومُ الـزواهـرُ

---

(١) ـ يعني به تشمبرلين.
(٢) ـ الطلّ: المطر الخفيف. الوابل: المطر الشديد.
(*) ـ جوابه لصديقه الشاعر حسني غراب على قصيدته التكريمية في احدى حفلات النادي الحمصي ٣ ـ ١٢ ـ ١٩٣٢
(٣) ـ يعني بحور الشعر ودرره.

لـك الله مـاذا في البيـان تـركـت لي — لتُقنـع هـذا الجمـع أنّي شـاعـرْ؟!
هو الحبُّ حتّى يستوي الجهلُ والحِجى — وتعمى عن العيب النهى والبـواصرْ
أولي الفضـلِ ما هـذي بأول مـرةٍ — ينـاصرُني من رهـطكـم من ينـاصرْ
علـيَّ لكـم حـقُّ الـوفـاءِ وانـني — لأظهـرُ منـه بعض مـا أنـا سـاترْ
لـكـم كـلَّ يـوم مـنّـةٌ إثـرَ منَّـةٍ — يجـدِّدهـا نـادٍ عـلى الـدهـرِ زاهـرُ
ولا عيبَ في «ميـاسكـم» غـيرَ أنـه — لَـتُرْبي عـلى الأحـرارِ فيـه الحـرائـرُ!

٢٥٢ ـ إذا استلهم(*)

[من الطويل]

إذا استلهمَ الآيـاتِ بـالتبـغِ نـاثـرٌ — وأغرى بناتِ الوحي بالخمر شـاعـرُ
سكـرتُ وأسكـرتُ النهى بمـريئـة — حـلال نَدامَـاهـا الـربى والأزاهـرُ
وأوريـت في الـظلماءِ زَنـدَ قـريحَـة — تَـطايـرُ منهـا كـالشّرارِ الخـواطـرُ
فقل لـلألى هـامـوا بهـا تُلهب الحشا — وتحمـرُّ مثلَ الجمـر منها النـواظـرُ
تَـرَوْن بها الأحـلامَ والعقلُ غـائبٌ — وأنعمُ بـالأحـلامِ والعقـلُ حـاضرُ

٢٥٣ ـ نصحتك(**)

[من الطويل]

نَصَحْتُـكَ لا تـألفْ سـوى العـادة التي — يسرّك مـنهـا مـنـشـأ ومـصـيرُ
فـلم أرَ كـالـعـادات شـيئـاً بنـاؤه — يـسـيرٌ وأمّـا هَـدْمُـهُ فَـعَـسـيرُ

(*) ـ القطعة رقم ١١٢ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) ـ القطعة رقم ٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

٢٥٤ ـ تذكرت(*)

[من الطويل]

تـذكّـرت أوطـاني فـهـاجَ بيَ الأسى وأسبلتُ دمعـاً كـالعقيقِ عَـلَى نحـري
وأقـبلتُ صـوبَ الـنهـر أُطفـئ غُـلّتي وأطـرح بـعضَ الهـم عـنّيَ في الـنهـرِ
وأنشـدتُ أشعاري عَـلَى سمع صخـرةٍ فـذابت شعوراً عنـدما سمِعت شعـري
فقلت لهـا يـا صخـرةَ القـفـرِ إنَّ لي سـؤالاً بـأمـرٍ حـارَ في سره فـكـري
بـكيتِ لـشـعـري رقـةً بـينـما أرى فـلانـاً رآهُ «ليس يجـدُرُ بـالـذكـرِ»
فهـل فقتِ بعضَ الناس ذوقـاً أم الهوى يُضـلُّ فيُعمي العـينَ عن طلعـةِ البـدرِ
فقـالت أتـرجـو منه مثـلي حسـاسـةً أسـأت إلـينـا يـا رشـيـدُ ولم تـدرِ
فلو كـان صخـراً مس شعـرُك قلبَـهُ ولـكـنـه شيءُ أجـفُّ مـن الـصـخـرِ

٢٥٥ ـ تحية(**)

[من الطويل]

لـعينيـكَ يـا لـبنـان أنـقى تحـيـةٍ يـطير بهـا الأحـرار من وطـن حُـرِّ
أذوبُ إلى مـرآك شـوقـاً كـأنـني أزيـدُ بقـربي منك هجرا عـلى هجرِ
فيـا ليت شعـري هـل أوافيك في غـدٍ قـريـب أم الأيـام تمـعـن في قـهـري
فـلا أشتهي من مـائـك العـذب قـطرةً وإلاّ هَمَـتْ مـن مـقـلتيَّ عـلى ثـغـري

(*) ـ نقم منه أحد بلغاء الصحفيين رأياً مخالفاً في مجمع وطني كان يرئسه المرحوم المعلم نعمة يافث. فلما صدرت «الرشيديات» سنة ١٩١٦ عرّض بها في يوميته قائلاً: لم نقرأ في الديوان الجديد الذي طبع في «صنبول» (ما يجدر بالذكر) فردّ على التعريض بمثله في هذه الأبيات التي انتهى عندها نقده.

(**) ـ قدم بعض أحرار اللبنانيين، إبان ثورتهم المسلحة، للسلام عليه في دمشق، وطلبوا منه كلمة يحملونها عنه إلى لبنان، وقد حظره الرئيس شمعون وأعوانه.

٢٥٦ ـ اذا مَرَّ(*)

[من الطويل]

بـعيـدٌ عـن الأوطــان يــذكـر أهْـلَهُ فيحيا وما عيشُ الغـريب سوى الـذكر
إذا مَـرَّ «نبـع الـبرج» يـومـاً ببـالـه يشـاهـدُ نبع البرج من عينـه يجري

٢٥٧ ـ خذ العلم(**)

[من الطويل]

خـذِ العلمَ يـا ابني من حكيم وجاهـل فقـد يستفيـد الفيلسـوف من الغـرّ
وإنّ نـفـيسَ الـدُّرِّ مـا ضـاع قَـدْرُهُ إذا كـان في كَفَّيْ وضيعٍ بـلا قَـدْرِ.

٢٥٨ ـ الهِلال والزهرة يتعانقان(***)

[من الكامل]

أرأيـتِ كيـف سَرَت إلـيـه ومـا سَرى فـإلامَ تـزداديـن أنـتِ تـكـبُّرا
«فينـوسُ» كـانت في السماءِ إلاهـة للحسن إن كنتِ الإلاهـةَ في الـثرى
ظلّت عـلى عهـدِ الهـلالِ مـقيمـةً وأتـتـه مـاشـيـةً إلـيـه الأدهـرا
ومـللتِ أنـتِ مـن المـحبـةِ أشـهـراً وغَـرامُ مـثلك لـيس يثبـت أشـهـرا
وقَـعَت عـليـه فـشـابَهَت قـلبي إذا أغـرزت فيـه من الـلواحظِ خنجَـرا
فـكـأنها تـفّـاحـةٌ مـن عـسـجـدٍ وكـأنـه غـصنُ الـزمـردِ مثـمـرا
فَلَوِ استـدارَ لـكـان يصلحُ خـاتمـاً لـك أو سـواراً بـالنجـوم مجـوهـرا
بـل كـان خلخـالاً لـرجلِك فهْـوَ مـا حـلّى لمـثلك مِـعـصَـمـاً أو خِـنصرَا
رصـدتُهـا عنـد اللقـا مقـلُ الـورى فتعـانقـا بـالـرغم من مُقـل الـورى

(*) ـ من قصيدة قديمة يذكر فيها شاطئ قريته «البربارة».

(**) ـ القطعة رقم ١٠٩ من مجموعة «موجات قصيرة».

(***) ـ في ليلة من خريف سنة ١٩١٧ اعترض الهلال خط الزهرة فلاحا مقترنين.

عجباً لمن يهوى التكتمَ في الهوى والحب لو مسَّ الأبالسَ طهّرا
سر الوجودِ محبّةٌ عريانةٌ من علّم الإنسانَ أن يتستّرا
تتلاءمُ الأزهار في نور الضحى ويطيرُ بالخبرِ النسيمُ معطّرا
والشمسُ تبدي للوجود غرامَها وفؤادُها بهوى الوجود تسعَّرا

* * *

خوني عهودي في الهوى وتغيّري ما شئت، إنَّ هواي لن يتغيّرا
أهواك ما خفقَ الفؤادُ وإن أمُت فلطالما غازلتُ طيفَك في الكرى
فاذا جرت لكِ في الحوادثِ دمعةٌ وقَعَت على يَبسِ الهشيمِ فأزهرا
وبحثتِ يوماً في الثرى عن ضائع فغدا الثرى من لمس كفك جوهرا
ومسستِ عظماً بالياً فاهتزَّ من فرطِ المسرَّة ضاحكاً مستبشرا
وأنفت من ريح فهبّت نسمةٌ فوَّاحةٌ تُهدي لأنفكِ عنبرا
وسمعتِ تغريد البلابل كلما حملت إليكِ الريحُ صوتاً مُنكرا
ونظرتِ أقبح منظرٍ فتمثّلت لك دونه صوَرٌ تُحلّي المنظرا
وإذا وطئت قتادةً فتحوَّلَت عشباً طرياً تحت رجلك أخضرا
ورشفتِ من كأس المُدامِ فلاصقت شفتيك ليس تحول حتى تُكسَرا
فثقي بأني قَد رجَعتُ إلى الثرى وغدوتُ في هذا الوجود مُبعثَرا
فبعثتُ حُبّيَ في العناصرِ كلها لامستِ يوماً من هَبائيَ عنصرا
وغدَوتِ لا يدنو لحسِّكِ كائنٌ إلاَّ ويحمُلُ منظراً أو مخبَرا

٢٥٩ ـ الباكورة في سن ١٤ سنة

[من الكامل]

خطرت تهزُّ من القوام الأسمرا ومن اللحاظ تسلُّ سيفاً أبترا
تركيّة تركت قلوب أولي الهوى قبساً وأعينهم غماماً ممطراً
صادت بساحر طرفها لّما رنت مني الفؤاد فما علمت بما جرى
حتى تلاقينا بساعة غفلة غفلت بها عين الرقيب وما درى

قــالت وقــد بسمت فــأومض بــارق ... من ميم ثغــرٍ ذقت منــه الـكــوثــرا
أوَ مــا علمتَ بمـن سبــاك فـقلت: لا ... حقــاً ومن يسـطو عــلى أســد الشرى
قــالت: فقلبـك أين؟ قلت: معي فلِمْ ... هــذا السؤال ومـا مــرادك يـا تــرى؟
قالت: وكيف عرفتَ؟ قلتُ: وهل فتىً ... يحـيــا بــدون فــؤاده فــوق الــثرى
قــالــت: نـعــم هــذا فــؤادك إنــه ... أضحى بسحـر الـطرف لي مستـأسـراً
فـتّشــت في سري ولـكــن لم أجــدْ ... قـلبــاً فصرت لمـا جـرى مـتـحـيــراً
وســألـتهــا كـيف الحـيــاة فــأردفت ... أنــظرْ تـرى في السر مــا قــد ستّرا
ففحصت بــالتــدقيق فيــه فلم أجــد ... شيئــاً سـوى شخص الحبيب مصــوَّرا
قــالت: كفى هـذا الــذي تحيــا بــه ... صبّــاً بـلا قلب فقلت: بــلا مِــرا[1]
هـذا الـذي أضحى (وحيــداً) بـالنهى ... ولسدّة الآدابِ أمسى (قـيصرا)[2]

٢٦٠ ـ ما زلت(*)

[من الكامل]

مــا زلــتَ تــرجُـمُــهُ بــظنٍّ سـيِّـئٍ ... حتّى أضعـت صـديقـك المـختــارا
وَعُــرى الــوداد إذا أَحَسَّـت ريــبــةً ... تحت الـقـمـيص تـفــارق الأزرارا.

٢٦١ ـ كم للرثاء(**)

[من الكامل]

كـم للرثــاءِ سـلختُ فـيـكَ شهــورا ... قَــلِقَ الــوســادِ أُصــارعُ المــقــدورا
أسقي دمــاغــيَ حظَّ كــل جــوارحي ... مــن قـلبيَ الـبــاكــي دمــاً محــرورا
وأكــبُّ مـلتـهـبَ الجـبـين محـيّــراً ... بـخــواطــرٍ لا يـنـعــقــدنَ سـطورا

---

(١) ـ المراء: الجدال.
(٢) ـ اشارة إلى أستاذه قيصر وحيد.
(*) ـ القطعة رقم ٣١ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) ـ أنشدها في حفلة تأبين خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق مساء العاشر من شهر أذار ١٩٦٠

فمضى الشتاءُ ولم أزل مترقباً ... شيطان شعري ساهراً مقرورا
وبدتْ تباشيرُ الربيع فطارَبي ... أملٌ يشيِّدُ في الهواء قصورا
ويقول لي سأُريكَ أروعَ مشهدٍ ... لتصوغه شعراً يفيض شعورا
وخرجتُ أبسمُ للضحى وكأنني ... في الحلم أبصرُ عالماً مسحورا
أيَّانَ سرتُ أرى الجمالَ مجسَّماً ... فكأنَّ كلَّ الكون صار زهورا
أهِيَ الأشعّة في الرياض تجمّدتْ ... زهراً أمِ الأزهارُ ذابت نورا
وعرائس الالهام من حَجَلاتها ... بالريفِ تطفرُ بهجةً وحبورا[1]
تطأ الحقولَ فيستحيل ترابها ... تبراً وينقلبُ الحصى بَلُّورا
وتفيض أكباد الصخور جداولاً ... وتفيحُ أبرادُ النسيم عطورا
واللوز حاك له أذارُ وصاغَ من ... قوس السحاب أكِلّةً وستورا[2]
وخواتماً وأنامِلاً وأساوراً ... ومعاصماً وقلائداً ونحورا
والدَّوح غنّت بالحفيف ورفرفت ... أوراقه بين الطيور طيورا
والنحلُ حامَ على الرحيق مدلّهاً ... بهوى الورود مولّهاً مخمورا
زاحمتهُ شَمًّا فظنَّ مرحّباً ... من قال إن النحل كان غيورا؟!
عيني على الأزهار أمشي بينها ... مترفقاً جَزِعَ الفؤاد حذورا
مُتَحيِّرَ الخُطوات أُشفِقُ أن أرى ... قدمي تدوس محاجراً وثغورا
وأودُّ لو اني خُلقتُ فراشةً ... رفّافةً ولئن أكن عصفورا!
أشبعتُ طرفي من جمالٍ طالما ... أوحى لغيريَ مُصحفاً وزَبورا
ونصبتُ للنجوى يراعاً يسمع الـ ... ـمهموس من سَقْط الندى مجهورا
ولبثت أرتقبُ النجيّةَ مُنصتاً ... متطلعاً خلف السحاب صبورا
أفنيتُ كلَّ وسائلي لم أُبقِ لا ... جذعاً يُهَزُّ ولا زناداً يورى
ورجعت من فشلي حزيناً أستحي ... أني أُسمّى شاعراً مشهورا
وتحوَّل النيروز عندي مأتماً ... والحُسنُ قبحاً والضحى ديجورا
فعزفت عن حسن الطبيعة ناشداً ... حُسناً وراءَ الغيب لا منظورا
وهتفت من أغوار قلبٍ مؤمنٍ ... لم يبغِ أجراً عاجلاً وشُكورا

---

(١) ـ حجلات: جمع حجلة وهو ستر يُضرب للعروس في جوف البيت.
(٢) ـ أكلّة: جمع إكليل وهو شبه عصابة مزيّنة بالجواهر.

يـا مصدرَ الاحسانِ عـونك انني ... مـا كنت بـالاحسـان قطُّ كفـورا
لا تخذلنّي في رثاءِ سميذعٍ ... ملأ المجامع ذكرهُ والدورا[1]
لا تخجلنّي في أديبٍ لم يكنْ ... إلا بكل فضيلةٍ مذكورا
لا تفضحنّي في أخ ما كنتُ إن ... لم أقضِ حقَّ وفائه معذورا
فسمعتُ صوتاً هاجني طرباً وكاد الطرسُ من كفي يطيرُ سرورا
يا راثيَ الأحياءِ حسبُك ضلّةً ... ما كنتَ إلا واهماً مغرورا
لو رمتَ تهنئةَ الخليل تدفّقت ... آياتُ إلهامي عليك بحورا
ترثي الذي ورث النبيَّ محمداً ... أوَ ما سمعتَ حديثه المأثورا[2]
ترثي خليلَ اللهِ وهو مخلّدٌ ... ما كنتَ يا قرويُّ تشهد زورا!
ترثي؟ ومن ترثي؟ أبعد قيامة ... الأموات تحفر للحياة قبورا؟
أوَ ما سمعت الصُّور يُنفخ باعثاً ... من في اللحود أما سمعتَ الصُّورا؟
أوَ ما رأيتَ العُربَ من سَكَراتهم ... هبّوا إناثاً للعلا وذكورا؟
لاَ موتَ بعد اليوم إلا للألى ... ملأوا البلاد مظالماً وفجورا.
لما على العدوان أجمع غدرهم ... وَسطَوْا ذئاباً جُوَّعاً وصقورا
جرَّدتُ عبدي ناصِراً لقتالهم ... وأعدت «بدرَ» الكافرين بدورا؟
آباؤُهُ «مُرٌّ» وما أحلى اسمَهم ... في الحرب يصلُح لليهودِ فطورا.
هو في غلاصمهم يمرّ مرارةً ... وعلى جماجمهم يمرّ مرورا[3]
لو لم يكن للطور عنديَ حُرمةٌ ... لقذفت في وجه العلوج الطورا[4]
ركبَ «ابنَ غريون» الغرورُ وزاده ... تصريح أعداءِ السلام غرورا
ولأرجعَنَّ حليفه الأقوى كما ... أرجعت «ايدنَ» خاسئاً مدحورا
سطّرت للباغي كتابَ عذابه ... فاقرأ عليه كتابَه المسطورا..

---

(١) ـ السَّمَيْذَع: الكريم السيّد الجميل الجسم الموطأ الأكناف.
(٢) ـ «العلماء ورثة الأنبياء» حديث شريف.
(٣) ـ غلاصم: جمع غلصمة وهي صفيحة غضروفية عند أصل اللسان.
(٤) ـ العلوج: جمع علج وهو كل جاف شديد من الرجال.

٢٦٢ - بُعِث الشهيد(*)

[من الكامل]

بُعِث الشهيدُ ودحرج الحجرا   من قال اني لاجئ كفرا
مزّقت اكفاني وها أنذا   خلف الحدود اجابه الخطرا
وأثور عاصفة مدمّرةً   هوجاء لن تبقي ولن تذرا
انا من فلسطينٍ وهل عجب   ان ثار مظلومٌ وان ثأرا
انا رب اقدس تربة اثراً   وسليل اطيب أمةٍ خبرا
غدرت بنا الدنيا وشردنا   بغيٌ تحدّى البدو والحضرا
جعنا ولم نركع ولا أكَلَت   اختي بثدييها كمن غدرا
لُذنا بصبرِ المرسلينَ ألا   صدقَ العظيمُ وفاز من صبرا
حملت معي شُمّ الجبال وما   عثرت وحامل رأسه عثرا
يا نسل شيلوخ الألى عُرفوا   بالشحِّ مسخرةً لمن سخرا[1]
روُّوا مزارعكم بكوثرنا   عما قريبٍ نقطف الثمرا
وَنَدُكُّ دولتكم بكل فتىً   ينقضّ كالصاروخ منفجرا
ونعيد تل ابيبكم خبراً   للناس لا عَيْناً ولا اثرا
قسما بامة يَعْرُبٍ قسماً   لنَعود فاسمع يا زمان وَرَا

٢٦٣ - ذو الجهل(**)

[من الكامل]

ذو الجهل لا ينفكُّ مضطرباً   لأقَلِّ شيءٍ يفقِدُ الصبرا
كلُّ المصائبِ عنده كَبُرَت   إلا مُصيبةَ جهلهِ الكُبرى

(*) - نظمها عند انطلاقة الثورة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ - عاصفة الفتح.

(١) - نسل شيلوخ: أي اليهود.

(**) القطعة رقم ٨٧ من مجموعة «موجات قصيرة».

٢٦٤ ـ وعد بلفور

[من الكامل]

الحقُّ منكَ ومن وعودك أكبرُ ... فاحسبْ حساب الحقِّ يا متجبرُ
تَعِدُ الوعود وتقتضي إنجازَها ... مهجَ العبادِ، خسئت يا مستعمرُ
لو كنتَ من أهلِ المكارمِ لم تكنْ ... من جيبِ غيرِك محسناً يا (بُلْفُرُ)
عِدْ من تشاءُ بما يشاءُ فإنما ... دعواه خاسرة ووعدك أخسرُ
فلقد نفوز ونحن أضعف أمة ... وتؤوب مغلوباً وأنت الأقدرُ
فلَكم وقى متواضعاً إطراقُه ... وَكبَا بفضل ردائه المتكبرُ!

* * *

يا مصدر الكذبِ الذي ما بعده ... كذبٌ، تعالى الحقُّ عما تنشرُ
تجني عَلَى وطن المسيحِ مدمِّراً ... وتذيع أنَّك في البلاد معمِّرُ
أوَما (ليوضاس) اللعين وآله ... إلا فلسطين الشهيدة مهجرُ؟!
لكم التجارة بالرهينةِ والربا ... لا أن تبيعوا العالمين وتشتروا!!
مُستعبِدُ الانسانِ عبدٌ للأذى ... ما أجدرَ الأحرارَ أن يتحرروا!
بمكارم الأخلاق قبل العلم سُد ... يا أيها المتقدِّم المتأخِّرُ!
هُنّا عليك لطيبة عربيّةِ ... خلناك مبتسماً وأنت مكشِّرُ
إن الكريم لقد يكذِّب خُبره ... في الماكرين فكيف حين يُخبَّرُ
أمّا وقد خلع المرائي ثوبه ... فليخلعنَّ الغمد هذا المِبْتَرُ[1]
وليلبسنَّ الأرجوان غِلالةً ... تُطوى عَلَى هام الرجال وتُنشرُ
ولتعرُكَنَّ الظالمين سنابكٌ ... حتى يحجّبهم دمٌ لا عِثْيَرُ
يا عُرْبُ، والثاراتُ قد خُلقت لكم ... اليومَ تفتخر العلى أن تثأروا

* * *

يدعوك شعبُك يا صلاحَ الدين قم ... تأبى المروءَةُ أن تنام ويسهروا

---

(١) ـ السيف أو كل ما يبتر.

نسيَ الصليبيون ما علّمتهم قبل الرحيل فعُدْ إليهم يذكروا
«رِيكَرْدُسْ» أدرى بسيفك منهمو فليسألوه لعلّه لا يُنكِرُ

* * *

يا ربة الدأماء مهما تُكثري عدد السفين فعند ربك أكثرُ
قد بعتِ مجدَ الانكليز لتربحي مالَ اليهودِ، نِعِمَّ هذا المتجرُ!
«كَرْلِيلُ» في قَيد النخاسة راسف يبكي النبوغ و(شِكْسبِيرُ) و(وُلْتِرُ)
لا تستقلّي في الخصومة عدَّنا فالعدلُ خلفَ أخي الظلامةِ عسكرُ
هدَّدتِ بالأسطولِ أرواحَ الورى إن كنتِ مُنذرةً ففوقكِ مُنذرُ
هذا الفضاءُ وهذهِ أفلاكُهُ فُلكٌ عليكِ من القضاءِ تُسيّرُ
إن تأمني خطر البحارِ فانما دمع الأرامل واليتامى أخطرُ
تطوي دوارعُك الخضمَّ وربّما طويت بدمعة ثاكل تتحدرُ

* * *

لا يخدعنَّ بنيكِ أنّا أمّةٌ صبرت، فليس بميِّتٍ من يصبرُ
تتغيّر الأجرام في أفلاكها وصفاتنا الغراءُ لا تتغيرُ
فاذا أناخ بنا الزمان فانما عَرَضٌ أزيل ولم يُمَسَّ الجوهرُ
نرعى عهودَكِ ما رعيتِ عهودَنا فاذا خفرتِ ذمامَنا قد نخفرُ
وإذا عقلتِ فكلُّ رمح سعفةٌ وإذا جهلتِ فكل غصن خنجرُ
فلكَم تفجّر من مواضينا دم ولكم تدفّق من ندانا الكوثرُ
للسلم نحن كما علمتِ وللوغى منا المسيحُ أتى ومنّا عنترُ!

* * *

أهلاً بسيدة البحار ومرحبا أضحى الجزيرة للعناق تحسُّرُ!!
هي متحفُ فيه الشعوبُ تنضدت طبقاً على طبَق وكانت تُنشرُ
حنّت إلى «السكسونِ» فيه عناصر ليكمِّل الآثار هذا العنصرُ
فتوسَّدي بصفاحها صُفّاحَها فهنا الممالك من قديم تُقبرُ!

* * *

مَـدَّت رُتَيْـلاء الشـآم شبـاكـهـا ... ولـكم تمـلمـل بينهـنَّ غـضـنـفـرُ[1]
صـدىءَ الـزمـان ولا تـزال خيـوطهـا ... تُـغـري بـلُمعـتـهـا الملوك فـتـؤسرُ
كم من قيـاصـرةٍ سبـاهـم حسنُهـا ... لم يُعجـب الـفيحـاءَ منهـم قيصرُ
الـشـامُ بـاقـيـةٌ وهـم تحتَ الـثرى ... قـد شـابهـوا أنصـابَهم فتحجّـروا!!
يـا «مَكْدُنَلْدُ» ويـا «بَـرِيّـانُ» اصغيا ... وأصـغْ بسمعك بـرهـةً يـا «هُـوفـرُ»
أمـنيّـة الـدنـيـا الـسـلامُ وإنمـا ... تحقيقهـا فـرضٌ عـلى مـن يـقـدِرُ
هـيهـاتَ والـتسـليـحُ أكـبرُ همِّكـم ... والـوحشُ خلفَ جلودكم متـنـكِّـرُ
مـا روَّض الـتِمـسـاحَ صقـلُ أديمـه ... مـهـما تمـدَّنـتـم فـأنـتـم بـربـرُ!

* * *

«رُوبـيـنُ» تـلـك يـراعـةٌ أم حـيّـةٌ ... بـالحـبر تكتب أم بسمٍّ تقـطرُ؟[2]
شكـراً عـلى المـدحِ الـذي أسـديتَه ... إن الـلئـيـمَ عـلى المـذمـةِ يُشـكـرُ
تـرمـي الأعـاربَ بـالـنـذالـة مثلما ... يـرمي الكـواكبَ بـالسفـالـةِ بُحـترٌ[3]
والـوغـدُ تُحـفِـظهُ المـروءَةُ مـثـلما ... قد يقتـل الظَّرِبـانَ مسـكٌ أذفـرُ[4]
عـن أيِّ يعـقـوبٍ ورثتَ شجـاعـةً ... يـا من بمن رضعـوا البسالة يسخرُ؟!
تجـري مـع الضُّمـرِ العـرابِ وأنت إن ... عُـقِـد الـرهـانُ عن الحمـير مُقصّرُ
الـفـوز داعـيـةُ الـغـرورِ وحـقُّكـم ... لـلسبـق في العـوراءِ أن تـتـكـبروا!!
أقصى الشجـاعـة عنـدكم أن تسلمـوا ... هـربـاً وأعـظـمُ بـأسكم أن تغـدروا!
هـاتُـوا لـنـا بـالله مـأثـرةً إذا ... ذُكِـرَت يحق لكم بهـا أن تفـخـروا!
من لـلأيـادي البيضِ في تـاريخكـم ... وإلهـكـم ذاك الالـه الأحمـرُ
تـوراتـكم مـلأى بـكـل فـظيـعـةٍ ... فعجبتُ كيف بـكفـرِهـا لا نـكفـرُ
لفـظَتكُم الـدنيـا فـكيـف تخـايلت ... أشبـاحكـم فهنـالـك المتضجـرُ!
مصرٌ تحـنُّ سيـاطُـهـا لجـلودكـم ... فـالـرأيُ كـل الـرأي أن تـتمصروا

---

(١) ـ الرتيلاء: العنكبوت.
(٢) ـ «روبين»: شاعر عبراني نشر قصيدة في جريدة فلسطينية يذم بها العرب.
(٣) ـ البحتر: القصير.
(٤) الظّربان: حيوان أصغر من السنّور منتن الرائحة. ومسك أذفر: جيّد للغاية.

فيهـا تكـدَّس ذلّكم حجـراً عـلى ... حـجـر جفـتَـهْ فـخـلّدتـه الأعصرُ
يـدعـونـه الهـرمَ الـكـبـيرَ وإنـه ... لـو تشعـرون هـو الهـوان الأكـبرُ[1]

* * *

ألأجـل مـبـكـاكـم تـراقُ دمـاؤنـا ... دمـعٌ يـسـيـلُ ولا دمـاءٌ تُهـدرُ
تـتـهـافـتـون عـلى الجـدارِ كـأنَّـه ... يـومُ الـقـيـامـةِ والجـدارُ المـحشرُ
في كـل مضـطَرَبٍ لكـم مبكـىً فـلِمْ ... هـذا النعيب عـلى الخـرائـب يُؤثَـرُ
مـاذا يـفـيـد بـكـاؤكـم وذنـوبـكـم ... تـطغى عـلى قـبر المسيـح وتـزخـرُ
قـد سمّـرتْـهُ عـلى الصليب جـدودُكم ... والـيـومَ مـنـكـم لا يـزال يُـسـمّـرُ
أقْـلَقْتُـمُ الـدنيـا بمـوطـنـكـم، أمـا ... مـن هـوَّةٍ فـيـهـا الأبـالسُ تُحشَرُ؟
وادي «يهـوشـافـاطَ» مفتـوحٌ لـكم ... وعساه قبـل الحَـولِ لا يـتـذمّـرُ![2]

٢٦٥ ـ أسمعت يا متكبر؟(*)

[من الكامل]

أوَ كـلـما غـابَ الأحـبـةُ تحضُرُ ... لـو جئتَ أمسِ! اليومَ سافر «مَـظهَـرُ»
هـذا نـصيـبُـك لستَ تُقـبِـلُ مـرة ... إلا ومـن يهـوى لـقـاءَك مـدبـرُ
قـالـوا (بقلدسَ) قلتُ مـوعـدُنـا غـدٌ ... وغـدٌ بـظهـرِ الـغـيـبِ منيَ يـسخـرُ
يـا من يمثِّل في الـسـذاجـة نـاسَـه ... حـتّـام تُغـرَى بـالـوعـود وتُـغـدَرُ
أيـغـيِّرُ الـفـلـكُ المُـدارُ نِـظامَـه ... كُـرمى لعينـك؟ سـاءَ مـا تتصـورُ!
ورجـعـتُ في (تمـوز) تحـدوني المـنى ... وإذا جـواءٌ دونهنَّ وأبـحـرُ
طـار «العُقـابُ» وطـار قلبيَ خلفـه ... جَـزَعـاً فقـل مـا شئتَ يـا مُتـطيِّرُ
صـفْ مـا تنـبِّئُـكَ البـوارحُ كـلُّهـا ... فـالخـطب أدهى والمصيبـة أكـبرُ[3]

---

(١) ـ اشارة إلى أن بني اسرائيل في مصر القديمة كانوا يسخَّرون لبناية الأهرام.

(٢) ـ ورد ذكره في التوراة.

(*) ـ رثى بها مظهراً البكري وزير سوريا المفوض في البرازيل سنة ١٩٤٨، وكان كلما أمّ دار المفوضية في الريو للتعرف إليه أنذر بتغيبه.

(٣) ـ البوارح من الطير مفردها بارح وهو الذي يأتي من جانب اليسار وضده السانح وهو الذي يأتي من جانب اليمين والعرب تتشاءم بالبارح وتتيمن بالسانح.

بطَلَ التيمُّنُ والتشاؤُمُ بعد ما ... وقع الحِمامُ فأيَّ طيرٍ تزجر؟
ماذا تؤمل من «نُيُركَ» سوى الردى ... أيفيض من وكرِ اليهود الكوثر؟!
أسرى الحبيبُ بأهلهِ مستشفياً ... مما يحار به الطبيب الأشهَرُ
واحسرتاه لَوَ انَّه يجديه أو ... يُجدي الذي يبكي عليه تحسُّرُ
لم تأتني البشرى بقرب شفائه ... إلا ونغَّصها عليَّ المنذرُ
فالليل إلا عن عيونِيَ يَنجلي ... والصبحُ إلا في السفارةِ يسفِرُ
غاديتها وإذا اللواءُ منكّسٌ ... وإذا على الأقفال شمعٌ أحمرُ
ماذا؟ قضى! ماذا؟ أمَظهرٌ؟ مظهرًا! ... وقُصِمْنَ من جزع عليه الأظهُرُ
مات الوزير فمن لنا من بعده ... أوَ بعدُ كالبكريِّ مَن يُستَوزَرُ؟
صُرِعَ الغضنفرُ، غالهُ الداءُ الذي ... يدعُونَه السَّرَطانَ وَهْوَ غَضَنفَرُ!
مات الفتى الدمثُ الوديعُ القائدُ ـ ... البطلُ الأخُ الأوفى الأبرُّ الأطهرُ
مات الذي لو لم يكن متواضعاً ... لم نبكه، أسمعتَ يا متكبرُ؟!

* * *

طُفْ يا نديمُ محدثاً عن مَظهرٍ ... ما فاقه في الحسن إلا المَخبرُ
ما فاتنا سُكرٌ وإن عفنا الطِلا ... ولكم تنوَّعَ في الكؤوسِ المُسكِرُ

* * *

أمعانقي أحبابِهم بعدَ النوى ... رفقاً بمهجةِ لاهفٍ يستنظرُ
قبلاتُكم عَضُّ الصِلالِ بقلبه ... وسَلامُكم جمرُ الغضا المُتَسَعِّرُ
يا من لسحرِ خلالهِ أكبرْتُه ... والمرءُ يكبُرُ بالخلال ويصغُرُ
ففقدتُهُ فقدين، حيّاً فاتني ... تقبيلُ غُرَّتِهِ، وميتاً يُقبرُ
برئت إليك من السرور شواطئٌ ... كانت لياليها بوجهك تُقمرُ
وتبدّلت صُوَرُ الجمالِ فما بها ... إلا الكئيبُ الموحشُ المتنكّرُ
أرثيك بالرمقِ الذي استبقاه لي ... منعاك من ذهنٍ يعي ويفكّرُ

لي في الشآمِ هوىً بغُرِّ قصائدي وسواجمِ العَبراتِ عنه أُعبِّرُ[1]
أرتابُ في حُبِّ الحدودِ لأنه حبٌّ يشاركني به المستعمِرُ
إن كُنتُ لمْ أُبصِرْكَ إنك مالىءٌ صدري مع القلبِ الذي لا أُبصرُ
والورد بالأنفاسِ يُعرف أنه وردٌ إذا فاتَ العيونَ المنظرُ
لو كان أجرُ الحُرِّ قدرَ جهادِهِ كان الخلودُ أقلَّ شيءٍ تُؤْجَرُ

٢٦٦ ـ العصفورُ والباشق والإنسان(*)

[من الكامل]

العصفور:

يا باشقُ ارحمني وَرِقَّ لحالتي دعني لأفراخي الصغارِ أطيرُ
لا قوةٌ لي للدفاعِ فإنني طيرٌ ضعيفُ الجانحين صغيرُ
ما في حياتي للسوى ضررٌ ولا ظلمٌ ويكفي أنني عصفورُ
عند الصباحِ أكون أول منشدٍ فأنا بأنوارِ الصباح بشيرُ
مُتَنَقِّلٌ بين الغصونِ كأنني ظِلٌّ يظل مدى النهارِ يدورُ
إني خطيب والغصون منابري والسامعون جداولٌ وزهورُ
فتصفِّقُ الأوراق عند سماعها صوتي ويهتِفُ بالخريرِ غديرُ
ما امتاز عنا الآدميُّ بنطقهِ لو كان يفهم ما حكى الشحرورُ
حتى الجمادُ لهُ لسانٌ ناطق والله ربكَ ما عليه عسيرُ
فلربما نطق النسيمُ مهينماً ولربما لغةُ المياهِ خريرُ[2]
فامنن عليَّ بعفوك السامي ولا تسلُبْ حياتي فالكبيرُ غفورُ

* * *

(1) ـ سواجم العبرات: الدموع السائلة.

(*) ـ في الريو دي جانيرو سنة ١٩١٤

(2) ـ مهينما: مخفيا كلامه.

الباشق :

خـلِّ البكـاءَ فليس دمعـك مـرويـاً جـوفي ونـار الجـوع فـيـه سـعـيرُ
أنـا إن رثـيـت لأنّـةٍ أو زفـرةٍ أيـسـد جـوعـي أنّـة وزفـيرُ؟
لـو لم يكن بعض الـطيـور فـرائسـاً أنّى تـعـيشُ بـواشـق ونـسـورُ
إن الـطبيعـة أوجـدتـني نـاهـشـاً أنـا لم أشـأ بـل شـاء ذاك قـديـرُ
لـو كـان لي ضِـرسُ الخـروفِ لقـاتني عـشـبٌ طـريٌّ في المـروج نـضـيرُ
وابـدأ بنفسـك حـين تـطلبُ رحمـة أولست أنت عـلى الضـعيف تجـورُ؟
أنت الكبـير عـلى البعـوض لضعفـه وأنـا عـلى هـذا الـكـبـيرِ كـبـيرُ
فـاصـبِرْ عـلى حُكم القضـاء فـإنمـا كـأسُ القضـاء عـلى الجميع ِ تـدورُ

الانسان :

شـاءَ الـقـديـرُ وحُـتِّـمَ المـقـدور يـا بـاشقُ احكم وارض يـا عصفـور
تلك الـطبيعـةُ من يـغـيِّر حكـمَها هـيهـات لـيس لحـكـمـهـا تـغـيـيرُ
فكـلاكـما بـالـطبـع يقـهَـرُ غـيره وكـلاكـما مـن غـيره مـقـهـورُ
الثـور يقـنـعُ بـالحشـيش ِ وإن يكـن طـولَ النـهـارِ عـليـهِ جـارَ الـنـيرُ
والنحـلُ من أرْي الأزاهـر يغـتـذي ويـقُـوتُ أنـواع الـدواب شـعـيرُ
والـوحش قـد عـاف النبـات ولم يكن أبـداً عـلى غـير الـلحـوم يُـغـيرُ
فـلكـل مخـلوقٍ طـعـامٌ واحـدٌ يـرضـيـه مـع أن الـطعـام كـثـيرُ
أمـا ابـنُ آدمَ فـهـو أشـرهُ كـائـنٍ فـوق الـثرى وعـلى الجميـع يجـورُ
مـا عفَّ عن شيء، فمعـرضُ جَـوفِهِ يـلفَى بـه سـمـكٌ وفـيـه طـيـورُ
والبقـلُ حـتى والجمـادُ، فـبعـضهـم ممـا اشـتهـاه الـفحـمُ والـطبشـورُ
فـالمـرءُ مـلتـحـفـاً رداءَ ريـائِـه لا يخـدعـنَّـك شـكـله المـنـظورُ
مـهـما بـدا حَمَـلاً وديـعـاً طـاهـراً لا شـك يـكمـن ضمـنـه خـنـزيـرُ

٢٦٧ ـ إن تحذري(*)

[من الكامل]

إن تحذري من شاعر من تأمنين ـ حذارِ ممَّن ليس فيه شعورُ
عاب القريضَ علي بلبلُه وكَمْ عابَ النظيرَ لدى الحبيب نظيرُ
فتخيري في الشاعرين ليَ الهوى وله الغنى والخام والمقصورُ

٢٦٨ ـ شكوى الغريب(**)

[من الكامل]

قضتِ الصبابةُ وانقضى الأمرُ يا ناكثاً عهدي لكَ الشكرُ
ما ضرَّني هجرُ الحبيب ومَنْ هَجَرَ الهوى ما ضرَّهُ الهجرُ

* * *

ناءٍ عن الأوطانِ يَفْصِلُني عَمّنْ أحبُّ البرُّ والبحرُ
في وَحشةٍ لا شيءَ يُؤْنِسُها إلا أنا والعودُ والشعرُ
حولي أعاجمُ يرطُنون فما للضَّادِ عند لسانهم قدرُ
لو عاش بينهمُ ابنُ ساعِدةٍ لَقَضَى ولم يُسمعْ له ذكرُ[1]
ناسٌ ولكنْ لا أنيس بهم ومدينةٌ لكنَّها قفرُ

* * *

(*) ـ من مساجلة شعرية حصلت بين الشاعرين القروي وعقل الجر. قال عقل يخاطب طفلة صغيرة تعلقت بالقروي:

لا يصدق الشعراء في دعوى الهوى والكذب محمودٌ لهم مغفورُ
هو شاعر لا تعلقيه وحاذري هذا أبوك فسائليه خبيرُ
هو بلبل هبط الرياض عشية وغداً يُنقِّر ما يشا ويطير

فأجابه القروي محذراً الطفلة:

(**) ـ في الريو دي جانيرو سنة ١٩١٤

(١) ـ هو قسّ بن ساعدة الإيادي خطيب الجاهلية المشهور.

الشمسُ للأكوان ضاحكةٌ عن باهرِ الأنوار تفْترُّ
والطّيرُ تُرسلُ شدوَها طَرباً فيُجيبُها بخريره النهرْ
أمّا أنا والغمُّ كبّلني صخرٌ يُحسُّ وليتني صخرْ
عجباً وكم في الأرض من عَجَبٍ بين السعادةِ والشّقا فترُ
لا تعتبنَّ الدّهرَ في كدرٍ إنّ المسبّبَ أنت لا الدَّهْرُ
ما ذقتَ من فَرَحٍ ومن تَرَحٍ هو مِنك فالدنيا هي الصَّدْرُ
لا تبطرنَّ ولا تَمُتْ جَزَعاً لا الخيرُ مكتملٌ ولا الشرُّ
ضوءُ النهارِ تشوبُهُ سُحُبٌ وتلوحُ في جنح الدُّجى الزُّهْرُ

٢٦٩ ـ المقلة والنهد

[من الكامل]

غضّت حياءً مذ بدوتُ فصحَّ لي معنى الغرام بطرفها المتكسرِ
فكأن مقلتها وبارزَ نهدها متواضعٌ يرنو إلى متكبرِ

٢٧٠ ـ أقررت للمحسود(*)

[من الكامل]

أقْرَرْتَ للمحسودِ حين حسدتَه إقرارَ مُعْيٍ عن مداهُ مُقَصِّر
وذممتَه فمدحتَه بقصيدة غرّاء من إعجابك المتنكّرِ.

(*) ـ القطعة رقم ٣٠ من مجموعة «موجات قصيرة».

٢٧١ ـ شِعرٌ تلألأ(*)

[من الكامل]

ازجـي وحـمـد الله يمـلأ خـاطـري ... ديـوان شعـري لـلعـليّ الـشـاعـرِ
شِـعـرٌ تـلألأ بـالـوفـاء كـأنـه ... ينهـلُّ من وجـه الـسفـير الـسـافـرِ
وأبِيتُ أجـأر بـالـدعـاءِ (لخـالـدٍ) ... ولـه ولي دعـوات عـبـدٍ شـاكـرِ
يـا ربّ أوصِلني لـبـيـتـك سـالمـاً ... وبنـور غـارِ حِـراءَ كحّلْ نـاظـري

٢٧٢ ـ البشراوية الحَسناء(**)

[من الكامل]

سـلمت يمـيـنـك يـا ابنـة الأحـرارِ ... يـا بـنـتَ لـبـنـانَ الـعـزيـزِ الجـارِ
يـا زهـرةً قـد فـتّحـت أكـمامـهـا ... بـجـوارِ أرزِ الـرب خـيـرِ جـوارِ
رفـعت «بِشَرِّي» رأسَـهـا بـك عـزّةً ... حـقُّ الـسـماءِ الـتَّـيـهُ بـالأقـمـارِ
والأرزُ مـدَّ إلى الـعـلا أغـصـانَـه ... وزهـا عَـلَى الجـنّـاتِ بـالأثـمـارِ
هجـرَ البـلادَ أبـوكِ في طلبِ العـلى ... والحـرُّ مـيّـالٌ إلى الأسـفـارِ
فـنـشـأتِ في مـدنـيـةٍ غـربـيّـةٍ ... كـالـدرةِ الـبـيـضـاءِ في الأقـذارِ
لمـا خـرجـتِ إلى المـديـنـةِ مـرةً ... تـقـضـين فـيـهـا أشـرفَ الأوطـارِ
بهـرَت تـلامـيـذَ المـدارسِ أوجـهُ ... سـجـدَ الـربـيـعُ لهـنَّ في آذارِ
فـتـقـدم الأغـرارُ مـنـك تـصـبـبـاً ... ومـصـابُ هـذا الـعـصرِ بـالأغـرارِ
قـالـوا مَـنِ الـلائي فـتَنَّ عـيـونَـنـا ... يـطلَعـن كـالأقـمـارِ في الإبـدارِ؟
نحنُ الـبـدورُ، نعـم، أجبـتِ وإنمـا ... مـا أنـتَ أول واهـم يـا سـاري
أو مِن عـذارى الشـرقِ رمتَ تبـذلاً ... وشـعـارُهـنَّ الـنـارُ قـبـلَ الـعـارِ
طـمـعـوا بـحـسـنـك إذ رأوه جـنـةً ... فـأرَتهـمُ يمـنـاك طـعـمَ الـنـارِ

(*) ـ وقّع على نسخة من ديوانه قدمها إلى سعادة السفير السعودي الاستاذ علي الشاعر.

(**) ـ تصدى لها وهي بين شقيقتها وأمها في «الريو دي جنيرو» بعض رذالة المدارس، فكرت عليهم كرة عنيفة وأدمتهم لكماً وضرباً.

عـلّمتِـهـم درسـاً جـديـداً ذكـره ... يـبـقـى لهـم مـثـلاً مـدى الأدهـار
والله قـبـلَكِ مـا رأيـتُ غـزالـةً ... إنْـسـيّـةً فـتـكـت بـوحش ٍ ضـار
لكنهـا عـاداتُ قـومـكِ في الـورى ... عـاداتُ كـل مجـرب جـبّـار
حسنـاؤهـم تحمـي الحمى وصبيُّهـم ... يُـرجى لـدحـرِ العـسكـرِ الجـرَّارِ
يـا من أجِـلُّ عن الـورى ذكـرَ اسمهـا ... وأصـونـه مـن شرِّ عـينِ الـقـاري
قـد عـزّ شعـري فيـكِ حتى أصبحت ... محـسـودة مـن أجـله أشـعـاري
فـاذا سـألـت الـنـاس عـني منـة ... فـأنـا أخـوك الشـاعـر الـبربـاري

٢٧٣ ـ يا من يلوم(*)

[من الكامل]

يـا مـن يـلوم ابـن الـتُّراب لـشغـله ... بـالـفَلْسِ عـن شِعْـرٍ وعـن شُعَّـارِ
أرأيـت في المـرعـى حمـارا عـاقـلا ... يلهـو عن الأعشـاب بـالأزهـارِ؟!

٢٧٤ ـ تلكَ القرى(**)

[من الكامل]

أسليـلَ «حـاتَم» إن تـزرْ سـوريـةً ... ـ أنْـعـمْ بـأكـرم ٍ زائـرٍ ومـزورِ ـ
طفْ في مـدائنِهـا فكم مـن جـائـع ... مـترقـبٍ إحـسـانَ كـل غـيـورِ
ولـربَّ رابٍ في الـنـعـيـم مجـنـدل ... كـالشِّلو بـين جنـادل وصخـورِ(١)
رب القصـور المـرسـلات قـبـابهـا ... في الجـو ضـاحكـةً عـلى العصفـورِ
كـم أشبـع الآلافَ فـضـلُ فـطوره ... والـيـوم لا يحـظى بـفـضـل فـطُورِ
وانـظر إلى لُـبـنـان نِـظرةَ جـابـر ... عـثرات قـلبٍ بـائس ٍ مـكـسـورِ

(*) ـ القطعة رقم ٩ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) ـ «صنبول» سنة ١٩١٨

(١) ـ رابِ: نامٍ، مجندل؛ مرميٌّ أرضا. الشلو: بقيّة الشيء جنادل: جمع جندل وهو الصخر.

تلك القُرى اشتهرت كجَدعك في القرى فاصنَعْ صنائعَ جَدكَ المشهورِ[١]
وإذا مررَت بمضربِ الأمواجِ قفْ عند «الوطا» بالمنزلِ المهجورِ
فهناك بين (جبيلَ) و(البترون) لي عهدٌ يقوِّمُ يومُه بدهورِ
وسل الشواطئ والكرومَ عن الألى كانت تعزُّ بهم أعزُّ الدُّورِ
حيث السماءُ بظلِّ كل عريشةٍ حيث الملاكُ بوجه كل صغيرِ

* * *

يا من يشقُ عليه ذكري معشراً ترحي إليهم عائدٌ وسروري
أبديتَ شجويَ لو صبوتَ صبابتي ونظمتَ نظميَ لو شعرتَ شعوري
دع عنك تعنيفي فكم من هاجرٍ مثلي يطالعُ وجدَه بسطوري
تغشى الكآبةُ مقلتيه فليلُه ليلان من همٍّ ومن ديجور
حرَّان يفترشُ اللظى وفؤادُه يدعو الإلهَ برعشة المقرورِ[٢]

* * *

أترى تُحرَّر أنفسٌ مظلومةٌ ويقدُّ سيفُ العدل صدرَ الزورِ
فيُلَمَّ من أقصى البلاد شَتاتنا ويُضمَّ لؤلؤُ عِقدنا المنثورِ
أم نستعيضُ بغربة عن غربة وتظلُّ سوريّا لغيرِ السوري؟

٢٧٥ ـ سقوط اورشليم وأريحا(*)

[من الكامل]
سقَطَت «أريحا» عند نفخِ الصُّورِ وصدى هُتافِ العسكرِ المنصورِ
زأرَت قساورُهم عليها زأرةً أغنت مدافعَهم عن التدميرِ[٣]

---

(١) ـ القِرى: الضيافة.
(٢) ـ حرّان: عطشان.
(*) ـ نظمها اثر دخول الحلفاء سوريا في الحرب العالمية الأولى واجلاء قوات دول الوسط عنها بواسطة الجيش العربي الباسل تحت قيادة الأمير فيصل بن الحسين ملك الحجاز.
(٣) ـ قساور: جمع قسور وهو الأسد.

ومشَوْا لفتحِ القُدس فانفتحت لها ... أبصارُهم عن عالم مسحورِ
من كل رابيةٍ هُناك وهَضبةٍ ... طُورٌ يخرُّ له جبينُ الطور
للوحيِ والتنزيلِ فيه وللهدى ... صُوَرٌ مقدَّسةٌ عن التصويرِ
بُهتوا افتتاناً ثمَّ غضُّوا هيبةً ... يستكبرون الهمس بعد زئير
لا ينبسون تورُّعاً وجريئهم ... يرنو بطرفٍ بالخشوع كسيرِ
وتهيَّبُ الجيشِ الكثيرِ، إذا دنا ... من باب بيتِ الله، غيرُ كثيرِ
أصغت مدافعُهم إلى أجراسها ... وأذانها إصغاءَةَ التوقيرِ
وَلَوَ انها رعَدَت لكان هزيمُها ... ضرباً من التسبيحِ والتكبيرِ[1]
فترجَّلَ الأقيالُ عند حدودِها ... والخيلُ مُطرقةٌ كمِن تفكيرِ[2]
يمشون من رهَبٍ حُفاةً حُسّراً ... فكأنهم فيها وُفاةُ نذورِ
يتقدَّمُ الكلَّ الوقارُ كأنهم ... أسرى وكلٌّ قادم بأسيرِ
لله «أورشليم»! عند جلالها ... ما أشبهَ المنصورَ بالمكسور!!

* * *

من ينبئُ السوريّ وهو مشوَّهٌ ... وجهَ الاباءِ لكشرةِ التعفيرِ
أنَّ الألى سجَد الملوك لبأسهمْ ... سجدوا بسوريا حيالَ قبورِ
عجباً لسوريٍّ يحقِّرُ نفسَه ... والخلقُ يسجدُ للترابِ السوري

٢٧٦ - يا ربّ

[من الكامل]

يا رب إنكَ صاحبُ الأمرِ ... وأنا إليكَ موكَّلٌ أمري
من لي سواك إذا الهموم طمت ... وتلاعَبت بسفينة العمرِ
مُرْها تُطِعك فطالما سكَنَت ... طوعاً لأمرك لجة البحرِ
أكذا أظل الدهرَ مرتطماً ... أنجرُّ من صخرٍ إلى صخرِ

(١) ـ هزيم الرعد: صوته.
(٢) ـ الأقيال: جمع قيل وهو الملك

خمسٌ مضت واليومَ سادسةٌ ... من غربتي في إثْرها تجري
لم ألوَ في أثنائها سنةً ... إلاَّ وأهون ما بها فقري
شكراً على ما سرَّني، وعلى ... ما ساءَني شكراً على شكرِ
ما لي جميلُ أرتجي مَعُه ... أجراً ولا عفواً سوى صبري

٢٧٧ ـ الهاشمية (*)

[من الكامل]

عادَ الرشيدُ وعادَ باهر عصرِهِ ... سبحانَ من بعثَ الحسين لنشرِهِ
الليل خيطٌ من جِدادِ مغيبه ... والصبحُ سهمٌ من أشِعَّةِ فجرِهِ
ما بين مكّةَ والشآم تنافسٌ ... هذي بغنوطتِها وتلكَ بذِكرِهِ
ذِكرٌ تضوَّعَ في الجزيرةِ ناشراً ... فيها رفاتَ العاطفاتِ بنشرِهِ
مشَتِ البشاشة في طليعةِ جودهِ ... كالعِطرِ يُنشَقُ قبل رؤية زَهرِهِ
وشكت عوارفه إليه بِشْرَهُ ... إذ كاد يستغني الفقير ببشرِهِ
يعطى فيملأهُ سرور عُفاته ... طرباً كأنَّ قلوبَهم في صدرِهِ(١)
سبقَت جلالته جلالة مُلكهِ ... فالُملك فرعٌ من جلالة قدرِهِ
مَلِك على الإسلام أبدى غيرةً ... قرَّت بها عين الرسول بقبرِهِ
نصرَ المروءةَ فالمسيح وأحمدٌ ... يتبادلان التهنئاتِ بنصرِهِ
واهتزَّ عِطف المجد معتزاً به ... فكأنّه حمْوٌ يتيه بصهرِهِ
لما رأى الدِّينَ الحنيف مهدَّداً ... ورأى المهدِّد ممعناً في كفرِهِ
ورأى العروبةَ تستعينُ بربِّها ... من جورِ طورانِ الغريبِ وغدرِهِ
لبّى فجرَّدَ سيفَه من غمِده ... بل قل فجرَّدَ عزمه من صبرِهِ
ودعا الأسودَ من القفارِ فأقبلوا ... يتسابقون إلى إطاعةِ أمرِهِ
لله «فيصلُ» والعدُو مكاثِرٌ ... بمكَعَّب يسطو عليه بجذرِهِ

(*) ـ (حين هب الشرفاء الحسين بن علي وأنجاله لتحرير العرب من نير الترك في الحرب العالمية الأولى).

(١) ـ عفاة: جمع عافٍ وهو طالب الفضل والمعروف.

والرمحُ فاق الشاعرين بنظمه ... والسيف بزَّ الكاتبين بنثره
وحصانه الخوَّاض لجَات الردى ... «كالحوت» يحمل «برجه» في ظهره
بطلٌ تقلّد سيفه فتلاطمت ... لجج المنايا حول ساحل خصره
كفَلَت له الأرواحُ وهي مُطارَةٌ ... خفقَ البنودِ فما النسيمُ بمرِّهِ
كادت تطيرُ وسيفه في غمدهِ ... كي لا يحاسب في دم عن هدره
وكأنَّ موتَ الهالكين تماوتٌ ... طمعاً بحظ الواقعين بأسرهِ
والرمح من طول التردد للحشا ... يدري من الأعداء ما لم تَدرهِ
فَطِنٌ بمكنون الضميرِ كأنهُ ... قِسِّيسُ مذهبِهِ وكاتمُ سرِّهِ
[ما فازَ نَحْرُ الخصم منه بطعنةٍ ... إلاّ وأصبح من أعادي ثغرِهِ(*)
«كسر» العدوّ فكانَ علّةَ «رفعِهِ» ... فكأنّهُ نَصَر العدوّ بكسرِهِ
فتبَرأ ابن الهاشميِّ بطرحه ... وتبرَّكَ ابن الغاشمين بذخرِهِ
والسيف يجتاح الكميَّ وينثني ... وبكلِّ متن بَضْعَةٌ من فكرِهِ(١)
ما زال نثراً في الدماغ مسطَراً ... حتى انبرى سيف الأمير لشطرِهِ
من كل قرمٍ لو يُفضَّل بأسُهُ ... في عسكرٍ ضاقَ الثرى عن حصرِهِ(٢)
فكأن كلَّ «كُرَيَّة» من جسمه ... بطلٌ تكِلُّ جيوشُهم عن قهرِهِ
من آل عُذْرَةَ في الطهارة قلبُهُ ... فكأنَّ يوسُفَ آخذٌ عن طهرِهِ
وكأنّه في صدره عربيَّةٌ ... في غيلها أو ضيغم في حذرِهِ(٣)]
يا دوحةَ الفضلِ التي في ظلِّها ... نقوى على حَرِّ الزمان وقرِّهِ
أدركتَ شأواً ليس يُدرك راصد ... فوق النجوم الزُهر أدنى زُهرِهِ
عبثاً تحاول في السموِّ زيادةً ... ما للخلود زيادة في عمرِهِ
هذي إليك يتيمةً من مُعدِمِ ... تزدان تيجان الملوك بدرِّهِ
من جوٍّ لبنانَ استمدَّ سناءَها ... واختار لؤلؤ عقدها من بحرِهِ
هو شاعر ملأ الزمان تشكّياً ... من حلوه وبك استهان بمُرِّه

(*) ـ ما بين حاصرتين أبيات تسعة سقطت من المطبوعة واستدركت من مخطوطات الشاعر.
(١) الكميّ: الشجاع المقدام، بضعة: قطعة.
(٢) ـ القرم: السيّد المعظّم.
(٣) ـ الغيل: موضع الأسد والضيغم: الأسد.

كـــم قـــام في ذمِّ الخـــلائـــق عـــذرُه حـتى شـفـعـتَ فـهال قـائـمُ عُـذرِهِ
لم يـبـغ بـالمـدحِ الـنـوالَ فـانما أنـت الـربيـعُ بـصـحـوِهِ وبـقـطـرِهِ
لمـا رأى قَـحطَ الـرجـال ومـا لهُـم غـيـثٌ رأى كـل الـغـنى في فـقـرِهِ
واعتـاض عن روض الحيـاة مفـازةً إن الـغـضـنـفـر مجـده في قـفـرِهِ
فـارمـقْ مـعـانـيَـهـا بـنـظرة وامـق إن شئتَ أن تصـلَ البيـان بسِحـرِهِ[1]

٢٧٨ ـ لا تقعُدوا معهم(*)

[من الكامل]

آيـاتُ ربِّـك ليس يعـرفُ قـدرَهـا من ليس يفـرُقُ في الحجى عن غَيْـرِهِ
لاَ تَقْعُـدُوا مَعَهُمْ ـ إذا هـزئـوا بهـا ـ «حَتَّى يَخُوضُوا في حَـدِيثٍ غَيْـرِهِ»[2]

٢٧٩ ـ بين عبيد البر(**)

[من مجزوء الكامل]

سـفَـرٌ نهايـتـهُ سـفـرْ مـثـل الـنـسـيـم بـلا مـقـرّ
ضـجـر السرى والسـير مـني والـبـواخـر والـقُـطُرْ
حَـتَّـامَ أبـقـى دائـراً حـول البـسـيـطة كـالـقـمـرْ
أصـطاد أطـيـار الـسـعـادة وهـي مـن وجـهـي تـفـرْ
فـكـأنـني مـثـلُ يـقـدمـه الـزمـان إلى الـبشرْ
عـبـثـاً تـروم سـعـادة إن لم يـسـاعـدك الـقـدرْ
مـا غـادرتـني نـكـبـةٌ إلا لـيـعـقـبـهـا أخـرْ
هـمٌّ يـزول بمـثـلهِ كـالـشـوك يُـنـزع بـالإبـرْ

---

(١) ـ ارمق: انظر. الوامق: المحبّ.

(*) ـ بيتان مستخرجان من مخطوطات الشاعر.

(٢) ـ من الآية ١٤٠ من سورة النساء.

(**) ـ في مدينة مريانا سنة ١٩١٣

أيـوب سـلِّم صـولجـانـك لـسـت أعـظم مـن صـبرْ
لـو ذقـت يـومـاً مـا أذوق لـكـنـت أول مـن كـفـرْ
ويـزيـد في الـطـنـبـور أني بـين نـاس كـالـبـقـرْ
لا يـفـهـمـون مـن الحـيـاة سـوى الـبـطالـة والـبـطرْ
كـن بـيـنهـم رجـل الـزمـان تـظل «تـوركـو» محـتـقـرْ[1]
يـا لـلهـوان فـقـد غـدونـا عـبرة لمـن اعـتـبرْ
حـتى عـبـيـد الـبر قـد سـخـروا بـنـا مـع من سـخـرْ
وطـني ويـا لـك مـوطـنـا قـد مـزقـتـه يـد الـغِـيَرْ
يـشـقـى المـقـيم الـيـوم فـيـك ولـيـس يـسـلمُ مـن هـجـرْ

٢٨٠ - لبّيك(*)

[من مجزوء الكامل]

لـبّيـكَ يـا بـطل الجـزائـرْ عُقِـدَت عـلى الثـأرْ الخناصرْ
يفـديـك بـالمَهـجـاتِ أحـ رارُ الـعـروبـةِ والحـرائـرْ
أرأيـتَ أنّى جـالَ طـرفُـك غـيرَ ثـائـرةٍ وثـائـرْ
نصرٌ عـلى الأعـداءِ يـتلو- النصرَ فـالـدنيـا بشـائـرْ
وجبـابـرُ الـطغيـانِ كـالحشـ ـرات تحت حـذاءِ «نـاصرْ»
وكـلابهـم في الـشـرقِ عـا فتهـا مـن النتـن المقـابـرْ
الشعب كـالإعصـار يسحق غـادراً ويجـرُّ غـادرْ
أفـتَى الـعـروبـةِ غضَّ عـن هـذي الـوريقَـةِ طرفَ عـاذرْ
هـي لا تحـرّرُ أو تمـوّن- جـيش تحـريـر الجـزائـرْ
لـكـنهـا تـكـفـي لـزرع- رصـاصـة في قـلب فـاجـرْ
الحـربُ قـائـمـةٌ عَـلى سـاق فـما شـأن المـنـابـرْ

---

(١) - «توركو» تعني باللغة البرتغالية. تركيا وقد ألف البرازيليون نبز العربي المغترب بهذا اللقب كلما أرادوا تحقيره.

(*) - نظمها وهو يصغي إلى أقوال الخطباء في الحفلة التي أحياها مكتب تحرير الجزائر في دمشق مساء سنة ١٩٥٨ وقدم خلال إلقائها ورقة مالية زهيدة دعوة إلى الجهاد بالمال والرجال قبل الأقوال.

والنصرُ يُؤتاه المجاهد ـ بالخناجر لا الحناجرْ
سيفٌ لنشر الهام يسوى الف شاعرة وشاعرْ

٢٨١ ـ الممطر(*)

[من مجزوء الكامل]

لك يا ابن عاصي آيةٌ في الفضلِ حَيّرَتِ الفِكَرْ
مَطَرَت يداك ندى الندى فوقانيَ المطرُ المطَرْ

٢٨٢ ـ لا تنسني

[من مجزوء الكامل]

ما للفَراشةِ لا تطيرْ مطروحةً بين الزهورْ؟
هذا الجناحُ جناحُها في الحسن منقطعُ النظيرْ
أطرَى وأنعمُ ملمساً من راحةِ الطفلِ الصغيرْ
أبهى وأبهج منظراً من مطلع الصبح المنيرْ
أندى وألطفُ من نسيم ـ الفجر عن سطحِ الغديرْ
أجرى وألينُ من مرور ـ الروح في جسم الأثيرْ
أشهى وأطيب من سلام النفس في ظل الضميرْ
وأحب من تغريدة ـ العصفور في الروض النضيرْ
وأرقُّ من لحنِ الصبا وأدقُّ من وتَر الشعورْ
حامت عليها العين تجلو ـ الحسن من أمد قصيرْ
فدنوت أختلس الخطى مترفقاً كي لا تطيرْ
وطرحت نفسي فوقها ويل الصغيرِ من الكبيرْ!
فاذا الفراشةُ زهرةٌ وإذا المتيّمُ في غرورْ

* * *

(*) ـ خلع عليه صديقه الياس عاصي ممطراً فارتجل.

أحباب قلبي إن دعا داعي المنون إلى المسيرْ
ورويتُم الأزهارَ حوليَ - من ندى الدمع الغزيرْ
لي عندكم أمنيّةٌ تحقيقها أمرٌ يسيرْ
أن تزرعوا ليَ زهرةً بجميعِ ألوانِ الزهورْ
وقوامها نَدٌّ يفوح - عبيره وندىً ونورْ
ليَ في اسمها فألٌ يُفيض عليَّ في اللحد السرورْ
يا حبذا «لا تنسني» زهراً يعيش عَلى القبورْ!

٢٨٣ - الدوحة الساقطة(*)

[من مجزوء الكامل]

قد كان رأسيَ في السماء يطاولُ القمرَ المنيرْ
تُلقي عليَّ الشمسُ أوَّلَ نظرةٍ عند البكورْ
وأمدُّ باعي في الفضاءِ إلى مطالعها أشيرْ
وأكادُ أختطفُ السهى وأكاد أقتطف البدورْ
وأبارك الأطفالَ تحتيَ من لطيفات الزهورْ
تشدو الطيورُ على غصوني فوقَ مصطفقِ الغديرْ
فكأنني الفردوسُ يرتعُ فيَّ وِلدانٌ وحورْ
أتناول الصهباءَ عن طبق السحاب إذا يدورْ
وكأنما قِطَعُ الغمام البيضُ رغوتُها تفورْ
خمراً مجدِّدةَ الشباب فما معتّقةُ الديورْ
الشمسُ تضمنُ قطفَها من كرمةِ البحرِ الكبيرْ
وتديرُها كفُّ النسيمِ عليَّ، يا لطفَ المديرْ

(*) - كان القطار يخترق به احدى غابات ولاية «بارانا» فشاهد بأم العين منشار الانسان يهوي على تلك الدوحات الباسقات المستعصيات على الدهر ويلقيها على الحضيض

طوراً تلاعبني الصَّبا حيناً تداعبني الدَّبورْ
فاذا هززتُ الخصرَ تحسُدني رشيقاتُ الخصورْ
واذا دهاني الزمهريرُ هزمتُ جيشَ الزمهريرْ
وفتحت صدريَ للرياحِ وصدرَ صدريَ للطيورْ
تأوي إليَّ وطالما تاهت عليَّ بأن تطيرْ
ما الفخرُ في ريشٍ تقاذَفُه نسيماتُ الغرورْ
بئسَ المسيرُ يقودها يوماً إلى بئسَ المصيرْ
فخر الفتى بثباته في ساعةِ الخطرِ الخطيرْ
فلربَّ راسٍ في الثرى وذُراه مُعجِزَة النسورْ
إنَّ الثباتَ لَمُقْعدٌ لكنَّ صاحبَهُ يسيرْ
يستقبلُ الأمرَ العسيرَ كأنه الأمرُ اليسيرْ

* * *

كم عاملٍ يروي الثرى من قِرْبة العَرَقِ الغزيرْ
متساكبِ القطراتِ يوشكُ أن يكونَ لها خريرْ
يتنفسُ النفسَ الطويلَ تكاد تحسَبُهُ هديرْ
يرجو السعادة ضارباً بين الجنادلِ والصخورْ
ولوقعِ معوله صدىً كتقضقضِ العظمِ الكسيرْ
يأوي إلى ظلي الظليلِ إذا شوى الجسدَ الهجيرْ
ويقيل تحتيَ ساعةً في اليومِ من بعد الفطورْ
وَلَوَ أنه رامَ المقيلَ بظلِّ شاهقةِ القصورْ
لدَهتهُ مِكنَسةُ الغنيِّ وراءها الكلبُ العقورْ

* * *

نحن النباتَ جميعُنا راضٍ بما قسم القديرْ
نحيا سواءً ليس يمتازُ الكبيرُ عن الصغيرْ
لا من ينامُ على الحريرِ ومن ينامُ على الحصيرْ

هـذا الـترابُ طعـامُنـا وشَرَابنـا هـذي البحـورْ
يخشى الأنـامُ من الـثرى ونعـدُّه المهدَ الـوثـيرْ
يتصـوررون قبـورَهم فيــه فيخشَــوْن القبــورْ
نِعم القبـورُ بفضلهـا نحيـا إلى دهـر الــدهـورْ
لَو لم تضمَّ أُصولَنـا لخلت من الشجرِ الـبرورْ(١)

* * *

مـا زلتُ أهزأ بـالصواعقِ والعنـاصِرِ والعصـورْ
وأرى السنين هي الدقائقَ والدهورَ هي الشهورْ
أمتصُّ ألبــانَ الـبقــا مـن ثــدي والــدة دَرورْ
وأمــاميَ الغـابــاتُ مـاثلةٌ كحـاشيـةِ الأمـيرْ
حتى دنــا من ســاحتي قِـردٌ بــلا ذَنَب حقـيرْ
قَــزْمٌ قصـيرٌ بــات طَــرفي عن تَبيُّنِــهِ حسـيرْ
ظلّلتــهُ وحضنتــهُ فكــأنــهُ غصـني النـضـيرْ
وحسِبتُ شيمتَـه الـوفـا فـإذا بـه اللصُّ الشهـيرْ
هــو ذلـك الانســـانُ مَنْ أبـدأ يجــورُ ولا يُجيرْ

* * *

لم تكفِـهِ السكـين تـطعنُ في الـترائب والنحـورْ
لم يكفـه السـاطـور يفلِقُ جلمـد العـظم الجبـيرْ
حتى استطالَ على النباتِ بحدِّ ذي النابِ الهَصورْ
وأتى بمنشـار كشـدق الحـوتِ يسـطعُ منــه نـور
شـرِهٍ إذا استـأكَلْتـهُ لا بـالَملولِ ولا الضَّجــورْ
بــذهَــابِـهِ وإيــابـهِ نشرٌ وشرٌّ مــســتــطيرْ
وهوى على جـذعي بـه حتى غـدوتُ على شفـيرْ

* * *

(١) ـ البرور: جمع البرّ وهو اليابسة.

يـا أرزُ رُزؤك فـادح يـا سرو غـادرَك السرورْ
يـا سِنديـانُ لك العـزاءُ ويا صنـوبرُ كن صبـورْ
«صنَـينُ» عفّـر وجهـهَ «وثبـيرُ» نـادى بـالثبـورْ
سلطانـةُ الغـابـاتِ خـاشعـة تميـلُ عن السريـرْ

* * *

فـأشـرتُ لـلأقمـارِ جـيراني إشـارةَ مستجـيرْ
أبكي وأوراقي منـاديـلي وقـد عـزَّ النصـيرْ
ورنوتُ نحو الشمسِ أنظرُ وجهَها النَّظرَ الأخيرْ
وهـويتُ أمتزِعُ الغيـومَ كأنها سُجفُ الحـريرْ[1]
بـل كـدتُ أكتنسُ النجـومَ كـأنها العِقـدُ النثيرْ
وخررت مثل «التيتنيكِ» وغُصتُ في بحرِ الأثيرْ
وحـززتُ حيزومَ الهـواءِ فـراح متصـلَ الشخـيرْ
وصفعتُ وجهَ الأرضِ حتى كادَ مـرجَلُها يثـورْ
أقـسمـتُ لـولا أنها دارَت لكـادت أن تـدورْ
كم دوحـة بشريـة في الـدوحِ ليس لهـا نـظيرْ
من كـل نـابغـةٍ شريفٍ طـاهـرٍ حيِّ الضمـيرْ
جـارت يد الباغي عليه وكم يـدُ الباغي تجـورْ
وسطت على الباغي المنيةُ فانقضى الأجلُ القصيرْ
ومضى وذكـرُ قـتيـلهِ بـاقٍ إلى يـوم النـشـورْ

* * *

أين افتخـارُك أيهـا الانسـانُ قـل لي يـا فَخـورْ
قـد عشتُ أكثر منـك في مـوتي ومـوتي لا يَضـيرْ

---

(١) ـ امتزع: أمزّق والسجف: جمع سجاف وهو السِّتر.

قـد كنت مأوًى للطيـور فصرت جسـراً للعبـور
وعمـود نـورٍ يستضـاء بـه وعكـاز الضريـر

* * *

يـا ربِّ قـوِّ دعـامتي لأكـونَ من أقـوى الجسـورْ
وامنحنيَ البـالَ الـطويـلَ ونعمـةَ الصـبرِ الكثيرْ
لأقـومَ بـالعبءِ الثقيـل وأحمـلَ الجمـعَ الغفـيرْ
وامنُنْ عـليَّ بـأن تبـارِكَ هـامتي قَـدَمُ البشـيرْ
ليقـول إن الكـون صـار كـما يسرُّك أن يصـيرْ
إن شئتَ يـا ربي، فليسَ عليك من أمـرٍ عسـيرْ
ولأنـت يـا ربي وليُّ الخـير في كـلِ الأمـورْ

* * *

٢٨٤ ـ لو كان يتعظ(*)

[من مجزوء الكامل]

لـو كـان يـتّـعظ الـورى بـالمـوتِ مـا وُلـدَ الـغُـرورْ
ولـكـانَ أزهـدَ زاهـدٍ في الأرض حـفّـارُ الـقـبـورْ

٢٨٥ ـ الثوب المكسر(**)

[من مجزوء الكامل]

أمخبـآتُ كنوزِ حسـنِكِ أم ثنياتُ الحـريـرِ؟
جنبـاً إلى جنبٍ ينمنَ منـامـةَ الـطفـلِ الصغـيرِ

(*) ـ القطعة رقم ٣٥ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) ـ لقي الشاعر احداهنّ بثوبها المكسر، وهي جميلة مثله.

كشفاهِ ورد الشام منطبقِ الثغور على الثغورِ؟
ماذا طويتِ وراء هذا الثوب من نارٍ ونورِ؟
أنموذجينِ بعرشِ صدركِ من قواريرِ العطورِ؟
أم من كؤوسِ الخمر في «البَلَمَنْدِ» عاصمةِ الديورِ؟
أأراكِ بين يديّ مُسْبَلَةَ الغديرةِ كالغديرِ؟
لله أسعدُ ساعةٍ في العمرِ للشيخ الضريرِ
فيها ربيعُ صباكِ يغمرني بفواحِ العبيرِ
وأنال أشهى ما يُنال وأنتِ جنبي في سريري
حُلُمٌ يراودُ مقلتيَّ وأستفيقُ على غروري

٢٨٦ ـ جاوزت حد الصفح(*)

[من مجزوء الكامل]

جاوزت حَدَّ الصفح عن خصمي فرحت شهيد غدرِهْ
وتنزَّ إصبعه دماً مَنْ جارَ في تقليم ظفرِهْ

٢٨٧ ـ أحاسب ثغري(**)

[من المتقارب]

قصورٌ تُشيّد فوق القصورْ كأنَّ الخَوَرْنَقَ يعلو السَّديرْ
تكاد تزحزحُ صدرَ السماءِ وتبرزُ من فوق سطح الأثيرْ
أرى كل يوم علوّاً جديداً صخورٌ علاليّكم أم نسورْ
كفاكم صعوداً رجالَ اليسار وجودوا علينا بمال يسيرْ
علوتم عن الأرض جداً فما رأيتم على الأرض ماذا يصيرْ
بطونُ صناديقكم أُتخمت وبطن الفقير كجيب الفقيرْ

(*) ـ القطعة رقم ٧٢ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) ـ أنشدها في حفلة أقيمت في «صنبول» سنة ١٩١٥ من أجل جياع سوريا ولبنان.

جسـومٌ بـراهـا الـطوى فـاغتـدى يـفـتّش بـالـلمس عنهـا الـبصـيرْ
لـقـد وجـد الـطير بعض الحبـوب فـيـا ليتـهـم بـعض تـلك الـطيـورْ
أيـا مـن أفـاضت عـليـه السـماءُ ـ كـالماءِ والـنـور مـالاً كـثـيرْ
تـقـول بِـجِـدِّيَ حـصَّـلتُ هـذا أيـشـمـلُ جِـدُّك كـلَّ الأمـورْ
وإن دار دولاب جَـدّك يـومـاً فـهـل طـوعُ جِـدّكَ ألاَّ يـدورْ
أبِـالجَـدِّ تـدفـع شرَّ الـزلازل ـ أو خـطر الـبـحـر إمّـا يـثـورْ
ألـيـسـت حـيـاتُـكَ وهـي أعـز من المـال طـوعَ العـزيـز القـديـرْ
هبِ الجـود إحـدى الـرزايـا وجـدْ تـنـلْ أجـرَ مـعطٍ وأجـر صـبـورْ
ويـا آكـل الجـوز والـلوز مـهـلاً أكلت اللبـابَ فجدْ بـالقشـورْ.
تـذكـر جـيـاعـاً بـبرِّ الـشـآم وبـرُّ الـشـآم أعـزُّ الـبرورْ
إذا مـرَّ ذكـرك في بـالهـم فقـد مرَّ في حِنـدِس الليـل نـورْ[1]
يـذوبـون جـوعـاً إلى بُـلغـةٍ وتُـولِمُ بـين الـغـدا والـفـطورْ[2]
عـلى كـل بـاع مـن الـدرب أمٌّ بـوجـهٍ كـسيـفٍ وقـلبٍ كـسيرْ
تـنـادي الـنـدى من وراء الـبحـار ومـا مـن مجـيـب ولا مـن مجـيرْ
تمـدُّ الأنـامـل لـلمـحـسـنـين وبـالـسـاعـدينِ تـضمُّ الـصغـيرْ
أمـوسي بـربـك أيـن الـعـصـا فـان الـقلوب غـدت كـالـصخـورْ
بـكـيـتُ ويـا لـيـت دمـعـيَ خبـزٌ فـما الأهـل في حـاجـة لـلبحـورْ
أحـاسـب ثـغـري عـلى بـسـمـةٍ إذا ضحـك النـاس مـلءَ الـثغـورْ
إذا لم يـكـن في الـبـحـار سـبيـلٌ إلـيهـم سـلكـتُ سـبيـل الـشعـورْ
وإن أمـسـكَ الـعُـدمُ كـفِّيَ عـنهـم فـما أمسـكَ العـدمُ دمعي الغـزيـرْ
بـني وطـني أظـهـروا مـالـكـم إذا كـنتـمُ تـبـتـغـون الـظهـورْ
لَـكُمْ بـيـنـكـم مـن غـنيٍّ عـظـيـم فـهـل بـيـنـكـم مـن غـنيٍّ شـهـيرْ

---

(١) ـ الحندس: الظلمة.
(٢) ـ البُلغة: ما يكفي لسدّ الحاجة.

٢٨٨ ـ بصدري(*)

[من المتقارب]

بصدريَ دنيا من المُحرجاتِ وإنّيَ عن هَنةٍ ضاق صدري
وقد ركب الدهرُ ظهري ومثلي ينوءُ بيومٍ فكيفَ بدهرِ

٢٨٩ ـ لا عطر في الأرض(**)

[من المجتث]

لا عِطْرَ في الأرضِ يقوى على نتانة قَبْرِكْ
إلاّ الذي فاح بين الـ أنامِ من عطر ذكرِكْ

٢٩٠ ـ دهاك(***)

[من الوافر]

دهاكَ الموتُ لم يُمهلكَ حتى تشدَّ حقيبةً وتُعِدَّ ذُخرا
وأطولُ رحلَتَيك خُطىً قصارٌ تزورُ بها على الأكتافِ قبرا
لعمرُك لم تُردْ للناسِ شرّاً فكيف عن الصلاحِ جُزيتَ شرا
رماكَ الوغدُ إذ وليّتَ ظهراً ومثلك مَن يولّي الموتَ صدرا
وُقيتَ النارَ، لم تذهبْ رخيصاً ولا ذهب الدمُ العربيُّ هدرا
فلا تحزن لقد أدركتَ ثأراً وقد خلّفتَ «يا شاهين» نسرا

(*) ـ قال له صديق كيف الدهر عليك فارتجل.
(**) ـ القطعة رقم ١٦ من مجموعة «موجات قصيرة».
(***) ـ نقشت على ضريح شاهين خوري الذي اغتاله لص ثم ثأر له ابنه، «صنبول» سنة ١٩٣٢

٢٩١ - بني أمي(*)

[من الوافر]

بني أمي سألت الله أجراً لكم متسلسلاً دهراً فدهرا
تورثه بنوكم الف لون نبوغاً صحةً أمناً ويسرا
أشدتم بي وأعليتم مقامي وصغتم لي عقود المدح درا
فروحي من وراء القبر تزهى بكم وتتيه في الفردوس فخرا
ولكن لست أبرأ من عتاب رقيق ان همست به فعذرا
فلو كرَّمتموني في حياتي لعلي كنت عشت سنين اخرى
وان لم أستطع رداً بليغاً فكنت على الأقل أقول شكراً

٢٩٢ - حبيب الشعب(**)

[من الوافر]

حبيبَ الشعبِ إن الشعبَ حارا ومنذ رفضتَ لمْ يعرفْ قَرارا
وآلى عنك لا يرضى بديلاً فان أحرجتَهُ بالرفضِ ثارا
أطِلْ فرحَ المهاجِر بِالتلاقي فلولا الظلمُ لم نَهْجُرْ دِيارا
ولا انقلبَ الحِمى ميدانَ حربٍ وأمستْ جَنَّةُ المصطافِ نارا
غرست لنا بساتينَ الأماني فان أهملْتَها عادتْ صَحَارى
وزهدُكَ في الولايةِ زهدُ أمٍ إلى ضِرّاتِها تَكِلُ الصِغارا
فالاستعمارُ من طرب يُغنّي وأمُّ البغي وابنتُها سُكارى
ونحن جنودَكَ الأحرارَ نأبى لباسَ العارِ حَسْبُ الأمسِ عارا
ولولا عزةُ الوطنِ المُفدّى وحبُّك لم نخضْ هذي الغِمارا
ولم نذخرْك للازماتِ الاّ لانك خيرُ من يحمي الذِمارا

(*) - في حفلة تذكارية للأستاذ المرحوم حنا غر.
(**) - ٧ تموز ١٩٦٤

عـلى التجـديـدِ صممنـا وصُغْنـا قـراراً مـلغـيـاً ذاكَ الـقـرارا
جـعـلتَ الـكـرَّ عـادتـنـا وإنّـا نـعـيـذُك ان تـعـوِّدنَـا الـفـرارا
ثـمـارُ العـهـدِ مـوسمُـهـا قـريـبٌ وغـيرُ الـعـهـد لـن يجـني الـثـمارا

٢٩٣ ـ عواصف الاعجاب(*)

[من الوافر]

أثـرتِ عـواصـفَ الاعـجـابِ لّمـا أثـارَ حـصـانُـك المـرِحُ الـغـبـارا
أغـارَ يحسُّ وقـعَ الـسـوطِ بـرداً وقـد أطـعَـمـتِ شـاكـلتـيـهِ نـارا
ملكتِ عـنـانَـه فـجـرى يمـيـنـاً ـ كـما شـاءَت يَـسـارُك ـ أو يـسـارا
كـأنـك مـنـه في مـهـد أمـين ونـحن علـيـك من جـزَعٍ حيـارى
يـكـادُ يـطيرُ لبُّ أبـيـك خـوفـاً إذا طـارَ الحـصـانُ بـكِ افـتـخـارا
يحـثُ جـوادَه ويـصـيـحُ: لـيـلى ولـيـلى تحـسَـبُ الاصـغـاءَ عـارا
فـيجـري «الـتـكُّ» بي وبـه كـأنـا نسـابقُ منـك «بـالتـكِّ» الـقـطارا
وأقسمُ لـو ركـبـنـا الـبـرقَ خيـلاً سـبـقـتِ، وأنـتِ راكـبـةٌ حمـارا
وإذ مـزَّقـتِ جيـب الـريـحِ راحـت ذيـولُ الـريـح تـأخـذ منـك ثـارا
قـرأت بـشَـعْـرِكِ المـحـلول آيًـا عـن الـنـجـم المـذنّـب حـين زارا
كـأنـكِ قـد عـقـدتِ بـه لـواءً أوَ أنّـك قـد رفـعـتِ بـه مـنـارا
أوَ انَّـكِ قـد نشرت شراع فـلك يـطوف بـك المـزارع لا الـبحـارا
سـألـت الله أن يُـنـمـيـكِ غـصـنـاً نـضـيـراً يُخـجـل الـروضَ ازدهـارا
لأقـرأ فـيـك سِفْـرَ الحسـنِ شرحـاً كـما طـالـعتُـه فـيـكِ اختـصـارا

(*) ـ وصف بها «ليلى» طفلة صديقه الياس عاصي، وقد امتطت حصاناً للنزهة أرخت له العنان، وراحت تبدي من ضروب الفروسية ما يثير الدهشة ويبعث على الاشفاق.

٢٩٤ ـ يمين الحق(*)

[من الوافر]

عـلى جـدث البـطولة قفْ حـزينـا وحـيِّ شـهـيـدهـا والـعـيـن ثـرَّهْ
فـكـم لـيراعـه زارات لـيـث صـداهـا رنّ في أذن المـجـرَّهْ
نـطاسيٌّ أديـب عـاش حـرًّا ومـات لـكي تـعـيش الـشـام حُـرَّهْ
يمـين الحـق في سِـفـر المـعـالي بـدمـع مـؤرخـيـه تخطُّ ذكـرَهْ

٢٩٥ ـ السوري التائه(**)

[من الوافر]

نـأت عـنـك الأحـبـةُ والـديـارُ فـدمـعـكَ والأسى وطـنٌ وجـارُ
وشطَّ بـك المـزارُ فـليس إلاّ صـدى مـا أبقتِ الـذكـرى مـزارُ
كـأنـكَ نـاقـلٌ في الـصـدرِ منهـا طـلولاً بـيـنـهـا دارٌ عـمَـارُ
تـظلُّ جـديـدةً يمـرحـنَ فـيـهـا جـوارَ الـقلبِ أمـكَ والـصـغـارُ
ولا يـغـني عـمار الـدار شـيئـاً إذا طُـمسَ الحـنـينُ والاذّكـارُ
ومـا لـبـنـانُ بـالمـنسيِّ لـكـن جـوار الأهـل يـتـلوه الجـوارُ

* * *

دفـنـتَ ربـيـعَ عـمـرك في بـلاد بهـا طـالـت لـيـالـيـك الـقـصـارُ
يـريـك نهارُهـا عشريـن فـصـلاً لهـا شـرحٌ ولـلحسـن اختـصـارُ
كـأنـك سـاكـنٌ في قـلب أُنـثـى فـليس لهـا عَـلَى حـال قـرارُ
يـبـاركـهـا الـذي قـد حـاز مـالاً وقـيـمـةُ مـالـه ذلٌّ وعـارُ

(*) ـ أرخ بهذه الأبيات وفاة الدكتور سعادة سنة ١٩٣٤ وقد أنشد في الحفلة التأبينية التي أقيمت له قصيدة بائية من الوافر (تراجع في مكانها من الديوان).

(**) ـ في البحر بين «ريو غرندي دو سول» و«سنطس» سنة ١٩٢٠

يــقــولُ لِيَ: المــعــزةُ في جمــاهــا وبئس الــعــزُّ يــفــهــمــه الــتِّجــارُ
ولا يــنــسى هــيــب الــســوطِ إلا ـ إذا مــا شــاهــدَ العلفَ ـ الحــمــارُ

* * *

وقــد لاحَ الــبــوارُ لــكــل عــين ومــا أدراكَ مــا لاحَ الــبــوارُ!
ثــمــارُكَ من طَــوافــك سعيُ نمــل وحظُّ صراصر، بئسَ الــثــمــارُ!
تــروم بمــهــنــةِ الــتــجــوالِ مــالاً وحــظك والــغــنى مــاء ونــارُ
لــك الأســفــارُ والأخــطــارُ مــنــهــا ولــلــغــيرِ الاقــامــةُ والــنُّــضــارُ
فكم من يقــظةٍ لــك في الــديــاجي تــقضّى قــبــلَهــا نــومٌ غِــرارُ
وفي أذُنــيــك صــوتٌ مــســتــمــرٌّ: رشــيــدُ أفِــقْ لــقــد صــفَــرَ الــقِــطارُ
فــتــنهضُ تحــتَ رحمــةِ زمــهــريــرٍ لــه في مــهجــةِ الــشــمــسِ اعــتــكــارُ
ضــبــابٌ كــالغــبــارِ يــشــيــبُ مــنــه إذا مــا لامسَ الأرضَ الــغــبــارُ[1]
كــأنــك قــد فــرشتَ الأرض مِلحــاً بــدا مــنــه بــخــدَّيــك الــبَــهــارُ
فــتــطويهــا قــبــيــلَ الــفــجــرِ طــيــا بــأدهــم «لا يُــشَــقُّ لــه غــبــارُ»
لــه صــدرٌ مــن الــفــولاذ يــغــلي فــيــقــدحُ مــن مــنــاخــره الشَّرارُ
ومــيــضُ الــبــرقِ شــدَّ لــه نِــعــالا وصرَّف في أعــنّــتــه الــبــخــارُ
تــفــوَّفُ تحت حــافــرِه الــفــيــافي وتــعــمــرُ بــاسم مجــراه الــقــفــارُ[2]
جــرت من خلفــه العــربــات قــطرا كــما ســارت بــأهــلــيهــا الــديــارُ
وطــوراً فــوقَ زافــرةٍ ســبــوح لهــا في لجــة الــبــحــرِ اســتــعــارُ
ســفــيــنٍ تحــرث الأمــواج حــرثــاً فيــنمــو في جــوانبــهــا الــبــذارُ[3]
إذا مــا الــنّــوء نــاء بــجــانــبــيــهــا ودار بــرأس راكــبــهــا الــدوارُ
وطــاف المــوج يــغــســلُ منكِــبــيْهَــا وثــار عــلى ســواريهــا الــنــثــارُ
فــطوراً لــلــنــجــوم لهــا صــعــود وطــوراً لــلجــحــيــم لهــا انــحــدارُ
فــفــي الآســادِ بــالــغــزلان زهــدٌ وفي الــبــخــلاء لــلذهــبِ احــتــقــارُ

---

(١) ـ إشارة إلى الصقيع الذي يغمر الأرض في الليالي الباردة.
(٢) ـ تفوّف: تزهر والفيافي: الصحاري
(٣) ـ يعني الطحلب.

نــرى «الـقــرويَّ» يبسِم لـلمنــايــا ولا حــولٌ لــديــه ولا اقــتــدارُ
رزيــنــاً والجــبــالُ بهــا ارتــعــاد بــشــوشــاً والــوجــوهُ بهــا اصفــرارُ
يــرى في سَــورة الــتــيــار حــسنــا عــقــولُ المــلحــديــن بــه تحــارُ
كــأن تــلاطــمَ المــوجِ اعــتــنــاقٌ كــأن مــفــاغــر الــلج افــترارُ
كــزائــر منتــدى الأشبــاح[1] يلقــى بــحــاراً لا يُــبــل بهــا الــســتــارُ

* * *

همــومٌ لا أزال لهــا أســيرا وشر مــصــائــب الحُــر الاســارُ
مــتى يــا ربِّ يُــنــزَعُ غُــلُّهــا عــن يــدي ويُــفــكُّ عــن نــفــسي الحــصــارُ
غــريــبٌ كــنــتُ في وطــني غــريــبــاً ألــيــس لــشــاعــرٍ في الأرض دارُ؟
أرومُ إلى رُبى لــبــنــان عَــودا ويُمــســكــني عــن الــعَــودِ افــتــقــارُ
وكــيــف أطــيــقُ لــلاثــراءِ ســعــيــاً وهــذا الأوجُ سُــلّمُــهُ الــصَّــغــارُ
ولــو حــازت مــن الــدنــيــا يمــيــني يــســاراً لم تــصــاحــبــهــا الــيــســارُ
ولــو خُــيِّــرتُ لم أهــجــرْ بــلادي ولــكــن لــيس في الــعــيــش اخــتــيــارُ

٢٩٦ - في منتزه «شتوره»

[من الوافر]

وصفصــافٍ صفــوفٌ كــالعــذارى هبــطنَ من العــلا، والحَــوْرُ حُــورُ
إذا غــنّى الــنــســيــمُ عــلى ذراهــا وأنَّ عــلى جــوانــبــهــا الــغــديــرُ
فَــلِلأفــنــان تــأويــدٌ قــلــيــلٌ ولــلأوراقِ تــصــفــيــقٌ كــثــيرُ
كــأنَّ غــصــونَها دِبْــقٌ عــلــيــه عــصــافــيرُ تــرفُّ ولا تــطيرُ[2]

---

(١) ـ يعني الصور المتحركة.
(٢) ـ الدبق (بالكسر) شيء يلتصق كالغراء يصاد به الطير.

٢٩٧ - مداعبة(*)

[من الوافر]

إلهي إن حكمك في البرايا بعيد عن مداركنا القصارِ
تجود على الغبيِّ بلا حساب وتحرم شاعراً مرأى النُّضارِ
فوفِّق أيها المولى جواداً كما تقضي بتوفيق الحمارِ

(*) - داعبه صديقه العلامة توفيق قربان بقوله: ماذا لو قلت لك: ما أبيضك وما أسودك وما أحمرك؟! ففكر قليلاً وقال:

روي الزاي

٢٩٨ ـ أنا إن ثُرتُ (*)

(من الخفيف)

أنــا إن ثُــرتُ أو شــكــوتُ فــما ثــرتُ لبُــطلٍ ولا شكــوتُ لـعجــزِ
وشَــكــاتي وثــورتي في يــد الــفــنِّ ـ قــنــاتــان لم تــلــيــنــا لــغــمــزِ
فــيــهــما الجــمــرُ والــنــدى ذا إلى ـ الـعفــو وهــذا إلى الحــميّــة رمــزِي
ليَ سـجــعُ الحَــمام إن سُــبَّ شـخصي وزئــير الـضــرغَــام إن ضــيمَ أرزِي
بســوى الصمت مــا أجبت بــذيئًــا وبغــير الاعــراض مــا كنتُ أجــزِي
إنَّ بـعضَ الــنـفــوس ألــبــسَــهــا الله ـ مــكــانَ الــوجــوهِ أقــفــاءَ مَــعــزِ
غَــرَضِي فــوز أمّــتي لم ـ يكفكـفْنيَ عنه تحرُّش المستـفـزِّ
كــنــتُ أعْــطي أفــلاذ قــلبــيَ لَما كــان غــيري يُعنى بجــمــع الـفِلِزِّ
بَــعُــدَت همــتي فــعــفــت كــنــوز ـ الأرض لمــا عــرفــتُ قيـمة كــنــزِي
لا أبــالي شــبــعــتُ أم جــعــتُ ـ والــفنُّ شرابي وعــزةُ الـنفس خُــبــزِي
ذُلُّ قــومــي ذُلِّي وإن كــنــتُ أغــنى ـ الــنــاس طــرًّا وعــزُّ قــوميَ عــزِّي
قــد نبــذت العيشَ الــرخيَّ ورائــي لاهِــيًــا عــنــه بــالأعــزِّ الأمَــزِّ
والــذي صيــده الضراغمُ لا يُعجِــزهُ أن يــكــونَ قــنّــاصَ عَــنــزِ

(*) نشرت جريدة أن القروي لا يُرى إلاّ ثائرًا أو شاكيًا.

٢٩٩ - لو في يدي(*)

(من السريع)

لــو في يــدي لم أرضَ غــير الـسُّـهـى هــديــةً يــا كــوكــب الأرزِ
لــكــن رأيــت الــوردَ يــا جــنّــتي أصْــلح مــا في الأرض مــن رمــزِ

٣٠٠ - أشهى من التقبيل(**)

(من الطويل)

لضيفِكَ يا «ميشال شلهوب» حرمةٌ وعــزٌّ بــه أضيــافُ حــاتمَ تــعــتزُّ
وتلك خلالٌ في الندى قد عهدتُها بكــل رضيــع المجــد منبتُــهُ الأرزُ
سكبتَ على الزادِ الشهيِّ بشاشةً فــبتُّ ونــفسي لــلبشــاشــةِ تهــتزُّ
أحبُّ إليَّ المــاءُ من خمــر «سبعلٍ» وأشهى من التقبيــل في فمــيَ الخُبــزُ

(*) أهدى إليها باقة ورد وهذين البيتين.

(**) ارتجلها على مائدة صديقه ميشال شلهوب سنة ١٩٣٠

٣٠١ ـ جَرَس الوئام

(من البسيط)

يـا نـاس هـذي وجـوه الحسن سـافـرةٌ ما بـالُكم لا تَـرَوْن الحسنَ يـا نـاسُ؟
مـالي رأيتُ بحـارَ الأنسِ فـائضـةً ولا يُمَـدُّ لـكـم في مَـدِّهـا كـاسُ؟
مـا لي أرى الله بسّـامًـا لكم فـرحًـا وكـلكـم يـا عـبـادَ الله عـبّـاسُ
يـا أهـلَ لـبنـانَ إنّ الأرز جـنـتـكـم يا أهل حمص لكم «عاصٍ» و«ميماسُ»
يـا كل من فـوق سطح الأرض قـاطبـةً لـولاكـمُ لم يكـن في أرضـكـم بـاسُ
لا تـظلمـوا تسعـدوا فـالـظلم تجـربـة يـدعـو إليهـا عـدو النـاس خنّـاسُ
إن الـسـعـادة لـو سـويـتـهـا بشرًا فـالحبّ والعـدل منهـا القلب والـراسُ
شريعـة الحبّ في الـدنيـا تـوحّـدكم مـهـما تـعـدّد أديـانٌ وأجـنـاسُ
لـيـت الأعـاديَ تـبـلوني فـتـعـرفـني حـتى يـطيرَ من الأذهـان وسـواسُ
إني مـواطـنـكـم يـا قـوم فـاتئـدوا وفي المُـواطنِ «عِـرقُ الحب دسّـاسُ»[1]
قلوبنـا لـلهـوى تـدعـو إذا خفـقت كـأنّها في قـبـاب الـصـدر أجـراسُ

٣٠٢ ـ يا شاري الصِّيتِ(*)

(من البسيط)

يـا شـاريَ الصِّيتِ إنْ لم تُعْطَ مـوهبـةً من السّـماء فلن يعـطيكهـا الـنـاسُ
قَصْرُ الـذكـاء عـلى التـذييـعِ آخـرُه عُـقْمٌ وعـاقـبـةُ التـبـذيـر إفـلاسُ

---

(١) مثل عربي.

(*) القطعة رقم ٥١ من مجموعة «موجات قصيرة»

٣٠٣ ـ صدى النفس

(من البسيط)

خَتَّـا مَ أخـرج من يـاسٍ إلى يـاسِ ... وكم أذوقُ وأبقـى طـافـحَ الكـاسِ
لا أبلُغُ الـذروةَ العليـا عـلى قـدمي ... حـتى أنـكّسَ لـلوادي عـلى راسي
كـأنّني مصلحٌ في الشرق مضـطهـدٌ ... مـعـلّقٌ بـين أمـراسٍ وأرمـاسِ
أدعـو إلى الـعمـل المـبرور مجتهـدًا ... ومـدعى الـبر بـين الكـاس والـطاسِ
وأستعـين فـلا ألـقـى سـوى زُمـرٍ ... عـلى الكـراسيِّ بـاسم الخـير جُـلاَّسِ
لم أدرِ والنـاس قـد زاغـوا وقـد فسـدوا ... خوفي من الناس أم خـوفي على النـاسِ
يـا من يـلاطفني هـوِّن عليـك فـلي ... بـالفقر كـل الغنى عن لطفـك القـاسي
عنـدي جـواهـرُ لن تلقى لهـا ثمنًـا ... إن الـعـواطف لا تُـبتـاع بـالمـاسِ
أمـوال «رُطْشِلْدَ» بـالأطنـانِ لـو وُزنتْ ... مـا عـادلت في الغنى مثقـالَ إحسـاسِ

٣٠٤ ـ الدعارة والهوى العذري(*)

(من البسيط)

خـلِّ الخـلاعـة بـين الكـاس والـطاس ... ودع بنـات الهـوى يسـطعنَ بـالمـاسِ
واذرِ الـدمـوع وقـل وا حسرتـاه عـلى ... غصن الشبيبـة مقـطوعًـا بـلا فـاسِ
تـلك الشـوارع إن أمْـرُرْ بهـا غـلطًا ... يـومًـا شعـرت بـأنّي أحقـرُ النـاسِ
وإن سمعت نـداهـا غصت في عـرقي ... مـن الحـيـاءِ ولم أرفـع بهـا راسي
فـامنـح فؤادَك ذات الخِـدرِ طاهـرةً ... مـا في الغرامِ بـذات الخـدرِ من بـاسِ
عـذراءَ وافـرةَ التهـذيب إن نـطقت ... بـالـدُّر أحبس لـلإصغـاء أنفـاسي
كـأن مجلسهـا مـن فـرط هـيبـتـه ... كنيستي والحـديـثَ العـذبَ قُـدَّاسي
فيـه الأنـاجيـل تـوحيهـا العيـون إلى ... نـبيِّ شـعـرٍ رقيـقِ القـلبِ حسـاسِ

(*) في «الريو دي جانيرو» سنة ١٩١٤

٣٠٥ - إنّما الحيّ(*)

(من الخفيف)

إنّما الحيُّ نَسْمَةٌ تتغذّى ... بالنُّسيماتِ من فَمٍ أو معطِسْ
لو حجبنا الهواء عن أنف ليث ... لَهَوى في دقيقة فاقِدَ الحِسّ
فاذكرِ الله يا ابن آدم واشكرْ ... رحمةَ اللهِ كُلَّما تَتَنَفَّسْ

٣٠٦ - دارت الحال(**)

(من الخفيف)

تلك حالُ الدنيا نعيمٌ وبوسُ ... وهو حظّي ما فارَقَتْهُ النحُوسُ
يا رفيقًا يَلقى الأحبةَ دوني ... وبقلبي وجدٌ إليهم رسيس[1]
لم يقولوا غدًا تسافرُ حتى ... رَوِيَت أعينٌ وجفّت كؤوسُ
سرْ على الطائرِ السعيد - تُوافيكَ قلوبٌ ملهوفةٌ ونفوسُ
قل لهم حينَ يسألونَك عني ... إنهُ ذلكَ المحبُّ التعيسُ
نضوُ هَمٍّ يفرُّ من مجلس الأنسِ - لئَلاً يفرَّ منه الجليسُ
وا حَيائي غدًا إذا بتُّ وحدي ... ومضى وجهكَ البشوشُ الأنيسُ
كيف ألقى صحبي ومالي إذا - حُيِّيتُ إلاَّ هذا المحيّا العبوسُ
دارتِ الحال فافترقنا ولولا ... دورة الأرض ما توارت شموسُ

٣٠٧ - عللاني(***)

(من الخفيف)

علِّلاني بالكاسِ إثرَ الكاسِ ... واسقياني حتى تطيرَ حواسي
لستُ شيئًا إن لم أدع عُمَرَ الخيّامَ - خلفي في شربها والنُّواسي

(*) القطعة رقم ١١١ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) عاد رفيقه فرحات قبله من بونس أيرس سنة ١٩٣٤

(١) الرسيس: بقية الشيء.

(***) في عرس ابنة أخيه زكية فيليب خوري وجورج عقل. «صنبول» ١٩٤٣/٥/٢٢

ومتى أعشقُ المدامَ إذا أعرضتُ - عنها في أبركِ الأعراسِ
عرس «جرجي زكيّة» يا لأحلى - الناسِ زُفّت إلى أحبِّ الناسِ
لمْ يلِقْ بالشبابِ إلاّ شبابٌ ما أحيلَى عناقَ وردٍ وآسِ
هكذا فليكُ الزواج وما يثبت - بيتٌ بغيرِ هذا الأساسِ
ولكم في الحياةِ أعراسُ مالٍ مَلأت هذه الحياةَ مآسي
حُرَّةٌ عاهَدَت على الحُبِّ حُرّاً وأبَت خلطَ عسجدٍ بنحاسِ
من زهورِ الجبالِ أطيبُ ما فيها - عفافٌ يغني عن الحرَّاسِ
ذاتُ قدٍّ كالرمحِ يخترقُ الأكبادَ - خلفَ الحصونِ والأتراسِ
ولحاظٍ تحت الحواجبِ سودٍ فاتكاتِ النبالِ والأقواسِ
وفتًى كالربيعِ طلقُ المحيَا طاهرُ النفس طيّبُ الأنفاسِ
كاسبٌ رزقَه الحلالَ بجدٍّ وذكاءٍ ودُربةٍ ومراسِ
يا لَهُ حجةً تقامُ على من زعموا أنَّ ماءَ (زحلة) قاسِ
يا عزيزيَّ لستُ أملكُ إلا ثروةَ الشعرِ فاعذرا إفلاسي
فإذا تُعرَضُ الهدايا فما لي غيرُ هذا المجلوِّ في القرطاسِ

***

تهنئاتٌ صدَرْنَ عن قلب عمٍّ صادقِ الحبِّ شاعرٍ حسّاسِ
رُبَّ عِقدٍ من لؤلؤِ الفنِّ يبقى حين يفنى أغلى عقودِ الماسِ
إن يجئكم غيري بجيبٍ وكفٍّ إنني جئتكم بقلبي وراسي

٣٠٨ - ربّ ما حيلتي(*)

(من الخفيف)

ربِّ ما حيلتي بأشأم طيرٍ ناعبٍ جارحٍ يريدُ افتراسي
أتغنّى فيُعجبُ الناسَ صوتي فأقاسي من كيدهِ ما أقاسي
إن ترضَّيتُه بتحقيرِ نفسي زادَ في غيظهِ احترامُ الناسِ
عبثًا خفضُكَ الجناحَ لجلف ليس يرضيه غير خفضِ الراسِ

(*) القطعة رقم ٩٥ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٠٩ ـ ذَرْهُ يَعْمهْ (*)

(من الخفيف)

ذَرْه يَـعْـمَـهْ في غَـيِّـهِ فيـلسـوفٌ لم يُـصَـدِّقْ إلاّ شـهـادةَ لمسـهْ
ولئـن قـال: ليس لـلمـرءِ نـفسٌ لا تجـادلْـهُ فـهـو أدرى بِـنَـفْـسهْ

٣١٠ ـ أنت إنسان (**)

(من الرمل)

أنـتَ يـا ابنَ الله سـوريٌّ صـميمٌ(١) أفَنَـاس يـا تُـرى أم تـتـنـاسى(١)
كم غـريبٍ لـك قـد صـامَ وصـلّى وعـلـيـنـا آخـرَ الـقُـدّاسِ داسـا
أُخْيِ فيـنـا أنفسًـا مـاتت هـوانًـا علّنـا نـرفـعُ بـين النـاس راسـا
أنـت إنسـانٌ جـعـلنـاكَ إلهـا أفـلا تجعلنـا في النـاس نـاسـا!!

٣١١ ـ المرائي

(من مجزوء الرمل)

قـد عـجـبـنـا مـن مُـراءٍ لان لـلنـاسِ تَجَـسّـهْ
هـو ذئـبٌ في خـروف كـيـف لا يـنهش نـفـسَـهْ

٣١٢ ـ أدب الشارب (***)

(من مجزوء الرمل)

لـعـنَ الله الـسـيـاسَـهْ إنها أصـلُ الـتـعـاسَـهْ
خُـلق الجـاهـلُ مـعـنـيًّـا ـ بمـا يـوجِـعُ راسَـهْ

(*) القطعة رقم ١٠٥ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) صادف «زياحًا» ـ موكبًا دينيًا لبعض الطوائف المسيحية ـ يمشي فيه خلق كثير، يتقدمهم الكهنة رافعين تمثال الناصري، فذكر موقف مسيحيي الغرب من بلاده.

(١) الخطاب للسيد المسيح عليه السلام.

(***) مجلس طرب بين البساتين سنة ١٩٤٥

مقعدٌ بين البساتين - ولا دَستُ الرياسَةْ
فدعوها لذويها واجلسوا كلٌّ وكاسَةْ
كل مالِ الأرضِ لولا - الكيفُ لا يسوى نحاسَةْ
والحياة الحبُّ والمتعةُ - والباقي كُناسَةْ
لا تكن ظلاً ثقيلاً بين أربابِ الكياسَةْ
وانتهبْ يومَك من كفٍّ - غدٍ ينوي افتراسَةْ
أنا لولا العيب أنسيتُ - ابنَ بغدادٍ «نواسَةْ»
غير أني إن حببت الشيء - أحسنتُ التماسَةْ
أدبُ الشاربِ ألاّ يعدوَ الطبعُ قياسَةْ
أين طعمُ الراحِ ممّن عطّل السكرُ حواسَةْ

٣١٣ - قولوا لمن

(من السريع)

قولوا لمن أغرَتهُ بي شيبةٌ تضحكُ من سحنتهِ العابسَةْ
إن أبلتِ الأيامُ ثوبَ الصبا فإنّها قد خشَّنَت لابسَةْ
والعُودُ لا يُفزِعُ كلبَ الفلا إلاَّ إذا صارَ عصًا يابسَةْ

٣١٤ - إلى روح أبي*

(من الطويل)

تُرى كيفَ منكَ الجسمُ يا أبتي أمسى وقد جازَ في مثواهُ تحتَ الثرى خَمْسَا
لعمرُكَ حتى الشمسُ يُطفِئُها الرَّدى وتُسكِنُها الأقدارُ من جوِّها رَمسَا
فلا غدَ من أغدائِنَا مثلُ يومِنَا ولا يومَ من أيّامِنا يُشبِهُ الأمسَا
بذكراكَ عن مرآكَ ألهو تَعلّةً ومثليَ لا يَنسى ومثلُكَ لا يُنسَى

(*) نقلاً عن ديوانه «الرشيديات» المطبوع في «صنبول» (برازيل) سنة ١٩١٦

٣١٥ ـ بُعِثْتَ (*)

(من الطويل)

بُـعِـثْـتَ إلى قـــوم فـــأعيـــاكَ أمـــرهـــم ... ونـالـك منهم كُـلُّ مـا يـوجِـع الـرأسـا
ففــارقتـهـم قسرا وفي الـنفس حـســرةٌ ... ولــو لم تـفــارقْهُـمْ لمتَّ بهـم يـأسـا
إذا لم تــطق بـالقــرب إصــلاح معشر ... فـأصلح بـإزمـاع الـنوى عنهمُ النفسـا

٣١٦ ـ حديثك أشهى (**)

(من الطويل)

حـديثُك أشهى من حنـين «الصبـا» إذا ... أجـادت يدُ العَـوَّاد في الضربِ مَلْمَسَـهْ
وثـغــرك مـبـيض الـثـنــايــا كـــأنمــا ... لـســانُــك فـيــه لــوزةٌ في مُـلَبَّســهْ

٣١٧ ـ الدمعات العشر

(من الطويل)

تـضيـق بيَ الــدنيــا إذا ذكــر الحـمى ... كـأنيَ من عَـرض ِ الـبرازيـل في حبس ِ
ولي كــلَّ يــوم للحمـى ألف رجـعــةٍ ... عــلى ألـفِ فُلكٍ في مـرافئـه تُـرسي
يـســير معي لـبنــان أنّى تــوجّـهـت ... رِكـابيَ لـــو يُـغني الخيــال عن الحسِّ
وقـــالـــوا هـنـــا بحــرٌ وشـمسٌ ورملةٌ ... أبـاللفظِ يعنـونَ الجمـالَ أم ِ الجنس ِ؟
فـــما أبعـــدَ الأســـماءَ عن مُسمَيــاتِهــا ... وأغربَ شمسَ الأرزِ عن هذه الشمس ِ
هبـوا اعتَضْتُ عن دنيا بـدنيـا جـديـدة ... أأعتاض عن أهلِي، أأعتاض عن نفسي
أأعتـاض بـالـذكـرى عن الحبِّ واضعًـا ... بكفي أكــاليـلَ الــزهـورِ عــلى رمسي
وأعـجـب مـنـــه قـــولهم: لم تــزل فـتًى ... فــماذا رأوا مـــني وقـــد جـهـــلوا أمسي
فـتـــوَّةُ نـفس ٍ كـــرُّهـــا لا اتّـقــاؤهـــا ... إذا فُـلَّ سيفي فـالســلام عـلى تـرسي
أعِفُّ عن اللذّاتِ حِـرصًـا عــلى البقـا ... فـأسقي الردى خمـري لتسلمَ لي كـأسي

(*) القطعة رقم ٩٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) بيتان مستخرجان من مخطوطاته، دوّنهما في رسالة إلى أخيه وعلّق عليهما قائلاً: «هو وصف مخترعٌ كما لا يخفى».

٣١٨ - أراني (*)

(من الطويل)

أراني وتـابـوتي يُـدَلّى كـأنّـني ... بـأحشاء حـوتٍ غاصَ في لجّة الرَّمسِ
وقـد كنت في سجن بخمس نـوافـذ ... فعُـطِّل سجني من نـوافـذه الخمسِ
ولـو لم أكن مُغرًى بنقضِ أساسـه ... لعشت طـويلاً نـاعم البال في حبسي
تـقـدّم نفسي شهـوة الجسم حجّـة ... ومـا الجسم إلاّ آلـةٌ بـيـد الـنفسِ

٣١٩ - عرائس الإلهام (**)

(من الطويل)

إلام تـبيت الليـلَ رَهْـنَ الهـواجسِ ... تـطوف بـوادي عبقـرٍ شِبْـهَ يـائسِ
وحـولَـك من لُبنـانَ في كـل مسرح ... مَـرَاحٌ ومَـغْـدًى لـلظبـاءِ الأوانسِ
نـواعسُ أجفـانٍ إذا سهّـد البُكـا ... عيـونَ اليتـامى كُنَّ غـيرَ نـواعسِ

(*) القطعة رقم ٧١ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) أنشدها في نادي خريجي الجامعة الأميركية ببيروت مساء ١٩٥٩/١٢/٢٧ أثناء الحفلة التكريمية التي أحيتها له جمعية إنعاش القرية. وللثورة النفسية البارزة فيها قصة نجملها في ما يأتي:
في أمسية شعرية أحيتها له جمعية الخريجين المذكورة، ربيع تلك السنة، وازدانت بنخبة من أرقى سيدات المجتمع اللبناني وسادته، هزّت الأريحية العربية عطف الشيخ الجليل عبدالله الجابر الصباح مدير معارف الكويت، فوجه إليه نفحة من عطر ثنائه وإعجابه، وشفعها بهدية مالية مقدارها اثنا عشر ألف ليرة لبنانية-تصرف له كل سنة ما دام حيًّا. فوجىء الشاعر بهذه المكرمة النادرة وبدا عليه التردّد. ثم عنّت له فكرة خيرة سكنت نفسه. فشكر واعتذر بأن الجمهورية العربية المتحدة خصصت له معاشًا محترمًا يكفيه، ولكنه يتقبّل الهبة ليقوم على إنفاقها في سبيل العلم. وأنجز المحسن الحر ما وعد. وتولى هو الإنفاق مسترشدًا برأي بعض الخبراء من أولي الفضل والعلم والتقوى، بيد أن صديقًا، لسبب لا يزال يجهله أقام نفسه عليه رقيبًا. . فشرع يناقشه في كيفية التوزيع. وهوية الموزع عليهم. ويغاضبه دونما تورّع أو إشفاق، وهو أدرى الناس بانهيار صحته وضعف قلبه. . وبلغ منه أن أعلن في جريدة سيارة بأسلوب عصبي ناطق بالتهمة والتعريض بالأمانة. مما أثار شجونه واستفزّه إلى إطلاق هذه النقمة.

زنـابقُ طـهـر مـا تحـلّل مسُّـهـا ... ولا شمُّـهـا إلاَّ لـشُمّ المـعـاطس
حـوالٍ وراءَ الـدرِّ بـالعلم والحِجَى ... روافـلُ بـالأخـلاق تحت الأطـالس
أيستلهم الـغيـلانَ في القفـرِ واجـدٌ ... من الإنس حُـورًا رُتّعًـا في الفـرادسِ
ويسـأل عن جنِّيَّـةِ الـشعـرِ مَنْ لَـهُ ... عـرائسُ إلهامٍ كهـذي العـرائسِ ؟

* * *

نجيّـةَ روحي ، بنتَ قـومي ، تحيـةً ... ذكَتْ كبخور العيدِ مِـلءَ الكنائسِ
وشكـرَ غـريبٍ عـن أخيـه وأختِـه ... فـقـيرٍ إلى القـلب الحنـون المـوانسِ
أرى النـاسَ حـولي لا يُعَـدُّ عـديـدُهم ... ومُـعْـظَمُهُـمْ في كـلِّ أمـرٍ مُعَـاكسي
أودِّعُ صـفـوي حـين أُدْعَى لمـجلسٍ ... فَـوَا فَـزَعي من جـوِّ تلك المجـالسِ
أَبَشُّ لجُـلاَّسي وأقضي حـقـوقَـهـم ... ويُعْمي عُيـوني بالـدُّخـانِ مُجـالِسي
فـرائسُ إدمـان أُجـازَى بـذنبـهـم ... قتيـلاً بقتـلاهـم فـريسَ الفـرائسِ
إذا مـا سَعَلْنـا خِـلتَنـا في تنـابـحٍ ... أوَ انَّ السّعَـالى قـهقـهت لـلأبـالسِ
فـلم أرَ كـالتـدخـين في الضرِّ عـادةً ... مـقـاربـهـا يـؤذى بهـا كـالممـارسِ

* * *

رويـدك رَهـنَ المَـحْـبِسَـيْن فـإنَّـني ... من الـزهـد والحِـرمـان رهْنُ المحـابسِ
أمـرُّ مـن الحُـسّـادِ في كـلِّ بـلدةٍ ... بـأطـلالِ أخـلاق كـبيـتي دوارسِ
ضَنِنتُ عـلى نفسي لأنـفـع غـيرَهـا ... وعشت كـأهل البؤْس من أجـل بائسِ
ولـولا إبـاءٌ عــن جـدودي ورثْتُـه ... لبِتُّ الليـالي غـارقًـا في الـطنـافسِ
يفيض عـليَّ السعـد من كـل جـانبٍ ... فـأجعله وقـفًـا عـلى كـلِّ تـاعسِ
كـأنيِّ طَـوْدٌ كـلَّلَ الـثـلج هـامـتي ... وفاضت سفوحي بالعيون البواجسِ [1]
عـدمـت نـظيري في وفـائي لأمـتي ... فقـلَّ عشـيري حـين قـلَّ مجـانسي
فـلا أشرب «الـوسكي» يصـدِّرهـا العـدى ... ولـو كنتُ عِلقَ الخمرِ من عهد «بَاخُسٍ» [2]

---

(١) العيون البواجس: المتفجّرات دمعًا.
(٢) «باخُس» إله الخمر عند الأقدمين.

ولا كنت للمستعمرين مهادنًا ... ولا ابتعتُ منهم منذ جيل ملابسي
وكم غادةٍ في الغرب أنكرت حبَّها ... وأعرضتُ عن أملودها المتمايسِ
كعنترة العبسيِّ إن يدعني الحمى ... إلى البأس إلا أنني غير عابسِ
وما ضرَّني ألاَّ أسل مهندا ... وأوريَ زندًا من وراء المتارِسِ
فربَّ خطاب لي يسوق كتيبة ... وقافية ترمي العِدا بالفوارسِ
وكم غارة لي «بالأعاصير» حمحمت ... وضجّت بأبطال الجهاد الأشاوسِ
بروحي ملأت الأرض نسلاً مباركا ... بنيَّ تلاميذي. بناتي مدارسي
بتلقيح أفكار وغرس مبادئ ... سلوا كل أحرار الحمى عن مغارسي
تناسَلُ أرواحُ الورى كجسومهم ... فيا ليَ شيخًا عانسًا غيرَ عانِسِ

* * *

وشيخ كريم أطربته قصائدي ... وهزَّته هزَّ العضب في كفِّ فارسِ
فأسنَهَني ما دمتُ حيّاً هديةً ... تليق بسلطانٍ على العرش جالسِ[1]
تفجّرُ نِفطًا أسودًا فيردُّها ... بيمناي نِبراسَ الليالي الدوامسِ
ككفِّ أميرٍ «جابرٍ» كل عثرةٍ ... ووجه «صباحٍ» داحرٍ كلَّ دامسِ
على عبقريَّات البلاد حبستها ... وأعظِمْ بمحبوسٍ عليه وحابسِ
فلا هي عندي في البنوكِ تجمَّدت ... ولا ذابَ منها درهمٌ في الخسائسِ
أسالت لعابَ الطامعين وأوجَدت ... لُمرخِصِها ألْفي حسود منافسِ
يحاولُ سبقَ الموتِ في حجب غيثِها ... بقلبٍ جديب الحس كالصخرِ يابسِ
ولا خير في خلٍّ نُشيدُ بحبّه ... جهارًا ويجفونا لهمسة هامسِ
نودِّعهُ عند الرَّواح بقبلةٍ ... ويغدو كأنّا بيننا حرب داحسِ
لتنفثْ أفاعي الغدر كلَّ سمومها ... ويضربْ عداتي سادسًا إثرَ خامسِ
فما كان صدري للضغينة موطِنًا ... ولا كان رأسي معملاً للدسائسِ
شغلت بموسيقى الكواكب مسمعي ... مناطَ الثريّا عن هميم الخنافسِ
«شهابيَ» رأيي في الخطوب «وناصري» ... يقيني بأنَّ الله لا شكَّ حارسي

---

(١) أسنهني: أعطاني كل سنة هديّة.

٣٢٠ - لما أطلَّ(*)

(من الكامل)

كـانت لمرجعيـون أعـظم فـرْحـةٍ هتف الرجـال بهـا وزغـردتِ النِسـا
لَمـا أطـلَّ مـن المهـاجـر كـوكـب بهـرَ العـيـونَ سنـاؤه والأنـفـسـا
واختـارَ أجمـل نجمـةٍ عـزّت عـلى كـل الكـواكب قبـله أن تـلمسـا
لم تـشـهـد الأفـلاك إذ وقـفـا معًـا عـرسًـا سماويًـا أحبّ وأقـدسَـا
هـل قـبـل أن يـتـكـلّلا أحـدٌ رأى شمس الضحى زفّت إلى قمـر المسـا

٣٢١ - سَرَّحت برغوثا(**)

(من الكامل)

سَرَّحـت بُـرغـوثًـا لأرهس نمْـلَةً ولـطالمـا حـاولـت ألاّ أرهْـسـا
عـن نـيّـة الإنـسـان لا عـن فـعـلِه حـاسبه حـين تقـول أحْسَنَ أم أسـا

٣٢٢ - أكْرِمْ(***)

(من الكامل)

أكْـرِمْ بجـاليـةٍ «بسنـطس» شيّـدت دارَ الـعـلوم وأوقـدتْ نـبراسَـهـا
قـد عفْتُ في مرَح الصبـا كَـأس الـطلى واليـومَ قبل الشَرب أشرب كـاسهـا(١)
إن كنت من زهـدي أعَـدّ ضريـرَهـا فـالآن من طـربي أعـود «نُـواسَـهـا»
هي عصبـة في الغـرب تـبني لـلعـلى وهـوى الشـآم مُسَـعَّـرٌ أنفـاسـهـا
لم يُنسـهـا طـولُ البـعـاد أصـولَهـا ولكم فـروعٍ أنكـرَت أغـراسهـا(٢)

(*) تهنئة بزفاف ضحى أبي شهلا إلى عمر نوفل.

(**) القطعة رقم ٣٩ من مجموعة «موجات قصيرة».

(***) من خطاب ألقاه في حفلة تدشين دار علم شيدتها الجالية السورية في مدينة سنطس بالبرازيل شهر تشرين الثاني ١٩٣٤

(١) الشرب بفتح الشين: جمع شارب.

(٢) في المخطوطة «ولكم ثمار» بدلاً من «ولكم فروع».

ألـثـمْ بـخـافـضـةِ الجبـين ذليـلةٍ تـهـوى أعـاديَهـا وتـكـره نـاسَـهـا
مـاذا يفيـد النفس إن وجـدت غنى في غـربـة فقـدت بها إحسـاسهـا[1]
ذي داركـم دار المعـارف والـنهـى قَـرَعت لمن ضلوا الهدى أجـراسهـا
حـوكـوا لهـا العَلَم المربَّـعَ واجعلوا مجـدَ العـروبـةِ بـرجَهـا وأسـاسَهـا
فـبمـثلكـم يحيـا الحـمى وبمـثلكـم تـعـتزّ سـوريـا وتـرفـع راسـهـا

٣٢٣ - الحق لا يتجنّس[*]

(من الكامل)

حـدِّث فـإنـكَ صـادقٌ يـا «طُرُسُ» مـا الـلامسُ الـرائي كمـن يتـلمّسُ
قـل يـا غـريبَ الجنسِ عنَّا مـا تـرى حـقًّـا، فـإن الحـقَّ لا يـتـجـنسُ
مـن لم يـكـن حـرًّا فـليس بشـاعـرٍ ولَـوَ انَّ مـا نـظمَ الأرقُّ الأنـفَسُ
الشمسُ قـد رسمت فمُـرٌ أن ينـظروا ولعلهـم عُمْـيٌ فمُـرْ أن يـلمسـوا[2]
هيهـاتَ مـا سمعـوا ولا نـظروا ولـو سـمـع الأصـمُّ وأبصر المـتـلمِّسُ
إنَّ الألى بـاعـوا الضـلالـةَ بـالهـدى لا يـؤمـنـون ولـو أتـاهـم «بـولسُ»
ولـعـلَّ وسطَ الجـمـعِ منهم زمـرةً جـاءَت توصـوص بيننـا وتـوسـوسُ[3]
تسعى لسـادتهـا بـنقـلِ حـديـثنـا وتـكـاد لـلإصـغـاءِ لا تـتـنـفّسُ
يـا مـن بسـحـتـوتٍ يـبيـع بـلادَهُ مـات الفـرنـكُ إلى متى تتجسسُ[4]
أسيـادُك الإفـرنـجُ مـا زالـوا عـلى إصـلاح سـوريّـا إلى أن أفلسُـوا!!
يـا لَـلمـروءَة: كـم عـلى عمـرانها وقفـوا وكم لفلاحهـا قـد أسسُـوا!!!

(١) هذا البيت موجود في المخطوطة دون المطبوعة.

(*) ألقاها في الثاني عشر من شهر آب سنة ١٩٢٦ في حفلة خطابية أحييت في كازينو «أنتارتيكا» وكان خطيبها الرسمي الكاتب والشاعر البرازيلي بولس طورس الشاهد العياني الذي زار سوريا أثناء الثورة الدرزية مراسلاً لعدة صحف برازيلية.

(٢) إشارة إلى الرسوم التي عرضها الخطيب بالفانوس السحري ناطقة بظلم الفرنسيس.

(٣) توصوص: تُصغِّر عينيها لتستثبت النّظر.

(٤) كان الفرنك الفرنساوي حين نظم هذه القصيدة قد بخس ثمنه حتى أوشك أن يتدهور كالمارك الألماني. السحتوت. السويق القليل الدّسم والثوب البالي.

زعموا الشآم بحاجةٍ لمجدِّدٍ ... نعم المجدِّدُ مدفعٌ ومسدَّسُ!!

وابن الشآم بحاجةٍ لممدِّنٍ ... نعم الممدِّنُ للشعوب الشركسُ.

لا والذي جعل الشآمَ مهذَّبًا ... للعالمين عليه طرًا تدرُسُ

تلك الأنوفُ الشمُّ ليس يُذيلها ... من أعبدِ «السنغال» أنفٌ أفطسُ

والضَّيغمُ العربيُّ ليس يروعهُ ... عند الصدامِ مخنّثٌ «متبرِّسُ»[1]

وحسامُ «سلطانٍ» وهل من سامع ... بحسامِ «سلطان» ولا يتحمّسُ

ملَّ القِرابَ إلى الرقابِ تشوُّقًا ... مللَ الصبيِّ... عليه طالَ المحبسُ

فَنَضاه يُذكِرُهم صلاحَ الدينِ في ... ضرباته لما رآهم قد نسُوا

ومشى إلى الهيجاء يضحكُ واثقًا ... بالنصرِ ليس بمؤمنٍ مَن يعبِسُ

يقتاد كلَّ غضنفرٍ لزئيره ... تجفُ الجبالُ الراسياتُ وتوجسُ[2]

إنْ تجمدِ الأنفاسُ عند لقائه ... فعلى مهنّدهِ تسيل الأنفسُ

يا خير مَن ثبتوا على صَهواتها ... والهامُ تحت نعالها تتكدسُ

ألقوا على الحق الرجاءَ فإنّه ... عارٌ على أصحابه أن ييأسُوا

واستمسكوا بعرَى الدهاءِ فإنه ... في الحرب من كل الفوارس أفرسُ

لا نطمعنَّ بنصرة إلا إذا ... بالحزم أنجدَتِ القلوبَ الأرؤسُ

لا تبدلوا أسدًا بديك إنّه ... إن كان ذا نجسًا فهذا أنجسُ[3]

لكليهما في الشرق واستعماره ... قلبٌ كعَوْسجةٍ وجلدٌ أملسُ

ما في «أوربّةَ» دولةٌ مأمونةٌ ... الكلُّ أعداءُ الشآمِ فكنِّسُوا

وابكوا معي لبنانَ إنّ بكاءَه ... فرضٌ على أهل الوفاءِ مقدَّسُ

النجمُ يعلم كم سهرتُ لأجله ... وغمستُ في الدمعِ اليراعَ وأغمسُ

من دولةٍ يمشي لجمهورية ... نحسٌ تلاه من الطوالع أنحسُ

وطنٌ تحيّرتِ العبيد لذلّه ... وأذلُّ منه رئيسُه والمجلسُ

جادَ المفوَّض بالعليق فحمحموا ... وثَنى عليهم بالشكيم فأسلسُوا![4]

---

(١) المتبرس هو الذي يصطنع عادات أهل باريس ويتخلّق بأخلاقهم.

(٢) وجف: اضطرب ووجس: أضمر الخوف.

(٣) كنى بالأسد والديك عن إنكلترا وفرنسا.

(٤) حمحموا: صاتوا صوتًا دون العالي. الشكيم: جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام.

لا تــســلقــوهــم بــالمــلامِ فــإنهم جلسـوا! وهل نُخبـوا لكي لا يجلسُوا؟
في كــلِ كــرسيٍّ تــســنّــد نــائــبٌ متـكـتِّفٌ أعـمـى أصـمٌ أخـرسُ
فـكـأنَّ ذاك الـبرلمـان خـريـبـةٌ منبـوشـةٌ وهـم الـرسـومُ الـدرَّسُ
لـولا شـفـاعـة «منـذر» لـلعنتهم سلِمَ الفتى الحـرُّ الجـريءُ الكيّسُ[1]
ولْيحيَ كـلُّ مـدافـعٍ عن قـومـه وبـلادِهِ ولْـيـسـقطِ المـتـفـرنسُ

٣٢٤ - الجميع فسدوا

(من الكامل)

لم يبقَ بـين النـاسِ صـاحبُ عفـةٍ فـهـمُ عـلى أجنـاسِـهـم أنـجـاسُ
فـعـلَ الجـمـيـعُ الشرَّ حتى لم يـعـدْ أحـد يـبـالي أن يـراه الـنـاسُ

٣٢٥ - ربي أعوذ

(من الكامل)

ربي أعـوذُ بـعـفـوِك المـأمـولِ من مـكـرٍ ومن زهـوٍ ومـن وسـواسِ
مـا لي إليـك سـوى الـرجـاءِ وسيلةٌ فـمـآثـمـي تُـربي عَـلَى أنـفـاسي
هَـؤُلاءِ إخـواني الألى مـن رأيـهـم رأيـي ومن إحـسـاسـهـم إحـسـاسي
عشقـوا الحمى متنزهـين عن الهوى وسـخـافـةِ الأديـانِ والأجـنـاسِ
قـد أجزلـوا أجـري فضـاعفْ أجـرهم فقيـاسُ جـودِك فـوقَ كـلِّ قيـاسِ
ربي أنِـلْني مـن ثـنـائِـكَ لـفـظةً أمحـو بهـا خَـجَـلي وأرفـع راسي
مـاذا يفيـدُ غِنـاي من مـدحِ الـورى وأنـا أمـامَ رضـاكَ في إفـلاسِ
يـا عـارفًـا سرّ القلوبِ وكـاشـفًـا عُـريَ النفـوسِ وراءَ ألـفِ لبـاسِ
فـرِّحْ أبي بـين المـلائـكِ بي كـما فـرَّحـتَ أمِّـيَ بي أمـامَ الـنـاسِ
أنـضِـجْ عنـاقيـدي وروِّقْ خمـرتي وامسـحْ بمنديـلِ الـطهـارةِ كـاسي

(١) لم يخل المجلس من نواب جهروا بالحق حينًا ثم خفتت أصواتهم. وأصل هذا البيت في المطبوعة: «لولا شفاعة بعضهم»، لكن الشاعر شطب كلمة: «بعضهم» ودوّن مكانها كلمة: «منذر».

واسكبْ عَلَى قلبي من الراح التي | لك نحسُها من غير كفِّك حاسي
خمرًا تسيلُ عَلَى جوانبِ مذبحي | وتخالطُ الأسرارَ في أقداسي
نارًا مطهّرةً تشبُّ بمهجتي | وتفيضُ أنوارًا على قرطاسي
سُورًا تثور على التعصّب والهوى | والبغي ثورةَ عاصفٍ كنّاس
شعرًا كأنفاسِ الصباحِ إذا سرَت | بالأرزِ وانعطفَت عَلَى الميماسِ
معنًى ترنُّ به الطروسُ كأنّه | يسري من الكلماتِ في أجراسِ
أدبًا عَلَى الخُلقِ المتينِ أساسهُ | لا خيرَ في أدبٍ بغيرِ أساسِ

٣٢٦ - صفعة(*)

(من الكامل)

جادَ العزيزُ على الذليل بصفعةٍ | تركَتْ بصحنِ الخدِّ طابعَ خمسِهِ
ومضى العزيزُ يحكُّ راحَةَ كفهِ | ومضى الذليلُ يحك جِلدةَ رأسهِ
فظننتُهُ احتمَلَ الهوانَ لحكمة | حتّى يعودَ بسيفِهِ وبترسِهِ
ولبثت أنتظرُ الجبانَ لكي أرى | من بعد حكمتِهِ طلائعَ بأسهِ
حتى عثرت به الغداةَ كأنّه | نسيَ الذي قد ذاقه في أمسهِ
فسألت عنه فقيلَ هذا من سعى | ليحكِّم الجنسَ الغريبَ بجنسِهِ
فأجبت لا عجبٌ إذًا لهوانه | ولكنت أعجبُ لو سمعتُ بعكسهِ
من كان يرضى بالهوان لشعبه | لا بدعَ أن يرضى الهوانَ لنفسهِ

٣٢٧ - أهنيك(**)

(من المتقارب)

أهنّيكَ لا بل أهنِّئُ نفسي | فصفوكَ صفوي وأنسُكَ أنسي

(*) أهين أحد الصحفيين الذين قضوا العمر في خدمة الاستعمار من موظف إفرنسي في حفلة عامة - «صنبول» سنة ١٩٢٥

(**) في عرس «زكية» كريمة صديقه نخلة جبران.

ولا بـدعَ أن حـبَّ مـثـلَك مـثـلي فـربّـةَ خمـرٍ وماءٍ بـكـأسِ
فـيـا (نـخلةَ) الـنـاس إنـك روضي ويـا قـمـر الأهـل إنـك شـمسي[1]
يُـفَـسِّـحُ تـذكـار ودِّك ضَـنـكـي كـأني حَـشَـرْتُ الـفـضـاءَ بـحـبسِ
ويُـدني إليَّ الـسـعـادة حـتى لـيـذهـلني عـن حـقـيـقـة نـحسي
كـأنَـك في الحـبّ عـينُ لـعـيـني وقـلب لـقـلبـي ورأس لـرأسي

٣٢٨ - شهيد العلم[*]

(من الوافر)

شـهـيـدَ الـعلمِ روَّعـتَ الـنـفـوسَـا وعـطّلتَ المـحـابـرَ والـطروسـا
عـهـدتُ الـبـرقَ ضـحّـاكًـا فـمالي أراهُ وقـد نـعـاك لـنـا عَـبـوسـا
تـكـنّـفـنـا بـأشـبـاحِ المـنـايـا كـأنَّ الأرضَ قـد نُـبشَـت رمـوسـا
ومـا كـخـسـارةِ الـعـلماءِ خـطبٌ يجـولُ بـه نـعـيـمُ الخـلدِ بـوسـا
وخـير الأنـبـيـاءِ نـبـيُّ عـلمٍ يـداوي داءَ أُمـتـهِ الـرسـيـسـا
وإنَّ مـعـلمـي تـاريـخَ قـومـي أحـبُّ إليَّ مـن عـيسى ومـوسى
أنـلني مـقـعـدَ الـتـلمـيـذِ مـنـه وخـلٍّ لـكَ الـكـنـيـسـةَ والـكـنيـسـا
وخـيرٌ مـن مـعـاهـدنـا طـلولٌ تـلقِّـنـنـا دوارسُـهـا دروسـا
وتهـمـزنـا إلى اسـتـحـيـاءِ مجـدٍ صريـع الـذُلِّ بـالأقـدامِ ديـسـا
إذا الـتـعـلـيـمُ لم يجـعـلكَ حُـرًا فـأعـمـلْ في حـدائقـه الـفؤوسـا!

* * *

رسـولَ الهَـدْي كم أخـرجتَ سفـرًا نـفـيـسًـا لم يـدع سـفـرًا نـفـيسـا
بـذذتَ ابـنَ المقـفَّـعِ فـيـه بـذًّا وكـدت تـزحـزح الشيـخَ الـرئيسـا
بـتـرجَـمـةٍ تـعـيـد الأصـل فـرعًـا لهـا يحـني الجـهـابـذة الـرؤوسـا
مـلأتَ صـدورنـا أدبًـا وعـلمًا ولم يمـلأ لـك الـتـعـلـيم كـيـسـا
ولـو أُعـطيـتَ مـال الأرض طـرًّا لمـا وُفِّـيـتَ مـن غـال خـسـيـسـا

(١) يلقبه اله بالقمر.

(*) رثى بها الأستاذ العلامة داود قربان سنة ١٩٣٥

فإن تُحجبْ عن الأبصارِ إنّا نعزّي عنك بالخلف النفوسا
«بنصر» قد هزمنا اليأسَ عنا و«بالتوفيق» بذدنا النحوسا
نَهِيٌّ يُرقِصُ النادي خطيبًا ويُسكر عصبةَ النادي جليسا[1]
تَفرَّدَ في فنون القول حتى كفانا أن نعدَّ وأن نقيسا
فلو كَذكائهِ اتّقدَت ذُكاءٌ عذرنا في عبادتها المجُوسا
لأعمتنا المصيبة فيك لو لم تكن يا بدرُ أطلعتَ الشموسا

٣٢٩ - اللطف

(من الوافر)

رأيتُ اللُّطفَ يقهرُ كلَّ خصمٍ فكنْ ماءً إذا حَمِيَ الوطيسُ
وجِدْ. ولئنْ يكنْ لك قرنُ ثورٍ متى أبدت مناطِحَها التيوسُ
إذا الأقدامُ جالتْ مَعْ رؤوسٍ فأوّلُ مَنْ شكا الألمَ الرؤوسُ

٣٣٠ - العمّال

(من الوافر)

مضى عصرُ النخاسةِ من زمانٍ ولاحَ على البريّةِ غيرُ شمسِهْ
زمانٌ كان فيه العبدُ يشقى ليسعدَ قلبُ سيدهِ بنحسِهْ
ويبْخَسَ حقه بخسًا فيغضي على بلواه مرتضيًا ببخسِهْ
فما بال الغنيِّ يعيدُ عهدًا طواه المصلحونَ بقاعِ رمسِهْ
إذا مَا الجائعُ استعطاه فلسًا يحوِّلهُ على المولى بفلسِهْ
يرى أطمارَ عاملِه دمِقسًا (وحضرته) غريقٌ في دمَقسِهْ[2]
فلولا لمسُهُ للنسجِ ثوبًا لما أذِنَ الغنيُّ لهُ بلمسِهْ
يحيّكهُ ويشريهِ عزيزًا فيُرهَقُ في حياكتهِ ولُبسِهْ

---

(١) النُّهِيُّ (وازن نبيّ): العاقل.
(٢) أطمار: جمع طمر وهو الثوب البالي. الدِّمقس: الحرير.

فــلا عــجــبٌ إذا مــا هــاجَ يــومًــا وحــطّم رأسَ ســيــده بــفــأسِــهْ
وأمــعــنَ جــمــعــهُ ســلــبًــا ونهبًــا لــيــجــنيَ عَــنــوةً أثــمــارَ غــرسِــهْ
فقــد حــان الــزمــان لــوضــع حــدٍّ لــظلمِ المستــبــدِ وســحــقِ رأسِــهْ
وقــد حــان الــزمــان لــدوس فلسٍ يهــدِّدُ كــلَّ ذي بــأس بــبــأسِــهْ
يــكــلِّف جــمــعُــهُ قــتــل الــبرايــا ويُــنــفــقــهُ الــغــنيُّ لــقــتــلِ نــفــسِــهْ

٣٣١ - كأنّي سرت (*)

(من الوافر)

كــأنّيَ سرت مــن أدبي بــقــفــر ومــالي مــلــجــأ مــن حَــرِّ شــمــسِــهْ
خــيــالي جَــنَّــةٌ لــكــن لــغــيري ومــن ذا يــســتــظِلُّ بــظلّ نــفــسِــهْ

(*) القطعة رقم ٤٠ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٣٢ - ضيّعتَ مُلكا(*)

(من السريع)

ضَيّعتَ مُلكًا واسعًا حازه دونك من نام على القشِّ
رُبَّ مليك تاجُه فنُّه أنزله الغِرْشُ عن العَرْشِ

٣٣٣ - في المنام(**)

(من مجزوء الكامل)

سُلطانُ يا سيفَ الحمى المسلولَ، والسهمَ المُراشَا
عش للجهاد، وذكرُك الميمونُ للتاريخ عاشَا
حاشا لمثليَ أن يصغِّرَ من مقامكَ ألف حاشَا إن كنت سلطانًا فكيف يجوز أن أدعوك باشَا؟!

٣٣٤ - حربنا الأهلية

(من المتقارب)

تَخِذْنا الصليبَ شعارًا ورحنا لسفكِ الدماءِ نسوق الجيوشَا
نذبِّح أطفالنا كالفراخِ ونُبكي المسيحَ لنُضحكَ موشَى
فصارت قُرانا قبورًا وأمست أسرَّتنا الحالماتُ نعوشَا
وتهنا على الناس عجبًا كأنّا دككنا عروشًا وشدْنا عروشَا
فكم ألفِ مليونِ عامٍ ستمضي لكي نرتقي ونصيرَ وحوشَا؟

(*) القطعة رقم ٨٢ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) رأى في المنام أنه التقى سلطان الأطرش ولم يخاطبه بلقبه (الباشا). وأن أحدهم نبهه إلى ذلك فأنشده هذه الأبيات. «صنبول» تموز ١٩٥٦

٣٣٥ ـ يا بلبل الشعر(*)

(من السريع)

يا بلبلَ الشعر الذي قلبه ... على تواشيح القوافي رَقَصْ
طِرْ وانتهبْها في الهوى فرصةً ... فلذة العيش انتهابُ الفُرَصْ
قيدت يمناك بقيد المنى ... فلتجرعِ الأحرار منا الغُصَصْ..
كم قفصٍ عُلِّقَ في جنّة ... وجنة الأحباب ضمن القَفَصْ

٣٣٦ ـ كأن هذا الدهر(**)

(من السريع)

كأنَّ هذا الدهر يخشى إذا ... أنقص من بلوايَ أن ينقُصا
ما هادَنَتْ قلبي مُلِمّاتُه ... إلاّ كما تعلو وتهوي العصا

(*) في خطبة صديقه الشاعر حسني غراب في ١٩٣٢/١٢/١٧ أنشأ قصيدة بائية من ١١ بيتًا على المتقارب (تراجع في مكانها من الديوان). ثم ارتجل بعد القصيدة هذه الأبيات.

(**) القطعة رقم ٨٨ من مجموعة «موجات قصيرة».

روي الضاد

٣٣٧ - من كان(*)

(من البسيط)

لا تُلهِكَ الأرضُ عن صُلبٍ وعن رَحِم ... ما في التُّرابِ عن الأحبابِ مُعتاضُ
من كان في الشرقِ أو في الغَربِ مولِدُهُ ... فالعرقُ بالدَّمِ لا بالتُّربِ نبّاضُ

٣٣٨ - بين السماء والماء

(من البسيط)

لله باخرة راحت تميل بنا ... يعلو بها الموج طورًا ثم يخفضُها
قولوا لها وهي لا تنفكُّ صاعدة ... حتى السما عن طريق البحر نرفضُها

٣٣٩ - خرخي(**)

(من السريع)

وا طُولَ تحنانِ الفؤادِ الكئيبْ ... إليكَ يا ابني يا محيّا الرِضَى
يا سَنَدي في يوم عجزي القريبْ ... قد كنتُ أرجو بكَ أن أنهَضا
أما كفى يا موتُ أنّي غريبْ ... وأنَّ زهوي كشبابي انقضى
حتى هصرتَ الغصنَ غصني الرطيبْ ... في لمحةٍ كالبرقِ إذ أومضَا
هل كنتَ تستكثرُ أجرَ الطبيبْ ... عليهِ أم تُشفِقُ أن يمرضَا؟

(*) ارتجلها في مجلس جمع نفرًا من شباب العرب المولودين في البرازيل.

(**) «خرخي» بالأسبانية أو جرجي بالعربية هو ابن صديقه سمعان موسى في «بونس أيرس»: صدمته سيارة فقضت عليه في ميعة العمر فقال بلسان والده:

غــادرتَ ثـكــلانَ وثـكــلى لهــيــبْ	قـلـبيـهــا يُــذكـي بَـليــلُ الـغـضَــا
أمًّــا تُـقضِّي عـمــرَهــا بــالـنـحـيـبْ	ووالـــدًا يـشـكــو الـقـضــا لـلقـضَــا
مــقـلتُــهُ فـوقَ تــرابِ الحـبـيــبْ	وروحــهُ تــائـهــةٌ في الــفـضَــا
تـــوصي «بخـــرخي» كـــلَّ نجم يغيبْ	عســاه مـاضٍ حيثُ «خـــرخي» مضَى

٣٤٠ - فكم مقلةٍ(*)

(من الطويل)

قضى حـــاكـم الصـلح الـنــزيــه بـعلةٍ	تحارب لاستئصـالها الـطبُّ والقضــا
ففـــاز القضـا من بعــد خمسة أشهــر	تحمَّـلَ فيهـا الـداءَ بـالشكــر والـرضى
فكم مـقلةٍ سـحَّتْ عـلى فـقــده دمًــا	وكم مهجــةٍ شبَّتْ بهـــا شعـلة الغضى
وكم صــاح مــع هـــذا المؤرخ آسـف	سليم بن طنـوس بن منصـور قـد قضى

٣٤١ - لئن عابني

(من الطويل)

لئــنِ عــابــني الأعــداءُ أنِّيَ نَــاحــلٌ	وكنتُ وضيـعَ القـدرِ في نــظرِ البعضِ
فــإنَّ مـضــاءَ السـيـف مــا رقَّ حــدُّهُ	وما قيمةُ الإنسانِ بالطول والعرضِ
ومـــا حطَّ من قـدري التـــواضـــعُ إنني	أرى البحـرَ في أدنى مكــانٍ من الأرضِ

٣٤٢ - روحي فداه

(من الكامل)

من لي بــأنفــاسِ الحبيبِ تُســلُّ مــن	نسمــاتِ أسـحــارٍ سرَت عن أرضِــهِ
لأصــونَها في حِــلْيــةِ كــفــؤادِهِ	أو كــانــطبــاقــةِ جفنــهِ في غمضِــهِ

(*) رثى والده سنة ١٩١٠ بقصيدة من الوافر على روي الدال المكسورة (تراجع في مكانها)، ثم أرّخ وفاته بهذه الأبيات.

وأشُمَّ منها كلَّ يوم نفحةً تغني بظاهر ختمها عن فضِّه
قمرٌ كروحيَ نازلٌ في أضلعي وكمثل روحي عاجز عن قبضه
رفض الوصال فلم أعِدْ تسآلَهُ وازددتُ إكرامًا له في رفضِه
روحي فِداهُ إذا قضى حقَّ الهوى وأعزُّ من روحي إذا لم يقضِه
إني رضيتُ بحجبه عن ناظري صونًا لعرضيَ في الغرام وعرضِه
كيف التسلّي بعد ما أحببته حبًّا يُجنُّ العاقلونَ ببعضِه
أحببتُهُ، أحببتُهُ، وأحبُّهُ ما دام لي قلبٌ يجودُ بنبضِه
وأشدُّ ما أهواهُ حين أسُبُّهُ متظاهرًا عند الوُشاةِ ببغضِه

٣٤٣ - الداء العياء(*)

(من مجزوء الوافر)

أبيتُ جوارَها أرضًا بغيرِ الذُّلِّ لا ترْضَى
بلادٌ خسفُها أمسى على أبنائِها فرضا
عجيبٌ أنني مَيْتٌ وعيني لم تذقْ غمضا
يصافحني الشقا ضمًّا ويلثِمني الأسى عضا
أجُسُّ يدَ الرجاء فلا أحسُّ لقلبِه نَبْضا
همومٌ في نواحي الصدرِ يزحَمُ بعضُها بعضا
فقلبي صار مستشفى وكلُّ جَوارحي مَرضى

* * *

بلادي أين سيفُ العزم - في وجهِ القضا يُنضى
وأين رجالُكِ الآسادُ - تنهضُ للعلى نهضا
لَكَمْ أنجبتِ من بَطَلٍ كنَصْلِ السيف بل أمضى
فلِم لا تُنبتين اليوم - إلاَّ الحقدَ والبغضا
أأمطرتِ السما سمًّا فأمسى روضُنا رمضا

(*) رحلة سنة ١٩١٠

وداءُ عدائِنا استعصى وبيتُ قضائنا انقضّا
أرى العربيَّ والغربيَّ - ذا نومًا وذا ركضا
ومن أبنائهمْ حضًا ومن أبنائِنا غضًّا
وشرُّ بلائِنا حسَدٌ يُمضُّ نفوسَنا مَضًّا
يؤسس فردُنا نفعًا فينقض جَمعُنا نقضا
فلو عرضَ الزمانُ على رجالِ بلادِنا عَرْضًا
وقال منحتُكم يا قومُ - طولَ الأرض والعرضا
بشرطٍ واحدٍ ألاّ ينازعَ بعضُكُمْ بعضا
لحاولَ نفعَهم عبثًا وكان جوابُهم رَفْضا

٣٤٤ - غزا أديارنا(*)

(من الوافر)

فرنسةُ زالَ ظلُّ الموت عنا ببعدك وانطوى العلم البغيضُ
ولكن حبُّك الموروثُ داءٌ عيون شيوخنا منه تفيضُ
غزا أديارنا والدور تُزجى لربَّتِهِ النوافلُ والفروضُ
فَعَشَّش في لحى الرهبان سودًا وباض وهُنَّ مثلُ الثلج ِبيضُ
حسِبنا منه سيدنا تعافى فَساءَ الفألُ وانتكس المريضُ

٣٤٥ - أتتني «الضَّادُ»(**)

(من الوافر)

أَتَتْني «الضَّادُ» حاليةً برسمٍ يتيه به السوادُ على البياضِ
فَجَدَّدَ لي خيالُك أنسَ يومٍ يساوي كُلَّ أيامي المواضي
وعادَ شتاءُ لبنانٍ ربيعًا يَرُشُّ القَطْرَ عطرًا في الرياضِ
سألتُ: أما لهذا الطيب مثلٌ فأرَّخَ: طيب ذكر «أبي رياض»

(*) جاءت هذه الأبيات في خطاب وطني ألقاه في إحدى المناسبات.

(**) أبيات غير موجودة في الديوان، مستخرجة من مخطوطاته. وهي مهداة إلى رياض عبدالله يوركي حلاق بمناسبة ظهور رسميهما معًا في مجلة «الضاد» بعددها المزدوج ٩ و١٠

روي الطاء

٣٤٦ ـ إن شئت عش(*)

(من مجزوء الكامل)

إن شئــتَ عِشْ أو شئـتَ مُــتْ   إنَّ الحـيــاة لهــا شُروطْ
نُــوَبٌ وأحــزانٌ يُــبـيِّض   هــولُهــا ســودَ الخــيــوطْ
ومعـــاركُ الأطمـــاعِ نـــاشبــةٌ   عــلى كُــلٍّ الخــطوطْ
عــمّت بــني الــدنــيــا فــلا   جُــزُرٌ هــنــاك ولا شــطوطْ
والـفــوز بــالنّفسِ الـقــويّــة   لا بــهــيــكــلهــا مَــنــوْط
فــلطالمــا ســقط الــشُّــجــاع   وقــام من بــعــد الــسّــقــوطْ
لــيــست مصــيبتُــك المصــيبــةَ   بــل مــصــيبتُــك الــقــنــوطْ

٣٤٧ ـ هنا وهناك

(من البسيط)

جودوا على صاحب المليونِ وارتدعوا   عن عذلهِ فأشدُّ الفاقةِ الطمعُ
وأسعفوه بما أيمانكم ملكت   ثم احمدوا الله لا مالٌ ولا جشعُ
ما داءُ مَن تطفىءُ الأنداءُ غُلّته   كداء من عجزت عن ريِّه التُرعُ
والفقرُ يزهرُ في صحرائه أملٌ   خيرٌ من المالِ في جناتهِ الفزعُ
جوعُ النفوس هو الجوعُ الذي عجزت   عن سدِّه هذه الدنيا وما تسعُ
كأنَّما النفسُ بالنيرانِ ماضغةٌ   وليسَ للنارِ مهما أُطعِمَت شِبَعُ
أين القلوب التي تُروي الأكفَّ ندى   مات الذين على الإحسان قد طُبعُوا
قد أصبح الجودُ كالإعلانِ مبتذَلاً   حتى الفضائلُ في هذا الورى سِلعُ
يا من يلومُ بخيلاً قد حكمتَ له   عليكَ أنك تستجدي ويمتنعُ!
دعِ البخيلَ إذا ما كنتَ ذا شمم   فإنَّ من ليس يعنيه امرؤ يدعُ!
وراقب الله في تذمام متَّضعٍ   يخشى الغرورَ إذا أهل الندى ارتفعُوا!
إنّ الأشحاء أسخى الناس تضحيةً   إذ طالما نفعوا الدنيا وما انتفعُوا
لم يمنعوا الناس يومًا بعضَ ما جمعوا   إلا لكي يمنحوهم كلَّ ما جمعُوا!!

هناك

قالوا النوائبُ للأضداد جامعةٌ   حلّت بهم نوبُ الدنيا وما اجتمعوا
نفيٌ وشنقٌ وتجويعٌ وأوبئةٌ   لو نابت السَّبُع التفّت بها السَّبُعُ
قوم إذا قعدوا في منصب شمخوا   ناسين كم قرعوا بابًا وكم ركعُوا

(*) القطعة رقم ٣٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

إذا تــولّــوا عــلى أحبــابهم ضَربــوا فــإن تجلّت لهم أربــابهــم ضــرِعــوا
جــورٌ عَــلَى ذا وتعفــير الجبــين لــذا كنــائم السـطح مــطروحٌ ومــرتفــعُ
إن كــرَّمــوا العُجم ولَّــوْهُم ظهورهمُ وملّكــوهم رقــابًــا حقُّهــا النِّــطعُ[1]
يــرنــو الإبــاءُ إليهــم: دمعــه بــرَكٌ أنــفــاســه لهبٌ. أحــشــاؤه قــطعُ
أين الرَّصاصُ الذي في العيد ضاعَ سدى لــو أنهم في صــدور التــركِ قــد زرعــوا
يــا أهــل «أمــريكــة» بــالله مكــرمــةً كــلُّ المــكــارِم في ســلطانها تــبــعُ
لا تــرسلوا الخبــزَ ليس الخبــزُ ممتنعًــا بــل أرسلوا العــزَّ، إن العــزَّ ممتنِــعُ
مَــن لا يحــرِّكــهــم ظــلمٌ يجــوِّعــهــم أنّى يحــركــهــم ظــلمٌ إذا شــبــعــوا؟!!

٣٤٨ - أسبوع بعدك(*)

(من البسيط)

فــوزي وكم لهــزَارِ الشعــر من نــغَمٍ حُلوٍ لــه في النجــومِ الــزهــر تــرجيعُ
مهــما بكينــا فــفي أجــفــاننــا ظــمــأٌ إلى الــدمــوع وفي أكبــادنــا جــوعُ
«أسبــوع» بُعــدك دهــرٌ في مــرارتــهِ والــدهــر من ذكــرك المحبــوب أسبــوعُ

٣٤٩ - أنا الذي(**)

(من البسيط)

أنــا الــذي طلّق الــدنيــا وبهجتــهــا وعــاش أزهــد من قسّيسهــا الــورِعِ
غمــرت بــالــدرّ أطــراف البــلاد إذا جــادَ الخصمُ عــلى شــطّيــه بــالــوَدَعِ

---

(١) من عادات شعبنا أنهم يحملون من يرومون تكريمه على أعناقهم أو يجرون مركبته. النِّطع بساط من الجلد كثيرًا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل.

(*) في جناز أسبوع فوزي المعلوف.

(**) القطعة رقم ٩١ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٥٠ - نضب العمر (*)

(من الخفيف)

نضب العمرُ دمعةً إثرَ دمعهْ	فوتلَ الدهرُ لا يغيِّرُ طبعَهْ
ما يكاد الحزينُ يستروحُ - السلوان حتى يذادَ عنه بفجعَهْ
نشتكي وجعةً من الموت لكن	نشتكي من حياتنا ألفَ وجعَهْ
رحلةُ القبرِ لا قوافلَ فيها	كلنا ذاهبٌ إلى غير رجعَهْ
أطفأ الموتُ شمسَ عقلٍ رجيحٍ	بعد أن ردَّها من الضعفِ شمعَهْ
أنزِلت ظلمةَ اللحودِ وكم كان لها في معاهدِ العلم طلعَهْ
أرِقتْ فوق ناعمِ الريش حتى	هجَعتْ في التراب أهنأ هجعَهْ
فاعتصمْ يا أخيَّ بالصبر. من يملِكُ دفعُ الردى لتملكَ دفعَهْ
بلغَ العذرَ من سخا بالنفيسين - على أمهِ وأفرغَ وُسْعَهْ
لافتدينا لو يفتدي الحي ميتًا	ووهبنا من كل قلبٍ قطعَهْ
أنا طيرٌ ملأتُ روضَك شدوًا	ليتني ما سَجَعتُ هذي السّجعَهْ

٣٥١ - المنجد العائد (**)

(من السريع)

أسْمَعْتَ يا أطربَ من أسْمَعَا	ما أرخمَ الصوت الذي لعلعا
لحنٌ من المهجر في الشرق كم	ردَّده الشرق وكم ذيّعا

(*) على ضريح حنة سعد عاصي والدة صديقه الياس عاصي ١٩٤٧/١١/١١

(**) البربارة ٦٥/٣/٢٠ - ١٨ ذو القعدة ١٣٨٤ افتقد شقيقه «الشاعر المدني» قيصر سليم الخوري قاموسه «المنجد» فنظم هذه الأبيات وبعث بها إلى صديقه الأديب حارث طه الراوي الذي نشرها في إحدى صحف بغداد وقرأها القروي ووجد القاموس بين كتبه ورده إليه مع جواب على الوزن والقافية.

قال المدني:

قد كان في مكتبتي منجدٌ	يا طالما سرنا وبتنا معا
وكان مهما غمضت جملة	يكشف عن غامضها البرقعا
والله لا أعلم كيف اختفى	فتشت عنه موضعًا موضعا
=

رجّعه (الراوي) فأحييت به ... بغداد فنّ السلف الأرفعا
فهبّ (هارون) له قائمًا ... وصاح (إبراهيم) ما أبدعا
وانقطع البلبل عن شدوه ... واستحيت الورقاء أن تسجعا
مقطوعةً واحدة تنحني ... كل الدواوين لها خشعا
رقرقها الظَرفُ فلولا التُّقى ... طارت بألباب الورى أجمعا
من فضلة الكأس التي صبّها ... رحنا سكارى كيف لو أترعا!

* * *

لبيك يا قيصر تدعو أخًا ... لو كان في القبر للَبّى الدُعا
«منجدك الهارب» ما ضاع بل ... أمّل أن يلقى الذي ضيّعا
لما رأى الضاد هوت شمسها ... في المهجرين افتقد المطلعا
عاد إلى موطنه بعدما ... قلتُ له إنك لن ترجعا
وقد وجدناه صريع الأسى ... يذرف من فرقتك الأدمعا
قد خَدَعَتْهُ كأخيك المنى ... إياك يا قيصر أن تُخْدَعا
أرجعته اليوم وفي قلبه ... وجدٌ كوجدي يحرق الأضلعا
من لي وقد طال التنائي بأن ... أراكما عما قريب معًا

= في كل جرارٍ ورفّ ولم ... أترك مكانًا يسع الإصبعا!!
قالت لنا جارتنا أنها ... رأت كتابًا طائرًا مسرعا
قلت إذًا فرّ لبيروت كي ... يرتاح في مكتبةٍ أوسعا
صحت فصاحت زوجتي صيحةً ... تسكت فيها الرعد والمدفعا
قلت اسكتي سمعت حتى أخي ... قالت أليس القصد أن يسمعا؟!
قلت لها كَلاَّ أجابت بلى ... ما أكره الكذب وما أشنعا
من أين تشري منجدًا آخرا ... وأنت لا تقدر أن تدفعا
فارقنا لم يلتفت خلفه ... ولم يقل شيئًا ولا ودعا
مضى نهاري لم أذق لقمة ... ومر ليلي دون أن أهجعا
لم يبق لي صبر على بعده ... قولوا له بالله أن يرجعا

٣٥٢ ـ تحت رسم صديقين

(من الطويل)

رأيتكما أوفى الورى في محبتي ... وأحرصَ من يرعى ودادي ومن رعى
فإن كنتُ قد أبدعتُ في الشعر مرةً ... فأبدعُ شعري أن نظمتكما معا

٣٥٣ ـ ألبنان

(من الطويل)

ألبنانُ هل في الأرضِ غيرك مربَعٌ ... حلا لي وهل في جنّةِ الخلد مرتعُ
حفظتُ لك الحبَّ الذي يُعجبُ العلا ... وليس سَواءً حافظٌ ومضيِّعُ
أثورُ إذا جاروا عليكَ ولم تثرْ ... فيلمعُ في كفّي لجنبيكَ مِبضَعُ
ويغلِبُني فيك الحنين فأنثني ... وزَنديَ مشلولٌ وطرفيَ يدمَعُ
وقفتُ عليك الشعرَ في الغيظ والرضا ... لعمر أبي هذا هو الحبُّ أجمعُ!

٣٥٤ ـ لمية لا (*)

(من الطويل)

لُميَّةُ لا يحزنْكِ فقري فإنّني ... بأنفسَ من هذي الوريقات أطمعُ
لعمركِ مهما كان مجد ذوي الغنى ... رفيعًا فمجد العبقريين أرفعُ
أقول لنفسي: ويحكِ الوَفْرُ نافعٌ ... فتقسم إن الشعر والذكرَ أنفعُ
ولم تعم عن درب الغنى غير أنّها ... إلى طرق الإحسان أهدى وأنزعُ

(*) القطعة رقم ٦٧ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٥٥ ـ الياس الفاخوري (*)

(من الطويل)

فتًى عــربيٌّ الــوجــهِ والقلبِ كم روى ... لنا الشعرَ فاستولى على اللبِّ والسمعِ
أتـينــا نــوفّيــهِ الــرثاءَ وليــتَنــا ... نـظمنا لـه ما ارفضَّ من مُقَـلِ الجمعِ
فمن نــاحبٍ حــزنًــا ومن متجــالــد ... يـذوبُ على مهل كمحترقِ الشمعِ
فما راعني والله مما سـمعتـه ... من الشعر فيه مثلُ مرتجَلِ الدمعِ

٣٥٦ ـ صرفت عِنان (**)

(من الطويل)

صرفت عِنانَ النفسِ عن كل شهوة ... سوى شهوةٍ قد رُكِّبَتْ في الطبائعِ
وكيف بغضٍّ الطرف عن خمرةٍ جَرَتْ ... دمًا في عروقي أو لظى في أضالعي
أمُـدَّعيـا كُـرهَ النسـاءِ وكـأسُـهُ ... و«سيغـارهُ» ملء اللّهى والأصابعِ
إذا العقـل لم ينفعك في ترك عادةٍ ... فليس على قهر الطِّباع بنافعِ

٣٥٧ ـ الجمال الباطن

(من الطويل)

أهيمُ بحسن في وجوهٍ خفيّةٍ ... تحجِّبها الأجسادُ مثلَ البراقِعِ
ولو أنني أبغي من الحسن ظاهرًا ... لفتّشتُ عنه في زوايا الشوارعِ

(*) توفي صديقه الياس الفاخوري بغتة سنة ١٩٤٦

(**) القطعة رقم ٨٤ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٥٨ ـ عاتبت قلبي*

(من الكامل)

عــاتبتُ قلبي حين لــجَّ بـه الهــوى ... وأبي لـنصحي أن يكــون سـمـيعــا
يــا قلبُ كنتَ عــلى الهــوى متمــردًا ... تــأبى لـسـلطان الجـمال خـضــوعــا
فــالآن مــالــك بعــد إدبــار الصِّبا ... أمـسيـت عـبــدًا لـلغــرام مــطيعــا
فــأجـاب قـلبي والحـنــين يـذيبـه ... حـتى يفـيض من الـعيــون دمــوعــا
لا تـعـتـبَـنَّ عــليَّ إن ألــفـيـتـني ... مُـلقًى عــلى قـدم الحـبيـب صريـعــا
فــالحب يخفضُ كـلَّ رأسٍ شــامــخٍ ... ويُـصــيّرُ الأسـد الهصــور «وديـعــا»

٣٥٩ ـ سوانح

(من الكامل)

تقضي حيــاتـكَ بــاحثًا عن ضــائـع ... سـل عن حيـاتـك فهي أثمنُ ضـائـعِ
شهــرُ الصيــام لــدى الفقــير وليمــةٌ ... إذ لا يُمَيَّـزُ صــائـمٌ مــن جــائـعِ
عــدلُ الــطبيعــةِ رحمــةٌ والــظلم إن ... جــادت عــلى كفٍّ بستٍّ أصــابــعِ
في الــدمــع مَخصبَــةٌ لقلب مــاحــلٍ ... لا تحــزنــنَّ لــكــل طــرفٍ دامــعِ
ومن المشـاهـد مـا يـطيب لــه العمى ... ومـن الحــديـثِ بــليّــة لـلســامـعِ

(*) في عرس صديقه الدكتور وديع صفدي سنة ١٩٣١ ألقى قصيدة دالية من الكامل (تراجع في مكانها)، ثم ارتجل بعدها هذه الأبيات:

٣٦٠ ـ إن عمّدوك*

(من الكامل)

بنتَ الـوديـعِ وحَبّـذا نسَبٌ زكَت منـه الأصـولُ وكنتِ بعض فـروعِـه
لا تحسَبِيـهـا قَسـوةً مـن كـاهـن أبكـاكِ مؤتمـرًا بـأمـرِ يسـوعِـهِ

٣٦١ ـ مازجتَ روحي(**)

(من مجزوء الكامل)

هـي حـبـةٌ ممـا زرعـت ـ من الجميـلِ إليكَ تـرجعْ
كـالنجمِ يـأفـلُ عن سـماءِ ـ الشرق ثـم يـعـودُ يـطلعْ
لـك في فـؤادي غـيرُهـا تحـوي فنـونَ الشعـرِ أجمـعْ
مـا قـلتُ مـنـه ومـا أقـولُ ـ ومـا طبعتُ ومـا سـأطبـعْ
مـازجت روحي فـاستقيتَ ـ شعـورهـا من حيث ينبـعْ

٣٦٢ ـ الشمس والجمرة

(من مجزوء الكامل)

طـلَعـت عـلى الأكـوان في دسـتِ الـعـلى مـتربـعَـهْ
ولهـا جمـالٌ رائـعٌ سبـحـان مـن قـد أبـدعَـهْ
عـكـسـت سنـاهـا بـركـةٌ بـنـدى الـغـمائـم متـرعَـهْ
وإذا بـجـمـرةِ مـوقـدٍ تـدنـو إلـيـهـا مـسـرعَـهْ
قـالـت وقـد بـاتـت ـ كـأحشاء الحسـودِ مقـطّعَـهْ
مـالي أراكِ إلى الحـضـيض ـ سـقـطتِ يـا مـترفـعَـهْ

(*) ارتجلها عند تغطيس النادي الكاهن طفلة صديقه وديع عبد المسيح في جرن العماد.

(**) وقع بها نسخة من كتابه «حضن الأم» أهداها إلى مترجمه إلى البرتغالية الشاعر سلمون جورج سنة ١٩٤٦

هـذا جـزاءُ الـشـامخـين - عـلى الـصغـار ذوي الـدعَـةْ
فـأجـابت الشـمس المضـيـئـة - في الأقـاصي الأربـعَـةْ
قـولاً يـدوم دوامَـهـا كـم يـنبـغـي أن تـسـمـعَـهْ
إني نـزَلْـتُ وإنمـا لـيس التـواضـعُ كـالـضَّعَـةْ

٣٦٣ ـ حتّام تشكو(*)

(من مجزوء الكامل)

حـتّـام تـشـكـو الـعـيش يـا هـذا وعـيـشـك واسـعُ
كـالـكـلب يـلهـث وهـو في ظـلِّ الخـمـيـلة راتـعُ(١)

٣٦٤ ـ يناديك لبنان مستنجدا(**)

(من المتقارب)

أمـنـقـذَ لـبـنـانَ جئـنـا نـبـايـع وَنَـنْـشـدكَ الله ألاّ تمـانـعْ
أنـحـيـا عـبـيـدًا لـدسـتـورنـا أسُنّت لـقـتـلِ الـعـبـادِ الشرائِـعْ؟
مخـرتَ بـزورقِـنـا الـيـمَّ وَهْـو جـبـالٌ وأوديـةٌ وزوابـعْ
وطـار الشراعُ وعـمَّ الـظلامُ ولم يـبـقَ إلاّ شـهـابُـكَ سـاطـعْ
وبـلّغـتـنـا مـرفـأ الأمـنِ بـينَ أزيـزِ الـرصـاصِ وقصفِ المدافـعْ
مـسحـتَ الجـراحَ بكـفِ المسيـحِ وقـلبُـكَ دامٍ وطـرفُـكَ دامِـعْ
ومـن كـالـلواءِ طـبـيـبٌ إذا الـدمُ - بـلَّ الـثـيـابَ وحـتّى الأصـابـعْ
ومـن كـالـلواءِ شـفـيـعٌ يـؤلـفُ - بـينَ كـنـائِـسِنَـا والجـوامـعْ
عبـرتَ اللظى والـدخـانَ وثـوبُـكَ - كـالـثَّلجِ أوْ كـجـبـيـنـك نـاصِـعْ
حـفلت بمـاضٍ كـزهـرِ الـربـيـعِ ومـن أين لـلنـد مـاضٍ مـضـارعْ؟

(*) القطعة رقم ٨٩ من مجموعة «موجات قصيرة».
(١) اقتباس من القرآن الكريم (الأعراف ١٧٦/٧).
(**) في سبيل تجديد العهد للرئيس فؤاد شهاب.

فيـا ليتَ شِعـريَ هـل لـك ثـانٍ　　إذا مـا تـربّـع في الـدسـت رابـعْ
أبـا الـكـلِّ وحشُ الأذى لم يُمـتْ　　ولـكـنّـهُ كـان يـقـظان هـاجـعْ
وإن الـعـدوَّ عـلى الـبـابِ صـالٍ　　وإن العميـلَ عـلى الـدرب قـابـعْ
تـفـحُّ الـثـعـابـينُ من كـلِّ صـوبٍ　　عـلينـا وتـعـوي ذئـابُ المـطامـعْ
يـنـاديـكَ لـبنـانُ مـسـتـنـجـدًا　　فـإن لم تـلـبِّ فـلبـنـانُ ضـائـعْ
وربُّـكَ يـدعـوكَ يـا ابـنيَ مـا لـلـ　　غـريـقِ سـواكَ فـما أنتَ صـانـعْ؟

٣٦٥ - وثقتَ(*)

(من المتقارب)

وثقتَ بمـا زَعَـمَ الخـارصـون　　وأنكرت فجرًا شـهـدت طلوعَهْ(١)
وكم كـذّبَ المـرءُ من واقـعٍ　　وصـدّق مـا يتمنّى وقـوعَـهْ

٣٦٦ - عند الرحيل(**)

(من المتقارب)

نصحتُـكِ يـا نفسُ لا تـطمعي　　وقـلتُ حـذارِ فـلم تـسـمـعي
فـإن كنت تستسهـلين الـوداعَ　　كـما تـدَّعـين إذًا ودّعـي!!
رزَمتُ الثيـابَ فَلِمْ تُحجمـين　　وفيمَ ارتـعـاشُـك في أضلعي
ألا تسمعـين صِياحَ الـرفـاقِ　　وتجـديفَ حـوذِينـا؟ أسرعي

* * *

رأيتُ السعـادة أُختَ الـقنـوع　　وخِلتِ السعـادة في المـطمـعِ
ولـمـا بـدا لـك عـزمي قنعتِ　　وهيهـات يجـديـك أن تقنعي

* * *

(*) القطعة رقم ٦٨ من «موجات قصيرة».
(١) الخارصون: الكاذبون.
(**) نظمها في الباخرة التي أقلته إلى البرازيل شهر آب (اغسطس) سنة ١٩١٣

خرجتُ أجركِ جرَّ الكسيحِ تَئِنِّينَ في صدريَ الموجَعِ
ولما غدونا بنصفِ الطريق رجعتِ وليتك لم ترجعي
لئن كنت يا نفس مع من أحب فلِمْ ذا اشتياقي ولِمْ أدمعي
أظنّك تائهةً في البحار فلا أنتِ مَعْهُم ولستِ معي

* * *

كفاك اضطرابًا كصدرِ المحيط ففي حيث أنتِ ولا تجزعي
سأقضي بنفسي حقوق العلى وأرجعُ فانتظري مرجِعي

* * *

٣٦٧ ـ وداع فرحات(*)

(من الهزج)

سلامًا يا فتى الشعرِ فما مثلُكَ من ودَّعْ
وديوانُك في الديوان ـ ملءُ العينِ والمسمعْ
غدًا تهجرُ «صنبولَ» إلى عالَمك الأوسعْ
إلى مغنىً ترى الأكوان ـ منه مَلمسَ الإصبعْ
إلى مُرتَبع الغزلانِ ـ والمسرحِ والمرتَعْ
إلى (لابا) وهل أحلى لعينيك وهل أبدعْ؟!
إلى الكوخِ الذي ضم جهاتِ العالمِ الأربعْ
ويا للهِ ما تبصرُ ـ في الكوخِ وما تسمعْ
زغاليلُ إلى لقياك ـ تجري هُرَّعًا سُرَّعْ
ووَرقاءُ طَوالَ العامِ ـ في الوَحدةِ لم تسجعْ
تصيحُ (الياسُ!) واللؤلؤ ـ في المَبسمِ والمدمَعْ
فتحنو فوقَهم كالمُرضِع ـ انكبّت على المُرضَعْ
وتُرويهِمُ بالتقبيلِ ـ لا تَروَى ولا تشبعْ

* * *

(*) عندما فرغ الشاعر الياس فرحات من طبع ديوانه في «صنبول» سنة ١٩٣٢، وهم بالعودة إلى مقر عائلته في «لابا» من أعمال ولاية «بارانا»، أحيا له إخوانه حفلة تكريم ووداع.

ألا يا جامعَ النارِ على هام العدى أجمعْ
ويا خَلٌّ ويا خمرٌ ويا داءٌ ويا مبضع
ويا تغريدةَ الطير ويا لعلعة المدفعْ
سنرعى في السما نجمَك حتى في الحمى يَسطعْ
فلا يفرحْ أعاديك وأحبابُكَ لا تجزعْ
فما غابَ الذي آبَ ومن يُرجى بأن يَرْجعْ

٣٦٨ ـ سلطان الأطرش «والتنك»(*)

(من الوافر)

خففتَ لنجدةِ العاني سريعا غضوبًا لو رآك الليثُ ريعا[١]
وحَولك من بني معروفَ جمعٌ بهم ـ وبدونهم ـ تُفني الجموعا
كأنك قائدٌ منهم هضابًا تبعنَ إلى الوغى جبلاً منيعا
تخِذتَهمو لدى الجُلّى سيوفًا لها لَعنَ الفرنسيُّ الدروعا
وأيُّ دريئةٍ تعصي حُسامًا تعوَّد في يمينك أن يطيعا؟[٢]
ألم يلبس عِداك «التنكَ» دِرعًا فسَلهم هل وقى لهمُو ضلوعا؟
أغرتَ عليه تَلقى النارَ بردًا ويرميها الذي يرمي هَلوعا
فطاشت عنك جازعةً ولو لم تهشَّ لها لَحاولتِ الرجوعا
ومذ هطلَ الرَّصاصُ عليك سحًّا كوسْمِيٍّ جُليتَ به ربيعا[٣]
زعقتَ بمثل فرخِ النسر طِرفٍ يُجنُّ إذا رأى سهلاً وسيعا[٤]

(*) وصفت الصحفُ الغربية سنة ١٩٢٥ بإعجاب عظيم، زحفَ القائد سلطان الأطرش برجاله على السويداء، لإنقاذ الأسير الذي قبضت عليه السلطة الإفرنسية في بيت سلطان خارقة حرمة الضيافة العربية المشهورة، والتقاء البطل العربي والتنك «الدبابة»، وهجومه عليها تحت وابل من الرصاص، وتعطيلها بعد هبر قبطانها ومعاونه الإفرنسيين بحد السيف هبرًا.

(١) العاني: الأسير. ريع: خاف.

(٢) الدريئة: الترس.

(٣) الوسمي: مطر الربيع.

(٤) الطِّرف: الجواد الكريم.

يحِنُّ إلى الوغى تحنانَ أمٍّ بحضنِ غريبة تركَت رضيعا
فطارَ لها كأنك مستقلٌ جوانحَ شاعرٍ ذكَرَ الربوعا
ولما صرت من مهجِ الأعادي بحيثُ تذيقها السمَّ النقيعا
وثبتَ إلى سنَام «التنكِ» وثبًا عجيبًا علّمَ النسرَ الوقوعا
وكهربتَ البطاحَ بحدِّ عَضْبٍ بهرت به العدى فهوَوْا ركوعا[1]
كأنَّ به إلى «الإفرنكِ» جوعًا وسيفُك مثل ضيفِك لن يجوعا
تكفَّلَ للثرى بالخِصب لما هفا برقًا فأمطَرَهم نجيعا
وفجَّرَ للدماءِ بهم عيونًا تجاري من عيونِهِمُ الدموعا
فخرَّ الجند فوقَ «التنك» صرعى وخرَّ «التنكُ» تحتهمو صريعا
فيا لكِ غارةً لو لم تُذِعها أعادينا لكذَّبنا المذيعا
ويا لك «أطرشًا» لما دعينا لِثَأْرٍ كان أسمعنا جميعا!!
فتى الهيجاءِ لا تعتبْ علينا وأحسِنْ عذرنا تُحسنْ صنيعا
تمرَّستم بها أيام كنّا نمارس في سلاسِلِنا الخضوعا
فأوقدتم لها جُثثًا وهامًا وأوقدنا المباخر والشموعا!!
إذا حاولتَ رفعَ الضيم فاضرب بسيف محمد واهجرْ يسوعا
«أحبوا بعضكم بعضًا» وعَظنا بها ذئبًا فما نجّت قطيعا
«فيا حَمَلاً وديعًا» لم يُخلِّفْ سوانا في الورى حملاً وديعا
غضبتَ لذات طوق حين بيعت ولم تغضب لشعبك حين بيعا[2]
ألا أنزلت إنجيلاً جديدًا يعلِّمنا إباءً لا خنوعا
شفعتَ بنا أمام أبٍ رحيم وما نحتاج عند أبٍ شفيعا
أجرنا من عذاب النير لا من عذاب النار إن تكُ مستطيعا
ويا لبنانُ مات بَنوك موتًا وكنت أظنهم هجعوا هجوعا
ألم ترَهم ونارُ الحرب تُصلى كأنَّ دماءَهم جمدَت صقيعا؟
أصولُ الأرزِ فيك مفجّعاتٌ وراءَ التُّرب يندبنَ الفروعا
ألا أمثولةٌ بالسيف تُلقى تعلِّمها معلمَك الخليعا

(١) العضب: السيف القاطع.
(٢) إشارة إلى ما رواه الإنجيل عن غضب المسيح على باعة الحمام وطردهم من الهيكل.

تُصــدّع لـلعــدى شـمــلاً جميعًــا وتجمــعُ للعُــلى شـمــلاً صـديعــا
بــدت لــك فــرصــةٌ لـتعيشَ حـرًّا فـحــاذرْ أن تـكــون لهــا مُضيعــا
ومــا لــك بـعــد هــذا الـيـوم يـومٌ فــإنْ لم تـسـتــطعْ لـن تـسـتــطيعــا

٣٦٩- مآسد لا مَراعٍ (*)

(من الوافر)

بــدت ولهَــى ممــزَّقـةَ الـقِـنــاعِ فـقلتُ لهــا فـديـتُـكِ لا تــراعـي
فــدون حِمــاكِ أبـطالُ الـعــوالي مــؤزَّرةٌ بــأبــطالِ الـيراعِ
رمــاحٌ كــالأفــاعـي مُـشـرعَــاتٌ وأقــلامٌ كــأنـيــابِ الأفــاعــي
أطــلّي واشـهــدي منهـم هـجـومًـا تــرَيْ وثْبَ القــلاعِ عــلى الـقــلاعِ
وهــل عــربـيــةٌ هــذا أخـوهــا تُــراعُ إذا دعــا لــلحــرب داعِ ؟
«فــرنــســةُ» لـيس في حـورانَ لحـمٌ يسرُّ بــنـيــكِ يــا أمَّ الـضِّــبــاعِ
وهــل لاقـيــتِ في حــوران إلاّ مــآســدَ خلتِهــا جـهــلاً مــراعي؟
طــرقتِ ضِيــاعـهَــا غـدرًا فشِمنــا ضَيَــاعَ الأمـنِ في تـلك الـضِّـيــاعِ
وكِــدتِ لأهـلهــا بــالسيفِ طـورًا وطــورًا بــالــسـعــايـةِ والخـداعِ
فــكـنــتِ لئـيـمــةً حــربًــا وسـلمًا كــلؤمــكِ في الـغــرائــز والـطبــاعِ
فـيــا «بــاريسُ» عــودي عن حِمــانــا وجــودي جــود (رومــةَ) بــالـوَداعِ
لـقــد لاقــتْ قــديمًــا مــا كـفــاهــا عـنــاءَ البـحـثِ عـن مُـلكٍ مُـضــاعِ
فــلا تُـغــري الحفـيـدةَ فـهـي أدرى كــجـدَّتِهــا بــأغـيــالِ الـسِّـبــاعِ
وحسبُــكَ في الــورى بغيًــا فـليست بــلادُ الـنــاسِ بــالُملك المـشــاعِ
عــرَضـتِ الشــامَ مــوطَـنـنــا لـبيــعٍ كــأنَّ الشــامَ عِــرضُـك يــالَكـاعِ [1]

(*) نظمها إبان احتدام الثورة الدرزية وقد راجت إشاعة تدليل فرنسا على سوريا وتخليها عنها لإيطاليا.

(١) ألّف افرنسيٌّ رواية «ربة القصر» طعن فيها بأعراض اللبنانيات. فجاء هذا البيت ردًا على أمة ترمينا بدائها وتنسل بالكاع: يا حمقاء

٣٧٠ ـ يا ليل

(من الكامل)

يـا ليـل كيف أفــوز فيـك بـراحــةٍ والهــمُّ غــرَّقَــني بمــوجٍ طــاغِ
واستـلَّ بـرغــوثـاك من عيني الكــرى هــذا يمصُّ دمــي وذاك دمــاغــي

٣٧١ - تُقَبِّلون

(من البسيط)

تقبِّلون يدَ الطاغي مفاخرةً ... كأنكم قد بلغتم ذروةَ الشرَفِ
إن الذليلَ يعدُّ الصفعَ تجشمةً ... والضربَ بالنعلِ تربيتًا على الكَتِفِ

٣٧٢ - سارة اليازجي(*)

(من البسيط)

«يا بنتَ خيرِ أبٍ يا أختَ خيرِ أخٍ» ... من بيتِ أشْهَرِ معروفٍ بمعروفِ
لولا اشتهارُكِ بين الفُضلَياتِ لما ... أغناكِ أنكِ بنتُ الشيخِ ناصيفِ
اليازجيُّ وحسبي حين أذكرُهُ ... وصفًا أُعظِّمُ فيه قدرَ موصوفي
لكُم علينا يدٌ بالفخرِ نذكرُها ... لا يُنكرُ النورَ إلا كلُّ مكفوفِ

* * *

يا أيها الناس هذي بنتُ نابغة ... أفنى الليالي بتحبيرٍ وتصنيفِ
لَوْ أنصفَ الدهرُ سارت يومَ مأتمها ... بنتُ القصورِ برأسٍ فيه مكشوفِ
عين الفضيلة شَكْرى فوق تربَتِها ... تبكي بدمعٍ مدى الأيامِ مذروفِ[1]

(*) توفيت في «صنبول» سنة ١٩٣٠ وكانت آخر من بقي حيًّا من ولد الشيخ ناصيف.
(١) شكرى: ملأى.

٣٧٣ - أهلالين(*)

(من الرمل)

أهلالَين أرى أمْ طفلتينْ ... بالسنا أعجزَتا من وصفَا
جلَّ من سوَّاهما كالمقلتَينْ ... في محيّا الحسنِ لم تختلفا
حوَتا فوقَ جمالِ الصورَتَينْ ... أعذبَ اسمينِ «سعادٍ» و«صفا»
ليس بدعًا أن تجيئا توْءَمَينْ ... أيكونُ السعدُ من غير صفا؟!

٣٧٤ - وَاهاً(**)

(من السريع)

واهًا على عهدِكِ يا قريتي ... أَيامَ إلاّ فيكِ لم أعْرَفِ
في ضعةِ المرء وِقاءٌ من الهَمِّ. ومن يَشْتَغلِ يُسْتَهْدفِ

٣٧٥ - القلب الناسك

(من الطويل)

حكمتُ على عينيَّ حكمًا مؤبدًا ... فلست حياتي رافعًا نحوكم طرفا
وغادرت قلبي من جوى الحب خاليًا ... فقلبي بصدري ناسك ساكنٌ كهفا

٣٧٦ - أطلي

(من الطويل)

أطِلِّي على وادي شقائي ورطِّبي ... بدمعي شعاعًا من مُحَيَّاكِ مِرشافا
أحِسُّ إذا طالعتِني أو حَلَمتِ بي ... هناءَ انحلالي بين جفنيك أطيافا

(*) ارتجلها في توْءميْ صديقيه لطف الله ورنيه قشوع.
(**) القطعة رقم ٤١ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٧٧ - يا مصطفى(*)

(من الكامل)

هــذا مجالُ دمـوعِـكُـمْ أن تُـذرَفـا ... يـا أنبيـاءَ الشعـرِ مـات المصـطفى
صــوغــوا لــه منـهُ العقـودَ فـإنّـه ... قـد خلّف «العـبراتِ» في مـا خلّفـا
قـد جـادَكُم بـدمـوعِـه ودمـائـهِ ... فبكـاؤكم لـوفـاتـهِ نصفُ الـوَفـا

* * *

يـا مصـطفى نحكي ومثلُك سـاكتُ ... صـبرًا على هـذيانـنـا يا مصـطفى
إنَّ الجـهـولَ لـكـالمنيّـةِ إن يـقُـلْ ... يُعيِ الفصيـحَ ويُبكِمِ المتفَلسِفـا
حسبُ الرُّثاة على الرفات تأسُّفًـا ... يبكي الرفات عـلى الرثـاة تأسُّفـا
إن لم يكن خلفَ الـرثـاءِ لشاعـرٍ ... عِـظةٌ فيـا شعـراءُ خلُّوا المـوقـفـا
والحُـرُّ إن قَـطَعَ الحِمـامُ خِـطَابـهُ ... فـعـلى أخيـهِ الحـرِّ أن يستـأنـفـا
والشِعـرُ إن فسـد الـزمـان فخيـرهُ ... مـا عـنّفَ الأسـمـاءَ لا مـا شنّفـا
حتّامَ يـا ابن الـطينِ تركبُ للهـوى ... طِـرفًـا وتسحبُ للغـوايةِ مِـطرَفـا(١)
وغـدًا سـتركبُ مـركبًـا تبكي إذا ... فكّـرْتَ فيـه وتشتهي مشيَ الحـفـا
أنـفِـقْ إذا أوْلاكَ ربـكَ نـعـمـةً ... وانـعَمْ فـما أولِيـت كـي تـتـقشّـفـا
وإذا مـررتَ عـلى الفقـيرِ فـلا تُشِـحْ ... مـتـأفـفًـا، والحـقُّ أن يـتـأفّـفـا
لم تـشـكُ إذ أسرفـتَ في إرهـاقـهِ ... وشكـوتَ حـينَ اضـطُرَّ أن «يتبلشفـا»
من عـدَّ إعـدامَ الضعيف عـدالـةً ... حَسِبَ الـدفـاعَ عن الحيـاةِ تـطرُّفـا

* * *

يـا مصـطفى سلِّمْ عـلى (فـرحٍ) وقـل ... إن الـزمـان كـما عهـدتَ من الجفـا
مـات الكـرام فـلا تـرى بـين الـورى ... إلا شـحيـحًـا في الخـلاعـة مُسرِفـا
أمـا الأديـب فـإنـه كـخـيَـالِـهِ ... معنًى من الأعضـاءِ يسكن أحـرفـا
عَـبَـثًـا يُـنـزِّل كـل يـوم لـلورى ... سِـفـرًا ويُلهَـمُ كـلَّ يـوم مُصـحفَـا

(*) في الحفلة التأبينية التي أحياها النادي الحمصي في «صنبول» سنة ١٩٢٤ للأديب مصطفى لطفي المنفلوطي.

(١) الطرف: الكريم من الخيل. والمطرف: رداء من الخز.

يــزرَى وإن يــكُ ربَّ كــل قـصيــدة ضَـرَبَت قـوافيهـا عـلى ذكـرَى (قِفَـا)
يــزدادُ مـنــه المتخَـمـون تـأفـفًــا مــا ازداد بــين المتخَـمــين تعـفُّـفــا
يغشى المحــافــلَ بلبــلاً غَــرِدًا فـإن مُــدَّ السِمــاطُ لــوى وصفّق واختفـى
نبتُ الـــربى ونــدى السـماءِ كَفـافُــه وعفيفهم هضـمَ البـلاد ومـا اكـتفـى
إن لم يكن لــلنــاس غــير طعــامـهـم غــرضٌ فقـد ســاوى الخـوانُ المعلِفــا

* * *

يــا مصـطفى نـم في ضريحـك آمنًــا طــال الـوقــوف وحــان أن نتــوقفــا
والـنــور لـلمسـتـبصرين كــثـيــرهُ فـيــه العـمى وقـليـله فـيــه الـشـفــا

٣٧٨ - لمن المآدب(*)

(من الكامل)

لِمَــنِ المــآدبُ حــولَهــا الأضيــافُ وعَــلامَ هــذا الـبــذلُ والإســرافُ
ومـن الملوكُ الـفـاتحونَ بـأرضِـكــمْ يُسعـى عـليهـم بــالـطِّـلا ويُـطـافُ
يــا عُـصبــةَ الخُـلُـقِ الكـريـم وإنّهــا لــشــهــادةٌ يــقـضي بهــا الإنــصــافُ
عَبَثًــا نحــاولُ كفَّ كَفِّـكِ عن نــدًى إنَّ الــكــريــمَ مــبــذِّرٌ مــتــلافُ
أَلِــقــانـعَــيْـن مـن الحــيــاةِ ببُــلغـةٍ هــذي الجــفــانُ تحفُّــهــنَّ صِـحــافُ
أَلِــطائــرَيــنِ غِــنــاهمـا بــغِــنــاهمـا تــلقــى فــراخٌ حــتــفَــهـا وخِـرافُ
خَــلُّـوا المـطاعِــمَ لـلذيــن قــلـوبهـم ورؤوســهــم ونــفــوســهــم أجــوافُ
ولِمَــن يـبـيـعُ الأصــدقــاءَ بـعــلفــة وَلَــوَ انّهـا ممــا الــذُّبــابُ يَــعــافُ
حــسـبُ الـبــلابـل حبّـتــانِ وقــطـرةٌ وتــعــود لـلتــغــريــد وهــي خِــفــافُ
والله مــا ظَــفِـرَت يــدايَ بــلُقــمـة إلاَّ عــرانيَ خــاطــرٌ رجّــافُ
وتمـثّـلَت لي في المـضــاربِ صِبـيَــةٌ خُمْصُ الــبـطونِ كــأنهم أطـيــافُ
لهمُ الصحــارى والمجـاعــةُ والصـدى ولـنــا الـنــدى والخـمــرُ والأريــافُ

(*) أدبت الجالية العربية في «بونس أيرس» سنة ١٩٣٤ مأدبة سخية له ولرفيقه فرحات. فلما انتهى من إلقاء هذه القصيدة رمى بريال على المائدة واتّبعه رفيقه بمثله فتناثرت الأوراق المالية من كل صوب واجتمع للمنكوبين مبلغ غير زهيد.

أشبال من نَثَر الكتائب سيفُه وسقى السباسب رمحهُ الرَّعافُ[1]
أنجالُ من كانت تروحُ وتغتدي كالنمل حول خوانه الأضيافُ
أطفالُ سلطانٍ تجوعُ وطالما شَبِعت بفضل فطوره الآلافُ
أنّى تطيبُ لِذي الشعورِ لُماظَةٌ وتسوغُ في حلقِ الأبيِّ سُلافُ[2]
والشّهدُ إن ذُكِر المقيمُ على الطوى سَمٌّ بأحشاءِ الكريم زُعافُ
حَلِفٌ عليكم لا يُذاق طعامكم والحُرُّ لم تُنقضْ له أحلافُ
وَقفٌ لأبطالِ الجهادِ عشاؤكم وأعيذكم أن تُؤكَلَ الأوقافُ
فتحلَّلوا فيه ببذل فريضة تُنمى إلى حسناتكم وتضافُ
عاداتكم في الأريحيّةِ والندى ما غيّرت عاداتِها الأشرافُ
من كل غطريفٍ ريالٌ واحدٌ ومن الشراذمِ عسكرٌ زحّافُ[3]
نِعمَ الزكاةُ عن الرفاه ضريبةٌ ليسَت تُحسُّ بحملها الأكتافُ
سلمانُ قم وافتح جرابَكَ للندى فعلى يديكَ يُقدَّم الإسعافُ[4]

٣٧٩ - مضناك

(من الكامل)

مضناكِ ذابَ صبابةً فتَعَطّفي وَتَرفَّقي بالمُسْتَهامِ المُدْنَفِ
تتأسفينَ إذا قَضَى وجدًا وما يُجْديه أو يُجديكِ أن تتأسفي
قد كان يعرفُهُ الورَى بِنُحُوله فغدا لفرطِ نُحُولِهِ لَمْ يُعرفِ
هو شمعةٌ أذكى هواكِ لهيبَها إنْ لم تُداريها بِقُرْبِكِ تَنْطفي

(١) السباسب: جمع سبسب وهو الصحراء. الرعّاف: القاطر دمًا.
(٢) اللماظة: بقية الطعام في الفم. السُّلاف: أفضل الخمر.
(٣) الغطريف: السيّد الكريم
(٤) سلمان نجم البكفاني المعروف بالجندي المتطوع. وقد اشتهر بجمع الاعانات لمنكوبي ثورة جبل العرب.

٣٨٠ - لولا حلاوتها(*)

(من مجزوء الكامل)

واهًا لعهدِ حضارةٍ تتهيَّبُ الأقلامُ وصفَهْ
كم سجدةٍ للغربِ في محرابِ دولتهِ ووقفَهْ
أحيا مَوَاتَ العدل من سَلسَالهِ العربيِّ رَشفَهْ
لولا حلاوتها لما أخذَت قلوبَ الناس «رأفَهْ»

٣٨١ - هل أذنب اليأس(**)

(من المجتث)

كُفيتُ من ظلم دهري بالله يا دهرُ كُفًّا
هل أذنبَ اليأسُ حتى جعلت قلبيَ مَنْفَى

(*) وقع بها دفتر الآنسة (رأفة طباع) سنة ١٩٥١

(**) بيتان مستخرجان من مخطوطاته. نظمهما منذ ٤٥ سنة.

روي القاف

٣٨٢ - يا معشر الذل

(من البسيط)

يــا مـعشرَ الــذل لا تخشَــوْا أذيّـتَـنــا   فـالسيفُ للهامِ لا الأقـدامِ قـد خُلِقـا
نفــرٌّ في السلم من أشبــاحكـم أنفًــا   كـما تفـرُّون منهــا في الـوغى فَـرَقـا(١)

٣٨٣ - تحت دوحة

(من البسيط)

وقفتُ بـالـدوحـةِ الــزهــراءِ مـرتقبًــا   في شُرفةِ القصر أختَ الشمس في الأفقِ
أشكــو إليـك تبـاريـحَ الهــوى عَلَنًـا   لا أستحي من عيـون الناس في الـطُرُقِ
تمــدُّ أغــصــانُها الأيــدي محــاولــةً   تـقبيلةَ الخـدِّ أو تــطويـقــةَ الـعُـنُـقِ
كــأنّمــا أنــتِ مـن أعــوادِهــا فَـنَـنٌ   مُــنــوَّرٌ وأنــا مــن ســاقطِ الــورقِ

٣٨٤ - يا أيها الدهر

(من البسيط)

يـا أيهـا الــدهـرُ قــد جفَّفتَ لي ريقي   وعــن أحبّــايَ كـم تقضي بـتفـريـقي
أقضي زمــانيَ والأحــلام تخــدعــني   ولـيس يـثـمــر لي حـلم بـتـحـقـيـقِ
فيــا سـماواتُ جــودي لي بتـعــزيــة   ويـا صروفَ القضـاءِ اجْـري بتـوفيقي

---

(١) الفرقُ: الخوف.

٣٨٥ - تشكو خزائنكم(*)

(من البسيط)

تشكو خزائنكم ضيقًا بثروتكم والناسُ يشكونَ من فقرٍ ومن ضيق
ودّت ملايينكُم لو كنتُ سيّدها كيما تحرَّر من رقِّ الصناديقِ

٣٨٦ - لَمَحَتْ

(من الخفيف)

لمحَتْ حسنَكِ الدراري فشبَّتْ حسدًا في قلوبهنَّ الحرائقْ
فأطلَّت شمسُ النهارِ عليهنَّ وقالت والجفنُ بالدمعِ غارقْ
يا بُنيّاتِي العزيزاتِ مهلاً من رمى بينكنَّ هذي الفوارقْ
مَنْ لُميٍّ حتى تَثُرنَ عليها أنسيتُنَّ أنَّكنَّ شقائقْ؟

٣٨٧ - طلعت(**)

(من الخفيف)

طَلَعَت عبقرية العلمِ والفنِّ تهادى ببندِها الخفَّاقِ
وتُباهي مجدَ الملوكِ بمجدٍ مترامٍ على الممالك باقِ
وإذا نجمةٌ من الشرقِ لاحت تبهر العالمين بالإشراقِ
فتهاوى الورى على قدميها سُجَّدًا بالخشوع والإطراقِ
وتوارت عباقر العلمِ والفـ ـنِّ وراء السطور والأوراق
قيل: من هذه المليكة؟ قالوا: إنّها عبقريّة الأخلاقِ

(*) القطعة رقم ٦٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) القطعة رقم ٣٤ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٨٨ ـ أُلُبُ الشعر(*)

(من الخفيف)

يـا هضـاب الأردنّ صـرتِ «أُلُبَ» الشعـر مـذ شِيـدَ فيـك بيت «الشفيـقِ»
أمَّـهُ المـؤمنـون بـالـفنّ فـوجًـا تـلو فـوج مـن كـل فـجٍّ عـميـقِ
لا تـرى غـيرَ داخـل إثـر مـاضٍ يـتـلاقـى بـقـادم في الـطريـقِ
يـا لَبَيْـتٍ لـلوحـي غـيرِ عتـيق كـاد يـزري بكـلٍّ بيـتٍ عـتـيقِ
حـدَّث «الـوردُ» فيـه عن «عَبْقَـرٍ» الإبـداعِ والسحـر والجمـالِ الحقيقي
مـسـتـصـاغًـا مـن كـلِّ ذوقٍ أنـيـقٍ وخـيـالٍ راقٍ ومـعـنًى رقـيـقِ
ربِّ بـارِكْ فـيـه لـكـل قـطينٍ ونَـزيـلٍ وزائـرٍ ورفـيـقِ
دعـوةٌ مـن صَـمـيـم قـلـب صـديقٍ شفَّ عن قَلْب «يـوسف الـصدِّيقِ»

٣٨٩ ـ منطق الغرب(**)

(من مجزوء الخفيف)

مَـن لـعـرض الحـقـائـقِ مِـن أخـاديـع فـاسـقِ
سـارقٍ يدَّري بـه نـصـفُ مـليـون سـارقِ
كـاشرٍ لـلسـلام عـن حَـنَـكٍ كـالجُـوالـقِ
في فـلسـطين آيـةٌ لـلرسـول المـنـافِـقِ(١)
سُـجِّـلت في صـحـائـف مِـن قَـتـام الحـرائـقِ
رَتَّـلتـهـنَّ لـلورى فُـوَّهـات الـبـنـادقِ
وَرَوَتْهُـنَّ ألـسـنٌ مـن حـبـال المـشـانـقِ

* * *

(*) وقع بها على دفتر الزائرين بيت صديقه الشاعر شفيق معلوف في «كمبوس دو جوردون» ١٩٤٧/٢/٢١

(**) نظمت في ثورة فلسطين سنة ١٩٣٩

(١) يعني به «تشمبرلين» الإنكليزي الذي كثر تردده إلى ألمانيا قبل نشوب الحرب العالمية الثانية.

يا لئامًا بعهدهم لم يقم عُذر واثقِ
كلُّكم جِدُّ آفكٍ كذَّبونا بصادقِ
وعدُ «بلفورَ» حُجَّةٌ للمماري المماذقِ[1]
أوَ تنفي وثيقةٌ عشراتِ الوثائقِ
أين منكم وفاؤنا يومَ عقد المواثقِ
رُبَّ وعدٍ بأمة ووعود بدانقِ...[2]
منع الغابُ فافخروا باجتياح الحدائقِ[3]
وانثروا الورد في الحمى واعبثوا بالزنابقِ
لكم الفاسقون من لقطاء الفواسقِ
ولنا دولةُ الإباء - وغُرٌّ الخلائقِ
كَرِهَ العدلُ أن يرى صاهلاً خلف ناهقِ
قَصَبُ السَّبقِ عِرفةٌ للعِراب السوابقِ
دُرْنَ حول الزمان - يومِضنَ إيماضَ بارقِ
فنشرنَ الذي انطوى في بطون المهارقِ[4]
ها هو الأمس ماثلاً أمسكم لم يفارقِ
ها ميامين «خالد» ها مغاوير «طارقِ»
ها «هِرقلٌ» مشردًا لاحقًا بالبطارقِ
إنَّهُ دهرُ عِزِّكم مرَّ مرَّ الدقائقِ
إنّها شمسُ مجدكم غربت في المشارقِ!!
لن تقيكم مِظلّةٌ مطراتِ الصواعقِ[5]
عندما تلعبُ الظُّبى بالطُّلى والمفارقِ
كم خنقتم بريئة فابتُليتم بخانقِ

---

(١) المماري المجادل. المماذق: الكذوب.
(٢) الدانق: سدس الدرهم.
(٣) إشارة إلى انهزام الإنكليز أمام المجاهدين وسطوهم على النساء والأطفال في القرى.
(٤) مظلة «تشمبرلين» المشهورة.
(٥) المهارق: جمع مهرق وهو الصحيفة، تكتب فيها العهود.

أنشبَ الغولُ كفه في رقاب المضايق
ونكبتم «بطارق» عند وقع الطوارق
خذَلَتكُم دوارعٌ كالجبال الشواهقِ
وهوى البيرق الذي كان فوق البيارقِ
دُحرجَت كبرياؤكم تحت أقدام ساحقِ
وغدا الليث هُزأةً لجميعِ الخلائقِ
بُذِرَ الجوُّ حولكم بعيونِ البواشقِ

فتمنّت عيونُكم أن ترى طَرف وامقِ
كيف جالت لحاظكم شكّها لحظُ حانقِ
وأحسّت خدودكم مثلَ وقعِ المطارقِ
فاشتعلتم بلاطم وانطفأتم بباصقِ

* * *

كم نشدنا سلامكم بأحب الطرائقِ
فأبيتم سوى الأذى للحليف المُصادقِ
منطقُ الغرب في التي عُلِّقت بالمناطقِ
فاملأوا الجوَّ وازحفوا كالسيول الدَوافقِ
البواريدُ سُدِّدَت لاصطياد اللقالِقِ[1]
والسكاكين حُدِّدَتْ لرقاب الخَرانقِ[2]
قد صرعنا شقيكم بالأديب الغُرانقِ[3]
وقهرنا كَميّكم بالغلام المُراهقِ
يا لهم من شراذم فتكوا بالفيالقِ
لو أصابوا عَتادكم لأتَوْا بالخوارقِ
ألزموكم حدودكم بحدود البوارقِ

---

(١) اللقالق طيور أعجمية تجتاز البحار إلى الشرق.
(٢) الخرانق صغار الأرانب وهي أجبن الحيوانات.
(٣) الشاب الناعم الجميل.

سُرَّبًا في صدوركم مثلكم في الخنادقِ
فهربتم كأنّما ركضكم في مزالقِ
تتهاوَوْن جزَّعًا بين أيدي الزوارقِ
كم وجدتم قذيفةً لم تجد كفَّ راشقِ
وقلوبُ الرجال ما صُنعت في «الفبارقِ»!!
أعجز النصحَ فهمُكم فاجرعوا بالملاعقِ!!

٣٩٠ - سلوى(*)

(من الرمل)

لم تَمُتْ أمّي فسلوى بقيت نسخة عن أصلها لم تَفْرُقِ
ضمنت رحمتها عافيتي وشَفَتْ روحيَ بالحب النقي
كلّما جنّ وريدي سكبت دمعها القاني دمًا في عنقي
ربَّ لي أمنيةٌ واحدةٌ اننا عندك يومًا نلتقي

٣٩١ - استق الحكمة(**)

(من الرمل)

استقِ الحكمةَ لا يشغلْكَ من أيِّ ينبوعٍ جَرَتْ يا مستقي
فشعاعُ الشمسِ يمتصُّ النّدى من فم الورد وَوَحْلِ الطُّرُقِ

(*) أبيات غير موجودة في الديوان، قدمها الشاعر إلى مجلة «الحصاد» البيروتية فنشرتها بخطه وهي مؤرخة في ١٩٨٢/١/٢

(**) القطعة رقم ٣٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٩٢ - أيها الجازع (*)

(من مجزوء الرمل)

أيُّها الجازِعُ مِمّا في ظَلامِ الرَّمسِ يَلقى
أنتَ لا بالَموتِ بَل بالعيشِ يا مَغْرُورُ تَشقى
إطرَح الخَوفَ مِن الَموتِ فَماذا مِنهُ يَبقى

٣٩٣ - تبينت (**)

(من الطويل)

تبيّنتُ أسبابَ الضلالة والهدى | فلم أرَ بين العلم والجهلِ فارقا
ألم يصبحِ المخلوقُ بالعلم خالقا | وما زال ينفي أنّ للكون خالقا
همُ الناس إن لم يعشقوا الحقّ أنكروا | ولو لمسوا بالراحتين الحقائقا

٣٩٤ - موسى كريّم (***)

(من الطويل)

رِفاقَ سَبيلِ المجد سمعًا وطاعةً | وكُرمى لِعينِ الحقِّ من عابدِ الحقِّ
دعوتُم إلى تكريم شيخِ صِحافةٍ | صديقًا على ما تَعهدُونَ من الصِدقِ
ولَن تُقعِدَنيّ السِّنُّ عن واجب الوَفا | لَكُم ولِمن أكرمتموهُ بلا فرقِ
فما كان موسى رَغمَ أنفِ سَمِيِّهِ | سوى عَرَبيٍّ مؤمِنٍ طيِّبِ العِرقِ
أديبٌ عِصاميٌّ مضى في سبيله | إلى النَّصرِ لم يُلقِ السِّلاحَ ويستلْقِ
طوى العُمرَ يغذو الضادَ من ذوب قلبه | ولا يبتغي غيرَ الحلالِ من الرِّزْقِ

(*) القطعة رقم ١ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) القطعة رقم ١٠ من مجموعة «موجات قصيرة».

(***) أنشدت بالنيابة عنه في المهرجان التكريمي الذي أحيي في «صنبول» للأستاذ موسى كريّم، صاحب مجلة الشرق بمناسبة مرور خمسين عامًا على احترافه الصحافة. آذار سنة ١٩٧٢

تـنــازَعَــهُ حُبّ الــبرازيــلِ والحمى فــأطـلعَ مـن أفـقٍ جميــلٍ إلى أفــقِ
كـواكبِ «شرقٍ» بـات ليـلَ احتفـالكم بتــاريخِهنَّ الغــربُ أبهى من الشــرقِ

٣٩٥ - بذلت(*)

(من الطويل)

بــذلــتُ لأصحــابي كـنــوزَ صراحـتي فــما سرَّهـم شيءٌ كـفـلس الـتــملُّقِ
فــأســديتُ من قلبي إليهم نصيحـتي فــرُدَّت وعــاداني بهــا كــل أحمــقِ
فجــاملتُـهم حـينًــا ونـفسي حــزينــةٌ تــؤنِّبــني والخُـلق غــير الــتــخــلُّقِ
أبى لـيَ إخــلاصي لهـم أن أغـشَّـــهـم ومن لـك في صـدق الهـوى بـالمصدِّقِ

٣٩٦ - عليَّ حقوق(**)

(من الطويل)

عَــلَيَّ حــقــوقٌ لم أنَـمْ عــنْ أدائـهــا فــما بـالُ غـيري يستبيـح حقــوقي؟
تـقــدّمني مــن كــان خـلفــي لأنّــني تقــوم عـلى ســاق الأمــانــةِ ســوقي

٣٩٧ - كم صاحب(***)

(من الطويل)

وإنّي لآبى أن أطــالــب صــاحــبــي بـكــرهِ عــدوِّي أو بحبٍّ صــديقي
وكــمْ صــاحــبٍ يـقــلاكَ إن لمْ تجـارِهِ بــذم فــريــقٍ أو بمــدح فــريــقِ

(*) القطعة رقم ٧٩ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) القطعة رقم ٥٣ من مجموعة «موجات قصيرة».
(***) القطعة رقم ١٠٨ من مجموعة «موجات قصيرة».

٣٩٨ - اعملْ لما يرضيه(*)

(من الكامل)

مـا لي إليـك وسيـلة غـير التقـى	يـا من إلى غـرف الجنـان قـد ارتقى
قـد كـنت في دار الـفنـاء مُبَجَّـلا	عـنـدي فكيف وأنـت في دار البـقـا

ومنها:

المـوت يـا ابـني حـول دارك دائـرٌ	فَتَـوَقَّـعِ الخـطر الأكيـد المحـدِقـا
والعقـلُ والجهـل العـريض تـلاقيـا	عـنـد اتّـقـاء المـرء مـا لا يُـتَّـقـى
فـإذا نجـوتَ من الحـريق فـلا تقُـلْ	إني سلمتُ فـقـد نجـوتَ لـتغـرقـا
فَكِـلِ الحيـاة إلى الـذي هي نسمـة	مـن أنـفـه وكـفـاك همًّا مـقـلقـا
واعمـل لمـا يـرضيـه إن كنت الـذي	يـرجـو بـدار الخـلد معنـا الملتـقى

٣٩٩ - أمام حبقة(**)

(من الكامل)

قـد كـنـتُ مـثـلَكَ أيّهـا الحـبَـقُ	لي مـنـظرٌ حـلوٌ ولي عـبَـقُ
تهـفـو إليَّ عـيـونُ مـن نَـظروا	وتهـيـمُ بي أرواحُ مـن نـشَـقُـوا
قـد كـانَ لي ورَقٌ ولي زهَـرٌ	والـيـومَ لا زَهْـرٌ ولا ورَقُ
بـل كـنت كـالحسـونِ مسـرَحُـه	بـينَ الـنـجـومِ وعـشُّـه الأفُـقُ
إن صـاحَ في أعـوادِهِ طـربًـا	خلَتِ البـيـوت وغـصَّـتِ الـطُّرُقُ
والـيـومَ زقـزقـتي الأنـين وأجـنـحـتي الحـنـين ومـهـديَ الأرقُ	

(*) أبيات مستخرجة من مخطوطاته، رثى فيها الأستاذ سليمان الحلو.

(**) غرست أمه في فناء الدار حبقة أسمتها حبقة رشيد. وكانت تعنى بها عناية فائقة. فإذا عرا بعض وريقاتها ذبول تشاءمت، وإذا اخضوضرت تفاءلت وانبسطت نفسها. ففي صباح أحد كان صديق له ينتظر ساعة الغداء، فألقى بصره على الحبقة وهي أشد ما تكون نضارة ونفحًا، فذكر صباه في لبنان، وغلبه الحنين، فانطلقت عيناه بالدمع، وانطلق لسانه بالشعر وهو يميل برأسه ذات اليمين وذات اليسار، وصديقه يكتب، ما يهذي به، حتى فرغ من ارتجالها لم يكد يغير منها حرفًا، «صنبول» سنة ١٩٢٥

مَلَّ الأحبّة رؤيتي ونَبَت عنّي العيون ومالتِ العُنُقُ
لم يبقَ عندي ما يشفّعُني في الحبِّ إلا الدمعُ والحُرَقُ
أطلقتُها في إثرِ من هجروا والله أعلمُ كيفَ تنطلقُ
فلَوَ انّهم خلفَ السُّهى غرِقوا وَلَوَ انَّهم في الجنةِ احترقوا

٤٠٠ - السمكة الشاكرة(*)

(من الكامل)

طافت بأنحاءِ السفينة ترتجي فضلَ الكريم ونعمةَ المتصدقِ
بزعانفٍ تحت المحيطِ لوامِع لمعَ الحباحب وسط ليل أزرقِ[1]
وحشيّةٌ خرساءُ إلاَّ أنّها أزكى إذا قيست بوحش المنطقِ
غربيّةٌ خبرت أساليب الأذى دهرًا ولكن في الأذى لم ترتقِ
لم تؤذِ إلا قومه فكأنها عربيةٌ رضعت حليب تفرُّقِ[2]

* * *

برزت إلى سطح المياه ولو درت بشرًا لغاصت للقرارِ الأعمقِ
فتسابقَ الغِلمانُ يصطادونها رميًا بأنيابِ الشُّصوصِ البُرَّقِ[3]
تتلقّف الأطعامَ جائعةً وقد غفَلت بهنَّ عن البلاءِ المحدقِ
عَلِقَت بشِصٍّ فاعتلت وترجّحت كترجُّحِ المستشهدِ المتعلّقِ
فتزاحموا وسطَ السفينةِ حولها يتضاحكون لدمعها المترقرقِ
البحر منها قيدُ باعٍ وهي في غمرات بحرٍ بالمنيّة مُطبِقِ
جحظت وقد شدَّ النسيمُ خناقها تبدي محاوَلة الأسير الموثَقِ
وكأنَّ عينيها لسانٌ ناطقٌ الشعرُ يفهمه وإن لم ينطقِ
عينان هاتفتان بي دون الورى إني أعوذُ بقلبك المترفقِ
وإذا تفاضلتِ القلوب حساسةً فأرقُّ قلبٍ بينها القلب الشقي

(*) حقيقة وقعت في إحدى سفراته البحرية إلى ولاية «ريو غرندي دو سول» سنة ١٩١٨

(١) الحباحب: ذباب يضيء ذنبه ليلاً.

(٢) تعبير عن ألم الشاعر لتخاذل قومه وخضوعهم لولاية الغرباء.

(٣) الشصوص: جمع شص وهو حديدة معقوفة يصاد بها السمك.

عـايـنـتُـهـا فـشَـعَـرت أنّيَ مـائـت شـنـقًـا فـصِـحـت بـلـهـفـةٍ وتـحـرُّق
رُدُّوا الحيـاةَ إلى الـبـريئـةِ واحبسـوا أنفـاسكـم عن صـدرهـا المتمـزق
وطـرحتُهـا في البحـر فـانسـرَحَت كـما أطـلـقـتَ طـيرًا في الهـواءِ المـطلقِ

* * *

أربيبـةَ الأمـواجِ غـوصي واغـرقـي إني أخـاف عـليـك ألاَّ تـغـرقـي
هـذا فضـاؤُك واسـعُ الأرجـاءِ مـا عـرف الفسـادَ نسيمـه فـاستنشـقي
نِـعـمَ الإقـامـةُ في فـضـاءٍ مـائـع رحبِ المنـازلِ محسـنٍ حُـرٍّ نـقـي
لا تـقـربي بَـرًّا فـكـم حـوتٍ بـه تعنـو لـه حيتـانُ بحـرِكِ فـاتّقي[1]
مـا خـيـطهُ المـمـدودُ إلاّ صـورة لـلسـانـهِ المتـمـطِّقِ المتـمـلِّقِ
سيري عـلى بـركـات ربـك واذكـري ذاك الـذي يـرجـو بـأَلاَّ نلتقي.
وقفي بـجَـدِّكِ حـوت «يـونـانٍ» إذا يومًا حججتِ ضريحَ جَدكِ وانطقي[2]
لا يـذهـبُ المعـروفُ يـا جَـدي ولـو شـاخَ الـزمـانُ وشـاب عـزُّ المشـرقِ!!

٤٠١ - شر السلاح[*]

(من الكامل)

شَرُّ الـسـلاحِ ثـلاثـةٌ يُخْشى عـلى أصـحـابهـا وعـلى سـواهم فـاتَّقِ
مـوسى بـكـفِّ الـطِّفـل أو قَـلَمٌ بـكـفِّ الـنـذلِ أو مـالٌ بـكـفِّ الأحمـقِ

---

(١) تعنو: تخضع.
(٢) هو المذكور في القرآن الكريم باسم «يونس» وقد تصور الشاعر أن هذه السمكة حفيدة الحوت الذي ابتلع يونس، ثم لفظه حيًا بعد أيام. فأهاب بها أن تقف على ضريحه وتقول له: إن الشاعر العربي بإطلاقه حفيدتك قد رد لك الجميل الذي صنعته مع جده النبي منذ عشرات القرون.
(*) القطعة رقم ٣٣ من مجموعة «موجات قصيرة».

٤٠٢ - بنت الشام(*)

(من الكامل)

كفكفْ غوارب دمعكَ المهراقِ ... بنتُ الشآم أتتكَ بالتِرياقِ
بنتُ الشآمِ وإن أردتَ نهايةً ... في الوصف قل عربيةُ الأخلاقِ
أختي وأختكَ ياابْنَ سوريا فَتِهْ ... وارفع جبينَكَ باهرَ الإشراقِ
مدَّت إلى المنكوبِ كفَ شفيعة ... تهبُ الذي وهَبت يدُ الرزَّاقِ
لا تُسمها كفًّا بخمسِ أصابعٍ ... بل أسمها بحرًا بخمسِ سواقي
يا من يضنُّ على الشَقيِّ ببُلغَة ... ويجودُ للشَّهَواتِ بالأعلاقِ
بعض الندى كالبخلِ فيه معرَّةٌ ... والسرُّ في كيفيّة الإنفاقِ

٤٠٣ - يا نهر(**)

(من الكامل)

ماذا جنى «الأمزونُ» من إغراقِهِ ... قمرُ تغارُ الشمسُ من إشراقِهِ
هل هاجه وجدُ إليه فضمَّهُ ... وحنا عليه يخاف مُرَّ فراقِهِ
أم فاض من فرط المسرَّة دمعهُ ... فقضى غريقَ الدمع عند عناقِهِ
يا نهرُ كيف تُحِلُّ في شرع الهوى ... قتلَ «الأديب» وأنت من عشاقِهِ
ماذا جناه الغصن حتى غُلته ... من قبل أن يزكو جنى أوراقِهِ

* * *

قد ظنَّ في «الأمزونِ» منتجَعَ المنى ... فأتاه سم الموتِ من ترياقِهِ
ولطالما كان الهلاكُ من الغنى ... وسلامةُ الإنسان في إملاقِهِ
أمَّ الشواطىءَ جائلاً في زورق ... هو في مجال الماءِ بعض عتاقِهِ
فكبا براكبه اثنتين وإنما ... ما كان ذاك اليومُ يومَ مُحاقِهِ[1]

(*) في حفلة نسائية خيرية في «بونس أيرس» سنة ١٩٣٤

(**) رثى بها نسيبه المرحوم أديب الخوري الغرزوزي غريق نهر «الأمازون».

(١) المحاق: ما يرى في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله.

إن الأمور بوقتها مرهونةٌ ... والمال يُدفعُ ساعة استحقاقه
لو كان أبطلَ بعد ذلك سعيه ... لغدا نجاحُ السعي في إخفاقه
لكن أرى بين العواقبِ والنهى ... بابًا قضى العلاَّمُ في إغلاقه
وَلَوَ انَّ علمَ الغيب في علم الورى ... لم يفرقِ الإنسانُ عن خلاَّقِه
فطغى عليه النهر ثالث مرةٍ ... تركته مُنقلبًا إلى أعماقِه
هذا العدوُّ الغادر اللصُّ الذي ... يدعى الردى من لي بشد وَثاقِهِ
طورًا له خطو الشيوخِ وتارةً ... تُنضَى مطايا البرقِ دون لحاقِهِ
أعدى من الأعداءِ لكن صادقٌ ... في الوعد ليس يحول عن ميثاقِهِ
متغيرٌ شكلاً ومنذ وجوده ... لم نعرفِ التغيير في أخلاقِهِ

***

أأباه لا تحزن عليه فإنه ... قد سار يبغي الرزق من رَزَّاقِهِ
ناداه من عرش المهيمِنِ هاتفٌ ... يدعوك ربك يا أديب فلاقِهِ
فابسُط يديك وقل: مرادَك سيدي ... إن كنت أنت حكمت في إطلاقِهِ
واكفف دموعك إنه في راحة ... أبدية فحذارِ من إقلاقِهِ

٤٠٤ ـ رثاء شفيق المعلوف

(من مجزوء الكامل)

قَسَمًا بحبك يا شفيقْ ... و«بعصبة» الأدب العريقْ
وبطبعك السمح الكريم ـ وشِعرك الفخم الرقيقْ
إني كعهدك يا شقيق ـ الروح أقرب من شقيقْ
عفوًا إذا أنا لم أسِرْ ... كفي بكفك يا رفيقْ
السبق دأبك والزمان ـ محمّلي ما لا أطيقْ
أسعى ونوره رائدي ... وأدِبُّ خلفك في الطريقْ

٤٠٥ ـ طيور البحر(*)

(من مجزوء الكامل)

بِيضٌ كأعلامِ السلام ـ على السفينةِ تخفقُ
طورًا تُسفُّ وتارةً يحلو لها فتحلّقُ
سربٌ يرود الرزقَ من كفٍّ السلام فيُرزَقُ
ليست كعاقلةِ الطيور ـ إذا دهَت تتسرَّقُ
ترمي بسجِّيل يحرِّقُ ـ تارة ويغرِّقُ
يا طير تأخذني عليكَ ـ صداقةٌ وتصدُّقُ
دع خبزَ آدمَ إنهُ شِصٌّ بحلقِكَ يعلَقُ
لطعامهِ وشرابهِ ذكرى تُغِصُّ وتشرِقُ
لا ترجُ منه الرِفقَ فهْوَ ـ بجنسه لا يَرفُقُ
أوَلا تراه حين يُرعد ـ في الحروب ويُبرقُ
يمشي على الوجنات ـ والأحداق لا يترفّقُ
«أورُبةَ» العلمِ الذي منه التمدن يَفرَقُ
يا ليت أهلَكِ عندما طلبوا التمدن «أفرقُوا»(١)
السيفُ عندهمُ الشريعةُ ـ والرَّصاصُ المنطقُ
في المغرب اقتتلَت ـ عساكرهم فريعَ المشرِقُ
بمدافع تتلطّأ الأفلاكُ ـ إمّا تُطلقُ
مصدورةٌ في نفثةٍ منها يذوبُ الفيلقُ
ضحكوا على الأحرارِ ـ والأغرارِ حتى استوثقُوا
قالوا لهم إنّا لكم نِعمَ الصديقُ فصدَّقُوا
قَدِموا عليهم كالكرامِ ليَرزقُوا فاسترزقُوا
واستعمروا فاستثمروا واستغصنوا واستورقُوا
لم يتّقوا وهم الذين ـ قد اتّقوا أن يتقُوا

(*) في «الأطلنطيك» بين «سنطس» و«بورطو الغري» سنة ١٩١٨

(١) أي رحلوا إلى أفريقية.

هتكوا ستورَ العائلات - فكل بيتٍ فندقْ
وتحكموا بالناهبين - فكل حرٍّ موثقُ
يا حبذا الحكم - القديمُ المستبدُّ المطلقْ
كنّا ننام على السطوحِ - وبابنا لا يُغلقْ
لا مغربِيٌّ يُستَرابُ - ولا زُوافٌ تسرقُ[1]
حتى ابتلينا بالتي كنا بها نتعلّقُ
قلنا بفضلِ وعودِها آمالنا تتحقّقُ
فستظلُّ فنستدلُّ - فنستقلُّ فنسبِقُ
وإذا بهاتيك الأجنّةِ - في البطونِ تخنّقُ
وإذا سيوفٌ تُنتضى وإذا دماءٌ تُهرقُ
واخجلتي! إن فاخر - الشعراءُ ماذا أنطقُ؟
قد كان لي وطنٌ يليقُ - به الفخَارُ ويلبقُ
واليوم أفسده الطغاةُ - فشمسُهُ لا تُشرقُ
ومياهُهُ لا تُسْتَقَى ونسيمُه لا يُنْشَقُ

٤٠٦ - عتب*

(من مجزوء المتدارك)

يا أخي يا شفيقْ أنسيتَ الصديقْ
أم هجرتَ الحمى أم ضللت الطريقْ
أنا ما حُلت عن عهد حبي الوثيقْ
ظَمَئي مُحرِقٌ للحديث الرقيقْ
طفّح الكأسَ لي أدبًا لا رحيقْ
لا أطيق الجفا يا أخي لا أطيقْ
غشيتي أزمنت ربما لا أفيقْ

---

(١) من جنود المستعمرات الأفريقية.
(*) عاتب بها أخاه شاعر عبقر.

أملي - فسحة كل يوم تضيقْ
كلنا راحل كم مضى من رفيقْ
عشت بالاسم لي والمسمى شفيقْ

٤٠٧ - الفتنة الكبرى

(من الوافر)

عَرَتْني خَشيةٌ لله لّما رأيتُ الشمسَ تأذَنُ بالشروقِ
فلم أرفعْ يدي بالحمد حتى ذكرتُ بضاعتي وكسادَ سوقي
ولما قمتُ منصَرِفًا لشأني تذكرتُ الصلاةَ عَلَى الطريقِ

* * *

حَملتُ نماذجي ألقي اتّكالي على المولى ووعدٍ من صديقِ
فلم أبصرْ جمالَ الروض حتى عرتني هِزَّة الشعرِ الرقيقِ
ولما عدتُ من نظمِ القوافي تذكرتُ الصديقَ عَلَى الطريقِ

* * *

وإنيَ في ذُهولِ الشعرِ يومًا أحومُ به على غصنٍ وريقِ
إذا بحمامةٍ تبكي بُكاءً له جمدَت دمائيَ في عروقي
فلما ذابَ في سمعي صَداها تذكرتُ القريض عَلَى الطريقِ

* * *

سمِعتُ كمنجَةً في كفِّ أعمى تثيرُ كوامنَ الحسِّ العميقِ
فلما كنتُ منجَذِبًا إليها ومِلتِ إليَّ بالقدِّ الرشيقِ
ذُهِلتُ عن الصلاةِ وكسبِ رزقي وشعري والكمنجةِ و. الطريقِ

٤٠٨ ـ الليلُ أمثَلُ*

(من البسيط)

الليــلُ أمثـلُ من صبــحٍ نَعَــوْك بــه ... فهــدّ قلبي وقلب الـشعــر منعــاكــا

شمسُ الـبرازيــلِ لاحـت فيه سافـرةً ... مــذ لم ينب عـن محيـاهــا محيــاكــا

تكشّفت عن ســماهــا السحبُ مُخْلِيَــةً ... لــكَ السبيــلَ لــدن أزمعت مسراكــا

لم يـبقَ في جـفـنهــا دمــع تـنــوح بــه ... ممــا استعـرنــاه منها عنـد مبكــاكــا

يــا رائــد النجم من لي أن أراك وقــد ... كـنتَ الـقــريبَ ولم أظـفــر بمــرآكــا

مــاذا يخبّىءُ هــذا الـعــام من حَسَن ... يـرضي الورى بعـدما في الـترب واراكا

إن كــان أبقى لنــا الــدنيــا مبــادلــةً ... يــا ليتــه أخــذ الــدنيــا وأبقــاكــا

أو لـيتــني ورحـيــلي جــدٌّ مــنتــظرٍ ... رحلت عن هــذه الــدنيــا وإيّــاكــا

(*) من قصيدة ألقاها على ضريح فوزي المعلوف ساعة الدفن ولم تذكر في الطبعات السابقة لطبعة اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٨٣

٤٠٩ - آية البعث*

(من البسيط)

أبعدَ أن نَفَخَت في الصور مِصرُ لكم ... يا كافرون بيوم البعثِ تشكيكُ؟
«النصرُ» ما نزَّلَ القِرضابُ سُورَتَهُ ... و«الفجرُ» ما أذَّنَ الضِرغامُ لا الديكُ[1]
غنّى «جمالٌ» على الدنيا بشائره ... حتّى الأئِمةُ غنّت والبطاريكُ
وأشرَقَت من «بِكِرْكي» الشمسُ وانفتحت ... على العقولِ الحبيساتِ الشبابيكُ
شِبْلَي «طلال وغازي» لا عدمتكما ... حتّامَ هذي الأباكي والأضاحيكُ!
يا ويحَ سِبْطَي رسولِ اللهِ غرَّهما ... ما لا يُغَرُّ به إلا الصعاليكُ
مضاجعُ الذلِّ ما ترضون أم سُرُرٌ ... أنتم عليها ملوكٌ أم مماليكُ؟
أبطال يعرُب للثاراتِ زاحفةٌ ... صفًّا وأنتم مقاطيعٌ متاريكُ!!

٤١٠ - ليل العليل

(من البسيط)

أللهِ أنشاكِ أم إبليس أنشاكِ ... يا ليلةَ الشكِّ أو يا ليلةَ الشاكي
أسرفتِ في عَنَتي يا بنتَ شرٍّ أب ... لا شكَّ أنَّ أباكِ الدهرَ أوصاكِ
حَتّامَ أرقبُ فيكِ الفجرَ مرتعشًا ... كأنَّ طرفيَ معقودٌ بشبّاكي

(*) نظمها أواخر شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٦، وبعث بها إلى جريدة العلم العربي مع كتاب ختمه بقوله: وبعد فإني بعد فترة سكوت رسمت بالأبيات القليلة التالية صورة مصغرة للأحداث الأخيرة الخطيرة في دنيا العرب، إثر مطالعتي خطاب غبطة البطريرك الماروني بولس المعوشي في قصر بكركي ردًا على خطاب السيد أنور السادات وزير الدولة المصرية ورئيس المؤتمر الإسلامي. وكلا الخطابين آية بينة من آيات التسامح المسيحي الإسلامي. وإني لأعد خطاب غبطته فاتحة عهد تحوّل سعيد في تفكيرنا الطائفي والقومي في لبناننا الحبيب، يتّفق وهذه النهضة التحرّرية البارزة في جميع أقطار العروبة، لا يتخلّف عن ركبها لسوء الحظ إلا فارسان، هما الحسين وفيصل إذ أبيا للأسف العميق إلا أن يكونا سواء وبعض مشايخ البدو الذين تصنع منهم إنكلترا سلاطين سخرية لتمزيق وحدة العرب.

(١) القرضاب: السيف القاطع.

رحمـاكِ رحمـاكِ قـد هيجتِ بي ألَمـا كـأنـه فـوضـويٌ رام إهـلاكـي!
تشكـو فِقـاري لأضـلاعي تقرُّحـهـا من الفـراشِ فتشكـو ذي لأوراكـي
مـدفَّعٌ بـين أعضـائـي ومضـطهـدٌ كـأنـني عـربيٌ بـيـن أتـراكِ
والـروحُ تـرسـفُ بـالآلام ظـالعـةً مشيَ الأسـير المحفَّى بين أشـواكِ[1]
فـإن هي انـطلقت حينًـا تـطاردهـا مخـاوفـي بـين أقـمـارٍ وأفـلاكِ
يـا لَلرشيـدِ القليـلِ الحظِ في كبـدٍ لم يـلقَ فيـهـا طـبيـبًـا غـيرَ أفّـاكِ
قـالوا أصـابكِ سهمُ البـردِ يـا كبـدي كـأنّهم غـفلوا عـن جـرمـكِ الـذاكـي
تـألّمي وامـرضي مـا شئتِ واحـترقي مـا أنتِ أفضـل عنـدي من أحِبَّـاكِ
أمَّ لَـوَ انَّ يـديهـا مسّـتـاكِ لمـا عـانيـتِ أنـتِ ولا عـانى معـنّـاكِ
وإخـوةٍ لـو تجلّت شمسُ طـلعتهـم تـكشّـفت كسحـاب الـصيـفِ بلواكِ
لهفي عليهم : أداء الجـوع يقـرضـهم وربمـا أنـت داء الـنهـم أدواكِ[2]؟!
يـا بـنتَ لـبنـان لا تـنسَي أبـاكِ فـما «كـولـومبٌ» إلا غـريبٌ قـد تبنّـاكِ
لـه عـليـك جمـيـلٌ مـن مـآثـره هـذا الجـمـالُ المـصفّى في محيّـاكِ
فـكـلما ذكـروا لـبـنـانَ في سـمـرٍ غضي جفـونـك حـزنًـا واطبِقي فـاكِ

* * *

٤١١ ـ إيزابال(*)

(من البسيط)

لـو يـدفـع الـطبُّ، طبُّ العم نجّـاكِ أو ينفـع الحبُّ، حبُّ الأم أحيـاكِ[3]
يـا وردةً بـين أشـواكِ الـردى اختنقت والعهـد بـالـورد محروسًـا بـأشـواكِ

---

(١) ظالعة: متعثّرة.

(٢) انقطعت المراسلات في الحرب العالمية الأولى فظنّ أن أهله قد راحوا في من راح من ضحايا الجوع في لبنان.

(*) على ضريح الصبية إيزابال نعمان زيدان ـ نيسان سنة ١٩٣١

(٣) عمها الدكتور شكري زيدان.

أشعلتِ في كل قلبٍ للأسى لهبا ... مذ وسّدتكِ صقيعَ القبرِ حُمّاكِ
ما كان أولاكِ أن ترثي لوالدةٍ ... وترحمي والدًا، ما كان أولاكِ!
إذا دجا الليلُ لم تعلقْ نواظرهُ ... إلا بباكيةٍ تشكو إلى باكِ
طورًا تحومُ على الأرماسِ روحهما ... شوقًا إليك وطورًا بين أفلاكِ
هيهات نطمع أن نلقاك في جَدَثٍ ... ما أنت إلاّ ملاك بين أملاكِ

٤١٢ - أم كلثوم(*)

(من البسيط)

رنّاتُ صوتِكِ أحلى أم محيّاكِ ... يا فتنةَ الخلقِ في هذا وفي ذاكِ
نزّهتِ لحنَك عن لحن يشوّهُهُ ... فكمّلت صحةُ الإعرابِ مغناكِ
بالغتِ في الشجوِ حتى كلّنا طَرِبٌ ... شادٍ وغاليتِ حتى كلّنا باكِ

٤١٣ - جودي(**)

(من البسيط)

جودي بلمحة طَرْفٍ من مُحيّاكِ ... فما طرقنا مغاني الأُنْسِ لولاكِ
إن البحيرة والورّادُ تقصدها ... للرِّيِّ قد ظمئت وجدًا للقياكِ
ونبتة الحقل مهما اخضلَّ جانبها ... فليس تخضرُّ إلاّ عند مرآكِ
ولفظة اللطف بين الناس ما عُرفَتْ ... يا هندُ لو لَم يك الرحمن سَوَّاكِ

(*) ارتجلها في مجلس يصغي إلى صوت أم كلثوم في المذياع.
(**) أبيات مستخرجة من مخطوطاته، ارتجلها في إحدى الحسان.

٤١٤ - كم مطنب(*)

(من مخلّع البسط)

كم مطنب فيك ليس يبغي إلاً رضى الحق لا رضاكا
وعاكس المدح فيك ذمًّا إن لم تُعَجِّل له عطاكا
فإن أردت الذيوع فانظر بأيّ بوق تُلصقُ فاكا!

٤١٥ - عانقِ الوردَ(**)

(من الخفيف)

عانقِ الوردَ يا «يزيدُ» وناغِ - الطيرَ وارفع إلى النجوم يَدَيْكا
وتحمّسْ لرؤيةِ الضوءِ واهجمْ نافضًا في وجوهنا قَدَمَيْكا
قد ورِثتَ الجمالَ من يوم صُوِّرتَ وحبَّ الجمالِ عن أَبَوَيْكا
لمحةٌ من جبينِ أمِّك توحي كلَّ ما تبدعُ السماءُ إلَيْكا
ما أكبَّت على سريرك إلاَّ لتصبَّ الفتونَ في جَفْنَيْكا
وتصوغَ التوريدَ في وجنتيكا وتريقَ التغريدَ في شَفَتَيْكا
شُدَّ شَدَّ الأبطالِ كفَّيكَ واحذرْ أن يفرَّ النَّسيمُ من قبضَتَيْكا
أنت لا شكَّ شاعرٌ مثلنا أن راحة الوالدَينِ في راحَتَيْكا

(*) القطعة رقم ٢٥ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) رأى «يزيد» طفل صديقه أمين طعمه في سريره في حديقة المنزل مساء وامه مكبّة عليه تداعبه وتناغيه وهو ينفض رجليه طربًا

٤١٦ - تحية(*)

(من السريع)

تحـيـةٌ أطـيـبُ مـن نـفـحـةٍ عن كـوخـك الأخضر هَبَّتْ عليكْ
أمـا عـن الـشـعـر وعـني فَـسَـلْ كـلَّ العصافـير الشـوادي لَـدَيْـكْ
تُـنْبِئْـكَ أن قـد هَـجَـرَتْ بـيـدري إلى الـريـاض الفُسْـحِ أعني إلَيْـكْ

٤١٧ - لا أشرك

(من السريع)

مَـنْ كـان في حبِّ الحـمى مُشرِكـا فـإنـني في الحـبِّ لا أشـرِكُ
لـيـس الـذي لـبـنـان لـبـنـانُـه مـثـلَ الـذي لبـنـانـه الـبـطـرِكُ

٤١٨ - أتاني رسول

(من الطويل)

أتـاني رسـولٌ مـن لُمَيَّـةَ بـعـدَمـا حسِبتُ طَـوالَ العمـرِ لن نتحـاكى
تقـول: أمـا من سـالف العهـدِ لمَحَـةٌ تـرانـا بهـا قبـلَ الـردى ونـراكـا
فـولّيتُ وجهي شـطرَ صـرحٍ مُمَـرَّدٍ يـطاول بـالـبرج الـرفيـع سِـماكـا
فـأنـزلني في مضجـع الشمس وثبـةٌ طـويتُ بهـا السبـعَ الـطبـاقَ دِراكـا
وقـد نـامتِ العشـاقُ إلا كـواكبـا مـسـهّـدةً هـامـت هـنـا وهـنـاكـا
تَـغـامـزُ عن بُـعـدٍ علينـا وتـنـثـني تـشـاكَى هـواهـا مـثلما نـتـشـاكى
فمـدّت لتطويقي جَنـاحَيْ حمـامـةٍ تحـاولُ مـن أسرِ الـبـزاةِ فِـكـاكـا
وقـالـت وبي من حبُّهـا كـالـذي بهـا ليهـنِئْـكَ مـا ذقـنـاه بـعـد نـواكـا

(*) أبيات غير موجودة في الديوان أصلاً، واستخرجناها من رسالة بعث بها إلى الشاعر، الأديب رياض معلوف في ٢٠/٩/١٩٦١

ورعيًا لمن أغرتك بالهجرِ بعدنا　　فقد علَّمتْنا كم يدومُ هواكا
فأكننتُ وجهي فرعَها كمُروَّع　　من الطيرِ لاقى في الصعيد أراكا[1]
ورحتُ كطفلٍ يلتقي الأمَّ باكيا　　وعند لُميَّ أنني أتباكى
فأجفلها دمعي كوردٍ بصدرها　　تنثَّر أثناء العناق وَشاكا
وقالت فدى عينيك ألفُ لميّةٍ　　لتبكِ عيونُ العالمينَ عَداكا
أمثلك يبكي؟ قلت لو يُسعدُ البكا　　فقالت حبيبي مُرْ جُعلتُ فِداكا
عيونيَ تبغي أم خدوديَ أم فمي؟　　فقلتُ لها هذي وتلكَ وذاكا
وكبّلتُها بالساعدين فأسلَمَت　　أسيرةَ وجدٍ ما تُطيقُ حَراكا
وبِتُّ أعُلُّ الخمرَ والشهدَ والندى　　أقول لها هاتي فتردِفُ هاكا
إلى أن تولاّنا الذي يَسلبُ الحجى　　وينصِب للخُلقِ المتينِ شباكا
فلما هصرتُ القدَّ صاحت قتلتَني　　لأشبَهُ شيءٍ بالعداءِ هواكا
أتلبَثُ لا ندعوكَ إلاَّ زَرَيتنا　　ولا نختلي إلا أضعتَ هُداكا
إذا غِبتَ تسلونا وتلهو بغيرنا　　وإن أبتَ تُغرينا بطولِ بُكاكا
إليكَ وإلاَّ لن تراني بعدها　　وإن كنتُ لا أهوى الحياةَ بلاكا
فنبّهني الإنذارُ من سكرةِ الهوى　　وعُدتُ كما شاءَ الملاكُ مَلاكا

٤١٩ - نايف(*)

(من الكامل)

قالوا ألم تعلم؟ أما تبكي الذي　　لو كنتَ أنتَ مكانَه لبكاكا؟
فأجبتُ من تعنونَ؟ قالوا (نايفًا)　　نعني، وكم لك نايفًا يهواكا
فشككتُ في صدقِ النُّعاةِ ومن رأى　　كصباك راحَ بصدقِهم شكّاكا
حتى دها نبأ لصحتهِ غدت　　نفسي تحبُّ الإفك والأفّاكا
يا أيُّها الخلُّ القديمُ ومُورثي الحزنَ الجديدَ مصاحبًا ذكراكا

---

(١) أكننت وجهي فرعها: خبّأته بشعرها. الأراك: ضرب من الشجر.

(*) راح صديقه وتلميذه نايف ضحية سيارته سنة ١٩٢٥

ما أجرأ الناعي ألم يَكُ داريًا لما نعاكَ بأنه ينعاكا
يَمَّمْتُ دارَ أبيكَ لا ألوي على شيءٍ وَلَيْتي ما عرفتُ أباكا
وإذا بثكلى لا تني تدعو ولا ترضى يجيبُ دعاءَها إلاّكا
وتمدُّ في إجهاشها أنفاسَها فكأنما هي تنتشي ريّاكا
وشقائقٍ، عبثًا تجشّمْتَ النوى أرأيت عندك مثلهنَّ ملاكا؟
أعْوَلْنَ إذ جدَّ الفِراقُ فلم تطق لبكائهنَّ عيوننا إمساكا
وَوَدِدْنَ لو يَرْوَينَ من مرآك والعبراتُ تمنعهنَّ من مرآكا
وسُلِختَ عن أكبادهنَّ مودعًا فتهافتت أكبادهن وراكا
أرأيتَني والناسُ حولَك خُشَّعٌ لهفًا على لحدٍ يضمُّ ثراكا
وأخوكَ طورًا كالذبيح وتارةً لا يستطيع من العَياءِ حراكا
وأنا هناك بمعزِلٍ يُمنَى على رأسي ويُسرى تسند الأسلاكا
كانت أضالعَ تتقي كبدي بها واليوم منها تتقي أشواكا
أُدعَى ومثلكَ لا أجيبُ فكلنا يُلفى هناك وليس بعد هناكا
لا أستطيع رِثاك من حَزَني ولا سمعًا لمن فوق الضريحِ رثاكا
إلا بِتَهتانِ الدموع وإنها مَرثاةُ أُمِّك فيك يوم نواكا[1]
ما كان أجبنَنا أمام قساوة الحفَّارِ حينَ إلى البِلى ألقاكا
هالَ الترابَ عليك غير معارَض وكأن أيديَنا لديه يَداكا
فلوى الجميع إلى الثرى أعناقهم وأنا رفعتُ الطرفَ نحو سماكا
يتفقّدونك في الحفير وناظري للبحثِ عنك يُراقبُ الأفلاكا
حتى رأيتك تعتلي سيارةً غيرَ التي قد سُقتها لرداكا
ولمعتَ بين النيّراتِ ميَمِّمًا دارَ الخلودِ فأزهرَتْ بلقاكا
إني رأيتُكَ لا أكذِّبُ ناظري ولِيَ الرجاءُ بأنني سأراكا

(١) تهتان الدّموع: هطولها المستمر.

٤٢٠ - من حبة القمح(*)

(من الكامل)

من حبّةِ القمحِ اتّخذْ مَثَلَ الندى يا من قبضتَ عن الندى يُمناكا

هي حبّةٌ أعطتكَ عشرَ سنابلٍ لتجودَ أنتَ بحبّةٍ لسواكا

حَلَمت بأن ستعيشُ في خبز القِرى فتراقَصَت للموتِ حول رحاكا

وكأنّما الشقُّ الذي في وسطها لك قائلٌ نصفي يخصُّ أخاكا(١)

٤٢١ - جلوة القلب(**)

(من الكامل)

لا! لستِ يا نفسي كما وصفُوكِ فلقد عرفتُكِ قبلما عرفوكِ

ما أنتِ في عينيَّ إلاّ قَزمةٌ وَلَوَ انّهم فوق السُّهى رفعوكِ

لَبسوا الحريرَ فباركوك ولو دَرَوْا ذاتَ الصدورِ مع العدى لعنوكِ

الله أعلمُ بالذي أخفيتُه تحت البراقعِ من قبيحِ سلوكي

وجنوحِ قلبي في بحار غوايتي وضلالِ عقلي في ضبابِ شكوكي

عطفوا عليك فبوّأوك من العلا عرشًا وكم في العرشِ من صُعلوكِ!

فدَعي الغُرورَ وحاولي قبل النوى عملاً يبرِّرُ مدحَ مَن حبُّوكِ

(*) القطعة رقم ٧٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

(١) لما ترجمت هذه الرباعية في ما ترجم من شعره إلى «البرتوغالية» سنة ١٩٤٥ تلطفت «مرغريدا لويس دي الميدا» أميرة فن الإلقاء في البرازيل، فألقتها في حفلة عامة في مسرح صنبول البلدي. ففازت القطعة بإعجاب تألفت على أثره لجنة من أرقى السيدات البرازيليات طالبة من مرغريدا إعادة إلقائها في سبيل مدرسة لفقراء الأحداث. فراعت في موعدها الثاني ريعًا كبيرًا. وحدا هذا الصنيف بالسيد الياس عاصي إلى تكريم العبقرية بحفلة أنيقة في داره، دعا إليها نحو خمسين من صفوة رجال العلم والأدب، برازيليين وعربًا. وفي بهرة السهرة وقفت مرغريدا فألقت الرباعية إلقاءً رائعًا، تفتقت له قريحة ناظمها فورًا عن أبيات ترجمها الأديبان توفيق قربان وسلمون جورج إلى البرتوغالية نثرًا، فبلغ من طرب الفنانة أن هبت تدعوه إلى معانقتها، فدف إليها بين تصفيق الحضور قائلاً: كذب الزاعمون أن الشرق والغرب لا يلتقيان. راجع الأبيات في مكانها من الديوان. (روي اللام)

(**) ألقاها في حفلة تكريمه في «صنبول» ١٩٣١

٤٢٢ - لما عَزَفْتِ

(من الكامل)

لمياءُ قد مالَ النهارُ فراقبِي روحًا تُطلُّ مع النجومِ عَلَيْكِ
مالي إلى شرُفاتِ قصركِ غيرها سببٌ إذا رمتُ الوصولَ إلَيْكِ
أطلَلْتِ من أعلى البروج فأوشكَت تهوي الشموسُ وصائفًا حولَيْكِ
تسمو العيونُ إلى جبينِك لمحةً وتفِرُّ من بَهَرٍ إلى فَرعَيْكِ
عهدي بقلبي لا يحرِّكهُ الهوى ماذا نفثتِ عليهِ من جفنَيْكِ
فاعتاده الطَربُ القديمُ وعادَ مِنْ يُبسِ الهشيمِ إلى اخضرار الأيْكِ
لما عَزفْتِ على «بيانكِ» رفرَفَت روحي مع الألحان بين يدَيْكِ
والقلبُ ودَّ من الهُيام لَوَ انَّهُ كُرَةٌ مدحرَجَةٌ عَلَى قدَمَيْكِ
سكِرَت ملائِكَةُ النعيمِ لنفحة هبّت على الفِردوس من بُردَيْكِ
وترنَحَتْ أعطافُ باناتِ اللوى وَهَوَت بلابلُها على عِطفَيْكِ
وجلا النسيمُ عن الخمائل والرُّبى ليشُمَّ عطر الوردِ من خدَّيْكِ
أيقنتُ أنَّ النحلَ يجني حنظلاً لما جنيتُ الشهد من شفتَيْكِ

٤٢٣ - ألا يا عبيدًا*

(من المتقارب)

ألا يا عُبَيْدًا صغيرَ الدماغ طويلَ اللسان عَريضَ الحَنَكْ
بأيِّ جبين قليل الحيا ءِ تطلبُ مِنِّيَ أن أعْبُدَكْ
وتعلمُ أنِّيَ قبل احتقارِيَ إيّاكَ محتقرٌ سيِّدَكْ

(*) أبيات مستخرجة من مخطوطاته، نظمها في من أمره في جريدته أن يجثو إلى الأرض كلما التقى به وأن يضع يده على رأسه علامة العبادة، فأجابه بهذا للتسلية.

روي اللام

٤٢٤ ـ وناقلي (*)

(من البسيط)

وناقلي حيث تحلو في الهوى النُّقَلُ | يمشي به الدافعان الشوق والأملُ
كأنهُ جبلٌ يمشي على جبلٍ | يرسو إذا شاءَ طورًا ثم ينتقلُ
ما عاقه في السُّرى بردٌ ولا مطرٌ | كأن لطمَ الحيا في وجهه قُبلُ
لا أنسَ فيه ركوبي والحبيبَ وقد | بتنا وكلٌّ بصهباءِ اللِّقا ثَملُ
يمشي الهوينا كخَوْدٍ ناعسٍ نهضت | عند الضحى لم يزل في جَفنها ثِقلُ[1]
ما سار نحو الشآم الميل مكتملاً | إلاَّ وجفن الدجى بالفجر مكتحلُ
ينساب كالصِّل حرَّانَ الحُشاشة حيرا | نا كمن قطعَت في وجهه السبلُ
طورا تخِفُّ إلى استقباله قُلل | وتارة تنثني من دربه قُلل[2]
خِلوٌ من الحبِّ لا ينفكُّ منتحبًا | يشكو ويبكي وما في جسمه عِللُ
مصعِّدٌ زفراتٍ كلما عصفَت | حسِبتَها طغماتِ الجنِّ تقتتلُ[3]
حتى إذا ما انجلى سهلُ البقاع لنا | بحرًا من الخصب محمودًا به البللُ
أمواجه الخضرُ بالأزهار مزبدةٌ | مثل الحُليِّ إذا ازدانت بها الحُللُ
عدا ومن خلفه الأبعادُ مدبرةٌ | كالجِدِّ يُدبر من قُدَّامِه الكسلُ
لسرعة الجري ما لاحت له عجلٌ | كأننا في سفينٍ ما لها عجلُ
والكرمُ عن جانبيه مطرقٌ خَجِلٌ | كالغيدِ خفَّ إليها فارسٌ بطلُ
ترى العناقيدَ من أعناقها برزت | مثل النهودِ ولكن دَرُّها عسلُ
حتى إذا الأرضُ من حرِّ الهجير غدت | كأنها كبدٌ بالهجر تشتعلُ
صرنا إلى زحلةٍ، فالبعض قد ركبوا | منها وكنت أنا من بعض من نزلُوا
يا من له هوسٌ في كلِّ ذي قدم | هذا القِطارُ فأين البغلُ والجملُ؟!

(*) في القطار بين بيروت وزحلة سنة ١٩١١

(١) الخَوْد: الشابة الناعمة.

(٢) القُلل: جمع قُلَّة وهي القمّة.

(٣) طغمات: جمع طغمة وهي أرذال القوم

٤٢٥ - سل الإله

(من البسيط)

سَـــلِ الإلــه إذا نــابــتــك نــائبــةٌ فـهــو الــذي لم يُخَيِّبْ عـنــده أمــلُ
فــإن مُـنـحـتَ فــلا مَـنٌّ ولا صــلفٌ وإن مُــنِـعــتَ فــلا ذلٌّ ولا خــجَــلُ

٤٢٦ - لا عذر للحرِّ(*)

(من البسيط)

قــولــوا لِمَــن ذمَّــني في ردِّ عــاريــة لـو لـو أرُمْ بــذلَـهـا مــا كنتُ أقبَلُهـا(١)
دعني وشــأني وخُــذ في مــا خُلِقتَ لـهُ هــذي سبيــلُ إلى الـعليــاء تجـهلُهــا
كم نعمــةٍ نَبْذَ تُفّ الـظُّفـر أنبــذُهــا تـدورُ أنتَ عـلى الأبــواب تسـألُهــا(٢)
لا عــذرَ للحــرِّ في الأمــوال يجمَعُهــا إلا إذا كــانَ بــالمــعــروفِ يـبــذلُهــا

٤٢٧ - منبر العمل(**)

(من البسيط)

إن لم يَفضْ من يـديكَ القـولُ لا تقـلِ لا مــنــبرَ اليــومَ إلا مِـنــبرُ الـعَـمَــلِ
تـبــدَّلَـتْ لـغــةُ الأحــرار وانـتـقـلَت آيُ الجهــادِ من الأقــلامِ لــلأسَــلِ
والــنصرُ عنــوانــهُ بــذلٌ وتـضحـيــةٌ لا أشــطرٌ من رخيص الشعــر مبتــذلِ
بنتُ الحمى ليس يحميهـا القـريضُ ولا تـرضى عن السيفِ يوم الثأر من بَـدَلِ
أمــا أتــاكَ عـن الأردنِّ حــين فـدَت إخــوانَها من إســار الــذلِ والنكــلِ

(*) على أثر الحفلة الإكرامية التي أحيتها له الجالية العربية في «اصطنبول» سنة ١٩٣١ وزع ما قدم له من المال على بعض المنشآت العمومية فلما نشر النادي الرياضي السوري خبر التقدمة كذبته إحدى الجرائد العربية وأضفت على الشاعر آيات الذم!

(١) العارية: ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك.

(٢) التّف: وسخ الظفر.

(**) ألقاها في النادي الحمصي «بصنبول» ليلة عيد الجلاء ١٧ نيسان سنة ١٩٥٦

هبّت من الصَّفِّ كالإعصارِ واقتلَعَت ... بـاب الحـديـدِ إلى صفٍّ من الـقُلل
صُهبِ الـسبـال عـلوجٍ لا قلوبَ لهـم ... مـا ميزوا امـرأةً عـزلاء عن رجـل [١]
ومـادتِ الأرضُ ذعرًا عنـدما انـطلقَتْ ... رَصاصـةُ الغـدر من ذئب عـلى حَمَـل
فـلا تـقـل إنكـليـزيٌّ وقـل جبـلٌ ... مـن النـذالـةِ أو أجفى مـن الجبـلِ
لهفَ الشبـاب عليهـا حُـرَّةً ربـأت ... بعلمها عن خدور الـذُلِّ والكسـلِ [٢]
ريّـا بمـاءِ جمـالٍ زانـه خـجـلٌ ... ذابت لنخـوتِها الأقيـالُ من خجـلِ
تَسقي المنى وتُسَقّى المـوتَ بـاسمـةً ... يـا حسنَهـا أمـلاً يسعى إلى أجـلِ
ماتت فعاشت (رجاءً) في النفوس كما ... عاش اسمها الحلو في الأفواه والمقلِ [٣]

* * *

وهـل سمعت بها في الشام حين دعا ... داعي الجهـاد فكـانت أروعَ المُثُـلِ
ألقت بـزينتهـا عفـو الندى ورمت ... نقـودهـا وسَخت بـالحَـلي والحُللِ
بـانت من العقـدِ والأسـوار عـاطلةً ... فكـان أنفسَ حَـلي حَليـةُ العَـطَلِ
بنت العـروبـة تغنيهـا محـاسنها ... وعـفـة جعلتهـا مـضـربَ المثـلِ
هـل زان شمسَ الضحى إلاّ أشعتُها ... أو للريـاض سـوى أزهـارِهنَّ حُـلي
وأختُهـا وهي في أقصى مهـاجـرهـا ... تـسعى لأوطـانها سعيًـا بـلا كـللِ
سَـلِ المعـابدَ عنها والمعـاهـدَ، سـل ... عنها الشيوخَ، سلِ الأحداث، سَلْ، وسَلِ
في كـل مـدرسـةٍ، في كـل ميتـمـةٍ ... في كـلِّ مستـوصفٍ، في كـل محتفـلِ
صـنـائـعٌ ومـبرّاتٌ كـغـرتهـا ... بيض تَـدَفّقُ مثـلَ العـارض الهـطلِ

* * *

يـا فـاشلون ويـا خـاشـون من فشـلِ ... حتّام تبقَون عمّالاً عـلى الفشـلِ [٤]
مـا بـالكم بـأسـودِ العُـرب واثبـةً ... دون العـرين وهـذي وثبـة الحَمَـلِ
ضَعفُ الـرجـاءِ لـطلاَّبِ العـلا شللٌ ... والـروحُ تُنكبُ مثـلَ الجسم بـالشللِ
عـارٌ إذا لم نسر والنـاس قـد وصلوا ... ولـيس عـارًا إذا سرنـا ولم نـصـلِ

(١) أي حمر أو شقر الشوارب. ويقال للأعداء صهب السبال وسود الأكباد.
(٢) ربأت: ارتفعت. الخدور: جمع خدر وهو ستر يُمَدّ للمرأة
(٣) «رجاء» الفتاة الفلسطينية التي استشهدت في عمان - الأردن.
(٤) يعني بالفاشلين الانهزاميين المرجفين بالضعف والعجز.

إن كـان في سرعـةِ الماشي منيّتُـه فـأسرع الناس من يمشي عـلى مَهَـلِ
أمـا تـرون جنود الوَحـدة انتظمـوا في كـل مـضـطرَبٍ نـاءٍ ومقـتـتَـلِ
يـراقصُ الـنجـمَ في أيمـانهم عَـلَمٌ للحق مـن بَـطلٍ يُـزجَى إلى بَـطَلِ
و«نـاصرٌ» يـتـجـلى بـينهـم قـمـرًا للهـدي والحُسن، مهما شئت فيه قـلِ
ازينّت صـحفُ الـدنيـا بـطلعتـه واستغنتِ الغيد عن كُحلٍ وعن كَحَلِ
وانقـادت المعضـلاتُ العـاصياتُ لـه كـأنهنَّ قِـطارُ الأيـنـق الـذُلـلِ[1]
رأيٌ أصـيـلٌ وعـزمٌ غـيرُ ذي فَـلَلٍ كـأنّمـا هـو صـمصـامٌ بـكفِّ عَـلي
أغنتـه عن بـطشـه بـالهُـودِ زأرَتـهُ وضرَّستهـم بـأنيـاب مـن الـوجـلِ
يـرى الـوقـائـعَ رائيكم وينكـرهـا كـأنّمـا هـو في المـريـخ أو زحـلِ
إن لم يكن كـل مـا تبغـون مكتمـلاً فـأسعفـونـا عـلى الإكمـالِ يكتمـلِ
هـذي القـطوفُ التي متنـا لنُـدنيَهـا مَنكم ستجنـونها من أهـون السبـلِ
إني ليسعـدني مـا سـوف يسعـدكم وإن تـكن كُـتبَـت فـيـه المـشـقـةُ لي
مـاذا أُرَجّي من الـدنيـا وقد فـرغت منهـا يـدي وقـريبًـا ينتهي أجـلي
هـل لي من الغـدِ إلا أن يقـالَ سعى لم يـبـغ أجـرًا ولم يمـلَل ولم يمـلِ
وإنـه كـان يـرمـي كـلما خَمَـدَت نـارُ الحـماسـةِ في الأرواحِ بـالشُّعَـلِ
إن تغمـروني بسيـلٍ من مـزاعمكم إني لأغـمُـركـم بـالحب والـقـبـلِ
أيَّ الأراجيفِ أخشى بعدما اعتصمَت كفّي بـحبـلٍ بـكف الحـقّ متَّـصـلِ
سينجـلي الشـك عن فجـر اليقـين كـما ظـلُّ الفـرنجـةِ عن وجـهِ الشـآم جُـلي
نصرٌ مـن الله آتٍ لا مـراءَ بـه مـا أبعدَ الصبحَ عن ريب وعن جَدَلِ
نـزَّهت نفسيَ عـن يـأسٍ وعن أمـلٍ لمـا سَمَـوتُ بـإيمـاني عـلى الأمـلِ

---

(١) الأينق الذلل: النوق السهلة الانقياد.

٤٢٨ - البلاغ[*]

(من البسيط)

يا جامعَ المجدِ من علم ومن مالِ ... نعم ادِّخارك من باق ومن بالي
طيّارتانِ وقد أحسنتَ دفعَهُما ... في مرتقى العزِّ لم تستعليا عالي
طال ابتذالُك هذا الثوبَ في عَمَلٍ ... فاخلعْ قميصَكَ وارقد ناعم البال
ماذا لقيت من الأيامِ تُصرَف من ... توديع شغل إلى استقبالِ أشغالِ
وكيف رأيك في الدنيا وقد خرجت ... بك المنية من حال إلى حالِ
عِظنا بصمتكَ يا أستاذَنا عظةً ... عوَّدتَنا مثلها من دُرِّكَ الغالي
إنّي لأسمعُ من خلف الغيومِ صدًى ... كأنه الريحُ هبّت بين أجبالِ
يا شاعِرَ الأرضِ تدعوك السماءُ فدَعْ ... ما للثرى للثرى واعلقْ بأذيالي
لا تُلهيَنّكَ أزهارٌ مُنَمنَمةٌ ... منشورةٌ بين أشواكٍ وأدغالِ
كم سروةٍ في بساتين المنى بَسَقَت ... وكم صليبٍ على آثارِ آمالِ[1].
واصعد بنا حيثُ لا اشتدَّ الهجير ولا ... تحيَّرَ الطرف بين الماءِ والآلِ
وانظر إلى الأرضِ قد هُدَّت قواعدها ... مما تكابد من شرٍّ وأهوالِ
ماذا ترى غيرَ أنعام مطوَّقة ... أعناقها وظهورٍ تحت أثقالِ
تحبو إلى الرزقِ حبوًا والسياطُ على ... رقابها كثعابينٍ وأصلالِ
شدَّ الأنامُ إلى الغبراءِ أنفُسَهم ... ومرّغوها بأدرانٍ وأوحالِ
وألْهوا المالَ حتّى بات أعبَدُهم ... لله يخشى عقابَ الكفر بالمالِ
فانزل إليهم بإنذار لعلَّ لهم ... هديًا فقد طالما ائتمُّوا بأقوالي
قل للغنيِّ الذي باهى بثروته ... ولم يباهِ بأخلاقٍ وأفعالِ
لا تضحكنَّ على حمّال أمتعةٍ ... فلست أنت سوى حمّال أموالِ
فاعمل ليومٍ رهيبٍ طالما وجَفَت ... له قلوبُ ملوكِ المالِ أمثالي[2]

(*) أحيت جمعية متخرجي جامعة بيروت الأميركية سنة ١٩٢٣ حفلة تأبينية لرئيسها المعلم نعمة يافث.

(١) من عادة البرازيليين أن يغرزوا صليبًا عند كل مقتل منعزل، والسرو من الشجر الذي يغرس في المقابر. يعني كم من الأماني التي تموت وهي في إبان ازدهارها. وكم أمل يصدمه اليأس فيقتله وهو في سبيل التحقيق.

(٢) وجفت: اضطربت.

قد كنتُ أعرضَهم جاهًا وأوفرَهم ... مالاً فلم يغنني جاهي ولا مالي
أربى القليلُ الذي أفنيتُ في حَسَبٍ ... على الكثير الذي أبقيتُ للآلِ

* * *

سمعًا! وماذا؟ وقل عني لوارثتي ... ووارثيَّ أشقّائي وأنجالي
كانت بنفسيَ آمالٌ فأعجَلَني ... عنها الردى وبكم تحقيق آمالي
لن تأمنوا الفَوتَ والأعمارُ ذاهبة ... والحظ ما بين إدبارٍ وإقبالِ
فبادروا واغنموها فرصةً سنحت ... للبرِّ فالدهرُ لا يبقى على حالِ

* * *

أجَلْ! وماذا؟ وقل للمكرِمين خذوا ... عني تقوموا بإعظامي وإجلالي
هذا كتاب حياتي فادرسوه وَعُوا ... ما فيه من عِبَرٍ جُلّى وأمثالِ
هل كنت يومًا على الأقدارِ متّكلاً ... وهل فخرت بأعمام وأخوالِ
ترسّموا خطواتي تبلغوا خَطري ... وتدركوا مثل آمالي بأعمالي

* * *

هذا وماذا؟ وقل للراقدين على ... مضاجع الذلّ من تاريخ أجيالِ
كم قد رفعتم على أكتافكم صنمًا ... وكم وضعتم سراجًا تحت مكيالِ
وكم شهيدِ عُلًى في أنفهِ شمَمٌ ... وفي شرايينهِ يجري دمٌ غالي
علّقتموهُ على أعواد مِشنقَة ... مثلَ الوسامِ بصدر الخامل الخالي
ضجَّ الملائكُ من شكوى نوابغكم ... وأنتُمُ بين إغفال وإهمالِ
المحمصانيُّ: «قولوا كيف طُلَّ دمي»؟ ... واليازجيُّ: «أجيبوا أين تمثالي»؟

* * *

يا سادتي كلمات الحق جارحةٌ ... والحمد لله أني غير دَجَّالِ
هذا بلاغٌ أؤدِّيه لكم وأنا ... أعوذ بالحق من تَركٍ وإخلالِ
فإن نزلتم على آياته فلكُم ... أوْ لا، فحسبيَ من أفتى بإرسالي!!

٤٢٩ ـ أخرى

(من البسيط)

أنشـدت من بعـد أن شطَّ المـزار بنـا وبـتُّ في غـربتي أبـكـي عـلى حـالي
يـا ربِّ إن تُسمـعِ العُـوَّادَ حشرجتي فـحيث قـد سمـع الـزوَّارُ إهـلالي

٤٣٠ ـ المعلّم(*)

(من الخفيف)

كـلمـاتٌ كـالمنِّ بـل هـي أحـلى مـرحبًـا بـالكـرام أهـلاً وسـهـلا
شرَّفـونـا عـنـدَ المـسـاءِ وهـذي سُـورةُ الـفَجْـرِ مـن سنـاهـمُ تُـتلى

(*) هي أول قصيدة أنشدها في حفلة عامة. وقد أثبتها لا لقيمتها الفنية ـ إن كانت ـ بل لما تضمنت من جرأة أدبية وطنية وحفاظ على شرف التعليم. كان ذلك سنة ١٩٠٧ وهو يعلم في مدرسة الأميركان الخارجية في أسكلة طرابلس الشام ففي يوم أحد بعد أن قام بإلقاء عظة في الكنيسة الإنجيلية في مدينة طرابلس، دعته عمدة الكنيسة المؤلفة من المسترين نلسن ونكل الأميركيين وبعض العرب إلى جلسة جرى فيها النقاش الآتي:
المستر نلسن: يا معلم رشيد، سمعنا أنك تضرب على العود وتغني، أصحيح؟
المعلم رشيد: كل الصحة.
المستر: ولكننا لا نقر المعلمين عندنا على هذا.
المعلم: وأنتم لم تشترطوه عليَّ. ثم ما حجتكم فيه؟
المستر: إن العود من الآلات التي يعزفون عليها في المقاهي.
المعلم: وأنا أراه أقرب إلى التقوى. لأنه يمت إلى التسبيح من عهد صاحب المزامير. ولو كنت ولي الأمر لقدمته على أرغنكم وبيانكم في العزف كل أحد. ولا سيما أنه يوائم تراتيلنا العربية التي تقصر آلاتكم عن ضبط أدائها. أليس كذلك يا سيد يوسف ويا سيد شكري؟! وبعد يا مستر نلسن فإني من أجل الحرية التي تقدسونها في بلادكم.. أخطركم باستعفائي من التعليم في مدارسكم..
وكانت نهاية السنة الدراسية قد دنت. فجاء المستر نلسن ذات مساء وخاطب المعلم رشيد بنفس الأسلوب: يا معلم رشيد، سمعنا أنك تنظم شعرًا.
ـ نعم والحمد لله. فهل هذا أيضًا من عيوب المعلمين عندكم؟
ـ كلاَّ بل نطلب منك أن تنشد لنا قصيدة ترحابية في الحفلة التي سنحييها في صالون مدرستك آخر السنة.
ـ بكل سرور يا مستر نلسن. =

يــا أُولي الفضــل لا تــلومــوا رشيــدًا   فــرشيــدٌ مــا زال في النــظم طِـفْــلا

= وحدث عن دهشة المسترين عندما واجههما الشاعر بهذا النقد العلني بين ضحك السامعين وتصفيقهم
ودخلت السنة المدرسية التالية فإذا رشيد يعلّم في مدرسة بشمزين الوطنية. وإذا عوده يحتل مقام البيان والأرغن. وإذا التراتيل الإنجيلية تنقلب كل صباح وظهر ومساء إلى أغان مدرسية ورياضية ووطنية واجتماعية ينظمها ويلحن أكثرها فينشدها الطالبون والطالبات وقد طفح البشر من الوجوه ولمعت العزة القومية في العيون.
ويسمع المستر بانقلاب وثورة. في مساق التعليم في مدرسة بشمزين يجتذبان إليها الطلاب فيزورها بغتة ذات صباح فيجد المعلمين والتلاميذ وقوفًا ينشدون على رنين العود:

(من مجزوء الرجز)

ما أبهج النهار للدرس والعمل
فنبهوا الأفكار من غفلة الكسل
وخير ما نروم يا واهب المنن
أن نكسب العلوم لخدمة الوطن

الخ. ثم:

(من مجزو الرمل)

مثل أزهار الرياض هكذا قلب الفتاة
في نقاء وبياض وأريج وحياة

***

فاحفظي تلك الأزاهر من جراثيم الفساد
وليكن كالثلج طاهر فكر ذياك الفؤاد

***

زيني النفس بعلم وعفاف وأدب
ولكن هذي دراري عقد زينات العرب

الخ. ثم:

وطني المحبوب ديني أنا لا أهوى سواه
لا يطيب العيش إلاّ لمقيم في حماه
شمس لبنان اطلعي في جوك الصافي الجميل
واضفري الأنوار إكليلاً لذا الشيخ الجليل
نحن شبان البلاد تاج فخر للوطن
بالتآخي والتصافي نجعل الأرض عدن

الخ. ثم:

(من المجتث)

لبنان أفديك أمّا أحنّ من كل أم
فمن هوائك روحي ومن ترابك جسمي =

واعــذروه إن كــان يــشكــو مــلالاً إنــه حــامــلٌ مــن الــدهــر حمــلا
هــو يُــدْعَى معلّمًا غــيرَ أنَّ النــاسَ تــرجــو مــنــه ثــلاثــين شُــغــلا
تــارةً واعــظًا وطــورًا خَــطيــبًــا تــارةً «نــلسـنًــا» وطــورًا «نــكــلا»
كــم أتَــوْا يــطلبُــون مــنــه دواءً وَهْــوَ يشكــو الأوجاعَ خمسين شكــلا
ويــرومــونَ حُــكمَــهُ في الــدَّعــاوى وَهْــوَ لم يــدرسِ الشريــعــةَ أصــلا
وإذا مــا شَــدا عــلى العُــودِ يــومًــا بــعــد تلك الأتــعــابِ كــي يــتسلى
صيّحــوا كــلُّهــم عــليــه وقــالــوا لــيس هــذا الأستــاذُ لــلعلمِ أهــلا
أو هفــا هفــوةً يصيحــون: هــا هــا كــل هــذا لأنــه مــا صــلّى
فــيعــدّون عــلمَــهُ الحــق جــهلاً ويــعــدّونَ درهــمَ الجــهــل رطــلا
والــذي زاد في الــنــفــور أجــورٌ لــيس تكــفي الــثيــابَ كــيًّــا وغسلا
تــلك حــالُ المعــلمِ الــيوم حــتى يــتمــنى لــو كــان يَــعْــمَــهُ جــهــلا
هــو يَــسقــي الجــمــيــعَ مــاءً زلالاً ثــم بعــدَ الجــمــيــعِ يــشــربُ خَــلّا

٤٣١ - أُرسِلُ الشِعر

(من الخفيف)

أرسِــلُ الــشعــرَ مــثلما يــرســلُ الــعيــدُ صــبــايــا القُــرى بــسيــطًا جمــيــلا
لا كــما نــضَّــدَ الــيــهــوديُّ درًّا بــل كــما نمــنــمَ الــربيــعُ الحــقــولا

= لــبــنــان يــا أرض قــوم فــاقــوا بــكــل عــظيــم
ذكَّــر بــنــيــك صــغــارًا بــكــل مجــد قــديــم

الخ . حتى إذا انتهى الدرس خرجوا إلى الملعب صفوفًا يصدحون:

صــف ركض وثــب ولــعــبْ صــفــق رقص انس وطــربْ
لا درس ولا كــتــبْ لا شــغــل ولا تــعــبْ
فلنسرحْ ولنمرحْ
زهوًا لهوًا عدوًا شدوًا
بــأنــاشــيــد الــســرور نــتــغــنــى ونــســبــرْ
في بــســاتــيــن الــزهــورْ نــتــغــنــى بــالهــوا والــنــور

شاهد المستر نلسن وسمع ذلك كله فلم ينبس بكلمة استحسان أو استهجان. ثم ودع وخرج وعلى وجهه الأميركي ابتسامة صفراء

٤٣٢ - يوم في «كلدس»

(من الخفيف)

رُب يــوم في «كـلدسٍ» عـبـقَـريٌّ   لم تَـلِد مـثـلَه الـلـيـالي الخـوالي
دانـيـاتٍ فـيـه قُـطوفُ الأمـاني   حـالـيـاتٍ فـيـهِ طـروسُ الأمـالي
كـم قَـطَعـنـا في الـكـرمِ سُـرَّةَ عُـنـقـودٍ ومِلنـا عـلى مـهـودِ الـسَّـلالِ
يـرضـعُ الشهـدَ شيخُنا من رضيـعٍ   قـد فـطمنـاهُ عن صـدورِ الـدوالي

٤٣٣ - يا لعصرٍ(*)

(من الخفيف)

يـا لـعصرٍ لم يَـتْـرُكِ الـغـربُ فيـهِ   مَـثَـلاً لـلجـلال أو لـلجـمـالِ
ذهـبَـت هـيـبـةُ الـشـيـوخِ مـن الأَرضِ وزالـت بـراءَةُ الأَطـفـالِ

٤٣٤ - محمد بن يوسف(**)
سلطان المغرب

(من الخفيف)

كـوكـب المغـربِ الـذي ابـتعـثَ الآمـالَ نُضْرًا، وقِّـيـتَ شرَّ الأفـولِ
بشَّـرَتْنـا عنـك الأحـاديثُ، فـالأ قـطارُ نشـوى بـذكـركِ السلسبيـلِ
سـيـرةٌ طـأطـأ الملوكُ لهـا الهـامَ وشـغـلٌ بـكـل سـامٍ جـليـلِ . .
حمَلَكَ اسم الـرسـولِ فـألٌ جميـل   مؤذِنٌ بـانبعـاث عهـدِ الـرسـولِ
فـارأب الصدعَ واجمعِ الشملَ وارفَعْ   عـلَمَ العِلمِ في الجـهـاد الـطـويـلِ
إنّ في ذكـر «طـارقٍ» لـلهـيـبًـا   يـتـلظّى في كـل عـرقٍ أصـيـلِ
نـحـن مـن أبـعـد المـطارح بـالـتـأ يـيـد نـدعـو لـلمـنـقـذ المـأمـولِ

(*) القطعة رقم ١٠٢ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) أصدرت جريدة البيان في «واشنطن» سنة ١٩٥١ عددًا ممتازًا تكرمه لهذا الملك الجليل ووجده أهلاً للمديح فلبى الطلب.

٤٣٥ - تَنَزَّهي(*)

(من مجزوء الرجز)

حديقة «الرِّيبِبْلِكَا» ... لله ما أجلَّها
جلستُ فيها ساعةً ... تَشْوَى حياتي كلّها
لو جال فيها الطرفُ عُمْراً ... كاملاً ما ملّها
نَقَلْتُ فيها خاطري ... ولوعتي محلّها
يا حسنها! للنفس قل ... إن كنت لم تقل لها:
تنزَّهي تنزَّهي ... لعلّها! لعلّها!

٤٣٦ - عدنان المالكي(**)

(من الرمل)

ربَّ أرشدْ في بلادي فئة ... أمعنت في مهمه البطل ضلالا
هُمُ في السلم ضعاف عزَّل ... وهمو أضعف لو شئنا القتالا
يا بني أمّي اسمعوا النصحَ وَعُوا ... لا تزيدوا جمرة الغيظ اشتعالا
من يثق بالسبق في الحلبة لا ... يتخطفْ قصب السبق اغتيالا
قد مشينا للمعالي قِدَمًا ... من يحاولْ رَدَّنا يبغِ المحالا
أوَ نمشي القهقرى بعدُ وقد ... بعث الله لنا منا (جَمالا)
عبثًا تَسعَوْن في إخمادها ... شعلة أوقدها الله تعالى
وجه عدنان الذي غيّبتموه ... زاده الموت ضياءً وجمالا
كان مصباحًا فعاد اليوم شمسًا ... أطفئوا الشمس إذا كنتم رجالا

(*) في «الريو دي جانيرو» سنة١٩١٤

(**) ألقاها في الحفلة التي أقيمت للشهيد عدنان المالكي بدمشق سنة ١٩٥٩

٤٣٧ - قد منعنا(*)

(من الرمل)

قد منعنا الخبز عن أرواحنا ... وقصرناه على جسمٍ وعقلِ
فغدا أكملنا مسخًا له ... رأسُ شيطان على جثة بغلِ

٤٣٨ - خير ما تتلونه(**)

(من الرمل)

خير ما تَتْلُونَهُ في محفلٍ ... عملٌ يبعث ميتَ الأَمَلِ
أنا لا آبَهُ بالقولِ ولَوْ ... كانَ مكتوبًا بذَوْب المقَلِ
منطق الثورة رشَّاشٌ إذا ... قالت الكفُّ لَهُ: «قُلْ» يَقُلِ

٤٣٩ - شعري

(من السريع)

بدَّدتُ روحي ثمَّ لملمتُها ... حفظًا لذِكري قبلَ يوم الرحيلْ
ما كلّ سطرٍ من كتابي سوى ... شعاعةٍ من نور قلبي الضئيلْ
إن أفَلت نجمةُ عمري فقد ... تطلع في الأرواحِ مع كل جيلْ

٤٤٠ - اليأس

(من السريع

هل بينكم من راحم قاتلٍ ... يزحزحُ الأيَّامَ عن كاهلي
يقذِفُ بي في درَك اللُّجِّ لاَ ... يلفِظُني موجٌ إلى ساحلِ

(*) القطعة رقم ٣٧ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) أبيات غير موجودة في الديوان، مستخرجة من مخطوطات الشاعر

يـا لاشتهـائي جنـةً.. من لـظًى آكـلُ مـن يـانـعـهـا الأكـل

في شـجـرٍ مـن لهـبٍ ثـائـرٍ عـلى ضفـاف اللّهب الـسـائـل

مـأدُبـةٌ تـنـحـرُ ضـيـفـانَها آمـنـةُ الـوارشِ والـواغـل[١]

وَابَـرْدهـا عـنـدي إذا اجحـوحَمت كـأختـهـا في قفصي النّاحـل[٢]

لا قـفـةً فـلك همـومـي مـعـي ذاهـبـة بـالحـمـلِ والحـامـلِ

يـا مَن يـذرِّيني طـحـيـنًـا عـلى وجـه يَـبـابٍ محـرقٍ قـاحِـلِ

مـا رشـحَـتْ مـن جـوِّهِ قـطرةٌ يـومًـا عـلى نَضرٍ ولا ذابـلِ

أشـفِـقُ أن أبـعَـث في عـشـبـةٍ أو زهـرةٍ أو غُـصُـنٍ مـائـلِ

لاشِ حـيـاتي يـا إلهـي ولـو حـقّـقتَ زَعـم المـلحـدِ الجـاهـلِ

جـسـمـي وروحـي وأغـانيَّ لا تُـبـقِ عـلى بـاقٍ ولا زائـلِ

إنِّيَ أبـغـي عَـدَمًـا مُـطلَقًـا يُعيي عـلى الـنـافـخ والجـابـلِ

مـا حـيـلةُ الـيـائسِ لا يـنـتـهـي مـن عـاجـل إلا إلى آجـلِ

أقسى مـن المـوت عَـلَى الـنـفس أن تـسـعـى إلى المـوت بـلا طـائـلِ

هـب كـان لي الخـلدُ: تـنـغّـصتُـهُ بـذكـرِ هـذا الألمِ الهـائـلِ

واحـيـرةَ الـعـاقـلِ في خـالـقٍ قضى وأمضى بـشـقـا الـعـاقـلِ

يـفـعـلُ مـا لـو غـيرُه فـاعـلٌ لـقـامت الـدنـيـا عـلى الفـاعـلِ

يـا بـائعـا (سحبـان) من (بـاقـل) كـبيعـه شعبـيـهِ بـالـشـاقـلِ[٣]

الـقـدسُ لم تـزنِ فـما بـالُهـا تُـرجَـمُ عـن بـابـلَ مـن بـابـلِ

كـم صرعـةٍ لـلحـق قـد زغْـزغَـت رأيـيَ في الحـقِّ وفي الـبـاطـلِ

مت يـا أخي العـامـلَ مت جـائعًـا ولا تـسـل عـن لـقـمـة الـعـامـلِ

إن فـاتَـكَ الخـبـزُ فَلُكْ آيـة... وانعم بمـوتِ المؤْمن الآمـلِ[٤]

غـدًا لـك الخـلدُ فـما ضرَّ إن لم تـأكـلِ اليـوم مـع الآكـلِ

قـبِّـلْ يـد الـظالمِ قسرًا ولا تعتبْ عـلى خـالقـه الـعـادل.

---

(١) الوارش: الطامع. الواغل: الداخل على طعام القوم وشرابهم من غير عوة

(٢) اجحوحمت: صارت كالجحيم في تأججها.

(٣) سحبان: مضرب المثل في الفصاحة. وباقل مضرب المثل في العيّ والشاقل العملة اليهودية

(٤) لُكْ: الأمر من لاك بمعنى أدار اللقمة في فمه ليمضغها

هل كانتِ الآلام مذ قُدِّرت ... إلا نصيبَ الرجل الفاضلِ
فلنحمدِ المولى على نعمةٍ ... خُصّت بنا من فضله الشاملِ . .
إبليسُ، يا مسكين! مُت غَيرةً ... فالصلبُ حظُّ البشرِ الكاملِ !!

* * *

يا سائلي عن سرّ هذا الأسى ... أقصِرْ وقاك الله يا سائلي
ما أبعدَ الشكوى، على هولِها ... عن بعضِ ما ينهَشُ في داخلي
عن سرّ أسرارِ عذابي الذي ... عزَّ على السامعِ والقائلِ
يا مستعير الدمعِ لبّيكَ خذ ... ما شئتَ من طَلٍّ ومن وابلِ
في كل جفن من جفوني سمًا ... وكلُّ هدب مقلتا ثاكلِ

٤٤١ - كم عاقل

(من السريع)

لمياءُ هل في حبكم عاذرٌ ... يرد عني سفه العاذلِ
كم عاقل أنبه جاهل ... ما أطمعَ الجاهلَ بالعاقلِ

٤٤٢ - يا سامعاً(*)

(من السريع)

يا سامعًا فيَّ ولم يبلُني ... شهادة الغيبة والجهلِ
ظنُّك بي السوءَ ولا ذنبَ لي ... أقبحُ، إن أفْعَلْهُ، من فِعْلي

(*) القطعة رقم ٢٣ من مجموعة «موجات قصيرة».

٤٤٣ ـ عيونٌ وِقاحٌ

(من الطويل)

أعــوذُ بــربِّ النـــاس من شَرِّ نـســوة يُخِفنَ عتـاريسَ الـرِّجـالِ تـرجُّـلا[١]
عيــونٌ وِقــاحٌ لــو طعنتَ ســوادَهــا بـرمحٍ لعـادَ الـرمحُ في الكفِّ مِنجَـلا

٤٤٤ ـ صرفت شبابي

(من الطويل)

إذا لم أُصبْ مــالاً، فــما عن بـطالــةٍ فـللعلمِ أشـغــالٌ وللمــالِ أشـغــالُ
صرفـتُ شبــابي أطـلبُ العـلمَ ثـروةً فقـالوا جنـونٌ، والجنونُ الـذي قـالُوا
ولـيس الـغنى صعـبًـا عـليَّ وإنمـا أضِـنُّ بمـالي أن يـضـيِّـعَـهُ المـالُ
كــفــاني ثــراءً أنــني غــيرُ جــاهــل وأكــثرُ أربـابِ الغنى الـيــوم جهّــالُ
ولِي أجَــلٌ في صحبــةِ المــالِ واحــدٌ ولـكـنـه في صـحـبـةِ الـفـنِّ آجــالُ

٤٤٥ ـ تلقَّط (*)

(من الطويل)

تَلَقَّطْ شــذورَ العلم حيث وجــدتهــا وسَلْهــا ولا يُخْـجِـلْكَ أنَّــك تـســأَلُ
إذا كنت في إعـطائـك المــالَ فـاضــلاً فـإنّـك في استعـطائـك العلمَ أفْضَــلُ

---

(١) العتاريس: جمع عتريس وهو الغضوب الجبّار.
(*) القطعة رقم ٥٨ من مجموعة «موجات قصيرة».

٤٤٦ - حلم يتبخر(*)

(من الطويل)

لُمَيَّةُ هذا الحب طال عناؤُهُ ... ونـاءَ كلانا بالذي هو حاملُهْ
فيا ليتَ شِعري أنتِ بعدُ حبيبةٌ ... أغازلها أم أنتِ خصمٌ أُجادلُهْ
ألا أين عهد الأنس أين رياضهُ ... وأين أغانيهِ وأين بلابلُهْ
وأين تناغينا على المرج كلما ... مشينا عليه اخضرَّ واهتزَّ ذابلُهْ
وقد نصب الصفصافُ خيمةَ شاعر ... علينا وغطّت منكبَينا جدائلُهْ
تُشَيِّعُنا عند الوداع طيورهُ ... وتبكي لِحِرمان الجَناحِ جداولُهْ
تبخّر حلمٌ راود الجفن ليلةً ... وطار مع الريح الذي كنتُ آمُلُهْ
توهمتُ أني ناعمٌ برفيقةٍ ... لشيبي وقد غالت شبابي غوائلُهْ
إلى أن تبدَّى لي الذي كنت جاهلاً ... ويا ليت أني آخرَ الدهرِ جاهلُهْ
وكل أبيِّ النفس يهديه طبعه ... إلى أي حدٍّ يُستَحَبُّ تساهلُهْ
وبئسَ قرانٌ بين يوم وليلةٍ ... لذائذه تمضي وتبقى سلاسلُهْ
سأبقى وحيدًا في سمائي مشردًا ... كأنيَ بدرٌ أنكرتهُ منازلُهْ
ولم تخسريني لو تكوني حكيمةً ... ولكنني طيرٌ عزيزٌ مُشاكِلُهْ
وصالك حلوٌ بيدَ أني أعافه ... وهجرك صعب غير أني أحاولُهْ

٤٤٧ - حياة الزهر(**)

(من الطويل)

ألا إنّ من يولي الجميل مكافأ ... بأمثاله إن لم يكُ المثلَ بالمثلِ
ولم يغْنَ غيرُ الله قطّ بذاته ... فما البذل بين الكائنات سوى البَذْل
لئن سلب النَّحلُ الأزاهرَ أرْيَها ... فإنّ حياةَ الزهر في أرجل النَّحْلِ[1]

(*) سقطت من طبعة الديوان الأولى.

(**) القطعة رقم ٩٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

(١) لأنها تنقل اللقاح من زهرة إلى أخرى. والأَرْيُ: الرحيق والعسل.

٤٤٨ - بلبل عند جدول*

(من الطويل)

محياكَ من خلفِ التراب يهلّ لي ... بأبهى من البدر التمام وأكمل
أردّكَ بالذكرى إلى ميعةِ الصبا ... زمانَ كِلانا بلبلٌ عند جدولِ
فأبسُط كفي للسلام كأنما ... تراكَ بعين الرأس عينُ التخيُّلِ
كأن لم يَدُرْ لبنان خمسين دورةً ... وأخلاقه الغراءُ لم تتبدلِ[1]
على صهوةِ الزرقاءِ تغدو لزورتي ... بساحة حنا العمّ بينَ السفرجلِ
تكفكفُها آنًا وترخي عنانها ... فتستنُّ في الدرب استنانَ (المحجَّلِ)
على أدب العرباءِ ريضَت فكلما ... تمر على مغنَى الأحبةِ تصهلِ
وتقفزُ عنها لاعتناقي مغرِّدًا ... كأنَّ هزارًا حطَّ عن ظهرِ أجدَلِ[2]
فتغمرني من بردتيك وصدرها ... بأنفاس ريحان وأنفاس مرجلِ
وتشدو عصافير الكروم وتنحني ... أماليدُها للفارس المترجلِ
إخالك في العشرين إذ أنت تستوي ... على صدر (بشمزّين) زرَّ قرنفلِ[3]
كأنّك ماءُ المزن في كلِّ روضةٍ ... أوَ انك نورُ الشمس في كلِّ منزلِ
ربيعُ صباكَ الغضّ يكسو حقولها ... بأبهجَ من زهرِ الرَّبيع وأجملِ[4]
ويُلهبها يومَ النضالِ حماسةً ... ويطربها في كل نادٍ ومحفلِ
رسمتَ لها في حبةِ القلب صورةً ... كأيقونة العذراءِ للمتبتلِ
تنازعُها بربارتي الحب والوفا ... فأقضي لهذي مثلَ ذي رغم عذَّلي
سكبتُ على بربارتي ذوبَ مهجتي ... وكم ذقتُ منها ما يهيبُ بيَ ارحلِ
ولولا طلولٌ خُبِّئت في رجامِها ... بواكيرُ حبي عشت عنها بمَعزلِ
ولكنّ لي صبرَ المسيح على الأذى ... وقلبًا عن الإخلاص لم يتحوّلِ[5]

(*) في حفلة تأبين صديقه الشاعر المرحوم سليم غازي سنة ١٩٦١

(١) هذا البيت غير موجود في المخطوطة.

(٢) الأجدل: الصّقر.

(٣) بشمزين بلدة الفقيد وهي قرية من قرى الكورة في شمال لبنان.

(٤) في المخطوطة (بأنضر) بدلاً من (بأبهج).

(٥) هذا البيت في المخطوطة.

فيـا دارَتَيْ حبي وهـوي وصبـوتي لكلتيكـما عـنـدي هـوًى لم يُبَـدَّلِ
نقشتُ بلوحِ الصـدر رسميكما معًـا فيـا كبـدي ضمّي ويـا قـلبُ قَبِّـلِ
ويـا أكـرمَ الخـلاّنِ يـا متـرحّـلا يـشـوّقنـا تـذكـارُهُ لـلتـرحّـلِ
وحبِّـكَ لن أنسـاكَ حيًّـا وميتًـا ولـو وُصِلَ العمرُ الطويلُ بأطولِ

٤٤٩ - لم أَلق بين المترفات

(من الكامل)

لم أَلـقَ بـين المـترَفـاتِ جمـيـلةً إلاّ وجـدتُـكِ يـا لُمَـيَّـةُ أجمـلا
نقّلتُ في غُـرَرِ الـطبيعـةِ نـاظـري فـرأيـتُ حسنَـكِ مـاثـلاً متـنقّـلا
يـا درَّةً، يـا كـوكـبًـا، يـا بـانـةً يـا روضـةً، يـا بلبلاً، يـا جـدولا
خُلع الجـمال على الـوجـود مفصَّـلاً وجـلاه حُسنُـك للنـواظـرِ مُجمَـلا

٤٥٠ - يا زهرة الدنيا(*)

(من الكامل)

يـا زهـرة الـدنيا خصصت بمـا غـدا لأزاهـر الفـردوس شغـلاً شـاغـلا
فـإنّ حـليـت بـه لـفـرط جمـالـه جعـل الحوالي بـالنجـوم عـواطـلا
من حبّـة القمـح اجـترحت عجيبـة تـركـت عـقـول الأنـبيـاء ذواهـلا
جـاءت بعشر سنـابـل من بعـدمـا دفنت بصـدر الأرض حـولاً كـامـلا
حـتى إذا مـرّت بـثـغـرك مَـرَّة ردّت لـنـا أضـعـافـهـن شـنـابـلا

(*) وقال منتشيًا من روعة إلقاء مرغريدا لويس دي ألميدا أميرة فن الإلقاء في البرازيل بعدما ألقت رباعيته (من حبّة القمح)، في منزل الياس عاصي بحضور خمسين من صفوة رجال العلم والأدب، برازيليين وعربًا. ومعنى مرغريدا بالبرتغالية: أقحوانة.

٤٥١ ـ يا من يَعُدُّ(*)

(من الكامل)

يـا مـن يَـعُــدُّ عــليَّ كُــلَّ صغـيــرةٍ   إن لم تـكن مـتـســاهــلاً كـنْ عــادلا
إن كنتَ مثـلي نـاقصًــا فـاعــذر، وإنْ   تَــكُ كـامــلاً فـاعــذر لتبقى كـامــلا

٤٥٢ ـ الفردو عيسى(**)

(من الكامل)

الأمّــتــانِ بـعــيــدِكَ ازدَهَــتَــا   والمــوطنــانِ كــلاهمــا جَــذِلُ
أَيّــدتَ بــالأفعــالِ قــولَ أخٍ   لــك في العـروبـة شعـره مَثَــلُ
«لسنــا وإن أحسابُنـا كـرُمَت   يـومًـا عــلى الأحسـابِ نتّكــلُ
نــبـني كــما كــانــت أوائـلنـا   تـبني ونـفـعــل مـثـلما فـعـلوا»
يـا جيـرَةَ الـوطنِ الجـديــد بكم   وبـنــا بنــاءُ المـجــدِ يكـتَمِـلُ
متعــاضِــدِين فمن هنــا بــطلٌ   خلفَ العمــودِ ومن هنـا بَــطَلُ

(*) القطعة رقم ٥ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) نقشت على تمثال بطلين من الحديد يتعاونان على نصب عمود من المرمر رمز إعجاب وتكريم من فريق من أصدقاء الدكتور الفردو عيسى عسلي ناظر الأمن العام في ولاية «صبول» بمناسبة عيد ميلاده الثالث والثلاثين ١٩٤٤/٣/١٤

٤٥٣ - أهلاً بكاملة[*]

(من الكامل)

أهــلاً بـكــامـلة سـفـيـرةِ أكـمـلِ   تختــالُ في الحُـلَل الـسـنـيــةِ والحُــلي
هــي روضــةٌ من جنَّــةٍ، هي شُـعلةٌ   من كـوكبٍ، هي نُـطفـةٌ من منهـلِ[١]
مــا كنت أعلمُ قبـل يــوم وصـولهـا   أنّ الفـرات عــلى يمـين المــوصـل
مِـنْ سـيـدِ الـبلـغــاءِ طـرًّا أرسـلت   أعـظمْ بناسجِ بُردهـا من مُـرسِـلِ[٢]
لم تـرضَ أسـلاكُ الغـزالـةِ في الضُّحى   إلا رهــيـفَ يــراعــهِ مــن مِــغـزلِ
كـلِمٌ صُراحـيــةٌ كـصــافي الــراحِ أو   كـالسيف أُخرجَ من يمـين الصيقـلِ[٣]
بعثت «جنيف» شـذا «حِراءَ» بهـافـما   كــادت تـفــارقُ مَعــطِسِي ومُـقـبَّــلي
ونشــرتُ مِـنـديـلي لـطـيِّب نشرهــا   وطــويـتــهُ يـنـدى بـعِـطر اَلمنــدلِ
أخــدرْتُهــا صــدري فـنمَّ عـبـيرُهــا   فـأزاحَ عنها السِجفَ صـاحبنا عـلي[٤]
ومضى يجـوِّدُ في المـحــافـل آيَهــا   ثـمِـلاً وأيُّ حِـجًى بهـا لم يـثـمَـلِ
وأذاعــهــا في الخــافِـقَــيْنِ مــردِّدًا   «يـا أيُّهـا الليـل الـطويــلُ ألا انجـلِ»

(*) نظمها في شهر تشرين الأول سنة ١٩٤٦ ردًا على قصيدة الأمير الآنفة الذكر. وطبع نفر من إخوانه اللاميات الثلاث في كراس وقف ريعه على قضية فلسطين.

وجدنا بين أوراق الشاعر مخطوطتين لهذه القصيدة. رفعها في المخطوطة الأولى إلى «كوكب البيان الزاهر وقاموس العلم الزاخر عطوفة الأمير شكيب أرسلان جوابًا على رسالة وقصيدة تلطّف بتنميقهما وإرسالها فور تسلّمه كتابي وقصيدتي الوطنية».

وشطب الشاعر بعض أبيات القصيدة في المخطوطة الأولى لذلك لم نجدها في المخطوطة الثانية.

إلاّ أن عُدَّة القصيدة في المخطوطة سبعون بيتًا وعدّتها في المطبوع ١٣٨ بيتًا.

(١) شطبه في المخطوطة الأولى واستغنى عنه في المخطوطة الثانية.

(٢) بعده في المخطوطة الأولى بيتان شطبهما واستغنى عنهما في المخطوطة الثانية وهما:

حــاولـت جـهــدي أن أطــرّز مـثـلهــا   لـعــلاه فــاسـتعصـت عــلى المتـمـثّــل
هـيـهــات يـسـعـفـني الخـيــال بلمـحــة   لــسـدى بـيــان مـعـجــز المـتـخـيّــل

(٣) وبعده في المخطوطتين البيتان الآتيان:

خـلـعـت عـليّ سُـمُـوُّهـا وجـلالهـا   فـتـشـأوت كـل مـطاول مـتـطوّل
وفـخـرت أربـاب الـعــروش بهـاكـما   فـخـر الحـديـدُ نضـارهـم بالمنصـل

وكلم صراحية: أي كلمات خالصة - الصُيقل: شحّاذ السيوف.

(٤) علي محمد الحاج. أخدرتها صدري جعلت صدري خدرًا لها والخدر ستر يُمدّ في ناحية البيت. السجف: السِّتر.

عربيةُ التنزيل فصَّل آيها ... قلمُ الأمير أميرُ كلَّ مفصَّل
ما تلك بالأولى له لكنهُ ... من طبعه شفعُ الجميل بأجمل
كم للأمير يدٌ أرِسْلانيّة ... قلمي الضعيفُ لها يشاكي مقْولي
صيَّرنَ في «صنبولَ» كوخيَ مَعقِلاً ... زأرات ليث في «جنيف» مجلجل
هوِّنْ عليك فتى العروبة إنني ... ربّي وأنتَ وكلُّ حُرٍّ مَوئلي
ما ضرَّ من تَخِذَ العناية حائطًا ... ألا يبيتَ وراءَ بابٍ مُقفَل
سرَّحتُ حرَّاسي وغمتُ وباحتي ... بالحقِّ أمنعُ من عرينِ الأشبُل
أغنانيَ المولى بأهلِ مودَّةٍ ... لم أدرِ فيهم فاضلاً من أفضل
من كل وضَّاحِ الجبين كأنني ... ألقى الهلالَ بوجههِ المتهلل
لولا المزايا الغرُّ لم يستأهلوا ... غُرري ولا أنا كنتُ بالمستأهِل
أرْضى المروءَةَ والكرامةَ أن أتت ... ألطافُهم عفوًا وإن لم أسأل
يأبى إبائيَ لي ويأبى نُبلهم ... إلا إلى مُغني الجميعِ تذلُّلي

* * *

حَمَّلنيَ الجبلَ الرفيعَ وأعفِني ... من مِنّةِ البَطِرِ الوضيعِ المِقمَل[1]
فلربَّ مِتلافٍ لو استبذَلتَهُ ... للفضلِ حبةَ خردلٍ لم يبذل
ومُغازرٍ منع القليلَ وربما ... مَنَحَ الجزيلَ طماعةً بالأجزل[2]
متكبرٍ متصاغرٍ متكارم ... متكالبٍ متلطفٍ متطفل
ومطاولٍ زُهرَ الكواكب خامل ... يرجو نباهةَ ذكره من أخمل
حرم المواهبَ فاشترى أسماءَها ... ونعوتَها من سوقِ كل مدجِّل
لا يستقيد له الكرى إن لم تعشْ ... أُذُناه بين مزمِّرٍ ومطبِّل
ومحبِّبِ البُخلاءِ منّانٍ إذا ... أسدَى إليك يدًا فمت أو فارحل
في بخله الجودُ الذي ما بعده ... جودٌ وأنكى البخل إن لم يبخل
وهي النفوس فكم فقيرٍ محسنٍ ... كالأغنياءِ ومُوسِرٍ متسوِّل
ولئن هدمتُ معاقلَ البُلَى فما ... ركنُ «التَّفيْنُقِ» ناجيًا من مِعولي[3]

(١) المقمل: هو الذي استغنى بعد فقر.
(٢) المغازر: من يعطي ليستفيد أكثر مما أعطى.
(٣) البلى: ويرادفها الأخزان يعني الغنى بعد الفقر أو حداثة النعمة.

كم سيدٍ شهِدَ الفَعالُ بأصله - العربيِّ رغمَ عدائِهِ المتأصلِ

نبرات قُسٍّ في سماحةِ حاتم ... في حلم معن في وفاءِ سموءلِ

سامي الحجى حُلو الشمائل سائغٌ ... مثلِ الشمولِ تعرَّضت للشمألِ

يُلقي إليكَ السمعَ ما حدَّثتَهُ ... خُلُقَ الأديب الفاضِلِ المتعقِّلِ

حتى إذا قلتَ العروبةَ راحَ من ... ذكر العروبةِ كالنَّعام المجفلِ

مهلاً أخي مهلاً ظلمتَ ولم تكن ... لولا العروبةُ بالأخ المستمهَلِ

تالله لِمْ هذا الجفاءُ لأمة ... ما أنجبَت غيرَ المُعمِّ المُخولِ

أتريدُ أعظمَ من أبي بكرٍ ومن ... عُمَرٍ إذا انتسبَ الكرامُ ومن علي

أتجفُّ أوراقُ العروبة في ربى ... لبنان وهي نضيرةٌ في «يذبلِ»[1]

ماذا يَضيرُك لو جمعتَ المجدَ من ... طرفَيْهِ من صنعاءَ حتى «بيبلِ»[2]

ما كان كنعانٌ وعِترَتُه سوى ... عربٍ كغسانٍ وإن تجهلْ سلِ

النَّيِّرانِ كلاهما من مَطلَعٍ ... والمُرهفان كلاهما من معملِ

وبنو (مَعينَ) قبيلةٌ سبقَت إلى ... حرفِ الهجاءِ قبلتَ أم لم تقبلِ

إيمان العروبة
بعهدها الجديد

إني لصدَّاحُ العروبة طاب لي ... شدوي على سَرَواتها وتنقُّلي

ووقفتُ ألحاني على المجدِ الذي ... أبلى الزمانَ مع العظامِ وما بلي

روَّى شقائقَهُ وضرَّجَ وردَه ... مهجٌ تسيل على شفارِ الأنصُلِ

شهداؤه ملءُ البلادِ فأينما ... يممتُ لي قبرٌ يزار ولي ولي

خُلِقَ الجهادُ لنا فلو لم يبقَ من ... دمنا سوى آبن غريبةٍ لم يفشلِ

سنعيدُ صرحَ العزِّ طودًا شامخًا ... ما أحقرَ الماضي لدى المستقبلِ

من ذا يشاكلُ بين قلبٍ خافق ... بدمِ الحياةِ وبين رِمّة هيكلِ

إنِّي لأذكرُ بالترحُّمِ والدي ... والقلب يرقصُ حول طِفلي المُحولِ

---

(١) يذبل: اسم جبل ببلاد العرب

(٢) بيبل: ترخيم بيبلوس، أي مدينة جبيل.

فلسطين

أهملتَ يا ليثَ العرينةِ بابها ... يومَ الحِفاظِ فذقْ جزاء المهملِ
إذ كنتَ ترتع في «رياضك» هانئًا ... والمسجدُ الأقصى كقلبِ المرجلِ
أبَلَلْتَ أفواهَ الجِراح بقطرةٍ ... ودمُ الشهادة كالغيوث الهُطّلِ ؟
أرَمَزتَ في «أمِّ القُرى» لِفظائع ... ماد الزمان لهولهنَّ الأهولِ ؟[1]
ما أحوجَ العاني إلى البُرَّى إذا ... ضنَّ الأخوَّةُ بالرماحِ الذُّبَّلِ ![2]
أرأيت يا «عبد العزيز» كدحرة ... الأسدِ المُحِقِّ أمامَ كلبٍ مُبطلِ ؟
كَلِبٍ يهددنا بنابِ «طَرومَنٍ» ... آنًا وآونةً بظفر «طِشِرْشِلِ»
ما زلتَ توعده بضربة شوحطٍ ... حتى تحدَّى اليوم حدَّ المُنصُلِ[3]
وغدا الذي كان الأذلَّ أعزَّ من ... ولَدٍ على صدر الرئيسِ مدلّلِ[4]
متبدلاً عزاله وزئيره ... من حائط «المبكى» وجهشِ المُعوِلِ

عيد الجلاء

ما بال من زَعمَ الجلاءَ تقلقلَ ــ الهرَمُ الكبيرُ به ولم يتقلقلِ
«عيدُ الجلاءِ» تغبّةٌ إن لم يقمْ ... في مصرَ برهانٌ على الدعوى جَلي[5]
لا تخدعوا برحيله عن «جِلّق» ... وأخوه عن «بغداد» لّما يرحلِ
لا فرق إن نزفَ العدوُّ دماءكم ... من أشجع أو أخدع أو أكحلِ[6]
خسيءَ اللئيم يجيءُ جيئةَ غاصبٍ ... ويؤوبُ إيبةَ تاركٍ متفضّلِ
متحوِّلٍ كالسِّلِ من رئة إلى ... رئة عن الإيذاءِ لم يتحوَّلِ
متنقّلٍ في الشرق كالمصطافِ لا ... ينفكُّ بين مشيِّعٍ ومؤهِّلِ

---

(١) «أم القرى» جريدة الملك عبد العزيز بن سعود الرسمية.
(٢) البرى: أي الكلمة الطيبة.
(٣) الشوحط: ضرب من الشجر.
(٤) يعني به «ترومن» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.
(٥) التغبة: شهادة الزور.
(٦) عروق في مواضع من الجسد. يعني أن الوطن العربي جسد الأمة العربية. وابتلاء أي بلد منه بمرض الاستعمار قد يودي بالجسد، فيجب أن يتمّ جلاء العساكر الأجنبية عن كل بقعة فيه لتتمّ حريته.

متربصٍ متلصِّصٍ متَسَقِّطِ متلقِّطٍ متمهِّلٍ متمحِّلِ
يمشي على الطُّرُقِ اللَّواحبِ مِشْيةَ- البِيضِ النواعمِ في زُقاقٍ موحِلِ [1]
إن تتركوهُ لَيُمْعِنَنَّ تهكُّمًا بمهارجِ استقلالِكم لا يأتلي
وليُبزِلَنَّ كبودكم كدنانكم وليشربنَّ على لذيذ المأكلِ [2]
لا يرتوي إلاَّ وهنَّ فوارغٌ متهالكاتٌ وهو دنٌّ ممتلي
النيلُ والأردنُّ فضلةُ كأسهِ والرافدان ثُمالةُ المتثمِّلِ

الثورة الكبرى

يا لَلبُزاةِ عليه تحمِلُ حملةً يومَ المَصانعِ مثلَها لم يُحملِ [3]
من زحلة بغدادَ قاهرةٍ دمشقَ عُمانَ صنعاءٍ رياضٍ مجدلِ
يغشَونهُ من كل فجٍّ لا يرى وجهَ الفرار من القضاءِ المُنزلِ
يُلقِي بعُرضِ الصحصحانِ سلاحَهُ إلاّ على ساقَيهِ غيرَ معوِّلِ [4]
جَزِعًا يداه على قفاهُ تراهُ من فرطِ التلفُّتِ مدبرًا كالمقبلِ
لو كان يمكنهُ رمى أعضاءه عند الهزيمةِ قانعًا بالأرجلِ
لم يبقَ في غير الجراحةِ مطمعٌ بَطَلَ الدواءُ لدائنا المستفحلِ
وإذا المراهمُ لم تُفِدْ في دمّلٍ فالرأيُ كلُّ الرأيِ بَضْعُ الدمّلِ
وإذا أضاع الحِلمُ حقَّ مُطالبٍ فالجهل كل الجهل أن لم يجهلِ
من كان لا ينوي الوفاءَ مخيَّرًا مهما أطلتَ له النسيئةَ يَمطُلِ [5]
فاستوفِ إن عزَّ القشاعمُ بالظُّبى دينًا على الأعناقِ غيرَ مؤجَّلِ [6]
إن أنتَ لم تك عن صِراطِك غافلاً تحرُسْكَ عينُ عنايةٍ لم تغفلِ
«سجِّيلهم» بَردٌ وطوَّاحاتهم «ظُللُ الغمامِ» عليك تنزل من علِ [7]

---

(١) الطرق اللواحب: الواضحة.
(٢) بزلَ الناب: طلع وبزلَ كبودكم: شقَّها.
(٣) يوم المصانع: من أيام عنترة العبسي المشهورة.
(٤) الصحصحان: الأرض المستوية الواسعة.
(٥) النسيئة: الدّين المؤخّر. يمطل بالحق: يؤجل موعد الوفاء به.
(٦) القشاعم: مفردها قشعم وهو النّسر العظيم. والظبى: جمع ظبة وهي حدّ السيف.
(٧) الطواحات: الأهابيط «الباراشوت».

فقرنا إلى العلم

طارَت شواهينُ العقولِ وحلّقَت ... والصقرُ صقرُ قريشَ لم يتململِ
ما للذكاءِ بغير علم قيمةٌ ... والدرُّ كالحصباءِ ما لم يُصقَلِ
سنموتُ من ظمأٍ على بحر الغنى ... إن لم نَعلَّ من العلومِ وننهلِ
كم سبسب متفجِّرٍ عن ثروة ... غرقَ العلوجُ بها ولم نتبللِ (١)
لولا جمودُ الشرقِ ما نَعِموا بها ... والطَّيِّباتُ نصيبُ مَن لم يكسلِ

الكواليز*

مهلاً كواليزَ الزيوتِ عهودُكم ... حيلٌ على أهل الحجى لا تنطلي
تُجلى لخاطبها كَعابًا وهي إن ... أزف الزِفافُ جهنمُ المتأمِّلِ (٢)
شوهاءُ منتنةٌ تبدَّل زيُّها ... والوجهُ وجهُ القِردِ لم يتبدَّلِ

محاكمة «النازي» والقنبلة الذرية

أمُحاكمَ «النازي» وشرُّكَ لو طغى ... طوفانُ نوح فوقه لم يُغسلِ
ألقيتَ عنهم وِزْرَهم وحملتَهُ ... يومَ القيامةِ فوق وِزرٍ أثقلِ
سيجيءُ دورُك بعدهم في ليلةٍ ... غِيَرُ الزمانِ بمثلِها لم تحبلِ
ما كان مثلُك قاضيًا بل شافيًا ... صدرًا بنيران الضغينةِ يغتلي
رُميت بعلّته صدور مدافعٍ ... تنفثْ حناجرها الردى إن تسعُلِ
لا سِلْمَ حتى تستريحَ الأرضُ من ... نَفَر بإرهاقِ الشعوبِ موكَّلِ
في نفسه عطشٌ وجوعٌ للأذى ... لا يستطيب العيشَ إن لم يقتُلِ
يروي جريمتَهُ بهزَّة شاربٍ ... مترنّم أو شاعرٍ متغزِّلِ

---

(١) السبسب: الصحراء. العلوج: جمع عنج وهو كل جافٍ شديد من الرجال.
(*) الكوالير ومفردها كالوز هم الذين يقاتلون بالسلاح على موارد الماء.
(٢) الكعاب: الفتاة الناهد ثديها

أعـدى عـلى أمـلِ السـلامِ ذُريـرةً لم تُـبـق مـنـهُ ذريـرةً لـمؤَمِّـلِ
شحـذَ الـذكـاءَ فشقهـا للفتـكِ من سـوداءِ قـلب الجـوهـر المتـحـللِ
مـا زال حـتى دكَّ أمنـع مَـعـقـل لاذت بـه لـتـدكَّ أمنـع مَـعقِـلِ
هتـك الـرجيمُ حجابَهـا، يـا مَن رأى عِـرضَ الحَصان يـذال من متسفِّلِ [1]
حـنَّـت إلى أزَلِ الـعـنـاق ودونـه أبـدٌ يهـدد بـالـفـراق الأطـولِ
فـطوَت جـوانحَهـا عـلى النـار التي عنهـا الأبالِسُ إنْ تُحَـدَّثْ تَـوْجَـلِ
يـتبـخَّـرُ الـطودُ الأشمُّ بحـرِّهـا فكـأنَّـه ـ كـردائـه ـ من هُلهـلِ [2]
خـفيَت لـدقَّتِهـا وجـلَّ بـلاؤهـا فـهي الـنهـايـةُ في الأدقِّ الأجـللِ
عـدمٌ يعـود بـه الـوجـودُ كـأصله فـمسـاءُ آخـرهِ صـبـاحُ الأوَّلِ
لـو لم يـكشِّـفهـا لأعـجـزَ لـطفُـهـا طـوَّاحَـهـا عن مـلمـح أو محـمـلِ
كـالـروح تعـي الحسَّ لـولا شَغلُهـا جسـدًا خـلاه الحسُّ لـو لم تَشغـلِ
غـضبُ الـعـنـاصر كـلِّهنَّ مخـبّـأٌ فـيهـا يـفجِّـر من ثـنـايـا الأنمُـلِ
فـكـأنَّـهُ رفـعَ الجـحـيـمَ بـكـفِّـهِ ورمى بهـا في الحـربِ صـدرَ الجحفـلِ
سـلْ عن هـروشيـما التي ائتفكت بهـا في لمـحـةٍ فـكـأنها لم تُـؤهَـلِ [3]
نُسفَت فـدثَّـرتِ المحيطَ بقسـطلٍ حـلِكٍ وبـرقعَـتِ السـماءَ بـقسـطلِ
أبـراجُـهـا آسـاسُـهـا وهـيـبُـهـا زبَـدٌ عـلى بحـرِ الحُـطام المُشعَـلِ
بـادت فـأيُّ نُـسيمـة مـا أُهلِكـت فـيـهـا وأي نُـجـيـمـة لم تـذبُـلِ

حنين ومناجاة

لـيكـاد يـقتـلني الحنـينُ إلى الحمـى فـاعجبْ لـطول إقـامتي في «صنبـلِ»
أمشي كـبـعض الـنـائمـين أوَ انـني وسطَ المـديـنـةِ هـائـمٌ في مجـهـلِ
وأشـاطـرُ الناس الحـديثَ وخـاطـري عـمّـن أحـدثُ والحـديـثِ بمَعـزلِ

* * *

(١) يذال: يُهان ويبتذل. المُتسفِّل: المنحط.
(٢) الهلْهل: الثلج
(٣) هيروشيما: المدينة اليابانية التي رميت بالقنبلة الذرية، وائتفكت أي انقلبت بأهلها كسدوم وعمورة وتسمى هذه المدن «المؤتفكات»

يا سامعَ النجوى، بجاهِ عروبتي وجهادِ إخواني إليك توسلي
رعَشَت يداي إليك في غلَس الدجى رعشاتِ مقرورٍ بنجمك يصطلي
هبني رضاك أعشْ به أغنَى الورى وأهَبْ فضولَ العيشِ للمتمول
فإليك يا ربي إليك ضراعتي وعليك يا ربي عليك توكلي

عود على بدء(*)

عاطانيَ «العلَمُ» الأغرُّ سلافةً من دَنِّ أشهرِ كاتبٍ مترسلِ
لولا شكاةُ أميرها لُمديرها لم أرضَ عن عَلِّي بديلَ تعللي
مهلاً سليلَ المجد أيّ مهنّد طالَ القِراعُ به ولم يتفلّلِ
ربَّ البيان السحرِ وُقِّيتَ الأذى أسرفتَ في إعنات نفسك فاعدلِ
هذا كلالٌ عارضٌ لموشّح بالنصر في ساح الجهاد مكلّلِ
وخيوطُ أعصابٍ بُلينَ بِلُوثةٍ فَرَبَطنَ قلبَ المبتلَى بالمبتلي (١)
يبقى جَنابُك والطوارىء ظُعَّنٌ وتظلُّ شمسُك والغمامةُ تنجلي

٤٥٤ ـ أما الأَلى(**)

(من الكامل)

شمسَ العروبةِ عِيلَ صبرُ المجتلي شُقِّي حجابكِ قبلَ شقِّ الرمسِ لي
وتداركي مستعجلاً لو لم يخفْ سبق الحِمام إليه لم يستعجلِ
أأرى نهارَكِ قبلَ إغماضِ الردى جفنيَّ في ليلِ الحفيرِ الأَلْيَلِ
إني لمحتُ سناكِ في غسقِ الدجى رغمَ العِصابة والحجابِ المسدلِ

(*) ما ألحقه بالقصيدة بعد مطالعته رسالة الأمير في جريدة «العلم العربي» منذرة بانحراف صحته
(١) اللوثة: الجنون.
(**) أنشدها في الحفلة التي أحياها نادي راشيا في «صنبول» من أجل منكوبي سورية ليلة الخامس والعشرين من شهر تشرين الأول سنة ١٩٤٥ وفيها عتاب لفئة من مواطنيه طالما تناولته بالذم ثم أسرفت في تشهيره بالرواسيم السخرية إثر خطاب وطني ألقاه في إحدى المناسبات جاء فيه أبيات من الوافر على روي الضاد المضمومة (تراجع في مكانها) =

فلقد يرى بالروحِ شاعرُ أمة ... ما لا يرى غيرُ النبيِّ المُرسَلِ
وأشعَّةُ الإيمانِ تبتدرُ المنى ... وتردُّ للمكفوف عينَيْ أجدلِ (١)
وكواكب الشهداءِ فيكِ بشائرٌ ... ما آذَنت بالفجرِ لو لم تأفُلِ
لله خطبك يا دمشقُ مجدِّدًا ... تذكارَ يوسفَ والحسين وفيصلِ

= وقد وقعت قصيدته (أما الألى) هذه من نفس كاتب العصر الأشهر المرحوم الأمير شكيب أرسلان أحسن موقع فتلطف بمعارضتها بهذه القصيدة قال: (من الكامل)

قل للقصائد كلهن تذللي ... للشاعر القروي وسط المحفل
وتوسدي الغبراء عند قريضه ... وضعي جباهك في مكان الأرجل
من قال إني قد رأيت نظيره ... بجميع أمة يعرب لم يعدل
يأتي بكل قصيدة فتقول لا ... ما بعد هذي مطمع في أمثل
فإذا به يأتي الغداة بأختها ... عبثًا تفَوُّقُ ما مضى عما يلي
شعر يجيئك كله متشابهًا ... فتظل تعرج من عل وإلى عل
يغدو جرير والفرزدق عنده ... متمطِّيَيْن على ذراع الأخطل
متبلج إن تمض في إنشاده ... تدر الرويّ وحبه في السنبل
فكأن قارئه على ظمأ غدا ... يشتف من عذب الفرات السلسل
أشهى من العسل المصفّى طيه ... بفم الشعوبيين طعم الحنظل
حكم كما انفلق الصباح وحجة ... أضحت تقول لطلعة الشمس اخجلي
ما زلت أنشدها وبي من سحرها ... مثل الغرام يهيج في قلب الخلي
أنا تقاسمنا الحظوظ بشأنها ... فالخمر من أقداحها والسكر لي
تالله ما كالوا الرشيد بصاعه ... والجهل للإنسان أعظم مقتل
ان ينحتوا أثلاته لم يبلغوا ... من قصدهم في النحت حبة خردل
فذ ولكن إن وزنت دماغه ... يأتي عليك كأنه في جحفل
فتخال نسبتهم إلى عليائه ... مثل الحضيض إلى السماك الأعزل
والمرء إن سارت أوابد قوله ... باتت تعد ذنوبه بالأنمل
ان يكثروا في وجهه فمثالهم ... زرع أتاه حاصد بالمنجل
أعداء أمتهم وحسبك محنة ... لمجاهد بعداة أمته ابتُلي
أعداء أمتهم وهم من أهلها ... أفلا تراك تقول يا نفس اشعلي
يرضون أن يعلو الغريب عليهم ... في أرضهم ويكون ربَّ المنزل
ما كنت أول فاضل في عصره ... أفنى الكنائن من سهام العذل
جمدوا على الداء القديم وأمعنوا ... في خطة كالصخر لم تتحوّل
اليوم مثلهمو كما غادرتهم ... من عهد ألف في السنين وأطول
ولمثلهم قال المسيح وقوله ... نص صريح في الكتاب المنزل
لا يعلمون كلامهم من جهلهم ... يا رب فاصفح عنهمو وتفضل

(١) الأجدل: الصقر

هــزَّت جــذورَ الأرز منــهُ عــواصفٌ هــوجاءُ تقــذفُ بـالحصى والجنـدلِ
يــا هــاتفًــا بـالفــرقـدَين: تــلاقَيـا! كلَّفتَ نفسـك وصـل مـا لم يُفصـلِ
مـا الشامُ مـا بـيروتُ في البلوى سـوى عَـيـنَيْ مـولّهـةٍ وحــدَّيْ فـيصـلِ
أرأيــت ويحـكَ مـقــلةً هَمَـلَت عــلى فـقــد الحبيـب وأُختُـهـا لم تهمِـلِ
من هــام في حبِّ الغـريب فلستُ عن حـب الأخ الـعــربيِّ بـالمـتــحـوِّلِ
وأعــزّ مــن دنــيـا الأعــزَّة كــلها جـاري القريب وإخــوتي في المنـزلِ
يـا مـن يـعــدُّون الـدفـاعَ تهجـمًا ويــؤوِّلــون الـنـقــدَ شرَّ مـؤوَّلِ
وحــيـاة لـبـنــان وأرزتِــه ومـا أقــسـمــتُ إلا بـالحـبـيـب الأولِ
لم أنــوِ مـا تــعــنــونَ قطُّ ولم أقــل إلا الــذي قــالـت بـلاديَ لي قُـلِ
لـتَشُـكُّ قـبـلَ جلودكـم في مهـجتي إبَــري وتنفَــذُ من ضلوعـيَ أنصـلي
أرمي بكعب الـسّمـهَـريِّ صـدوركم وسِـنـانُـه بـيـدي يـقـطِّع أنمـلي
وَلَــوَ انَّ غــيرَ المــرِّ يـشـفـيكـم لمـا جـرَّعتكـم غـيرَ الشراب السلسلِ
فــلطالمـا أنـزلتـكـم بمـدائـحـي فــوقَ الثـريّـا والسمـاكِ الأعـزلِ
أنـصفـتكـم في المـوقـفَـين كـليهـما شتّـانَ بـين مشـرِّفٍ ومخجّـلِ[1]
مــا بـالُ وادي الحُب يُنبت شـوكـتي رمحًـا فـإن أزرعْ جمـيـلاً يُمـحِـلِ
أوَلـيس يــزكــو في حـقــول ودادكــم غــيرُ الـقَتـاد لنـا وحَبُّ الحنـظلِ
مـن ثلثِ قــرنٍ لا يــزال سِـبـابكـم جبـلاً عـلى قلبي خفيفَ المحمـلِ
لــولا آدِّراعـي بـالمحبـةِ لاغـتـدَت كبـدي لـوقـعِ نبـالكم كـالمُنخُـلِ
أبكي وأضحـكُ للعـذابِ كمـرضـع شـدَّ الـولـيـدُ بشعـرهـا المسْترسـلِ
كـم بيـنكـم لي من صـديـقٍ صـادقٍ يحـنـو عــليَّ حـنـوَّ أمٍّ مُـطفِـلِ
حـسبـي بـنـخـلة بـلبـلاً لأغضَّ عـن غـربـانكم طـربًـا لشـدو البلبلِ[2]
وتــطيب مـوسيقى الحقــول وإن عـلا فيهـا النقيقُ عـلى خـريـر الجـدولِ

---

(١) سبقت لغبطة البطريرك أنطون عريضة مواقف وطنية لم يمدحه عليها شاعر غير «القروي» فمن ذلك أبيات ثلاثة من الرمل على روي الدال الساكنة وأبيات ثلاثة أخرى من الوافر على روي الدال المضمومة (تراجع كلها في مكانها)

(٢) نخلة جبران ابن عم جبران خليل جبران، شاعر فطري بليغ وهو في طليعة أصدقاء القروي.

أما الألى شمَتوا بمنكوب الحمى ... والبائعونَ بلادَهم من «ديجُلِ»

والطالبونَ حمايةَ الباغي وها ... دمُهم على قدميهِ لَما يُغسَلِ

فهم الألى بين الاباءِ وبينهم ... ما بينَ أعلى الكائنات وأسفلِ

لم يهتفِ الحرُّ الكريمُ بمحفل ... إلا تلاهُ طنينُهم في المحفلِ

هيهاتَ أُرضيهم ولو أسمعتُهم ... غررًا كآياتِ الكتابِ المُنْزَلِ

السلُّ والسرطانُ عافيةٌ إذا ... قيسا بدائهِمُ الدفين المعضلِ

متعصِّبون لو استعرت لطبِّهم ... كفَّ المسيحِ أصبتهم في المقتلِ

جرَّحتُهم وأنا أُريدُ شفاءَهم ... يا للمدجّج وهو عينُ الأعزلِ

والحقُّ ملمسهُ أشدُّ من الظُّبى ... وقْعًا ولو بطّنتَهُ بالمُخمَلِ

٤٥٥ - الدار لي (*)

(من الكامل)

فصلُ الخطاب هنا بحدِّ الفيصلِ ... فاقطَعْ «بلندنَ» ما بدا لكَ أو صلِ

يا مُغريًا بيَ عنكبوتَ دهائه ... هلاّ غزلتَ بغير هذا المِغزَلِ

إن كنتَ يومًا بالوعودِ مكرتَ بي ... أنا غيرُ عهدكَ في الزمانِ الأوَّلِ

وكَلتُ إنجيلَ السلام فلم يفز ... غيرُ الحسام بحلِّ هذا المعضلِ

أغناني الحقُّ الذي أنا ربُّهُ ... عن وقفةِ المتسوِّل المتوسِّلِ

ليس الدمُ المسفوحُ منك سوى دمي ... والمنزلُ المهدومُ إلا منزلي

الأرضُ لي والدارُ لي والقولُ لي ... والفعلُ لي والسيفُ لي والنصرُ لي

(*) لسان حال العربي الفلسطيني.

٤٥٦ - يوبيلكم(*)

(من الكامل)

أوقِدْ سراجَك باحثًا عن فاضلٍ واظفرْ بروحيَ إن ظفرت بطائلِ
إلاّ منَ العلماءِ فالأبطالُ في أمنٍ إذا ذُكر الورى بالباطلِ
أتجاورُ الأفلاكَ مهجةُ عالمٍ وتبيتُ في دَرَكِ الحياةِ السافلِ
وترى الخلودَ بدوحهِ وظلالهِ وتظلُّ هائمةً بظلٍّ زائلِ

* * *

يامادح الجُهلاءِ لست بمُسمعٍ شعرًا ولو أسمعتَ شدوَ بلابلِ
هل بعد قولك «عالمٌ علاّمةٌ» يُلفى مجالٌ في المديحِ لقائلِ
شرفٌ «لصرّوفٍ ونمْرٍ» طالما ودَّ السموَّ إليه أشرفُ عاهلِ
وبلوغُك السبعينَ دون بلوغِه ومجامرُ التحصيلِ دون الحاصلِ
والحقُّ أزْيَنُ ما يُشاهَدُ عاطلاً ويكون أنفسَ حليةٍ للعاطلِ

* * *

خمسون عامًا من شبابِ الفكرِ قد طُويَت لنشرِ هدًى وبذرِ فضائلِ
عمرُ الفتى مجموعُ أعمارِ الألى منهُ استفادوا ناقلاً عن ناقلِ[1]
واللانهايةُ من ثوانٍ ساوَقَت نَبَضاتُها نبضاتِ قلب عاملِ
لا بد إن ظَفروا بحبٍّ شاملٍ فلطالما عملوا لنفعٍ شاملِ[2]
جمعوا إلى العلم النُضارَ فكُرِّموا من جاهلٍ تكريمَهم من عاقلِ
أنّى تسرْ وتطرْ فلستَ بسامعٍ إلا حديثَ منابرٍ ومحافلِ
فلكلِّ قلبٍ شاعرٍ تهليلةٌ في عيدِهم ولكلِّ نجمٍ آهلِ

* * *

(*) بمناسبة يوبيل «المقتطف» الخمسيني لصاحبيه العلامتين يعقوب صروف وفارس نمر.

(١) وبعده في المخطوطة:

في كلِّ ثانيةٍ يضم جذورها حقل الجهاد ونواة عمر كامل

(٢) وبعده في المخطوطة:

حتّى الألى عملوا لنفع شامل واليوم قد ظفروا بحب شامل

أبـطارقَ العلمِ الـذين تباركَت | أغـراسُهم وزكَت بعصرٍ ماحـلِ
إن كـان هـذا الجيـلُ يعرفُ قـدركم | مـا بـالُكم ببني الـزمـانِ القـابـلِ
«يـوبيلكم» يطوي العصورَ مصاحبًا | آثـاركـم وأَجَـدُّهُ في الآجِـلِ
ويـزيـدُهُ كـرُّ الـعَشيِّ تـألُّـقًـا | فكأنَّ قرصَ الشمسِ مصقلُ صاقلِ[1]

٤٥٧ ـ عجبت لُمَيَّةَ(*)

(من الكامل)

عـجـبـتْ لُمَيَّـةُ إذ رأتـني قـانـعًـا | من هـذه الـدنـيـا بسـتر الحـالِ
قـالت: لِـداتُـك كُلُّهم لم يُـرْضِهِمْ | إكـثـارهـم ورضـيـتَ بـالإقـلالِ
فـأجـبتـهـا: غلب الخيـال ولم أكن | مِمَّـنْ يـبـيـع نـبـوغـه بـالمـالِ
وَلَـوَ آنَّ شعبيَ كـالشعـوبِ مكـافِئٌ | جُـهْـدَ الأديب عـلوت فـوق العـالي
فبنيتِ قصرًا بعـد كُـلِّ قصيـدة | وغـرستِ كـرمًـا بعـد كـل مقـالِ
ورأيـت عُـبّـادَ الـنّضـار جميـعَهـم | سـجـدوا عـلى أذيـال بنت خيـالي

٤٥٨ ـ ما أكرم الفلاح(**)

(من الكامل)

مـا أكـرم الـفـلاّح بـين كـرومـه | مَجَلَتْ يـداه بمثـمـر الأعـمـالِ[2]
فاعمل ولو في حقل جارِك سُخْرَةً | واهـزأ بـقـوّة رافـع الأثـقـالِ
أسفي لشـلاّل العـزائم والقـوى | بـين المجـون يضـيـع والإهمـالِ
في الجـدِّ ملهًى للعظيم وملعبٌ | حـربُ الزّمـان رياضـة الأبـطالِ

---

(١) وبعده في المخطوطة:
بـلغـتُـم المـاس ممـدودًا بـه | حـبـل الجـهـاد إلى الجـزاء الـعـادل

(*) القطعة رقم ٩٩ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) القطعة رقم ٧٧ من مجموعة «موجات قصيرة».
(٢) مَجِلَتْ يداه: تقرّحتا من العمل.

٤٥٩ ـ ما مضً(*)

(من الكامل)

مـا مضً أربـابَ الـعقـولِ كـبِيئـةٍ ... مـوبـوءةٍ بـغُـرورِ أهـلِ المـالِ
وجهنّمُ الفـضـلاءِ عنـديَ مجلسُ الـ ... ـمـتـكـبريـن ومـعـشـرُ الجُـهّـالِ
فلو استـطعتُ نـأيتُ عن كـل الـورى ... إلا عــن الـعـلماء والأطـفـالِ

٤٦٠ ـ وكتمتُ حُبّكِ

[من الكامل]

ضـاقت حنايـا الأرضِ عن سرِّ الهـوى ... فـتـنـفّـسـت عــن أنـجُـمٍ ولآلِ
وكتمتُ حبّـكِ فـاكتْسَت من وَشيـهِ ... حُـلَلُ الـبَـيـانِ نـفـائـسـاً وغـوالي
لـولا الـصبـابـةُ يـا لميّـة لم أضَـعْ ... عـرشَ القيـاصر تحتَ عـرشِ خيـالي
أطـلعـتِ في فَـلَكِ الجـمال كـواكـبـاً ... إشـعـاعُـهُـنَّ خـواطـر وأمـالي

٤٦١ ـ لا يذهَبَنَّ(**)

[من مجزوء الكامل]

لا يــذهَبَنَّ بـك الـتـردّدُ إن عـزمت عـلى عَمَـلْ
مـا أخـطأ العليـاءَ من ركبَ الشجـاعـةَ والأَمَـلْ
وإذا بلغت الصَّعْبَ فـاحـذرْ أن يؤخِّـرَك الـوَجَـلْ
خـطرُ النزول أشـدُّ من خـطر الصعـود إلى الجبَـلْ

(*) القطعة رقم ٤٩ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) القطعة رقم ١١٠ من مجموعة «موجات قصيرة».

٤٦٢ - رفاق الجهاد

[من المتقارب]

رفاقَ الجهاد ارفعوا الرايتين ... فقد حقّقَ اللهُ نصفَ الأمَلْ
وجاءَ البشيرُ بنقض القَرار ... فزحزح عن كل صدرٍ جبَلْ
ولكننا لم نزل في الطريق ... ولن نغمدَ السيفَ حتى نصلْ
فقد رضعَ الغربُ نكثَ العهود ... وإنَّ لنا كلَّ يوم مَثَلْ
فان سرَّكم أنني شاعرٌ ... فأعظمُ ممن حكى مَن فَعَلْ
تضيعُ منابرُ أهل الكلام ... أمام ميادين أهل العمَلْ
وقِرشُ الزكاة بكف الجواد ... كَسيف الجهاد بكفِّ البطَلْ

٤٦٣ - إلى القمر(*)

[من المتقارب]

أيا كوكباً في سماءِ السعودِ ... يتيه على النيِّرات اختيالا
إذا ما تنقّلتَ بين البروجِ ... ففي جو لبنان حُطَّ الرحالا
وأقر النسيمَ سلامي نسيماً ... وأهدِ الجبالَ هُيامي جبالا
ولُحْ في «الوطا» قبل كل البلادِ ... وألقِ من النورِ فيها حبالا
وزُرْ بيتنا لترى عيلةً ... بكل جميلٍ تفوق العيالا
فمن إخوةٍ مثلِ عِقدِ النجوم ... وأم تلوح عليهم هلالا
زنابقُ قد نبتوا في الحقول ... قلالُ النظير وليسوا قلالا
فليبٌ، فؤادٌ، أديبٌ، نديمٌ، ... ودعدٌ، كذا فَلْيلِدْنَ الحبالى
بعيدون عن داعياتِ الخصام ... قريبون مما يُزكِّي الخصالا
يظلون بين عناقٍ وضمٍّ ... مدى الدهر لا يعرفون الملالا

* * *

(*) من قصيدة نشرها سنة ١٩١٣ في جريدة «البريد» التي تصدر في «الريو دي جانيرو» عاصمة «البرازيل» وهي أول ما طلع به على الناس من منظومه في تلك البلاد.

وإن شِمتَ أميَ عند المغيبِ تُوجِّهُ للبحرِ عني سؤالا
تؤمُّ الموانِيَ بعديَ تبغِي بمدمعها - لا بهنَّ - اغتسالا
وتنظر عنِّيَ تلك الرمالَ فتبكي وتلثِمُ تلك الرمالا
فقف خاشعاً وقفةَ الولدِ البرِّ بالوالدَين وخذني مثالا
وقبِّلْ بنورك ذاك الجبين ليزداد نورُك منه جلالا
وقل أيها الأمُّ صبراً جميلاً إذا زمنُ البعد يا أُمُّ طالا
سيعرف لبنان قدر الرجال وعمّا قريبٍ ترينَ الرجالا

٤٦٤ - وربَّ ظليع

[من المتقارب]

ورب ظليعٍ إذا ما نفضتُ جنَاحي خيالِيَ عرَّضَ رجلَهْ(١)
وإن صهَلَت خيلُ شعريَ غارَ وهاجَت به نهقةٌ كلُّ صهلَهْ
وظنَّ الورى مثلَه في العمى تعافُ دِناني لتشرب خَلَّهْ
يحرِّكُ زهري فينشرُ عِطري ويُعظِمُ قدري ويُفضحُ جهلَهْ

٤٦٥ - لا تَعْجَلَنَّ

[من المتقارب]

إذا رُمْتَ أمراً فلا تعجَلَنَّ وإلاّ ندمتَ على فعلِهِ
فما عَثْرةُ المرءِ قتّالةٌ إذا كان يمشي على مهلِهِ

---

(١) الظليع: المتّهم.

٤٦٦ - لا يدري أنه لا يدري

[من المتقارب]

أرَ الجاهلَ الغِرَّ مقدارَهُ وضِحْكَ الأنامِ على مثلِهِ
إذا المرءُ لم يستَعِبْ جهلَه فكيف يحرَّرُ من جهلِهِ

٤٦٧ - الدمعة الثانية(*):

[من الوافر]

أراك نجوت من سجن الهَيولَى فما لِمَدَامِعي تجري سُيولا
لعمرُكَ ما المدامعُ غير نفسٍ تروم إلى مودعها رحيلا
وما في القربِ من ريبٍ ولكنْ خشيتُ من التَفَرُّقِ أنْ يَطُولا
ولي قلبٌ غداةَ البَيْنِ سهلٌ وإن يكُ في اللِّقَا جبلاً ثقيلا
تُلامسُ منه كفُّ الدهرِ صخراً ولفظةُ آه تكفي أن يسيلا
حَؤُولُ الطبع كيف يشاءُ لكن عن الميثاقِ ليس يُرى حَؤولا
هو الإحساسُ حِليةُ كلِّ حيٍّ وكم لاح القبيحُ به جميلا
بنفسي من قَضى فقضى علينا بحزنٍ لن يزولَ ولن يَحُولا
غدت تلك القبورُ به قصوراً لدُنْ أمستْ منازلُنا طُلُولا
فيا عُصْفورتَانِ على رحيلٍ قفا كرماً بمضجعِهِ وقولا
لك ابنٌ يا أبا الحسنات أضحى لفرط نُحُولِه يُدعى نحولا
وهل تَبْقَى النَضَارةُ في فروعٍ إذا ما أيبسَ الموتُ الأصولا

(*) رثى بها والده سنة ١٩١٠ ومرّت قصيدته الدمعة الأولى ومطلعها: [من الوافر]
نبذت نصيحة الرأي السديد ونحت عليك بالحزن الشديد

٤٦٨ ـ مجالُ القول(*)

[من الوافر]

مجالُ القول أوسع من خيالي ... واضيقُ من مجالِكِ في الفعال
فما لقضاء حقكِ من سبيل ... سوى هذا التعلل بالمحالِ
خَلقتِ لكل مَحْمدَةٍ مجالاً ... ففضلك ليس يُحصَرُ في مجال
أقرَّ لك القرين فكفَّ لما ... نظمت الشعرَ عن صوغ اللآلي
فكم الَّفت من سِفرٍ مفيدٍ ... وديوانٍ من السِحرِ الحلالِ
وكم تَركتْ يمينُكِ في الملاجي ... وعادت تشتكي حَسَدَ الشمال
وكم فنّدت بالتاريخ زعماً ... وأدميت العدو بلا قتالِ
دمُ الأبطالِ في ساح المنايا ... مدادكِ في القصيدة والمقالِ
فلسطينيةٌ وكفاكِ فخراً ... بأقدس تربةٍ وأعزِّ آلِ
طهارةِ مريمٍ وكمالِ عيسى ... ومعراجِ النبيّ إلى الاعالي
مقامك من ربيبات الدلال ... مقامُ القدس من دنيا الجَلالِ
أعفُّ المحصَنات عن الدنايا ... وأدنى الفُضليات إلى الكمالِ
فما رَدَّ الوسامُ اليك بعض ـ ... الذي قدمت من أدبٍ ومالٍ
وَلو ذكروا الذي لك من أيادٍ ... غُنيت بهن عن ألف احتفالِ
ولكنا رأينا الشكر فرضاً ... لمن قدروك يا أخت الرجالِ
فلولا من قضت وقضى شهيدا ... عَززت عن المثيلة والمثالِ[1]

(*) في حفلة تكريم الأديبة الشهيرة أسمى طوبي.

(١) زوجها السيد الياس طوبي صائغ مشهور.

٤٦٩ - محوّلة الخمور(*):

[من الوافر]

مُحَـوِّلَـة الخـمـور إلى عـطور فُـديـت بـكـلِّ غـالـيـةٍ وغـالِ
بـلادك أصـبـحـت في شرٍّ حـالٍ ألاَ بَـدِّلـتـهـا حـالاً بـحـالِ
فـحـولـت الجـلـيـد إلى لهـيـب وأشـبـاه الـرجـال إلى رجـالِ
أرِيـنـا مـعـجـزاتـك في شـبـاب ثـنـاه الـلهـو عـن طـلـب المـعـالي
وإلا سـوف نـصـبـح عـن قـريـب ولا دول هـنـاك ولا دوالي
ولا يـبـقـى لـنـا وطـن وآل سـوى صـحـراء خـاويـة وآلِ(١)

٤٧٠ - لقتل الظالمين(**)

[من الوافر]

ازفُّ إلى مـعـالي الـشـيـخ فـهـدٍ فتى الفتـيـان في سـاحِ الـنـضـالِ
قـصـائـد شـاعـرٍ شهَـر الـقـوافي لـقـتـل الـظالمـين بـلا قـتـالِ

٤٧١ - بق اسرائيل(***)

[من الوافر]

نسـورُ العُـرب في «الأُفقِ الجميـلِ» أم الأسـدُ انـبَرَت مـن كـل غِيـلِ؟
أمِ الأقـمـارُ في الابـدار جـاءَت مـسـلَّمـةً عـلى نـجـم ضئـيـلِ؟
بـني أمي أيُـطربـكـم غـنـائـي وبـلـبـلـكـم أبـو لـيـلى زمـيـلي

(*) في حفلة أحياها الشاعر نقولا المعلوف وعدته نسيبته بزجاجة خمر فلمّا فتحها وجدها عطراً. فنظم في الموضوع. وتبارى الشعراء في النظم، فأدلى القروي بهذه القطعة.

(١) الآل الأولى: الأهل والآل الثانية: السراب.

(**)على نسخة من ديوانه الى المجاهد الشيخ فهد المبارك.

(***) أحيا له زميله فرحات حفلة ترحابية في منزله في مدينة «بلو أوريزونتي» التي معناها (الأفق الجميل) مساء ٢٧ كانون الأول سنة ١٩٥٦

فتىً هزَّ المحافل شعرهُ مِن ... قليل العلم أو دون القليل
فضاعَ شذاه من قطرٍ لقطرٍ ... ورنَّ صداه من جيل لجيل [1]
قصائد يعرفُ التاريخُ منها ... مخانيثَ القريض من الفحول
ولا استقلال إلا بعد وعي ... وحربٍ بالصّريرِ وبالصَّليل
سنُصلي غولَ الاِستعمار حرباً ... يغارُ بها الجريحُ من القتيلِ
ونجرف بقٍّ إسرائيلَ جرفاً ... إلى قاع البحيرة في «الجليلِ»
فلا نتنفَّسُ الصُعَداءَ حتى ... نريح الأرض من دمهِ الثقيلِ

---

(١) ضاع شذاه: فاح

روي الميم

٤٧٢ ـ يا أثبت الصحب(*)

[من البسيط]

يـا أثبت الصحب في حـومـاتهـا قِـدَمـا　　إذا استحـرّت ومجت كـاللهـيب دمـا

وحـقِّ عُمْـرَيْ جـهـادٍ ليس ينكـره　　إلا الـذي كـل مـا في بُـرْدَتَيْـهِ عَمى

لـولا حـراجـة نـذرٍ لستَ تجهـله　　لـكنتُ أولَ مـن هَـنَّـا ومـن قَـدِمـا

في ذمّـة الثـورة الكـبرى لنا عـوض　　من السرور الـذي نخفي بـه الألمـا

٤٧٣ ـ لقياك(**)

[من البسيط]

من قبل أن صِيغَ هـذا الشعر كنتَ بـه　　في كـل قـافـيـةٍ عـذراءَ مـرتسـما

ففي «الأعـاصير» كنتَ السيـلَ مندفعـاً　　وفي «الأزاهـير» كنتَ الفجـرَ مبتسـما

لقيـاكَ فـرحـةُ عُـرسٍ لا انتهـاءَ لهـا　　أثِمتُ إن كنتُ أشكـو بعـدهـا ألمـا

حـلمٌ تجسَّـد في عـيني ومـا بـرِحَـت　　عـيني تحَـمِّـنُـه مـن حسـنـه حُـلُما

(*) في حفلة تكريم الشاعر فرحات بمناسبة الإنعام عليه بالوسام السوري.

(**) عندما حظي بمواجهة الرئيس عبد الناصر في دمشق أوائل عام ١٩٥٩ أهدى إليه سيادته نسخة من ديوانه مصدرة بهذه الرباعية.

٤٧٤ ـ العَلَم(*)

[من البسيط]

إن كنتَ للحق فلتخضعْ لك الأمَمُ ... أو كنت للظلم لا حُيِّيت يا علمُ!

إني أعيذك من مجدٍ يُغَضُّ له ... جفن الإباءِ ويستحيي به الكرمُ

قد يُحسَبُ المرءُ نذلاً وهو منتصرٌ ... وقد يُعدُّ شريفاً وهو منهزمُ

كن رحمةً وحناناً للأُلَى ظُلِموا ... ونقمةً وهواناً للأُلَى ظَلَمُوا

وأنقِذِ الأرضَ من زُرق العيون فقد ... أعيَت بهم وتولّى قلبها السأمُ

في جَبهة الحق من راياتهم سُفَعٌ ... وفي عيون الهدى من ظلها ظُلَمُ

فاربأ بنفسك أن تُرمى بعلّتهم ... تعالت العربُ عما تصنعُ العَجَمُ!

أعدْ لنا دولةً بالعدل زاهرةً ... عزَّت بمن حُكموا فيها كمن حكَمُوا

أيامَ كانَ مليكُ العُربِ خادِمَهم ... والمالكون على الدنيا له خَدَمُ

لا قدَّرَ اللهُ نشقى في هواكَ ولا ... يبقى لنا منكَ إلا الحزن والألمُ

قد أنْبأتْنا الليالي وهي صادقةٌ ... بأنَّ بعضَ المنى تحقيقه ندَمُ

حدِّث أخاك[1] عن الأم الحنون وعن ... ناسٍ على ناسهم في حبها انقسمُوا

عدُّوا وصايَتَها من ربهم هبةً ... حتى محا الفجرُ ما قد زخرف الحُلُمُ

كم ينسبونَ إليها الفضلَ من قِدَم ... والفَضلُ لو فقهوا تاريخَهم هُمُ

سل «بونَبَرْتَ» وسل حربَ الصليبِ وسل ... «فردونَ» عن فِرَقٍ في جيشها انتظمُوا

بل سل فتى الأرز في ناووسه «كرَماً» ... ألم يكن من ضحايا غدرها كرَمُ؟

منها النداءُ إلى حرب وتضحية ... ومنهمُ الجند والأعوان والحشَمُ

منها تزاويقُ بنكٍ لا ضمان لها ... ومنهم الذهب الرنان تَلتَهِمُ[2]

منها المواعيد تبنيها وتنقضها ... ومنهم الجَفَنات الغرُّ والنَعمُ

(*) بدعوة من جمعية الاتحاد السوري في «برتس» للاحتفال برفع العلم السوري على بنايتها في ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٦

(١) يعني العلم البرازيلي المرفوع إلى جانب العلم السوري.

(٢) كانت فرنسا تنهب الذهب من البلاد المحتلة وتصادره من المتعاملين به ثم تحاسبهم حساباً عسيراً.

أيـن العـلوجُ الأُلَى أقسـامـهم خِـدَعٌ   مـن مـاجـد عـربيٍّ وعـدُهُ قَسَـمُ
إنّـا لمـن مـعشَر حـرًّ إذا قـطعـوا   عهـداً عـلى المـوت لم تُخفَـرْ لهم ذِممُ

* * *

أخْلِقْ بمن شَيَّـدوا بـالعـدل مملكـةً   أن يـعـلمـوا أنها بـالـبـغي تـنهـدمُ
إن المـمالـكَ مـهـما عُـمِّـرت فـلها   كـالفـرد شـرخُ شبـابٍ بعـده الهرمُ
إن شـاءَ ربُّـك يـبلو أمّـةً بـعـمـيً   زاغت بـأنـوارهم أبصـارهم فعمُـوا

* * *

يـا أيهـا الـعلَمان الخـافـقـان مـعـاً   نـجمـين في أفـقٍ لـلفـجـر يـبتـسمُ
لا زلـتـما رئـةً تهـفـو إلى رئـة   في صـدره، وفـماً يـدنـو إلـيـه فـمُ
تصـافحـا في سـماء المجـد واعتَنقـا   كـما تَـواءَمَ في الأغـرودة الـنّـغَـمُ

* * *

قـل لـلأُلَى رفعـوا الـرايـاتِ مـائسـةً   عُجْبـاً بمن نـثروا فيهـا ومن نـظمُـوا
هـاتـوا لنـا عمـلاً يحيي لنـا أمـلاً   لن تُنشِىءَ الـوطـنَ الأعـلامُ والحِكَـمُ
آيـاتـنـا ورق رايـتـنـا خِـرَقٌ   إن لم تُـعَـزِّزْهُمـا الأخـلاق والهمَـمُ
ويـا هـلالا تمـنّت يـوم مـولـده   سـماء كـل بـلاد أنها الـرّحـمُ
عشْ وانـمُ في أُفـقٍ ألـفكـرُ مـنـطلقٌ   في ظِـلِّ رايـتـه والـرأيُ محـتَـرَمُ
حتى تعـودَ كـماضي العهـد مؤتلقـاً   تمشي عـلى ضـوئِـكَ الأجيـال والأممُ
ينشقُّ عنـكَ حجابُ الغيب مكتمـلاً   كـما تـفتّـقُ عن أجـرامِـهـا السُّـدمُ
فـاخفقْ عـلى شُرفـة العليـاء مصـطفقـاً   كـمـوجـة في بحـارِ الـنـور تلتـطمُ
غصنـاً على هضبـة الفـردوس منغرسـاً   تـنـاوبَـت هـزَّك الأرواحُ لا الـنَسَـمُ
مـا حـالَ لـونُـك والأعـوادُ نـاضـرةٌ   وفي الـعـيـون سـوادٌ والـقـلوب دمُ

٤٧٥ - بوق الفتى (*)

[من البسيط]

يـدعـو إلى الـبرّ فُـجّـارٌ زنـادقـةٌ ... مـا أبعـد المثـل الأعـلى عن البُهُم !
ويـنـفـخـونَ بـأبـواقٍ مخـضَّبَـة ... من عِرض كـل شريف طـاهـرٍ بـدم
بـوق الـفتى فـمـه الـثـاني وبي أَنَـفٌ ... أن أجعـل السَقَطَ المُلقى فـماً لفـمي
مـا بـالُ مَن زَعَمَ الـتقـوى يهـددني ... بشبـه ضـارٍ ربيب الـغـاب والأجم
ألم تـعِظْ أمـراءَ الـشـمِّ مـن قِـدَمٍ ... ريحُ النيوب التي ارفضَّت على قدمي[1]
واطـولَ خـوفيَ من نـابٍ أحسُّ بهـا ... كعضَّـة الجـوع قبـل المأكَـل الـدسِمِ
ثـار التعـصُّبُ يـعـوي من مـغـاورِه ... وهمَّ بي فـافتـديتُ العِـرضَ بـالأدَمِ
لمـا رأيـتُ جنـودَ الـفتـنـة ابتـدروا ... بـالشرِّ قَنَّعْتُ وجـهَ البـأس بـالكَـرمِ
شـددتُ كفي عـلى جمـر الأذى حـذراً ... من أن يعمَّ الجـوالي مـارج الضَـرَمِ
لـو كـان معنٌ مكـاني لانـتزى غضبـاً ... واستبدلَ السيف من أسطورة الحِلِمِ[2]
لا يحسَـبَـنَّ رسـولُ الـسـوء أنِّيَ عـن ... تـلك الأراقـم أو أجـحـارهـنَّ عَـمِ
ليلحقنَّ ابـنَ إسخَـريُـوطَ مـن نَـدم ... أضعـاف مـا لحق المـصلوبَ مـن ألمِ

(*) على أثر مؤامرة هددت حياته وتلاقى عواقبها وذيوها بالحلم.

(١) أمراء الشم: الحيوانات التي امتازت بقوة الشم، وأمراء للتهكم.

(٢) هو معن بن زائدة المشهور بالحلم، وانتزى: وثب.

٤٧٦ ـ عودة الشاعر(*)

[من البسيط]

حتّامَ تحسبُها أضغاثَ أحلام ... سبِّحْ لربكَ وآنحَرْ أنتَ في الشام
لمِ يَأْذَنِ اللهُ يا بوقَ العروبةِ أن ... تقضي الحياةَ غريباً بين أعجام
وكنتَ في أبعدِ الأمصارِ أقرب من ... أهلي إليَّ وأخوالي وأعمامي
أضناكَ طولُ السُّرى والسيرِ يا ولدي ... فاطرحْ رداءَك وامسحْ جرحَك الدامي
هذي عيوني وجنّاتي وفاكهتي ... فاملأ يديك وبرِّد قلبك الظامي
وارتعْ بقلبيَ واسبحْ كالشعاعة في ... عيني ونمْ بين أهدابي وأحلامي

* * *

يا آل جِلّقَ يا أزكى الأصولِ إذا ... باهى السَّراةُ بأصلابٍ وأرحامِ
حسبي بكم شرفاً أني على ضعتي ... كأنَّ كلَّ ملوكِ الأرض خُدّامي
أعيَت بياني وشكراني عوارفكم ... يا أكرمَ الناس بالغْتُمْ بإكرامي
كم لائمٍ لامني في حبِّكم سفَهاً ... فبدَّل القربُ حسّاداً بلوَّامِ
لبّيتُ بالفَرح المجنونِ دعوتَكم ... وإخوتي ورفاقي دمعُهم هامِ

* * *

(*) أنشدها على مدرج الجامعة السورية ليلة الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٥٩، في المهرجان التكريمي الذي أحيته له مدينة دمشق. عبر في هذه المطولة عن فرط سروره بعودته التي تشبه الأحلام إلى الوطن العربي المفدى بعد تغربه عنه ٤٥ عاماً، شاكراً لدمشق دعوتها وحفاوتها، ثم واصفاً أهم شؤون رحلته منذ دخول الباخرة (محمد علي الكبير) به إلى مياه بيروت بين قطع الأسطول الأميركي، إبّان الثورة اللبنانية، ومحاولة رجال الأمن الفاشلة في اعتقاله واحتجاز تذكرته، حتى بلوغه اللاذقية فدمشق متخلصاً إلى الوحدة بين سوريا ومصر، وتفاؤله بجرفها السد الصهيوني القائم بينهما، فالى المفاخرة بالعروبة وبابنها البار الذي أمم القناة وحطم الأعداء، وأنقذ مصر من ردتها الفرعونية الخطرة، بعد أن أوشكت أن تضلها عن عروبتها وإسلامها ضلالاً بعيداً، مشيداً ببطولة الجزائر وعمان في حربهما مع فرنسا وانكلترا، معرضاً بالشعوبيين أعداء القضية العربية والمنافقين فيها الذين ما برحوا يسخرون منه ومن أدبه القومي الحماسي، منتهياً إلى ما يشعر به من الراحة الكبرى في حضن بلاده الأم، كأنما طرح الله كل أوزاره في لجة اليم، قبل أن يضع قدميه في ترابها.
وجدناها بين أوراقه مضروبة على الآلة الكاتبة وقد ضبطها بيده.

يـــا يـــومَ جـــدَّد فيَّ الخِضرُ آيـتـــهُ   لمـــا أطلّت عـــلى «بـيروت» أعـــلامي
والـوحشُ منفغـرُ الشـدقـين يـرصـدني   والـبغـيُ أسـطولـه خلفـي وقـدّامي
أعـــدى عـــليَّ بـــظهـرِ الفُلكِ شِـــرذِمـةً   ممـــن تضرّوا عـــلى فـتـــكٍ وإجـــرام
لم يُجْـــدِهِمْ طـــولُ إغـــرائي بصحبتهم   فحـاولـوا حـين عيـلَ الصـــبرُ إرغـامي
همُّـــوا بـأخـــذي فثارت كُـــلُّ مُحْصَنـة   وكـــل حـــرٍّ عـــريض الصَّـدر همهـــام
من إخوتي السمرِ من أشبـالِ ناصر من   مصرَ العـزيزةِ من أرض الـدم الحـامي
فـــأدبرَ البغيُ مـــدحـوراً وعـــدتُ إلى   سِربي وقـلت لهـــا يـــا مـقـلتي نـــامي
وبـــتُّ لـــيـــلي وعـــين الله تحـــرُسـني   حتى وضعتُ بـــأغـلى الـــتُّرب أقـدامي
في الـــلاذقـــيــــةِ في شطٍّ يمـــتُّ إلى   «بـــربـــارتي» بجمـــالٍ جـــلَّ عن ذامٍ
في أرض قوميَ في الدنيـا التي احتكرت   أقـــطارُهـــا كـــل آمـــالي وآلامـــي
مـــا الأرزُ والـشـــامُ إلا تـــوءمـــا وطنٍ   وأمّـــةٍ بـــالـنجـــومِ الـزهـــرِ مِـتْـــآمِ

* * *

وســـرتُ في مـوكب الأحـــرار مـرتقيـاً   إلى «صِـلنفَـــةَ» مـن ســـامٍ إلى ســـامِ
تـرى الصَّفا بـين خَضْراءِ الربى انتـثَرت   عـــلى بســـاطٍ من الاستَـــبرَق النـــامي
هشّت عليهـا الغصونُ الـوارفـاتُ كـما   هشَّ الـــرعـــاةُ عـــلى قُـطعـــانِ أغنـــامِ
والحَـــوْرُ يخـفِض لـلسُّـاق هـــامـتَـــه   كـــما تـــواضـــعَ جـــبّـــارٌ لأقـــزامِ
والــــريـــحُ تهمِسُ والأفـنـــانُ في قـلق   كـــأنها عـــاشـــقٌ يُـصـــغـي لـــنمّـــامِ
مُـــدَّ السِماط فلم أشهـــدْ سوى نُجُبٍ   صُيّـــابـةٍ من لُبـــابِ العـــربِ أعـــلامِ
فُـــرســـانِ عِلْمٍ عـــلى خَيْـــلٍ مجنّحـــةٍ   تـــغـــزو الـــســـماءَ بـــأوراقٍ وأقـــلامِ
فـــاقـــوا الليـــوثَ كـما فـــاقت عـرائِنهم   شـــتّـــان بـــين فـــراديسٍ وآجـــامِ
وَعُـــدْتُ ريّـــانَ مـــن مـــاءٍ ومـن أدب   شبعـــانَ من خبـــز أرواحٍ وأجـســـامِ
تُـــغِـــذُّ بي وأصْـيَـــحـــابي مُـــطَهّـمَـــةٌ   لا تُـــسْـــتـــقـــادُ بـــإسراجٍ وإلْجـــامِ
مَـطّاطُهـا من وعـودِ الغـرب مُصْـطَنـعٌ   وبـــوقهـــا من أغـــاني عمِّهـــا ســـام
مـــا أدلَجـــت مـــوهـــنـــاً إلا ونـــاءَ بهـــا   أطـــواد عـــلم وأخـــلاقٍ وأحـــلامِ
كـــواكبٌ يهتـدي الســـاري بصُحْبَتهم   وَيـــأمَنُ الـــرَّكبُ مـن ظُلمٍ وإظـــلامِ
من كلِّ نَدْبٍ كَنَصْـلِ السيفِ مُنْصَلِتٍ   طلقِ المحيـــا كثغـــرِ الـفـجـــرِ بسّـــامِ

القفرُ أمرعَ حولي من بشاشتهم ونافست ليلتي في الحسن أيامي
فلم نزل بين تمريض وتنخية ولم تَزلْ بين إحجامٍ وإقدامِ
حتى بلغنا بها الفيحاءَ فارتبعَت قريرةَ العين مثلي رَغْمَ أسقامي
حيثُ العروبة شدَّت إصرَ وَحدتها وأسلَم الأمرَ ضِرغامٌ لضِرغامِ
حُرٌ بنى وأخٌ حُرٌ أتمَّ فيا لَلْيعربيَّيْنِ بَنّاءٍ وتمّامِ
إذا فشَتْ عِلَلُ التفريقِ في بلَدٍ داوت يَدُ الحزم إعلالاً بإدغامِ
فالأرضُ تيّاهةُ العِطفين راقصةٌ على الأهازيجِ في مِصرٍ وفي شامِ
كم قبلةٍ لهما عبرَ الخِضَمِّ وَكَمْ تحيةٍ في السحاب المرسَلِ الهامي
لَنَجْرِفَنَّ السدودَ السودَ بينهما بمارجٍ من لظى مُهْدَوْدِرٍ طامِ

* * *

أنا العروبةُ لي في كل مملكةٍ إنجيلُ حُبٍّ ولي قرآنُ إنعامِ
سلْ عَهْدَ شامي وبغدادي وأندلسي عن عُمْقِ فلسفتي عن عدلِ أحكامي
ما اخضوضرَ الشرقُ إلا تحتَ أقدامي وازهوهرَ الغربُ إلا تحت أعلامي
تمشي البطولة والسحرُ الحلالُ معي فالأرضُ ملعبُ آسادٍ وآرامِ[1]
نقشتُ في الشمس طغرائي وما برِحَت مرسومةً في جبين البدر أختامي[2]
ما غيَّرتْ نكباتُ الدهرِ من شيَمي وإن طوت في ثنايا التُّرب آطامي[3]
حطّمتُ أشرس ضارٍ في جزيرته ما ابتلَّ نعلي ولا دنّستُ أقدامي
فارتدَّ عن «بُرْ سعيدٍ» جيشُه كَلِماً خُطّت على الرمل أو أشباحَ أفلامِ
كم نبضةٍ من فؤادي في عُمانَ لها قصفٌ يدكُّ الصياصي في «بَكِنْهامِ»
وَزَأْرةٍ من جبالِ الأطلس اخترقَت كالنصل سَمْعَ المُصَلّي في «نُتَرْدامِ»
لا أسأمُ الحرب ما طالت وما حَزَبَتْ فالعامُ كاليومِ حين اليومُ كالعامِ
حتى أفوزَ بحقي غَيْرَ مُنْتَقَصٍ ويذهلَ الخلقَ إنشائي وإتمامي
والحقُّ أغلبُ والأعداءُ جانحةٌ للسِّلم بعدَ رضاً أو بعدَ إرغامِ

* * *

(١) في نسخته المضروبة على الآلة الكاتبة (مَسْرحُ).
(٢) الطغراء: الطرُّة تكتب في أعلى الكتب والرسائل.
(٣) آطام ج أطم وهو الحصن.

وابني فتى النيل حلاّني بجوهرةٍ عزّت على كلّ غوّاصٍ وعوّام
من يَبْكِ عهدَ الموامي والدُّمى فأنا والحمدُ لله قد حطّمتُ أصنامي
شغلت قلبي بحبِّ المصطفى وَغَدَتْ عروبتي مَثَلي الأعلى وإسلامي
بناصري وبأسواني فَخَرْتُ إذا باهى الدَّعِيُّ بفرعونٍ وأهرام
عاشَ الذي أدَّب الطاغي وَكَبْكَبَهُ عن القناةِ ذليلاً خافض الهام
دع ذِكرَ كلِّ عظيمٍ حين تذكرُهُ وَقِفْ دقيقةَ إجلالٍ وإعظام
فما رمى رميةً إلا مسدَّدةً ولا خطا خُطوةً إلا بإلهام
كم خطبةٍ كالندى والجمرِ منه شفت أكبادَنا وشوَت أكبادَ ظُلاَّم
نفوسُهم تحتَ أطباقِ الثرى ضِعةً وشرُّهم بين أفلاكٍ وأجرام
ما قطُّ كلّمهم إلاّ وكلّمهم كأنَّ ألفاظَه مِنْ حدِّ صَمْصام
ولا رأوا رسمَه إلا لحرْقَتِهم ودُّوا لو انتقموا من كلِّ رسام
وزاعمينَ مساواةً وأسودُهُم من أرض آبائه في دار أيتام
ما صِنَّةُ العَبْدِ إن قيسَت بسمعتِهم في الأرض إلا شذا وردٍ بأكمام
لا يستبينُ المصلِّي في كنائسهم إن كان يُصغي لقُسٍّ أو لحاخام
حريةٌ لملوكِ المالِ خاضعةٌ تساق فيها الرعايا سَوْقَ أنعام
فما الرئيس واتباع الرئيس لهم إلاَّ الأرقّاءُ في أزياءِ حُكّام

* * *

ما ضرَّ «إيدِنَ» لو تمّت أناقته أو كان بدَّل أخلاقاً بهندام [١]
يودُّ بالنفس لو رُدَّت مكانَتُه ولو قضى العمر في أطمار فحّام
ألوحَةُ الدرسِ أم (سيناءُ) غارقةٌ من العدى بجنودٍ أم بأرقام
محاهمُ اللهُ منها مَحْوةً تركت في مهجةِ الغرب جرحاً غيرَ مُلتام
لما تحالفَ أثلاثاً على بطلٍ فردٍ خبيرٍ بعلم الكَسْرِ حطّام
قام الرميُّ على ساقيه منتصباً ولم يزلْ جاثماً في أرضه الرامي
ينامُ ذو البغي في المهدِ الوثير على جُحرِ الصِّلالِ ويمشي فوق ألغام

* * *

(١) اشتهر (ايدن) في العالم بأناقته في اللباس وحسن الهندام.

قل للألى سخروا بي وازدَرَوْا أدبي   من خائنٍ وشعوبيٍّ ونظّامِ
وكلَّ هشّامِ أعراضٍ له قلمٌ   وغدٌ وليس له عِرضٌ لهشّامِ
وشامتٍ بيَ مسرورٍ بحزنيَ   مستشفٍ بدائيَ ملتذٍّ بآلامي
قولوا له عرباً تقضوا عليه فان   يسلمْ فثنّوا بقرآنٍ وإسلامِ
كم من سيوفٍ على أعدائكم شُهِرَت   صيغت مضاربُها من قلبيَ الدامي
ورايةٍ حُرةٍ في جوكم خفقت   حيكت حقائقُها من غزلِ أوهامي
ما أبعدَ النقطةَ السوداءَ عن صحفي   وما أعز التقاءَ الذالِ واللامِ
آمنتُ بالنصر إيمانَ الذي لَمست   كفاه لا خارصٍ بالغيب رجّامِ (١)
تأبى العروبة أن ننسى الصديق لكي   نرضي العدوَّ ويأبى دينها السامي
قميصُ بغدادَ لم تبرح مزرَّرةً   بعروة تتحدَّى ألف مفصامِ
ما أقرب الوحدة الكبرى مبخِّرةً   أحلامَ كُلِّ شعوبي وقسّامِ

* * *

سيّانِ بعد التلاقي يا بلاديَ لو   خلِّدتُ أو حَكَم الطّاغي باعدامي
أما رجعتُ؟ ألم أنشق هواكِ؟ ألم   ألثم ثراكِ؟ ألم أُسمِعْكِ أنغامي
أحسُّ بالراحةِ الكبرى كأنيَ قد   طرحتُ في البحرِ عنّي كلَّ آثامي

* * *

٤٧٧ ـ الطيفُ المستحمُّ

[من الخفيف]

إن جهلتم فسائلوا الطيف عني   فلَكَمْ طيفكم بجفني ألّما
كلما سال مدمعي في هواكم   غَشِي الطيفُ مقلتي واستحمّا

---

(٥) الخارص: الكاذب.

٤٧٨ ـ منى(*)

[من الخفيف]

ليس بدعاً إن كنتُ فارقتُ من ـ أجلك يا قرَّةَ العيونِ الشآما
وأطعتُ السماءَ فيكِ فيمّمتُ ـ البرازيلَ أحسُبُ الأياما
إنَّ في مولد الأهِلّةِ سرّاً سَنّهُ عالَمُ الضياءِ نِظاما
هكذا يَدرُجُ الهلالُ من الغرب ـ ليمسي في الشرقِ بدراً تماماً

* * *

٤٧٩ ـ وقفة على الشاطىء(**)

[من الخفيف]

يا نسيمَ البحر البليلَ سلامُ زارك اليومَ صبُّكَ المستهامُ
إن تكن ما عرفتني فلك العذرُ غيّرَ المحبَّ السقامُ
أوَ لا تذكرُ الغلامَ رشيداً؟ إنني يا نسيمُ ذاك الغلامُ!
طالما زرتني إذا انتصفَ الليلُ بلبنانَ والأنامُ نيامُ
ورفعتَ الغطاءَ عني قليلاً فأحسّت بمزحكَ الأقدامُ
وتنبهتُ فاتحاً لك صدراً شبَّ فيه إلى لقاك ضِرامُ
فتغلغلتَ في الأضالعِ أنفاساً لطافاً تهفو إليها العظامُ
ولثمتَ الفؤادَ ثغراً لثغر ولكم حجّبَ الثغور لِثامُ
يا نسيمَ المحيطِ ما هكذا في ساحلِ البحرِ عندنا الأنسامُ
أنت إن زرت في المنام صحيحاً غلغلت في عظامه الأسقامُ
مشبَعٌ بالبُخار، روحٌ ثقيلٌ بارد تستعيذُ منك المسامُ
لست ذاك الذي عهدتُ يفوح الشيخُ إن جرَّ ذيله والثُّمامُ

(*) ولدت «منى» طفلة صديقه عزة الحافظ في «الريو دي جنيرو» ووالداها دمشقيان فقال بلسان أمها منى.
(**) كان في ثغر «باراناغوا» يتمشى على شاطىء البحر، فهاج به الوجد إلى ساحل لبنان.

ذاك أزكى شذاً وألطفُ ضمّا ذاكَ تُشفى بلمسهِ الأجسامُ
كم شفت لي عيونُ والدهِ البحر أواماً، يا حبذاك الأوامُ[1]
كارعاً من زلالها لا بجَام فهي ساقٍ وسلسبيلٌ وجامُ[2]
سارحاً مارحاً خفيفاً لطيفاً كملاك جناحهُ الأحلامُ
أسبقُ الفجرَ في الهبوطِ إلى البحرِ وكم طابَ لي به استحمامُ
سابحاً كالأوزّ أنطحُ صدر الموجِ والموجُ زاخرٌ لطّامُ
صاعداً من جيوشه في إكام تتجلى في البر منها الاكامُ
كلما ازددن هيبةً وعَلاء طاب لي في صفوفهنَّ اقتحامُ
طاهر القلبِ لست أوجس شراً جاهلاً ما تخبىءُ الأيامُ
شادياً في النهارِ والليل حتى أدهشَ الناسَ بلبلٌ لا ينامُ
غرفتي السطحُ زيّنتها سماءٌ تتدلى من سقفها الأجرامُ
فكأنّ الفضاء صدرٌ رحيبٌ وكأن الهلال فيه وسامُ
وكأن النجوم شعرٌ بديع لا غموضٌ فيه ولا إبهامُ
رَسَمَتْهُ كف العليّ عقوداً إنما اللهُ شاعرٌ رسّامُ!
يا برازيلُ لو أفضتِ عليَّ المال فيضاً ما طاب فيك المُقامُ
أين زُهرُ النجوم فيك وأين الشمس، أين الهلال، أين التمامُ؟
أجميعُ الشهورِ فيكِ شباطٌ أوَ ما للشتاءِ عنكِ انصرامُ
أنتِ نعمَ البلاد خصباً وجوداً غير أن الهناءَ فيكِ حرامُ
مثلما تنقضي الليالي سراعاً هكذا فيك تنقضي الأعوامُ
نصرف الخمسَ فيكِ والعشر لا يعلم إلا المهيمِنُ العلاَّمُ

---

(١) يمتاز شاطىء «البربارة» «قرية الشاعر» على سائر الشواطىء اللبنانية بالماء يتفجر مشوباً ببعض الملوحة المعدنية، يترقرق تحت رملات خلجانه الصغيرة، أو يتفجر كَذَوْبِ البلور من بعض صخوره التي يتكسر عليها الموج. فما يتكلف الظمآن إلا أن يغرفه من قلبها، أو أن يجرف الحصى تحت قدميه جرفة بكفه فينبع نقياً بارداً. وهنالك ميناء صغير يعرف بميناء البرج تغلب عذوبة الماء الجاري تحت أديمه على ملوحة البحر عند الجزر، حتى ليستطيع المبترد فيه أن يشرب منه وهو ممعن في خوضه إلى عمق قامة أو أكثر. وقد ذكره الشاعر في قصيدة قديمة لم يثبتها. أثبتنا منها في هذا الديوان بيتين من الطويل على روي الراء المكسورة (يراجعان في مكانهما).

(٢) أي أنه ينبطح ويشرب من تلك الينابيع مباشرة.

وإذا بالفتى من الهم شيخٌ تعتريه الأوصاب والآلامْ
وكأنَّ الورى وحوشٌ بآجامٍ - وتلك الشوارع الآجامْ[1]
مَنكِبٌ حكَّ منكباً وجبينٌ شجَّ رأساً، علام هذا الزحامُ؟
جِيفٌ تلك أم لفائفُ خام كثر السبُّ حولها والخصامُ
خِرَقٌ في دنيءِ هيكلها صلوا ولو لم يسترخصوا الموزَ صامُوا
ينفقون الحياةَ في جمعها للموتِ والموتُ طارحٌ قسّامُ

* * *

يا لشوقي إلى محاسن قطرٍ هبطَ الوحيُ فيه والإلهامُ
وكرومٍ إن مرَّ فيها غريب يتوارى من وجهه الكرّامُ
لو قضمتُ الرغيفَ فيه قَفاراً فالرضى والسرورُ نعم الادامُ
أيها النازحون عَوداً إليه حالما يستتبُّ فيه السلامُ
كل حي إلى الشآم سيمضي حين يقضى، إن السماءَ الشآمُ

٤٨٠ - تحية الحرية(*)

[من الخفيف]

يا حياةَ الأنامِ أهلاً وسهلاً بهتافِ الترحيبِ ضجَّ الأنامُ
جئتنا فجأةً وقد أطبقَ اليأسُ علينا واسودَّتِ الأيامُ
وكشفتِ القناعَ فابتسمَ الدهرُ لَدُنْ لاح وجهك البسّامُ
أنتِ روح الوجودِ أنتِ وجودُ الرُّوح أنت السرور أنت السلامُ
أنتِ أجريتِ في القلوبِ حياةً وهي ماءٌ بدونها ورَغامُ
وكسوتِ الإنشاءَ ثوباً جديداً تتبارى في نسجهِ الأقلامُ
وأمطتِ النقابَ عن طَلْعَةِ الحقِّ فهامَتْ بِحُبهِ الأفهامُ

---

(١) آجام جمع: أجمع وهي الشجر الكثير الملتف.

(*) نظمها في بشمزين سنة ١٩٠٨ عند اعلان الدستور العثماني.

فلكم ذلَّ قبلَ جئتتِ عزيزٌ ولكم عزَّ قبلَ جئتتِ لئامُ
ولَكَمْ عاش في الكرامةِ نذلٌ وَلَكَمْ مات في الهوانِ كرامُ
يا قرارَ البوسفور يا مدفن الأحياءِ، يا هوَّة الشقا، يا ظلامُ
يا مقرَّ الأحرار بل يا مغاصاً درُّه قادةُ النُّهى الأعلامُ
جِدْ قليلاً بالله واكشف جُسُوماً - دَفَنَتْهَا في صدرك الظُّلاَّمُ
ضاق رحب البحارِ عنها وقلّتْ - عن أقلِّ الجرائمِ الأجرامُ
وهَموا أنهم يميتون فيك النفس بغياً فماتت الأوهامُ
أطلقت في سمائك النفسُ لّما قُيدت في قرارك الأجسامُ
يا يراعي كان الكلام حراماً فاكتبِ الآن فالسكوت حرامُ
شهر تموز أنت أنجبُ شهرٍ لم تَلدْ قَطُّ مثلَك الأعوامُ
نصب العدل فيك للحقِ ميزاناً تساوتْ في كفتيه الأنامُ
يا لَهَا من دقيقةٍ دُقّ فيها عنُقُ الظُّلمِ واستقامَ النِّظامُ
حين نادى من قصر «يَلْدِزَ» صوتٌ ردَّدتهُ الجِبالُ والآكامُ
نُصرَ العدلُ فافرحوا يا نَصارى وارتعوا في السلام يا «إسلامُ»

٤٨١ - يا نصير الوفاء(*)

(من الخفيف)

يا نصير الوفاء دُمْ بسلامٍ لك أذكى تحيةٍ وسلامِ
إن شوقي إليك يُضرمُ ناراً في فؤادي تُذْكى مع الأيامِ
وعيوني تسحُّ عَنْدمَ دمعٍ سالَ كالسيل أو مجيدِ الغمامِ
أين طيف النسيم لما عراني من نحولٍ غبَّ النوى وسقامِ
فاتحفِ الصبَّ عاجلاً بكتابٍ أحتسي منه صرفَ كأسِ المدامِ
ومعانٍ تبثُّ في الجسم روحاً تتجلَّى خلال دُرِّ الكلامِ

(*) استهلال تحرير لأحد الأصحاب.

٤٨٢ ـ أجمعوا الأمر(*)

(من الخفيف)

أجمعوا الأمرَ يا شبابُ وسيروا واحذروا من مطبة التقسيمِ
وخذوا عن أجادل الوطن الأكبر ـ لا عن خنافس الاقليم(١)
أنتمُ الزُّهر طُلَّعاً في سماء لم تُحَدَّدْ آفاقُها بتُخوم
والأماني هي النفوس ولا يشيعُ ـ نفسَ العظيم غير العظيمِ

٤٨٣ ـ الأماني هي النفوس(**)

[من الخفيف]

سَيِّدَ المبدَإ الشريفِ القويمِ نمْ على الوردِ في ظلالِ النعيمِ
سعيُكَ العبقريُّ هزَّ جذوعاً ضاحكاتٍ من كلِّ سعيٍ عقيمِ(٢)
أمرَعَت بالأمينِ واستَغْنَتِ ـ البِيدُ عنِ الكأسِ والطِلا والنَّديمِ
وبذورُ الاخلاصِ من كفِّ حُرٍّ تُنبتُ الوردَ جَنَّةً في الجحيمِ
يا لَغُصنٍ من أرزِ لبنانَ ألقى ظِلَّهُ عند زمزم والحطيمِ
يا «لَريحانةٍ» معَ الرَّكبِ طابت بشذاها أنفاسُ ريحِ السَّمومِ
يا لها رحلةً أحسَّ لها الشرقُ ـ ارتعاشاً في كلِ عظم رميمِ
يا لَنُورٍ ما أبصرَتهُ بلادُ الشمسِ ـ لولاك يا «بلادَ النجوم»(٣)
ولكم فيكِ يا بلادي يتيمٌ يرضعُ الجهل وهو غيرُ يتيمِ

* * *

(*) وردت هذه الأبيات في مقدمة الطبعة السادسة للديوان، ووجهها إلى الأجيال الطالعة لمتابعة مسيرة الوحدة العربية.

(١) اجادل جمع أجْدَل وهو الصقر.

(**) من خطاب ألقاه في الحفلة التذكارية التي أحيتها الجالية العربية في «صنبول» لأمين الريحاني مساء الأربعاء في ٢٩ ك ٢ سنة ١٩٤١ ويشير في هذه القصيدة إلى رحلات الأمين الشاقة بين الأقطار العربية النائية لازالة الخلافات بين ملوك العرب وجمع كلمتهم.

(٢) اشارة إلى الآية: وهُزِّي إليكِ بجذع النخلة تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطباً جَنياً (مريم ٩/ ٢٥)

(٣) تدعى الراية الأميركية راية النجوم. ويقول الريحاني عن نفسه أنه لما هجر لبنان حدثاً لم يكن =

نحمد الله أننا نرتئي في الحقِّ - رأي العقلِ الكبيرِ السّليمِ
نحنُ للقائدِ الأمينِ جنودٌ لم نحدْ عن صِراطِهِ المستقيمِ
لاح نورُ الهدى لنا فاهتَدَينا واقتدينا بالفيلسوف الحكيمِ
ليسَ من سارَ في النهارِ مع - الشمس كسارٍ في جنح ليل بهيمِ
فاجمعوا الأمرَ أيها العُرْبُ وامشوا واحذروا من مغبّةِ التقسيمِ
وخذوا عن أجادلِ الوطنِ الأكبرِ - لا عن خنافسِ الاقليمِ
أنتمُ الزُهرُ طُلَّعاً في سماء لم تحدَّدْ آفاقُها بتخومِ
والأماني هي النفوسُ وما يشبِعُ - نفسَ العظيمِ غيرُ العظيمِ

٤٨٤ - عريس الوادي

[من الخفيف]

مَا يُلاقي الْحَبيبُ في شِعْرِ عمِّهْ أيُّ شِعْرٍ أرَقُّ مِنْ دَمْعِ أمِّهْ
رامَ إهْدَاءها الّلآلِئَ مِنْ نَظْمِي - وَمَن لي كَدَمْعِها أوْ كَنَظْمِهْ
لَيْتَ لي مِنْهُ غَمْسَةَ الْقَلَم الصَّا - دِي تُرَوِّى بالشّهدِ قُضْبَانَ كرمِهْ
يَسْتَقِيها الْخَيالُ يَرْجعُ مِنْها حَانِيَ الْعُودِ مُثْقَلاً بَعْدَ عُقْمِهْ

* * *

رَبِّ ماذَا لَوْ عَاشَ «ألبير» حَتّى يَتَمَلّى مِنْ حُسْنِهِ طَرْفُ عَمِّهْ
كَمْ تَمَنّيْتُ أنْ أرى وَجْهَهُ الحُلْوَ - فأوْدَى الرَّدَى بحُلْمي وحُلْمِهْ
قَمَرٌ مُفْرَدُ النَّبَاهَة والحُسْنِ - لماذَا مَحَقْتَهُ قَبلَ تمِّهْ
قُلْ عَريسُ الوَادِي وحَسبُ يُزغْرِدْ كلُّ مَن فيهِ باسمٍ منْ لمْ تُسَمِّهْ

= يعرف عن أخيه العربي إلا أنه «بعبع تخوف به الأم أولادها» حتى قرأ سيرة النبي العربي، وتاريخ الأندلس لبعض الكتاب الأميركيين والانكليز المنصفين، فاهتدى إلى نفسه وقومه، وصار من أعظم دعاة العروبة ووحدة العرب.

(*) ثكلتهُ في السابعة عشرة. فوعدها في الحلم أنه سيفاجئها في ذكرى يومه الأربعين بباقة من شعر عمه «القروي» - زحلة ٨ أيار ١٩٦٠

خَــرَّ مِـنْ حــالِـقٍ إلى الأرضْ مَـيْتــاً لَمْ يَجِـدْ غـيرَ نفْسـهِ حـوْلَ جِسْمِـهْ
مَــا تَبَـاطَـأتُ لَـوْ حَسِبْتُ بِـأنَّ الأرْ ـ ض مِثْــلي تَـذُوبُ شـوقـاً لضمِّـهْ

* * *

لا تَلُمْ عَمّـك الْمنَكّـدَ يـا «ألْبـيرُ» ـ وَاغْـفِـرْ لَـهُ شَـنَـاعَـةَ جُـرْمِـهْ
عَـمُّـكَ الشَّـيْـخُ حـامِـلٌ ألْفَ هَـمٍّ وَهْـوَ لاَ يَمْـلِكُ الـنُّهُـوض بهِـمَّـهْ
لَمْ تُـفَـكّـرْ فِـيـهِ الـصَّـيَـاقِـلُ إلا بَـعْـدَ أنْ أمْعَـنَ الـكِفَـاحُ بِثَـلْمِـهْ
بُـرْجُ مَجْـد أحْـبَـابُـهُ تَـتَـبَـاهَـى أنّهَا تَـسْـبـقُ الأعَـادِي لِهَـدْمِـه
كَـمْ صَـديـقٍ يحَـارُ لُـبُّـكَ فِـيـهِ لَسْتَ تَـدْري تِـرْيـاقَـهُ مِنْ سُمِّـهْ
لَمْ أفِـدْ مِـنْ مَـدَارس الخُـبْـث إلاَّ أنّـي أعْـجَـزُ الْـوَرَى عَنْ فَـهْـمِـهْ
رَغْـمَ عِـلْمـي بـالـنّـاس أخْـدَعُ ـ وَالْـمـرءُ مَسُـوقٌ بـطَبْعِـهِ لا بَـعلمِـهْ
إنْ أردْتَ الْحَـيَـاةَ تَـعْـبَـقُ طِـيـبـاً فَـاجْـرَح الشّـاعِـرَ الحَنُـونَ ودمِّـهْ
يَمْـلأُ الأرْضَ والـسَّـمَاءَ غِـنَـاءً وَشِـفَـارُ الأذَى تَحُـزُّ بِـعَـظْمِـهْ

* * *

يـا لَثَكْـلى تُخَـاصِـمُ القَـدَرَ الْعَـا ـ تي وَتَـشْـكُـو لِـربِّهَـا مِـنْ ظُـلْمِـهْ
مـا جَنَى بُـرْعُمي الصَّغِـيرُ لِتَجْنيـهِ ـ وَمـا ضَرَّ لَـوْ قَـنَـعْـتَ بِـشَـمِّـهْ
كُـنْـتُ أخْشَى عَـلَيْـهِ مِـنْ نَـفَس ـ الفَجْـر وَقَـطْرِ النّـدَى يَعيثُ بِكِمِّـهْ
ألأنّي أشَــدُّ مِـنْـهُ عـلى الـدَّهْـرِ ـ مِـرَاسـاً بَـدَلْتَ ثُكْـلي بِيُتْـمِـهْ
غَـابَ وَجْـه الْحَبيبِ فَـانْتَـقَمَتْ مِنْ وجْـهِـهـا تُلْهِبُ الـقُلُوب بِلَطْمِـهْ
تَـسْـألُ اللّيـلَ عَنْـهُ والـلّيْـلُ بـاكٍ مِثْلَهَـا فِيـهِ سـائِـلٌ عَنْ نَجْمِـهْ
كُـلّمَا أمَّ صَـفْـحَـةَ الْمـاءِ نَـجْـمٌ مِـنْ سَماءِ الْـوَادي تَهِـمُّ بِـلَمِّـهْ
وَتُجِـيـلُ الْـعُـيُـونَ في كُـلِّ أُفْـقٍ كُـلّمَا غَنّـتِ الْعَصـافِـيرُ بِـاسْمِـهْ
عَـزَمَ الأمْرَ مَنْ لـهُ الأمرُ يـا «فيبي»[1] ـ فَـمَـنْ ذا يَـرُدُّهُ عَـنْ عَـزْمِـهْ
أيُّ عَـيْنٍ لَمْ يُـقْـذِهـا الْـبَـيْنُ يَـا ـ عَـمِّ وَقَلْبٍ بِـسَـهْـمِـهِ لَمْ يَـرْمِـهْ
فَتَسَـلّي بِـوَهْـم لُقْيَـاه مـا للمـرءِ ـ عَـونٌ عـلى الـرَّدَى غَـيْرُ وَهْمِـهْ

* * *

---

(١) والدة البير.

٤٨٥ - أبطال لبنان(*)

[من الرمل]

أنـتـمُ الأُمَّـةُ إن عُـدَّ الأُمَـمْ ... يـا أُباةَ الضيمِ يـا نسـلَ «الكـرمْ»
يـا لـيـوثـاً بَـيَّضـوا وجـهَ الـعـلى ... بـدم، فـاعـجـبْ لـتـبـييض بـدمْ
خَـيَّمـوا في ظـل أعـطاف الـقـنـا ... فَـحَـكَـوْا مـنهـا أُسـوداً في أَجَـمْ
وغـدتْ «إهْـدِنُ» غـابـاً وغـدا ... مـدخـلُ الغـابِ عَـلَى البـاغي حـرَمْ
يـا لهـا مـن قِـمَـم يـعـصـمـهـا ... مـن بـنـيـهـا قـمـمٌ فـوق الـقـمـمْ
أبـراكـينٌ تـرى أم نِـسـوةٌ ... ولـدَت مـنـهـم رجـالاً أم حُمـمْ
عـصـبـةٌ مـن كـل جـبـار إذا ... ضرب البحـر من الـرعبِ انـقسمْ
لـو رآهُ الـلـيـث في شِـكَّـتـه ... أطـرقَ الـلـيثُ وحـيّـا واحـتـشمْ

* * *

حـاول الـتـركـيُّ أن يُـغْـرِيَهُـمْ ... بمـواعـيـدَ أعـاروهـا الـصـمـمْ
جـاءَهـم مـنـه رسـولٌ قـائـلاً ... من يـسـلِّمْ سيـفـه مـنـكـم سـلمْ
فـأجـابـوا: خسىء المـغـري بـنـا ... كـان لـلاغـراء عـهـد وانـصـرمْ
قـل لمـولاك: كـذا قـال الـعـدى ... تعـرفُ الـتركيَّ كم يـرعى الـذِممْ
ربمـا كـنـت بـحـق «حـامـيـاً» ... إنمـا نـحـن أُسـودٌ لا غـنـمْ . . .
لـيس يُلقـي لـكُـمُ الـسـيـف سـوى ... مـن عـلى أبـصـاره الله خـتـمْ
رمـتَ يـا مـغـرور أمـراً دونـه ... منـك خضمُ الغـاب أو عَبُّ الخِضَـمْ

* * *

سـمـع الـقـائـدُ هـذا فـالـتـظى ... ورأى الـشـتـمَ «مـبـاحـاً» فـشـتـمْ
ضـربَ الجـنـدُ نـطاقـاً حـولهـم ... فـتـخـطّـتـهُ مـنـاطـيـدُ الهِـمـمْ
هبـطوا الفيحـاءَ في جنـح الـدجى ... كـانحـدارِ السيـلِ من طـودٍ أشمْ

(*) إثر ما نشرته الصحف عن بسالة زغرتا وبشري وامتناعهم عن تسليم أسلحتهم للأتراك في الحرب العالمية الأولى.

هجموا فاغتنموا القمحَ ولم ... يجرموا الجيران بعض المغتنمْ
من تُرى يُخبر من قد جُوِّعوا ... وقَضَوْا بين تباريحِ الألمْ
أنَّ موت العزِ بالسيف له ... قيمةٌ تسوى من العيش قيمْ
أنَّ للخَطِّيِّ في طرس العلى ... غرراً ما خطّها سن القلمْ
أنَّ للسيفِ لُغىً يفهمها ... كل من في الأرض عُربٌ وعجَمْ
أنَّ في الموتِ حقوقاً للعلى ... كحقوقِ العيش إن لم تُقضَ لَمْ.
أنَّ في موتِ جبانٍ عجَباً ... فمتى عاش لكي يقضى الصنمْ؟

* * *

يا «زَغْرتَا» و«بِشَرِّي» بكما ... فخرُنا إن صح ما الراوي زعمْ
علِّموا القومَ نهوضاً للعلى ... فشعار القوم: كُلْ واشربْ ونَمْ

* * *

٤٨٦ ـ شكيب ٢(*)

[من السريع]

رزقتَ يا عبد اللطيف الذي ... سألتَ مولاك بقلب سليمْ
فَلْيَنْمُ وَلْيَسْمُ كما تشتهي ... ويشتهي كلُّ صديق كريمْ
ليملأ الدنيا بإحسانِهِ ... ويملأ التاريخ ذكراً عظيمْ

١٠٢٠ ٩٢١

١٩٤١

(*) رزق صديقه عبد اللطيف الخشن غلاماً أسماه: شكيباً فبعث إليه بتاريخه: هجري وميلادي. الميلادي في هذه الأبيات والهجري في أبيات خمسة يائية من الكامل مثبتة في مكانها من هذا الديوان.

٤٨٧ - أتاك الهوى(*)

[من الطويل]

أتـاكَ اهوى فـاصبرْ عـلى الـوجـد والألَمْ ... ألَمْ يـأتِـك الإنـذار مـن أهله . . . ألَمْ
نهيتُـك يـا قلبي فلم تـنفـع النُّهى ... وهـا أنت نـدمـانٌ ولا ينفـع النـدمَ
أحبَّـةَ قلبي مـا شفى اللوم عـاشقـاً ... وأقسى الورى من لام في ساعـة الألَمْ(١)
دعـوتُ على طـرفي ولـولا جمـالكم ... لمـااضـطرب القلبُ الخليُّ ولا اضـطرمْ
ولا هـاجَ بُـركـانُ الهـوى بـين أضلعي ... ففي جسـدي حُمًّى وفي كبـدي حُمَمْ(١)
بـكيتُ عـلى قلب سيعـدم حبكُـمْ ... متى عن قـريبٍ صار في حبكم عَـدَمْ(١)

٤٨٨ - حسبناكِ

[من الطويل]

حسِبناكِ أمّاً فـافتـدينـاك في الـوغى ... بـكـل فـؤادٍ مـن هـواكِ بـه حُمَّـى
إذا يـا فـرَنسـا صـارت الأمُّ مُـومِسـاً ... فـلا عجَبٌ أن أنكـرَ الـولـدُ الأمَّـا

٤٨٩ - تكبرت(**)

[من الطويل]

تـكـبّرت لمـا زادك الله ثـروةً ... وأيسرُ خَـطْبـاً مـن تكـبّـرك العُـدْمُ
قـد اتّخذ العلمُ التَّـواضُـعَ صـاحبـا ... فصـاحبْ رفيقَ العلم ِ إن فاتَـك العِلْمُ

(*) أبيات مستخرجة من مخطوطاته، دوّنها في رسالة الى أخيه، مؤرخة في ١٩١٥/٩/٢٩

(١) هذه الأبيات منشورة سابقاً في الديوان.

(**) القطعة رقم ٣ من مجموعة «موجات قصيرة».

٤٩٠ - خيالكما(*)

[من الطويل]

خيـالُكُـما من كـوَّةِ الغيـبِ يـا أُمِّي ... يُـلمُّ بـجفـني في الـتـنَـبُّـهِ والحلم
فـيغـمـرُ نـفسي بـالحنـانِ ويـنثـني ... إلى الخُلدِ عني باكياً هـاتفاً بـاسمي
يخـيِّـلُ لي أني لمسـتُ جَـنـاحـهُ ... فـلا أهتـدي إلا إلى شبـح الـغـمِّ
فـأرفـع صـوبَ النجمِ كفِّي إليكـما ... كـأنِّيَ أستعـطي العـزاءَ من النجمِ
وأبـكـي إلى أن أرتـوي ثـم أرتمي ... مهـدَّمـةَ الأعصـاب منهوكـةَ الجسم
فـوا دهشـةَ العينـينِ أن تـريـاكـما ... ودمعُهُـما يَهمي وفـقـدُ كـما يُعـمي
وواطـولَ هـمِّـي في رجـاءٍ وخيبـةٍ ... محـيِّرة بـين الحـقـيـقـة والـوهـمِ
أمـينُ، أبي الثـاني، شقيقي، تـركتَني ... رزيحـةَ آلامٍ يـنـوءُ بها سُـقـمـي
أتـذهـبُ مـع أمي وأبـقـى وحيـدةً ... فـأيـن وفـائي مـن وفـائـك لـلأمِّ

٤٩١ - عيد الفطر(*)

(من الطويل)

صيـامـاً إلى أن يُفـطِرَ السيفُ بـالـدمِ ... وصمتـاً إلى أن يصـدحَ الحقُّ يـا فمي
أَفِـطرٌ وأحـرارُ الحـمى في مجـاعـة؟ ... وعـيـدٌ وأبـطالُ الجـهـادِ بمـأتـمِ ؟!
بـلادُكَ قـدِّمْـهـا عـلى كـل مِـلَّة ... ومن أجلِها أفـطرْ ومن أجلهـا صُمِ !
فـما مسَّ هـذا الصـومُ أكبـادَ ظُـلَّمِ ... ولا هـزَّ هـذا الـفِـطرُ أرواحَ نُـوَّمِ
لقـد صـامَ هنـديٌّ[1] فجـوَّعَ دولـةً ... فهل ضار علجاً صومُ مليـون مسلمِ ؟!
تجشَّمَ عـن أوطـانـه صـوم عـامـد ... فجشَّم أوطـان العـدى صـوم مُرغمِ
وخـلّى بـلادَ الـظالمـينَ بـلادَه ... تضيقُ بجيش العـاطلينَ العـرمـرمِ
وألقى عـلى «مَنشَسْترٍ»[2] ظـلَّ رَهبـةٍ ... يضـجُّ بـأشبـاحِ الشقـاءِ المخيـمِ

(*) بلسان سلوى شقيقة الشاعر أمين مشرق الغرزوزي وقد ذهب وأمه ضحيتي سيارة في «كوباكيل» عاصمة «الإكوادور».

(*) ألقاها في حفلة عيد الفطر التي أحيتها الجمعية الخيرية الاسلامية في صنبول سنة ١٩٣٣

(١) يعني به «غندي» في جهاده ضد الانكليز.

(٢) مدينة الصناعة والغزل المشهورة في انجلترا.

أهــاب بــآلاتِ الحــديــدِ فعُــطلت ... مـصــانــعُ كــانــت جنّــةَ المتـنـعِّـم
وشــلَّ دوالــيــب الــرخــاءِ بصرخــةٍ ... أدارت دواليــب الـقـضــاءِ المحــتَّـم
كســاهــا نسيجَ العنكبوتِ وكم كست ... جسـومَ الـبرايــا بــالقشيبِ المنمنَـم
تُهـدِّمُـهــا أسرارُ نـفس عــجـيـبــة ... تجـولُ بــذاك الهـيكــل المتـهـدِّم
فيــا لــك من عــانٍ لـديــهِ تصـاغـرَت ... جـبــابــرُ أبــدانٍ وعـقــلٍ ودرهــم
وراحت ملوكُ المــالِ تشكـو ببــابــه ... مـن الفـقــرِ: يــا لَلظالمِ المتــظلِّم!!

* * *

أكــرِّمُ هـذا العيــدَ تكــريمَ شــاعــر ... يـتـيــهُ بــآيــاتِ الـنـبــيِّ المـعــظَّم
ولــكـنــني أصـبــو إلى عــيــدِ أُمــة ... محـرَّرةِ الأعـنــاق مـن رِقِّ أعـجـمي
إلى عـلَمٍ مـن نـسـج عيسى وأحمــد ... و«آمـنــةٌ» في ظـلـه أُخــت «مــريـم»
هبــونيَ عيــداً يجعــل العُــربَ أُمــةً ... وسـيروا بجثماني عــلى دين بَــرْهَـمِ!
فقـد مـزَّقت هــذي المذاهب شملنــا ... وقــد حــطمتنــا بــين نــابٍ ومَنسِم
ســلامٌ عــلى كـفــرٍ يــوحِّــدُ بـيـنــا ... وأهــلاً وسـهــلاً بعــدهُ بـجهـنـمِ!!

٤٩٢ - جنّتهم وجنتي

(من الطويل)

دعـيـنيَ مـن فــردوسِ عـيسى وأحمــد ... وقــومـي إلى فــردوسِنــا نــتـنـعّـمِ
فـجنّتُـهـم رؤيــا رأوهــا وجَـنَّــتي ... بحبــكِ مـلءُ العــينِ والكفِّ والفمِ

٤٩٣ - لعينيك(*)

[من الطويل]

لعينيــكِ إعــراضي عن الجــاه والغِنى ... وتنزيـهُ نفسي عن دنــايــا العــواصمِ
وذَرعـي قضــاءَ اللهِ مـن أجـلِ أمــةٍ ... سـوائمَ تُـزجَى بـين أيـدي الســوائمِ
وجــودي لهــا من قــوتِ يــومي وليلتي ... إذا جــادَ أربــابُ الـغِـنى لــلولائــم

(*) نظمها سنة ١٩٣٠ أثناء تجوله في سبيل (كتلة الدفاع الوطني).

وتـركـيَ للشعـرِ المخنّثِ عُـصبـةً   تحـاولُ تقليـد الفحـول القشـاعم
أحبـوا فهـامـوا بـالكؤوس ولم أكـنْ   بـغـيرك يـا أمَّ المـعـالي بهـائـم
وشتـان بـين الحب يغـريـكَ بـالطِّلا   وآخَـر يُغري بـالعُلى والعـظائم[1]

٤٩٤ - يحق لكم

[من الطويل]

يحق لكـم أن تـسـتـخفُّـوا بِهـائـمٍ   فـما هـو من يـرضى بعيش البهـائِمِ
تـلومـونـي في الحبِّ وهـو فـضيـلةٌ   وكم تحسَبـون الفضلَ بـين الجـرائمِ
ألـستـم تعـدُّونَ الـكـريـم مـغـفّـلاً   إذا لم يـعـفِّـرْ وجـهَـهُ لـلدراهـمِ
ذَروني وأمـثـالي فـأنـتـم بـعـالَمٍ   يـقـال لـه الـدنيـا ونـحـن بـعـالَمِ
شـقيـتُ لأني بيـنـكـم غـير جـاهـل   فـما بـالكم لـو كـان لي حظُّ عـالِمِ

٤٩٥ - لا خير في كرم الفتى (*)

[من الكامل]

الشعـرُ إلا فـيـكَ يُعـجـزُ من نـظَمْ   والـقـولُ إلا الـيـومَ لا يحـلو لـفـمْ
لـولا الـوفـاءُ لفـرَّ طـرسي من يـدي   حـرَداً وعضَّ أنـامـلي سنُّ الـقـلـمْ
عـزَفَت عن الـوردِ الـيراعـةُ بعـدما   مـلأت محـاجُـرنـا محـابـرَنـا بـدمْ
فـهـمـزتُ زَورقِـيَ المُـلقّـفَ لائـذاً   بجـزيـرةِ اليـوبـيـلِ من لـجِّ الألمْ
أطلعتَ فجـرَ العيـدِ في غسـقِ الأسى   فـحسبتُ أنّـاتي وأطـلقتُ الـنغَـمْ[2]
ورفـعت مـن قـلـبي إلـيـك تهـانئي   يـا أيهـا الـعَلَمُ الـذي رفـع الـعَلَمْ
مـا حـاد عن سنن القضيـةِ من دعـا   لمنـارِهـا الهـادي إذا الخَـطبُ ادلهَمْ

---

(١) الطلا: اسم من أسماء الخمر.

(*) أحيا صديقه الياس عاصي والسيدة حرمته حفلة عائلية بمناسبة مرور عشرين عاماً على قرانهما، «صنبول» ٤ - ١٢ - ١٩٤٨

(٢) يشير بهذه الأبيات الاستهلالية الحزينة إلى نكبة فلسطين في تلك السنة.

نــام القــرومُ عن النضــالِ وأنـت في غــاراتـكَ الشعــواءِ مــاضٍ لم تنمْ[1]
مــا جــزتَ همّــاً نــاصبــاً إلا وقــد خلقَت لــكَ النفسُ الكبــيرة ألفَ هَمّ
أبــداً تمتّــن مِـن صِـلات الحُبِّ مـا أوهـى المفـرِّقُ أو تُـعـمِّـرُ مـا هــدَمْ
ســخّــرت أقــلامَ الجهــابــذ داعـيــاً وأذعتَ فضلَ العُرْبِ في صُحُفِ العجمْ
وطــنـيّــةٌ عــربـيــةٌ لا ريــبــةٌ فـيـهــا ولـبـنــانـيــة فــوق التُّــهَــمْ
لا تـعــجـبـنَّ لجـاحـدٍ آيـاتِهـا واعجبْ إذا لم يـعبـدِ الـصنـم الصـنَمْ
وغــنىً تصرِّفـهُ يمـينُ مـدبِّـرٍ يُـرضي الحجى والجـودَ بـالـلأ والنعَمْ
إن ضـاق وسعُكَ عن تَكـاليفِ النـدى فـتــوخَّ مِمّــا يـنـفــعُ الـنــاسَ الأهَــمّ
لا خــيرَ في كَــرمِ الــفـتى إن فـاتَـه عــقــلٌ يـبصره بــأهــدافِ الـكــرَمْ
إني أفــاضِــلُ بـيـن مـن وَهـبــوا بمــا أدّوْا إلى الــوطنِ الحبيبِ مـن الخِــدَمْ
ولـقــد أجــلُّ عن الملوكِ مــدائحـي إن قصّروا في المكــرمــاتِ عن الخَــدَمْ
وضُحَ الصِراطُ فسرْ ودع قيـل العـدى سيكــون تـاريــخُ الجهــادِ لنــا حكَمْ
واعــرُج إلى الــذَّهــبيِّ بــالمــاسيِّ لا تـنفــكُّ محفــوفــاً بهــالاتِ الـنِعَــمْ
لـو كـان مثلكَ يــا ابن عـاصي واحــدٌ في كــل مـغــترَب لهــابـتـنــا الأمَــمْ

٤٩٦- يا حاسب الأعمار(*)

[من الكامل]

يــا حــاسـب الأعــمار لا تَعْـجَـبْ إذا هــذا قضى شــيــخــاً وذاك غــلامــا
فــكــما تُـبَـدِّلُ غــادةٌ أثــوابهــا بعض النـفــوس يبــدّل الأجــســامــا

---

(١) خدم المغترب اللبناني الياس عاصي قضية فلسطين بحمية وتضحية واخلاص، واستكتب أشهر وأنبل عالم وكاتب برازيلي مقالات نارية حمل بها على اليهود حملة كادت تثير الشعب البرازيلي لذبحهم.

(*) القطعة رقم ٤٧ من مجموعة «موجات قصيرة».

٤٩٧ - عواطف الأصدقاء والنصراء(*)

[من الكامل]

يـا كـوكبَ الأدبِ اعتـلالُـك شركـةٌ ... فيهـا الغـريبُ مـع القـريب يسـاهمُ
أنـا نضْـوُ داءٍ مثـل دائـك معضـلٍ ... شبـحُ الحِمام ِ عـلى سريـريَ حـائمُ
فـكـأنَّ قلبـكَ في ضـلوعـي خـافـقٌ ... وكـأنَّ همَّـكَ فـوق صـدري جـاثمُ
ما كـدْتُ أقـرأ عن رجـوعـك للحِمى ... حـتى تـفـاءَلَ قـلبـيَ المـتشـائـمُ
وصفَ الـطبيبُ لـيَ الـدواءَ فعـفتُـه ... مُـذْ بشّرتـني «الـضـادُ» أنـكَ سـالمُ

٤٩٨ - المتفرنجات الثلاث

[من الكامل]

هــل بــيـنـكــنَّ جمـيـلةٌ كـلثـومُ ... لا الـفَـودُ شـابَ ولا الفـؤاد فـطـيمُ
أنـا شـاعـرٌ طبعـي الهيـامُ وانـنـا ... أبـنـاءُ عُـذرةَ حُـبُّـنـا مـعـلومُ
وهـو الـغـرامُ أبـو القـلوب وأمُّهـا ... فـالـقـلبُ إن مـاتَ الـغـرامُ يـتيـمُ
عـدمُ الصبابـة كـالصبـابـة قـاتـلي ... فـأنـا لـنـبـوِ سيـوفـكـنَّ كـليـمُ
تـنـثـرنَ لي حَـبّ الـدلالِ ولم أكـن ... إلا عـلى حَـبِّ الـقـلوب أحـومُ
أتـلمّسُ الـروحَ الـلطيـفَ فـلا أرى ... إلا جـسـومـاً ضـمـنُهـنَّ جـسـومُ
وأجـيـل فـيكـنَّ الـعـيـونَ كـأنـني ... في مـعـرضٍ وكـأنَّـكـنَّ رسـومُ

* * *

وثـلاثِ غـاداتٍ حـكـينَ إلهـةً ... لـلحسـنِ كـلُّ مليـحـةٍ أقـنـومُ
في روضـةٍ أُنـف لهـنَّ حـلا بهـا ... مـنـثـورُهـا وحـلا لي المـنـظومُ
أنـشـدتهـنَّ أرقَّ مـن قـطرِ الـنـدى ... شـعـراً يـقيمُ الميـتَ وهـو رمـيمُ
«نـظري إلى وجـه الحـبيب نـعيـمُ ... وفـراق مـن أهـوى عـليَّ عـظيمُ»

(*) من كتاب إلى صديقه الأديب الكبير عبدالله بوركي حلاق إبان اعتلاله.

فتفتَّحَت مُقَلُ الزهورِ مسرَّةً   وبهنَّ وجدٌ مُقعِدٌ ومقيمُ
وترنَّحَتْ تلك الغصونُ كأنني   مغنٍ ومعنًى بلبلٌ ونسيمُ

* * *

قالت ليَ الكُبرى وقد كشفَ الهوا   عن صدرِها حيثُ النعيمُ يقيمُ
والْتمَّ فوق جبينِها من شَعرِها   متفرِّقٌ وتفرَّقَ الملمومُ
وبدا ليَ المكتومَ تحت وشاحها   ولكم تبدَّى في الهوى المكتومُ
فرأيت غصن البان يحمل جنةً   فيها مروجٌ للهوى وكرومُ
ورأيت بحرَ الحبِّ مضطربَ الحشا   فيه مناراتُ النهودِ تعومُ
«أحسنتَ يا (مسيو) غناؤكَ مطربٌ   شاجٍ وصوتكَ ناعمٌ ورخيمُ»
«لكن بربك ما الذي أنشدَته   يا حبذا لو أنه مفهومُ!!»
وأجابت الوسطى وفي نظراتها   إن أنعمت سرٌّ هو التنويمُ
ما لامَست قلبي شرارةُ لحظِها   حتى استطار كأنه ملغومُ
«أوَ ليسَ من أُغنيّةٍ عصرية   رقصيَّةٍ يسلو بها المهمومُ
أنشد لنا غيرِ الحجاز أو الصبا   هذا غناءٌ كالصلاةِ قديمُ»
وتلتهما الصغرى ووردةُ حسنِها   تحت السذاجةِ برعمٌ مكمومُ
والثغرُ بسّامٌ يضيءُ كأنهُ   بفمِ الغزالةِ في الضحى ملثومُ
«أولِنْتُ»[1] تعرف «فُتْرنْيا»[2] انني   «بالبُرْتغيذ»[3] يطيب لي الترنيمُ
فقرعتُ سنِّيَ نادماً متأسفاً   والروضُ حولي ظلمةٌ وجحيمُ
وعلِمتُ أني بينهنَّ مضيَّعٌ   يا للغَضاضَةِ و«الرشيدُ» نديمُ!!
متفرنجاتُ الذوقِ لا يطربنَ لو   غنَّى بحضرتهنَّ إبراهيمُ[4]
ولقد يطِرْنَ إذا سمعنَ رطانةً   طَرَباً ولَوْ أنَّ المغنيَ بومُ!!

* * *

---

(١) أولست.
(٢) فسرينيا، أغنية برتغالية.
(٣) أي اللغة البرتغالية.
(٤) ابراهيم الموصلي، أشهر موسيقار عند العرب.

٤٩٩ ـ ايليا أبو ماضي(*)

[من الكامل]

مَنْ لِلذي أوصيتَ أن «يتبسّما» غمرَ البكاءُ العينَ واكتَسح الفما
أوفى خليلَيْكَ الحزينُ وما ادَّعى إلا الذي اتَّبعَ الوصيةَ منهما
أرأيتَ حولكَ من صديقٍ صادقٍ «طرَح الكآبةَ جانباً وترنَّما»
لم يُغنِ فألٌ يا رسولَ الفأل عن قَدَرٍ ولا نقضَ القضاءَ المبرَما
فإذا تجهّمت السماءُ لشاعرٍ فلأنّه عشق السماءَ تجهّما
إن تكرهِ الشكوى أزل أسبابَها لا يسكتُ الجوعانُ حتى يُطعما
أو شئتَ أن يترنّم الباكي فَصِلْ حبلاً على شفَةِ الحفير تصرَّما
أعِدِ البَشاشَةَ للذينَ تَركتهم رهنَ الكآبةِ في ظلامٍ كالعمى
وأغث «جداولَك» التي تروي الظما ويكادُ يقتُلها لرؤْيتكَ الظما
تجري زُلالاً في الطروس وإن جَرَت لنواكَ من مُقَلِ الأحبّة عَنْدَما
وقلائداً يُعجزنَ أبرع ناظم حتى ليَحلف أنّهُ لن يَنظما
«وخمائلاً» كلُّ الخمائل بعدها عُشبٌ على أقدام جَنّتِها نما
تُنمى إلى وطن الجمالِ وهل لمن عبدوا الجمالَ سواك يا وطني حمى؟!
أنكرتُ نفسي بَعد طولِ فراقهِ فكأنني ديوان شِعر تُرجما
بَلدٌ تمنّتهُ الملائكُ مرتعاً لو لم يُعِدهُ الخائنون جهنّما.
شَقّوا به الأخَ عن أخيه وغرَّقوا جبلَ النبوَّةِ بالدموع وبالدِما

* * *

(*) أحيا رهط من أدباء وشعراء المغتربين في «صنبول» البرازيل حفلة تأبينية لزميلهم شاعر المهجر الشمالي ايليا أبو ماضي، إبان ثورة لبنان على عهد رئيسه كميل شمعون، شهر آذار سنة ١٩٥٨ وكان من شهودها قنصل لبنان ممثلاً حكومته وحكومتي العراق والأردن. فلما أبحر صاحب هذه القصيدة بعد شهرين إلى البلاد العربية، بدعوة من الاقليم السوري، بعث القنصل برسالة جوية إلى أسياده عملاء الاستعمار يحرضهم على اعتقاله حالما ترسي به الباخرة في خليج مار جرجس الخضر عند رأس بيروت، وتجريده من تذكرته اللبنانية واضطهاده. كما يرى القارئ في قصيدة «عودة الشاعر».

إن جـاءَكَ الحـقُّ المُبـينُ بـآيـةٍ ... قُلْهـا ولـو مـلأت كؤوسـك علقـما
قـل لـلذي مـلأ البـلادَ جـرائـماً ... من لم يسَمِّـك مُجرماً يـكُ مُجـرما. . .
مـا زدتَ فـلسـفـةً تـزدْنـا خيبـةً ... ويَـزِدْكَ أحـرارُ الـعـبـادِ تهـكـما
تُـرضي اليهـودَ وأنتَ تـزعُمُ حـربهم ... واللهِ لم نـرَ مسنـك أكـذبَ مـزعـما
أوَ لابـنِ «غـريـونٍ» تُمَـدُّ رقـابُنـا ... أرأيتَ خنـزيـراً يـذلِّـلُ ضيغـما. . .
أنسـيرُ في رَكْب الحُسـين وفيصـل ... ونخـون نـاصرَنـا الأبـرَّ الأكـرمـا
عَـرشين: هـذا لا يسـاوي دِرهمـاً ... وعـليـهِ مَلكٌ لـيسَ يملكُ درهمـا
وقـيـادُ ذا في كـفِّ قـاتـل جَـدِّهِ ... وأبـيـهِ يـا لـلعـاجَـزيْـنِ كِلَيْـهـما

* * *

من سـاءَهُ النـقـدُ الجـريءُ فـانَّ لي ... غـرَضـاً أجـلّ من النُـواح وأعـظَما
هـل كـنـتُ إلا شـاكـيـاً متـألمـاً ... ممـا أخـي قـبـلي شـكـا وتـألّمـا
هـذا «السمـيرُ» وتلك «يـوميّـاتُـه» ... مـا أحـوجَ المـأجـورَ أن يـتـعـلما!!
حـقُّ الـوظـيـفـةِ أن تـلومَ وإنمـا ... حـقُّ الـكـرامـةِ أن تـلومَ الـلُوَّمَـا
وطني عـلى مهـدِ الهـوانِ مـوسَّـدٌ ... والـداءُ يـطلب مبضعـاً لا مَـرهمـا
قسـماً بنـاصِـع ثـلجـه وجبـينـهِ ... وبـوجهـه العـربي، حُـرٌّ أقسـما. . .
مـا دام «بولسُـه» رسـولَ خـلاصه ... وفتى الشمـالِ «حميدَه» لن يـذمَّـا[1]
لَـيعـودُ لبنـاني كـسـابقِ عـهـدهِ ... قلبَ العُـروبـةِ والـدمـاغَ المُلهِـما
لَـيعـودُ فـارسهـا ورافـعَ بنـدهـا ... لـيـعـودُ مـدرسـةً لهـا ومـعـلّما
لَـيَعضُّ فيـه المسـتبـدُ بـنـانَـه ... غيـظاً ويـأكُـلُ سـاعـدَيـه تَنَـدُّمـا

* * *

يـا فيلسوفَ الشعـرِ يـا ابن الشمس يـا ... قـمـراً رمـاهُ الأرزُ أبـعـدَ مـن رمى
يُعيي صـواريـخَ الجبـابـرِ شـأْوُهُ ... وَلَـوَ انَّهم تَخِـذوا المـجـرَّةَ سُـلّما
حَنَتِ السـماءُ عـلى النجـوم وخيّمت ... فـحـنـا عـلى أمِّ الـنـجـوم وخَـيَّـما
نُفِضَ الـترابُ، فقـل لنـا أوَ لَم يَـزَلْ ... مـا عشت تسـألُ عنـه «لغـزاً مُبهـمًا»

---

(١) يعني غبطة البطريرك مار بولس المعوشي والسيد حميد فرنجيه نائب الشمال.

لم نـلقَ إلا مـن يـعـد طـلاسـاً ألَقيت عنـدك من يفُـكُّ الـطّلسـما
سرٌ وحـيـدٌ في الحيـاةِ فـهـمـتُـه وسـواهُ لـيس يُهـمُّـني أن أفـهـما
أنَّ الـعـروبـةَ حقّـقَت أحـلامَـهـا مـاذا يـشـوقُـك بعـدهـا أن تحلُما
بشِّر بهـا الأجـدادَ عـنـدَك قبـلنـا يهـنيـكَ أنـكَ كـنـت أولَ مـن سـما
وهمـومُ هـذي الأرضِ تكفي فلنـدعْ هَمَّ السما حتى نـطيرَ إلى السما.

٥٠٠ ـ ميشال معلوف(*)

[من الكامل]

هـذي عُكـاظُـكَ نُكِّسَت أعـلامُهـا وشكـا الـرزيئـةَ أرزُهـا وشـآمهـا
تبكي الأخَ الأبَ فيـكَ (أنـدَلُسـيّـةٌ) يـتَّمـتَـهـا وفـحـولُهـا أيـتـامُـهـا
بـوَّأتهـا عـرشَ الـبـيـانِ كـأنما هـو دولـةٌ بيـدِ الـرشيـدِ زمـامُهـا
حـتى إذا مـلأ الـبـواديَ ذكـرُهـا وعـلا عـلى السبـعِ الطِّباقِ مَقامُهـا
طُـوِيَت عـلى الأدبِ الـرفيـعِ سماؤهـا وتهـافتَت كـرجـومهـا أجـرامُهـا
فقـدتـكَ فـارفضَّت جـواهـرُ عقـدهـا والشمسُ مـا دامت يَـدومُ نـظامُهـا
مـا كـنتَ إلا الـقلبَ يُحسَبُ واحـداً مـن جُملةِ الأعـضـاءِ وهْـوَ قـوامُهـا
يـا لَلعـروسِ جلوتَهـا من خـدرهـا وقضى القضـاءُ بأن يُعـادَ لثامُهـا(١)
نـامت عـلى سُرُر المنى وصحَت عـلى لُجَجِ الـدمـوعِ غـريقـةً أحـلامُهـا
الضـادُ من عضِّ الـقيـودِ تـقـرَّحَت أجـفـانُها وتجـرَّحَـت أقـدامُـهـا
عفَتِ الـدَّبـورُ صروحَهـا ولـطالما ثبتَت عـلى هُـوجِ الـريـاحِ خيـامُهـا
أمُّ الفصـاحـةِ والبـلاغـةِ جمجمَت مـن عيِّهـا لا يـستـبـينُ كـلامُـهـا
جـفَّـت عـيـون دُوِيِّهـا وتـبـعـثَرت أوراقُـهـا وتحـطَّمَـت أقـلامُـهـا
وقـرائـحُ الشعـراءِ غـاض مَعينُـهـا ومحـافـلُ الأدبـاءِ طـال أوامُـهـا(٢)

(*) أحيت «العصبة الأندلسية» في «صنبول» سنة ١٩٤٣ حفلة تأبينية لمؤسسها ورئيسها الأول ميشال معلوف.

(١) اشارة إلى الشريعة البرازيلية القاضية بتعطيل الصحف والأندية الأجنبية في الحرب العالمية الثانية.

(٢) الأوام: العطش.

يتحــرَّقـونَ جــوىً إلى الكــأسِ التي سـلبَت عـقــولَ الأنبـيــاءِ مُــدامُــهــا
لــو ذاق «فَرْغَسُ»[1] طعمَهـا لأبـاحهـا وقضى ففُضَّ عن الــدنــانِ ختــامُهــا

* * *

أكبــادُ صَحبــكَ في رمــالِ هجيــرةٍ يــزدادُ إن جَــنَّ الــظلامُ ضرامُــهــا
ظمــأى يــولُّــونَ الســماءَ وجــوهَهم وعيــونُهم يسقي الغمــامَ غـمــامُهــا
تـثبُ الــدمــوعُ مـن الصــدورِ كــأنمــا الأضــلاعُ أقــواسٌ وهــنَّ سهــامُــهــا
لا مـيـتَ يَــعــدَمُ بــاكـيــاً لــكـنـما تـبـكـي البــلادُ إذا يموت كــرامُهــا
والمــوتُ لا يختــارُ لــكــنَّ الــورى كــالأرضِ أبــرَزُهــا لهم أعــلامُهــا
وإذا الجســومُ استهــدَفت فــأهمُّ مــا يُخْشَى عليــه أذى الحــوادثِ هــامُهــا

* * *

يــا حبّــذا مُتَــعُ الـشبــابِ وحبّــذا يــومٌ يُـطلُّ عــلى النفوسِ حِمــامُهــا
أهــوى المنيــةَ والحيــاةَ، جمــالُ ذي عنــدي لــذائــذُهــا وتلكَ ســلامُهــا
لم يُغنِ حُبُّ العيشِ عن حُبِّ الــردى والعــينُ مــا سَهــرَت يـطيبُ مَنــامُهــا
فــاخــترْ لـنفســكَ ميتــةً محــمــودةً حُسنُ القصيــدة بَــدؤُهــا وختــامُهــا

٥٠١ - هضابُ الأردن(*)

[من الكامل]

أهــضــابَ أُردنٍّ تــرى عيــنــايَ أمْ وعــدَ الـنـبــي محمــدٍ لــلمسـلمِ
أعـجِبْ بهنَّ حقــائـقــاً مـلـمـوسـةً يـسـمــو إلـيـهــنَّ الخيــال بــسُـلّمِ
سبـحــانَ مُـنْــزِلِهـنَّ مــن جـنّــاتِـهِ قِـطَعــاً مُــعــلّقــةً وراءَ الأنــجــمِ
لمــا اسـتَــوَيْنَ عــلى الــربى حيّــرنَني لـلعــين أمْ لــلأنـفِ هــنَّ أمِ الـفَــمِ
وجــداولُ الــبـلُّورِ بــين مـقـهـقــهٍ مــتــرنّــحٍ أو غــامــزٍ مُتَـبَـسِّــمِ
مـتلمعــاتٌ كــالأراقمِ في الـضحى وبهــنَّ تــريــاقٌ لــســمِّ الأرقــمِ
والصَّحبُ بــين معربــدين تهــدَّجت أصــواتهــم ومــهــوِّمــينَ ونــوَّمِ

(١) رئيس الجمهورية البرازيلية.

(*) «كمبوس دو جر دون» أو هضاب الأردن سلسلة جبال قريبة من «صنبول» تعلو بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر.

صرعى ولم يسفك لهم أحدٌ دماً | لكن بما سفح العواصر من دمِ
والشاعر المراحُ محلول العرى | للشمس يطفر كالغزال ويرتمي
وإذا الاجاصُ السكّريُّ دعاه قمْ | هتَف البساطُ السندُسيُّ به نمِ
والعودُ يُرقص حيّها وجمادها | ويقول للطيرِ اسمعي وتعلّمي
حامت عليه رفوفها تصغي إلى | نبراتِ غرِّيدٍ لجِلّق ينتمي
دُهِشَت لأغرب صادحٍ متكَشِّف | عن جؤجؤ خشبٍ وريشةِ قشعمِ [١]
حتى إذا اصطفقَت بها أعوادها | لختام لحن هزارنا المترنّمِ
ماج الطريق بنا وشيّعنا الدجى | بالنيِّرَيْنِ مودعٍ ومسلِّمِ [٢]

٥٠٢ ـ يا أمة الشرق(*)

[من الكامل]

عبثَ الأخيرُ بفضلكِ المتقدِّمِ | لا كان وارث مجدِكِ المتهدمِ
شرفٌ هوى من جوِّ عزِّكِ مثلما | هوتِ الرجومُ وكان فوقَ الأنجمِ
يا أمةَ الشرقِ التي ظفرَ العِدى | برفيع سؤددِها عليك ترحّمي
يا أيها الوطن الشقيُّ بأهله | لله ما فَعَلتْ يمينُ المجرمِ
أين الألى أنجبتَ أربابُ العُلى | والمُكرماتِ وكل مجد أعظمِ
من كل مَن لصقَ الحسامُ بكفهِ | فتكاد تنبضُ فيه أعراقُ الدَّمِ
زعموا بأنهمُ دُعاة تمدُّنٍ | أنْعِمْ بزعمِ الأدعياءِ وأكرمِ
خلُّوا لكم هذا التمدنَ واغنموا | شرفاً فنحن من الإباءِ بمغنمِ
إنْ كان يُطَّلبُ الصعودُ بسلّم | فلطالما كان النزولُ بسلّمِ
يا من يجودُ لنا بناجع طِبه | أرأيت ملسوعاً يلوذُ بأرقَمِ
هوِّن عليك أبا الفقير فكلُّنا | راضٍ بما قسمَتْ يمينُ المنعمِ
واحفظ إساك أبا الضعيفِ فربما | كنت الفقيرَ لنفس هذا البلسمِ

(١) الجؤجؤ: الصدر، والقشعم: المسن من النسور.
(٢) أي بالشمس الغاربة والقمر الطالع.
(*) نظمها ابان حرب الدولة والطليان سنة ١٩١٢، اذ كان يعلم في مدرسة الانلكيز الداخلية في الشوير.

أبني الجمودِ ألا تفورُ دماؤكمْ ... إلاّ إذا غُليت بنار جهنّمِ
ماذا التخاذلُ والعدوُّ ببابكم ... ورجالكُمْ بين الشبا واللّهذمِ[1]
أتعلّقون بفوزكم أملاً على ... نفرٍ من العربان غيرِ منظّمِ
هذا الأخُ العربيُ والهفي على ... نسل الكريم يموتُ غيرَ مكرّمِ
عَفر الإله له وكرّم وجهه ... وسقى الغمامُ ترابَ تلك الأعظمِ
رفقاً بني وطني بأنفسكم ألا ... يكفيكمُ خطر العدوِّ الأعجمي
ما الحربُ حربُ تعصبٍ للدين بل ... هي جولةُ اليقظان بين النُّومِ
هي جثةُ الرئبال ينهشها البِلى ... ليست مسيحياً يكيدُ لمسلمِ
فدعوا اللدادَ وجددوا نُوَّابكمْ ... بالأجدريةِ لا ببذل الدرهمِ
وتداركوا بالحزم كلَّ ملمّةٍ ... فالطيش قبلَ ندامةِ المتندّمِ
طَلَعَ الصباحُ ولم أذقْ طعم الكرى ... في جنحِ مربدِّ الجوانبِ مظلمِ
فصعِدتُ مرتاحا أنفّسُ كُربتي ... وأُحمل الأجبالَ بعضَ تألمي
والشمسُ من خلفِ الغُيومِ كأنها ... معنى البراءَة في ضمير المتهمِ
ترمى إلى (شيخ) الجبالِ بنظرةٍ ... سَلْ عن مغازيها فؤادَ المغرمِ
والبحرُ يضحكُ عند أخمَصِه كما ... هَزئ العظيمُ بخفةِ المتعظمِ
فقذفتُ من صدري إليه بنفثة ... رشقتْهُ مِنْ حرِّ السعير بأسهمِ
ورجَعت كالثكلانِ أندبُ موطناً ... لعبَ الفناءُ بجسمِه المتقسمِ

* * *

٥٠٣ - فص الخاتم(*)

(من الكامل)

«فيليب» قد أحييت سالفة الندى ... وأعدت بالجفنات سيرة حاتم
وجمعتَنا في حلقةِ الفن التي ... - خَليَتْ بكلِّ فتىً أديب عالمِ
فكأنما هي خاتمٌ من عسجد ... - «أمْلينُ» فيه وأنت (فَصُّ) الخاتمِ

---

(١) الشَّبا: جمع شباة وهي حَدُّ السيف. اللّهذم: القاطع، صفة للسيف

(*) دعا الشاعر فيليب لطف الله وحرمه السيدة املين في احدى الليالي آذار سنة ١٩٤٦ رهطاً من شعراء العرب وكتابهم إلى سهرة حفلت بالطيبات، فكتب كلٌّ في دفتر التواقيع.

٥٠٤ - الأوربيون(*)

[من الكامل]

مــلكــوا أزمّــةَ كــل عــلم ســام   والحــربُ تمــلِكهــم بــغــيرِ زمــام
لم أدرِ قــبــل الآن أنّ حــلومَــهــم   وهــي الجبــالُ تخِــفُّ كــالأحــلام
مــا كنت أحسَب أنَّ أعــلام الهــدى   في الحــرب تــرفــعُ قــانيَ الأعــلام
زحفــوا إلى ســاح الــوغى بمــدافــع   كــالأُســدِ رابــضــة عــلى الآكــامِ
بــطشت ومــا وثبت، فمن أشــداقها   إن زمجــرَت يــثبُ الحِــمــامُ الحــامي
وصــواعــق الــزبلين عــنــد هُــوِيِّهــا   محــتــكّــةٌ بــفــجــائــر الألــغــامِ
هــاتيــك تــوغــل تحت أطبــاق الــثرى   نُــزُلاً وتــلــك تــغــيــبُ في الأجــرامِ
تــقف الــنفــوسُ مــكــانها مبــهــوتــةً   لم تــدرِ كــيفَ غــدت بــلا أجــســامِ
مــن لي بــطائــرةٍ لــرفــع القــلب من   مــهــوى الــشــقــاءِ وحمــأة الآثــامِ
مــن لي بــقــنبــلة لحــصــد الهــمِّ من   دنيــا الــتعــاســة لا لحصــدِ الهــامِ
مــن لي بمــخــتَرَع يمــيــت الــغــدر في   ذئــبٍ ويــنــفي الــبــطش من ضرغــامِ
ظفــروا بحــاجــات الجســوم وحــاجــةُ   الأرواحِ عــاصــيــةٌ عــلى الأفــهــامِ
فــالجسم في المنــطاد فــوق كــواكب   والــنفــس في الأحــقــاد تحت رغــامِ
ربّــاهُ خــذ مــنــا المــعــارفَ كــلّهــا   وابــدل بهــذا الــكــل بــعض ســلام

٥٠٥ - لبنان ملٍّ(**)

[من الكامل]

نــبِّــهْ جفــونــكَ من لــذيــذِ منــامِ   طَلَع الصبــاحُ عــلى ربــوع الشــامِ
مــا ضرَّ من أفــنى الحيــاةَ مسهّــداً   أن بــات يــوقَظ مــرَّةً في الــعــامِ
يــا سيــد القلمِ الــذي انقــادت لــه   يــوم الــنضــالِ أعــنّــة الأقــلامِ
بشرى إلــيــكِ نــزفُّهــا وقــلوبُنــا   فُــلكٌ عــلى دمــعِ السرورِ الــطامي
نــزَلَت كــرِضــوان العــليِّ وغــلغلت   كــالُمــزنِ بــين جــنــادل ورَغــامِ

(*) «الريو دي جانيرو» سنة ١٩١٤ عند نشوب الحرب العالمية الأولى.
(**) ألقاها في حفلة عامة سنة ١٩٣٥ بمناسبة مرور العام الأول على وفاة الدكتور خليل سعادة.

وسرَت مُروِّحةً رُفاتَك بالندى ... والبرء تلمسُ موطنَ الآلامِ
وتُعيدُ حجرتَك الوضيعةَ قبّةً ... زهراءَ تُطلعُ ألف بدرِ تمامِ
ما أنتَ بعدُ من الردى في غمرة ... بل أنتَ في شفَق من الأحلامِ
لبنانُ ملَّ سريره وأبلَّ من ... شللِ الخمولِ وسلِّ الإستسلامِ
غسلَ «الدخان» من الشحوبِ جبينَه ... وكم اكتسى من ثلجهِ بقتَامِ!![1]

* * *

لبنانُ يا وطنَ الجمالِ ومُنجبَ ... الأبطالِ والصُّيّابةِ الأعلامِ
كم قد نصحتُك فاتّهمتَ نصيحتي ... أفأقْنَعَتْكَ حوادثُ الأيامِ؟
يهديكَ نورُ العلمِ يا أعمى ولا ... يهديكَ غيرُ الله يا متعامي!
أسلمتَ للأم الحنونِ فقل لنا ... أوَجدتها خيراً من الإسلامِ؟
يمشي الغريبُ إلى خِوانِك ساخراً ... ويؤوب بالإجلال والإكرامِ[2]
كرَمُ الخِلال جنى على أربابه ... يا ليتَ أهلَ الشامِ غيرُ كرامِ
أنا ما رأيتُ فضيلةً مكروهةً ... كتواضعِ الأعرابِ للأعجامِ

* * *

أفتَى الشمالِ وفي يمينك مُصحَفٌ ... للمجد خُطَّ بشفرةِ الصمصامِ
بجراحِكَ اشفِ جراحَ نفسِك في العلا ... ما الجِلدُ خيراً من فؤادٍ دامِ
هبْ كان راعيك المسيحَ وداعةً ... أيردُّ عنكَ شراسةَ الضِّرغامِ
حبُّ السلامِ إذا تجاوزَ حدَّه ... أفضى إلى موت بغير سلامِ
إني أُعيذُك أن تظلَّ مُعلّقاً ... بنطاقِ مطران وذيلِ إمامِ
إنَّ الأسودَ إذا تولّى أمرَها ... راع فقد حُشِرَت مع الأغنامِ

* * *

---

(١) اشارة إلى الموقف الجدي الذي وقفه غبطة البطريرك الماروني في قضية «الريجي» واضرابه عن التدخين ليقتدي به الشعب احتجاجاً على تلك الشركة الافرنسية الجائرة.

(٢) ترامت إلى المغتربين أنباء الولائم السخية التي كان بعض أمراء البدو الضاربين على حدود الحواضر الشامية يولمها للعميد الفرنسي حسب عاداتهم في اكرام الضيف وكيف كان يعود وأصحابه ساخرين منهم ومن تقاليدهم.

كم ذا تَشيدُ على أساسٍ واهن   والبيتُ مفتقرٌ إلى هدَّام
قصرُ الذليلِ مَقمَّةٌ وَلَوَ انَّه   أوفى سرادِقه على الأجرام [1]
لا تَرْجُوَنَّ بالِانتداب تقدُّماً   ما في بلاد النور غير ظلام
حَتّامَ تستجدي وأرضكَ جنةٌ   وَإلامَ تَسْتَنْدي وغيثك هامي

* * *

من شطِّ بحرِ الكنجِ زأرُ غضنفرٍ   أشجى لسمعيَ من هديلِ حَمامِ
صوتٌ يردّده مسيحُ الهند في   «دلهي» لتسمعَ يا مسيحَ الشام [2]
ذُد عن حماكَ ونادِ باستقلاله   لا ترعَ فيه خواطرَ الحُكّامِ
حَرِّرْهُ من رِقِّ السياسة أولاً   يُنجبْ محرِّرَه مِن الأوهامِ
ماذا يُطيقُ من الفعال مقيّدٌ   بزمامِ غيرِ مقيّدٍ بذمامِ
جرِّدْ لهم غصن السلام فربما   أغناكَ عن تجريد ألف حسامِ
إن كلَّ زَندٌ لن تكِلَّ إرادةٌ   والعزمُ في الأرواحِ لا الأجسامِ
أفنيتُ أعدائي بسيفِ تجلُّدي   وبرئتُ عند الله من إجرامِ
إن عفتَ تبغكَ في القصور فانني   قد عفتُ قبلك في السجونِ طعامي!!

٥٠٦ - بين الحقول

[من الكامل]

هل تذكرينَ لقاءَنا في روضةٍ   سِحريَّةٍ والطيرُ تهتِفُ باسِمكِ
والشمسُ تلقي في المروجِ ظِلالَنا   عَمداً لتحتفظَ المروجُ برسمِكِ
والنحلُ يُطمِعُني برَشفِ لَماكِ ـ   والأغصانُ تُغري ساعديَّ بضمِّكِ
لما شغلتُكِ بالزهورِ هنيهةً   وشُغلتُ عن شمِّ الزهورِ بشمِّكِ
ثم ارتمينا بين أحضان الرُبى   ثمِلَيْنِ في الغضِّ النديِّ كجسمِكِ
وغدوتِ كالعِقدِ النثير عَلَى الثرى   أعجزتِ ألبقَ شاعرٍ عن نظمِكِ

---

(١) المقمَّةُ ما توضع فيه القُمامة أي الكناسة. والسرادق: الفسطاط ـ يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم.

(٢) يقصد بمسيح الهند «غاندي».

فـرنـوتِ مُـغـضـبَـةً إليَّ فـصـابَـني سـهـمٌ فـواشـوقَ الـفؤادِ لـسهـمِـكِ
لمـيـاءُ مـا دامَ الـكـلامُ يمـرّ في شفتـيـكِ من يخشى مـرارة شَـتمِـكِ
يـا نـحـلةً دون الأزاهـر هِـجـتـهـا من ذاق شهـدَكِ لم يخَـفْ من سُـمِّـكِ
يـا زهـرةً زحـزحـتُ عنهـا كِـمّهـا روحي فِـدى الحسنِ الخبيءِ بكِـمِّـكِ
أقُـطفـتِ قَـطفـاً أم وُلـدتِ ولادةً من جنـةِ الـفـردوسِ أم مـن أمِّـكِ
جـاوزتُ حـدَّ الأربـعـينَ ولم أزل أُزري بـفـتيـان الحـمـى في زعـمِـكِ
لابـدعَ إن جـددتِ لي عهـد الصِّبـا بـرضـاك عـنـي تـارةً وبـرغـمِـكِ
مـن لثـمِ نعـلكِ للهـشيـمِ تمـايـلٌ بين الحقـولِ، فكيف بي من لثمِـك!

٥٠٧ ـ ونحنُ أعطينا القلم(*)

[من مجزوء الكامل]

نـحـن الألى سُـدنـا الـشـعـوبَ ـ ونـحـن مـدَّنّـا الأُمَـمْ
أعـطاهـمُ اللهُ الـلسـانَ ـ ونـحـنُ أعـطـيـنـا الـقـلَمْ
خـضـنـا الـبـحـارَ زمـانَ لم يَـكُ ظـلٌّ سـابـحـة بِـيَـمْ
حـتى إذا لم يـبـق شطٌّ ـ لم تـطأهُ لـنـا قَـدَمْ
نـامـت عـيـون المـتـعـبين ـ وأي عـين لم تـنـمْ
واسـتـيـقـظت مـسـحـورَةً تـسـتـقـبـل الـعـهـدَ الأهـمّ
نـور الـنـبـوَّة فـاض مـن مـهـد المـروءَة والـكـرَمْ
يَـطغـى بـه مـوج الـضـيـاء ـ مـن الـبـطاح عـلى الـقِـمـمْ
وتـدفَّـقـت تـلك الجـحـافـل ـ كـالخـضـمِّ عـلى الخِـضـمّ
هـذا قـضـاء الله أم عـربٌ تـكـرُّ عـلى عـجـمْ؟
زحـفـت مـكـبِّـرةً فـذكـرُ ـ الله يمـلأ كـل فـمْ
وإذا الـعـروبـة في أقـاصي ـ الأرض خـافـقـة الـعـلَمْ

(*) من خطاب ألقاه في عيد المولد النبوي في «صنبول» بتشرين الأول ١٩٤٠

مـرحـى غـطاريـفَ الـعـروبـة - إنـنـا أبـنـاءُ عـمّ[1]
ولـقـد تـقـاسـمـنـا الـفَـخَـارَ - كـما تـقـاسـمـنـا الألمْ
طـلـع الهـدى مـن شرقـنـا والـغـربُ يخـبط في الـظُلَمْ
بـدرأ «بـقـدمـوسٍ» أهـلً - وبـابـنْ عـبـدالله تـمّ

٥٠٨ - روحي روحك(*)

[من مجزوء الكامل]

إلـيـاسُ قـد أحـبـبـتَ أمَّـكَ - مـثـلما أحـبـبـتُ أمـي
روحـي «بـحـضـن الأم» روحُـك - بَـيْـدَ أن الـنـظمَ نـظمـي
قـاسـيتَ فـيـهـا ضـعـفَ مـا قـاسـيـتُ مـن تـعـبٍ وهـمٍّ
كـانت من الإهمـال كـالحسنـاءِ - في الخـدرِ الأغـمِّ
فـجـلـوتَهـا لـلنـاس في بُـردَيْـنِ كـالـبـدرِ الأتـمِّ
فـاهـنـأ بهـا سـبّـاقـةً في حـلـبـةِ الأدبِ الأعـمِّ
واللهِ لم أنـصـفْـكَ إذْ لم يسبقِ اسمُـك تحتهـا اسـمي

٥٠٩ - عش للعروبة(**)

[من مجزوء الكامل]

عِشْ لـلعـروبَـة هـاتـفـاً بـحـيَـاتهـا ودوامِـهَـا
وامـدُدْ يَمـينَ الحـبّ يـا لـبـنـانَها لـشـآمِـهَـا
أُنـظرْ إلى آثـارهـا تُـنْـبِئْـكَ عـن أيّـامِـهَـا
هـذا الـتراث يمـتُّ مـعـظمُـهُ إلى إسـلامِـهَـا

---

(١) الغطاريف جمع غِطريف وهو السيد الكريم.

(*) سعى صديقه الياس عاصي في ترجمة قصيدة (حضن الأم) وجلوها الناس في حلتيها العربية والبرتغالية، فقدم له النسخة الأولى وعليها هذه الأبيات.

(**) هذه الأبيات هي إهداء طبعة ديوانه السادسة.

٥١٠ - صَلاَةٌ وابْتِهَال(*)

[من المتقارب]

عميدَ البلاد! عليك سلامْ:
نداء يوازي صلاة الأنامْ!
حفظتَ البلاد، وصنتَ العبادَ
وكنتَ كعيسى رسولَ الوئامْ!
وكنتَ كأحمدَ، روحَ الأخوةِ -
يطغى لديك، فيمحو الخصامْ.
كأنك بعضٌ عطايا الاله
يخص بهن جنانَ السلامْ.
وليس كهذي البلاد ديارٌ،
براها الاله جِنانا ترامْ!
وليس كهذي الجنان ديار
رعاها الجمال، فليس ينام!
ومالي أعالج فيك المعاني،
وذكرُكَ معنىً لكل كلامْ!
رأيتُ بوجهك ظلَّ المسيحِ،
يرفُّ عليه رفيفَ الغمامْ.
وشِمتُ بقلبِكَ عزم «النبيِّ»،
يمدّ بوعيك شعبا يُضامْ!
وكان «الصليب» عليك وشاحا،
فجاء «الهلال» إليك وسامْ.
عميدَ البلاد، شجبتَ الخلافَ،

(*) إلى غبطة البطريرك، مار بولس بطرس المعوشي في ٤ أيلول ١٩٥٨ وهي غير موجودة في الديوان، وقد استخرجناها من مخطوطات الشاعر.

فهـلا مسـحت بقـايـا الـظلامْ:
جـراح تنزَّى صـديدا وحقـداً،
وليست بقـومي طبـاعُ اللئـامْ!
شمـوخُ النفـوس لـديهم كفيـلٌ
بـردّ «الخراف» لـدرب الكرامْ!
وحبّ «التنـاهي» سبيـل يؤدي
لحـلّ وسيط، يُعيـد السـلامْ.
وتلكَ الأضاحي... قواعدُ تُرْسي
عليهـا بنـاءً مـديـدَ الـدوامْ!
فليستْ دمـاءُ الأُلـوفِ لِتُنْسَى،
ولـيس الـشـهـادة إلاَّ غَـرامْ!

* * *

عَميـد البلاد، عليـكَ صـلاة،
دعـاء يـوازي نـداء الأنـامْ!
نـداء تسـامى سمـوَّ الفـداءِ،
يجوز الـفضاء، كخطف السهامْ!
نـداء تنـاهى لـذاتِ الالـه،
بسمعِ الحياة، ومـرأى الحِمامْ!
فتحبـو المـلائـك تبغى رضـاك
وتحـرس «بـولس» هـذا المقـامْ!
وتسلـم أنـت «أمـام» البـلاد،
وتسلـم «كعبـة» هـذا الإمـامْ!

* * *

٥١١ - تحية مغترب(*)

[من المتقارب]

سلامٌ الى حيثُ غادرتُ روحي ... بلبنانَ سابحةً هائمَهْ
إلى النازلينَ لِصَيْدِ «العُرَيِّس» - ... والسّارحين مع السائمَةْ
إلى البحرِ كَمْ أشتهي أنْ أَراهُ ... وروحي على سَطْحِهِ عائمَهْ
أحِنُّ إليه وأطوادُه ... تُزَمْجِرُ قاعدةً قائمَهْ
وأشتاقُهُ ومُوَيْجاتُهُ ... تدغدغُ تلك الحَصَى لاثِمَهْ
الى إخوةٍ كفراخِ القطَا ... وأمٍّ على أمرهم قائِمَهْ
اذا عَبَسَ الدَّهرُ في وجهها ... تظل لهم أبداً باسمَهْ
فيا ربِّ رفقاً بتلك الفراخِ ... وأبقِ لهم أمَّهُمْ سالِمَهْ
أراهم وقد صاح ديك الصباحِ ... وهبَّتْ عصافيرُهُ الجاثمَهْ
يسيرون للكَرْمِ عقداً نظيماً ... يمجد في حُسْنِهِ ناظمَهْ
يَرَوْنَ العناقيدَ متكئات ... على أمِّها كالدُّمَى النائمَهْ
فلا يرجعون من الكرم إلا ... وموعدهم سنة قادمَهْ. . .
حنانَيك ربي حنانيك ربي ... لقد قصَمَت ظهريَ القاصمَهْ
بعيدُ المزار غريبُ الدِّيار ... وحيدٌ وها أنا في عاصمَهْ
أيا ربِّ فاتحتي ما ترى ... فهل لك أن تُحْسِنَ الخاتمَهْ. . .

٥١٢ - ريح

(من المجتث)

ريحٌ من الشرق نسّمْ ... فيا غريبُ تنسّمْ
وارأم بصدرك طفلاً ... من جوعه يتألمْ(١)
قلب يرى الهمّ تقوى ... فان تسلّ تندَّمْ
طولَ الحياةِ جريحٌ ... يظل يسبحُ في الدمْ

(*) في «الريو دي جانيرو» سنة ١٩١٤

(١) يرأمُ الطفل: يحبه ويعطف عليه.

مـــا زال يــقــرعُ بـــاب - الـــضـلـوع حـــتى تحــطّمْ
كـــســـاعـــةٍ عـــلـقـــوهـــا عـــلى جـــدار مـــهـــدَّمْ

* * *

٥١٣ - حضن الأم(*)

[من الوافر]

أتـــذْكُـرُ كـيـف كـانَ إلـهُ مـوسى إلهــاً قـاسـيـاً يـلـتـذُّ بـالـدَّمْ؟
إذاً فـإلَـيْـكَ كـيـفَ غـدا إلهـاً رحـيـماً إن تـألّـنـا تـألّمْ(١)

* * *

روَى الــراوُون أنْ عــثَروا بمصر عـلى دَرْجٍ غـريـبِ الخطِّ مُـبـهَـمْ(٢)

(*) قال صاحب الديوان:
- نظمتها بين سنتي ١٩٢٤ و١٩٢٥ ولما يَحُلِ الحلول على وصول الوالدة إلى «صنبول»، بعد أحد عشر عاماً من اغترابي عن لبنان. ألقَيت يدي على كتفيها ذات مساء، وأدَمْتُ النظر إلى وجهها الكريم، وقد غمرتني ابتسامتها الفائقة العذوبة بموجة من الحنان الذي لا يوصف، فتعلقت روحي بأسباب ذلك الشعاع المنبعث من عينيها الحلوتين، نافذة وراءهما إلى عالم قدسي عجيب. قلت: بربك يا أمي لا تحوّلي نظرك عني، لكأني أرى رؤيا شعرية غريبة لا عهد لي بمثلها قط. قالت: اسم الله حولك يا ابني. يا أولاد لا «تعيطو»، عمكم ينظم، روحوا من هنا. ولبثت في ذهولي وموكب الالهام يدنو مني وئيداً، أو ادنو منه، لا أدري، حتى شرعت أتبين معالمه وأستجلي شخوصه، فصحت وقد ملكتني نشوة الفن، وبدني يقشعر، والعرق يتصبب من جبيني: أماه... بشراك... لقد جئتك بما لم يجيء بمثله شاعر لأم. ووصفت لها ما رأيت، فأعادت دعاءها: اسم الله حولك يا ولدي. هذا أحسن شعر عملته في حياتك. أنظمه حالاً قبل أن تنساه. فقبلت يدها، ودخلت غرفتي وأغلقت بابها، ولم آوِ إلى فراشي منتصف الليل، حتى كانت قصيدة «حضن الأم» على مهدها الأبيض أمامي تنعم بنور الحياة. وقد وجدنا بين أوراقه ترجمة أسبانية لهذه القصيدة مطبوعة بعنوان Co'Lo Materno ومترجمها Salomao jorge

(١) في المخطوطة:
إذاً فـإلـيـك كـيـف غـدا حَـنـونـا عـلـيـنـا إن تـألّـمـنـا تـألّم

(٢) في المخطوطة:
روىَ الـراوون أنّ قـبـيـل عـيسى تـوفّي شـاعـر في الشرق مُـلْهَـمْ

فـحـاولَ فـهـمَـهُ الـعـلماءُ لـكـن بدا لجماعـةِ الـعلماءِ طِـلسَـمْ[1]

إلى أن حـلّهُ الـشـعـراءُ شـعـراً ومن بـالشعـر كـالشعـراءِ يفـهمْ[2]

فـقـالـوا إنـه من قـبـلِ عـيسى تـوفِّيَ شـاعـرٌ في الشرق مُـلْهَـمْ

أضـاعَ الـعُـمـرَ في طَـلبِ المعـاصي يُحَـلِّلُ مـا كِـتـابُ اللهِ حـرَّمْ

فـكـادَ إلى الـلّظى يُـلقَـى، جـزاءً لمـا مِـن سيِّءِ الأعـمـالِ قَـدَّمْ

ولـكـن بِـرَّهُ الأبَـويـنِ غـطّى مسـاوئـه فـخُـلِّصَ من جـهَـنّـمْ

وجـازاهُ الإلـهُ جـزاءَ عـبـدٍ تَـقـيٍّ حـسـبـما في الـكـتـبِ علّمْ

فنـامَ بـحـضـنِ إبـراهـيـمَ لـكـن قُبيـلَ الفجـرِ شـاعِـرُنـا تَـبـرَّمْ[3]

وقـام لـربِّـه يـشـكـو ويَـبـكـي بُـكـاءً صَـيَّرَ الـفـردوس مَـأتَـمْ

فـهـدَّأ رَوْعَـهُ وحَـنَـا عَـليـه وطـيَّبَ قـلبَـهُ بـحَـنـانِـه الجَـمّ

وَوسّـدَهُ يَـديـهِ ورُكـبـتَـيـهِ ومـالَ عـليـهِ بـالتَّـقْـبـيـلِ والـضـمّ

وقـال لـعَـبـدِهِ داوُد رنِّـمْ لهـذا الـبُـلبُـلِ الـبَـاكي فَـرَنّـمْ

فَـنـامَ بـحـضـنِـهِ الأبـويِّ حِـيـنـاً وعـادَ يُـسـاقِط الـعَـبراتِ عَـنـدَمْ

إلى أن ضَـجَّ أهـلُ الخُـلدِ غَـيـظاً وصـاحَ اللهُ مِـن غَـضَـبٍ إلى كَـمْ

أطِـيـقُ تَـذمُّـراً مـن عَـبـدِ سـوءٍ يُجَـرِّعُ كَـوثـراً فَـيـقُـولُ عَـلقَـمْ

تَـظَلّمَ في الـثَّرى مـن غـير ظُـلمٍ وحـتى في الـنَّـعـيـمِ مَـعـي تَـظَلّمْ

أرَى الـشُّـعـراءَ جَـازوا الـحـدَّ، إني أكـادُ لِخَـلقـيَ الـشُّـعـراءَ أنـدَمْ

عَـلامَ بُـكـاكَ يـا هـذا ومـاذا دَهَـاكَ فـلا تَـني تـشـكـو، تَـكَـلّمْ

أصفحي عَنـكَ قـد أبـكـاكَ أم مـا جُـزيتَ بـهِ من الاحسـانِ أمْ. أمْ؟

فَصـاحَ: العـفـوَ يـا مـولاي مَن لي سِـواكَ ومن سـوى الـرحمَنِ يَـرحَـمْ

أتـيـتُـكَ راجِـيـاً نَـقـلي لِحـضْـن أحَـبَّ إليَّ مـن هـذا وأكـرَمْ

لحـضـن طـالمـا قـد نمـتُ فـيـهِ قَـريـرَ الـعـيـنِ بـيـن الضَّـمِّ والشّـمّ

أمـا ألـقـيـتَ رأسَـك فـوق صـدرٍ حَـنُـونٍ خـافـقٍ بمـحـبّـةِ الأمّ؟

---

(١) هي طلسم (بتشديد اللام وفتحها وسكون السين). نقل حركة اللام إلى السين تفادياً من التقاء الساكنين ـ لا يوجد هذا البيت في المخطوطة.

(٢) لا يوجد هذا البيت في المخطوطة.

(٣) في الانجيل: أن من يموت من الصالحين ينام في حضن إبراهيم.

فَدَعني من نعيم الخُلدِ إني نعيميَ بين ذاكَ الصدرِ والفمْ
تُرَبِّتُني كَعادَتِها برِفقٍ وتُنشدُ نَمْ حَبيبي باهْنا نمْ

* * *

فأصغى سيدُ الأكوان لطفاً لِشكوى شاعرِ الغَبراءِ واهتمّ[1]
وقالَ لنفسهِ هذا مُحالٌ أيَعلَمُ شاعرٌ ما لست أعلَمْ[2]
أينعَمُ خاطىءٌ في الأرضِ قبلي بما أنا لستُ في الفِردَوسِ أنعَمْ
لأكتَشفَنَّ هذا السر يوماً ولو كُلِّفت أن أشقَى وأعدَمْ[3]

* * *

وكانَت لَيلَةٌ وإذا صَبيٌّ صغيرٌ نائِمٌ في حضنِ مَريَمْ

* * *

٥١٤ - المتكبرون

[من الوافر]

سَلِ المتكبرين هَلِ استُشيروا بمولدهم وهل أمِنوا الحِماما؟
وهل كشفوا من الأكوان سراً وهل عرفوا البداءَة والختاما؟
وهل جبلوا جسومهمُ بخمر وهل نحتوا من العاج العظاما؟
وهل يغدون تحت الأرض تبراً ويمسي غيرهم فيها رغاما؟
أليس قوامهم ماءً وطيناً كما خلق الاله لنا قواما؟
فان كانوا كغيرهم أناماً علامَ إذاً قد احتقروا الأناما؟
وإن لم ينفعوا الدنيا بشيء إذاً فعلامَ مِنّتهم علامَا؟!

---

(١) في المخطوطة: فاطرق سيد الأكوان طرّاً.
(٢) في المخطوطة: وقال لنفسه ذا مستحيل
(٣) في المخطوطة: سأكشف سرَّ حضن الأم هذا

٥١٥ ـ فؤاد الأم

[من الوافر]

فؤاد الأمِ ما لكَ من فؤادٍ يضمُّ من العواطف ما يضمُّ
غلطنا حين صلينا (أبانا) كما قالوا لنا فالله أمٌّ(١)

٥١٦ ـ إلى دول الاستعمار

[من الوافر]

جهلت لسانَنا ولنا حديثٌ يترجمُه لكم عنا الحسامُ
يبلغهُ مكانَ الفهم منكم وصيغَتُهُ كلومٌ لا كلامُ

٥١٧ ـ لنا نظام

[من الوافر]

لَكَمْ بالسيف قوَّمنا اعوجاجاً ولولا الحربُ ما حصل السلامُ
اذا بُنيَ النظام على فسادٍ ففي خرق النظام لنا نظامُ

٥١٨ ـ وهل أنسى

[من الوافر]

صَبتْ روحي إلى وطني وقَومي وحامت في المرابع أيَّ حومِ
يظلُّ خيال أوطاني أمامي وعند النوم أبصرها بنومي
وهل أنسى ربوع الشرق يوماً وشمسُ الشرقِ تطلُعُ كلَّ يومِ

* * *

(١) في الشريعة المسيحية تبدأ الصلاة بالنداء «يا أبانا» ولفظ الأبوة والأمومة هنا على غير معناه اللغوي.

روي النون

٥١٩ - ذكرى ليلة(*)

[من البسيط]

غـداً تـودِّعُ هـذا المنظرَ الحسنـا وهـل رأيتَ حكيماً يأمنُ الزَّمَنـا
فيمَ انتظارُك والكاساتُ مُترَعَةٌ والعـودُ رنَّ ومكحولُ العيون رنـا
وأهيفُ القدِّ ثنَّى عِطفَه فهوت لـه القلوبُ فُرادى في الهوى وثُنى
وللربـاب شكـاوى شاعرٍ رحلَتْ ليـلاه فاستنطقَ الآثارَ والدِّمَنـا
بكى حنيناً فأبكى كلَّ جارحةٍ من كل هاجرةٍ أو هاجرٍ وطنا(١)
فاغنم نصيبك من لهو ومن طرب مـا للقلوب عن الفنِّ الجميل غنى

* * *

تنفَّسَ الفجرُ والأفراحُ نازلةٌ مَنّاً على كل قلبٍ جائعٍ وَهَنـا
أطايبٌ ملأوا منها الأكفَّ جنىً كانت لهم في بساتين الخيالِ مُنى
ساقيتُهم رَشَفاتٍ من سُلافتها تنقُّلاً بين حُدَّاثي هنا وهنـا
وفي سريرة نفسي حاجةٌ طُويَت أللهُ يَعلَمُها من دونهم وأنـا

٥٢٠ - لهفي على وطن(*)

[من البسيط]

لهفي على وطن لم يبقَ لي وطنا كم قد خلا من حبيب لي به قطنـا
يا ثلجَ لبنانَ هل كفَّنتَ لي صُحُباً ما ألحدوهم ولا حاكوا لهم كَفَنـا

(*) الولايات المتحدة الأميركية ١٩٥٣

(١) وبعده في المخطوطة:

وبلبل الفن «خذَّاجٌ» شدا فشجا ومادت الدار لما جاوبته «سنا»

(*) أبيات مستخرجة من مخطوطاته، أنشدها على العود في آخر فصل من رواية مثلتها جمعية الشبيبة الحمصية

ويا غديراً جرى بين الجبال دماً   لما بكيتَ على الأحباب كنت «أنا»
يا شرقُ للشمس قل: لا تطلعي أبداً   ما عدت أعشق فيها طلعةً وسَنَا
كانت تمر على لبنان مهديةً   سلامَهُ فغدت تهدي ليَ الحَزَنا

٥٢١ - مثلها

[من البسيط]

لا في دُوارٍ ولا في طول مرحلة   قلبُ المهاجر يلقى الهمَّ والحَزَنا
كِلَيْهما ذقت لكن ليس يؤلمني   إلاَّ ادكاريَ أني تاركٌ وَطَنَا

٥٢٢ - مريانا(*)

[من البسيط]

أودِّع النَحْسَ في توديعِ «مريانا»   لا كان عامٌ بدارِ الشؤمِ لا كانا
عجبتُ والله مِنْ صبري على زمنٍ   لو عاش أيوبُ فيه مات يأسانا
ترْتدّ عني البلايا وهي قاتلةٌ   واللهِ ما ذلك الإنسانُ إنسانا
يا يأسُ يا يأسُ زُرْ غيري فلي أمل   ما زال يكبُرُ حتى صار إيمانا
قد ألبَسَتْهُ عروسُ الجِدِّ أقمطةً   - وأرضعَتْهُ عجوزُ الصَّبرِ ألبانا(١)
سيرجعُ اليأسُ عني وهو منتحرٌ   - يأساً: أجل إنَّ حَيْنَ اليأسِ قد حانا

* * *

٥٢٣ - المرفع

[من البسيط]

للهِ عيدٌ رأينا من مساخرِهِ   ما ليس يحصرهُ عدٌّ وتخمينُ
تساوتِ الناسُ فيه بالجنون فما   يقول هذا لهذا أنت مجنونُ

(*) نظمها وهو يتأهب للسفر من مدينة «مريانا» إلى الريو دي جانيرو سنة ١٩١٤
(١) الأقمطة جمع قماط وهو خرقة عريضة يُلفُّ بها المولود.

٥٢٤ - انقطاع الوحي(*)

[من البسيط]

مـا بـالُ شيـطانيَ الـثرثـارِ أنكَـرَني ... كـأنـه مـذ عَـلاني الشيّبُ لم يَـرني
لا أن تـبسّـمَ ثـغـرُ الـفـجـر ألهَمَني ... ولا إذا الـطير غـنّـاني عـلى الـفَـنَنِ
تـزورُ عني بنـاتُ الـوحي عـابسـةً ... كـأنّني مـا نـظمت الشعـرَ في زَمَني
عهـدي بـه كلّما استـوحيت نـزّل لي ... آيَ البيـان كصـوبِ العـارضِ الهتِنِ
وبـاكـرَتني الـرُؤى عـذراءَ رَاقصـةً ... في بسمـةِ الـوردِ أو في ميسـةِ الغُصُنِ
قـريحتي بعـد ذاك الـفيض جـامـدةٌ ... جمـودَ عـقـليّـةِ الـرَجْعِـيِّ في وَطـني
بـمَ التـأسِّي عـن الفـن الفـقـيـد أفي ... شبـابيَ الغضِّ أم في وجـهيَ الحَسـنِ
يـا دهـرُ لم تُـبْـقِ لي شـيئـاً أُسَرُّ بـه ... الحـمـد للهِ لا روحـي ولا بـدَني
ذَرْني مـع الشعـرِ في صحـراءَ قـاحلة ... ولا تـذرني جـديبَ الفكـر في عـدنِ
هـذا ابنُ داودَ هـذا صـاحبي وأخي ... هـذا الـذي طـوّق الأعنـاقَ بـالمِنَنِ
صـاغ الجـواهـرَ لي في «هِسْتُنٍ» وأنـا ... كـأنـني مـن جمـود الـذهـن لم أكُـنِ
يبـدو السرور عـلى وجهي وقلبـيَ من ... عِيٍّ البيـان صريـعُ اليـأس والحـزنِ
وفي «الـبرازيـل» اخـواني الـذين بهم ... «صنبـولُ» تاهت عـلى الأمصار والمُدُنِ
مـدَّ الـسِّـمـاط وطـافت بي روائـعهـم ... يـومَ الـوَداع فـلم أفصِـحْ ولم أُبِـنِ
رانَ الـذهـول عـلى عقـلي فـواخجـلي ... ممـا يقـولـون في دنيـا الـوفـاءِ عَني
عفواً أخا الفضـل ذا عذري جهـرت به ... وأنـتَ عـنـه بمـا قـال الـفـؤاد غَـنِي
لكنـه فـرضُ عِـرفـانِ الجميـل إذا ... لم يـوفِـهِ لـكَ من أكـرمتـهُ فـمَنِ؟

(*) أنشدها في بيت صهره جرجي توما سركيس زوج شقيقته فكتوريا في مدينة «لونغفيو» سنة ١٩٥٣، ترحيباً بصديقه الشاعر الدكتور سليمان داود نزيل «هيوستن» الولايات المتحدة الأميركية. -

٥٢٥ ـ دمعة على شقيق(*)

[من البسيط]

واهاً لعهدٍ «بِبشْمزِّينَ» منصرمٍ ... كأننا لم نكنْ يوماً ولم يكنِ

في منزلٍ ساذجِ البنيانِ مُتَّضعٍ ... رحبِ الذراعينِ لافَخْمٍ ولا خشِنِ

كفُّ السلامِ على أعتابهِ كتبَت ... هذا المكانُ لأبناءِ السلامِ بُني

بين البساتينِ من تينٍ ومن عنَبٍ ... بين الينابيعِ من شهدٍ ومن لَبنِ

وللسفرجلِ أرواحٌ معطّرةٌ ... تهفو إلى شمِّها الأرواحُ في عَدَنِ

في كل ليلٍ لنا في المرج مُحتَفَلٌ ... يسبِّحُ اللهَ فيه عابدُ الوثَنِ

أختي تناشدني عن جانب وأخي ... عن جانب ونديمي العودُ في حِضِني

حتى استبدَّ بنا ظلماً فبدَّدنا ... في الأرض صرفُ زمانٍ غير مؤتَمَنِ

أردى أخي ونفى أختي وغادرَني ... وحدي شريداً بلا إلفٍ ولا سكَنِ

كأنني وقِفارُ الأرضِ تعمرُ بي ... مما أطوفُ أسيرٌ زُجَّ في سِجنِ

سيانِ في الضيمِ عقبانٌ مقيّدةٌ ... بلا جَناحٍ وعقْبانٌ بلا وُكَنِ

يا خمرةَ الألمِ ارويني فقد نضبتْ ... لَمّا نضبتِ عيونُ الفهمِ والفِطَنِ

يا حزْنُ لا بِنتَ عن قلبي فما سكنَت ... عرائسُ الشعرِ في قلبٍ بلا حَزَنِ

ما حيلةُ الدهرِ في إعناتِ منتعشٍ ... بالنازلاتِ انتعاشَ الأرضِ بالمُزَنِ

يستقبلُ الضربةَ الكبرى بماشيةٍ ... فوق السهى لم تهِن يوماً ولم تُهنِ

يا دهرُ ما لك تُعْيِي بعد معركةٍ ... كافحْ فما أنا من يرتاحُ للهُدَنِ

يا ليلُ إنّيَ نجمٌ فيكَ مؤتلقٌ ... والنجمُ ليسَ له حظٌّ من الوسَنِ

إن طُلتَ أو لم تطلْ فالنفسُ في شُغُلٍ ... عن الدجى والضحى والكونِ والزمنِ

وأنتِ يا أرضُ يدعوك الورى وطناً ... فليهنأُوا فيك يا قاذورةَ العفَنِ

يستقتلون على شبرٍ ولو ظفروا ... بالأنجمِ الزُّهرِ ما وَفّينَ بالثمَنِ

(*) يرثي بها شقيقه فؤاداً أحد ضحايا النكبة السورية، أثناء الحرب العالمية الاولى. ويذكر عهداً «ببشمزين» كان أخوه المذكور وأخته يدرسان فيه عليه. ثم فرق بينهم الدهر

٥٢٦ - «اثناسيوس»(*)

[من البسيط]

عم البكاءُ فلا قاصٍ ولا دانِ ... كم في الرزيئة من حمصٍ ولبنان
مناحةٌ في نواحي الأرض هُدَّ بها ... ركن العزاءِ لفقد المصلح الباني
المحسنِ الحرِّ لم تفرُقْ سجيتُه ... في البرِّ بين نصيريٍّ ونصراني
ومن تقيم به الأديان حجَتها ... إذا استخفَّ أخو كفرٍ بأديانِ
لا غرو إن كان يلقى ربه فرِحاً ... إذ لم يكن عنده في الأرض ربّانِ
ولا اقتنى غير طِيب الذكر من نشبٍ ... ولا تحوَّل عن باقٍ إلى فانِ
أثماره كفّرت عن عقم طغمته ... حتى حمدنا إليه كلَّ مطرانِ
لعلَّ ثانيَه في الفضل سيدُنا[1] - وإنه في اعتقادي ذلك الثاني
مولاي إني مججت الماءَ من زمن - وضاق صدريَ عن صبرٍ وكِتمانِ[2]
فاعذر صراحة حر طالما شهدت ... له المنابر في جهر وتبيانِ
عارٌ على ديننا ألاَّ يفوزَ به ... في خدمةِ الله إلاَّ كلُّ كسلانِ
الكرْم مفتقرٌ للعاملين وقد ... ضاق المصَلّى بكهّانٍ ورهبانِ
يا ليت شعريَ ماذا يصنعون إذا ... لا دفنُ موتى ولا تكليلُ عرسانِ
أهكذا تُنْفَقُ الأعمارُ لا عملُ ... إلا مراسيمُ أفراحٍ وأحزانِ
فحقِّقِ الظنَّ يا مولاي وابنِ لنا ... معاهد النور من علم وعرفانِ
وكن لنا «كعطاءِ الله» خَير أبٍ ... نكنْ كأبناءِ حمصٍ خيرَ إخوانِ

(*) أحيا النادي الحمصي حفلة تأبينية للمطران أثناسيوس عطاالله: ١١ كانون الثاني سنة ١٩٢٤

(١) المطران ميخائيل شحادة الذي كان مترئساً الحفلة وقد حقق رجاء الشاعر بأن انشأ مدرسة عربية في «صنبول».

(٢) يشير في صدر البيت الى البيت المشهور (من مجزوء الكامل)
في فمي ماءٌ وهلْ ينطقُ منْ في فيه ماءُ

٥٢٧ - الموت والبعد(*)

[من البسيط]

المـوتُ والبعـد عنـد النـاس سيّـانِ لكنَّ أقسـاهمـا عنـدي هـو الثـاني
لله مـن وطـن بـاتـت محـبَّـتُـهُ - في القلب أثبتَ من سهدي بأجفاني
مـا لـذَّ مَـعْ ظمئي مـاءٌ وفي وطني - قـد كنت أكـرع منـه غـير ظمـآنِ

٥٢٨ - أم مروان(**)

[من البسيط]

يـا أمّ مـروان أنت الشعـر في جَسـدٍ قـد صـاغـه الله من أحـلى التكـاوينِ
أمـا الحـديث فـانجيـل غنيتِ بـه عن كـل معنىً جميـل في الـدواويـنِ
هـامت بـآيـاتـه روحي فـزدت هـدىً ومـال قلبي عن الـدنيـا إلى الـدينِ

٥٢٩ - صَلاة(***)

[من الخفيف]

سيِّـدي كُنْ عـلى الحيـاةِ مُـعينـا تـائبـاً ذاقَ من رضـاكَ مَـعـينـا
كـم صرفـتُ الـسنـينَ والـقلبُ لاهٍ عنـكَ يـا ربِّ، كم صرفتُ السِّنينـا
غـيرَ أني وأنـت تـعـلمُ أني لم أكـن مـن رضـاكَ أيـأسُ حـينـا
ولكم جئـتُ نـادمـاً أطلبُ الْـعفـوَ- وأذري دمـعَ الـعيـونِ سَـخـينـا
تـارةً في الخـلاءِ أجـثـو وطـوراً تحـت سـتر الـظّلام أبكـي حـزينـا
كُـلّما الـصُّـبـحُ لاح أحـسـب أني منـه آنسـتُ وجـهَـكَ الميـمـونـا
فـأغَـنِّي مـع الـعـصـافـير حمْـداً كـادَ للحمـدِ يـستـفـزُّ الغُـصُـونـا

(*) أبيات مستخرجة من مخطوطاته، نظمها منذ ٤٥ سنة.

(**) وقّع على نسخة من ديوانه أهداها إلى السيدة سهيلة حرمة صديقه الشاعر فهد ابراهيم

(***) البربارة سنة ١٩١١

ثم نــادى داعي الــذنــوب فـلبيتُ ـ ولَـيـلُ الــذُّنــوب يُعـمي الـعيــونــا
فــتــعــطّفْ عــلــيَّ ربّــاه وارأفْ بــأثــيـم يــرجــوكَ ربــاً حــنــونــا
وأنـلني مـن فـيض نُـعــمــاكَ رُوحــاً يــكُ في التّجـربــات حِصنـاً حصينــا
كـم تمنـيـتُ أن أكــونَ مـن الأبــرارِ ـ فــاسـمـحْ يــا سيـدي أن أكــونــا

٥٣٠ ـ إجعل الأرض(*)

[من الخفيف]

اجعــلِ الأرضَ حيث كنـتَ جِنــانــاً إن تكنْ قــد هجـرتَ منهــا جِنــانــا
صَــغُــرَت نـفسُ حــاصرِ الـنـفسِ في أشـبــارِ أرضٍ يــعُــدُّهــا أوطــانــا
أنــت حــرٌّ فــاســتــوطــنِ الـبــلدَ الحـرَّ وصــاحــبْ مــن أهــله إخــوانــا
مــثــلُكَ الــكــونُ والــزمــانُ فــلا تَــلْحَ مــكــانــاً ولا تــذمَّ زمــانــا
واسمُ عن أن تشكـو إلى النـاس فقــراً ولئــن بــتَّ جــائــعــاً ظــمــآنــا
لـيس في قضـمــك الحــديــدَ هَــوَان إنَّ في بــثــك الــشــكــاةَ هــوانــا
بــســمــةٌ تــظهــر الــفــقــير غــنــيّــاً دمعــةٌ تمســخُ الـشجــاعَ جبــانــا
فــتــلقَّ الحــيــاةَ بــالــبشرِ فــالــعــيشُ نــعــيــمٌ إن لم تــكــن شــيــطانــا
لـيس بــدعــاً إن كــنــتَ تــطلب مــا تــقصرُ عــنــه أن تـشــتكــي الخــذلانــا
لم يخبْ طــالــبٌ رغـيـفــاً بــسعــيٍ وإذا عــزَّ حــنــطةً فَــزِوَانــا
أنــت لــفظٌ يــعــنـي الخــلودَ فــكــم تُــعــنى بــفــانٍ في حــبــه تــتــفــانى
كـن إلــهَ الـنُّــضــارِ انــك عـنــدي لـست شيئــاً مــا لم تـكـن إنســانــا
أشبــعِ العــقــل حكـمــةً واختـبــارا وامــلأ الــقــلب رحمــةً وحــنــانــا
ولــكَ الأرضُ والـــسماءُ وهــل يُــدعى فــقــيــراً مــن يملكُ الأكــوانــا؟

(*) «صنبول» سنة ١٩٢٤

٥٣١ - الشيخ المنتحر(*)

[من الخفيف]

نَبذوه كأنه ما كانا يَمضغُ الريق طاوياً ظمآنا
نازعوه البقا فلو ظلّ حيا عُدَّ هذا من فضلهم إحسانا
واستهانوا باللهِ بلْ أنكروا الله ـ وداسوا الإنجيلَ والقرآنا
أسبلَ الليلُ سِتْرَه واستكنَّ ـ الطَّيرُ والنَّومُ صافحَ الأجفانا
شبحٌ زادَهُ الظَّلامُ خفاءً وَهْوَ لو عانق الضُّحى ما بانا
نهشَ الدَّاءُ فضلةَ الداء منه وأتى الجوعُ يَشْحَذُ الأسنانا
حوله صِبيةٌ عِيالٌ عليه يأكلون الشقاءَ والأحزانا
عُلِّلوا بالحَصى طويلاً فَنَامُوا إنما الجوعُ لم يزلْ يقظانا
صاحَ ذاكَ المسكينُ مِنْ ألمِ ـ الجُوع وأمسى في أمرِهِ حَيْرَانا
ها يداه قد شَدَّتا الحبلَ حولَ ـ العنقِ يأساً والموتُ في اليأس هانا
لم يمسَّ الآذانَ في الأرض صوت هزَّ عرشَ السما وشقَّ العنانا:
ربِّ هذي أمانتي فاستلمها ليس في العيش راحةٌ للحزانى

* * *

يا دُعاةَ الاصلاح فينا ويا مَنْ يدَّعونَ الصَّلاحَ والإيمانا
ليت شعري هل ذاب فيكم حياءً كلُّ قلبٍ ما ذاب فيكم حنانا
يا وُلاة الأمرِ الفخامَ ويا من عَبَدوا الحقَّ أصفراً رنّانا!!
خَبِّرُونا لأيكم نرفعُ الأمرَ ـ وقد بات كُلُّكُمْ سلطانا؟!
مَعْشَرَ الأغنياءِ إن تحبسوا ـ الأموالَ عنا هل تحبسون الزمانا
سوف تُبدي لكم صروفُ اللّيالي ان هذا المطروح ليس زوانا(١)
حين تطغو تلك المجاري سيولا وتُثيرُ الأحقاد حرباً عوانا
حين تغدو تلك القصورُ قبوراً حين يَغدو ذاك الغرورُ هَوانا
حين يغدو ماسُ الصُّدور عقيقاً ومجالُ الرهانِ يُمسي دهانا

(*) زحلة سنة ١٩١٠

(١) الزوان (بالكسر والضم) حبٌ يخالط البُرّ.

أنــا إن كـنت مُعْسِـراً لـست نـذلاً   أو أكُنْ مُعْـدمـاً فلستُ جبـانـا
فـاسرحوا الآن وامـرحوا مـا استـطعتُمْ   أيـظلُّ الـفـقـيرُ عـبـداً مـهـانا؟

* * *

٥٣٢ - وسام(*)

[من الخفيف]

يـا أخـا الـودِّ والعقيـدةِ والغـربـةِ -   والـعِـرْقِ والحـمـى والـلـسـانِ
يـا رفيـقَ الجـهـادِ مـنـذ نَبَسـنـا   بـحـروفِ الجـهـادِ في لـبـنـانِ
ذكـرَتـك الشـآمُ فـاهنـأْ وإن كنتَ -   جـديـراً بـعـطفـهـا مـن زمـانِ
لا يـضـيرِ الـتـأْخـيرُ في جـدولِ -   الفرسـانِ من كـان أقـدمَ الفـرسـانِ
مـا الـوسـامُ الـذي تـقـلدتَ إلا   قـطرةٌ مـن غـطَمْـطم الإحسـانِ(١)
إنــه لـفـظةٌ حَـوَتْ ألـفَ مـعـنى   عـبـقـريٍّ تـشـعُّ مـنـه المـعـاني
إنـه نقـطةٌ عـلى الحـرفِ من صفحـةِ -   مجـدٍ في كـفٍّ حـرٍّ بـاني
إنــه جــذوةُ الحـماسـةِ في حـبـةِ -   قـلـبِ المـجـاهـدِ المـتـفـاني
إنــه دمـعـةُ المشرَّد سـالـت   لهـبـاً مـن مـواقـدِ الأضـغـانِ
إنــه كـوكـبٌ من المـعـدن الفـاني -   عـلى صـدر كـوكـب غـير فـانِ
إنــه بـسـمـةُ الـعـروبـةِ لـلأرز -   وعـينُ الـرضـا وحِـرزُ الحـنـانِ
وهـو لـلوَحـدةِ العـتـيـدةِ إبـزيـمٌ -   وزرٌّ لـعُـروةِ الإيمـانِ
فـليـدمْ لـلعـدى نـذيـرَ المـنـايـا   ولأهـل الـوفـا بـشـيرَ الأمـاني

٥٣٣ - الحب العميم

[من الرمل]

لـيَ قـلـبٌ يـسـعُ الـكـونَ فـلا   تـسـألـوني مـا الـذي تهـوي ومَـنْ
كـلُّ شيءٍ فـيـه شيءٌ حَـسَـنٌ   وأنـا أهـوى مـن الشيءِ الحـسـنْ

(*) أنعمت الحكومة السورية بوسام الاستحقاق على الدكتور جورج صوايا من اللبنانيين في الأرجنتين وأحد فرسان القلم المجاهدين في سبيل القضية العربية. «صنبول» ٢٥ نوار سنة ١٩٥٦

(١) الغطمطم: الجمع الكثير.

٥٣٤ ـ جبل المأساة(*)

[من الرمل]

يا فلسطين استعدي للقانا حان يوم النصر يا أماه حانا
وعد «بلفورٍ» «كبلفورَ» انتهى في جحيم النار عصفاً ودخانا
وأتى الوعد الذي نمهره ما مهرناك قديماً من دمانا

* * *

ثلث قرن سبق النكبة لم نغمد السيف ولم نسلم حمانا
شهد التاريخ أنّا لم نخن لعن الله الذي خان ومانا

* * *

جبل المأساة في أعناقنا لم يركِّعْنا وركعنا الزمانا
شعبك الجبار من أكواخه فرض اليوم على الدنيا الكيانا

* * *

هبَّ للسيف وهبّتْ للندى حوله الأنصار للنصر ضمانا
كل صدر بُرَكانٌ ثائرٌ بلهيب الحقد يغلي غليانا

* * *

آل صهيونَ اجعلوا صحراءنا جنّة لن تأكلوا الا هوانا
عوض الأردن من أكبادكم سنفيض النيل فيها فيضانا

* * *

وعدنا الحق ولسنا وحدنا أمة دوَّختِ الأرض ورانا

(*) ١٤ ـ ١ ـ ١٩٦٥

٥٣٥ - قُلْ لمن (*)

[من مجزوء الرمل]

قــل لمــن يــؤتي زكــاةً لــيس يــرضى اللهُ بــالــدُّونْ
«لَــنْ تَــنَــالُــوا الــبِرَّ حــتّى تُــنْــفِــقُــوا مِمَّــا تُحِــبُّــونْ»(١)

٥٣٦ - صَبَرْنا ولَقِينا(**)

[من مجزوء الرمل]

يــا أخي ميشــال بعــد الشــكِّ أدركتَ اليقينــا
كم تــردَّدتَ وأطـرقتَ وأكثـرتَ الـظنــونــا
أعَــروسٌ أتمــنّى عــنــدَ مــرآهــا المــنــونــا
أزَواجٌ بــعــدَه أقضي لــيــاليَّ حــزيــنــا
أألاقــي السِمّ والحنـظل والــداء الــدفـيـنــا
ومســاحيـقَ وأصبــاغــاً ورقـصــاً وجنــونــا
أم ألاقــي أدبــاً جمــاً وظَــرفــاً وفــتــونــا
وأرى الحكمــةَ والحشمـةَ والعقــلَ الـرصينــا
وأصيب الحبَّ والإخـــلاصَ والقلبَ الحنونــا
مــا تـرى أجني من الصـــبر شهــوراً وسنينــا؟

* * *

هــا عيون الأهـل في الشاطىء تستجـلي السفينا
هــا عمـودُ الصبــح والصبحُ قــوامــاً وجبينــا

(*) القطعة رقم ٦٤ من مجموعة «موجات قصيرة».

(١) سورة آل عمران ٣/٩٢

(**) عقد لصديقه الشاعر ميشال مغربي على ابنة عمه فيوليت في «صنبول» سنة ١٩٣٩، وكان ينتظر قدومها من الوطن وقد فارقه وهي بعد صغيرة.

«أفِيُولَتُّ» ابنةُ العمِّ أم الجَنّةُ فينا
مرحباً بالحسنِ يستهوي قلوباً وعيونا
مرحباً بالظبيةِ النجلاءِ تحتلُّ العرينا
يا أخي يهنيكَ إحرازُ الغنى دنيا ودينا
أنت ذاكَ الشاعرُ الحرُّ عدوُّ الخائنينا
والذي يهتزُّ للفضلِ حناناً وحنينا
إنما الخالدُ من أثنى عليه الخالدونا
والفتى من يكسِبُ الحمدَ سخياً وضنينا
قد يُعابُ المرءُ بالبذلِ كما يُحمدُ حينا
ضلَّ من يشري رخيصاً بالذي باعَ ثمينا

* * *

أيها الحائرُ بعد الشكِّ أدركتَ اليقينا
فالمسِ الطيفَ الذي راود في الغَمضِ الجفونا
واحمَدِ اللهَ وقلْ إنّا صبَرنا ولقينا

٥٣٧ ـ أيسر وجدي

[من السريع]

أيسَرُ وجدي في هواهم جنونْ وأهونُ العِلاّتِ فيه المنونْ
يا ربِّ ما لي حيلة في الألى أقضي بهم حبّاً ولا يشعرونْ
فقسِّ قلبي لأطيقَ النوى كل بلائي أن قلبي حنونْ

* * *

٥٣٨ - إن شئت(*)

[من السريع](*)

إن شئتَ إطرائي فَفَصِّل على قدري ودَعْني من ذُيول الثَّنا
كُلُّ مديح لستُ من أهلِهِ فَهْوَ لغيري قيلَ لا لي أنا
أفخمُ نعتٍ من نعوت العلى أن يذكرَ المرءُ بما أحسنا

٥٣٩ - يا أب(**)

[من السريع]

يا أبُ إن كنتَ أخا حكمة هُزَّ عصا التأديب للإبنِ
فإنّما أنت بتقويمه أَوْلى من الشرطيِّ والسِّجْنِ

٥٤٠ - الألف والياء(***)

[من السريع]

يا أَلِفَ الحبِّ ويا ياءَهُ لا زلتما أسعدَ إلفَيْنِ
كل حمامِ الأرضِ يفديكما ورُبَّ إلفينِ بألفَيْنِ
جمعتما شملَ الطيورِ التي جارَ عليها الدهرُ بالبَيْنِ
كأنها بينكما آيةٌ محصورةٌ بين هلالَيْنِ

(*) القطعة رقم ٤ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) القطعة رقم ٨٣ من مجموعة «موجات قصيرة».

(***) اجتمع أعضاء العصبة الأندلسية في بيت رئيسها الشاعر شفيق معلوف وحرمه البريعة روز لأول مرة بعد تعطيل الجمعيات لدواعي الحرب العالمية الثانية فارتجل

٥٤١ - نبيٌّ(*)

[من الطويل]

نـبيٌّ ولـو ضجّت شيـوخٌ ورُهبـانُ ... وهـل بعـد إعجـازِ ابن كِنـدةَ بـرهـانُ
وكـل كـلام يـرفـعُ النفس مُـنـزلٌ ... وكـلُّ مقـالٍ يُفسـد العقـلَ بهتـانُ
ولا فَـرْقَ في الآيـاتِ إلاَّ بـأنّها ... لـدى العقـل آدابٌ وذي القلب أديـانُ
إذا افتخَـرَت أمُّ اللغـاتِ عـلى اللُغى ... وأدلـت بـفـرقـان تـعـرَّض ديـوانُ
تـوزّعُـهـا بـين السـميّـينِ خَيـرةٌ ... فـيجـمعـهـا عنـد النبيـين إيمـانُ
كـلا أحمـدَيـهـا جـاءَ فيهـا بمعجـزٍ ... فـللشرع قـرآنٌ ولـلشـعـرِ قـرآنُ

* * *

لتسجـدْ ملوكُ الشعـرِ من كـل أمـةٍ ... إذا رفعَت بنـدَ الفصـاحـةِ عـدنـانُ
فـما بـلغـوا تـلك السـماء ولا دَنَـوْا ... ولـو طلعوا فيهـا شموسـاً لما بـانُـوا(١)

* * *

تحيِّـك يـا نسرَ القـريضِ بـلابـلٌ ... يعيبُ عليهـا الشـدوَ بـومٌ وغـربـانُ
إذا أنت أرقصـتَ النـجـومَ تـرنَّحت ... أزاهـيرُ مـن تـغـريـدهـن وأفـنـانُ
فيـا لـك مـن نسرٍ لـهُ زأر ضيـغـم ... زمـازمـهُ في مِسمـعِ الـدهـر ألحـانُ
تخـطّى سـماءَ العبقـريـين وانجلت ... لـه خـلف أكـوان الأنـاسيِّ أكـوانُ

* * *

لـك الله تطوي شـاسعَ البيـد عـاقـداً ... على الزَّنجِ ما عيّت به البيضُ «حَمْدانُ»
تــراءَى لـك الآمـالُ نُضـراً دوانيـاً ... ففي الصـدر بُركـان وفي العـين بُستـانُ
إذا غـاض مـاءُ الجَـدِّ فـالـزَّرع مجـدبٌ ... ولـو علّهُ نيـلٌ وغـذَّتـهُ أطيـانُ(٢)

(*) ألقاها سنة ١٩٣٥ في المهرجان التذكاري الذي أحيته العصبة الأندلسية في «صنبول»، لمرور ألف سنة على وفاة «المتنبي».

(١) أي هبْ أنهم بلغوها، فانهم لفرط سموها يختفون فيها عن الأبصار ولو كانُوا شموساً.

(٢) الجد: الحظ.

ولــولا رجـاءُ الفــوز لم يَنْبُ مضجـع بحُــرٍّ ولم يــطمــحْ إلى المجــد فتيــانُ
ومـن رام أمــراً خُطَّ في الغـيـب غـيره تعجب من عِـصيـانــه وهــو إذعــانُ
وكـم رغب الانـســانُ في مــا يـضــرُّهُ ونــاح عـلى فِقــدانــه وهــو وِجــدانُ
ولـو هـانت الـدنيـا عـلى كـل طـالِب لمــا شــاقـنــا ربــح ولا شــقَّ خُسرانُ
ولــو حُـزر المـمنــوع، قبـل امتنــاعـه على الجهد، لم يستوجب العذلَ كسلانُ
ولــو أعلنَ التــدبــيرَ من وزَّعَ اللُّهـى عـلى الناس لم يعتبْ عـلى الحظ إنسـانُ
وفي المـلأ الأعــلى غَـنــاءٌ لـشــاعــرٍ وفي الــوهم عن مُــرِّ الحقــائق سُلوانُ

* * *

رعى اللهُ نجـــماً أسعـدَ الشعــرَ نحسُـهُ فــذمُّكَـهُ من دولــة الشعــر شكــرانُ
رمى بـك في الصحراء عن مصرَ نـابيـاً وفي النفس عـدَّ الـرمـل همٌّ وأشجـانُ
تـلَفّـتَّ إيجـاســاً ومُـهــرُك مـنـصـتٌ ورُمحُـكَ مُشتـافٌ وعَضبُــكَ يقـظانُ[3]
وقُــدَّت قميصُ الـفجــر إلاَّ غِــلالــةً كـما شفَّ عن معنــاك للعُمــه تبيــانُ
وفــاضت شـآبيبُ اللجــين وفُجِّــرَت جــداولُ من مـاس الشُعــاع وغـدرانُ
وعبَّ عُبــاب النور في كــل ســاحــل مــن الأفق حـتى لا ضفــاف وشــطآنُ
فــولّت سراعــاً خيفــة النوء واختفت أســاطيــلُ نجـم مــا عليـهنَّ رُبَّــانُ
وعــامت عــلى المــدِّ الغـيــوم كـأنها جــزائـر في بحــر الضيــاء وخِلجــانُ
روائــع تُــنسي عــاثــرَ الجَــدِّ هــمَّــهُ وأطيب ذكــرى للمنــاكيــد نِسيــانُ
نـفــذت إلى مــا خـلفـهـنَّ بـنــاظــرٍ لانســانــه خلفَ المحــاجــرِ إنســانُ
رأيــتَ بــه مــا لا يــرى كــل مـبصر كــأنَّ جميــعَ النــاسِ إلاَّك عـميــانُ
كـأنّـك في فُلكٍ عــلى الفجـر سـابـح وفيضُ شُعــاعِ الوحيِ حـولك طـوفانُ
أهَـبتَ بــربّــات الـفـنــون فـرتّـلَت مــزاهــرُ في أحـضــانهنَّ وعــيــدانُ
وفــاضت مـع الألحــان من كـل ربــة مـعــانٍ من الـسحــر الحــلال وأوزانُ
همَــتْ فـتــلقّــاهــا يــراعُ مـثـقّـفٌ خـبــيرٌ بـتصريــف الأمــاليِّ فـنّــانُ
تُــراضُ بــه شُـمسُ الـقــوافي كـأنــه شكــائمُ في أخــطامـهنَّ وأرسـانُ[4]

---

(٣) أوجس فلانٌ إيجاساً: وقع في نفسه الخوف. مشتاف: متطاول والعضب: صفة للسيف الحاد.
(٤) شكائم جمع شكيمة: وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام.
وأخطام جمع خطْم وهو مقدم الأنف. وأرسان جمع رسن وهو ما كان من الأزمة على الأنف.

ونـــزَّلـتهـا لـلنـاس آيـاتِ حكـمـة   جـواهُـرهـا في مفرِق الشعـر تيجـانُ

* * *

ألا أيُّ يَـنـبـوع سـقـاك مَـعـينُـه   فـاني إلى تـلك المنـاهـلِ ظـمـآنُ
أصـاب «ابنُ أوسٍ» منه حسـوةَ طائرٍ   وبلّت لسـانَ «البحتـريِّ» بـه الجـانُ
وأنـت مـقـيـمٌ كـارعٌ مـن دِنـانـه   يشعشعهـا بـالكـوثـرِ العـذبِ رضـوانُ
تعـاطيك أكـوابَ الخلود مـلائـك   إذا لـقّـن الأشـعـارَ غـيرَك شـيـطانُ
وتسعى إليـك الجنُّ تسـأل حـكمـةً   فيـزجـرهـا زجـرَ الغيـورِ سُليمـانُ
يمـنُّ عـليـنـا الـدَّهـرُ فيـك وإنـهُ   عـلى نفسِه لـو يعلمُ الـدهـرُ منّـانُ
بـك اشتهـرَ العصرُ الـذي أنت فخره   وأنت لـه التـاريـخُ والمجـدُ والشـانُ
عيـالٌ عـلى ذكـراك ذكـرى ملوكـه   وأسـماؤهم فيـه على اسمِـك ضيفـانُ
خـلدت فخـلّدتَ الـزَّمـانَ وهـكـذا   تمـوت وتحـيـا بـالـنـوابـغ أزمـانُ

* * *

أبـا الطيّب استعصَت عـلى الـطب علةٌ   ويُخشى لهـا في مهجـةِ الشعـر إزمـانُ
فـأزرى بقـدرِ العبقـريِّ شـوَيـعـرٌ   وبـاءَ بـألـقـابِ الخـنـاذيـذ وزّانُ
أكنتَ طـرحتَ البـوقَ في الحي جـانبـاً   وقـد نـامَ آسـادٌ وروَّعَ غـزلانُ
أحـقـاً أهـاتـيـف الحـماسـةِ خفـةٌ   وأبـطالهـا الغـرُّ الميـامـين صبيـانُ
ألا أفتِنـا فـالنقـدُ ضـاعت أصـولـهُ   وشـوَّه وجـهَ الـرأي حـبٌ وعـدوانُ

* * *

بُـنيَّ ذَرِ التـاريـخَ يُنصفْ رجـالَـهُ   ففي كفـهِ الميـزانُ إن ضـاع ميـزانُ
أجَـدنـا فجُنَّ الحـاسـدون وليتنـا   أسـأنا ففي بعض الإسـاءَة إحسـانُ
أغـاروا عـلى ألـفـاظنـا بمـراقـم   يقـرُّ لها بـالـطعن بيضٌ ومُـرَّانُ(٥)
لَهَـوْا بـانتقـادِ الثـوبِ عـما يضمُّـه   وتُنتخَبُ الحسنـاءُ والجسمُ عـريـانُ

---

(٥) مراقم جمع مِرْقم وهو القلم. البيض: السيوف، والمُرّانُ: الرماح الصلبة.

وداوَوْا بتذمامِ الغبار عيونهم إذا برَّزت في حلبة الشعر فرسانْ.
فإن تلقَ منهم ما لقينا فإنما هم الناس يا ابني لم يزالوا كما كانوا
بشاعرِها فلتفتخرْ كل أمةٍ يهددها بالموت والعار طغيانْ
إذا طويَت أعلامُها فهو بيرقٌ وإن أُخمدت أنفاسها فهو بركانُ
يهزُّ رفاتَ الغابرين صراخهُ فتنشقُّ أرماسٌ وتنحلُّ أكفانُ
وتُبعَثُ أبطالٌ وتُنضى صوارمٌ وتُنشرُ أعلامٌ وتنصفُ أوطانُ
وقفتم على أطلالِ مجدٍ مضيّع فحظكمُ منهُ شقاءٌ وحِرمانُ
وماذا يرجِّي الشاعرُ الحر بينكم وما حوله إلا إماءٌ وعُبْدانُ
تصرّمَ عهدُ العزِّ والبأسِ والندى وبدَّل من أخلاق يعرُبَ طورانُ
فحالت سيوفُ الدولة البيضُ أعظماً ويا ليتهم فيكم «كوافير» سودانُ

* * *

أبا الشعر هذا محفلٌ من محافل تهز بها الدنيا بذكرك قحطانُ
صحا الدَّهرُ فاستسقاك كأساً جديدةً طوى ألف عام قبلها وهو سكرانُ
ألا نهلةٌ أخرى؟ أما من ثُمالةٍ يهشُّ لها صادٍ ونادٍ وندمانُ
خلا العرشُ بعد ابنِ الحسينِ على المدى وعُطِّلَ من كسرى البلاغةِ إيوانُ
تمرُّ البرايا موكباً إثر موكب يُفلُّ فحول الشعر والشعر سهرانُ
يفتش فيها عن خليفةِ أحمدٍ فتمضي الليالي وهو حيرانُ يأسانُ

* * *

٥٤٢ - تُعَيِّرُني

[من الطويل]

تُعيِّرني ما صادَفتني بشَيْبَتي ويغمزُها من عدوةِ السوقِ شبّانُ
كَعابٌ لها وجهُ الملاكِ فإن حَكت ففي شفتَيْها للتهكّمِ شيطانُ
فَخَضَّبْتُ فَوْدي ذات يوم وجئتُها كأني عريسٌ أخضرُ العود ريّانُ[١]

(١) الفوْدُ: جانب الرأس مما يلي الأذن. وللمرء فوْدان.

وقلت لها ماذا تَرَيْنَ فجاوبَت ... وقلبيَ مما زيّن الفأل جذلانُ
نفيتَ بصبغ الشَّعرِ أنك شائبٌ ... وأثبتَّ يا مغرورُ أنكَ خَرفانُ . .

* * *

٥٤٣ - عشبة ظلي رصيف(*)

[من الطويل]

هجرتُ لَعمرُ الفنِّ «صنبولَ» وَحشَةً ... من الأنس لولا إخوتي «عُصبةُ» الجنِّ
عباقرُ تبني كل صرح ممرَّدٍ ... على الريحِ فاعجبْ كيف يخلدُ ما تبني
شفيق وفرحاتٌ ونصرٌ وقيصرٌ ... وحسبك عِقد من فرائده «حُسني»
وكان براني الجوعُ لولا نواجمٌ ... من العشبِ أرعاهُنَّ بالعينِ والأذنِ
جلبنَ سلامَ الحقلِ لي في مدينةٍ ... بها الطَّيرُ مفقودُ السلامةِ والأمنِ
أطيلُ قعودي بينهن مناجياً ... كرومَ الوطا(١) مغناي - برباريّ - عدني
إذا ما ثنَت أعناقَهن نُسَيمةٌ ... تهامسن واستعبرنَ حزناً على حزني
ونكّسْنَ لي عند التّأملِ أرؤُساً ... تكللنَ بالدرِّ الذي ارفض من جفني
تَمَنَّيْنَ لو يملكنَ ما أرضعَ الثرى ... وأودعَ نورُ الشمس في النّبْتِ من حسنِ
ويؤتَين أن يصنعنَ في الحيِ آيةً ... ويُصلِحنَ ما قد أفسد الدهر من شأني
لظلَّلْنَ بالصفصافِ والأرزِ خيمتي ... وجَلْبَبْنَها بالوردِ من نَفَسِ المُدنِ
ومثّلن لي «أبْنِينُساً»(٢) مثلَ قريتي ... كما ارتَسَمَت في العينِ والقلب والذهنِ
وفحّمنَ من شَعري ولهّبنَ من دَمي ... ونضّرن من عُودي ونقّصنَ من سنّي
وأورفنَ في صحراءِ عيشيَ جنةً ... أقلّبُ فيها من ذِراع إلى حضنِ
فأنسينَني ما ذقتُ من جَوْر غربتي ... وعوَّضْنني من كل ما سلَبتْ منّي
فيا لأعْشابٍ نزَلْنَ بساحتي ... فأنزلن لي مَنَّ السماءِ بلا مَنِّ

(*) نظمها في مدينة «كلدس» سنة ١٩٤٦ واصفاً عشيبات ناميات على الرصيف أمام بيته في «صنبول».

(١) كان كلما عاد من المدينة يقف عندها مسلماً عليها منحنياً فوقها مداعباً لها. وهو يتصور أنها لطول عشرته أمست تبادله عطفاً بعطف، وتود لو تملك مكافأته بأن تتحول إلى كروم وحدائق تظلل بيته، وأن ترد له شبابه، وتعوضه عن كل ما سلبته الغربة من سعادته في ربوع لبنان الجميلة.

(٢) اسم الشارع الذي يسكنه في «صنبول».

سـواقطُ حَبٍّ عند كـوخي تصدقت ... بهن منـاقـيرُ الـطيـور عـلى فـنّي
نـبتـنَ عـلى بـابي فـقـالـت لُمَيّـةٌ ... مـداعِبـةً تهنيـك مـزرعـةُ البُنّ!!
فقلت لهـا سبحـانَ ربي الـذي بَـرى ... هَـزارَك للتغـريـدِ والنمـل للخـزْن
بلغتُ من الـرزقِ الحـلالِ كفـايـتي ... فيـا أرضُ جودي بـالملايـين أو ضنّي
وربَّ قليـل في فمِ الـشكـرِ مـشبـع ... ورب كـثـير في يـد الكـفـر لا يغـني
وإني لـيـدعـوني الـغنى فـأجيبـه ... ويغمِـزُني النجمُ البعيـدُ فـأستغـني
وقـد يـتمـنّى سـاكنُ الخُلدِ لـو جنى ... من الخُلدِ ما من عشبة في الثرى أجني(٣)

* * *

٥٤٤ ـ الغيرة

[من الطويل]

بعينيـكِ آيـاتُ الكـآبـةِ والحـزنِ ... أمِن صَاحبي هذا الـذي بـكِ أم منّي؟
تـقـولـين مَـنْ تـعـني؟ وواللهِ إنمـا ... لكي تستعيدي ذكـرَه قلتِ مَنْ تعني!!
إذا حـدَّثـوا عنـه تـولّتـكِ سكـرةٌ ... كحـواءَ عـادت بـالخيالِ إلى عَـدْنِ
وأغمضتِ للتـذكـارِ عينيـكِ لـذةً ... وأصغيتِ إصغـاءَ الضريـر إلى لحنِ
وأيَّ دليـل تقتضـينَ عـلى الهـوى ... ومـاذا تـبقّـى لي إذا حـدَّثـوا عنّي
فـلا تـسـأليـني مـا رأيـت، فـان لي ... من القلب مـا يغني عن العـين والأذنِ
ولا تـقـنـعيـني بـالـدمـوع فـانها ... بَقِيّـةُ مـا روَّى جفـونَـكِ من جـفني
ولا تحلفي لي بـالـذي كـان بيننـا ... عـشيـةَ من سـطحٍ نفِـرُّ إلى غـصنِ
وأنـت لـعـودي ضَـرَّةٌ تـسبـقـينـهُ ... إلى الغَلّ في صدري، إلى النوم في حضني
لئن طـار حسُّـونُ الهـوى من جـوانحي ... فـمسـرَحُـهُ روحي وأيكَـتُـهُ ذِهـني
فـلا تُـذكـريني! إنني لست نـاسيـاً ... ومـا كـان ذكـرُ الحب عن فقده يغني
لُـمَيّـةُ، مـا في حُـبِّ مـثـليَ راحـةٌ ... ويغـدو كثيرَ الـظنِ من كـان في سني
تجـاوزتُ عن جهـل الصِبـا وغُـروره ... وفي العقـل ما يغني الـرشيدَ عن الحسنِ

(٣) يعني من الخواطر الشعرية والصور الفنية التي تفوق لذتها الروحية عنده لذة فاكهة الجنة

ولي خمرةٌ غير التي تعهدينها إلى أدبي منسوبةٌ وإلى فنّي
سقيتُ البرايا نهلةً من سُلافها وما فُضَّ يوماً عن معتّقها دَنّي

٥٤٥ - رثاء فرحات

[من الطويل]

على قدرِ سنّي لا شعوريَ خذ مني قضى مَعَك الشعر المعبّر عن حزني
تضاعف بعد الفرقة الحب بيننا وفي القرب ما يُنئِي وفي البعد ما يُدني
حماقات أطفالٍ صغارٍ نسيتُها ولم ينطبعْ غير الصداقة في ذهني
لنا في ميادين الجهاد ملاحِمٌ سينقلها التاريخ قرناً إلى قرنِ
وأقوى حبالِ الودّ حبل عروبةٍ ربطنا به بين العقيدةِ والفنِّ
تحيتك المعطار بالأمس كم بكى لها فرحاً قلبي وكم ضحكَت سِنّي
رواها الأخ «الكعديُّ» لي عنك فانتشى ومالَ كلانا عن معتّقةِ الدنِّ[1]
هنيئاً لك الأمنان حيّاً وميّتاً فمن «وطن الإشعاع» قد عشتَ في أمنِ!!

٥٤٦ - اذا أحجم[*]

[من الطويل]

إذا أحجمَ الانسانُ عن غايةٍ له تردَّدَ ما بين الشجاعة والجُبْنِ
فإن كان حُرًّا زاده الضعف قوةً وإن كان نذلاً زاد وهناً على وهْنِ
وللناس أغراض على قدر أهلها وأعظمها ما ليس يدرك بالأمنِ

(١) يعني صديق الشاعرين الأستاذ كعدي الكعدي
(*) أبيات مستخرجة من مخطوطاته. نظمها منذ ٤٥ سنة

٥٤٧ ـ على شاطىء «سنطس»(*)

[من الطويل]

جمالك يا ميناءَ «سنطسَ» أشجاني وحرَّك بالذكرى سواكن أشجاني
أتيتُك أبغي فيكَ تفريجَ كُربتي فعدتُ وقد أربَت على الرمل أحزاني
فما أبصرَت عيناي فيكَ سفينةً على سفرٍ إلاَّ تذكرتُ أوطاني
يراود عينيَّ الكرى فأردُّهُ بأمواجِ دمعي خلف ساحل أجفاني
الى جو لبنان البديع وأرضه يحنُّ فؤادي لا الى أهل لبنانِ
وما أنا من يجفو الحبيب وإنما من الحبِّ ما يأتيكَ في شكل عُدوانِ
عتابُ أبيٍّ لا يطيق مذَلَّةً لأهلٍ ولا يرضى هواناً لاخوانِ

٥٤٨ ـ ألا رزقَ

[من الطويل]

ألاَ رزقَ إلاَّ أن أروَّعَ بالبَيْنِ وألاَّ أرى الأحبابَ في الشهرِ يومَيْنِ
بأيِّ لسان أقنعُ التَّجرَ بعدكم وكيف أزورُ الناسَ والدمعُ في عَيْني
رعى الله يوماً فيه أنفقُ سلعتي وأخْلُصُ من دَيْنِ التِجارِ ومن دَيْني
لأنفضَ منكِ القلبَ يا شهوةَ الغنى ويا حرفةَ التدليس والمنِّ والَمْيْنِ

٥٤٩ ـ لمياء هاتي العود

[من الكامل]

لمياءُ هاتي العود نبكِ صبانا راحَ الخريفُ بوردِنا ونَدانا
لا، لا أنا وحدي الذي ثكل الصبا حاشا لحسنكِ أن أقول: كلانا
لَكَمِ التمستُ البرءَ من داء الهوى بالبعدِ عنكِ فزِدْتَه إزمانا
أتكلفُ السُّلوان فيكِ تكلُّفاً يُدني العذاب ويُبعدُ السلوانا

(*) «سنطس» ـ إبان الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان

صوني دموعكِ يا لَمِيَّةُ واحسَبي هذا الشقيَّ وحبَّهُ ما كانا
لا تحلِفي الأيمانَ بعدُ فلِمّتي ولئن صدقتِ، تكذِّب الأيمانا
صدَّقتُ دعوى الحبِّ لما كان لي في الحب ما يغريك، أما الآنا؟!

* * *

لكِ في سويداءِ الفؤادِ رفيقة كانت وما برحَت أعزَّ مكانا
لا أبدِلَنَّ بحبها فتانةً ولو استعدتُ شبابيَ الفتانا
أحببتِها مثلي فزدتِ أمانةً عندي وزدتُ بفوزها إيمانا
أمي وأمكِ في القيود رهينة من ذا يفكُّ إسارَها إلأَنا
فضعي يمينَك في يميني ولندَعْ ذاكَ التخنّثَ في الهوى لسوانا
نحنُ الأُلَى شُغَل الغرامِ تذيبنا وتذوبُ ساعةَ ذكرِنا الأوطانا
أما السلامُ فإننا أعداؤهُ حتى يدينَ بحبهِ أقوانا
لم يعترفْ حرٌّ بإنسانية إلا إذا اعترفَتْ به إنسانا

٥٥٠ - هَلْ في جِرابِكَ(*)

[من الكامل]

أنطونُ أَوْحِ إلى أخيك فانه عاف القريضَ وطلّق الأوزانا
هل في «جرابك» حبّةٌ لمغرِّدٍ القَحطُ أخفَتَ صوتَه الرنّانا
ظمأي وجوعي للشبابِ وللهوى سلْ عن أخيكَ وعنهما لبنانا
أطعمْ جياع الروحِ ذَوبَ حُشاشتي أدباً وأطعمني الرغيفَ زُوانا
ما حيلتي بقريحةٍ نزّازة كانت تفيض بلاغةً وبيانا
فَلَوَ انَّ شعري والشعورَ تكافآ لنظمتُ فيك تهانئي ديوانا
وكفاك أنك ذلك الحرُّ الذي أرضى العلى والله والأوطانا
فاهنأ بعرسكَ ولتدم أفراحُهُ حتى كأنَّ الدهرَ منهُ الآنا

(*) هنأ بها صديقه أنطوان جراب بعرسه في ٤ - ٩ - ١٩٣٧

٥٥١ - يا حاسدي(*)

[من الكامل]

يا حاسدي والله يُحزنني أني جلبتُ لِقلبك الحزنا
مالي وحبِّك يا أخيَّ يدٌ في ما يُذيبُك حسرةً وعَنا
أعطاني المعطِي بلا ثمن فأبيت إلاَّ دَفْعَكَ الثَّمَنا

٥٥٢ - في رثاء الأديب محمد علي الحوماني

[من الكامل]

الشعر يشكو بعد بيْنِك بَيْنَهُ يا عينَ عِزِّ الشعرِ أنت وزَيْنَهُ
لو كان يُحيي كلَّ عام حفلةً لك لن يوفِّيكَ ابنُ أُمِّك دَيْنَهُ
«سلواك» غادرها السُّلُوُّ ولم تعد تدري مكان الصبر بعدك أيْنَ هُو[1]
والطير نائحة على الغَردِ الذي نُعِيَ البيانُ الفذ يوم نَعَيْنَهُ
والضاد والهة تشيِّع ساحراً من جنِّ عبقرَ في الضريح طَوَيْنَهُ
ولكم أخٍ متعصِّب من كرهه عين العروبة كاد يفقأ عَيْنَهُ
ومغلِّظٍ لك بالرسول يمينه وصداقة الكفار تفضح مَيْنَهُ
باع الاخوَّة للغريب بدرهم المومساتُ من الحيا يَأبَيْنَهُ
من كانت الأرقامُ خمرةَ وَحْيِهِ شتانَ بينك في الجهاد وبَيْنَهُ
يا شاعراً غنَّى فأطرب ربّه ونبيّهُ وعليّهُ وَحُسَيْنَهُ

٥٥٣ - لَطِّف(**)

[من الكامل]

لَطِّف حديثك فالنفوسُ مريضةٌ ومن الكلام مُحَنِّنٌ ومُجَنِّنُ

(*) القطعة رقم ١٨ من مجموعة «موجات قصيرة».

(١) كريمة الأديب سلوى الحوماني

(**) القطعة رقم ٥٩ من مجموعة «موجات قصيرة»

كم هادىءٍ بالعنفِ ثارَ وآبدٍ ... كالوحش روّضه الدّعاءُ اللَّيِّنُ
وإذا ابتُليتَ بجاهلٍ كن عاقلاً ... حتّى يقول العقل ويحك تجبُنُ!
لا ريب في أنّ الحياة ثمينةٌ ... لكنّ نفسك من حياتك أثمنُ

٥٥٤ ـ رياح البغي

[من الكامل]

هزَّت رياحُ البغي شُمَّ جبالِكم ... ونفوسُكُم وهي الهَباءُ سواكنُ
سقَط الحَميُّ معفّراً دون الحمى ... وابتاعَ بالعِرض الأمانَ الخائنُ

٥٥٥ ـ لبنى(*)

[من الكامل]

رقصَتْ ليومِ عمادكِ الأجرانُ ... وتعطّشت لعناقك الغُدرانُ
غمروك بالماء المقدَّسِ فالندى ... والوردُ من حسدٍ لظئٍ ودخانُ
إن كنتُ أكفرُ بالطقوسِ وأهلها ... فأنا لأجلك طابَ لي الايمانُ
أوليتُ من أبوَيكِ حظَّ كَفالةٍ ... أبويّةٍ لم يُولَها الاخوانُ
أأنالُ هذا الفخر ثم تعوقُني ... هذي المذاهبُ عنهُ والأديانُ
لُبنى وهذا الحسنُ يشهدُ أنّهُ ... حسنٌ أبوهُ وأُمُّهُ لبنانُ
ماذا يضيرُ الدهر لو نوَّرتِ في ... بلدٍ تخرُّ لحسنهِ البلدانُ
فسرحت في سفحِ (الكفور) غزالةً ... تعنو لسحر لحاظها الغزلانُ
والله شقَّ عليَّ أن ينمَى إلى ... غيرِ الشآمِ جمالُكِ الفتّانُ
في ذمّةِ الرحمان عهدُ الملتقى ... صلي لنا يسمعْ لكِ الرحمانُ
لو كنتُ مطراناً لثمتُ تبرُّكاً ... يمناكِ فليتبرَّكِ المطرانُ

(*) في حفلة عماد «لبنى» ابنة صديقه الكتاب المفكر جورج أنطون كفوري وقد دعي ليكون عرابها.

٥٥٦ - أرهبْ(*)

[من الكامل]

أرْهِبْ عدوّك بالرباط تُعِدُّهُ والخيلُ رُخٌّ جاثمٌ وسنونو(١)
لو لم يكن حَقُّ الدّفاع مُقَدَّساً ما كان للحَمَلِ الوديعِ قرونُ

٥٥٧ - كل البلاد(**)

[من الكامل]

كُلُّ البلاد لكلِّ نفسٍ حُرَّةٍ وطنٌ ولكنْ للقلوبِ حنينُها
لم تُكسبِ الوُجُرَ الثعالبُ هيبةً والأُسْدُ حيث تكون كان عرينُها(١)

٥٥٨ - لا ترجُوَنّ(***)

[من الكامل]

لا ترجُوَنَّ من الطبيعة رحمةً إنّ الطبيعة دينُها قانونُها
سقط الرضيعُ فما وَقَتْهُ سماؤها تلفا ولا ذرفت عليه عيونُها

* * *

(*) القطعة رقم ٥٤ من مجموعة «موجات قصيرة».
(١) أي أنواع من الطائرات الكبيرة والصغيرة.
(**) القطعة رقم ٨٠ من مجموعة «موجات قصيرة».
(١) الوُجُر: جمع وجار وهو جُحر الثعلب.
(***) القطعة رقم ٨٥ من مجموعة «موجات قصيرة».

٥٥٩ - الناخلة(*)

[من الكامل]

مـن كـل قـاص في الـبـلاد ودانِ يـتراسـلُ النجـوى بـنـو عـدنـانِ
ويُـذَيِّـعـون تحـيـةً لـولا الأسى غـمَـرَتْ بقـاعَ الأرض بـالـريحـانِ
يـا جنُّ عبقـر بـالجِـداد تـلفَّـعي يـومَ انـتـحـار حـضـارةِ الإنـسـانِ
عـادت زبـانيـةُ الفَرنـج فـأضـرمَت شـعـواءَ ضـجَّ لهـولِهـا الثَّـقَـلانِ
وتمـدُّنُ الـعـقـل المـجـردُ نـكـبـةٌ إن لم يَـسُـدْهُ تمَـدُّنٌ روحـاني

(*) ترامت اليه البشرى سنة ١٩٣٤ أن صديقه أنطون سعادة ابن صديقه وسلفه في رئاسة تحرير «الرابطة الوطنية السورية» المرحوم الدكتور خليل سعادة، قد أنشأ في لبنان حزباً استقلالياً، وان السلطة الافرنسية المحتلة سجنته واضطهدته. فعقد افتتاحية صادقة اللهجة يعلي فيها شأنه ويدعو له بالفرج والنصر. وغادر الزعيم الساحة بعد الافراج عنه مطوفاً في الأقطار الأميركية، يشيد بشعر القروي حتى بلغ «صبول»، وفي خلده أنه لا يلبث أن ينضم إلى الحزب، أو يكون له بوقاً مدوياً ينشر دعوته في المهاجر كلها. وخف القروي إلى استقباله مستبشراً بأن لبنانه الحبيب أنجب بطلاً يتعاون معه بكل ما أوتي من شاعرية وحماسة لتحرير الأقطار العربية من ربقة الاستعمار. بيد أنه لم يكد يصغي إلى حديثه في القوم حتى صدمه الشك في اخلاصه للعقيدة التي التف حولها أحرار الأمة العربية، واستشهدوا في سبيلها من كل قطر؛ فخرج واجماً حائراً وأدرك الزعيم ايجاسه فزاره في منزله بشارع ابنيوس رقم ٢٠١ ، وشرعا في المناقشة بحضور الأنسة الأديبة فكتوريا صفدي من التاسعة صباحاً حتى الثالثة من فجر اليوم التالي، ثماني عشرة ساعة متواليات، لم يكفا خلالها عن الكلام الا ريثما يلوكان الطعام، وكان كلما زاد الزعيم غوصاً في الجدل، طفا على برهانه زبد مما أضمر. فزاد الشاعر تيقناً مما أوجس، حتى أبرم عليه، وأزعجه عن مجلسه فمضى متوغراً، وخلا بأصحاب سره مراراً يتشاورون فيه ويأتمرون به، كما روى أحدهم بعد خروجه من الحزب. ولم يلبثوا أن أنشأوا في «صنبول» جريدة «سوريا الجديدة» وفي بوينس ايرس جريدة «الزوبعة» قاعدتين تولوا منهما قصف أدبه قصفاً لا هوادة فيه ولا سأم شهوراً عديدة، وهو لا يشعر بسوى الخيبة في صديق نابغة يضيع ذكاءه ويفني طاقته في محاربته كأنه دولة استعمارية. حتى عصفت يوماً «بسوريا الجديدة» أزمة مالية فاحتالوا لاصدارها ثانية باعلانات جمعوها من تجار جلهم احتلالي استعماري لا يجمعه بالحزب إلا عداء كليهما للعروبة وفي قصيدته «الناخلة» هذه اشارة إلى تلك الشؤون وسواها مما يشرح في مواضعه وقد ألقاها في «بيونس ايرس» سنة ١٩٤١ ابان الحرب العالمية الثانية. فلما نزل عن المنبر هرع اليه رهط من اخوانه ورافقوه إلى السيارة في شبه حلقة محكمة القفل فلما سألهم في ذلك، أجابوا ان قد رابهم تسلل نفر من أتباع الزعيم - وكان يومئذ في بوينس ايرس - إلى المحفل يرهفون السمع متربصين مؤتمرين.

عطِشوا إلى خمر الجحيمِ فشعشعوا مُسطارَها بدم الشباب القاني[1]
متناحرين على ينابيعِ الغنى في صدر «أمّ دُفيرة» الريّان
غدرانِ بترولٍ على آبارها تتفجرُ المهجاتُ كالغدران
فحموا حمى زلزالها فتنفّست حُمماً كصدر الشرق في الغليانِ
نفضت جوانحُها لهم بعضَ الذي تطوي جوانحهم من الأضغان
حقدُ الثرى جبلٌ يثور وحقدُهم فتَنٌ تحوْنَ معالم العمرانِ[2]
حربٌ كما ينهدُّ سَدُّ جهنم أو كانفراط عناصر الأكوانِ
مزجَت حلاوةَ وصلنا بمرارة لم يغن عنها سكّر «التكمانِ»[3]
فمن العِراق إلى الشآم شكايةٌ ومن الشآم إلى ربى لبنانِ
جَبلي الذي عِزُّ العروبة عِزُّهُ رغمَ التفرنج من عَقوقٍ جانِ
أيحول عن حبِّ العروبة من حمى أم اللغات حماية القرآنِ
أيخون عهدَ العربِ لبنانٌ ومن شُعَرائه «فرحاتُ» و«الرَّيحاني»
وسواهما من كلِّ رَبِّ يراعة خلابةٍ قُزَحِيّةِ الألوانِ
أنا لست إلا واحداً من معشر حرٍّ يمتُّ به إلى غسّانِ
زانوا المنابرَ كالطروس وأرقصوا أعوادَهنَّ بأطرب الألحانِ
فاحرصْ على تعبِ الجدود ولا تعِثْ يا وارثَ «البستان» في البستانِ[4]
إني أُعيذُك أن تكونَ مهدِّماً وأبو «المحيط» أبوك أولُ بانِ
لبنانُ أكبرُ أن يُعابَ بزمرة نشأت على التضليل والبهتانِ

---

(١) المسطار: الخمر الصارعة لشاربها.

(٢) شبه النفط في صدر الأرض بالحقد الذي يغلي في صدور المتحاربين لأجله. وانه دونه فاعلية فقصاراه أن يثير بركاناً محدود الضرر بينما حقدهم يثير حروباً تدمر الأرض.

(٣) التكمان Tucuman، بلدة أرجنتينية مشهورة بمعامل السكر وقد أنشد هذه القصيدة في أحد أنديتها.

(٤) أسرة البستاني من أعرق الأسر اللبنانية التي اشتهرت بنوابغها أساطين نهضتنا العلمية الحديثة و«البستان» و«المحيط» معجمان شهيران من تأليف عالمين من علمائها. وهو يلمح بهذين البيتين إلى أديب منهم كان من أكبر الدعاة للحزب في «توكومان»، وأعنفهم حملة على الشاعر، وقد بلغت القصيدة من نفسه ان حولته عن رأيه، فبعث اليه بعد حين ببطاقة مؤثرة يلتمس العذر، ويظهر الندم على ما فرط منه بحقه.

زعـمـوا بـلاء الشرق من أديـانـه ... ومـرادهـم ديـنٌ مـن الأديـانِ . . .
متعصِّبـون ويـدَّعـون تـسـاهـلاً ... دعـوى الـذئـاب وداعـةَ الحُمـلانِ
حتى إذا طَلَعت عليهم حـجـتي ... وانـشـقَّ لـلمـرتـاب فـجـرُ بـيـاني
وتكشَّف النُّـورُ الـذي حَلَمـوا بـه ... عـن قـسـطلٍ مـتـلبِّـدٍ ودخـانِ
فـزعـوا إلى القـوم الـذينَ عهـدْتهم ... لـكـرامـتي فـوجـدتُهـم لهـواني
حِـزبـانِ حـينَ قضى عـلى زَعْمَيهـما ... فصـلُ الخـطاب تحـالفَ الحـزبـانِ
يـسـتـنصرانِ عـلى أديـبٍ شـاعـرٍ ... مـا يـعـبـدانِ من الحـطام الـفـاني
وإذا شهـرت عـلى النعيب عـداوةً ... ألَّـفـت بـين الـبـومِ والـغِـربـانِ
فَضَحـوا سرائـرهـم بـإعـلانـاتهم ... شـكـراً لهم شـكـراً عـلى الإعـلانِ
وتـألَّبَـت قـصَـبـاتُـهـم وسحـوتُـهـم ... لتصُـدَّ هجمـةَ شـاعـر قحـطاني[٥]
فـعـلمـتُ أني لا محـالـةَ هـالـكٌ ... مـذ هـاجَمَـت وَرقـاتِهـمْ نـيراني .

* * *

قـل لليهـود وعـابـدي أصنـامِهـم ... مـن كـل هـضَّـام الحـقـوقِ أنـاني
ولمـن يـتـاجـرُ بـالـعُـلا معـقـودةً ... بـسـلاسـلٍ كـتـمائـمِ الـصـبـيـانِ
مِن طـالـبِ النيشـانِ حتى صـاحـب ... الـنـيشـان حـتى واهـب الـنـيشـانِ
أمـوالكم وضـيـاعكـم وقصـوركـم ... عـنـدي وحـبـةُ خـردل سـيّـانِ
لي كـالـضيـاءِ صـحـائفُ منشـورةٌ ... بـيـضـاءُ يـشـهـد لي بهـا الَملـوانِ
فـاغْـروا بهنَّ الفـاجـرين وحـاولـوا ... تـلويـثـهـنَّ بـعـرضِ كـل جـبـانِ
الـزُهْـرُ تـعـرفـني وأعـرفـهـا فـما ... همّي إذا جـهـلَ الـضـفـادعُ شـاني
والشمسُ يُخفيهـا القتـامُ عن الـثرى ... لا عن عيـونِ «النسر» و«الـدَبَـرَانِ»[٦]
قـالـوا: سكتَّ، فقلت: أيُّ عجيبـة ... في فحشِ فـاجـرة وصمـتِ حَصـانِ
أيُـزيـحُ قـاطـرة الحـديـد مـدلّـلٌ ... عـذبُ الهـريـر يعيشُ في الأحضـانِ!!
وتُخيفُ قـبّعـةُ الحـريـر سـمـيـذعـاً ... صـالـت يـراعتُـه عـلى التيجـانِ[٧]

---

(٥) قصباتهم: جمع قصبة ويقصد به القلم: والسحوت: ما خبث وقبح من المكاسب كالرشوة

(٦) النسر اسم كوكب والدبران من منازل القمر

(٧) يشبه الشعوبيين وعملاء الاستعمار في حملاتهم على أنصار الحرية والحق بالكلاب الصغيرة المدللة =

الحقُّ سُلطاني ولستُ بحاذرٍ ... في الحقِ سلطانٌ سوى سلطاني
هل ينقِمون عليَّ إلا أنني ... لبّيتُ صوت الحقِ حين دعاني
أنا ما عنيتُ الأبرياءَ فما ترى ... ذنبي إذا صاح المُريب عناني
وإذا أشرتُ إلى الخيانةِ في «اللجا» ... فتململَ الخوّانُ في «حوران»
أألامُ في متطفلينَ تعرضوا ... فأصبتُهم غرضاً بكعب سناني
ما طابَ لي واللهِ جَرحُ أعزةٍ ... طابَ النزولُ لهم إلى الميدان
والوردُ يُدمي الكفَّ لا يَعنيهِ إن ... كانَ الصديقَ أم العدوَّ الجاني.
أنا ذلك الإعصارُ نسّاف الذرى ... وأنا النسيمُ مداعبُ الأفنانِ
أطوي سماوات الخيال وأنثني ... عِطرُ الجِنان يفوحُ من أرداني
أدنى الأنام إلى الرضى وأبرُّهم ... عهداً وأبعدُهم عن الكفرانِ
ولقد تُحرّكني أغاريدُ الهوى ... من بلبلٍ فأعفُّ عن ثُعبانِ
كمّت فمي ذكرى الجميل وزحزحَت ... جَبلَ الإساءة ذرّةُ الإحسانِ
فلئن نقدتُ فما فقدتُ مروءَتي ... عند الجدال ولا جهلتُ مكاني
أدبٌ يروعكَ راضياً أو ساخطاً ... ولُغى الهَزار جميعهنَّ أغاني

* * *

لا يُحزِنّنكَ أن وجدتَ من العِدى ... من كنتَ تحسَبهُم من الإخوانِ[٨]
أزِف الدِّراسُ وأيُّ بيدرِ حنطة ... لم يُلفَ مختَلطاً بكيلِ زوانِ.
أعيتكَ تنقيَةُ الدقيقِ فسخّرَت ... ألطافُ ربكَ مُنخلَ الخوّان
عبثاً تحاول أن تردَّ إلى الهدى ... من يهتدون بضِلَّةِ العميانِ
داءُ التعصب في بلادك دونه ... في الغرب داءُ السلِّ والسرطان
تُغري المريضَ بهِ لذاذةُ حِكّة ... بين الضلوع كحِكّة الجربان

= التي تهجم على عجلات القطار وهو في جريه السريع ويعني بقبعة الحرير الأرستوقراطيين الذين يلبسوها في المحافل الرسمية، وهم الذين يستأجرون الأقلام لهذه الحملات والتسيدع السيد الكريم الشريف

(٨) انضم إلى حزبهم واشترك معهم في الحملة عليه نفر ممن كانوا يتظاهرون بإخلاص الود له وبالتفاني في سبيل العروبة

وأشدُّ منه على النفوس وقاحةً لم تُلفَ في إنسٍ ولا في جانِ
إذ عابكَ الشيطانُ أنك خاطئٌ وأذاعَ زيرُ القومِ أنك زانِ
لم يعنِ هذا الشعب أني شاعرٌ حرٌ بحبٍّ بلادهِ متفانِ[9]
بل كل ما يعنيه هل أنا مسلمٌ للهِ أم أنا لم أزل نصراني
من لي بقاضٍ عادلٍ يُفتي بما توحي إليه طهارةُ الوجدانِ
أيٌّ أحبُّ إلى المسيحِ وآلهِ إساءةُ المطرانِ أم إحساني
أيٌّ أحبُّ إلى المسيحِ وآله أخطيئةُ القسيس أم غفراني
ثارا عليَّ وشهّرا وتآمرا فوكلتُ أمرَهما إلى الرحمانِ
شيّعتُ ذا يوم الرحيل وعُدتُ ذا عملاً بقول مسيحه فهجاني
يا من يُسمّيني عدوَّ إلهه وعدُوُّه ذاك الذي سمّاني
أتدافعون عن المسيح بصلبه وتفاخرونَ بكفرِكم إيماني

* * *

من يُنبىءُ الملأ الذين أحبهم فيكافئونَ الحُبَّ بالعُدوانِ
أني على دينِ العروبة واقفٌ قلبي على سُبُحاتِها ولساني
إنجيليَ الحبُّ المقيمُ لأهلها والذودُ عن حُرُماتها فرقاني
أرضيتُ أحمدَ والمسيحَ بثورتي وحماستي، وتسامحي وحناني
يا مسلمون ويا نصارى دينكم دينُ العروبةِ واحدٌ لا اثنانِ
بيروتكم كدمشقِكم ودمشقكم كرياضكم ورياضُكم كعُمانِ
ستجدِّدون المُلكَ من يمنٍ إلى مصرٍ إلى شامٍ إلى بغدانِ
وستكفلون حضارةَ الدنيا كما كفل الجدودُ حضارةَ اليونانِ
فاجروا إلى الغاياتِ جريَ جيادكم أيقصِّر العربيُّ عن حيوانِ
لا تيأسوا إن لم يَطِرْ يعسوبُكم قبلَ اكتمالِ وسائلِ الطَيرانِ[10]

---

(٩) نقم منه بعض اخوانه جهره في مواقف خطابية وشعرية متعددة باعجابه بالإسلام. وأبيات هذا المقطع من القصيدة تغني عن شرح ما وقع مرة إثر أحد هذه المواقف.

(١٠) اليعسوب: أمير النحل وذكرها.

للهِ إذ يـرعـى الـقـطيـعَ مـشيئـةٌ أن يـدفـع الـذؤبـان بـالـذؤبـان
كـبش النبـوءَةِ كبشكـمْ فتـريّثـوا حـتى يـذُرَّ لـرأسـه قـرنـان
لا تـكـفـروا، أفـإما بُـعـثـتـم مـرةً لِم لا يـكـونُ لمـؤمِـن بـعـثـان

* * *

قـل لـلأُلَى عصَبـوا العيونَ مخـافـةً مـن نـور فجـرٍ خـاطـف اللمعـان
إن لم تـروا بـالأمس وثـبـة فيـصـل أفـإما رأيـتـم وثـبـة «الـكـيـلاني»
لا يـطمئـنَّ المـعـتـدون فـطالمـا كَـمَن الـردى في جـفنِ الاطـمئنـانِ
إن كـان قـد سكتَ العـراق فموقفٌ مـتـبـدّلٌ بـتَـبَـدُّلِ الأزمـانِ
ولـسـوف يعـلم كـلُ غِـرٍّ جـاهـل مـاذا تُخـبـىءُ هَـدْأَةُ الـبركـانِ
الـعـربُ شـاخصـةٌ إلى أهـدافـهـا مـرصـوصـةُ العَـزمـاتِ كـالبنيـانِ
ولَـنحـنُ في أقصى المـهـاجـرِ وَحـدةٌ في الـنـائبـاتِ فكـيـف في الأوطـانِ
أقـلامُـنـا كـسيـوفِـنـا وفـقـيرنـا كـغـنـيّـنـا، وبـعـيـدنـا كـالـداني
رَجَـفَـت لـكـل قـصـيـدة رنـانـة مـنـا قـلوبُ جـبـابـر الـرَّنـانِ
ولـوت ثـعـابـينُ الأذى أعـنـاقَـهـا كـالعُشبِ تحتَ قـواطـعِ الـبرهـانِ
لـسـنـا وإن زعـمَ الأذلّـة نـخـلع ـ الـنّـيرَ الـقـديـم لأجـل نـيرٍ ثـانِ
ثـرنـا لبغي الإنكليـز فـإن بغى الـ ـ جـرمـانُ قـل ثـرنـا على الجـرمـانِ
ونـظلُّ نـخلُق كـل يـوم «طـارقـاً» حـتى تـكُـفَّ طـوارقُ الحَـدَثـانِ
عقبى الجهـادِ لـنـا وكـلِ مُشـاغِـب سَـيَـؤوبُ بـل هـو آبَ بـالخـذلانِ
فليحـذر الـطوفـانَ كـلُّ مُـغـامـرٍ لا فُـلكَ بعـد اليـوم من طُـوفـانِ

* * *

٥٦٠ - رمز الخلود(*)

[من الكامل]

لا من ثغور الغيدِ في لبنانِ ... أو من خدودِ الحُور والوِلدانِ
بل من ضلوع المجد، من قلب الهدى ... من مهجة التقوى، من الإيمانِ
قد صاغها الرحمن أكملَ زهرة ... رقصت لها الأرواح في الأبدانِ
لتكون رمزاً للخلودِ وشارةً ... في صدرهِ للحب والتّحنانِ
بَتَلاتُها البيضاءُ عابقة الشذا ... في الخلدِ فوق مفارق الأغصانِ(١)
أمّا الجذورُ ففي قلوبِ عباده ... أهلِ التقى والبرِّ والاحسانِ
الباسطينَ إلى الفقير أكفَّهم ... والذائدين عن الضعيف العاني (٢)
والمصلحين الساكبين عقولهم ... وقلوبَهم في خدمة الانسانِ
فتكفل الأبطالُ في إحيائها ... وغائها لمسرَّة الرحَمنِ
يُروونها بدموعهم ودمائهم ... بطلٌ من الأبطالِ كلَّ زمانِ
واذا الكرام غدوْا قليلاً في الورى ... فالمصلحون نوادر الأزمانِ
فترى الاله يجيلُ في أوراقها ... نظراتِ مفتونٍ بها ولهانِ
طوراً يكون إذا رآها باسماً ... فرحاً وطوراً دامعَ الأجفانِ
فاذا قضى بطلٌ مجيدٌ أو مضى ... حرٌّ شهيدَ محبة الأوطانِ
أو فاض مدمع شاعرٍ أسفاً على ... شعبٍ أسيرِ مذلةٍ وهوانِ
تكسو النضارةُ عودَها فيميسُ في ... أبهى العقود وأبهجِ الألوانِ(٣)
وإذا خلا وجه الثرى من ثائرٍ ... للحق مشتعلٍ بهِ متفانِ
أو من نبيِّ هدىً وشاعر حكمة ... يَشقى ويُضطهَدُ اضطهادَ الجاني

(*) ألقاها على منبر «كوسرفاتوريو» في الحفلة التأبينية التي أحياها النادي الحمصي في صنبول، سنة ١٩٢٥ لفقيد الشرق العلامة سليمان البستاني.

(١) بتلات جمع بتْلة وهي الودبة ويقصد بها هنا أوراقها.

(٢) العاني: الذليل.

(٣) يميس: يميل.

يعرو البتيلاتِ الذبولُ كأنها أهدابُ طرف الغادة الوسنان[٤]
وتظل مطبقة الجفونِ عليلةً حتى يُتاح لها شهيدٌ ثان

* * *

ولربَّ عهدٍ طال فيه ذبولها واشتدَّ خوف الواحد الديّانِ
درست ربوع الحق من أهل الهدى وطمت سيول الظلم والطغيانِ
فلَوَت عروسُ الخلد ناصعَ جِيدِها لتموت بين سواعد الأفنانِ
وتطلّع الرحمن ملتمساً لها بطَلاً يقيها طارق الحدثانِ
واستنجد المتمدنين لأنهم أهل الرقيِّ وسادة العمرانِ
يا قوم أين عجيب مخترعاتكم تدني الحياةَ إلى عروس جِناني
أين البخارُ يبثّ من زفراته روحاً ويبعثها من الأكفانِ
والكهرباء تموج في أعصابها وتعيد ذاك القلب للخفقانِ
أين المدافع والأساطيل التي أجرت دماءَ الخلق كالغدرانِ
أوليس فيما أهرقت من قطرةٍ تروي غليل فؤادها الظمآنِ؟!

* * *

كلاً فما لي عندكم أمنيةٌ أيعيش في وادي الجحيم أماني!
كلا فانَّ لمثلكم مدنيةً لكنها مدنية الشيطانِ
كلاً فبنت الخلد لا تحيا على فضلات أهل البغي والعدوانِ
كلاً فما يُحيي الزُّهور كتربةٍ فيها بذرت محبتي وحناني
فَلأرضِعَنَّ بنيتي من بقعة رضعت قديماً من دم ابني القاني
حيث البخارُ عواطفُ دفّاقةٌ من أكبْدِ الفَتَيات والفتيانِ
والكهرباء كواكبٌ لماعةٌ سطعت من الانجيل والفرقانِ
فلعلّها تُروَى بدمعة شاعرٍ وتُبرِّد الغليانَ بالغليانِ
أو تستقي من ذوب قلبِ مجاهدٍ يُفني الحُشاشةَ وهو شيخٌ فانِ

* * *

(٤) البتيلات: جمع بتلة وهي الشجرة المتدلية ثمارها.
والطرف الوسنان: الفاتر

مـــا زال رب الخــلق في تجــوابــه	في الأرض يعقــد قــاصيــاً بـــالـــداني
حـتى أفــاءَ عــلى الـشــآم بـســاطـه	فـطواهُ في إحـدى قـرى لـبـنــانِ
ورأى هـنـــاكَ فـتىً تـوقّـد ذهـنـه	فسرى تـوقـده إلى الأذهــانِ
خلعَ الـزَّمــانُ عليـه طـولَ أنــاتـه	فـالـدَّهـر في عينيــهِ بضـع ثـواني
خــدم السياســة ملبسـاً أغــراضهـا	تــاجَ الـنـزاهــة أشــرفَ التـيـجــانِ
مــا بـاع من أجــل الـوســام بـلاده	لـلأجـنبـيِّ بــأبـخس الأثـمــانِ[٥]

---

(٥) كان في ذلك العهد في «صنبول»، وحدها، ثلاث جرائد يومية لخدمة الاستعمار، عدا غيرها في «الريو دي جنيرو». وأصحابها أكثرهم شبه أميين، يتسأجرون لمهاجمته من يتسأجرون من المحترفين. فلما أنشد هذه القصيدة ثاروا عليه كالزنابير يوسعونه تلذيعاً، فاضطر إلى نشرها في كراسة أسماها: «صوت الحق»، كان قد أصدر منها عددين آخرين في مثل هذا الظرف، وعلى غلافها هذه المرة البيتان الآتيان:

[من الخفيف]

أيهـا الحـرُّ ان عـشـقـت المـعـالي	لا تَخَـفْ أن تُهـانَ أو أن تُـسـبَّـا
أحـقـرُ المجـدِ أنْ تُـسـبّ فـغـامـرْ	في سـبـيـل الـعـلى لـتُـصْـلب صـلـبـا

وصدر القصيدة بهذه المقدمة:

لا حديث لي مع الشاتمين غير البيتين على غلاف هذا الكراس، وما هذه المقدمة الا ايضاح لمعنى بيت ورد في قصيدتي في البستاني، كان غنياً في الايضاح لولا أن مزقت أظافر الافتئات قميصه اليوسفي عنه تمزيقاً، وأبرزته للناس مضروباً من البهتان ببرص مخيف. قلت:

[من الكامل]

خـدم السيـاسـة مـلبسـاً أغـراضـهـا	تـاج الـنـزاهـة أشرف الـتـيـجـانِ
مـا بـاع مـن أجـل الـوسـام بـلاده	لـلأجـنـبـي بـأبـخس الأثـمـانِ

فقالوا! «انك أهنت روح من احتفل القوم بتأبينه وأهنت معه سائر حائزي الأوسمة أحياء وأمواتاً اتهمتهم جميعاً بخيانة الأوطان وبيعها من الأجانب حباً بالنياشين» فهل في الناس غير هؤلاء الأساتذة يا ترى من يفسر البيت هذا التفسير؟ وهل بين صبيان المدارس بل الأزقة من لا يدرك الفرق بين «ما باع» كما جاء في البيت وبين «باع» كما فسر الناقدون؟ قلت ان البستاني رحمه الله لئن نال الوسام فعن استحقاق لا عن طريق بيعه وطنه للأجنبي، فأية اهانة له أو لسواه من مستحقي النياشين في هذا المدح الجلي؟ ولماذا يتّهم الانسان نفسه. فيغضب كلما سمع الهاتفين يهتفون «ليحيى الأمناء وليسقط الخائنون؟» ثم كيف «تعكر صفاء الحفلة» لقول حاز رضى الجمهور واستفز اعجاب الأدباء؟ اللهم إلاّ اذا كان تصفيق الاستحسان واستعادة الشعر يعنيان عند الناقمين تعكيراً لصفائهم فقط! واذا كنت قد أهنت بهذا الشعر أصحاب الأوسمة أحياء وأمواتاً، أفلا يكون جميع الهاتفين والمصفقين شركائي في الاهانة أم يحسب المنتقدون أن الفهم محصور في أشخاصهم، وسائر السامعين وفيهم العالم والشاعر والكاتب والأديب حمقى لا =

أهــدى إلى الــشـعــراءِ في أوطــانــه نفثــاتِ أشعــرِ شــاعــرٍ يــونــاني[1]
مــا زال يمـنــحُ مـن أشعــة فـضــله لـلنــاس حتى صــار في الـعـمـيــان
فـسقـى الالــه مليكــة الأزهــار من نفثـات هــذا الشـاعــر القحـطاني
وإذا عــروس الخـلد في بُــردِ الصِبــا تَـسـبي الـنهى بـجـمالهـا الـفتّـانِ
فـتـهـلَّل الــرحمـن مــن فــرح وقــد فــاضـت أشـعّـة وجـهــه الـنـوراني
وحنــا عليــه وقــال إنــك خـير من يـتـعـهّـد الأزهــار يــا «بـسـتــاني»
فــالـيــك فــردوسي تــولَّ ورودَه واعمــل مــدى الأدهــار في بستــاني

* * *

= يفهمون؟ أليس هذا منتهى الدعوى والغرور والازدراء بعواطف الشعب والحكم عليه بالجهل وسخافة العقل؟
ليس هذا البيت من الشعر بالذي يستحق أن تقوم حوله ضجة استحسان أو استهجان لولا روح وطنية رقص لها الأحرار طرباً كما رقص لها أعداؤهم ألماً. فهذه الروح هي التي جملته، وغمرت القوم لدى تلاوته بموجة من كهرباء حب الوطن أقامتهم وأقعدتهم تحمساً، فكل نفس لم تشارك اخوانها في هذه العاطفة ان هي إلا نفس غريبة معادية، يعد جمودها أمام تأثر المواطنين جريمة، ويا ليت الناقدين اكتفوا بالجمود أو ليتهم تشبهوا على الأقل بقايين، فقدموا للوطن من ثمار الأرض، ولكنهم بالغوا في العداء، فحاولوا تحطيم آنية المذبح، وهدم الهيكل على المصلين، وهذا لعمري أقبح الكفر بالوطنية وأفظع الالحاد.
فيا غرباء الشعور! اسمعوا وعوا! ان روحاً وطنية جديدة تجتاح أسرة الراقدين في بلاد الشمس، في جوانب السماء علامات تنذر بطوفان هائل لن يغني عنه قوس قزح فتيلاً، فابنوا لنفوسكم فلكاً منذ الآن، أو فأطلقوا سيقانكم للريح نحو الجودي إن كنتم تعودتم التصعيد في الجبال، أو كان يوافق مزاجكم مناخها العالي.

(١) هوميروس شاعر اليونان الأعمى صاحب الالياذة التي ترجمها سليمان البستاني إلى العربية.

٥٦١ - الاستقلال حق لا هبة

[من الكامل]

إن ضـاع حقُّـكَ لم يضـع حَقّـانِ ... لـكَ في نِجـادِ السـيـف حـقٌّ ثـانِ
مـا مـات حـقٌّ فـتىً لـه زَنـدٌ لـه ... كـفٌّ لها سـيـفٌ لـه حـدّانِ
فـابعثْ سيـوفَ الهنـدِ من أغمادهـا ... تـبعـثْ بهـا المـوتى من الأكـفـانِ
بعجائبِ «الهنديِّ» حـاز التركُ مـا ... حـازوه لا بـعجـائـب «العـبراني»
والسـيـفُ، لا عيسى ولا أضرابـهُ ... خلق «الكمـالَ» لهم من النُـقصانِ
فـانسِفْ جبـالَ الظالمين بـهِ ودع ... لـذوي القلانسِ «خـردلَ الإيمـان»
خـاطبْ وحـوش «أرُبَّـةٍ» بلسـانهم ... واذخـرْ لسـانَ الحب للإنـسـانِ
أحـسِنْ إليـهـم بـالإسـاءةِ إنّمـا ... تـرويضُ ذي نـاب مـن الإحسـانِ
هـلاّ ذكـرتَ زمـان عـزٍّ لم يـزل ... بـالشمسِ مـدفـوعـاً إلى الأزمـانِ
متـألِّقـاً كشعـاعِهـا قـدّامهـا ... فـيـزيـدُهـا شـوقـاً إلى الـدورانِ
لمـا ركبتَ البحـرَ تهمـزُ مـوجـه ... همـزاً إلى بـحـرٍ مـن الإسـبـانِ
خـوضـاً بـكـل طِمِـرَّة مـا آثـرت ... لـلكـر مَـيـدانـاً عـلى مَـيـدانِ
ففتحتَ «أنـدلسـاً» بصـارم «طـارق» ... بـل قـل بِـطارقـةٍ مـن الحـدَثـانِ
هـبَّت كـعـاصفـةٍ عـليهـا وانـجلت ... عـن عـارض مـن خـيرهـا هَـتّـانِ
فـالغـربُ شـرقٌ من بهيِّ سنـائهـا ... والـشـرقُ من إشـعـاعهـا شرقـانِ
وجعلتَ غـابـاتِ الوحـوشِ حـدائقـاً ... بـالـعلمِ زاهـرةً وبـالـعـمـرانِ
فـقـطعـتَ حـجـةَ كـل غـرٍّ زاعـم ... أن الـعـلى بَـرِئـت مـن الـقـرآنِ
يـا غـربُ قـد فُتحت عليك عيـوننـا ... وجـهلتَ ذاك فـأنـتَ في الـعـميـانِ
تُعفيـكَ من إصلاحنـا يـا جـانبـاً ... رُطَب المُشـانِ بـعلّة الـوَرَشـانِ[1]
مـا زال هـذا العلجُ يحسب أننـا ... بـقـرٌ تَـدُرُّ عـليـه بـالألـبـانِ
حتى استـفـاقَ عـلى الـزئـير وجلدُهُ ... كـالطِّمـرِ تحت مخـالبِ المُـرّانِ[2]

---

(١) رطب المشان: ثمر، والورشان عصفور، والجملة مثل عربي قديم لمن يتظاهر بشيء وهو يقصد سواه لنفعه الخاص.

(٢) الطِّمر: الثوب الخلق البالي. المُرّان: الرماح الصلبة.

من قمحِ حوران أراد وليمةً … فأتاهُ سمُّ الموت من حوران

لما شكونا «جُوفنيلَ» إلى الظُّبى … فشكا إلى «جمعية القرصانِ»[1]

صاحَ: المروءَة يا فرنجُ فليس لي … في صدِّ غاراتِ الدروزِ يدانِ

عهدي بهم في السلمِ حُملانا فوا … رُعباهُ بعدهمو من الحُملان

لله منظرُهم إذا هزجوا وقد … هزوا الرماحَ لغارة وطعانِ

يلقَون «مِترَليوزنا» بصدورِهم … ويكافحون «التنكَ» بالأبدان

متهافتين على الردى وشعارُهم … اليومَ أفضلُ من غد يا فانِ

ونساؤهم! لو تشهدون نساءهم … في الحرب حاملةً على الشجعانِ

كالماءِ أعذبُ ما يكون وإنّه … لأشدُّ ما يسطو على النيرانِ

ينفُخْنَ في أشبالهنَّ حماسَةً … تثبُ الصدورُ لها مِن الغَليانِ

فكأنهم لَبسوا بهنَّ جوانحاً … طاروا بها للحربِ كالعِقبان

ولئن نسيتُ فلست أنسى بينهم … رجلَ الرجالِ وفارسَ الفرسانِ

وحُلاحلَ الحرب الذي يغشى الوغى … ووراءهُ نفرٌ من الفتيانِ[2]

فكأنهم منه مكان قناته … وكأنه منهم مكان سِنانِ

يرمي بهم قلبَ الوطيس كأنهم … حمُّ الحمام قُذفِن من بُركانِ

يُفني الرجالَ بأحدبٍ ومقوَّمٍ … ضدَّين في اللَبّاتِ يلتقيانِ[3]

ويكادُ يفترس العَدُوَّ جوادُهُ … فكأنه أسدٌ على سرحانِ

فذٌّ كُفيتُ به سؤالَ الناسِ مَن … تعني؟ وهل أعني سوى سلطانِ؟

لبنانُ يا لبنانُ بل ما ضرَّني … لو قلت يا بلداً بلا سكانِ!

خفضَت جبالُك شامخات رؤوسها … بالعارِ واندكّت إلى الأركانِ

تشكو من الأديان، تتّهم السوى … ولأنتَ أنت العبد للأديانِ!

إن كان للدينِ الدروزُ تعصَّبوا … أرِنا التعصُّبَ أنت للأوطانِ

حوران هبَّ إلى الحسام كأنما … هو وحدَهُ العاني وأنت الهاني؟

---

(١) يعني بها جمعية الأمم.

(٢) الحلاحل: السيّد الشجاع.

(٣) اللبّات: جمع لبّة وهي: أعلى الصدر.

والله مـا ذاق الـذي قـد ذقـتـه من جَـوْرِ أُمِّـكَ أحقـرُ العُبـدانِ[٦]
لـكـن ألـفـتَ الـذُّلَّ حـتى بـتَّ مـا عـانـيـتَ لم تَـشـعـرْ بـأنـك عـاني
لم يبقَ غـيرُك في الـورى مـسـتـعـبَـداً لم يـبـقَ غـيرُك أيهـا الـلبـنـاني
واحـيـرةَ الأحـرارِ في الـعَـيْرِ الـذي لم يـرضَ غـيرَ مـذلـةٍ وهـوانِ
لا تُـنـزلُ العفـريتَ عن أضـلاعـه إلاّ ويـعـرضـهـا عـلى الـشـيـطانِ
تـشـفـيـه في ذلٍّ فـيـنـبـتُ غـيره ربّـاهُ! ان الـذلَّ كـالسرطـانِ
أوَ لـيسَ في لـبـنـانَ عِـرقٌ نـابضٌ؟ أوَ لـيسَ في لـبـنـانَ مِـن مُـتـفـانِ؟
أيـنَ الـتُّراثُ تُـراثُ أبـطال الحمـى أيـن الـبـقـيـةُ مـن بني غـسـان؟
لا تنكـروهـا فـالـدمُ العـربيُّ قـد جـلّت أصـالـتُـه عـن الـنـكـرانِ
إنّ الـبُـزاةَ وإن تـنـاثـرَ ريـشُـهـا لم تُحصَ في الحشراتِ والـديـدانِ
ولـسـوف تَضـطرب البـلادُ لصيحـةٍ مـنهـم تُـفـتِّـح مُـغـلقَ الآذانِ
ويُعيـدهـا الـشـعـبُ المهـيـجُ كـأنها مـتـفـجِّـرُ الـدِّنَمـيـتِ بـالأطـنـانِ
فلَكم إلى الـطاغي شكـونـا أمـرنـا فـازداد طغـيـانـاً عـلى طـغـيـانِ
سيـزيدنـا «بنصـو» على «جفنيـلَ» مـا قـد زاد «سرَّيـلٌ» عـلى «ويـغـانِ»
وعـداً على وعـدٍ عـلى وعـدٍ عـلى وعـدٍ بـلا كـيـل ولا مـيـزانِ
لا تـركنـوا لـوعـودِ أكـذبِ دولـة قـامت سيـاستهـا عـلى البـهـتـانِ
فـلقـد كـفـى سـخـريّـةً وإهـانـةً ولقـد كفى ضحـكـاً عـلى الأذقـان
صُـمّت مـسـامعـهم ولـيس بعـارف بـدواءِ طرشـانٍ سـوى «الـطرشـانِ»!

* * *

٥٦٢ ـ المسيح الثاني[*]

[من الكامل]

أنـا لـو ثـمـانـيـني رجـعـن ثـماني لحـزمـت أمـتـعـتي إلى لـبـنـانِ
وأخـذت عند حـدودِه درسـاً عـلى الـ ـ أبـطال أطـفـالِ الحـمـى إخـواني

(٦) كان بعض اللبنانيين يطلقون على فرنسا: الأم الحنون.

(*) على أثر تضحية طفلين فلسطينيين بنفسيهما وتفجيرهما الديناميت الذي تزنّرا به فقضى على عدد من ضباط العدو في أحد أنديتهم سنة ١٩٧٠

وجعلتُ «تلَّ أبيبَ» قِبلةَ نقمتي   ودككت قلعتها برخص بناني
زنَّاريَ «الدِّنَميتُ» لا صوف الألى   بريائهم حملوا على إيماني
هذا هو المجد الذي إن شئت أن   تُكسى به فانزل إلى الميدانِ
مجدِ الفدائيِّ الذي فتكاته   خَلَقت فلسطيناً بكل مكانِ
ملَكَ الفضاءَ على العدى فنفوسهم   طارت به جزعاً من الطيرانِ
فَلْتَحْيَ تربتُها المقدسة التي   ولدت لنا هذا المسيح الثاني
بطلاً يخضّ على الجهاد ممزقا   بيد العدالة بيرق الطغيانِ
بهرَت شجاعته الورى بخوارقٍ   لم تُرْوَ عن إنسٍ ولا عن جانِ
ودَّ الصهاينُ كلما سمعوا بها   لَوْ أنهم خُلِقوا بلا آذانِ
هذا هو الحبُّ المحرِّرُ لا الذي   يستعبدُ الإنسان للإنسانِ
هذا هو الشرف الفدائيُّ الذي   وطني يتيه به على الأوطانِ
شرفٌ أناف على النجوم وجاوز الـ-   سبعَ الطباقَ فهنَّ منه ثماني

* * *

٥٦٣ - كم هاتف(*)

[من الكامل]

كم هاتفٍ لكَ شاكرٍ بلساني   طَربٍ بعيدِكَ يا فتى الفتيانِ
يُهدي إليكَ شُعُورَه ويَعُوقُه   عن أن يجيءَ يَداهُ لا القَدَمانِ.
يا كالىءَ المَرضى بعينِ رضىً وعَينِ -   هُدىً وكفٍّ شفاً وكفِ حنانِ
ومُشارِكَ الوَجِعِينَ في أوجاعِهم   ومُطبِّبَ الأرواحِ والأبدانِ
ومُعالج الداءَين داءِ النفسِ -   بالحُسنى وداءِ الجيبِ بالاحسانِ
النائمَ اليقظانَ يرقبُ دعوةَ -   الدَّاعي بلا أجرٍ سِوى الشكرانِ
لم يقضِ حقّكَ مَطعَمٌ أو مشربٌ   عَبَثاً يُكرَّم خالدٌ بالفاني

(*) في المأدبة التكريمية التي أحياها لصديقه الطبيب شكري زيدان فريق من قادري فضله، ليلة ٢٩ - ١٠ - ١٩٤٢

فلكَم بأكواخ الشقاءِ وأهلِهِ ... لكَ من عشاءٍ فاخرِ الألوانِ
لم يحظَ هارون الرشيد بِكَسرَةٍ ... منه ولا كسرى أنو شِروانِ
قد جلَّ عن فَخِذٍ مُحَمَّرَةٍ وعن ... كأسٍ مُذهّبَةٍ وعن «شمبانِ»
هو عندَ ربِّك في السماءِ وليمةٌ ... وتهانئٌ وقصائدٌ وأغانِ
حُفَّت مَوائدها وغُصَّت ساحُها ... بملائك الرحمانِ والرحمانِ
شربوا على اسمِكَ من يَدَي «رِضوانها» ... حتى ارتَوَوا من كوثرِ الرِّضوانِ
وتعالَت الدعوات في أرجائها ... من كلِّ قلبٍ شاكرٍ ولسانِ
فاحت من الدنيا لَهم فتنسّموا ... من طِيبها أنفاسَ خُلدٍ ثانِ
دعواتُ مَن واسيتَهم وأسَوتَهم ... من دون ما نظرٍ إلى الأديانِ
احفظ لنا اللّهمَّ رُوحك بيننا ... وأطِلْ حياةَ مسيحنا «زيدانِ»
لا زال مَرجُوًّا لكلِّ مُلمّة ... في كلِّ ناحية بكلِّ زمانِ

* * *

٥٦٤ ـ زهرة الاحسان(*)

[من الكامل]

عمَّتْ عوارف «زهرة الإحسان» ... فكأنها نبتت بكل مكانِ
وزكت مجانيها فما هي «زهرة الـ ـ ... إحسان» بل هي جنة الإحسانِ
فترنُّمُ الأطيار في أفنانها ... هو شكر محتاج إلى معوانِ
وتَمايُلُ الأغصان في أدواحها ... هو عطف إنسان على إنسانِ
للهِ من فِعْلِ المعاصم إن غدت ... معقودة بسواعد الفتيانِ
إن رُمْتَ للاصلاح روضاً زاهراً ... فاعمل بكفّي قوة وحنانِ
يا أيها الغربيُّ لست بسابقٍ ... وجوادنا العَربيُّ في الميدانِ

(*) من قصيدة أنشدها سنة ١٩١٤، يطلب من سيدات جمعية «زهرة الاحسان» في «الريو دي جانيرو» في اجتماع عقدته مع بعض وجوه الجالية لمساعدة المدرسة المنتمية إلى الجمعية.

خيرُ الجوالي لا تقلّص ظلهم ... عن أرض سوريا وعن لبنان
إن شاءَ ربك سوف يُرجعُ سبينَا ... فنعود أفواجاً إلى كنعانِ
والعدل زاه والتمدنُ زاهرٌ ... لا مسلم يشكو ولا نصراني

* * *

٥٦٥ ـ قطع الحديث

[من الكامل]

ألقيتُ في سمعِ الحبيبِ كُليمةً ... جَرَحَت عواطفَه فما أقساني!
قطعَ الحديثَ وراحَ يمسحُ جفنَه ... فوددتُ لو أُجزى بقطعِ لساني
ومضى وَلي قلبٌ على آثاره ... ويدانِ بالأذيالِ عالقتانِ
فطفِقتُ من ألمي أكفكفُ أدمعي ... ورَجَعت من ندمي أعضُّ بناني
وأقولُ واخجَلي إذا لاقيته ... فبأيِّ وجه عابسٍ يلقاني
حتى ظفرتُ به فمدَّ يمينَه ... ورنا إليَّ برقَّةٍ وحنانِ
وبكى وعانقني وقال: عدمتني ... إن كان لي جَلَدٌ على الهِجرانِ
قُلْ ما تَشاءُ ولا تغِبْ عن ناظري ... وفداكَ ذلي في الهوى وهواني

٥٦٦ ـ عبثا تحاول (*)

[من الكامل]

عبثاً تحاول يا فلانُ إثارتي ... ليقول عنك الناسُ: خَصْمُ فلانِ
لن يستحقّ عداوتي إلاّ الذي ... عاديتُه أنا لا الذي عاداني

(*) القطعة رقم ٣٨ من مجموعة «موجات قصيرة».

٥٦٧ ـ زر الكهرباء

[من الكامل]

لم أنس حين غشوتُ خدر لُميّةٍ والليلُ يغمرنا بجِلبابَيْنِ
عالجتُ زرَّ الكهرباءِ بصدرها فأنرتُ في العينينِ مصباحَيْنِ

٥٦٨ ـ ذهب الرفاق(*)

[من الكامل]

ذهب الرفاقُ جميعُهم من دوني لم يبقَ منهم شاعرٌ يرثيني
وغدت عناوين الفحولِ قبورَهم فرسائلي قِطعٌ من التأبينِ
الشعرُ يَبكيهم بكل بحورِهِ وبما حَوَتْ من لؤلؤ مكنونِ
غمروا المَهاجِر بالضياءِ كأنهم طلعوا بها شمساً بكلّ جبينِ
وَقَفوا على أوطانهم اعمارَهم ورَضُوا من الدنيا بدونِ الدونِ
ما همّهم جوعٌ اذا شبع الحمى فكأنهم خُلِقوا بغير بطونِ
من كلّ مَن شهدَت أيمّةُ يعربٍ لبيانه السحريّ والتبيينِ
حفظ الورى اشعارَه حتى غدا ديوانُه بغنىً عن التدوينِ
اين الصَّديقُ المغربيُّ واين ما عشناه من رغَدٍ عقودَ سنينِ
كم ضحكةٍ كُنَّا نزقزقها معاً كالطير بين حدائقٍ وعيونِ
ولكَم تساقينا القوافي الغرَّ لا أُرويهِ ما رُوِيَت ولا يُرويني
يتفجّر الإخلاص منها مثلما يتفجَر الميماس من صنّين
ومجالس الأدباءِ اطيَبُ ما بها جِدُّ الحديثِ مملّحاً بمجون[1]

(*) مهداة الى روح الأخ الشاعر ميشيل مغربي ـ البربارة ١٩٧٨/١/١

(١) في المخطوطة جاء هذا البيت بعد البيت العاشر.

ولّى إلى الوطن البعيد مخلّدا بخلود اروع معربِ موزون
ابكار وحيٍ لم تُمسَّ كأنما فاضت قريحته بخورٍ عين

* * *

والشاعرُ المدنيُّ آخِرُ درّةٍ في عقدهم تُشرى بكلِّ ثمين
قلبٌ كقلبِ الطفل أو انقى فإن مُسّت كرامتُه فليْثُ عرين
ولقد يبيت على الطَّوى طوعاً ولا ينسى رغيفَ الجائع المسكين
هجر النعيمَ معي وأقسمَ انّه ليست تطيبُ له الحياةُ بدوني
ورجعت وهو هناك تَصليهِ النوى ناراً فيطفِئُها بكأس. منون
من للتُّراثِ العُصْبَويِّ وقد مضى ريبُ المنونِ بعهده الميمون
لولا سنابل «بربرٍ» لم يبقَ في «صنبولَ» منه خميرةٌ لعجين[٣]
لوددتُ موتي بينهم لو لم اقفْ للارزِ كلَّ صبابتي، وحنيني
وطني الذي بالروحِ أفديه ولا ارضيه في الدنيا ولا في الدينِ..
ما بغَضوهُ اليّ زدت به هوىً كمبغَضٍ ليلى إلى المجنون
لله عهدُ صباي فيه وحبَّذا ذاك الرغيفُ وحبةُ الزَّيتونِ
ماذا اؤمّل بعدُ من عيشي وها قدماي غارقتان في التسعينِ
لولا البكاءُ لخلت اني ميّتٌ حُصرَت حياتي كلها بعيوني
بدموعيَ الحرّى أبُلُّ ترابَهم ليُعيدَ ربّي خلقهم من طين

* * *

٥٦٩ ـ بنت العروبة(*)

[من الكامل]

بنتَ العروبةِ هَيِّئي كفني أنا عائدٌ لأموتَ في وَطني
أأجودُ من خلفِ البحار له بالروح ثمَّ أضنُّ بالبدنِ؟

* * *

(٣) هو الشاعر توفيق بربر الذي نبغ في سن الأربعين

(*) نظمها وهو يركب البحر عائداً إلى الوطن العربي

٥٧٠ - أبا البلابل(*)

[من الكامل]

أأبا البلابلِ والحساسينِ ... مَن للمزاهر والقوانين
غادرتَها خُرساً محطّمَةً ... ولكَم شَجتنا بالتلاحينِ
تمشي الفجيعةُ في جوانحها ... وتحُزُّها حزَّ السكاكينِ
أسفَت لفقدكَ عبقرٌ وبكت ... وشكا الملوكُ إلى السلاطينِ
واللهِ ما وَفَّوْك حقّك إذ ... غمروك غمراً بالنياشينِ
كم تحفةٍ في دورِهم لكَ من ... خشب تساوي مالَ قارونِ
ولكَم يدٍ خلاّقةٍ نفخت ... في الطينِ رُوحاً وهْيَ من طينِ
هل بُشِّرَ الأمواتُ فاحتفلوا ... أم عيدهم عيد الشعانينِ(١)!
ولهم أتت هذي الخلائقُ أم ... لكَ بالدموعِ وبالرياحينِ
يَهنيكَ أنكَ قد فزعت إلى الفردوسِ من دارِ الشياطينِ
ماذا تبقّى في الحياةِ من الأفراحِ للناسِ المساكينِ
عمَّ التّكالبُ في الشعوبِ فما ... أبقى على دنيا ولا دينِ
لم يبقَ لا عينٌ ولا أثرٌ ... للعقلِ في عصر المجانينِ
كم ألفِ هابيلٍ يمجُّ دماً ... بينَ الحقولِ وألفِ قايينِ
إن يدفنوك هنا فانّك في (الفيحاءِ) حيٌّ غيرُ مدفونِ
تشدو بذكركَ طيرُها أبداً ... بين الجنائنِ والبساتينِ

٥٧١ - يا قَلْبُ

[من مجزوء الكامل]

يا قلبُ إنك لم تزلْ ... قربَ الحمى فَلِمَ الحَزَنْ
إن لم يعدْ لك موطناً ... فلقد غدوتَ له وَطَنْ

(*) على ضريح عبده النحات الدمشقي. «صنبول» سنة ١٩٤١

(١) توفي يوم عيد الأموات، إذ يزور الناس قبور أحبائهم والدموع في مآقيهم، والزهور في أيديهم.

٥٧٢ ـ لمطامع الانسان (*)

[من مجزوء الكامل]

لمطامع الإنسان حَدٌّ ـ في تجاوزه العنا
من ليس يكفيه الكفافُ ـ فليس يُغنيه الغنى

٥٧٣ ـ الشاربان الحليقان (**)

[من مجزوء الكامل]

قالوا حلقتَ الشاربين ـ ويا ضياعَ الشاربَيْنِ
فأجبتُهم بل بئسَ ذان ـ ولا رأتْ عيناي ذَيْن
الشاغلَيْن المزعجَيْن ـ الطّالعيْنِ النّازِلَيْنِ
ويلي إذا ما أرهفا ذَنَبَيْهِمَا كالعقربَيْنِ
إن ينزلا لَجَما فمي أو يصعدا التطما بعَيْني
وإذا هما بُسطَ الخِوانُ ـ تراهما بَسطا اليدَيْن
فاذا أردتُ الأكلَ ـ يقتسمانِ بينهما وبَيْني
وإذا أردتُ الشربَ ـ يمتصانِ كالإسفنجَتَيْنِ
فكأنني بهما وقد وقفا بباب المنخرَيْنِ
عبدانِ من أشقى العبيد ـ تقاضيا مَلِكاً بدَيْنِ

* * *

(*) القطعة رقم ٨١ من مجموعة «موجات قصيرة».

(**) نظمت في مدينة «مريانا» البرازيل سنة ١٩١٣ بعد قصيدة (إلى القمر).

٥٧٤ - بِكُمْ يَتَمَجَّدُ(*)

[من المتقارب]

بِكُمْ يتمجَّدُ ذكرُ الوطنْ إذا رنَّ للمجدِ ذكرٌ وطَنّ
بني حمصَ تنطقُ أفعالكم بما يُبكِمُ الطيرَ فوق الفَنَنْ
حرائرُكُم قبلَ أحرارِكم كواكبُنا في ليالي المِحَنْ
يحرِّكنَ أيديَنا للندى وهل بسوى الروحِ يحيا البَدَنْ
سيُبلي الزمانُ وجوهَ الحسان ويُبليهِ صيتُ الحِسانِ الحسَنْ
ويذهبُ كلُّ أبٍ وابنُه ولكنْ أبو الفضلِ والفضلُ لَنْ..
تمامُ المُروءاتِ عقلٌ يسود وكفٌّ تجودُ وقلبٌ يحنّ
إذا جادَ كلٌّ بامكانِهِ فحبّةُ مثلي تعادلُ طَنّ
فاني وموسى وأنطون لسنا سوى أمراءِ بيانٍ وفنّ[1]
نطوِّق بالحمد جيدَ الذي يطوِّق جيدَ العلى بالمنَنْ
علينا الكلامُ ومضغُ الطعامِ وشربُ المُدامِ وطيبُ الوَسَنْ
وليس عليكم سوى أن تنوبوا عن الأمراءِ بنقدِ الثمَنْ...

٥٧٥ - سَاعتا لقاء

[من المتقارب]

رضيتُ من العمرِ بالساعتَيْنْ فيا دهرُ ماليَ عندك دَيْنْ
وليسَ الحياة بعدِّ السنينَ فأطولها ساعتانِ كَتَيْنْ

(*) احتفلت لجنة السيدات الحمصيات للمصح السوري في «كمبوس دوجوردون» بالانتهاء من سقفه سنة ١٩٤٦، واتفق هطول وابل من البرد أثناء الحفلة فارتجل هذين البيتين: (من الطويل)

تحجَّر ماءُ المزن لا من قساوةٍ ولكنه سرٌّ يفسرُهُ الشِّعْرُ
تحدَّر من جفنِ الغمامة سائلاً فلمّا رأى إحسانكم جمدَ القَطْرُ

(١) موسى الحداد وأنطون عازر وهما شاعر فخطيب.

ضممتُ الحبيبةَ حتى انثنَتْ　وقد أنضج الوجدُ رُمَّانتيْنْ
وأحرجَ صدريَ بالخافقَين　فيا لك صدراً حوى الخافقيْنْ!
وبحرُ الظلامِ علينا طما　فكنا بأحشائه دُرَّتيْنْ
وتَمَّت شريعة موسى بنا　فسنٌّ بسنٍّ وعينٌ بعينْ!
زرعنا المحبّة في الحبّتيْنْ　وكم نبت الحَبُّ من حَبتَيْنْ!(١)

٥٧٦ ـ العزوبة

[من المتقارب]

كفَتني العُزوبَةُ من ضَرَباتِ الـ　ـحياةِ اثنتَيْنِ ما شرُّهُنَّهْ
فحسبي بها أنني ليس لي　حماةٌ وليس لأمِّيَ كَنَّهْ

* * *

٥٧٧ ـ سب الأكارم

[من المتقارب]

أيا من تعوَّدَ سبَّ الأكارم ـ　نزِّه لسانَكَ عن طَعْنِهِ
وبَصْقُ الفتى في مهبِّ الرِّياحِ　يُعيدُ البصاقَ على ذقنِهِ

٥٧٨ ـ مظلَّتُها(*)

[من الوافر]

مظلَّتُها لها ولكل فردٍ　غدا في حُبِّها صَبًّا مُعَنًّى
لقد حجبت شعاع الشمس عنها　كما حجبت شعاع الوجه عَنَّا

---

(١) حبة القلب أي سويداؤه.
(*) بيتان مستخرجان من مخطوطاته، نظمهما منذ ٤٥ سنة.

٥٧٩ - تَذَكَّرْ(*)

[من الوافر]

تـذكّـرْ حـين كنتَ عـلى يَـدَيْهـا ... تُـقـطِّرُ فيـكَ مُـهْـجَتَـهـا لِبَـانَـا
فَـأوْفِ جـزاءَهـا واعـطفْ عـليهـا ... ولَـقِّمْـهـا مـع الخُبْـزِ الحـنـانَـا

٥٨٠ - باذن الله(**)

[من الوافر]

بـإذنِ اللهِ ربِّ الـعـالمـيـنـا ... ورأيِ الخـالـدِ ابـنِ الخـالـديـنـا
سـنبـنـي دولـةً لـلعـلم تـسـمـو ... عـلى دولِ الـورى دنـيـا وديـنـا
تـعـمّ بهـا حـضـارتُـنـا الـبرايـا ... كـما فـعـل الجـدودُ الأوَّلُـونـا
وإن زادَ الـصـهـايـنـةُ اغـتراراً ... وظـنـوا أنهم لا يُـغْـلَبُـونـا
وخـاضـوا مثلما خـاضـوا قـديمـاً ... بمُـنـزَلِ ربّـنـا مُـسْـتَـهْـزِئيـنـا
يـعـذِّبْهـم ويـنصُرنـا عـليـهـم ... وَيَشْفِ صُـدُورَ قَـوْمٍ مُـؤْمِنِيـنَـا)[1]

٥٨١ - حجب الوجه وكشف الساق(***)

[من الوافر]

لحـدِّ الـركـبـتـينِ تُـشـمِّـريـنـا ... بـربـكِ أيَّ نهرٍ تـعـبُـريـنـا
مضى الخَلخـال حـين الـسـاق أمست ... تـطوِّقـهـا عـيـونُ الـنـاظـريـنـا
هـوى عـرشُ الجمـالِ عن المحيّـا ... إلى الأقـدامِ فـاستهـوى الـعـيـونـا
كـأنَّ الـثـوبَ ظِـلٌّ في صـبـاح ... يـزيـدُ تـقـلُّصـاً حـيـنـاً فـحـيـنـا

(*) رأى صديقه الياس عاصي يسعف أمه على تناول غذائها، وهي في أواخر أيامها، فارتجل.
(**) نظمها حين زار «السعودية» ليلقيها في حضرة أمير مؤمنيها خالد بن عبد العزيز.
(١) التوبة ١٤/٩
(***) عندما شاع زي الفساطين القصيرة.

تـظنـينَ الـرجـالَ بـلا شـعـورٍ لأنـكِ ربمـا لا تـشـعـريـنـا
ولـيس بـعـاصـم عـقـلٌ وديـن فـكـم سلَب الهـوى عـقـلاً وديـنـا
ومـاذا ينـفـعُ الـتـهـذيـبُ نـفـسـاً تحـاربُ فـيـكِ إبـليس الـلعيـنـا
فـيـا ليـتَ الحجـابَ هـوى فـأمسى يـردُّ الـسـاقَ عنّـا لا الجـبـيـنـا
فـانَّ الـسـاقَ أجـدَرُ أن تُـغَـطَّى وإن الـوجـهَ أوْلَى أن يَـبـيـنـا

٥٨٢ - تعليم الأشرار

[من الوافر]

إذا عَـلّمْـتَ شِريـراً عُـلُومـاً فقـد علّمـتَ إبليسَ الـلّعيـنـا
كَـمَـنْ يُـعْـطي الـطّعـامَ إلى دَفـينٍ فـيـأكُلُهُ الـذي أكـلَ الـدَّفـيـنـا

٥٨٣ - رُحمت(*)

[من الوافر]

رُحِمـتُ فـنـلتُ بـالإيمـان مـا لَمْ يَـنَـلْ مـن جـابـلٍ مـاءً وطِـينُ
فـحـسـبـي أنّـي عـبـدٌ حـقـيرٌ وأنّ الله حـارسيَ الأمـينُ

٥٨٤ - الصفح

[من الوافر]

تحـيّرَ بي عـدوّي إذ تجـنّى عـليَّ فـما سـألـتُ عن الـتجـنّي
وقـابـلَ بـين مـا ألـقـاهُ مـنـهُ ومـا يَـلقى مـن الإحـسـان مـني
يـبـالـغُ في الخصـامِ وفي التجـافي فـأُغـرِقُ في الأنـاةِ وفي الـتّـأني
أودُّ حـيـاتَـه ويـوَدُّ مَـوتي وكـم بـينَ الـتـمـنّي والـتـمـنّي

(*) القطعة رقم ٢٩ من مجموعة «موجات قصيرة».

إلى أن ضـاقَ بـالـبـغـضـاءِ ذرعـاً وحـسّـنَ ظـنَّـه بي حـسـنُ ظـنـي
عـدوِّيَ ليسَ هـذا الشهـدُ شهـدي ولا المـنُّ الـذي استـحليـتَ منـي
فـلـي أمٌّ حـنـونٌ أرضـعـتـنـي لِـبـانَ الحـبِّ مـن صـدرٍ أحـنِّ
عـلى بـسمَـاتِهـا فتّحـتُ عيـني ومـن لـثـماتهـا رَوَّيـت سـنِّي
كـما كـانـت تـنـاغـيـني أنـاغـي ومـا كـانـت تـغـنِّـيـني أغـنِّي
سـقـاني حبُّهـا فـوقَ احتيـاجي ففـاضَ على الـورى مـا فـاضَ عني

٥٨٥ - يهنىء بعضكم

[من الوافر]

يُهـنِّىءُ بعـضُكـم بـعـضـاً وإنّي أهـنِّي الـنـفسَ أنّي لا أهـنِّي
أأنـقضُ مـبـدئـي وأخـونُ عـهـدي مـسـايـرةً لـكـم ويـقـالُ إني! . .
أرى تـفـاحَ هـذا الـعـيـدِ جمـراً ولـو قـطـفـوهُ مـن جـنّـاتِ عـدنِ
وألمس نـاعـمَ الأزهـار شـوكـاً وأنـشـق عِـطـرهـا نـتـنـاً بـنـتـنِ
ويـطرف نـاظـري حسنُ الـغـواني ويجـرح مـسـمـعـي شـدوُ المـغـني
أأرضى والـرسـولُ قـتـيـلُ غـيظ وأفـرح والمسيـح شـهـيـد حـزنِ؟
وعـيـدٌ هـائـلٌ سَمِعَتْـهُ روحـي ولـولا لـغـطُكُـمْ سَـمِعَـتْـهُ أذْني
يـفـجِّـره الـنـبـيُّ شـواظَ نـارٍ عـلى شطٍ وبـاديـةٍ وحَـزْنِ
أمسخـرةَ الشعـوب لُعنتَ شعبـاً ذليـلاً لسـتُ منـك ولسـتَ مـني
تُـعـيِّـد لي وأنـت تـبـيـحُ أرضي وعِـرضي لـليـهـود، إلـيـكَ عَني!!

٥٨٦ - في زحلة

[من الوافر]

وبـردٍ تجـمـدُ الأفـكـارُ مـنـه إذا هُـنَّ انـفـصـلنَ عـن الجَـنَـانِ
تـكـادُ العـينُ تقـرؤهـا حـروفـاً مـعـلقـةً عـلى طـرف الـلسـانِ

٥٨٧ ـ ابنة «الدامور»(*)

[من البسيط]

قولي لنا يا ابنةَ «الدامور» صادقةً ـ من أيِّ جوهر فنٍّ صاغَكِ اللهُ
سبحانَ مَنْ نَظَم الدنيا ولحّنها ـ بيتاً من الشعر في عينيك معناهُ
بالريشتَيْنِ حويتِ السِحرَ أجمَعَهُ ـ سِحرَ البيانِ وسحر العزف زكّاهُ
لم يفتح العودُ فاهُ حين أنشدَنا ـ وكلُّنا منه ساهٍ فاتحٌ فاهُ
فأرجحُ الناس عقلاً تاه من طربٍ ـ حتى الملائكُ في جنّاتهم تاهوا
وكلُّ قلبٍ تمنّى من صبابتهِ ـ إليك لوْ أنَّ صدرَ العودِ مأواهُ

٥٨٨ ـ عاد الحبيب(**)

[من البسيط]

نسيانُ أميَ يا لُبنانُ أهونُ من ـ نسيانِ حبكَ عندي أو تناسيهِ
لو كنتُ عنكَ إلى الفردوسِ منتقلاً ـ لخلتُني منه في بريّةِ التيهِ
يجلُّ شوقي إلى مرآكَ عن مثَلٍ ـ جلالَ حسنكَ عن وصفٍ وتشبيهِ

* * *

ميشالُ أصبحتَ في دارٍ منزَّهةٍ ـ وجهَ الحقيقةِ عن ريبٍ وتشويهِ
فهل أخوك رشيدٌ كالأُلَى زعمَوا ـ عدوُّ لبنانَ أم أوفى محبّيهِ؟
وهل يشارِكُهُم في العيدِ يوسفُ أمْ ـ يبكي معي أرزهُ الغالي ويرثيهِ؟(١)
قالوا تماديتَ في تعنيفهِ، صدَقُوا ـ لُمتُ الحبيبَ على مقدارِ حبّيهِ
سيدركُ الطفلُ أنَّ الحُبَّ أنفعُهُ ـ لا من مدلِّلهِ بل من مُربّيهِ
لا يرجُ مَن يُغضِبُ الأحرارَ في وطنٍ ـ شعراً من الوطنيِّ الحرِ يرضيهِ

(*) حضر مجلس انس عزفت فيه الأدبية المهجرية السيدة انجال عون شليطا على العود فارتجل هذه الأبيات.

(**) أحيت «العصبة الأندلسية». في «صنبول» سنة ١٩٤٣ حفلة تأبينية لمؤسسها ميشال معلوف

(١) يعني هل يشاركهم يوسف كرم البطل اللبناني المشهور في عيد استقلالهم الهزلي تحت الانتداب الفرنسي؟

مـا إن ذممتُ غـريبـاً يستبـدُّ بـه إلا أتـاني ذمٌ مـن أهـالـيـه
أشـدُّ ممـا أعـاني في محـبـتـهـم والمـوتُ أيـسـرهُ، ألاَّ أعـانـيـهِ
هـمْ يغـضبـونَ إذا نـبّهـتـهـمْ وأنـا مـا لي سـلاحٌ يقيهِمْ غـيرُ تنبيهـي

* * *

لبنـانُ أعـطى فـما ذنبي لـديـه إذا جـادت يـداي بنـزرٍ من أيـاديـه
أبـو الينـابيـعِ والأطـوادِ أنجبَني طـوداً تفجَّـرَ نـبـعُ الحقِّ من فيـهِ
وجـوُّهُ السرمـديُّ النـورِ علّمني ألا أطـيـقَ سـواداً في أعـالـيـهِ
عـاطيتُـه الحبَّ أنقى من مشـاربـهِ والمبـدأ الحـرَّ أبقـى مـن رواسـيـهِ

* * *

لحقتَ يـا شـاعـرَ الـوادي بمن سبَقـوا من العـبـاقـرِ كـلٌّ نـحـو واديـهِ
رهط من المـلأِ الأعـلى أطَـلَّ عـلى دنيـاهُ يُسعـدُهـا حينـاً وتُشقيـهِ
جـبرانُ، أيوبُ، فـوزي، ميُّ، عازَرُ - فيلكسُ،الأمينانِ،صافحْ من تُلاقيهِ(٢)

* * *

عـادَ الحبيبُ من المنفى ومـاتَ فـما أدري أأبـكـي حـبـيـبـي أم أهـنِّـيـهِ
مـا عاشَ من عـاشَ عن لبنـانَ مغـتربـاً ولا قَضى من قضى بعـد الـنـوى فيـهِ

٥٨٩ - يا غزالاً(*)

[من الخفيف]

يـا غـزالاً غـزا الفؤاد بـلحـظَيْـهِ - وأدمـى الجـفـونَ منا جـفـاهُ
رام يجـني مـن خـدِّه الـقـلب ورداً شـاهـد الشهـد في اللمى فـاشتهـاهُ

(٢) يعني بهم جبران خليل جبران ورشيد أيوب وفوزي المعلوف ومي زيادة وسليم عازار وفيلكس فارس وأمين مشرق وأمين الريحاني.
(*) هذه الأبيات من بواكير الشاعر لم تنشر سابقا.

حـائـراً بـالجـنى فـإن أمّ شـهـداً جَـذَبـتْـهُ الى الجـنى وجـنـتـاهْ
أوِ انِ الـوردُ رَدَّهُ جـاذب الحـبِّ ـ لـنيـل الـشـهـد الـشـهـيْ مـن لمـاهْ
فـغـدا بـين فـعـلِ جـذبٍ ودفـع ولـذا بـالخـفـوق دومـاً تـراهُ

٥٩٠ ـ لا تلمني(*)

[من الخفيف]

لا تلمني يـا عقـلُ إن أنـا قَصَّـرتُ ـ فـهـذا يـا عقـلُ شـعـرٌ بـديهي
إنَّـه لمـحـة من الحـب في الـقـلب ـ وجـزءٌ مـن بعضِ مـا لـك فـيـهِ
إنَّـه كـالسـماء تبـدي لـك الـزهـر ـ وتخـفـي أضـعـاف مـا تـبـديـهِ

٥٩١ ـ قطعة مطّاط

[من الرّمل]

يـا لهـا قـطـعـةَ مـطاطٍ بهـا كـوخ من أهـوى عـلى القصر تباهَى
لـو درى الـبـائـع مـن تُهـدى لهـا ودّ لـو عـاد بـعـيـنـيـه اشـتراهـا
وطِئَـتـهـا دُمـيـتي فـاكـتـسَـبَـت شـرفَ النجمـة في أعـلى سـماهـا
والـتـظى خـدّ الـثـريـا حـسـداً عـنـدمـا رفّت عـليـهـا قـدمـاهـا
كـلما الـفـجـر تـبـدّى ودَنَـتْ سـاعـة الحـمّام نـاجيـتُ الإلاهـا
ربيَ آحـرسْ دُمـيَـةً طـاهـرةً لـيس لي في مـعـبـد الحـب سـواهـا
وافـرشِ الأرضَ أمـانـا تحـتـهـا كـلما صبّت عـلى العـاجِ المـيـاهـا

(*) أقام الأدباء في «صنبول» سنة ١٩٣٠ حفلة ترحيبية للشاعر عقل الجر، وقد ارتجل القروي في خلال الحفلة هذه الأبيات.

٥٩٢ - معولي

[من الكامل]

أهــواه رغــم جــفــائــه أهــواهُ فــاحــفــظْهُ لي بــاللهِ يــا اللهُ
لم أدرِ أيُّ الــطــيــبــين أحــبُّ لي مــرآه عــنــد الــفــجــر أم ريّــاهُ
أغــدو الــيــه بِمــعــوَلي فــيــلين لي قــنــدولــه وتــرنّ لي حــصــبــاهُ
لله مــا أشــهــى انــحــنــائــي فــوقــه كُــلي عــيــونٌ نهــمــةٌ وشــفــاهُ
يــا مِعــولِي المحــبــوبَ يــا رمــز الــوفــا أوْلَــيْــتَــني مــا لم ولــن أنــســاهُ
أدنــيــتَ مــنــه فــمــي وزدت تمــتــعــي بــبــهــيــج رؤيــتــهِ وطــيــب شــذاهُ
وفتحتَ لي في صــدره الجــرح الــذي تسري إلى جســدي الضــعــيــفِ دِمــاهُ
فــأعــدتُ أمــاتِ الــبــذور أجنّــةً فــيــه تــردّدُ همــســهــا: أمّــاهُ
صــلّي لنعــطيَ جَــدَّنــا القــرويّ مــا يــكــفــيــه مــونــةَ صــيــفــه وشــتــاهُ
يــا مــن يفــاخــرني بحــســن بــلاده هــذا ثَــرى وطــني فــكــيــف سَــمــاهُ
لــو لم تــكــن امــي هــنــاك مقــيــمــةً لحــلــفــت اني لا احــب ســواه!

٥٩٣ - الحمامة الشفيعة

[من الكامل]

لله عُــوديَ إذ تهــيّــوا لــلــنــوى كــم بــاتَ يُــبــكــيــني وكــم أُبــكــيــهِ
والــقــلبُ يخــفُــقُ في الــضــلوعِ كــأنمــا عــودٌ عــلى صــدري وعــودٌ فــيــهِ
وحمــامــةٍ تُــبــدي الــذي أبــديــتُــه فــكــأنهــا تُخــفــي الــذي أُخــفــيــهِ
نــظَــرَت إلى وجــه الحــبــيــبِ ورجّــعــت فــكــأنهــا عــن عــزمــهِ تَــثــنــيــهِ
وتقــول: لا تقــتــلْ محــبــكَ بــالــنــوى تــكــفــيــه لــوعــةُ حــبــهِ تــكــفــيــهِ
بــحــيــاتــه إلاّ قــبــلت شــفــاعــتي حــاشــاكَ خــذليَ فــيــه أو تــســفــيــهي

٥٩٤ ـ أطمعت ذات اللطف(*)

[من مجزوء الكامل]

أَطْـمَـعْـتَ ذات اَلـلطف حـين ـ جـعـلـت أمـرك في يَـدَيْـهـا
وشـكـوت شـكـوى الـنـارِ مـن قِـدْرٍ تـفـور بمـا عَـلَيْـهـا

(*) القطعة رقم ٧ من مجموعة «موجات قصيرة».

٥٩٥ ـ عيد البرية

[من البسيط]

عيدُ البَريّةِ عيدُ المولِدِ النَّبَوي ... في المشرقَيْن له والمغربينِ دَوِي
عيدُ النبيِّ ابن عبدِ اللهِ من طَلَعَت ... شمسُ الهدايةِ من قرآنِهِ العُلْوِي
بدا من القفر نوراً للورى وهُدىً ... يا للتمدُّن عمَّ الكونَ من بَدَوِي
يا صاحبَ السيف لم تُفلَلْ مضاربه ... اليومَ يقطرُ ذلاً سيفك الدَمَوِي
يا فاتحَ الأرض مَيداناً لقوَّتهِ ... صَارت بلادك مَيداناً لكل قوِي
يا حبذا عهد بغداد وأندلسٍ ... عهدٌ بروحيَ أفدي عَوده وذَوِي[1]
من كان في ريبةٍ من ضخم دولتهِ ... فليتلُ ما في تواريخ الشعوبِ رُوِي
يا قومُ هذا مسيحيٌّ يذكّركم ... لا يُنْهِض الشرق إلاَّ حبُّنا الأخوِي
فإن ذكرتُمْ رسولَ الله تكرمة ... فبلغوهُ سلام الشاعر القروِي

٥٩٦ ـ الأمير صقر(*)

[من الخفيف]

مرحباً بالأمير بالعربيِّ القحِّ ـ ... بالشاعر الرقيق المفوَّهْ[1]
بالأديب الذي يساقي النّدامى ... من أغاريده الشرابَ المفوَّهْ[2]

---

(١) أهلي.

(*) مساء أول تشرين الأول سنة ١٩٥٨، أقام منتدى سكينة في دمشق حفلة استقبال، تكريماً للشاعر الأمير صقر بن سلطان ـ القاسمي ـ حاكم الشارقة وتوابعها ـ بعد أن مر على القاهرة وقابل جمال عبد الناصر

(١) المُفوَّه: القوّال.

(٢) الشراب المفوّه: المطيّب بالأفاويه.

بـالـفـتى الـقـاسـمـيِّ بـالـصـقـر إنْ حلَّقَ مَـنْ لـلنـسـور تـعـلـو عُـلُوَّهْ
حطَّ في المـنـتـدى فـأشرع لـلـنـور الالهـيِّ ألـف بـاب وكُـوَّهْ
أوَ لم يـبـسطِ الجـنـاحَـينِ مـن مـطلع شـمس الهـدى ومـهـد الـنـبـوَّهْ
أوَ مـا صـافـح «الجـمال» وحـيّـا «نـاصر» المجـد والعـلا والـفـتـوَّهْ
بَـطَلَ الحـرب والـسـلام الـذي ـ يـرفُـلُ بـالـبُردتـين لـطفٍ وقـوَّهْ
عـفّـر الـظالمـين في الـتُّرب وانتـاش المظاليمَ من قـرارَةِ هُـوَّهْ[1]
جَمـع الشمـلَ بـعـد طـول شتـاتٍ فـالتقينـا عـلى صـعـيـد الأخـوَّهْ
رَبِّيَ انصرْ صـديـقـه وصـديـقَ الـعُـرب واسـحـقْ عـدوَّهـمْ وعـدوَّهْ

٥٩٧ - يريكم إبائي(*)

[من الطويل]

خـليـليَّ كـفـا عـن عـزائي فـانـني جميلٌ بحمـد الله صـبري عـلى البلوى
ولا تخشيـا عـدوى الشقـا في عيـادتي (ففينيكُ) زهدي خـير واق من العدوى
يـريكم إبـائي أن «رُتْشِلْدَ» والـدي ومـا ملكت كفّـاي من مـالـه شروى
وأبـدي وفـائي قبـل صنـع جميلكم كـأنَّ وفـائـي في محبـتكـم رشـوى

٥٩٨ - المن والسلوى

[من الطويل]

ولي كـبـدٌ تهـوى ونـفس كـبـيرة فـلا تعجبـوا مني إذا بـتُّ لا أهـوَى
أضـلَّ حبيـبي «الـتيـهُ» لمـا لـثمـتـهُ وأشبعني «مَنّـاً» فـأشبعتُـه «سلوَى»

---

(١) انتاش: تناول واستخرج.

(*) نظمها في «الريو دى جنيرو» سنة ١٩١٤ وقد مرض وقل عائدوه.

٥٩٩ - نزّهْ جميلك (*)

[من الكامل]

نـزّه جميـلَك عـن قـبيـح المنِّ إن ... حـاولـتَ في رتب الـكـرام ِ سُمُـوًّا
كـم حـوّل المَنُّ الجميـلَ إهـانـةً ... والحـمـدَ ذمًّـا والـصَّـديـق عَـدُوًّا

٦٠٠ - قلب المحب

[من الكامل]

قـالـوا اغتربْ فلعـلَّ قلبَك بـالنـوى ... يـسلو، كـأنَّ نـعيـمَـه بسُـلُوِّهِ
إن كـان يـطلب في نـواهـا راحـةً ... مـا الـفـرق بـين حبيبـهِ وعـدوِّهِ
مـا ضـاق قـلبي بـالحبيب وإنمـا ... قـلب المحب يـضيـق عـنـد خـلوِّهِ

* * *

٦٠١ - رأيت الشباب

[من المتقارب]

رأيـت الشبـاب يحبُّ الـضجيـج ... إذا مـا أحـبَّ الـشيـوخُ الهـدوّ
ولـيس الـرَّبيـعُ ولـيـدَ اعتـدال ِ- ... الـفصـول ِ ولـكـن ولـيـدَ الـغُـلُوّ
فـهبُّـوا إلى المـجـد إن الخـمـولَ ... ركـودُ القُـوَى والـطموحَ الـطمُـوّ (١)
ولا تحـفِـلُوا بـفـحيـح ِ أفـاعي - ... الجُـحُـورِ وأنـتم نُـسـورُ الـسُّمُـوّ
فـانَّ الـعـدى دَرَجـاتُ الـعُـلَى ... صـعِـدْتُ عـليـهـا عـدوّاً عَـدُوّ

* * *

(*) القطعة رقم ١٧ من مجموعة «موجات قصيرة»
(١) الطموُّ: العُلُوُّ والارتفاع

٦٠٢ - بربك(*)

[من الوافر]

بـربِّـك لا تَـلُمْ يـا عـقـل طـفـلاً صـغـيـراً كـالـمـلاك عـليَّ ألْـوى

فـما في الحـبّ كـالـتَّبـغ احتـكـارٌ ولا مـثـل الجـمارك فـيـه رشـوى

وقـبلك في الهـوى كـم حـارَ عـقـلٌ فـدعْ عنـك المـلام بـدون جـدْوى

٦٠٣ - سر على الأنصل

[من الخفيف]

مــا أرجِّي مــن الــعــدى وحـبـيـبي   مــنــكــرٌ أبــرزَ المـنــاقــب فِــيًّــا
قــبــلَ أن تــلفظَ الهــديــةَ كــفٌّ   يــلفظُ الــبــحــرُ دُرَّهُ مــن فِــيًّــا
مسلفاً صاحبي من الشكــر أضعاف ـ نــوال ســحَــبــتُ مــنــه يــدَيًّــا
ليسَ بــدعــاً أن تَكْــبُرَ اليــدُ عنــدي   ولهــا مجِــهَــران مــن أصــغَــرَيًّــا
جَــرَحَ الكــبريــاءَ زهــدي بــدُنياهــا ـ كــأني أتــيــتُ أمــراً فَــريًّــا
لم تجــدني كــما تمــنّــت دنــيّــا   فــتشــفَّــت بــأن دعــتــني دنــيًّــا
والــذي رام بــالــعــطيــة إذلالــك ـ يَــنــكــيــه أن يــراك أبــيًّــا
شــكَّ في الصــالحــين من لم يجــرِّبْ   مــن دُعــاة الإصــلاح إلا الــدَعِــيًّــا
لا يُبــالي سحــابــةَ الــظنِّ مــن أطلعَ ـ لــلمــبصريــنَ فــجــراً ســنــيًّــا

(*) جرى في منزل وديع عبد المسيح تعارف بين الشاعرين القروي وعقل الجر ثم راح القروي يطرب الحضور بنغمات عوده وأناشيده، فمالت اليه طفلة عبد المسيح، فجرت مساجلة شعرية بين شاعرين. قال عقل مخاطباً الصغيرة:

رأيــتُــك طــفــلةً فــغــرســتُ حــبــي   بهــذا الــقــلب كــي تقــوَيْ فَــيَــقْــوَى
فــما لــك إن شــدا الــقــروي صــوتــاً   همــمــت عــلــيــه أن تهــوى فــيــهــوَى
كــذا تــتــحــولــين وأنــت طــفــلٌ   فــمــن أنّــبــاك أنــك بــنــت حــوًّا

فارتجل القروي الأبيات المذكورة أعلاه:

يحجُبُ الغيمُ حاجب الشمس لكن   لن يُعيد النهار ليلاً دجيًّ[١]
سِرْ على الأنصُل الحِداد وحاذرْ   شوكةً تنخسُ الضمير الحَيَّا
فلَوِ الأرضُ فحمةٌ لم تُلَوَّثْ   لَك يومَ الحساب طرساً نقيًّا

٦٠٤ - يا أخي ميشال(*)

[من الخفيف]

يا كريماً أحيَت به العصبة الغراءُ - عهداً للشعرِ أندَلُسيًّا
فقدَ الشعرُ مذ فُقِدتَ أميراً   عربيَّ النجارِ غسّانيًّا
في «البرازيل» ألفُ ألفِ غنيٍّ   لم نجدْ بينهم سواكَ غنيًّا
وأعزُّ الأشياءِ أن يجدَ الاحسانُ - أهلاً والمحسنونَ وفيًّا
«الأزاهيرُ» قبلَ موتِ أبيها   بكَ تبكي أباً وتبكي وصيًّا
لطمَت خدَّها وصبّغتِ الثوبَ   وكانت لعُرسها تتهيًّا
حسدَت في جِنانِ «فرسيل» عوداً   يابساً عاد من نداك نديًّا[١]
وتعهّدْتَهُ بدمعةِ إشفاق - أعادَت ربيعَهُ أبديًّا
ردَّتِ السافياتُ أوراقه الصُفرَ - عليهِ مطارفاً وحُليًّا
يا لَعودٍ نفختَ فيه فأمسى   جنةً في ظلالها تتفيًّا
رقرق الخندريسَ في كأس غيري   واسقني سلسبيلَك الأدبيًّا[٢]
أنا من يعشقُ المهذبَ والشاعرَ - والحُرَّ والفتى الأريحيًّا
وَلَوَ انَّ الأخلاقَ يعصمنَ من كيدِ - الأعادي عصمنَ قبلي نبيًّا
أيها الراكب البُراقَ إلى الخلد - هنيًّا لك الفرارُ هنيًّا
عُدتَ من ساحةِ البلاءِ وغادرْتَ - السعيدَ السعيدَ فيها شقيًّا
بالمطايا تدنو وتنأى المسافاتُ - فدع قولَكَ الثرى والثريًّا

---

(١) حاجب الشمس: شعاعها.

(*) هو ميشال معلوف رئيس العصبة الأندلسية

(١) اشارة إلى قصيدته الشهيرة: الخريف في جناين «فرسيل».

(٢) الخندريس من أسماء الخمر.

لستَ عني مهما بَعُدتَ بعيداً وخيالي يطوي السماواتِ طيًّا
المنايا تقسو على الناس طراً بَيدَ أن الحياةَ أقسى عليًّا
فرَّقَتني عنِ الأحبةِ حتى لا أرى بعدُ فُرقةَ الموتِ شَيًّا
ربما ألتقي أخي المتوَفَّى قبلما ألتقي أخايَ الحيًّا

* * *

٦٠٥ ـ يا لثوب(*)

[من الخفيف]

يا لثوبٍ عليّ يلبَسُ ثوبا ليتني أستريح من ثوبيًّا
جرِّديني يا رحمةَ الموت منّي واطرحي منكبَيَّ عن منكِبَيًّا

٦٠٦ ـ قلت يوماً(**)

[من الخفيف]

قلتُ يوماً لزهرةٍ تفضحُ الوردَ ـ قِواماً ومبسِماً ومُحيّا
ما لِكلٍّ الأزهارِ دونَكِ يملأنَ ـ الرُّبى والوهادَ عَرْفاً ذكيا
فأجابت فقَدتُ عِطري لأني كنتُ في سالفِ الحياةِ بَغيّا

٦٠٧ ـ إهداء الأعاصير(***)

[من الخفيف]

يا رفاتاً تحتَ الرمالِ دَفيناً مُبعَداً عاطلَ الرموسِ نَسيًّا
لكَ أُهدي هذا الكتابَ لأني لم أجدْ في البلادِ غيرَكَ حيًّا

(*) القطعة رقم ١٠٤ من مجموعة «موجات قصيرة».
(**) القطعة رقم ٥٥ من مجموعة «موجات قصيرة».
(***) البيتان اللذان صدّر بهما ديوانه الأعاصير في الطبعتين الماضيتين

٦٠٨ - الشبيبة العربية(*)

[من الخفيف]

«اتحادُ الشبيبةِ العَربيّة» أيمنُ اسم تدعى به جمعيّة
يجمع الناطقين بالضادِ حزباً واحداً قاضياً على الحزبيّة
بدَّدت شملَنا منازعُ شتّى بين دينيّةٍ وإقليميّة
فانضَوَينا تحتَ اللواءِ الذي يجعل منا سبيكَةً قوميّة
ويردُّ القلوبَ قلباً كبيراً خافقاً بالمحبّةِ الوطنيّة

٦٠٩ - غسل القلب

[من الرمل]

ربِّ كن لي مرشداً واسهرْ علَيّ واسكبِ الحقَّ ندىً من شفتَيْ
وامتحن قلبي وذكّرني بهِ كلما أغسلُ وجهي ويَدَيْ

* * *

٦١٠ - رد على دعوة وجّهت للشاعر

[من الرمل]

دعوةٌ أصدق من صادقةٍ من أخٍ في الحب أوفى من وَفِيْ
إن أراد اللهُ لي لبَّيْتُها بجزيل الشكر من قلبي وَفِيْ

(*) تألفت في «صنبول» سنة ١٩٣٤ جمعية اسمها «اتحاد الشبيبة العربية».

٦١١ ـ أَفُضُولٌ(*)

[من الرمل]

أفضولٌ يا تُرى أم غَيْرةٌ أوقرت ظهري وهدَّت مَنكِبَيّا
أَنَحَلتْ عِلّةُ غيري جسدي وأسالت كبِدي من مُقْلَتَيّا
يا بني أمّيَ هل كلّفتُكم حملَ عِبءٍ لم يهشّمْ ساعديّا
طالما سابقَ عُسري يُسرَكم حينَ لا أملِك إلا أصغريّا
إن وهبتمْ فضلَ مال فأنا نازفٌ ما في عروقي ويَديّا
ولكم باذلِ فلسٍ يدعي أنه لولاي لا يبذل شيّا
أنا راضٍ حاسبٌ كلَّ يدٍ تنفعُ الأمّةَ مُسداةً إلَيّا
سايروني واخدُموا أوطانَكم واحسبُوا المِنّةَ يا قومي عَلَيّا

٦١٢ ـ عيد الأضحى

[من الرمل]

ليس للاسلام أو للعيسويّهْ ما بهذا العيدِ للدينِ مزيّهْ
نحن والإسلامُ في الأضحى سواءٌ قد تقاسمنا الضحايا بالسويّهْ
«محمصانيَّتُكم» ترثي أخاها مثلما تبكي أخاها «الخازنيّهْ»
عدّلوا المعنى قليلاً يلتئِمْ شملُنا تحت لواءِ العربيّهْ
ما أضاحي عَرَفات ومِنىً بل ضحايا الشامِ بالمجد غنيّهْ
ليس من ضحّى بِكَبْشَيْ غنم مثلَ من ضحّى بنفس بشريّهْ
أين من أدّى زكاةً من فتىً جاد للأمّة بالروح الزكيّهْ

(ه) تأسست «كتلة الدفاع الوطني» في «صنبول» سنة ١٩٣٠ فارضة عشرة غروش برازيلية على كل مهاجر عربي في سبيل استقلال سوريا. فجال ينشىء الفروع متوسلاً ببيع بعض السلع للقيام بنفقاته الخاصة. وكان في نيته أن يسيح في سائر الأقطار الأميركية لهذه الغاية لو لم يضطره انهيار صحته إلى القفول.

إن (بالعظمة) أعلى مثل ... للفدى تنشده النفسُ الأبيّهْ
ودَعَ الغوطة يبغي جنّةً ... غيرها تحت ظلال المشرفيّهْ
والتقى النارَ طروباً للردى ... طرب اللاقي على العُدْمِ لقيّهْ
نكّسَ الجاني عليه سيفَه ... مُكبِراً في مصرع الحرِّ الرزيّهْ
يا مُعيداً مجدَنا الضائعَ نم ... مستريحاً في ظلال الأبديّهْ
رحمةُ الله على كل فتى ... عربيٍّ راح للعُرب ضحيّهْ
وليُعَدْ فينا وفي أعقابنا ... عيد إيمانٍ بدين الوطنيّهْ

٦١٣ - التوبة

[من الطويل]

أطاعَكِ قلبي بعد أن كان عاصيا ... فأجريتُ من دمعِ المحاجرِ «عاصيا»
وتُبتُ إلى الرحمنِ فيكِ لأنني ... حسبتُ ثواني الصبر عنكِ معاصيا
وثقتُ بأني في غرامكِ خالد ... فلستُ أبالي ما مضى من شبابيا
وفزتُ بجنّاتٍ ضلوعي مكانُها ... فلستُ أبالي أين كان مكانيا
لقد رشقَت عيناكِ قلبي بأسهم ... وأشكر ربي أنهُ ما وقانيا
كأنكِ منها ترشقين فسائلاً ... إذا انغرسَت في القلبِ تنمو أمانيا[1]
عِديني بتعذيبٍ أشدَّ من الردى ... فليس هلاكي في غرامكِ وافيا
وهل تحسبين الموت فيكِ ضحيةً ... وموتيَ أشهى في الهوى من بقائيا
بكيتُ على قوم تطولُ حياتهم ... فيا رَبِّ لا تجعل عليَّ بكائيا
ووارحمتا للسالمين من الهوى ... ألا فانظموا للسالمين المراثيا

(١) جمع فسيلة وهي النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغرس.

٦١٤ - راجي(*)

[من الطويل]

خليليَّ كم غالت يدُ البينِ صاحبا عزيزاً بكيناهُ الدموعَ الغواليا
فلمّا قضى راجي دَهشنا كأنما حسبنا جميعَ الناسِ إلاَّهُ فانيا
نغالطُ في ما صرَّح البرقُ أعيناً صِحاحاً تمنَّينَ العمى لا التعاميا
فتىً كان مرجوّاً لكلِ مُلمّةٍ وما كان إلا رحمةَ الله راجيا
وكان إذا عُدَّت أولو الفضل أولاً وهيهات أن يَلقى له الفضلُ ثانيا
إذا حلَّ ضيفاً حبّهُ الشيخُ والفتى ودبَّ إليه الطفلُ في المهدِ حابيا
لطيفٌ إذا ما هبَّ في الفجر قائماً تخِّمنهُ يمشي على الأرض حافيا
تقيءُ متى تغشى محيّاهُ موجةً من النور قل راجي يصلِّي مناجيا
جَوادُ يريك العسر يسراً كأنما تفيض الغوادي من يديه أياديا
يطأطىءُ إن لم يوفِكَ العُشر عَشرةً لك الرأسَ، كالجاني يواجِهُ قاضيا
وهل مثل راجي إن جلستُ بقربه ذكرت الصِبا أيامه والليالیا
ومدرستي ألعابَها وفروضَها و«بربارتي» أحراجَها والشواطيا
إذا قلت (نبع البرج)و(المغر)و(الوطا) أجاب و(معرايا) و(حِرقى) مُتاليا[1]
فتصعَد آهاتي وآهاتُه معاً كأنَّ بأحناءِ الضلوعِ مثانيا
فيا من قضى لم يلقَ حوليه باكياً ولا جاثياً عند الحفيرة حاثيا
سأبكيك في قلبي إذا كنتُ ضاحكاً وأبكيكَ من قلبي إذا كنتُ باكيا
وأشكوك ما بي من حنين ووَحشةٍ لفَقدك حتى يُذهبَ الموتُ ما بيا

(*) رثى بها صديقه ورفيقه وابن قريته راجي بربارى الذي توفاه الله بغتة بعيداً عن أهله في احدى مدن ولاية «اسبيرتو. سنطو» النائية سنة ١٩٤٦

(١) أسماء مواضع على شاطئ البربارة.

٦١٥ ـ من تل «كاشبمو» إلى جبل صنين(*)

[من الطويل]

علـى تـلِّ كَـاشَمْبُـو وقفتُ منـاجيـاً ... بلبنـانَ طـوداً شـامخَ الـرأس عـاليـا
يـذكـرني «صنـينَ» والـذكـرُ نسبـةٌ ... فـان شمتَ مصباحـاً ذكرتَ الـدراريـا
أرانيَ في لـبـنـانَ مـا زلـتُ ثـاويـا ... فـما لي بكَـاشَـمْـبـو أرانيَ ثـاويـا
وأحـسـب أني بـين أمـي وإخـوتي ... فلم أدر لـولا الشـوق أنْ بِتَّ نـائيـا
رعـى الله أيـامـاً هنـاك طـويتُـهـا ... ومـا كـان غـير الحب يشغـل بـاليـا
غـداة الهوى العـذري هـدهـد مهجتي ... ففجّـر ينبـوعـاً من الشعـر صـافيـا
قـصـائـد ذاب الـلفظ فـيـهـن رقـة ... وسـال عـلى تلك الـطروس معـانيـا
يقـولـون إنَّ السعـدَ يخدم سـاعيـاً ... ولم أشق إلاَّ بعـد مـا صرت سـاعيـا
إذا مـا الأمـاني كـان يـأسـاً ختـامهـا ... فـأشهى الأمـاني أن تـظلَّ أمَـانيـا

* * *

٦١٦ ـ اذا عَطَفَتْ

[من الطويل]

رعى الله عهـداً كنتُ للغيـدِ فتنـةً ... إذا سـرتُ في الفتيـانِ سِـرنَ ورايـا
فـبِتُّ ومـالي في هـواهـنَّ مـطمـعٌ ... وإن كـان عنـدي للشبـابِ بقـايـا
إذا عَـطَفَـت ليـلى عـليَّ ببسـمَـة ... تـلَفَّـتُّ خـوفـاً أنّها لِـسـوايـا

* * *

(*) إحدى زياراته إلى مدينة «كاشمبو» سنة ١٩١٤.

٦١٧ - شكيب (*)

[من الطويل]

«التاريخ الهجري»

هـذا ابنُ «عبدك» يـا لطيفُ ازْبـأ بـهِ ... في الحَقِّ عن غَـيٍّ الـبيـان وعِيِّـهِ
وَحِّـدْ بـه الإسـلامَ غـيرَ مميِّـز ... شـيعيِّـه في الحُبِّ عـن سنِّيِّـه
وانفـعْ بـه وطنَ الجـدودِ مقـرِّبـاً ... مـا بـين مـسـلمـه ونـصرانـيِّـهِ
سـمَّيتـهُ بـاسمِ الأمـيرِ تـيمُّـنـاً ... فـارزقه بـاهـر علمـه ورقيِّـهِ[1]
حَـقِّـقْ لـكـلِّ مـؤرِّخ فـألي بـه ... لـيعيش لـلأوطـان مثـل سـميِّـهِ

١٢١ ٧ ٤٢٠ ١٢٧ ٥٧٠ ١١٥

١٣٦٠

٦١٨ - إنّ الصديق(**)

[من مجزوء الكامل]

إنّ الـصـديـق لـيـشـبـه الـسَّـ ... ـيفَ المـجـرّد في يـديّـا
ألـقـى بـه نُـوَب الـزّمـانِ - ... إذا عَـدَتْ يـومـاً علـيّـا
والخـير أن أُغْـنى عـن اسـ - ... ـتـعـمالـه مـا دمـت حَـيًّـا

٦١٩ - ما ضاع

[من مجزوء الكامل]

لمـيـاءُ يـا زهـر الـربـيـ ... ـعِ ويـا نـديـمُ ويـا حُمـيّـا
مـا ضـاع مـن يـديَ الـشـبـابُ - ... وقـد وجـدتـكِ في يـدَيّـا

(*) رزق صديقه عبد اللطيف الخشن غلاما أسماه شكيباً فبعث إليه بتاريخين هجري وميلادي وأبيات التاريخ الميلادي من السريع روي الميم الساكن تراجع في مكانها وهنا أبيات التاريخ الهجري.

(١) الأمير شكيب أرسلان.

(**) القطعة رقم ١٣ من مجموعة «موجات قصيرة».

٦٢٠ - لهفي(*)

[من مجزوء الكامل]

لهفي على غصن الشباب الرَّيِّق الغضِّ النديِّ
أسفي على ذاك المحيا الطَّلقِ والخُلُقِ الرضيِّ
آهٍ على الحملِ الوديعِ الطاهرِ القلبِ النقيِّ
وعلى الأخ البرِّ المهذبِ والأديبِ اللوْذَعِيِّ[1]
ناح الربيعُ على ربيعِ صباك بالدمعِ السخيِّ
ورثاك بالعبرات كل أخ أديب عبقريِّ
ما زلت تعتنق البراعةَ في الغداةِ وفي العشيِّ
حتى انتهى السهر الطويلُ وفزت بالنومِ الهنيِّ
فانعم بطيب الوصل مع «ميشالَ» في الوطنِ القصيِّ[2]
وترنَّما طرباً بآيات «النبيِّ» مع النبيِّ[3]

٦٢١ - اللذة الكبرى(**)

[من مجزوء الكامل]

اللّذة الكبرى مشاعٌ - للسعيد وللشقيِّ
أما الحبورُ فإنَّه وَقْفٌ على القلبِ النَّقِيِّ

٦٢٢ - غنى البخيل حلم بالغني

[من المتقارب]

بدا ليَ في الحلم أني غنيٌّ ولكن بخيلٌ فكنت الغنيّا
وكم معدَمٍ ليس يملِكُ شيئاً حكى موسِراً ليس يُنفق شيّا
إذا كنت أملِكُ دون القليل وليس عليَّ فماذا عليّا؟!.

* * *

(*) ارتجلها في مأتم يوسف البعيني صديقه ورفيقه في العصبة الأندلسية سنة ١٩٤٩

(١) اللوذعي: الذكيّ الظريف.

(٢) ميشال معلوف رئيس العصبة الأندلسية ومؤسسها.

(٣) أحد تآليف جبران خليل جبران.

(**) القطعة رقم ٢٧ من مجموعة «موجات قصيرة».

٦٢٣ - في حدائق «كشامبو»(*)

[من المجتث]

لما رأيت رفاقي يغازلون الصَّبايا
جلست وحدي حزينا أبكي زمان صِبايا
أيامَ كنت مليكاً وكُنَّ هنَّ الرعايا
يَحُمْنَ كالنحل حولي ويلتمسنَ رضايا
وما كبرت ولكن أبلت شبابي البلايا
ليت المشيب دهاني وما دهتني الرزايا

* * *

سعيتُ أطلب رزقي على طريق المنايا
فضاع بالسعي عمري وما بلغت مُنايا
يا عود لولا التسلي ما لامستك يدايا
ولا لَصِقْتَ بصدري ولا سمعتَ غنايا
حتى يمرَّ زمانٌ تروج فيه الدنايا
الحرُّ فيهِ فقيرٌ والمومساتُ غنايا

٦٢٤ - كأنّي

[من الوافر]

إلهي قد برِئتُ اليك ممّن غسلت اليومَ من دمهِ يدَيّا
أحاول بُرءَهُ بالصفحِ عنه فيقتل نفسه حقداً عَلَيّا
كأني قد أسأت إليه لما صبرتُ على إساءَته إليّا

(*) كان منفرداً على مقعد في احدى حدائق ذلك المصيف المشهور، والفتيان والفتيات يمرون به أزواجاً يتغازلون، وبائعات الحب يتخطرن بالحلل الفاخرة والحلى النفيسة.

٦٢٥ ـ حلم عبقري(*)

[من الوافر]

رأى أبَـواكِ حُـلماً عـبـقريّـاً غـريـبَ الحسـنِ رفّـافـاً سـنـيّـا
فـلم يُمْـهِـلْهُـما الـرحمـانُ حـتى أعـادَ (رفـيـفَـه) بَـشَـراً سـوِيّـا

٦٢٦ ـ لقد أنست(**)

[من الوافر]

لـقـد أنسَـتْ بـكِ الموتى وطـابت بـريّـاكِ المـقـابـرُ يـا «زكـيّـهْ»
ووالـدُكِ الحـزيـنُ عـلـيك يـبكي نـجيعـاً في الـغـداةِ وفي الـعـشيّـهْ
تـكـاد لنَـوحـهِ الـديـدانُ تـرثي ويُـسـلمُـكِ الـترابُ إلـيـه حيّـهْ
سَـتَـرحَمُـه وتـرحَمـكِ الـلـيـالي وتـأتـيـكِ الحـيـاةُ مـن المـنـيّـهْ
أيـقـسـو اللهُ والحشراتُ نـاحـت عـلى شيـخ يـنـوحُ عـلى صبيّـهْ

٦٢٧ ـ ولو سالت(***)

[من الوافر]

ولـو سـالـت جبـال الأرض تـبـراً عـلى كـفّيْ فـقـير الـعـبـقـريّـه
وراح المـدّعـي المـغـرور يشري ضـمائـرَ كُـلّ كُـتّـاب الـبـريّـهْ
لـشـالت كِـفّـةُ الـدعـوى ومـالت رفـيقـتُـهـا بـدرهـمٍ عـبـقـريّـهْ

٦٢٨ ـ أحمد حامد(*)

[من الوافر]

ختـمـنـا الـعـامَ محـفـوفـاً بنصرٍ عـلى رمـضـانـه صلّى الـنـبـيُّ
فـكـلُّ فـتىً بـحـمـدِ اللهِ يـدعـو «وأحمـدُ حـامـدٍ «ألـشَّـرْبَـتِيُّ»

(*) وقع بها دفتر (رفيف) طفلة صديقه الشاعر عمر أبي ريشة سنة ١٩٥٠

(**) على ضريح «زكية» كريمة صديقه نخلة جبران.

(***) القطعة رقم ٥٦ من مجموعة «موجات قصيرة».

روي الألف اللينة

٦٢٩ - ابتهال

[من السريع]

سبحانَكَ اللهمّ سبحانك اللهُمَّ - يا ربَّ اللُّها والنهى
عمّ لك التسبيحُ يا ربنا فكلُّ ما في الكون طير شدا
يا قابلَ التوبِ ويا غافرَ الذنبِ - ومؤتي عبدِهِ ما اشتهى
من جنةِ الخلد التي أزْلَفَتْ لكل مَنْ عمّا نهيتَ انتهى
ولم يخالفْ لك أمراً ولا نال أمراً في الأرضِ منه أذى
رباه رضوانَكَ أرجو وأنْ أكونَ من أهل التُقى والنَقا
من لي بأن تسريَ بي حيثُ لمْ يَبْلُغْهُ الا عبدُك المصطفى
في وامضٍ أجرى من النورِ لا بُعْدَ به بين الثرى والسما
بينا أنا في سُرّة المبتدا اذا أنا في سِدْرةِ المنتهى
أسأل نفسي كيفَ صِرنا هنا أهذه الخلدُ؟ أهذا أنا؟
لم يظلمِ الرحمنُ نفساً ولا كلّفها أكثرَ من وُسْعِها
يُثيبها أضعافَ إحسانِها ما ضاعَ سعيٌ عندَ ربي سُدى

(*) رد على بطاقة معايدة من صديقه أحمد حامد الشربتي سنة ١٩٧٣

٦٣٠ - الأب السماوي(*)

[من البسيط]

علّقتُ فوقَ سريري رسمَ والدتي   تعويذةً ليَ من أشباح أتراحي
فان تبدَّى على بلُّورهِ غَبشٌ   كما يغشّي دخانٌ وجهَ مِصباحِ
وكّلتُ أطرافَ مِنديلي به فَجَلاَ   وشفَّ عن باسمٍ كالفجرِ وضّاحِ
ورُحتُ أغمض أجفاني وأفتحُها   على رضى الأمِّ أمسائي وأصباحي

* * *

ربّي لوجهكَ رسمٌ كدت أنكرهُ   مما تلَبّدَ في قلبي من السُحُبِ
معلّقٌ بين أضلاع مهدَّمةٍ   مثل الثريّا بسقفِ المنزل الخربِ
أجلوهُ من خارجٍ والشرُّ يحجبه   من داخلٍ بضباب الشك والرِّيَبِ
فامسحْ ضميري بمنديل الصلاحِ لكي   أرى وراءَ شُغافِ القلبِ رسمَ أبي.

٦٣١ - بين البشر والبقر(**)

[من البسيط]

طوباكِ سارحةً في القفرِ طوباكِ   إن كنتُ أحسدُ مخلوقاً فإياكِ

* * *

(*) صنبول سنة ١٩٣٠

(**) نظم هذه القصيدة في احدى جولاته التجارية في البرازيل، والقطار يشق به السهول الواسعة الممتدة بين ثغر «ريوغرندى دوسول» ومدينة «باجه»، وقد انتشرت السائمة ترعى، وهو يرعاها ببصره وبصيرته ذهاباً واياباً. ثم ركب البحر عائداً إلى «صنبول»، فهاج نوء عظيم حتى أشرفت السفينة على الغرق، وخاف الناس خوفاً شديداً. اما هو فكان أكبر همه ان يجد وسيلة ينقذ بها قصيدته ولو هلك.

الــزُهــر مِــثـلُكِ في الآفــاق تــنـتشرُ   تغشى مــروجَ العـلى والليــلُ معتكــرُ
تــاللهِ كـم يـتـمـنّى عـيشَــكِ الــبَشرُ   مــاذا تخــافــينَ في البيــداءِ يــا بقــرُ
إن كـنتِ تخـشِــيـن من أنـيــاب فتّـاكِ   طـوباك فـالجلدُ غير العـرضِ طـوبـاكِ

* * *

ســيري اهْوينـا معاً في السهـلِ والجبلِ   الـرزقُ حـولـكِ مـوفـورٌ فـلا تسـلي
يـا ليت لي في صحارى الجـد والعمـلِ   بعـض الـذي لك ميسـوراً على مَهـلِ
إن كنتِ تشكــين من صخـرٍ وأشــواكِ   طـوبـاك فـالقفـرُ غـيرُ الفقـرِ طـوبـاكِ!

* * *

طـوبـاك في الصيفِ والـرمضـاءُ تتّقِــدُ   والحَــرُّ مـنــه يــذوبُ الجِلْدُ والجَــلَدُ
هـذا اللهيب الذي يُشـوى بـه الجسـدُ   أشــدُّ منــه عــلى أكبــادِنــا الحَسَــدُ
إن كـــان منه الــذي ســوَّاكِ نجّــاكِ   طـوباكِ في لفحـةِ الـرمضـاءِ طـوبـاكِ!

* * *

تشكـين فصلَ الشتـاءِ البـاردِ القـاسي؟   مــاذا أقــولُ أنــا في عِشـرةِ النــاسِ ؟
نـامي على الثلج نـامي ليسَ من بـاسِ   فــالـثـلجُ غــيرُ فـؤادٍ دونَ إحســاس
وإن تكن هــاطــلاتُ الغيثِ تغشــاكِ   طـوباكِ فـالقطرُ غـيُر الدمـعِ طوبـاكِ!

* * *

طـوبـاكِ في مــربـعِ الحــريـةِ الخصبِ   بــين الأزاهــر والأمــواهِ والـعُـشــبِ
لـو تعلمـين عن الافــرنـجِ والعَــرَب   ومــا يــلاقيــهِ في الأوطــانِ كــلُّ أبي
مــا كنت تخشَـين من سكــينِ سفَّــاكِ   طـوباكِ فـالموتُ غـير الـذُل طـوبـاكِ!

٦٣٢ - أجراس العيد

[من البسيط]

أجراس «نُويُرْكَ» من أعلى معابدها ... تدعو البرايا إلى تسبيح باريها

لكنْ وددت لَوَ اني كنت سامعة ... طيراً صغيراً يغني في ضواحيها

ومن ثرياتها الأنوار ساطعة ... بكل لون بديع فاتن البصر

لكنني أتمنى لو بدلت بها ... شعاعة من ضياء الشمس والقمرِ

وكم أضاميم ورد في هياكلها ... غضت خشوعاً ونامت في أوانيها

لكنني أشتهيها في منابتها ... تعطِّر الجوَّ من أعلى روابيها

أهوى الكنيسة بالأجراس هاتفة ... في العيد تهدي تحاياها لمولاها

لكنْ تحية رب العيد أجمل في ... عيني وسمعي وروحي من تحاياها

٦٣٣ - أقصى التجلد(*)

[من البسيط]

أقصى التجلُّدِ أنَّ العقلَ منهزمُ ... وأهونُ الخطبِ أن الدمعَ فيك دمُ

فكل عينٍ تريقُ الماءَ باخلةٌ ... وكل حرٍّ يطيقُ الصبرَ متّهمُ

قالوا: قضيتَ، فمادَ الكونُ من جزع ... يا لَلعجائبِ مما تصنَعُ الكلمُ

فالبرُّ من عصفِها أطوادُه قصَبٌ ... والبحرُ من قصفِها أغوارُهُ قِمَمُ

كأنما الأرضُ من وقعِ النَعيِّ بها ... سرى إلى قلبها من قبلك الألمُ

خطبٌ دها الشرقَ فاصطكّت مآذنه ... وكاد للحزنِ ركنُ البيتِ ينهدمُ

وما يكونُ مصابُ العُرب في ملك ... حلو الشمائل تبكي فقدَه العجَمُ؟!

أجل! لقد مات فيصل! لقد أُغمدَ السيف، وتكسر النصل، وطاش السهم، ووهى الحبل، وغاض بحر الوفاء، وغاب بدر الرجاء.

(*) ألقاها في الحفلة التأبينية التي أحيتها الجالية العربية في «صنبول» للملك فيصل بن الحسين سنة ١٩٣٣

[من الخفيف]

عاهلُ المشرقَين أخلى سريرَهْ وقضى الكاملُ النقيُّ السريرهْ
نبأ زلزلَ المشارقَ حتى دكَّ صِنّينَها وفتَّ صخورَهْ
وطمت للنَعيِّ موجةُ حزنٍ لم تخلِّف جزيرةً في الجزيرهْ
جَمَر الساحلَين منها رَشَاشٌ سخِنَت منه كل عين قريرهْ
أيها الآسرُ القلوبَ ومن عاش - لإطلاقِ كل نفسٍ أسيرهْ
أكبرَ الكلُّ رزءَنا فيكَ يا فيصلُ - حتى تلك النفوسُ الصغيرهْ

فلقد كنتَ بطَلَ الأمةِ المجرَّب، وقائدَها المدرَّب، وسيفها المذرَّب، وكنت الملكَ العظيمَ، بل الملكَ الكريم، وكنت الطودَ المنيع، والحملَ الوديع، وكنت مفخرة المخلصين، ومخزاة المنافقين، ومسحقةَ المتكبرين، وكنت، وأنت من صميم قريش، ومن صُلب سيد المرسلين، رمزاً للتسامح الإسلامي العظيم، وشاهداً عدلاً يُخرس ألسنةَ المرجفين.

[من الطويل]

وكنت بآفاقِ العروبةِ كوكبا وكنت بكف الحق سيفا مجرَّدا
وكنتَ لأحشاءِ الخيانةِ صعدةً وكنتَ لأجفانِ الأمانةِ مِروداً[1]
أشدَّ من الليثِ الهَصورِ على طَوىً وأشهى من الماءِ النميرِ على صدى

فلئن نَبْكِكَ فانما نبكي رجل الساعة، وبطل الساحة، ومعقد الآمال، ومحطَّ الرحال، وصائب الداءِ، وصاحب الدواءِ، فما عسانا أن نقولَ في رثائك؟

[من الخفيف]

لن يَفِيكَ الرثاءُ يا سيدَ العربِ ويا سِبطَ سيد المرسلينا
وَلَو انَّ السحابَ كان دموعا وَلَوَ ان النجومَ كُنَّ عيونا
يا حجيجاً يطوي إلى الكعبةِ - البطحاءَ طيّاً ويستحثُّ الظعونا

---

(١) الصعدة: الفتاة المستوية. والمرود: ما يكتحل به.

كن جليداً على الشدائد واسمعْ نبأ رنَّ في الحجاز رنينا
وَطَإِ الرمل عند مكّة وطئاً كانطباقِ الجفون رفقا ولينا
ليس هذا رملَ الحجازِ ولكن هو قلبُ الحجاز أمسى طحينا

ولقد غادرتَنا يا فيصل أحوجَ ما نكونُ إليك، وأحوج ما تكون إلى الراحة. لقد رسمتَ الطريق، ومهدت العقبات، وسقطت على عتبة هيكل النصر شهيداً شريفاً. فنم أيها البطل الخالد ملء عينيك. وليهنئك النوم.

[من البسيط]

يهنِئْكَ لم ترَ عيناكَ الذي فَعَلَت ذاتُ الأساطيلِ من أهوالها فينا
قد أهلكَتنا على أردنِّنا ظمأ وأوردتَنا المنايا من موانينا
أجرَت مراكبَها مشحونةً قذراً وأفرغَتْها يهوداً في فلسطينا
قد أنزلَتهم بوادينا على سعة وشرَّدَتْنا حيارى في بَوادينا
وأكبَرُ النائباتِ السودِ نائبةٌ أحبابنا شاركوا فيها أعادينا[1]
لم يكف لبنانَ ما كادوا له فغدا وهو اللّبنانُ مقسوماً لَبانينا
حتى أبيحَ لشُذَّاذِ الورى وطناً وأهلُهُ عنه منفيون نازحونا
يا سيدَ الدين هل يدعى معلمكم عيسى ابن مريمَ أم موسى وهارونا
لقد رجِمتَ ثعابين اليهودِ، ألا فارحم خرافَك واحسبهم ثعابينا
شعبٌ غزاه الطوى حيناً فمات به لم يشكُ ضيماً ولم يغزُ الطواحينا[2]
فلا تُبحْ أيها الراعي مساكنَهم وكن رحيماً إذا كانوا مساكينا
قال المسيحُ لنا حبوا أعاديَكم لكنه لم يقلْ حبوا الشياطينا
الدينُ قِبلَتُنا لكن تجارتكم بالدين تُكرهنا أن نكرهَ الدينا
أمَلتُمُ الرزق من أزرى الأنام يداً يا للمصيبة هل صرتم مجانينا
ماذا جنى القدس من لاوى وإخوته إلاَّ الشقاءَ وإلاَّ الذلَّ والهونا

(١) كثرت في ذلك العام تصاريح غبطة البطريرك عريضة بالعطف على اليهود وايوائهم والانتفاع برساميلهم ومعاملتهم بشريعة المسيح.
(٢) لم يكن العهد بالمجاعة التي أهلكت ربع مليون نسمة في لبنان بعيداً.

هَبْكُمْ أصبتم فـانّـا لا نـريـد غنيً   من اللصـوص المـرابـينَ المـرائينـا
واللهِ لـو داسَ في بـيروتَ أطـهـرُهم   لـسَمَـمـت قـدمـاه نبـعَ صِـنِّـينـا

أمـا أنتم يا معشرَ الأحـرار، فعـزاءً وسلوانـا، وحسبكم فخـارا أنكم تنضوون تحت لواء بطل عظيم، عاش شريفاً، ومات شريفاً، واتِّباع الأشراف شرفٌ للأتباع.

[من الخفيف]

إن يمتْ فيصـلٌ لقـد مـات حُـرَّاً   مـثـلَ آبـائـهِ الـكـرامِ الـعـزازِ
مـات في سـاحـة الجـهـادِ شريـفـاً   وأعـدَّ الـغـازي لـيـوم الـبرازِ
فـالأمـاني في تـربـةِ اليـأس روضٌ   والـتهـاني تـسـير خـلف الـتـعـازي

* * *

٦٣٤ - البلبل الساكِت(*)

[من الخفيف]

تـائـهـاً في المسـاءِ يـطلُب مَـلْجَـا   والـغـيـومُ الـسـوداءُ تهطل ثـلجـا
هـجـرَ الحـقـلَ والـرُّبى والمَـرْجَـا   إنمـا المـرءُ في الـشـدائـد يُـرجى
حـينَ يُمسي روضُ الـطبـيـعـةِ قـفـرا

* * *

(*) هبت ذات ليلة بجوار منزله في بشمزين زوبعة عنيفة تركت بعض كروم الزيتون قاعاً صفصفاً، وأطارت إلى مسافة بعيدة «سقف بيت جديد منوطاً به أرجوحة فيها طفل رضيع. فذعرت العصافير وفرت كل مفر، ولجأ أحدها إلى داخل بيته فرحب به شقيقه وشقيقته الحدثان أي ترحيب ونثرا له العدس. ولما هدأ ثائر الطبيعة أرادهما على اطلاقه في حفلة وداعية مؤثرة اشتركوا فيها بالغناء له وغمره بالقبل.

بـلبـلُ الـروض والجَنـاحُ مُـبـلَّلْ   خـافتُ الصَّوت سـاكتٌ فتـأمَّـلْ!
نَـبَـذَتْـهُ ريـاضُـه فَـتَـعَـلَّلْ   بـحـنانـا عـن الـريـاض وأمَّـلْ
أن يـكـونَ الإنـسـانُ أهـونَ شـرًّا

* * *

ولـجَ الـبـيـتَ خـائـفـاً مُـتَـردِّدْ   يَنشـدُ القوتَ بعـد أن كـان يُنْشِـدْ
جـاءَ مُستـنجـداً فكنتُ المُنْجِـدْ   ومَسكتُ الـعـصفـورَ لا لأقـيِّـدْ
بـل حـنـانـاً عـلـيـه واللهُ أدرى

* * *

بلبـلَ الـروضِ هـاكَ دِفئـاً وقـوتـا   بـلبـلَ الـروض لا تخفْ أن تمـوتـا
بلبـلَ الـروض مـا خُلِقتَ صَمُـوتـا   بلبلَ الروضِ قـد أطلتَ السّكـوتـا
عُـدْ فـغـرِّد لا تخشَ يـا طـيرُ ضُرًّا

* * *

أمِـنَ الـبـلـبـلُ الـفـصـيـحُ فـغـنّى   بعـد أن كـان سـاكتـاً، واطمـأنّـا
وَلَـكَـمْ سـاكـتٍ فـصـيـحٍ تَمـنّى   لـو يـتـيـحُ الـزمـانُ كي يـتـغنّى
وَيُـنـاغـي الأطـيـارَ نـثـراً وشِـعـرا

* * *

هَـبَّـتِ الـريـحُ في الـظّلام فـولَّى   عـسكـرُ الـغيـم والـصَّبـاحُ تَجَـلَّى
فَـلَثَـمْـتُ الـعـصفـورَ بـعـضـاً وكُـلاً   ثـم كَـلَّمْـتُـهُ كَـلامـاً جَـلاً
عـن مـثـيـلٍ غـنّى لـه الـطيرُ شـكـرا

* * *

يـا كـريمـاً عـامـلتُـهُ بـالكـرامَـهْ   صُنْ عهـودَ الرَّشيـدِ وارعَ ذِمـامَـهْ
هـدأ الـطبـعُ، رافقَتْـكَ الـسـلامَـهْ   حبـذا لـو رغبتَ مَغْـنـا الإقـامَـهْ
إنمـا الحـر لا يُـقـيِّـدُ حـرًّا

٦٣٥ - سوسو(*)

[من الخبب]

سوسو يا سوسو لَبَّيْكِ عصفورُك ما بين يَدَيْكِ
يشدو لكِ شدواً قَرويًّا يتعلَّمُهُ طيرُ الأَيْكِ
ويغنّيهِ ويردِّدُهُ ويفرُّ من الروضِ إليْكِ
سوسو يا سوسو لبيكِ

* * *

سوسو يا بِنْتي المحترمهْ يا طالبةً منّي كلِمَهْ
من أين أجيء بألفاظٍ مع خفةِ روحك مُنْسَجِمَهْ
أو أجني سلّةَ أزهارٍ من نارِ الحرب المضطرمَهْ
لأزينَ مجلّتَك الحسناءَ - بأبدعِ ما قلمي نظمَهْ
سوسو يا سوسو يا سوسو

* * *

يا سوسو يا أختَ البدرِ يا بنتَ الحرَّة والحرِّ
قولي «لنسا» ولأسرتها إني كالواقعِ في الأسْرِ
لا أملك شعراً أنشده لك أحسن من هذا الشعرِ
جودوا بالعذرِ على القَرَوِيِّ وإلا مات من القهرِ
وسلامُ الله ورحمتهُ ورضاهُ عليهم وعليكِ
سوسو يا سوسو لبيكِ

(*) مهداة الى مجلة «نساء»

٦٣٦ - «زهزه ليوني»(*)

[من الخفيف]

١

خبِّرينا يا غادةَ الأمواجِ كيف أصبحتِ بعدَ لُبس التاجِ
ما افتقدتِ السلامَ في الكوخِ لما صرتِ بين القصورِ والأبراجِ ؟
وذكرتِ الرمالَ من قبلِ أن أصبـ ـحن ماساً في عِقدكِ الوهّاجِ ؟
حاذري شهرةَ الجمالِ فكم من صخرةٍ في مُحيطها العجّاجِ
واستعيدي من ذلك الكوخِ لوحاً لضبابٍ داه ونوءٍ مُفاجي
ما لبست الألماس لو لم تصيري أثراً عالقاً بلوحِ الزُّجاجِ[1]
رُبَّ ظلٍّ على الحقيقةِ قد دلَّ ـ وداجٍ هَدى إلى غير داجي

٢

أصحيحٌ أنْ بعد ذاكَ الخمولِ وكثيرِ الرضى بدونِ القليلِ
صرتِ لا تقنعين بالنورِ لو سا ـ رَ مُشيداً بذكركِ المجهولِ
ونسيتِ الصويحبات فان رمتِ ـ مَزاراً مشيتِ خلفَ دليلِ
ولِفرطِ الدلالِ لستِ تقومين ـ لأمر إلاَّ «بِأتُومُبُيلِ»
خفِّفي العُجبَ يا «لِيوني» فكم وجه ـ دميمٍ يُفدى بوجهٍ جميلِ
ولكم غادةٍ كأنَّ الثريا طَلَعَت تحت شعرِها المسدولِ
ذاتِ عقلٍ أخفَّ من زغبِ الطيرِ ـ وروحٍ مثل الرَصاصِ ثقيلِ

(*) ألقاها في الحفلة التي أحياها في «صنبول» متخرجو جامعة بيروت الأميركية سنة ١٩٢٣ و«زه زه ليوني» اسم الحسناء البرازيلية التي نالت جائزة الجمال في تلك السنة. ووصفها بغادة الأمواج لأنها من مدينة «سنطس» المرفأ البرازيلي المشهور.

(١) اشارة إلى أن المحكمين حكموا لها أولاً بالتفوق بمقابلة صورتها الشمسية. ثم رأوها شخصياً فثبتوا حكمهم.

٣

يـا عـروس الجمـالِ كـوني وديعَـهْ واكلَئي الحسنَ فهـو فيـكِ وديعَـهْ
لا تـشـوِّهْ بـدرَ المحيّـا عيـوبٌ طـالمـا شـوَّهت جمـالَ الطبيعَـهْ
رُبَّ روضٍ يحكيـكِ حسنـاً وطيبـاً لافحـاتُ السّمـومِ أذوَت ربيعَـهْ
وحقـولٍ كجنـةِ الخلدِ خلّتهـا ـ قِـفـاراً نـيرانُ حـربٍ فـظيـعَـهْ
هـكـذا في القلوب تُصلي حروبٌ ولكم سـوَّدَت وجوهـاً بـديعَـهْ
فـاقمـعي ثـورة الشبـابِ ورُدِّي فـتكـاتِ الأهـواءِ فـهـي ذريعَـهْ
وادرئـي عنـكِ بـالعفـافِ وإلاَّ صـرتِ يـا ربـةَ الجمال شَنيعَـهْ

٤

إن تكـوني كـالبـدرِ فـالبـدرُ يُخسَفْ أو تكـوني كالشمس فـالشمس تُكسَفْ
أو تكـوني كـالـوردِ فـالـورد يـذوي أو تكـوني كـالطلِّ فـالطل ينشفْ
حـبـذا الـدرة الـتي لـيس تشرى حـبـذا الخمـرةُ الـتي لـيسَ تُـرشَفْ
حـبـذا النجمـة الـتي ليس تـرعى حـبـذا الـوردةُ الـتي لـيس تُقـطفْ
آهِ لـو يـفتحـون لـلطفِ سـوقـاً لـنـرى في البنـاتِ من هـيَ ألـطفْ
آهِ لـو بـالعفـافِ يشرُفـنَ قـدراً لـنـرى في النسـاءِ من هـيَ أشـرفْ

٥

يـا مـلاكَ الإحسـانِ مـا لي أراكـا خطفَ التاجَ من يـديك سـواكـا؟
أنـت مستـأهـلٌ! وللنـاسِ عـذرٌ! فـلماذا لم تكـتحـلْ عـينـاكـا؟
ولمـاذا مـا افـترَّ عن حبَبٍ فـوكَ ـ وشـفّـت عـن لؤلـؤ شفـتـاكـا
ولمـاذا لم يـعـلُ كـعـبـاكَ حـتى يغنيانـا عن سلَّمٍ كـعـبـاكـا
وتحـدْ أظـافـراً تخجـل الهـرَّ ـ وتُـدمـي أشـواكُهـا الأشـواكـا؟
غـير مجُدٍ في مِلَّةِ النـاس أن تـدْ ـ فـعَ عـنهـم يـومَ الهـلاكِ الهـلاكـا
أنت إن لم تسـايـرِ الـزيَّ شيطانٌ ـ وإن كـنـتَ يـا مـلاكُ مـلاكـا

٦

يا «ليوني» سبحانَ من سوَّاكِ ورعَى اسما لم يشتهرْ لولاك
نال دون الأسماءِ جائزةَ الحسنِ ـ كما نلتِ أنتِ دون سواك
وحلا لي كأنه مرٌّ في فيكِ ـ وبُلِّت حرُوفه بلماك
ما أحيلى زهره! وقولي زَهره! وأحيلى فمي! إذا سمّاكِ
قسماً عمّدوك بالشهدِ لا بالماءِ ـ حتى نشأتِ ما أحلاكِ!
وأعدوا لك الأزاهرَ مهداً لم يزل بالعبير ينفحُ فاكِ
ورضِعتِ الندى وغُذِّيتِ ـ بالمَنِّ فطوبى لكل عين تراكِ

٧

يا «ليوني» مالي بحسنكِ مطمعْ والتَّمنِّي في شأنهِ لا ينفعْ
غير أني لو بي رضيتِ عريساً يا «ليوني» لحقّ لي أن أفزعْ
إن زوج الحسناءِ خيرٌ له أن لا يرى مطلقاً ولا أن يسمعْ
كيفَ مالت يميلُ معها وأنّى تتطلعْ لا بدَّ أن يتطلعْ
وإذا ما مضى إلى الشغلِ ثارت لاذعاتُ الشكوكِ فيه فيرجعْ
أين راحت؟ ومن رآها؟ وماذا صنَعَت يا ترى؟ وماذا تصنعْ؟
خاطرٌ شاردٌ وهمٌّ مقيمٌ وفؤادٌ يَدمَى وطرفٌ يَدمعْ

٨

يا «ليوني» أوليتِ «سنطس» فخرا فهي تُزهى على البرازيلِ طرًّا[1]
وقتلتِ الحسان بالغمّ قتلاً وأسرتِ الرجال بالحبِ أسرا
يا ليوني» لو كان خلقك خُلقاً لنظمنا في مدحكِ الزُّهر شعرا
ولبِعنا حَبَّ القلوبِ وأهدَ ـ يْنا لُبانا بها إليك ومُرًّا
خبّري الناس يا «ليوني» بأن الخـ ـيرَ حُسنٌ فكيف نهوى الشرا
إن للشرِّ صورةً لو تجلت لعيونِ الأبطالِ فرّتْ ذعرا
فلماذا لا نكرَهُ القبحَ في النفس ـ وقبحُ النفوس بالكره أحرى

---

(١) سنطس: مسقط رأس ملكة الجمال وهي ميناء ولاية «صنبول» وتبعد عن عاصمتها نحو سبعين كيلومتراً

٩

يا «نيوني» بين الضحى والمساءِ بدَّل اللهُ نعمةً من شقاءِ
ولمستِ الأحلامَ فهي قصورٌ تملأ الطرفَ لا قصورُ هواءِ
وهبَتك السماءُ فضلاً فلم تنكرْهُ - أرضٌ تذيعُ فضلَ السماءِ
ليس بدعاً فأنت من أمةٍ - تُقدَرُ فيها محاسنُ الأشياءِ
لستِ من أمّةٍ يضامُ بها الحرُّ - وتُعطى الأكفانُ للأكفاءِ
تحجُبُ الفضلَ مثلما تحجبُ الحسن - وتخفى الرجالَ مثلَ النساءِ...
ليس فيها ما يشبِهُ العدلَ إلا رجحانُ الميزانِ بالثقلاءِ!.

١٠

ربةَ الحسنِ ما كحَلْتُ جفوني بسوى رسمِ وجهكِ الميمونِ
لمحةٌ أوشكت على البعد تحيي عهدَ ليلى وصبها المجنونِ
بيد أني قد صُنتُ حبي فما يُبذلُ - إلا لذات حبٍّ مصونِ
نجمتي! نجمتي! لقد طال رصدي وتمادى وجدي ولجَّ حنيني
زحزحي برقعَ السديم وشقي عن مُطَلّ السنا حجابَ السنينِ
وأبسمي لي دون النجوم، ابسمي لي! ودعيني أرنو إليكِ دعيني
يا سراجاً زيتُه من فؤادي وعليه سكبت نورَ عيوني
يا جمالاً يُشرى بكل جمال يا سعاداً تفدى بألف «ليوني»
يا عروساً لم ألقَها في حياتي فعساني أحظى بها في مَنوني!

* * *

٦٣٧ - عناق الوجود

[من الخفيف]

مَن لِنفسٍ تَودُّ لو تغمُرُ الكونَ هُياماً بحسنه المعبودِ
مثِّلوا لي هذا الوجودَ بشيءٍ أنا لا أستطيع ضمَّ الوجودِ!

* * *

تـطلَعُ الـشمسُ يـسـتـبـيـني بَهـاهـا وتـلوحُ الـنـجـومُ أرعـى سـنـاهـا
أيُّ وادٍ ولم أسـامـرْ حـصـاهُ وهـضـابٍ ولم أُبـاكـرْ ذُراهـا
وغـصـونٍ ولم أُغـرِّد عـليـهـا وورودٍ ولم أمصَّ جـنـاهـا
غـيـر أني عُـمـري قـصـيرٌ وفي الكـونِ فنـونٌ من كـلِّ حسنٍ جـديـدِ
مـثّـلوا لي هـذا الـوجـود بشيءٍ إنـني أشـتـهـي عـنـاق الـوجـودِ!

* * *

يـا سـليمـى! جمعـتِ حسـن النهـارِ والـدجـى والـسـماءِ والأقـمـارِ
والـربى والـوهـادِ والـغصـن والـز ـ هـرِ وقـطـرِ النـدى وشـدوِ الكنـارِ
فـيـكِ مـعـنًى من كـل مـا أبـدع البـاري تعـالى بـل فيك معنى البـاري
لـوحـة المـرصـد الـتي يـظفـر الـراصـد فيهـا بكـل نجم بعيـد
بـذراعـيـكِ طـوِّقـيـني أطـوِّقْ بـذراعـيَّ كـلَّ هـذا الـوجـودِ!

٦٣٨ ـ بطل الصحراء(*)

[من الخفيف]

بَـطَلَ الـشـامِ عَـودةً لـبـلادِكْ تَـصلُحِ الـشـامُ مـوطـنـاً بمعـادِكْ
عُـطِّلت سـاحـة الجهـادِ من الآسـادِ ـ لمـا انـزويـتَ مـع آسـادِكْ
وجـلا الـعـزُّ عن رُبى جـنّـةِ الخلدِ ـ فـآبـت صـحـراءَ بـعـد بـعـادِكْ

* * *

بلبـلَ الشعـرِ خـلِّ عنـك الخيـالا تـتـمـنَّى عـلى الـزمـانِ المـحـالا
أيَّ نصرٍ تـرجـو وأيَّ فَـخـارٍ لـبـلادٍ تجـوّعُ الأبـطالا؟!
أو لم نـبـذلِ الـنـفـوسَ فـداءً عـن لِئـام لا يـبـذلـون المـالا؟
أنـتَ والله أحمـقُ الـنـاسِ إن ـ كـنتَ تـرجّي لنـاسـكَ استقـلالا

* * *

(*) القاها في الحفلة التي احيتها لجنة أطفال المجاهدين في الصحراء مساء ١٣ أيار سنة ١٠٣٣ ويعني ببطل الصحراء سلطان باشا الأطرش.

صارعَ التنك، سَرَّ عنك فخلفَ ـ البحرِ جندٌ للحق من أجنادِكْ
لا يَضرك العُبدانُ ما دمت حراً قد جعلتَ الأحرارَ من عُبّادِكْ
قد أردت استقلالَ شعبك لكنَّ ـ مُرادَ الأيامِ غيرُ مرادِكْ
أيها المُبعَد المزوَّدُ عزًّا أين للمترَفينَ فضلةُ زادِكْ
يا شريداً عن البلاد طريداً أنت في كل معبد من بلادِكْ
كل ما في أقلامنا من مضاءٍ مستمَدٌّ من مرهفاتِ جِدادِكْ
كلُّ سبق في شعرنا وانتصار هو من مُلهِمَات خيل طرادِكْ
كلُّ ما في صدورِنا من لهيب هو إضرامُ وَرْيةٍ من زِنادِكْ
كل ما في هُتافنا من دويٍّ هو ترجيعُ نبضةٍ من فؤادِكْ
كل ما في آثارنا من خلودٍ هو تاريخ ساعةٍ من جهادِكْ
كل أمجادِنا بنَاتُك يا من قد أضَفْتَ المنفى إلى أمجادِكْ
أيها المنجِدُ المحاويجَ عارٌ أن نُصِمَّ الاسماعَ عن إنجادِكْ
لو فرشنا لك الجفونَ مِهاداً وجعلنا الأهدابَ حشوَ وسادِكْ
ما جزيناك ساعةً من ليالٍ بتَّ عنّا على حرابِ سُهادِكْ
كل حرٍّ فداك يا فاديَ الشام ـ وأولادُه فدى أولادِكْ

٦٣٩ - البربارة(*)

[من الخفيف]

أذَّنَ الرعدُ للصلاة وكبَّرْ وَهَمَى الغيثُ للوضوء وطهَّرْ
والعصافيرُ صِحْن: اللهُ أكبرْ

* * *

وتعالى التسبيحُ طولَ النهارِ من هزارٍ وبلبلٍ وكَنارِ
هو عيدُ الربيع في آذارِ

* * *

(*) من وحي الحرب الأهلية في لبنان

وهو «وادي الوطا» المقدسُ فاخلَعْ فيه نعليك رهبةً وتورّعْ
ها هنا رايةُ المحبةِ تُرفعْ

* * *

كل عذراءَ في «الوطا» قِدّيسَهْ يتمنى ترابُه أنْ تدوسهْ
كلُّ أرضٍ تمشي عليها كنيسهْ

* * *

قريةٌ للسلامِ أحيت ذكرا مارسَتهُ قولاً وفعلاً وفِكرا
لم تكن قطُّ للعداوة وَكْرا

* * *

دارة الأمن يا لها من دارَهْ من يعشْ بين أهلِها ينسَ دارَهْ
ليت لبنانَ كلَّه «البربارَهْ»

٦٤٠ - فوزي(*)

[من الخفيف]

١

في نواةِ الطبيعةِ الخرساءِ جوهرٌ كامنٌ يسمّى شعورا
إن تُثِرْهُ بلاغةُ الشعراءِ فمن الشعرِ ما يهُزُّ الصخورا

* * *

وقف الشاعرُ الحزينُ حيالَ البحرِ والبحرُ أسوةٌ للحزانى
مقلةٌ لا تني تفيضُ دموعاً وفؤادٌ لا يأتلي خفقانا
جاءَه والضميرُ أعمقُ بالياس جراحاً والدمعُ أرخى عنانا

(*) في الحفلة التأبينية التي أحياها المنتدى الزَّحْلي في «صنبول» سنة ١٩٣٠ لصديقه وتلميذه القديم الشاعر فوزي المعلوف.

فرأى صخرةً أناخت على الجونِ وألقت فوق الرمال جِرانا
كأبي الهول لا تملُّ على الهَولِ زماناً ولا تَريمُ مكانا
أخلَقت جِدَّة القرونِ وأعيَت جارفَ السيلِ والخضمَّ حرانا
فاعتلاها فاطلعَت منه فوق البحرِ بدراً وأنبتَت منه بانا
وانبرى تنظمُ اللآلىءَ يمناهُ وعيناه تنثرانِ الجُمانا
لم يزل يسكبُ الجَنانَ على الصخرة شعراً حتى استحالت جَنانا
فغدَت كلما مضى افتقَدَتهُ وتمنّت في إثرِهِ دَوَرانا
وغدا إلفَها يفيءُ إليها حين يبغي من الأنامِ الأمانا
ويلاقي في وجهها الجهمِ أنْساً لا يلاقيه إن رأى إنسانا
كلما جدَّ في توقّلِها حسّت ـ عِناقاً فحسَّ منها احتضانا

* * *

يخلعُ الشاعر العظيمُ على الدنيا بروداً كانت لها أكفانا
فيريك الأشياءَ ما شاءَ أشخاصاً تحاكيه خاطِراً ولسانا
فيناغي الأطيارَ حيناً وأحياناً يناجي الرياضَ والغُدرانا
ويفيضُ الحنانُ من قلبه حتى يظنَّ الوجودَ فاضَ حنانا
وكأنَّ الحياةَ ترثي لما يلقاه منها طول الحياةِ هوانا
أجنبيٌّ عن أهلهِ وذويهِ وغريبٌ بين الورى أينَ كانا
فتُريهِ في الوحشِ إنساً وفي الأشباحِ أهلاً وفي السُّهى أوطانا

٢

الجماداتُ نُحنَ كالأحياءِ وتناعَيْنَ يوم وقع الرزيَّهْ
إنَّ بين الأكوانِ والشعراءِ رَحِماً سرمديّةً عُلويَّهْ

* * *

من رأى الصخرةَ العظيمةَ تهوي تحت هولِ المنعى هُويَّ الجبالِ
حمَلَت مذ أُزيحَ عن مَنكبيها فارسُ الشعرِ أبهَظ الأحمالِ
من لها أن تعودَ من بعد فوزي سِدرَةَ المنتهى وعرشَ الكمالِ

مهبِطَ الوحيِ والروائعِ كانت وهيَ اليوم مهبطُ الأهوالْ
مَن رأى البحرَ عند ميناءَ «غنبارَ» صريعاً مقطّع الأوصالْ
لاثماً ذيلَ صخرةِ العهد يبكي كبكاء (المجنونِ) بالأطلالِ
شاخصَ الطَرفِ نحو شُرفةِ نُزْلٍ كان بالأمس بهجة الأنزالِ
باحثاً في جوانبِ الأفقِ يرعى مطلع النجمِ أو مُطَلَّ اهلالْ
تتجارى أمواجه مُعوِلات راشقاتِ السؤالِ إثر السؤالِ
أين غارَ النجمُ الذي كان يرعانا ونَرعاه في سوادِ الليالي
حانياً فوقنا يصبُّ علينا العطفَ من ناظرَيهِ كالشلالِ
نظراتٍ يخطَفننا كشعاعِ الشمسِ وسطَ الأثير، نحو الأعالي
كيف غاضَ البحرُ الذي دفّق الشعرَ علينا أمواجَ سحرٍ حلالِ
أين روحٌ كانت ترفُّ علينا كرفيفِ النسيمِ فوق التلالِ
نتلقى منها العُذوبةَ حتى ساغَ منا الأجاجُ سوغَ الزُّلالِ[1]
من رأى الجاذبَ الغريب الذي قد كان سرَّ اندفاعِنا للرمالِ
أين ذاك الخيالُ يسرحُ للشعرِ حواليهِ ألفُ ألف خيالِ
شبحُ اليأسِ وهو غصنٌ رطيبٌ منه تُجنى أزاهرُ الآمال
ناظرٌ نظرةَ الوَداع إلى الدنيا ملحّاً في البعدِ والترحالِ
يتمنى الزوالَ عنها وهيهاتِ فما كان شاعرٌ للزوالِ

٣

جُلُّ هذا الأنامِ يُمسي ترابا والقليلُ القليلُ يخلدُ روحا
إن تزرْ قبرَ عالم زرْ كتابا أو تزرْ قبر جاهل زرْ ضريحا

* * *

أيها الشاطىءُ الذي كان للشاعرِ بالأمس مسرحاً ومصيدا
والخِضَمُّ المزجى الوفودَ أو أذيَّ قياماً لشعره وقُعودا
يتعالينَ كالجبال فان قال تهافتن ركّعاً وسجودا

(١) الأجاج: الماء الملح المُرّ يساغ: طاب وسهل انحداره في الفم.

يـا ريـاضـاً كـانـت تـظلّلُ مـن ربِ الـقـوافي هَـزارهـا الـغـرِّيـدا
ووروداً نـفـضـنَ درَّ الـنـدى لما الـدراري صِـيـغـت لهـنَّ عـقـودا
يـا «عـروس الـوادي» التي بـدمـوعِ النهـرِ تبكي عـريسَـهـا المعبـودا[1]
تـنـتـحي جـانـب الـكـرومِ عسى فـيـهـنَّ تـلقـى لـغُـلِّهـا تـبريـدا
لا تـلاقـي إلا كـآبـتَـهـا ظـلاً وإلا دمـوعَـهـا عـنـقـودا
يـا قـلوبـاً ذابـت إلـيـه مـن الـوجـد ولـولاه لم تحـبَّ الـوجـودا
عـبـثـاً تـطلبـون في الأرضِ من لـو كـان فيـهـا لـكـان عنهـا بـعـيـدا
أوَ لَمْ تـنـظروه إذ ركـب المـعـراجَ يـبـغـي قـبـل الـصـعـودِ صـعـودا[2]
بـاحثـاً في مـطاوحِ النسر عن وَرقـاءَ تـأبى طـوقـا ولـو زانَ جيـدا.

لم تـكـونـوا إلا عُـلالاتِ حُـرٍّ ... في قـيـود والحـرّ يـأبى الـقـيـودا
كـان لا يستـوي عـلى الـصخـر إلا ... وهـو يبني في الزُهـرِ عـرشـاً وطيـدا
ويـنـاجي الأمـواجَ إلا وقـد مثّلنَ ـ ... بـحـراً خـلفَ الـنـجـوم مـديـدا
ويحـبُّ المـقـيـلَ في الـروض إلا ... وهـو يـبـكي فـردوسَـه المفـقـودا
لا تـؤُمُّـوا القـبر الـذي حـل فـيـه ... ليعـيـدَ الـرفـاتَ شكـلاً جـديـدا
إنّ ذاك الـشـبـاب في بُـردَتَـيـهِ ... صـار في دَفّـتـينِ سـفـراً مـفـيـدا
كـلُّ يـوم قـد حـال قـافـيـةً ـ ... عـذراءَ فـيـه وكـلُّ عـام نـشـيـدا
ربَّ قـبر كـالـصرحِ يحـوي فنـاءً ... وكـتـاب في الجـيـب يحـوي الخـلودا

* * *

٦٤١ - الثور

[من الخفيف]

حـامـلَ النـيرِ منـذ بـدءِ الـوجـودِ ... خـاضعـاً صـابـراً وديعـاً كـريمـا
تـقبـلُ الـوخـز والـعـذاب الأليـما ... غـير شـاك ظـلما وغـير حـقـودِ

* * *

(١) زحلة بلد الفقيد.
(٢) اشارة إلى ملحمة «بساط الريح».

ثارت الأرضُ تحت رجلَيْك ثورا وقلبت الحقول بطناً لظهْر
فعلى كف عزمك الرزق يجري وأنا بالخشوع أدعوك ثوْرا

* * *

عبَدَتْك الورى عصوراً طوالا وأقاموا لك التماثيل تترى
ينحرون الدُّمى ببابك نحرَا ويصلون رهبة وجلالا

* * *

أيها الثورُ كيف حالك أصبحْ بعد ذلك التمجيد والاكرامِ
سرق المجد منك بعض الأنامِ فهو ثورٌ لكن له الناس تَفلَحْ!!

* * *

٦٤٢ - بكى الشعر(*)

[من الخفيف]

أيُّها الشاعرُ الذي عاش في - الناس غريباً يكابد الآلاما
ملأوا النعشَ يوم متَّ زهوراً أتَراهم يكافئون الحِماما؟!

* * *

[من الطويل]

بكى الشعرُ حتى غرَّق القلبَ والعقلا وذوَّقَ من لم يعرِف الولَدَ الثُّكلا
لَنؤمِن بالأخرى ولا نجهلُ الردى ولكننا نختارُ في خطبكَ الجهلا
وليس الفتى الضحّاكُ للموتِ بالفتى إذا لم يعدْ من فقدِ صاحبهِ طفلا
فداكَ إبائي يومَ زرتُ فلم تقم ولا قلت «أهلاً بالرشيد» ولا سهلا
شَددتَ على كفي وماجت شعاعة بعينيك لم تلبث أن انكسفَت ظِلا

(*) في الحفلة التأبينية التي أحيتها الجالية العربية في «صبول» سنة ١٩٥٠ لصديقه ورفيقه في «العصبة الأندلسية» الشاعر حسني غراب.

فزوّقتُ من دمعي الحبيسِ ابتسامةً ... وأنبتُّ من جمر الغضا الوردَ والفُلا

كأنَّ شجاً في الحلق من جامدِ البكا ... فلا كبدي ابتلّت ولا جفنَي ابتلا

ولُذنا جميعاً بالرياءِ نعدُّهُ ... لأجلك يا حسني فضيلَتَنا الفضلى

فحيّاكَ مكلومُ الفؤادِ مباسطاً ... وبشّت لك الولهى مداعبةً جذلى

ورُبّةَ حالٍ يسمُج الصدقُ عندها ... كأن لم يكنْ من كُلّ منقبةٍ أعلى

* * *

وللهِ يومٌ بدَّدَ الشؤْمُ فالَهُ ... وللهِ قلبي ما أشدَّ احتمالَهُ

نعاكَ ليَ الناعي فحدَّقتُ ذاهلاً ... إليه كأني ما وعيتُ مقالَهُ

وأثبتَ ما علّلتُ نفسي بنفيهِ ... فلم يُجْدِني أني أعدتُ سؤَالَهُ

وأحسستُ أن القبر هيلَ ترابه ... عليَّ وأن الكونَ ألقى جبالَهُ

وعُدتُ إلى دارِ الحبيبِ مودِّعاً ... فلا تسألوني حين لاقيت آلَهُ

أعَزِّي بمن أصفيتُهُ الحبَّ مثلَهم ... ونال الأسى منهم ومني منالَهُ

فيا لأرتعاشي إذْ بدا ليَ نعشُه ... ويا لا لتياعي إذ وقفتُ حِيالَهُ

ويا لأختناقي حين أكببتُ فوقَه ... أعانقُ في بُرد الحبيبِ خيالَهُ

وألثمُ من ريحانةِ الشعرِ غُرةً ... طوى الكوكبُ الدريُّ فيها جمالَهُ

سبا الثلجُ منها طُهرها ونصوعَها ... وردَّ إليها بَردَه وانحلالَهُ

* * *

وحُطَّ عن الأعناقِ محملُك الفخمُ ... حَمولتُه الأخلاقُ والأدبُ الجمُّ

فصنتُ عن الأشعارِ بثّي كأنها ... طماطمُ ينبو السمعُ منهنَّ والفهمُ

وغالى بياني في التسامي فمقلتي ... لساني وحباتُ الدموعِ هِي النظمُ

دموعٌ على نجم القريضِ لَوَ انها ... بكتها جفونُ الليلِ لانطفأ النجمُ

وضاعف حزني فيك انك سيدٌ ... عزيز المنى، بَرٌّ بأمتهِ شهمُ

وهل يستوي الخلاّن من ماتَ حسرةً ... ومن سرَّهُ أن يغزو العرب العُجمُ.

غضبتُ لمن هانت عليهم نفوسُهم ... فعيشُهُم عارٌ وموتهمُ غُنُم

ومن يقبلِ الظلم احتجاجاً بضعفه ... ولا يتلاف الضعف قُلْ عدل الظلمُ

فِداكَ رفيقٌ ينزف الهمُّ قلبَه ويأخذ منه الشعرُ ما ترك الهَمّ
ولو كان يغني الحبُّ أو يدفعُ الردى لما نامَ تحت التُّرب حيٌّ له أمّ

٦٤٣ - الشتاء

[من مجزوء الخفيف]

لمعةَ الخاطرِ الجديدْ في سماءِ المخيِّلهْ
فالغرام الذي مضى والرجاء الذي قضى
جددي بيننا العهودْ واتحفينا بِبسمْلَهْ
لمعة الخاطر الجديدْ في سماء المخيِّلَهْ

* * *

طال يا فتنةَ العقولْ زمنُ الثلجِ والمطرْ
فاكسحي هذه الغيومْ وأطلّي على الكرومْ
وانفخي الروح في الحقولْ وابعثي الحسن في الزهَرْ
طال يا فتنة العقولْ زمنُ الثلجِ والمطرْ

* * *

تشتكي ليَ الورودْ كلما عُدتُها ضحى
صلٍّ يا شاعرَ الزَّهَرْ صلِّ للشمسِ والقمرْ
دهمت حمرةُ الخُدودْ ما على الجو لو صحا
تشتكي لي الورودْ كلما عُدتُها ضُحى

* * *

منظرُ الزهرِ في ذبولْ منظرٌ يبعثُ الأسى
كيف لا يُحزن العروسْ كيف ترضى به «فنوسْ»
هل ترى نابها الأفولْ أم تُرى قلبُها قسا
منظرُ الزهرِ في ذبولْ منظرٌ يبعثُ الأسى

٦٤٤- كوكب ونجمة

[من الخفيف]

أو قطر الشام والجامعة الأمريكية في بيروت(*)

طلّق النيّراتِ حين رآها ... سطعت يفضحُ الشموسَ سناها
كوكبٌ تنظر النجومُ إليه ... نظرةً في ارتعاشها معناها
هو في الشرقِ مطلع الشمسِ لكن ... نجمة الغرب تيّمته فتاها
بات عبداً لها يصلّي عليها ... بعد أن كان للدراري إلاها
غادَرت رايةَ النجوم ولكن ... بالشقيقاتِ لم تزل تتباهى
فتراها تحنُّ للعَلَم الخفّاقِ ... يحكي قلباً بصدرِ سماها
كل حينٍ تزجي إليه رسولاً ... ليؤدي سلامَها ودعاها[١]

* * *

غير أن الحبيبةَ الغربيَّةْ ... لا تحب الكلام بالعربيَّةْ
خاطَبَتْه بها زماناً ولكنْ ... عاوَدَتْها الرطانةُ الأعجميَّةْ[٢]
أكرهته على لسان ذويها ... وهو شيخٌ في العمر وهي صبيَّةْ
وبنوها في بيته عشراتٌ ... وبنوه أقلهم سوريَّةْ
ولهذا الخلاف مرَّت عقود ... لا يعيشان عيشةً مَرْضيَّةْ
لا يطيقان في الغرام انفصالاً ... وهو يرجو الزواجَ وهي أبيَّةْ
ساكَنَتْه أمينةً وهو يبغي ... أن تكون الحليلةَ الشرعيَّةْ

* * *

(*) ألقاها في مسرح «صنبول» سنة ١٩٢٥، في الحفلة التي أحيتها جمعية متخرجي جامعة بيروت الأميركية، بمناسبة وجود الدكتور فيليب حتي مندوب الجامعة، وخطيب الحفلة الرسمي.

(١) تزجي: ترسل.

(٢) كانت العلوم تدرس بالعربية في أول عهد الجامعة.

وإلى الآن لم يزل هو يرعَى حسنها وهي تأنفُ العيش شرعا
بيدَ أن الوئامَ زاد مع الأيام - حتى بتنا نرجِّي الجمعا
وبنوها تآلفوا معْ بنيه وغدا كلهم إلى الضم يسعى
فاذا ما أستاذنا رام أمراً لم يعد بعدُ يقرعُ الباب قرعا
وإذا واجه الرئيس رآهُ بعد ذاك الجفاءِ ألينَ طبعَا
عقد الكلُّ أيدياً وقلوباً يتوخَّوْنَ للبلاد النفعا
ومشَوْا تحت رايةِ العلم لا - تفرقُ دِيناً ولا تميِّزُ صُقعا

* * *

فابسطوا يا كرامُ يمنى ويسرى تملآنِ البلاد يمناً ويسرا
أسعفوا قُطرنا الذي مدَّن العالَم - قُطرَ الشام نفديه قُطرا
يطلب الابن من أبيه حنوًّا ومن الابن يطلب الأبُ بِرّا
وعريسُ الشام يرجو التهاني وعروسُ «نْيويُرْكَ» ترجو المهرا
أوَ نبقى في العلم حملاً على - الغربيِّ نخفي غنىً ونظهر فقرا
خلِّصونا من مَنِّهم إن كأس - المن كأس يُلفَى بها المن مُرا
ولينـاصرْ حرِّيةَ الفكرِ منا كلُّ من ودَّ أن يَرى الشعبَ حرّا

* * *

بيدَ أنّا يا سيدي الدكتورا في حمى النورِ قد عشقنا النورا
وستورُ التمليق تحجبُ عنا - الحقَّ فاسمح بأن نزيحَ الستورا
إن تلك القصورَ في رأس بيروت - لتَبدي نحو البلاد قصورا
فاذا عدت بالسلامة قل - للقوم عنا إنا مللنا القشورا
وبأنّا نبغي العلومَ التي تبعثُ - فينا إلى المعالي نفورا
لا العلوم التي تورِّم بالحفظِ - دماغاً ولا تثير شعورا
لا العلوم التي تربِّي خرافاً بل أُسوداً يوم اللقا ونسورا

* * *

أصبح الشرق معرضاً للمدارسْ وصروحُ العمران فيه دوارسْ

كـلهـا تـنشئ الـرجـال ولـكـن ... لا لقـرع الخـطوب بـل للمجـالسْ
نصرف الـعـمـر بـين صرف ونـحـوٍ ... ونـبـاهـي بـعـلمـنـا ونـنـافسْ
إن هـذا الـذي بـه نـتـغـنى ... لم يـريـدوه عـنـدهـم لـلأوانسْ
كـلنـا مُـقـعَـدٌ إذا استصرخ الحقُّ - ... ولـكـن في حـلبـةِ الـقـول فـارسْ
كـلِمٌ كَـلَّ قـلب لـبـنـان منهـا ... وجـبـين الـشـآم مـنهـا عـابسْ
إن عـلماً لا يـكـفـل الـرزقَ خيرٌ ... منـه عنـد الغـربي صنـع المكـانسْ

* * *

قـل لهـم ليس يُعـوِزُ الـقـومَ مـالُ ... مـثـلما يـعـوزُ الـبـلادَ رجـالُ
ليست «الـريفُ» من ربى الشـام أغنى ... لا يـهـمُّ الاكـثـارُ والاقـلالُ[1]
قـل هـم إن لـلحـيـاة شروطـاً ... بـسـوى المـوت قـبـلهـا لا تُـنـالُ
قـل لهـا تُـنشئ الـرجـالُ ألـسنـا ... مـن بـنـيـهـا وكـلنـا أطـفـالُ
هـل بـذلنا لأجـل حـريـة الأوطـانِ - ... غـيرَ الأقـوال، مـا الأقـوالُ؟
أيـن «غَـنْـدي» وأيـن زغـلول مـنـا ... أيـن عـبـدُ الـكـريـم أيـن كمالُ؟
إنمـا تـطلب الـشـعـوب حـيـاةً ... وحـيـاةُ الـشـعـوبِ الإسـتـقـلالُ

* * *

نُصُب المجـدِ في «نِيُويُـركَ» هـاكـا ... من ضعـيف تحيـةً لعُـلاكـا[2]
جـاءَك الـيـومَ ضـارعـاً يـطلب - ... القـوَّةَ والمجـدَ والعـلا من سماكـا
أيهـا الحـارس الأمـين عـلى المينـاءِ - ... يهـنِيـكَ قـد بـلغـت مـنـاكـا
صاعداً في السحـاب تغتـرفُ النـورَ - ... من الـشـمسِ رافـعـاً يُمـنـاكـا
فـاتحـاً في الـسـماءِ لـلحق فـتـحـاً ... تـتـهـاوى فـيـهِ الـدراري وراكـا
بـاسطاً نـورَك البهيَّ عـلى الأمـواج - ... تـلقـى مـن الـشـعـاع شبـاكـا
لمـحـةً لمـحـةً بـربـك وامـنـح ... لـبـلادي مـا تمـنـحُ الأسـماكـا
قـل لـشـعـب أهـداكَ لـلبـلد - ... الحرِّ فأهـدى الاخلاص إذ أهـداكـا

(١) الريف بلد البطل المجاهد الأمير عبد الكريم الخطابي.
(٢) نصب الحرية عند مدخل نيويورك وهو هدية من فرنسا.

أيّ رمز إلى المودّة أبقيتَ - لشعبٍ معذَّبٍ في هواكا
غير هذا الصليبِ والسيفِ والنار - وغُلٍّ لم يَرجُ منهُ فكاكا
صابراً كالمسيح ينشرُ عفواً حاملاً مع صليبهِ الأشواكا[1]
يا خطيبَ النجوم يا مِشعلَ الحرِّيةِ - امسَحْ عيوننا بسناكا
لنرى النورَ، نلمسَ الحق، نهفو للمعالي، نصافحَ الأفلاكا
في سبيل الحياة نطلب عدلاً أو حِماماً إن لم يكن ذا فذاكا

* * *

٦٤٥ - سائلي

[من مجزوء الخفيف]

سائلي الليلَ عن مقالي يومَ أعيا عن الكلامْ
طولُ شكوايَ للدجى وسؤالي عن الرجا
ضمَّ صوتي إلى الليالي فانطوى في فمِ الظلامْ

* * *

سائلي البدرَ عن عيوني عندما أفقِدُ البصَرْ
كثرة السُهدِ في النوائبْ ومناجاتيَ الكواكبْ
نفتِ النور من جفوني فَهْوَ في مقلةِ القمرْ

* * *

سائلي الريحَ عن فؤادي انه طارَ بالزفيرْ
فاذا هاجت العواصفْ فهي من مهجتي عواطفْ
نائحات على بلادي وعلى شعبيَ الأسيرْ

* * *

(٥) في المخطوطة «ينثر» بدلا من «ينشر»

٦٤٦ - الوطن البعيد

[من مجزوء الخفيف]

مـهـجـةٌ كـلُّهـا جـوى كـبـدٌ كـلُّهـا حـنـينْ
تـائـهٌ يشتـكي الـنـوى دأبـهُ الـنـوحُ والأنـينْ

* * *

قـلتُ لا يـدفـعُ الأسى غـيرُ أمِّـي وإخـوتي
فـتـداويـتُ بـالُمنى عـائـداً نـحـو قـريـتي
إنمـا الـوجـدُ لم يـزلْ مـثـلَه قَـبـل عـودتي
مـهـجـةٌ كـلهـا جـوى كـبـدٌ كـلهـا حـنـينْ
هـائـمٌ أشْـتـكـي الـنـوى دأبيَ الـنـوح والأنـينْ

* * *

مـا الـبرازيـلُ مـهـجـري لـيسَ لـبـنـانُ لي حمـى
إن نـفسي غـريـبـةٌ تـشـتـكي الـبعـدَ فـيـهـما
أنـا مـا دمـت في الـثرى وبـعـيـداً عـن الـسـما
مـهـجـتي كـلهـا جـوى كـبـدي كـلهـا حـنـينْ
أبـداً أشـتـكـي الـنـوى دأبيَ الـنـوح والأنـينْ

* * *

٦٤٧ - لو ترين

[من مجزوء الخفيف]

أيـن يـا هـنـدُ أنـتِ أيـنْ لـتـرَيْ، آهِ لـو تـرَيْـنْ
شـبـحـاً بـاسطَ الـيـدَيْـنْ يـسـكـب الـدمـعَ جـدولَـيْنْ
أحمرَيْن

شفّه الحزن والجوى فهو أضنى من اهوا
كلما أنَّ للنوى أرسل الآهَ مدَّتينْ
مرتَيْنْ

إن شكا اغرورقَ النسيمْ وبدت في السما غيومْ
وتجلّت على النجومْ حيرةُ الدمعِ وهو بَيْنْ
عاملَيْنْ

لاصقُ الجسمِ بالترابْ عالقُ الجفن بالسحابْ
كل أيامهِ عذابْ ليس يروي عن عاشقَيْنْ
هائمَيْنْ

يذكر الأمَّ في «الوطا» بين زُغبٍ من القطا
كلما حَرَّكَ الخُطَى نحوهم يُبتلى ببَيْنْ
بعديْن

تارةً يركب القطارْ تارة يركب البحارْ
يشهدُ الليلُ والنهارْ أنه بين تارتَيْنْ
مُرَّتَيْنْ

من ودَاع إلى وَدَاعْ ليس في ليلهِ شعاعْ
ضرباتٌ بلا انقطاعْ أيها الدهر بينَ بَيْنْ
بَيْنَ بَيْنْ!

ربِّ لا تحرُمِ الغريبْ صيفَ لبنانَ عن قريْب
مستلذاً مع الحبيبْ ينقرُ العودَ نقرتَيْنْ
عِنْدَ عَيْنْ

كل حظّي من الوجودْ قلمٌ ناحلُ وعودْ
منهما والورى هُجودْ أتسلّى ببلبلَيْنْ
شاديَيْنْ

إيــهِ لــبــنــان هــل يــراكْ هــائـمٌ شــفّــه هــواكْ
حــبــذا الــعــيش في حمــاكْ حــبــذا الــعــيش لــيــلَتَــيْنْ
ثم حَيْنْ

كــل شيءٍ إلى الــفــنــا مــا تــرى الــكــدَّ والــعــنــا
تَــقْــبُرُ المــال والــغــنى عــنــد مــرآك ســاعَــتَــيْنْ
حلوتَيْنْ

* * *

٦٤٨ - لِيْمُونتي

[من مجزوء الرجز]

ليمــونتي حبيبتي من ســالف العهــودْ رفيقَتي مــا عِشتُ في الغُـدوِّ والــرَّواحْ
مـا لي بغـيرهــا سلُوٌّ فهي قبلَ العــودْ وبعــدَه سيـكــارتي وقهــوتي والــراحْ
حــبيــبــةٌ كــريمــةُ الآبــاءِ والجــدودْ تحــدَّرتْ دمــاؤُهــا من عـرقِ الفــلاَّحْ
يـا حُسنَها إذا استوت على سرير العودْ كـأنّها بدرُ الـدجى أو كـوكبُ الصبَّـاحْ
أجمــلُ من تكـويــرةِ الخدودِ والنهــودْ وكــلُّ مـا رأيتَ واستحْلَيْتَ في المــلاحْ
دفـقَـةُ نـورٍ جمَــدت في ذروة الأمـلود يا من رأى الكوثَـرَ والرحيقَ في مصبـاحْ
عُــلالَــةٌ طـيِّبــةٌ مـن جـنّــةِ الخـلودْ عَجَّلَهــا اللهُ لأهــلِ الــبرِّ والصَــلاحْ
صفــراءُ لا من عِلّةٍ شبعـانــةُ الخــدودْ من قُبُـلاتِ الشمسِ يـابـانيّـةٌ رَداحْ[1]
أميمَتي الصُغــرى التي بفضلها أعــودْ طفـلاً وإن كـان شبــابي من زمـانٍ راحْ
كــأنّني إذا لَقمتُ ثــديَهــا المعبــودْ أمتصُّ مـاءَ الوردِ من مـراشفِ الأقـاحْ
أدواحُهـا الغنّـاءُ من مَلحمَـةِ الـوجــودْ قصيــدةٌ بِكــرٌ ومن إنجيـلهِ إصحــاحْ
عــرائسٌ مُــصــطفَّــةٌ كــأنها جُـنــود تنـاولـوا الـزُّهـرَ عــلى أسنّـةِ الــرِّماحْ
لكمْ طــرقــتُ بــابَهــا وأهلُهــا رُقــودْ فــرقص القلبُ عــلى قـلقلةِ المـفتــاحْ

---

(١) رداح: ضخمة الرِّدف سمينة الأوراك.

يستفتحُ البيّاعُ بي فيقبُض النقودْ مغتبطاً يقول باسم الله يا فتّاحْ
وربّما أسرفَتِ الحسناءُ في الصُّدودْ فانتبَذت ناحيةً من أوعر النواحْ
كأنّها مليكةٌ خفّاقةُ البنودْ حَفّت بها عساكِرٌ شاكيةُ السلاحْ
في غابةٍ عُجرُمَةٍ تحذَرُها القرودْ وتتقي الزحفَ على أطرافِها الرياحْ[2]
كأنما فروعُها سواعدُ الهنودْ قد أرهفوا نِبالَهم للحربِ والكفاحْ
أمعِنُ في أعطافِها الميّادةِ الصعودْ كما اعتلى ساريَةَ السفينةِ الملاّحْ
إذا تستّرتُ من الأوراقِ في بُرودْ تلحظُني أزهارُها بأعينٍ وِقاحْ
ولا أنِي حتى ألاقي أمَلي المنشودْ يلمعُ كالكوكب لي جبينها الوضّاحْ[3]
فأنحني مَكْراً كمن يَهُمُّ بالسُّجودْ ولي يدٌ ممدودةٌ وبَصرٌ طمّاحْ
ثم أصولُ صولةً ذلّت لها الأسودْ تُلقى بها صريعةً مَهيضةَ الجَناحْ
أهوي عليها فاغرَ الشِدقينِ كالنمرودْ وخنجَري يلمعُ، يا للعاشقِ السفّاحْ!
فلو ترى كفّيَّ في أديمها المقدودْ وأين من رشاقتي أناملُ الجرّاحْ
أستقطرُ النّدى الذي تُشفى به الكبودْ وأعصرُ الرّاحَ التي تحيا بها الأرواحْ
أشتَفُّها فلا ترى منها سوى جُلودْ على بقايا قِطَعٍ نازفةِ الجراحْ
وأنثني مُحلحلاً زَنّاريَ المشدودْ أخالفُ الخطوَ على حُطامة الأقداحْ!
ليمونتي حبيبتي الشّقراءَ هل يعودْ يُنعشُ في الفيحاءِ قلبي عِطرُك الفوّاحْ
وهل إلى صيداءَ لي قبلَ انحناءِ العودْ رُجعَى أُوافيك على الإمساءِ والإصباحْ
والوعةَ النفسِ على فِردوسها المفقودْ وا دمعةَ الليثِ على عرينهِ المجتاحْ

يا ليتني كنتُ إليه مُبعَداً مردودْ
يا ليت لي حريّةَ الأرْمنِ واليهودْ
في وطنٍ يشقى به أبناؤه الأَقحاحْ
وهو لكل أمّةٍ - إلاّ لهم - مُباحْ

* * *

---

(٢) العجرمة شجر شائك كثير العقد

(٣) أني مضارع ونى بمعنى كلّ وفتر.

٦٤٩ - الاحسان(*)

[من مجزوء الرجز]

١

يا أختِ هذا فجرنا الفضي لاحْ
يغمر بالنورِ الروابي والبطاحْ
وكمْ عيون للألمْ
تغرَقُ في دمعٍ ودمْ
لا تنجلي عنها الظُّلَمْ
ولا ترى كما نرى وجه الصباحْ

٢

بلابل ناحت على فراخِها
وسُدّتِ الآذانُ عن صراخِها
ويلي على الصوادِحِ
في قبضة الجوارحِ
مكسورة الجوانحِ
تلك ضحايا البؤْسِ في أكواخِها

٣

فلنسلُبِ الأسحارَ بعضَ نُورِها
لهذه الأرواح في دَيْجورِها
نملأ منه المقَلا
لمن أضعن الأمَلا
إذا ابتسمنا نقَلا
ألف ابتسامةٍ إلى ثغورِها

(*) نظمها ولحنها بطلب من جمعية الأوانس السوريات الخيرية في «صنبول» بمناسبة احتفالها باجتياز العقد الأول من تأسيسها ١٩٢٤ - ١٩٣٤

٤

عشر سنينٍ عبرَت كالبارحِ
والعمر يمضي كالخيالِ السارحِ
لئن صنعنا الحسنَا
فلنصنعنَّ الأحسَنا
ولنخدمنَّ الوطنَا
كما خدمنا أبعدَ المطارحِ!!

٦٥٠ - الإبريق والجمل(*)

[من الرجز]

حكايةُ الإبريق والبعيرِ قديمةٌ من سالف العصورِ
يحلو بها الحديثُ والكلامُ فاسمع وبعد ساعة ننامُ

* * *

كان فقيرٌ وافر العيالِ يرجو من الله صلاح الحالِ
فلاح مرةً له الشيطانُ وقال ما أغباك يا إنسانُ
حتَّامَ يا مسكين تدعو رَبَّكا قد حان أن يجيب لو أحَبَّكا
فاشْدُدْ رِحال القصد إن شئت إليّْ ودع سؤال الله واتكلْ عليّ
قال الفقير إذ جرت أدمعه: وأيُّ معروف معي تصنعه؟
قال أصير جملاً سمينا تبيعني وتشتري طحينا
قال وكيف تستطيع ذاكا كذبتَ يا شيطانُ قال: هاكا
وعندها مدّ يديه ثم مَدّْ رجليه والرقبة إذ عَلَّى الجَسدْ
ونفَّخ الأضلاع والظهر حَدَبْ فصار كالبعير رأساً وذَنَبْ

(*) أرجوزة مستخرجة من مخطوطاته

ثم غدا مثل الجِمالِ يهدُرُ ... والمرء كالمسحور مما يُبصرُ
فقاده والناس ينظرونا ... والكل بالبعير معجبونا
لأنهم لم ينظروا نظيرَهْ ... من قبلُ بين الإبلِ الكَبيرَه
فباعه من حاكم المدينَهْ ... كأنّه جوهرة ثمينَهْ
وظلَّ جَمّالاً له بالأجْرَهْ ... يربح منه كلَّ شهرٍ بدرَهْ[1]
فسُرَّ من ذيّالك التوفيقِ ... وجاءه التيسير بعد الضيقِ
ولم يزل صاحبنا «يكاري» ... عليه حتى ذاق طعم النارِ
من كثرة الأحمال والأثقالِ ... والضرب والتعذيب والاهمالِ
فندم الشيطانُ مما قد فَعَلْ ... وقال: «يا مصيبتي كيف العَمَلْ
«يا ليتني خسرتُ ألفَ مِيَّهْ ... ولم أغنِّ هذه الأغنيَّهْ»
دفعت عن هذا الجحود النِّقما ... لكنه لا يستحق النعما
فذات يوم والمكاري معتلي ... حماره يسير خلف الجملِ
وهو يغني: «يا زماني مَرْمَرْ ... تعمى عيونو الما يحب الأسمرْ»
والجملُ المسكين كالعليلِ ... يئن تحت حمله الثقيلِ
صاح به بصوته المخيفِ: ... يا ناكر الجميل والمعروفِ
أما كفاك أنني مسخْتُ ... نفسيَ إذ جار عليك البخْتُ
لكي تبيعني وتشري بالثمَنْ ... قوتاً يردُّ عن عيالك المحَنْ
حتى غدوتَ بعدها جَمّالي ... ترهقني بأثقل الأحمالِ
سوف أريك أيها الثعبانُ ... لقد نسيت أنني الشيطانُ
قال وما عساك أن تفعل بي ... قد سؤتَ فألاً يا قليل الأدبِ
ألست تدري أنني سيِّدُكا ... وأنني كما أشا أقودُكا
أجاب إني أدخل الإبريقا ... فابلغْ من الغم عليَّ الريقا
قال خسئت يا كبير الهامَهْ ... فأين تخفي هذه الضخامَهْ
أجابَه الشيطانُ وهْوَ يَضحكُ ... ليس على مثلي يضيق المسلكُ
وطفق اللاهي يزمّ جسمَهْ ... مصغراً مثل العجين حجمَهْ

---

(١) البدرة: كيس فيه مقدار من المال

حتى سرى في ذلك المضيقِ بحمله وغاب في الإبريق
فعند هذا ذَهَبَتْ سكرتُهُ مما رآه وأتت فكرتُهْ
فبصَّ في الإبريق ثم ناحا ومدّ فيه فمه صياحا
يا جملي المحبوبَ عُدْ فلن ترى مِنّيَ بعد اليوم أمراً منكرا
ولم يزل يدعوه لكن ما سمِعْ منه جوابا غير عرعر أع بعْ
فعندما أعيته فيه الحيلُ وضاع من بين يديه الجملُ
عاد الى الحاكم والإبريقُ في يده وفي الحشا حريقُ
بادره الحاكم ويحكَ الجَمَلْ أين تركته؟ أجاب: قد دَخَلْ
في وسْط ذا الإبريق يا مولايا أوّاهُ من يسمع لي شكوايا
فاضطرب الحاكم غيظاً والتظى وخشَّنَ القول له وأغلظا[1]

* * *

٦٥١ - رحماك(*)

[من مجزوء الرجز]

رحماك يا لمياءُ عودي وأنجزي حُرَّ الوعودِ
أبلت يد البين ربابي وقَطّعَت أوتار عودي
مذ غبتِ يا لمياءُ عني فرَّ هَزارُ الأنسِ مني
وبُدِّلَت تلكَ الأغاني وصوَّحَت روضُ الأماني
فالفجرُ بالأنواءِ شاكِ والزهرُ بالأنداءِ باكِ
أدخُل كوخي في المساءِ سكرانَ من فرطِ العياءِ
أنظرُ حولي لا أراكِ والعينُ لا ترضى سواكِ
كم مُلِئَت منكِ ضياءَ فأصبحت تملأ ماءَ
أبيتُ لا أُغلِق بابي أخدَعُ نفسي بالسّرابِ
أقول ربما لميّهْ تدخل فجأةً عليّهْ
يا مقلتي باللهِ نامي عليّ أراها في منامي

(١) لم نقع على تتمة هذه القصيدة في ما بين أيدينا من اوراقه ومخطوطاته

(*) نظمها بطلب من أحد أصدقائه الملحنين.

٦٥٢ - خلوة في كرم

[من مجزوء الرجز]

يا حبذا الأمسُ - في خلوةِ الكرومْ - ونشوةِ السَّمَرْ
إذ نامتِ الشمسُ - وهبّتِ النجومْ - تغازلُ القمرْ

* * *

لما غمَرْتِ الطورْ - بشدوكِ الحنونْ - وعطرك الفوَّاحْ
والبدرُ صبَّ النورْ - لتشربَ العيونْ - وتسكَرَ الأرواحْ

* * *

لما تواريْنا - عن أعينِ الصَّحبِ - طيرينِ في وكرِ
ثمَّ تهاوَيْنا - من سكرةِ الحبِّ - ثغراً على ثغرِ

* * *

حتى إذا انطَلَقْ - من عشّه غِرِّيدْ - بسرِّنا المكنونْ
تنحنحَ الورَقْ - والتفَتَ العنقودْ - وكلُّهُ عيونْ

* * *

وهزهزَ النسيمْ - أسرَّةَ الغصونْ - ينبِّه الأطيارْ
فثُرتِ مثل الريْم - خوفاً من العيونْ - وصحتِ يا ستّارْ

* * *

متى لنا تُعيدْ - أُنشودةَ الغرامْ - يا دهرُ يا كذَّابْ
ردَّ ليالِي العيدْ - يا سارق الأحلامْ - من مُقَل الأحبابْ

* * *

٦٥٣ - هيّجت أشجاني(*)

[من مجزوء الرجز]

هـيّـجـتَ أشـجـانيَ يـا شـاعـرَ «غـرزوزِ»
فُـرحـتُ في نـومي أعـبّي - الـبـحـرَ في كـوزِ

* * *

وأحصرُ الأبـعـادَ مـن صُـقـع إلى صُـقـعِ
في بُـقـعَـةٍ أدنى مـن - (الـوطـا) إلى (الـنـبـعِ)[1]

* * *

وحـين حـاولـتُ الـذي زيّـنـه الحُـلـمُ
عـدتُ كـطيرٍ شـكّـهُ في قـلـبـهِ سـهـمُ

* * *

مـاذا عـلى الأمـيـالِ لـو قُـلِّصـنَ أشـبـارا
أو مـا عـلى فـلسيَ لَـو أصـبـح ديـنـارا

* * *

رحمـاكَ يـا مـن مـتّـعَ - الـطّرفَ بـهـم عـني
هـبـني دقـيـقـةً وخـذ هـا سَـنـةً مـني

* * *

(*) كتب له من الولايات المتحدة صديقه وجاره في الوطن الشاعر غرزوزي يعلمه خارج سنة ١٩٣٩ أنه زار بيت شقيقته نسيبة فكتوريا خوري توما في ولاية «تكساس». فجاوبه بهذه القصيدة

(١) الوطا والنبع موضعان من ضيعة [illegible].

يا جارُ ما ضرَّكَ لو ذكرتَني بالخيْرْ
وجُدتَ لي بلمحةٍ واحدة لا غيْرْ

* * *

يا جارُ أينَ العدل في قسمةِ شاعرَيْنْ
أنا بغيرِ «نعمةٍ» وأنت باثنتيْنْ

* * *

باللهِ لما عُدتَ مِن «تِكْسَسَ» يا نِعمَهْ
ألم تعدْ أقربَ من قبلُ إلى الرحمَهْ

* * *

وحينَ أطلتَ عَلَى كواكبِ النادي
ألم يرَوْا فيك - بهاءً غيرَ معتادِ

* * *

قل لي أما تألَّبوا حولَكَ يسألونْ
من أين هذا السحرُ في عينيكَ والفُتُونْ

* * *

ألم يقولوا لم تسحْ روحُك في «تِكْسَسْ»
بل في جِنانِ الخُلدِ - أو في عالم أقدسْ

* * *

أمِن حقوق الحب يا أُخيَّتي الحلوَهْ
يراك كلُّ الناس - إلاَّ الأمَّ والإخوَهْ

* * *

لله في لبنان - عهدُ شملنا الجميعْ
والأرضُ والسماءُ - والأعمارُ في ربيعْ

* * *

بربارتي بربارتي يا جنّةَ الأطيارْ
كم فيك من حسّونةٍ كم فيكِ من هَزارْ

* * *

أي فتاةٍ أو فتىً في ذلك المغنى
لا تلزمُ العنادل - الصمتَ إذا غنّى

* * *

لله «بِشْمزّينُ» في فردوسِنا الفوّاحْ
أنا وأختي وأخي ثلاثة في واحْ..

* * *

في بيت «حنّا العمّ» - بين التين والعنبْ
كوخ مع الرضا - يساوي ثِقلَهُ ذَهبْ

* * *

«فؤادُ» والهفي على صِباك يا «فؤادْ»
يا بلبلَ الوطنا ويا شحرورَ كلّ وادْ

* * *

يا نافثاً من لحظهِ ولفظهِ سحرا
كنتَ إمامَنا - ولّما تبلُغِ العشرا

* * *

طوراً كألفِ بلبل يُنشدن في الفجرِ
وتارةً وقعُ الندى في مَبسِم الزهرِ

* * *

مُحقتَ مثلَ البدرِ - في الحسنِ وفي السنٍّ
وكنت ربَّ الفنِّ لو بقيتَ للفنِّ

* * *

إن لم تمت أمُّك - حزناً فاعذِر الأمّا
قد أشفقت بعدَك - أن تختصرَ الغمّا

* * *

هل تذكرينَ البدرَ يا شقيقةَ البدرِ
لما وصفتهِ بنثرٍ - دونَه شعري[1]

* * *

وذلكَ الطير الذي هوى على المرجِ
شهيد غصن اللوزةِ - النّاصعِ كالثّلجِ[2]

* * *

وحينما عُدت من - العُطلةِ بعدَ العيدْ
ورُعتِني بالخاطرِ - المبتكرِ الفريدْ

* * *

---

(١) قالت: كان البدر المنير في كبد السماء الصافية قلب عذراء لا يجول فيه الا الحب.
(٢) رمى الصياد عصفوراً جاثماً على غصن لوزة كاسية بالأزاهير فقالت: كأني بهذا العصفور وهو هاوٍ إلى الأرض، يلتفت إلى اللوزة ويقول: اني شهيد هذا الجمال.

لَقَّنتِني آياتِ «أزهاري الغريبات»[٤]
قصيدةً أثبتُّها في «قرويّاتي»

* * *

وحينَ فاجأتُكِ - والعودُ يناغيكِ
والزُّهُر حول الكوخِ سَكرى بأغانيكِ

* * *

صحتُ متى؟ كيف؟ ومَن علّمكِ الفنّا
قلتِ: ومن سواكَ - ربّ العودِ والمغنى

* * *

أخذتُ عنكَ اللحنَ والتّوقيعَ بالنظرْ
إن لم تصدِّقني سلِ - الريشةَ والوتَرْ

* * *

فُرحتُ مما نالني من هِزَّة الطربْ
أرقصُ وحدي هاتفاً: سبحانَ مَنْ وهَبْ

* * *

وخِلتُني «رُكْفُلَراً» أوْ أحدَ الملوكْ
ولستُ بعدُ ذلك - المعلِّمَ الصُّعلوكْ

* * *

قلتُ: اطلبيْ ما شئتِ من دُرٍّ ومن ماسِ
قلتِ: حذاءً أبيضاً قلتُ: على راسي!

* * *

(٤) مرت في أول هذا الباب.

يـا بُـرعُـماً لـو أنّـهُ أمـهـل حـتى صـارْ
تـفـتّـحـتْ أكـمـامُـه عـن جـنـةٍ مِـعـطارْ

* * *

حُمّـلتِ عِـبءَ الأم في مـقـتَـبَـل الـبـلوغْ
وكـم زواجٍ بـاكـر قضى عـلى الـنُـبـوغْ

* * *

سـأتـرضّى نـجـمـة في كـفّـهـا بـخـتي
إن لم تـكـن محـسـودَةً مـن أُخـتـهـا أُخـتي

* * *

لـعـلّهـا تـسـعـفُـني بـالـطّالـعِ الـسـعـيـدْ
فـتـلتـقـي بـعـد الـنّـوى «فِـكْـتُـورِيَـا» رشـيـدْ

٦٥٤ـ الفرح

[من الرمل]

أنـا لم أفـرحْ لأني بـطلُ مثـل «دمسي» أصرع القَـرمَ العنيـدْ[١]
أو لأني في الـدواهـي رجـلُ لا يُبـالي اذ دنـا الخـطبُ الشـديـدْ
ما يلاقي
بـل لأني نـاصرٌ حـقَّ الـضـعـيـفْ حـين في الحـقِ يـعـزُّ الـنـاصرُ
ولأني حـالـةَ الـفـوزِ شريـفْ أدَّعـي أن سـوايَ الـظافـرُ
في السباقِ
أنـا لم أفـرحْ لأني عـالمُ يـتـمشّى فـوق أعـنـاقِ الـدهـورْ
أو لأني نـاثـرٌأو نـاظـمُ يفـتـنُ الـقـراءَ أربـاب الـشـعـورْ
حُسنُ نظمي

(١) «دمسي» هو الملاكم الأمير كاني الشهير.

بل لأني لم أحرّكْ قلما بالذي يكسو مسوح الخجل
ولأني لم أسبِّبْ ألماً جارحاً بالسبِّ عند الجدل

قلبَ خصمي

أنا لم أفرحْ لحشدي الذَّهَبَا واحتيازي كل ما لذَّ وطابْ
أو لأني بعدُ في شرخِ الصبا أتملّى من مسرات الشبابْ

لا لَعُمري

بل لأني وافرُ العِرض نبيلْ ولأني مخلصٌ حُرُّ الضميرْ
ولأني عندما يخلو السبيلْ ألبَسُ الليلَ بشيءٍ للفقيرْ

مَعَ فقري

٦٥٥ ـ الشاعر المبتلى والطبيب(*)

[من الرمل]

يا طبيبَ الخيرِ يا خيرَ طبيبْ يتداوى عندَه القلبُ الحزينْ
أَوَمَا عندَكَ للصبِّ الكئيبْ ظامىءِ الأحشاءِ ريّان الجفونْ

من دواءِ

أيها العاني تنقّلْ في البِلادْ فمريرُ العيشِ يحلو بالنُّقَلْ
إنَّ في الأسفارِ سلوانَ الفؤادْ وشفاءَ الصدرِ من داء المللْ

شرِّ داءِ

يا طبيبَ الخيرِ قد عزَّ الدواءْ فلأذعْ أمري لأحكامِ القدَرْ
كيف بالأسفارِ يُرجى لي شفاءْ وأنا أفنيتُ عمري في السفرْ

والتنائي

(*) نظمها في مدينة «بورطو الغري» أواخر سنة ١٩٢٢، وقد كثر ما كان يسمع في أسفاره من تهنئات مواطنيه بأنه شاب قوي، وشاعر عواد رخيم الصوت.

يــا غــريـبــاً يشـتكـي مــر الـنــوى   ســوف يشفيـكَ التــداني يــا غــريبْ
في رُبى لــبـنــانَ لــلمُــضــنى دوا   ورجــاً إن فــرَغَــت كـفُّ الــطـبـيــبْ
من رجاءِ

يــا طـبيـبي الآن قــد جـف السراجْ   وخَــبــا كــلُّ رجــاءٍ بــالــبــقــا
فــالــذي تحــسَـبُــهُ خــيرَ عِــلاجْ   لـشـقــائـي هــو لي أصــلُ الـشــقــا
والبلاءِ

بُهــتَ الآسي وقــد بــلّ زِنــادْ   فــكــره بــالــدمــعِ حــتى لا شــرَرْ
ومضى عــني كئـيــبــاً ثــم عــادْ   مشــرقَ الــوجــهِ رجــاءً كــالقــمــرْ
في السماءِ

قــال يــا ابـني إنَّ لــلصــوتِ عـجَـبْ   فـهــو كــالبـلسمِ لـلقلب الجـريــحْ
ربَّ لحــنٍ هــزَّ مــيــتــاً فــوثــب   مــثـلما تــلمسُــهُ كـفُّ المــســيــحْ
بالشفاءِ

ولــقــد تـلقَــى بــصــنـبــولَ فـتىً   شــاعــراً ينفـي عن الـقلب الهـمــومْ
وإذا غَــنّى عــلى الــعــودِ فَــتَــنْ   وجــلا عــن أُفُــقِ الــصــدرِ الـغـيــومْ
بالغناءِ

أوَ مــالي مــن دواءٍ آخــرٍ   غــير ذا إن لم يُــزِلْ عــني الــعــنــا
قــال كـلا! قلتُ مــا اسمُ الشــاعــرِ   قــال يــدعى «المبتــلَى»! ويــلي: أنــا
واشقائي

أوَ أنــتَ «المـبــتــلى»! أنــتَ؟ أجــلْ   أنــا مــن تــرجــو لإبــراءِ الــســقَــمْ
فـبـكـى الآسي مـعـي مـيــتَ الأمــلْ   ربَّ عــين خــفَّــفــت عــنــا الألمْ
بالبكاءِ

٦٥٦ - الغريب والشمس(*)

[من الرمل]

ربةَ النورِ جمالٌ وكمالْ ما أجلاً
مذ بدا وجهك من خلف الجبالْ وتجلّى
مال ظلُّ الليلِ نحو الغربِ مالْ ثم ولّى

دور

شمسَ لبنانَ انظري حالَ الغريبْ وارحميهِ
واذكري كلَّ شروقٍ وغروبْ لذويهِ
أنه صبٌّ وتذكارُ الحبيبْ ملءُ فيهِ

دور

وإذا لُحتِ بميناءِ «الوطنا» مُستَحَمّي
حيث يمشي إخوتَي مثلَ القطا خلفَ أمي
فالثمي عنّيَ آثار الخُطى أيَّ لثمِ

دور

ليتني أعلَقُ يا ذاتَ الضياءْ بحبالِكْ
لتدوري بيَ آفاقَ السماءْ كهلالِكْ
وأراهم كلَّ صبح ومساءْ من هُنالِكْ

دور

(*) نظمها ولحنها في «الريو دي جانيرو» سنة ١٩١٤

٦٥٧ - شاجبة(*)

[من مجزوء الرمل]

١

حطّمَ الموتُ الدروعا وكوى الحزنُ الضلوعا
وبكى جفنُ القلَمْ
فاخفض الرأسَ خشوعا واسكُب النفسَ دموعا
نكّسَ العِلمُ العَلَمْ

قرار

غابَ نبراسُ كمالِ كانَ يَهديِنا سناهْ
وانطوى سِفرُ المعالي عندما القبرُ طواهْ

٢

لغةُ الأعرابِ ثكلى تلطمُ الخدَّينِ وجلى
وتسحُّ الدمعَ دَمْ
عندما الأستاذُ وَلّى وانتحى الخلدَ محلاً
هاجراً دارَ الألَمْ

٣

أيها الخالدُ معنى لم تزل بالذكرِ معنا
عَطِراً في كل فَمْ
حُزتَ تكريماً وحُزنا لوعةً فيكَ وحُزنا
ليسَ يطويه العدَمْ

* * *

(*) في حفلة تأبينية في «صنبول» للمعلم جبر ضومط في ١٩٣٠/٩/١٢

٦٥٨ - نشيد الصليب الأحمر(*)

[من مجزوء الرمل]

بينَ أنيابِ العذابِ بين أشواكِ الحرابِ
حولَ أحواضِ المنايا فوقَ أطلال الشبابِ

* * *

جندُ أملاكٍ تبدَّى رافعاً راي الصليبِ
أحمر الخطّينِ قانٍ بدمِ الفادي خضيبِ

* * *

ينظرُ الجرحى إليهِ نظَراتٍ ذاتَ معنى
يا صليبَ الخيرِ أقبل واحمل الآلامَ معنا

* * *

يسكت المدفعُ رُهباً حين يبدو للعيانِ
وبريقُ السيفِ يُخفَى تحت أنوار الحنانِ

* * *

تنحني الرياتُ ذُلاً مذ ترى ذاكَ الشِّعارا
وتصير النار برداً تحت أقدامِ العذارى

* * *

(*) زار سنة ١٩١٤ نسيباً له في مدينة «كاشمبو»، فعرّفه إلى عائلته البرازيلية بصفته شاعراً. فعزمت عليه ماريا ابنة نسيبه أن ينظم لها موشحاً، فاعتذر بجهله البرتغالية، فلم تقبل عذره، وألحت في الطلب. فخطرت له فكرة تأليف لحن ينظم على تقطيعه ما يفتح عليه بالمفردات القليلة التي رعاها من لغة «كموينز». وخلا بعوده ساعتين ثم عاد وفي يده نشيد موضوعه A Depedida «الوداع» مؤلف من أربعة أدوار، كل منها بيتان. واتفق حضور أحد المعلمين فشهد بصحته لغة ووزناً. وفي ابان الحرب العالمية الأولى، طلبت منه جمعية اليد البيضاء في «صنبول» نشيداً لاحدى حفلاتها، فنظم هذا على اللحن نفسه، وفي سنة ١٩٤٥ سجله المذواق الغنائي نجيب حنكش في قرص، فراج رواجاً عظيماً بين العرب والأجانب، وترجمه شاعر انكليزي إلى لغة «شكسبير».

كم عيونٍ في صدورٍ فُجِّرَت بالمُرهَفاتِ
نشَّفتها وشَفَتها كف هاتيك الفَتاةِ

٦٥٩ - نشيد الجامعة(*)

[من مجزوء الرمل]

جنّةَ العلمِ إليكِ شُدَّتِ الرِحالْ
وبنو الشرقِ عليكِ عقدوا الآمالْ
بردَى والنيل - والأردنُّ والفراتْ
تستقي من كوثريكِ نهلةَ الحياةْ

لازمة

علِّمينا ألهمينا - الحبَّ والفهما
تجمعي النورَيْنِ فينا - الدِّينَ والعلما

* * *

معملَ الخُلْق المتينِ موئلَ الحُرِّ
مهبطَ الروحِ الأمينِ هيكلَ الفكرِ
عندَ أعتابِك جئنا نطرَحُ الجهلا
وبمحرابكِ قمنا نعبُدُ العقلا

* * *

بكِ يا أُمَّ المعالي مَنبِتَ الرجالْ
نقتفي نحوَ الكمالِ سِيَرَ الأبطالْ
وحِّدي فينا المبادي وحِّدي الأوطانْ
واجعلي حُبَّ البلادِ مُلتقى الأديانْ

(*) نظمها لاحدى حفلات جمعية متخرجي الجامعة «الأميركية «صنبول» سنة ١٩٢٥

٦٦٠ - الحياة الباقية

[من مجزوء الرمل]

اغــربي يــا شــمسُ عــنّي واغــمــريــني بــالــظلامْ
ودعــيــني أضــعُ الــرجــلَ عــلى شط الــســلامْ
تــعِــبــت نــفسيَ مِــن هــذا الــضــيــاءِ الــفــاسِــدِ
مــن ريــاءٍ رائــج في ســوقِ حــب كــاسِــدِ
تــلك مــأســاةٌ يــواريها عــن الــعــين المــنــامْ

* * *

يــا نهاراً ظــنَّ نــورَ الــعــقــلِ مــن نــور الجــبــينْ
ذلَــك الــزنــجــيُّ أدرى مــنــكَ بــالسر المــصــونْ
أحــســبــتَ الــليــل أعــمــى؟ سُــؤت فــألاَّ يــا نهارْ
إن تــكــنْ تــفــخــرُ بــالــنــورِ فــدعْ عــنــكَ الــفــخــارْ
أنــتَ إن فــتَّــحــتَ عــيــنــاً فــتّــح الــليــلُ عــيــونْ!

* * *

فــالمسي جــفــنيَ يــا كــفَّ الحِــمــامِ الــنــاعــمــهْ
أرقــتْ عــيــنــاي طــوبى لــلعــيــون الــنــائــمــهْ
مــا تُــرى أرجــوه في عَــيشيَ مــن هــذا الــســهــرْ
إنمــا الــلذةُ في الــدنــيــا اشــتــهــاءٌ فــضــجــرْ
وأنــا أشــتــاقُ لــذات الخــلودِ الــدائــمــهْ

* * *

مــا كــرهــت الــعــيش فــالــعــيش لمــن يــدري جمــيــلْ
في ريــاض الــشــعــر بــين المــاءِ والــظل الــظليــلْ
ســاعــة الــعــزلــة فــيــهــا كــل مــا الــنــفس تــرومْ

مــن بــقــاءٍ دائــم بــعــد بــقــاءٍ لا يــدومْ
فــهــي جــرثــومــة عــيــش ممــرع نــام طــويــلْ

* * *

غــير أن الــغــمضَ أحــلى مــنــه في عــين الــبــصــيرْ
وسروري بــعــده أفــضــل مــن هــذا السرورْ
رونــقُ الــعــمــرِ شــبــابٌ وجمــالٌ وغــرامْ
وهــي تُــعــطَى لي جمــيــعــاً بــعــد تــقــويضِ الخــيــامْ
عــنــد مــا يــصــبــحُ هــذا الــطينُ بــالــنــومِ زهــورْ

* * *

٦٦١ - النجم الجديد(*)

[من مجزوء الرمل]

أطــلقَ الــفــجــرُ جنــاحَــيْ شــاعــرِ «الليــلِ» الحَــنــونْ
فــبــكــى الــروضُ كــنــاراً طــالمــا أبــكــى الــغــصــونْ

* * *

نــاحَ «قــاديــشــا» حــزيــنــاً هــائــماً بــين الــصــخــورْ
وانــحــنى الأرزُ كــئــيــبــاً مــثــلَ صفــصــافِ الغــديــرْ

* * *

قَــصَــبــاتُ الــغــاب كــالــنــايــات أنّــت حــين غــابْ
وأزاهــيرُ الــرُّبى حــنّــت كــأوتــارِ الــرَّبَــابْ

* * *

(*) أنشدها على عوده في الحفلة التأبينيّة التي أحياها النادي في «صنبول» لجبران خليل جبران، في ٢٦ حزيران سنة ١٩٣١

رُبَّ رسم من يديهِ ناطقِ الرمزِ فصيحْ
كاد كالموَّاج لما صاحَ بالنعيِ يصيحْ

* * *

وكما شُقَّت جيوبٌ بعده شَقَّ الإطارْ
وتمنَّى خلفه لو غادرَ اللوحَ وطارْ

* * *

سَكَنَت آلام قلبٍ يتداوى بالبلى
بئسَ عيشٌ فيه يُردِي «السرطانُ» البُلبُلا

* * *

أيها الرائي حبيباً فرَّ من سجنِ الحَزنْ
ضلَّ من يبكي غريباً عائداً نحو الوطنْ

* * *

لم يزلْ جبران حيّاً ما ورا الأفقِ البعيدْ
فارصُدوا فوق الثريا تكشفوا النجمَ الجديدْ

٦٦٢ - الأُمِّيُّ

[من مجزوء الرمل]

جَلَسَ الفلاَّحُ في خيمتهِ ذات عشيَّهْ
وأجالَ الطّرفَ في ديوانِ شعرِ الأبديَّهْ

* * *

جَدولٌ يجري كذَوْبِ الماسِ ما بين يدَيْهِ
والنَّدى والعُشبُ والزَّهرُ تُوشِّي ضفتيهِ

* * *

ونـــجــومُ الــلــيـــل يُـــوقِــدْنَ سراجـــاً فسراجـــا
يتغامزنَ ويضحكنَ ويرقصنَ ابتهاجا

* * *

فَــدَنــا مـــنـــه فـــتىً خِــرِّيـــجُ إحـــدى الجـــامـــعـــاتْ
غافلاً لم يُعرِ الشاعرَ والشعرَ التفاتْ

* * *

قـــال: يـــا فـــلاحُ قـــل لي هـــل تـــعـــلَّمْــتَ الهـــجـــاءَ
قـــال: «يـــا لـــيـــتَ» وعـــيـــنـــاه تـــرودانِ الـــســـماءَ

* * *

قـــال: يـــا مـــســـكـــين أفـــنـــيـــتَ بـــداء الجـــهـــل عُـــمـــرَكْ
لـــو تـــعـــلـــمـــتَ لخـــلّـدتَ مـــع الأعـــلامِ ذكـــرَكْ

* * *

ومضى المُــبــدعُ يجــلـو فـــنّـــه نـــظماً ونـــثرا
ومضى الأســـتـــاذُ يهـــذي ومضى الأمّـــيُّ يـــقـــرا

* * *

٦٦٣ ـ تحية الأندلس(*)

[من مشطور الرمل]

خـــبرِيـــنـــا كـــيـــف نُـــقـــريـــكِ الـــســـلامـــا
طـــيِّـــب الـــنشرِ كـــأنـــفـــاس الخُـــزامـــى

(*) أمّ الشاعر الاسباني العظيم «فرنسيسكو فيلا سبسا» مدينة «صنبول»، وحاضر في أشهر مجامعها وأنديتها العلمية والأدبية، محاضرات رنانة خلب فيها الألباب بساحر بيانه. وقد نوه في كلها بذكر أمجاد أجدادنا العرب في الأندلس، مباهياً بانتسابه إلى أمتنا الكريمة، باذرة أصول العلم والحضارة في «أوروبا»، فبيَّض وجوهنا أمام الغربيين، وحمل «الرابطة الوطنية السورية» على إحياء حفلة تكريمية له.

والشذا المحيي بسوريا العظاما
غادَرَ الشامَ وبيروتَ وهاما
في بلادٍ حُرَّةٍ لم تَحْنِ هاما
وأنوفٍ لم يقبِّلنَ الرَّغاما
خبِّرينا كيف نقريكِ السلاما؟

* * *

أمِنَ (الميماس) حيث العِلجُ رافعْ
رايةً حمراءَ تحميها المدافعْ؟
أم من الشامِ وطَرفُ الشام دامعْ
أم من الأرزِ وليثُ الأرز خاضعْ؟
أم من الأردنِّ والأردنُّ ضارعْ
خاشعَ الرأسِ ذليلاً يترامى
أمِن العُبدان ترضَين سلاما!

* * *

إنَّ (بالحمراءِ) أرواحاً مُطيفَهْ
لم تزل تحمي ذُرى القصرِ المُنيفَهْ
أرسلَتْ من بينها عينُ الخليفَهْ
نظراتٍ هنَّ لعناتٌ مخيفَهْ:
لا يُحيِّيني سوى نفسٍ شريفَهْ!
أبعدوا عني لبنانَ والشآما
من ربوعِ الذلِّ لا أرضى سلاما!!

* * *

يا ابنةَ الزَّهراءِ يا أندلُسيَّهْ
لم تزل فيكِ من المجدِ بقيَّهْ
لمعت فيها السيوفُ المشرفيَّهْ

ضاربات بزنودٍ عربيَّهْ
فعلى مثلكِ لا تُلقى التحيَّهْ
بأكفٍّ لم يجردنَ حُساما
خبِّرينا كيف نقريكِ السلاما؟

* * *

فإذا بغدادُ عادت كالقديمِ
موطنَ الشعر وديوانَ العلومِ
وإذا رنَّ بها عودُ النديمِ
مُرجِفاً بالحب أعصاب النجومِ
ومثيراً لوعة الليلِ البهيمِ
ومديراً أدمعَ الفجرِ مُداما
عند هذا سوف نهديكِ السلاما

* * *

وإذا بيروتُ، أمُّ النور، ولّى
عن سماها أثقلُ الرايات ظلاً
وإذا السيف من الصحراءِ سُلاً
نافضاً عن أربُعِ الفيحاءِ ذُلاً
وإذا لبنان بالأمرِ استقلاً
فلبسنا العزَّ أو متنا كراما
عند هذا سوف نهديك السلاما!

* * *

٦٦٤ - الأزهار الغربية(*)

[من السريع]

أجفلتُها وهي بمهدِ السلامْ على ضفافِ الكوثر العذب
آمنةً تحت ظلالِ الغرامْ نائمةً جنباً إلى جنب
ناعمةَ الأبدانْ طيبة النشرِ
كوَّنها الرحمنْ من معدِنِ الطُّهرِ
نامت على ألحانْ حوريّةِ النهرِ

وجادَها في الليل حَبُّ الغمامْ ما شاءَ من لؤلؤهِ الرطب
أقدَمتُ في مقدِسِ ذاك العفافْ لم أخلعِ النَعلَ ولم أخشعِ
ولم يَرُعني من عذارى الضفافْ حارسُ طهرٍ بي يُهيب: ارْجِعِ!

يا خجلةَ الأشعارْ يا خيبةَ العودِ
يجني على الأزهارْ في ليلةِ العيدِ
يَلوي بأعناقٍ ضِعافٍ لطافْ أبدع ما صاغت يد المُبدعِ
جنيتُها إضمامةً رائعهْ في الحسنِ أهديها إلى أمي
ترشُقُ أجفانُ الضحى اللامعهْ أجفانَها سهماً على سهمِ
لم أُمهلِ الصادي يَروَى من الطَلِّ
والسفحِ والوادي والدوحِ والظل
أشدو ولا شادي مني سوى جهلي
وفي يميني نَسَمٌ ضائعهْ تشكو إلى الرحمن من ظلمي

(*) أملت عليه فكرة هذه القصيدة في الوطن شقيقته فكتوريا ولما تبلغ الحادية عشرة، ويعترف بانه أضاع بزخرف نظمها كثيراً من جمال سذاجتها. وفي جوابه للشاعر نعمة الحاج في غير مكان من هذا الباب اشارة إلى هذه الحقيقة التي غفل عن ذكرها في ديوانه «القرويات» المطبوع سنة ١٩٢٢ وقد كان ينبغي أن تضم هذه القصيدة إلى «البواكير»، لولا أن صديقه الشاعر المرحوم ميشال معلوف رغب اليه في اثباتها مع الأزاهير.

ورحتُ أهفو مستريحَ الضميرْ أرنو إلى الأزهار مستغربا
لاويةَ الأعناق نحوَ الغديرْ شاخصةَ الأحداقِ نحوَ الربى
تستحلفُ العشبا بسالف العهدِ
وتندبُ الحبا يموتُ في المهدِ
حتى ارتمت تَعْبَى خدّاً على خدٍّ
واستسلمَت للنومِ نومِ القبورْ لا تبتغي من عيشِها مأرَبا

الشمسُ تدعو للهوى والنّهارْ «يفتحُ للأنوار قصرَ الذهَبْ»
و«باقي» يعلو سناها اصفرارْ والسحرُ من أجفانها قد ذهَبْ
فالعطر في ذُلّ حانٍ على المُضعَفْ
والآسُ كالظلّ يكادُ لا يُعرفْ
ومَبسِمُ الفُلِّ من الندى قد جفّ
والوردُ مكسوٌّ بلونِ البهارْ ومهجةُ النِّسرين تشكو اللّهَبْ

بادرْتُ بالكأسِ ودمعُ النَدَمْ يستبقُ الماءَ على ضمّتي
فاستيقظَت من سَكراتِ العدَمْ بأعينٍ ذابلة ثرَّةِ
قلت ابسمي للنورْ وارتشفي الطَّلاّ
في قصرِكِ البلّورْ ما أوحش الحقلا!
قالت بلِ القبورْ من عيشنا أحلى
ليتَكَ أجهزْتَ علينا ولمْ تفتحْ لنا عيناً على غُربةِ!

٦٦٥ ـ منشودتي

[من السريع]

يا أيها الطيَّارُ فوقَ الغمامْ باللهِ هل صادفتَ منشودتي؟
منشودتي تسكنُ قصرَ الصباحْ على رصيفِ الأفقِ تهوى المسيرْ
تلبسُ من قطن الغيومِ الوشاحْ على قميص من حريرِ الأثيرْ
وعندما يُرخى ستارُ الظلامْ تلوحُ في الجوزاءِ منشودتي

* * *

يـا أيهـا الـغـواصُ تحتَ الـبحـارْ قـل لي أمـا صـادفـت جـنّـيـتي
جـنـيـتي مـكـنـونـة في الـصـدَفْ في قـاعِ بحـرِ الهنـد تهـوى المقـرّ
لم تحـوِهـا «بـاريس» بـين التُّحَـفْ كـلا ولا «رومـةُ» بـين الـصـوَرْ
مـن نـورهـا يُشـتَقُّ نـورُ الـنهـارْ والحـسنُ مـن إحسـانِ جـنّـيـتي

* * *

يـا فـلكـيّـاً بـاحـثـاً في الـسـماءْ هـل لمـحـت عـيـنـاك حـوريّـتي
حـوريّـتي فـوق محـلِّ الـشـمـوسْ عـائـمـةٌ في لجّـةٍ مـن سـديـمِ
تـروي صـداهـا من عصـير النفـوسْ تـسـتـنـشـقُ الأرواحَ مـثـلَ الـنـسـيـمِ
قـلـبُ الـثـريـا خـافـقٌ في الـفـضـاءْ وجـداً عـلى أقـدام حـوريّـتي

* * *

يـا أيهـا الجـراحُ يَـفـري الصـدورْ لي عـنـدَك الـبشرى بـأمـنـيّـتي
أمـنـيـتي مخـبـوءَةٌ في الـقـلـوبْ راتـعـةٌ تحـت ظـلالِ الخـيـالْ
وهـي الـتي تُـلقـي رداءَ الـشـحـوبْ تـعـويـذةً فـوق رسـوم الجـمـالْ
أوصيـك لا تهـتِـكْ حِجـابَ الضمـيرْ صـونـاً لخِـدرٍ فـيـهِ أمـنـيـتي

* * *

٦٦٦ ـ أمامَ العَلَم

[من السريع]

مَـنْ ذلـكَ المختـالُ تحتَ الحـديـدْ بـالـطلعـةِ الغـراءِ مثـل الصبـاحْ؟
هـزَّتـهُ في الـسـلمِ رمـاحُ الـقـدودْ شـوقـاً إلى هـز قـدودِ الـرمـاحْ
وبـعـد أن صـافـحَ بـيضَ الخـدودْ صـافـحَ في الهيجـاءِ بيضَ الصفـاحْ

* * *

مَـن تلكـم الأبـطالُ سـودُ الـسبـالْ يمشـون لـلهـيـجـاءِ مشي الأسـودْ؟

قــد نــشــأوا كــالأرزِ بــين الجـبــالْ ... فــاتخــذوا الأرزَ شــعــارَ الخــلودْ[1]
بــالأحــدبِ الـبـتــارِ يــومَ الــنــزالْ ... ردوا إلى الأحــفــادِ مجـدَ الجـدودْ

* * *

أبــنــاء ســوريــةَ نــســلَ الــكــرامْ ... بــالـعــز ســيروا رافعــينَ الــرؤوسْ
قــد نـلتُـم المـجـد بـحـد الحـســامْ ... لا بــالـنَّــدامـى والــطلا والـكــؤُوسْ
فلتبـتهــجْ في الـتــربِ تلك الـعــظامْ ... ولـتفـتخــرْ في الخـلدِ تلك الـنـفــوسْ

* * *

٦٦٧ ـ أقحوانة «إِبِّرَنْجَا»(*)

[من السريع]

يــا وردةَ الــبــســتــانِ لا تخـجــلي ... فــقــد حــبــاكِ الله كــلَّ الجــمــالْ
مــا زلـتِ في عـهــدِ الـصـبــا الأوَّلِ ... فــاغــتنمي عــهــداً سريــعَ الــزوالْ
لمَ تــكــبَري بــعــدُ ولم تــذبُــلي ... فلِمْ عَــلَى خــدَّيــكِ تجــري الــلآلْ؟

* * *

زنـبـقــة الــوادي عــلـيــك الــســلامْ ... يــا آيــة الــلطفِ وروحَ الــعــفــافْ
أيــن مضى ذيــالــكَ الابــتــســامْ ... ومــا لهــذا الثغــر يـشكــو الجـفــافْ
هــل نـقضَ الــزنبـقُ عهــدَ الـغــرامْ ... أم أجّــل النرجس يــومَ الــزفــافْ؟

* * *

إضــامــة الـفــل بــصــدر الحـبــيـبْ ... محــســودةً من كــلِّ زَهــرِ الجــنــانْ

---

(١) نظمت قبل أن يتخذ لبنان المستقل شعار الارز بثلث قرن.

(*) «ابرنجا» بالجيم المصرية Upiranga تل تاريخي في احدى ضواحي «صنبول»، حيث نودي باستقلال البرازيل» زاره يوماً وجنى من سفحه اقحوانة، ثم قفل إلى المدينة ماراً في سوق الازهار، حيث تمخضت نفسه بهذه القصيدة

تـبـكـيـن! ذا والله أمـرٌ عـجـيـبْ ماذا؟ ألا يـرضيـك هـذا المكـانْ!
عـرشُكِ كم حـامت عليـه القلوبْ وكـم تمـنّـتـهُ مـلوكُ الـزمـانْ!

* * *

مـالـك يـا زهـرة «لا تـنـسـني» هـل نسِي المحبـوب عهـدَ الـودادْ؟
قـد يـذكـرُ الـنـاسي فـلا تحـزني فـالـعهـدُ بـالـزهـرِ رقيقُ الـفـؤادْ
يـكسر قـلبـي رأسـكِ المـنـحـني دونَ وسـاد، لـيت قـلبي وسـادْ!

* * *

بـنـفـسـجَ الجـنّـةِ مـا لي أراكْ تـلحـظُني مـن تحـتِ كِـمِّ الـورقْ
هـل أنـت بـردانٌ تـرى أم عَـراكْ مـن شـاعـر الأزهـار هـذا الـقـلقْ
نَـمْ آمنـاً سـبحـانَ مـن قـد بـراكْ ولا تَـولّى نـاظـرَيـكَ الأرقْ

* * *

مـالي أرى الأزهـارَ وُلْـدَ الـنعـيـمْ أكبـادُهـا تُكـوى بـنـارِ الـعـذابْ
تـرنـو إلى صـدري بحـزنٍ عـظيمْ وقـد عـلتهـا صُـفـرةٌ واكـتئـابْ؟
لا بـدَّ مـن سرٍّ بـصـدري مـقـيـمْ ستكشفُ المـرآةُ عنـهُ الحجـابْ.

* * *

ليس بصـدري غـيرُ إحـدى الأقـاحْ صفـراءَ مثـلَ الشمسِ عنـدَ الغـروبْ
إذ كنتُ في الـنـزهـةِ هـذا الصبـاحْ جـنيتُهـا مـن سفـحِ تـلٍّ قـريـبْ
مـن «إبّـرَنْجـا» حـيث زُهـرُ المـلاحْ أنـوارُهـا طـولَ المـدى لا تـغـيـبْ

* * *

من «إبّـرَنْجـا» حيث تشـدو العصـورْ أغـنـيّـةَ الـعـزِّ لـشـعـبٍ مجـيـدْ
حيث الـظُّبى استعجلْن يـومَ النشـورْ وبـالـدمـا سجّلن صـكَّ الـوجـودْ
حيث «الـبرازيـل» انـبرَت للدهـورْ واغـتـصـبـت منهـا حـقـوقَ الخـلودْ

* * *

لـزهـرتي في «إبَّـرَنْـجـا» جـذورْ   من أجلهـا نـالَ الـزهـورَ الحسـدْ
تمتصُّ مـن أبـطالِ تـلكَ الـقـبـوزْ   مـا لـيس يـغـلى مـثـلَه في جـسـدْ
فليسَ في صـدريَ إحـدى الـزهـورْ   بـل رابضٌ في عـرشِ صـدري أسـدْ
يـا وردُ بـايـعْ أقـحـوانَ الجـبـالْ   واحـنِ لسلطانِ الـزهـور الـرُّؤوسْ
هـذا تغـذّى من قحـوفِ الـرجـالْ   ومـن دمِ الأبـطالِ روّى الكُـؤوسْ[1]
من شهـداءِ المجـدِ في الحـربِ نـالْ   عَبـيرَ الاِستـقـلالِ محيي النفـوسْ

* * *

يـا زهـرتي الصفـراءَ بنتَ الحتـوفْ   بـنتَ الـظُّبَى بنتَ العـذابِ الألـيمْ
يـا شـعلةً مـن بـرقِ تلكَ الـسيـوفْ   يـا قـبسـةً مـن نـارِ تـلكَ الجـحـيـمْ
صِفي لـنـا غـاراتِ تلكَ الـصفـوفْ   وحـدِّثـي عـن هـولِ يـوم عـظـيـمْ

* * *

يـا زهـرة يحـيي شـذاهـا العـظامْ   فـوحـي لأشـقـى أمـةٍ في الأمـمْ
مَسِّي أنـوفـاً أصبحـت في الـرَّغـامْ   فـربّمـا عـاد إلـيـهـا الـشـمَـمْ
فـجـرَّدت في «إبَّـرَنْـجَـا» الحـسـامْ   وركّـزت في «حَـرَمُـونَ» الـعَـلَمْ[2]

---

(١) قحوف. جمع قحف وهو جزء عظمي من الجمجمة.
(٢) حرمون: جبل بالشام.

٦٦٨ - «تنديل»(*)

[من السريع]

«تنديلُ» يا «تنديلُ» حانَ الرحيلْ   وأزمعَ السائحُ هجرًا طويلْ
فزوِّديني من هواكِ البليلْ   بنفحةٍ تُنعِشُ قلبي العليلْ
لم يبقَ لي في الخلدِ إلاَّ القليلْ

* * *

يمَّمَ مغناكِ قطارُ الصباحْ   كالرألِ يعدو فوقَ تلك البطاحْ
أحسَّ وجدي فاستعارَ الجَناحْ   من مهجةٍ مُثخَنَةٍ بالجراحْ
دماؤُها فوقَ خدودي تسيلْ

* * *

«تنديلُ» لو كانَ حبيبي معي   واللهِ عن مغناكِ لم أرجعِ
لم تترُكِ الأسماءُ في مسمعي   من مَقطع ضُمَّ إلى مقطعِ
فهزَّ روحي مثل (تنّ) و(ديلْ)

* * *

رجَعتُ والأشواقُ تكوي الضلوعْ   فلم يخفِّفْ من حنيني الرجوعْ
أحِسُّ في البعدِ وفي القربِ جوعْ   أينَ إذًا أهلي وأينَ الربوعْ
واحسرتي تِهنا وتاهَ الدليلْ

* * *

(*) «تنديل»: مصيف ريفي جميل في الأرجنتين بين «بونس أيرس» وثغر «نيكونشيا». فزع إليها من زحام العاصمة وضجيجها، وحل ضيفًا على أنسبائه أسرة مرجان البربارية. فكان يتزود الجبن والعنب، ويقضي معظم أسحاره وأصائله جائلاً بين هضابها ووهادها، ناضيًا عنه ثيابه للهواء والنور، منشدًا أغاني بلاده وهو في عزلة عن الخلق هنيئة تامة، حتى استدعته لجنة تأبين فيصل لإلقاء قصيدة الوداع هذه قبل عودته إلى البرازيل سنة ١٩٣٤

ربّـاه إني قـد عـدِمـتُ الجـلَدْ　　وضـاعَ عمـري بـين سعي وكـدّ
أبحثُ عن أهـلي فـأطـوي الأبـدْ　　ولا أرى في الأرضِ منهم أحـدْ
كـأنـني أبـحـثُ بـينَ الـطلولْ

* * *

متى تُـرى يفـرحُ قلبي الـكئيبْ　　وينـطفي بـينَ ضلوعي اللهيبْ
متى أرى يـا عـينُ وجـهَ الحبيبْ　　أهـكـذا أقضي حيـاتي غـريبْ
أكـلُّ حـال غـير حـالي يـزولْ

* * *

لئـن رأينـا بـالحِمام الحـمى　　يـا عين مـا أطيبَ هـذا العمى
أو يـكنِ الـقـبرُ طـريـقَ الـسما　　لا تحـزنـوا أن تـدفنـوا النُّـوَّمَـا
فــهــو صـعـودٌ في الـثرى لا نُـزُولْ

* * *

قـد منِحَت تنـديـلُ من ربِّهـا　　مـا يسـتـرقُّ الحُـر في حُبِّهـا
لم ألـقَ في الحسـنِ لهـا مُشبِهـا　　إلا الـذي طـوقَ جيـدي بِهـا
غـصـنٌ مـن الـرُّمّـانِ فيـهـا يمـيـلْ

* * *

صـبيّـةٌ مـدت إليّ الـيـدَيْـنْ　　وطَـبَـعَـت في عـارِضي قـبلَتَـيْنْ
لهـا جبـينٌ كـنقـيِّ الـلُّجَـيْنْ　　رأيـتُـهُ مـن قـبـلُ لم أدرِ أيْـنْ
وأغـلـب الـظنِّ بـحـلمٍ جمـيـلْ

* * *

تـرنـو بعـين أين عـينُ الغـزَالْ　　كـالنجمـةِ الـزهـراءِ تحت الهـلالْ
كـحيـلةِ الجفـنِ بسـحـرٍ حـلالْ　　كـأنّها إحـدى بـنـات الخـيـالْ
جـسّـمـهـا الحُـبُّ فـقـالـوا «نَهيـلْ»

* * *

قالت بصوتٍ كاد لطفًا يذوبْ — حسِبتُهُ تغريدةَ العندليبْ
أهلاً وسهلاً بالنسيبِ الحبيبْ — كم اشتهينا أن نرى عن قريبْ
بلبلَ «صنبولَ» علينا نزيلْ

* * *

وسِرتُ في رهطٍ من المعجَبينْ — وعصبةٍ من أهليَ الأقربينْ
أكاد من دمعي لا أستبينْ — محاسنَ البدرِ الأغر الجبينْ
والدمعُ عنوان الشعور النبيلْ

* * *

حتى دخلنا باحةَ المنزلِ — كوخ عن الضوضاءِ في مَعزِلِ
يوحي إلى الشاعِر بالُمنزَلِ — عش جميلٌ لاق بالبلبلِ
لا أرتضي بالقصرِ عنه بديلْ

* * *

دخلتُهُ والوردُ غضُّ الجنى — أغضَبَهُ شُغلي بوردِ الُمنى
كأنه في جذبِ ثوبي عَنَى — نسيتَ يا غافلُ أنّي هنا
حيِّ مليكَ الزهرِ قبلَ الدخولْ

* * *

ثم جلسنا نُمطِر الأسئلَهْ — ولم نزلْ في أولِ السلسِلَهْ
حديثُ أهل يرقصُ القلبُ لَهْ — نعِيدُ من آخرِهِ أولَهْ
وإن للحبِّ حديثًا طويلْ

* * *

قمتُ مع العصفورِ قبل الضُّحى — أسبِّحُ الله كما سبّحا
ومنظرُ الحقل أزاحَ الرحى — عن قرَويٍّ كادَ أن يَرزَحا
من نيرِ عيش مدَنيٍّ ثقيلْ

* * *

حــواضرٌ مــا لي بهــا مــطمــعُ جنــاتهــا في نــاظــري بــلقَــعُ
يـضيـقُ فـيـهـا الخُـلُقُ الأوسَـعُ والمـوتُ في ســاحــاتهـا يــزرعُ
مــا زرعَ الــسـلطانُ في «الــدردَنــيــلْ»

* * *

شـوارعٌ سُدت لفـرطِ الـزحـامْ خُط عـلى جُـدرانها «لا ســلامْ»
أنّى تَـلَفَّـتُّ رأيـتَ الحَـمـامْ تقفــزُ منه النـاس قفـزَ النَعـامْ
وهْـوَ عـلى النـاسِ يسـدُّ السـبيـلْ

* * *

نـواطـحٌ ذاهبـةٌ في الـفـضـاءْ تـوشـكُ أنْ تثقُبَ صـدرَ السماءْ
لـو لم تُنِـر أطبـاقَها الكهـربـاءْ لكـانَ فيهـا الصبحُ مثـلَ المسـاءْ
كـلُّ دلـيـلٍ في دجـاهـا ضـلـيـلْ

* * *

والأرضُ بـاتـت رغمَ هـذي الصروحْ كـالجـسـد المـطروحِ من غـير روحْ
مـدائنٌ مبثـوثـةٌ كـالقـروحْ في جثـةٍ منهـا تـنِـزُّ الجـروحْ
والـنـاسُ «مـكـروبـاتُ» داءٍ وبـيـلْ

* * *

فمتّعـوا أبصـاركمْ بـالحقـولْ وسرِّحـوا الأرواح بـينَ التـلولْ
عـلى مـروج مـا عـراهـا ذبـولْ جـرت عليها النَسمـاتُ الـذيـولْ
عـلـيـلةٌ فـيـهـا شـفـاءُ الـعـلـيـلْ

* * *

تلكَ عذارى الدوح قامت صفوفْ والـريحُ بـالـرَّاحِ عليهـا تـطوفْ
قـد عَلِقَ الـطَلُّ بهـا كـالشنـوفْ لـهُ على الأوراقِ نقـرُ الـدفـوفْ[1]
عـلى ضـفـافِ النيـل تحتَ النّـخيـلْ

* * *

(١) شنوف جمع شَنْفٍ وهو القُرْطُ.

للهِ أيّـامٌ بـتـلـك الـربى وجـدتُ فيهـا للهـوى ملعبـا
حـرًا طـليقًـا كـنسيم الـصَّبـا كـأنمـا عـاد إليَّ الـصِّبـا
ودبَّـتِ الـروحُ بـجـسـمـي الـنـحـيـلْ

* * *

كم خَـطرةٍ لي بينهـا في الغَـداةْ ألقى عـليَّ الـوحي فيهـا سُبـاتْ
يحسَبني الـرائي فـقـدت الحيـاةْ وربمـا صـاحـت بـقـربي فـتـاةْ
مـذعـورةً: ربّـاهُ هـذا قـتـيـلْ

* * *

منخـطفًا بـالروحِ فـوق السّحابْ إلى سـماءٍ بُـطِّنَـت بـالضَّبـابْ
تفتـحُ لي جنِّيَـةُ الـشعـرِ بـابْ إلى قصـورٍ شـامخـاتِ القبـابْ
فـوق الـثُّـرَيّـا راسـيـاتِ الأصـولْ

* * *

أهُـزُّ فـيهـا بـينَ نـايٍ وعـودْ بـالشعرِ أعـطافَ بنـاتِ الخلودْ
حـورِ جِنـانٍ مـا أبحنَ النهـودْ ولا منحنَ الـوردَ فـوقَ الخـدودْ
إلا لـبـعضِ الـشـعـراءِ الـفـحـولْ

* * *

ولم يعكِّـر صفـو ذاكَ السكـونْ إلا نهيقٌ . . . ردَّدَتـهُ الحـزونْ[٢]
فـوا حنيني للغـنـاءِ الحنـونْ ! ! مهـلاً بني (الجَزْبَنـدِ) هـذا جنـونْ
قـرقَـعـةُ ألحـانـكـم أم عـويـلْ

* * *

يـا عـينَ «تَنـديـلَ» سقتـكِ السـما كـويـتِ قلبـي إذ رويـت الـفـما
أذكَـرني شـهـدُكِ حـلوَ الـلمـى وألهفَ نفسي بعـد طـولِ الـظّما
لـرشـفـةٍ مـن ريـقـهِ الـسـلـسـبـيـلْ

* * *

(٢) تتوتر أعصابه لسماع أكثر الأغاني الأميركية وموسيقاها الصخابة.

لُمَـيَّ هـلاً لمـحـةٌ يـا لَمـيْ — تعيدُ هـذا الميتَ في الصـدرِ حيْ
حسُّـونـتي فِـرِّي ورُفِّي عـليْ — لم يبقَ في الكـرمـةِ مـذ غِبتِ شيْ
إلا وريـقـاتٌ عـراهـا الـذبـولْ

* * *

حسُّـونتي إن تـسمـعي البلبـلا — يُـطربُ في أرضِ اللجَين المـلا
فـلا تـقـولي بلبـلي قـد سَـلا — صـدَّاحُـكِ المسكـينُ يبكي فـلا
يـفـهـمُ أهـلُ الأرضِ مـاذا يـقـولْ

* * *

فـودِّعيني يـا طيـورَ السحـرْ — وقـبليـني يـا ثـغـورَ الـزهَـرْ
وعـانقيـني يـا قـدودَ الشجـرْ — يـا ليت شعري هـل يعيـدُ القـدرْ
عـهـدَ الهـوى في ظـلِّكـنَّ الـظليـلْ

* * *

أيـامَ أعـصـابي مـن الـنـارِ — ووثـبـتي سـبـعـةُ أمـتـارِ
أقـوى شـبـابِ الحي في داري — صرعى بـزَنـدي وبـأشعـاري
كـأنـني عـنـتـرةٌ أو أخـيْـلْ

* * *

مـرَّت ليـالي الحبِّ مـرَّ السحـابْ — وانقـطَعَت تلكَ الأغـاني العِـذابْ
لا تضحكـوا من شيبنا يـا شبـاب — نحنُ انتهينـا وطـوَينـا الكتـابْ
وكـلُّ جـيـل يـنـطوي إثـرَ جِـيـلْ

* * *

تـركتُ روحي فـوقَ تلك التـلالْ — تحتَ الغصـونِ الوارفـاتِ الظِّلالْ
ظمـآنـةً تَنشـدُ خمـرَ الجمـالْ — تُروي صداهـا من صدورِ الجبـالْ
وتـرنمـي سـكـرانـةً في الحـقـولْ

* * *

روحُ فتًى حرٍّ تَعافُ المُدامْ ما لم يُدِرها في الثغور الغرامْ
لها على العودِ هديلُ الحَمامْ فإن دعا الحقُّ: الحُسامَ الحسامْ
أسمَعَتِ الزأرةَ بعدَ الهديلْ

* * *

راقصةٌ للرَّعدَةِ القاصِفَهْ ضاحكةٌ للوَمضةِ الخاطفَهْ
مدَّت جنَاحيها عَلَى العاصفَهْ وأمْعَنَتْ في جوِّها هاتفَهْ
إلى مدًى عزَّ إليه الوصولْ

* * *

خالدةٌ هازئةٌ بالعَدَمْ ثائرةٌ ساخرةٌ بالألَمْ
هزَّت على الظُّلمِ سِنانَ القلمْ فانفجرت أنفاسُها كالحُمَمْ
واندَفَعت جارفةً كالسيولْ

* * *

فقلْ لشعبٍ رامَ أن يستقلّْ ليس وراءَ اليأسِ غيرُ الفشلْ
وإنّما يُنقَلُ هذا الجبلْ بالهمةِ القعساءِ لا بالكسلْ
والعزمِ لا إيمانِ أهلِ الخمولْ

* * *

وقل لمن ضلُّوا سبيلَ الهدى وضاعَ فيهم كل نُصحٍ سدى
يا وطني منك نفضتُ اليدا فمن يحاولْ عنك دفعَ الرَّدى
حاولَ أمرًا دونَه المستحيلْ

* * *

لا! لا! ستحيا رغمَ أنفِ الزَّمنْ بل أنتَ حي رغمَ هذا الكفنْ
ما دامَ حر واحدٌ في الوطنْ فهو بهذا الحرِّ حرٌّ وإنْ
عاشَ به مليونُ عبدٍ ذليلْ

* * *

كم قمةٍ عاليةٍ عاصيَةْ حكّمتُ فيها رجليَ الداميَةْ
لا تخطُرُ الأخطارَ في باليَةْ والصَّخرُ في منحدرِ الهاويَةْ
كأنَّه الأنيابُ في شدقِ غولْ

* * *

رَكِبتُها والشوكُ نحلٌ مُثارْ محدَّدُ الأَنصُلِ ماضي الشِّفارْ
يأكُلُ ما أبقتهُ مني الحجَارْ ومهجتي بين حديدٍ ونارْ
كأنّها بين فراتٍ ونيلْ

* * *

يا نفسِ ما ألينَ قَلبَ الحجرْ يا نفسِ ما أنعمَ وَخزَ الأبَرْ
طوباكِ يا نفسِ أمِنتِ الخطرْ لكم تمنيتِ فراقَ البشرْ
فبرِّدي بالنار هذا الغليلْ

* * *

غنيُّهم ينهبُ رزقَ الفقيرْ كبيرُهم يهضِمُ حقَّ الصغيرْ
زاهدُهم بالفلسِ باعَ الضميرْ عاملُهم يركضُ ركضَ الحميرْ
والمالُ في جيبِ المرابي الكسولْ

* * *

طاهِرُهم منغمِسٌ في الفجورْ ظاهرهم يحكي بياض القبورْ
شاعرهم يلهو بجرح الشعورْ حُجّتهم دعوى، حجاهم غرورْ
مجلسهم هُزْوٌ وقالٌ وقيلْ

* * *

أوطانهم وقفٌ بأيدي القسوسْ أديانهم محصورةٌ في الطقوسْ
نفوسهم يا ذُلّها من نفوسْ لهم جسومٌ ما عليها رؤوسْ
لهم رؤوسٌ ليس فيها عقولْ

* * *

كم من دنيءٍ نـالَ أسمى الـرتَبْ وكـم أديـب مـن قـلال الأدبْ
وكم قسـوس يكنـزونَ الـنشبْ مـا سجـدوا إلا لعجـلِ الـذهبْ
يـا لـعـجـول يـعـبُـدُون الـعـجـولْ!

* * *

وكم عليـل الصـدرِ من حقـدِهِ كـأنّمـا الأصـلالُ في بُـردِهِ[٣]
مـنـقـلِبِ الـرأي إلى ضِـدِّهِ تجـنّـبَ الـعـوراءَ في نـقـدِهِ
تجـنُّـبَ الخِـنـزيـرِ خـوضَ الـوحـولْ

* * *

يـا نفسِ قـد طـالَ علينـا السُّرى وهـذه أكـواخُ أهـلِ الـقُـرى
فلنسـترح ولـنعـفُ عـمّا جـرى إن جـار في المدنِ علينـا الـورى
فـحـسـبـنـا الـكـوخُ ونِـعـم الـوكـيـلْ

* * *

يـا نفس نـامي واحلمي بـالغـرامْ كـالطفـل تـرعـاك عيـونُ السـلامْ
لا تـرفعـوا أصـواتَكم يـا أنـامْ كـلّت جفـوني فـدعـوني أنـامْ
مـا أطـيـب الـنـومَ لجـفـن كـلـيـلْ

* * *

أنهكَني السّـيرُ وطـالَ الـطّريـقْ وغـاب عن عيني خيـالُ الـرّفيقْ
وسـامَني المعـروفُ مـا لا أطيقْ فقـد تمـلُّ النّفسُ فضـل الصـديقْ
والـشـاعـرُ الحـرُّ أبيٌّ خَـجـولْ

* * *

«تنـديـلُ» مـا لي حيلةٌ بـالفـراقْ وفي فـؤادي مـنـه مـا لا يُـطاقْ
لكنْ «بِبُـونِسَـيْـرِسٍ» لي رفـاقْ أمسيتُ من معـروفهـم في وثـاقْ
مـا قـيّـدَ الأحـرارَ إلا الجـمـيـلْ

* * *

(٣) اصلال جمع صِلّ وهو الحيّة.

قــد غمرونــا بــالفَعــال الحسَنْ　　وطــوَّقــوا أعــنــاقَـنــا بــالِمنَـنْ
من أجلهم يــا قلبيَ اهجرْ عَــدَنْ　　إن الألى امتــازوا بحب الــوطنْ
كــل كــثـير في رضــاهــم قــليــلْ[٤]

(٤) لما انتهى من إنشادها علق على صدره نيشان باسم المحتفلين، فنظم في هذه الفترة ثم ألقى المخمسات الآتية (من السريع):

قــولــوا لــعبـد بــالنيــاشين هــامْ
فــبــاع لــبـنــان بهــا والــشــامْ
يــا صــاح مــا كــل وســام وســامْ
بمــثـل هــذا فــليــباهِ الــكــرامْ
ولــيــفــتخــر كــل عــزيــز نــبيــلْ

يــا مــن كــســوت الــصــدر نيــشــانــا
قــد زدتــني بــين الــورى شــانــا
وزدت مــن يخــدم أوطــانــا
في شرف الخــدمــة إيمــانــا
ورغــبــة في كــلِّ سام جــليــلْ

أكــرم نــيــشــان بــه أكــرمُ
تحــســدني مــن أجــلــه الأنــجــمُ
ثــقــب بــصــدري فــار مــنــه الــدمُ
إذا الــتــقــى المخــذم والــلهــذمُ
بــين الــزغــاريــد وقــرع الــطبــولْ

٦٦٩ - عصفور(*)

[من السريع]

هل أنتَ يا عصفورُ مثلي غريبْ
هل لك مثلي إخوةٌ في الوطنْ
هل أنتَ مثلي هاجسٌ بالحبيبْ
من ذا الذي تهواه يا طيرُ مَنْ
تنفّس البرعمُ في كِمِّه
هل أنتَ من أنفاسِ ذاك الجنينْ
والفجر قد حنَّ إلى أُمِّهِ
هل أنتَ من موجات ذاك الحنينْ
يا «كجّةً» كانت لطفلِ النسيمْ
في ملعب الأَرواحِ عند السَحَرْ[1]
طورًا تُرى في الجو إحدى النجومْ
وتارة في الروض إحدى الثمرْ
كأنّما أنت بصدر القفَصْ
مصطفقَ الجانحِ لا تستريحْ
طيرٌ ذبيحٌ في ضلوعي رقَصْ
وما انتهى بعد عذاب الذبيحْ

(*) أرقه طائر صغير شديد الاضطراب في قفص علق على جدار غرفته في أحد الفنادق.
(١) الكجة: لعبة كالكرة.

٦٧٠ - أنشودة الغريب(*)

[من مجزوء السريع]

حتّامَ أحيا غريبْ ... مالي وطنْ
يا يوم وصلِ الحبيبْ ... أنت الزمن

* * *

دهرٌ بقلبي رمى ... سهم النوى
يكويه ربي كما ... قلبي كوى
هيهاتَ غير الحمى ... مالي دوا
لبنان نِعمَ الطبيبْ ... للممتحَنْ
إن كنت منه قريبْ ... زال الحزَنْ

* * *

لله ذاك الغديرْ ... ما أعذبَا !
لله تلك الزهورْ ... ما أطيبَا !
لله تلك الطيورْ ... ما أطربَا !
من كل شادٍ عجيبْ ... ينفي الشجنْ
في شدوهِ للقلوبْ ... سلوى ومنّْ

* * *

كم لي بتلك السفوحْ ... من موقفِ
والشمس طورًا تلوحْ ... أو تختفي
في ظل روضٍ يفوحْ ... بالمضعَفِ
أو تحت غصنٍ رطيبْ ... حلوِ التّثنْ
غنى به العندليبْ ... فوق الفنَنْ

* * *

(*) نظمها ولحنها في القطار بين «الريو دي جانيرو» و«كاشمبو» سنة ١٩١٤

إيـاكِ يـهـوى الـفـؤاد يـا أمّـنـا
مـن دون كـل الـبـلادْ أنـتِ المـنى
هـل يـا تـرى من معـادْ يـومًـا لـنـا
يـا حـسـن يـوم تـؤوبْ فـيـنـا الـسُّـفُـنْ
نـشـتـمُّ قـبـل الـغـروبْ ريـحَ الـوطـنْ

٦٧١ ـ هذيان شاعر(*)

[من الطويل]

سلكتُ أضاليل الحياة «رشيدًا» وسرتُ مع الجمعِ الغفير وحيدا
وعاشرت من بيض الوجوه عبيدا وعانيتُ أنواع الشَقاء سعيدا
وقد عُدت في عُمرِ المسيح وليدا

* * *

صعدتُ إلى رأسي فأبديتُ أنجما وغصت إلى نفسي فألفيت منجما
وصافيت أعدائي ولم أكُ مرغما وجافيت أحبابي وما زلت مُغرما
وبِتُّ قريبًا حين بتُّ بعيدا

* * *

أجوعُ فآبى أن أذوق غذائي وأثقلُ في الحر الشديد كسائي
ويُشْمَعُ في عرس الصديق رثائي ويعلو على قبر الحبيب غنائي
وأنقر قدَّام الجنازة عودا

* * *

أرى كلَّ شيءٍ عكسَ ما تنظرونَهُ وتكره نفسي كل ما تعشِقونَهُ
وذلك أمرٌ واضح تعرفونَهُ فقولوا قد أذاع جنونَهُ
فما هدّ أو هزّ الكلامُ عمودا

* * *

(*) من منظومات ١٩٢٠

تعالـوا فنبـدي حـزننـا وسرورَنـا   ونهتِـكَ في ضـوء النهـار ستـورَنـا
ليعلمَ أهـل الأرض طـرًا أمـورَنـا   فنجعـلَ في النهج القـويم مسيرَنـا
فـلسـت إذا يُـقضى عـليّ عـنـيـدا

* * *

ألم تفـرحـوا انتم بنفي رجـالِكُمْ؟   ألم تشنقـوا استقـلالكم بحبـالكم؟
ألم تُسلمـوا للعـار مجـدَ جبالكم؟   ألم تشـتروا استعبـادهن بمـالكم؟
ألم تـتركـوا الحُـرَّ الشريـف شهـيـدا

ألم أركم تبكـون والنـفس تبسمُ   ألم أركـم تثـنـون والقـلب يشـتمُ
ألم تحـلفـوا بـالله والله أعـلمُ   فقـولـوا لنا أي المجانـين أحكمُ
وأصـدقُ في يـوم الـوفـاء عـهـودا؟

* * *

وعـين يشـوق الظامئين ورودُهـا   وتُنـثر من فرط الـدعاب عقـودُهـا
فتركض ما بـين الصخور تـريدُهـا   لهـا كلما للشمس أتلع جيـدُهـا
حـنـاجـر بـلورٍ تـسـيـلُ نـشـيـدا

* * *

جلسنـا عليهـا نقتـل الهم سـاعَـةً   ونشهـد أسرار الجمال مـذاعَـةً
فـرحتم كما جئتم إلى العين باعَـةً   وظلت مواضيع الحـديث بضاعَـةً
وظـل هـبـوطًـا سـعـرهـا وصـعـودا

* * *

لـكـل مقـام في الحيـاة مقـالُ   وكـل جـواب يقتـضيـه سـؤالُ
وغـير الـرجـال الأغنيـاء رجـالُ   وفي الـراس مثل الجيب يكنـز مالُ
ورب غـني لا يحـوز نـقـودا

* * *

ضحكتم على الأخلاق والعلم والذكا   وأنتم أحق النـاس بالنـوح والبكـا
ومـا في الغنى عار عليكم ومشتكى   فإني رأيت المال كـالأصل إن زكـا
يـولّـدُ إحـسـانًـا ويـثـمـرُ جـودا

* * *

ولكن غناكم ماحلَّ ما أفادَكُمْ سوى أنه أغرى الغريب فسادكُمْ
أقول لعلَّ القول هزَّ فؤادَكُمْ رأيت يهودًا يشترون بلادَكُمْ
فيا ليتَ كنتم في السخاء يهودا!

* * *

٦٧٢ - «بنتقي»(*)

[من الطويل]

أيا «بنتِقي» إني بصوتك مُعجبٌ
ألا كنتَ قبل اليومِ تشدو لنسمَعَكْ
بلى! كنت تشدو لا ترى لك سامعًا
إذا غرَّدت في الفجرِ حَسُّونَتي مَعَكْ

* * *

أيا «بنتقي» هلاَّ تعلّمتَ شدوَها
كما أخذتَ عني النُّواحَ الحمائمُ
تلطفْ قليلاً بالسكوت فربما
لحسونتي صوتٌ مع الريحِ قادمُ

* * *

أيا «بنتقي» تقضي نهارَك منشدًا
وأقضي صباحي باكيًا ومسائي
فهل لك شمسٌ غيرُ شمسي مضيئةٌ
على غيرِ أرضي تحتَ غيرِ سمائي؟

* * *

أيا «بنتقي» لا فرقَ في الدارِ بيننا
كلانا بوادٍ طيِّبِ الزرعِ مُمرعِ(١)

(*) «Ben te-vi» وترجمتها (طاب لي مرآك» اسم لطائر برازيلي أطلق عليه محاكاة لصوته.
(١) مُمرع: خصيب.

ولـكـنـي لا الأرضُ أرضي ولا السما
سمائي إذا حسونتي لم تكن معي

* * *

أيا «بنتفي» هلاً جثمتَ هنيهةً
علَى الغصنِ فوقي مصغيًا لنشيدي
وطِرتَ إلى حسونتي وأعدتَه
فليسَ حِمى حسُّونتي ببعيدِ

* * *

تغنَّ بشعري حائمًا حول دارها
ورجِّع أنيني في الهوى وتنهُّدي
فإن فَطِنَت واستقبلتك بوجهها
فعُدْ مغمَضَ الأجفانِ لا تترددِ

* * *

ستنقلُ في عينيكَ رسمَ خيالها
لعيني التي ترعاك من آخِرِ الجَلَدْ
فأطبِقْ جفني فوقَه غير طابعٍ
سواهُ على إنسانِ عيني إلى الأبدْ

* * *

٦٧٣ ـ أين وجدت الله(*)

[من الطويل]

لطمتُ جدارَ الأفقِ حتى تصدَّعَا
وغادرتُ بابَ اللانهايةِ مُشرَعا
وأطلقتُ ورقاءَ ابنِ سينا فحلَّقتْ
تروِدُ مَحَلاً في السماواتِ أرفعا
وما بَرِحَت تطوي الفَضاءَ لعلَّها
تلاقي ليوحنا ورؤياهُ موضِعا
إلى أن أتمَّت دورة الكونِ وانثنَت
وما تركَت من دارَةِ الكونِ إصبعَا
فلم ترَ «يوحنا» ولم ترَ «بطرسًا»
ولم ترَ «إيليّا» ولم ترَ «يوشَعا»
ولم ترَ من خُلدٍ ولا من مخلَّد
ولم ترَ لا عرشًا ولا متربعا
فعادت يهيضُ اليأسُ هيضًا جناحَها
ويجرِش منها جارشُ الحزنِ أضلعا[1]

* * *

تزعزع إيماني وحاقَ بيَ الأسى
وودَّعتُ عهدًا للصلاةِ تكرُّسا
لأنيَ لم ألقَ الإلهَ بعالَمٍ
يشابهُ فيه اللامسُ المتلمَّسا
وصرتُ إذا للدِّينِ يُعقَدُ مجلسٌ
عقدتُ وأهلَ الكفرِ للكفرِ مجلسا

(*) «صنبول» سنة ١٩٢٧

(١) يهيض: يكسر، وجَرْش الشيء: حكّه وقشره ودلكه.

وخُيِّلَ لي أني خَلفتُ «شُميّلاً»
وأني بعلمي يَرفَعُ القومُ أرؤسا

وأنيَ للإصلاحِ أضرمتُ ثورةً
وهدَّمتُ «بستيلاً» وحرَّرتُ أنفُسا

وإذ نالَ مني العُجبُ يومًا منالَهُ
وفارَت دمائي في عروقي تحمُّسا

تذكّرتُ تهديدَ «الوليدِ» لربهِ
وألقيتُ في النارِ الكتابَ المقدَّسا

* * *

فلاحَ لعيني في الدُّجنَّةِ مشهدُ
غريبٌ تقومُ النفسُ منه وتقعُدُ(٢)

كأنَّ زفيرَ النار بوقُ «أديصنٍ»
سمعتُ به آيَ الكتابِ تردَّدُ

و«داوُدَ» أستاذَ المغنينَ منشدا
و«أيوبَ» في أوجاعهِ يتنهَّدُ

وطارَت إلى القرآنِ منهُ شرارةٌ
تَلاقى بها موسى وعيسى وأحمدُ

ومحَّصَتِ النيرانُ مُحكمَ آيِهم
كما من تُرابِ الأرضِ مُحِّصَ عسجدُ(٣)

فلم يبقَ من أقوالِهم غيرُ لفظةٍ
تَخِرُّ لمعناها القلوبُ وتسجُدُ

أحاطت بجوِّ اللانهايةِ فاغتدى
بقوسينِ من حاءٍ وباءٍ يُحدَّدُ

* * *

---

(٢) الدجُنّة: الظلمة.

(٣) مَحَّص بمعنى محص، ومحص المعدن بالنار: خلَّصه مما يشوبه.

هو الحبُّ حتى ليسَ في الأرضِ مُجرِمٌ
ولا مدمعٌ يجري عليها ولا دمْ
وحتّى كأنَّ القلبَ في خفقانه
يوَدُّ به نطقًا كما نَطقَ الفمُ
فقل للذي لم يعرفِ الحبَّ قلبه
ولم يُلفَ إلا شاكيًا يتألمُ
أيا صاحبي إنَّ العداءَ جهنمٌ
وما فيه من عزٍّ لتحلو جهنمُ
ويا صاحبي إنَّ التجهُّمَ يقتضي
من الجهدِ ما لا يقتضيهِ التبسُّمُ
ألا كلُّ دِينٍ ما خلا الحبَّ بدعةٌ
ألا كلُّ عِلمٍ ما عداه توهُّمُ
ولا عَجَبٌ أن يُنكرَ الله كافرٌ
فماذا ترى من يجهلُ الحبَّ يعلمُ

* * *

أبيحَت به للسالكينَ المذاهبُ
فمذهبُهُ أن ليسَ فيه مذاهبُ
ووُحِّدَتِ الأنحاءُ فيه فلا تُرى
مشارقُ في سلطانه ومغاربُ
ولا عربي عنده وأعاجمٌ
ولا وطني عندَهُ وأجانبُ
ولا فيه مغصوبٌ ولا فيه غاصبٌ
ولا فيه مغلوبٌ ولا فيه غالبُ
تمشّى بأعصابِ الوجود فأشعلَت
به كالمصابيحِ النجومُ الثواقبُ

ودارت حواليه البرايا كأنه
نواةٌ حواليها تدورُ الكهاربُ
فليس له إلاَّه في الكونِ دافعٌ
وليس له إلاَّه في الكونِ جاذبُ

* * *

كشفتُ ضميرَ الدين يومَ كشفتُه
ولم أعترفْ باللهِ حتى عرفتُهُ
فما أنا في الأكوانِ بعد بباحثٍ
وفي كبدي ألفيتُهُ وألِفتُهُ
غسَلتُ من البغضاءِ والحقدِ أضلعي
ببعض الذي من كأسهِ قد رشفتُهُ
وشِدتُ به بيتًا جعلتُ حدوده
وراءَ حدودِ الوصفِ لما وصفتُهُ
بأعمدة الخُلق المتين دعمتُه
وأجنحةِ الروحِ الأمين سقفتُهُ
فما الأرض إلا ذرةٌ في فنائِه
مغلغلة بين الحصى إذ رصفتُهُ
وما الزُّهر في السبع الطباقِ تنضَّدت
سوى ثمر من روضهِ قد قطفتُهُ

* * *

أرى الله لفظًا بالمكارم يُنطَقُ
ودينًا بمحمودِ الفعالِ يُصدَّقُ
كفاكم كلامًا أنْ تَلَوْتُمْ كلامَه
وما زادَ عنه فالذي زادَ أحمقُ

ولم يوصِكم ربي بأن تتشدقوا
ولكنه أوصى بأن تتصدَّقُوا
فبالبرِّ والإحسان صلوا وسلموا
عليهِ وبالغفرانِ والرحمةِ اتّقُوا
ويا ليتَ كلَّ القولِ يحشو جيوبَكم
ويا ليت بعضَ المالِ للهِ يُنفَقُ
ويا ليت أرزاق اللئامِ لمحسنٍ
فقد قلَّ من يهوى العطاءَ ويُرزقُ!

* * *

فيا من تَمَنَّى أنه كان رائيا
كرؤياي نقِّ القلب وامشِ ورائيا
فقد شِمتُ وجهَ اللهِ في وجهِ مخلصٍ
صريحٍ ولو في الكفرِ ليس مُرائيا
وصافحتُ كفَّ اللهِ في كفِّ محسنٍ
يجسِّمُ في كفِّ الفقيرِ أمانيا
وعاينتُ عينَ اللهِ في عينِ شاعرٍ
تسُحُّ على أهلِ الشقاءِ لآليا
ولامستُ قلبَ اللهِ في قلبِ راحمٍ
يذُرُّ على القلبِ الكليم تعازيا
ففي ثغرِ من منكم أرى الله باسمًا
وفي عينِ مَن منكم أرى الله باكيا
وفي كف من منكم أرى الله محسِنًا
وفي لُطفِ من منكم أرى الله شافيا
مضى كلُّ ما أبقى الغنيُّ لآلِه
وظلَّ الذي أفنى على الفضل باقيا

٦٧٤ - بين حكومة وشعب(*)

[من الكامل]

جُنْدٌ يُريدُ السِلمَ وهو محاربٌ ... كالغِرِّ يبدأ بالجفاءِ ويعتبُ
وحكومةٌ ظلمَتْ وتسألُ شعبَها ... إني رضيتُ فما لِعَبْدِيَ يغضبُ
يا قالبي عرشَ المظالمِ قلبُنا ... ما زالَ في رَمْضَائه يتقلَّبُ
لبنانُ ما زالت بنودُ نِظامِه ... تلهو بها أيدي الطغاةِ وتلعبُ
أخصامُنا حكّامُنا فلِمَنْ ترى ... نَشكو وأين من «القضاءِ» المهربُ
قاموا لحِفْظِ الأمن في أنحائه وفيها ... فإذا بهم فيه لصوصٌ تَنْهَبُ

شعبٌ ترجّى أنْ يَرَى فرجًا ... لَمّا أتى الدستورُ واستبشرْ
فمضى ووجهُ العدل رائدُهُ ... والحقُّ في ظَلمائِهِ «أنورْ»
حتى إذا وَصَلَ السرايَ رأى ... من حولِها غيرَ الذي قَدَّرْ
طلب الدُّخولَ توسُّلاً فأَبَوا ... فألحَّ لكنْ لم يَنلْ. فأَصرْ
عُضوُ الإدارةِ عِضوُنا فَدَعُوا ... هذا الجدالَ نريدُ أن نحضرْ
لِمْ تَمْنَعون دخولَنا جزعًا ... ما خاف إلاَّ فاعلُ المنكر...
طال السؤال فما أجاب سوى ... طَلَقٍ من «المرتين والموزرْ»
فالأذنُ غيرَ الرعدِ ما سَمِعَتْ ... والطّرْفُ غيرَ البرقِ ما أبصرْ
هذا وذاك وفي غُصونِها ... تمَّ انتخابُ النائبِ الأحمرْ

(*) مما نظمه إثر حادثة انتخاب عضو «الكورة» الإداري في ٣٠ ك ١ سنة ١٩٠٨ وقد ارتجل حال حدوثها هذين البيتين: (من الكامل):

نادى بطالب بالحقوق فلم يكن ... غير الرصاص له جزاء ندائه
يا ويل هذا الشعب من مسترحم ... إن كانت الحكام من أعدائه

وقد حذره والده في رسالة من الغلو في وصف الحادثة فأجابه بما يلي:

(من الكامل)

ما كان سفك دماء قومي أبحرا ... لكنه ظلم وسفك دماء
وكبيرة في النفس دمعة بائس ... ولئن تكن في العين قطرة ماء

جـاءتْ عسـاكـرُهُمْ وأصغـرُهُمْ   قـدرًا يـقـدِّرُ نـفسـه الـقـيصرْ
جـاؤوا لأخـذِ المجـرمـينَ فـما   سَـلِمَ الـبَريءُ وجُـرْمُهُمْ أكـبرْ
يـا لـلعيـاذ بـعـدلِ ربـك مِنْ   حُكمِ البُغـاثِ إذا هـو اسـتنسرْ
قـولـوا ليـوسف منـكَ شقـوتُنا   أنتَ الـذي سبّبت هـذا الشرّ[1]
بـالأمـر غـيرك كـان مـؤتمـرًا   و(الفعـلُ) مرجِعُـه إلى (المصـدر)

٦٧٥ ـ الوجوه الكالحة[*]

[من الكامل]

للروضِ في وجـه الغديـرِ ملامـحُ   والبـانُ في كف الـنسيم مـراوحُ
وروائـح الـوردِ النـديِّ فـوائـحُ   وعـلى الجمـادِ من الحيـاةِ لـوائـحُ
والشمسُ مشرقـةٌ ووجهـك كـالـحُ . . .

* * *

ثغـر المنى لـك بـالسعـادة بـاسمُ   والعيشُ رحبٌ والـزمـان مسـالمُ
وبنـوك في رغـدٍ وجسمـك سـالمُ   والأرض زاهـرةٌ وأنـت القـاتـمُ
والـطير شـاديـةٌ وأنـت الـنـائـحُ

* * *

الـوحشُ آنسـةٌ وأنسـك نـافـرُ   حتى متى تشكـو وغـيرك شـاكـرُ
أوَليس غـيرَك في البـريّـة تـاجـرُ   ألقـاك ربحـانًـا كـأنـك خـاسرُ
أأراك خسرانًـا كـأنـك رابـحُ؟

* * *

---

(١) يوسف فرنكو باشا متصرف الجبل في ذلك العهد.

(*) عاد ذات يوم من البر إلى «صنبول»، ومر في شارع السوريين، فلم يرَ إلا وجوهًا كالحة تتكلف رد السلام.

يَجِدُ الشقيُّ الرُّحبَ في شق القلمْ ويرى الجريح النور في ليل الألمْ
وأرَاكَ لا فقرٌ ولا ألمٌ ألمَّ لا تسأم الشكوى من الدنيا، ألَمْ
يَنْفَعْكَ ما وعظ النهار البارحُ؟

* * *

رُدَّ السلام عليَّ حين أسلِّمُ يا مؤمِّلا يرثي له المتألِّمُ
لا يحمِلُ الموتَ الفقيرُ المعدِمُ فعلامَ عند لقائه تتجهمُ
صمتُ العَبوس هو الكلام الجارحُ

* * *

فرِّجْ همومك بالقناعة والرضى ماذا يفيدك أن تُغمَّ وتمرضا
قل ربِّيَ ارحمني إذا حُمَّ القضا فلسوف أقضِي مثلما غيري قضى
والمرءُ في الدنيا خيالٌ سارحُ

* * *

٦٧٦ - الحسونة الغيرى

[من الكامل]

كيف السبيلُ إلى رضى حسّونتي إلا بِكَمٍّ فمي وقصِّ جَناحي
لم تهوَني إلا لأني بلبلٌ وتموت إنْ سمعَ الطيورُ صُداحي

* * *

هي دونَ كل الطيرِ لي معبودةٌ لا أشتهي إلا لذيذَ غنائِها
وإذا شدوتُ فزقزقت عصفورةٌ في الغابِ روَّعَتِ الضحى ببكائها

* * *

حسونتي رفقًا بضعفكِ واعلمي أني وحقِّ هواكِ عبدُ هواكِ
لا تجزعي إن كنتُ أضحكُ واجزعي إن كنت أبكي في الهوى لسواكِ

***

هـلا سمعتِ إذا استكنَّ الـطيرُ في أعـشـاشِهـنَّ تنهُّـدي ونـحيـبي
أعَصَـرتُ إلاّ فيكِ منـديـلي وهـل حـيّرت إلاّ في هــواك طـبـيـبي

* * *

يـا من يحـوّلني غــرابًـا نـاعبًـا كــي لا تمــوت لُميّــتي وأمــوتـا
هي لا تطيقُ الصبرَ إن فتنَ الورى شـدوي ولا أنا أستـطيعُ سكـوتـا

٦٧٧ ـ المعجزات(*)

[من الكــامـل]

يـا بحـرُ كَمْ حـطّمتَ من صخـرٍ ولكم أذبتَ، عـلى مـدى الـدهـرِ
تـرغي عـلى شـطّيـك مضـطـربـا متــوعــدًا متبــدـدًا غضبًــا
مهلاً فذلك ليس بالأمرِ
لـو كـان مـوجُـك يصنـعُ العجبـا لأزاحَ هـذا الصخـرَ عن صـدري

* * *

يــا وابــلاً قــد طــبّــقَ الجــلَدا وطــما فـكــاد يـغــرِّق الــبـلدا
مــتــدفـقَ الـشـؤبــوب مِـدرارًا يــتــلـو بــه الــتــيّــار تــيّــارا
مَهْلاً فإنك لا تَبُلُّ صَدَى
إن كنتَ شـيئًـا يـطفىءُ الـنـارا أرني وبــرِّدْ هــذه الــكــبِـدا

* * *

(*) لج به ذات ليلة شوق لا يدفع إلى مواجهة الطبيعة، وهي في إبان غضبها، فخرج من الفندق تحت عاصفة هائلة، وأمطار غزيرة، يطوف بتمثال الحرية في ساحة عالية من ساحات مدينة «بورطو اليغري». ثم أسفر الصبح عن سماء صافية وشمس ضاحكة.

يـا أيُّهـا الإعـصـار كـالـفِـتَـنِ	في الشرق ذاتِ الـنـار والـدخَنِ
يـنـقضُّ في الـلُّجـات مـبـتـلعـا	ويـطوف بـالغـابـات مقتلـعـا
ما أنتَ إلاّ لهثةُ الزَمَنِ
إن كنت تمحـو بعضَ مـا طبعـا	فـانفضْ غبـارَ الـذلّ عن وطني!

* * *

يـا لمعـةً من مـبسِـم الـشـمسِ	كَـادت تضيءُ غَيابـةَ الـرَمسِ
خـلَعـت عـلى الآفـاقِ أنـوارا	حَـلِيَـت بهـا الـظلماءُ أقـمارا
مهلاً فما خففتِ من يأسي
لـو كـنـتِ تخـترقـينَ أبـصـارا	لرمـيـتِ سـهـمًا في دجـى نـفسي

٦٧٨ ـ المرفأ الأمين

[من الكـامـل]

لميـاءُ لم أعـشـقْ إهـابَـكِ إنـه	عنـدي لِبـاسٌ لاحقٌ بلبـاسِـهِ
لكن عشِقتُ وراءَهُ الصُـورَ الـتي	مثـلي يحسُّ بها بغـيرِ حـواسِـهِ
كم في الشـوارعِ دُميـةٌ معـروضـةٌ	نَعِم المشيبُ بهـا عـلى إفـلاسِـهِ

* * *

أحببتُ فيـكِ بسـاطـةً شرقيـةً	فيهـا الجـمـالُ الأنثـويُّ مجسّمُ
ليس التمـدُّنُ يا لمَيـةُ غـير مـا	حكـماءُ شعبكِ من قـديمٍ علّمُـوا
وحضـارةُ الغـربيِّ بـرجُ حمـاقـة	كـفٌ تـعـمِّـرهُ وكـفٌ تهـدِمُ

* * *

وعـشقـتِ فيَّ حمـاسـةً وطـنيـةً	تغلي النفوسُ لهـا ويضطرمُ الـدمُ
قبّلتِ حيثُ أصونُ مـا أبقيتِ من	لُبِّي وقلتِ هنـا العجيبُ المُلهَمُ
فـترَينَني أبـدًا أمسّـحُ جَبهتي	بـأنـامـلي وأشمّـهـنَّ وألـثـمُ

* * *

في بُـردتيـكِ محـاسنٌ خـلأبـةٌ	لم يـدر قيمتها سـوى الشعـراء
قَـرويَّـةٌ وحَـيِـيّـةٌ ونـديّـةٌ	ونـقـيّـةٌ كـالـوردةِ البـيـضـاءِ
لا تعرفينَ من الـطيوبِ سـوى الندى	حـسْـبُ الـورود تـعـطُّرٌ بـالمـاء

* * *

مـا دغـدغتْ نهديـكِ نـافـذةٌ ولم	تتـرصَّـدي المـاشي ولم تتصيّـدي
للهِ سحـرُ يـديـكِ بـين طبـاخةٍ	وخيـاطـة ولـطيفِ أشغـالِ اليـدِ
في حضنِ مثلكِ يـا لميّـة مـرفـأ	للنفس من لـجِّ الحيـاةِ المـزبـدِ

٦٧٩ ـ الحبيبْ النائم

[من الكـامـل]

هــذا حبيبُـكَ يـا فؤاديَ نـائمٌ	تغشـاهُ بعـدك صُفـرةٌ ونحـولُ
وعـلى الجفـونِ الـذابـلاتِ بقيّـةٌ	من لؤلـؤٍ رطبٍ عـليـكَ يسيـلُ
لطِّفْ خُفوقَكَ، واحترسْ إيقـاظَهُ	إن الحـبيـبَ من الـفِـراقِ عليـلُ

* * *

كم قد سفحت من الدموعِ لبُعدِهِ	وصدمتَ جُدران الضلوعِ لـذِكرِهِ
فـانحرْ هـواك لدى سريـرِ عفـافـهِ	واقنعْ من الروضِ النضـير بعِطرِهِ
قـبِّـلْ وِسـادَتَـهُ وشُـمَّ دِثـارهُ	واحـذرْ خيـالَـك أن يُلِمَّ بثغـرِهِ

* * *

من لي بـأن يغشى المدائنَ والقُرى	والـبرَّ والبحـرَ البعيـدَ سُبـاتُ
كُفِّي هـديلَكِ يا حمـاماتِ الحمى	لا تلطمي الأوراق يـا نَسَمـاتُ
حتى تمَـلَّ عيـونُ لميـائي الكـرى	وتشِـعَّ حولَ سَريـرهـا البسمـاتُ

* * *

نمْ يـا حبيب القلب في مهـد الهنـا	رفَـتْ عليـه سـكينـة وسـلامُ
لا تلثُمُ الأحـلامُ هُـدبَـك مـرةً	إلا إذا طـابـت لـكَ الأحـلامُ
ليت الـطبيعـةَ في يـديَّ قِيادُهـا	ليتَ الـوجـودَ ينـامُ حينَ تنـامُ

٦٨٠ - شكوى الوسادة(*)

[من الكامل]

ماذا تحمّلني من الهمّ … أسرفتَ يا مظلومُ في ظلمي
قم ألقِ رأسكَ فوق شاهقةٍ … هذا الأشمُّ يليقُ بالشُّمّ
ما هذه الكُرَة التي سحقَت … جسمي، من البادي بلا جسمِ
قد خيّبت ظنّي بصاحبها … أوَ تلكَ رِقّةُ شاعرِ الوهمِ؟
عهدي بها في الليلِ تُنعشني … فكأنّها قارورةُ العطر
تُلقى عليّ وملؤها أمَلٌ … والحبُّ يشغلُ حيِّزَ الفكرِ
فتبخّرَتْ كالماءِ لذّتُها … لما أضاءَت فحمةُ الشعر
واهًا على العشرينَ من زمن … يُفدى بكلِّ أطايبِ العمر

* * *

أيامَ كان رشيدُ يتركني … للشمسِ تغمرني أشعّتُها
حتى ينامَ بحِضنِ والدةٍ … كالشمسِ تغمرهُ محبتُّها
الله يعلمُ كيف حالتُه … مذ باتَ يجهلُ كيف حالتُها
يا ليتَ وافتهُ منيّتُه … إن كان وافَتها منيّتُها

* * *

أشقايقي في كل مرتزق … حذَّرْتُكنَّ فليسَ من عَذْلِ
هذا الفتى جوَّالةٌ حرِكٌ … لا يلبَثُ اليومينِ في نزلِ
لا تغترِرْنَ بلطفهِ فله … فوقَ الوسادةِ مِرجلٌ يغلي
ويظل يقذِفُ في الدجى حُمَمًا … ويصيحُ: والهفي على أهلي!

(*) الحديث على لسان الوسادة.

٦٨١ - الخلي النادم

[من الكـامـل]

أنـزلْ عـليَّ صـواعقًـا ورجـومـا وامـلأ فـؤادي حسـرةً وهمـومـا
واجعـل نعيميَ في الحيـاةِ جحيـما فـإذا ظللتُ من الغـرامِ سليـما
كـنـتُ الـسـعـيـدَ وكـنـتَ أنـت رحـيـما

* * *

أو مـا كفاني مـا حُـرمتُ هجـوعـا أو مـا كفـاني مـا ذَرَفتُ دمـوعـا
أنـا لا أريـدُ إلى الغـرامِ رجـوعـا يـا ربِّ لا تـكُ للدعـاءِ سميعـا
يـا رب كـاد يمـوت قـلبـيَ جـوعـا!

* * *

خـذ من حيـاتي العـزَّ والإقبـالا خـذ مـا يخلِّدُ ذكـريَ الأجيـالا
خـذ كـلَّ مـا ملكَت يميني مـالا خـذ كلَّ مـا صدري حـوى آمـالا
خـذ كـلَّهـا أمَّـا الـغـرامَ فـلا لا

٦٨٢ - «قايين»(*)

[من الكـامـل]

خَلَعَ الحيـاةَ على الجمـادِ بسـاعـدٍ لم تلبسِ الـوشيَ الحقـولُ بـدونِـهِ
وأطـاع دعـوةَ ربِّـهِ في رَيِّهـا من ذوب مهجتـهِ ومـاءِ جَبينِـهِ
حـتى إذا شبَّـت بعـزم شبـابـهِ وزَهَـت منـوَّرةً بـنـورِ عيـونِـهِ
وأعـادَهـا عـذْنًـا أبـوهُ أضـاعهـا بـجحـوده ومـروقـهِ مـن دينِـهِ

(*) نشرت هذه القصيدة سنة ١٩٣٥ في مجلة «العصبة» تحت تصدير بقلم رئيس التحرير جاء فيه:
إذا فقصيدة قايين نبضة من قلب شاعر دق شعوره، وارتقى عقله حتى جل معبوده عما نسبت إليه القصيدة، فهو لم يفكر بالإله المنزّه الكامل بل بإله أنزل منزلة البشر المجبولين بطين الضعف والنقص.

حَمِدَ ابنُ آدمَ ربّهُ وجنى له ... أشهى المجاني من غراس يمينِهِ
وجثا لديهِ مقدِّمًا قربانَه ... ورضاهُ كلُّ رجائهِ ويقينِهِ

* * *

ومضى أخوهُ مسرِّحًا أغنامَه ... بين المروجِ عَلَى ضفافِ الجدولِ
وبكفِّهِ «شبّابةٌ» يشدو بها ... في الروضةِ الغناءِ شدوَ البلبلِ
لم يُدمِ كفّيهِ القَتادُ ولم يذُق ... من دهرهِ ما ذاقَ رَبُّ المعولِ[1]
ورآهُ عن بُعدٍ فحدَّث نفسَه ... والثاغيات يردنَ عذبَ المنهلِ[2]
«لِمَ لا أقدِّمُ للعَليِّ ذبيحة ... فأفوزَ دون أخي برضوانِ العلي»
ومضى فحزَّ من النعاجِ سمينةً ... ولعلّها عُلفت بزرعِ الأوّلِ!

* * *

أهدى له الجزّارُ لحم خِرافِه ... رمزَ القساوةِ والشراسةِ والدَّمِ
وجنى له الفلّاحُ كلَّ رويّةٍ ... بالشهد طيِّبةِ الشذا والمطعمِ
فلوى الإلهُ عن الفواكه وجهَهُ ... متحوِّلاً عنها بشدقَي ضيغمِ
قَرِمًا إلى كبشٍ تسيلُ دماؤُه ... هدرًا على جمرِ الغَضا المتضرِّمِ[3]
ومضى يعُبُّ من الدمِ المسفوحِ لم ... يرحمْ خليقَته ولم يتألمِ
ودعا على قايينَ دَعوة ناقمٍ ... ورنا إلى هابيلَ رِنوةَ مُنعمِ

* * *

يا ربِّ عفوَك إن جسرتُ فقمتُ معترضًا على الحكمِ الذي أبرمتَهُ

جالت بعين العدلِ أولُ دَمعة ... مما على قايين قد أنزلتَهُ
أنتَ الذي علَّمتَه وجزيتَهُ ... شرًّا عَلَى الشرِّ الذي علّمتَهُ
لم ترضَ غير الكَبشِ قربانًا: إذًا ... هابيلُ لم يذبحهُ، أنت ذبحتَهُ
أغريتَ قايينًا بهابيلٍ: إذًا ... قايين لم يقتلهُ، أنتَ قتلتَهُ
هَبْ كان قايينٌ بشرعكَ ظالمًا ... أفكنتَ أرحمَ منه حينَ لعنتَهُ

---

(١) القتاد: نبات له شوك.

(٢) الثاغيات: الشياه.

(٣) قَرِمَ إلى اللحم: اشتدت شهوته إليه.

٦٨٣ - رثاء الأعلام(*)

[من مجزوء الكامل]

١

قِفْ نبكِ أعلامَ الهدى ... وَنُوَفِّهِمْ حقَّ الرثاءِ
أودت بهم كفُّ الردى ... واجتاحَهم عَزِمُ القضاءِ
لا صوت بعدُ ولا صدى ... غير التنهدِ والبكاءِ

٢

جبرٌ وصرُّوفٌ وعبدُ - ... اللهِ ثالوثُ الجهادِ[1]
أرخوا على الطرس اليراعَ - ... وأغمضوا بعد السُّهادِ
فقلِ السلامُ على الفضيلةِ - ... بَعدهم وعلى الرشادِ

٣

أمُّ اللغاتِ لفقدهم ... «راحيلُ» فاقدةُ العزاءِ
إن تبكِ آخرَهم بكت ... فيه الجميعَ على السَواءِ
يومُ الشقاءِ مذكِّرٌ ... بجميعِ أيامِ الشقاءِ

٤

يا رحمةَ الله اجمعيهم- ... في جوارك بالأمانِ
واقضي لهم في هدي- ... أمتهم بتحقيق الأماني
وتغمّديهم بالرضى ... وتكنَّفيهم بالحنانِ

* * *

(*) نظمها ولحنها في حفلة تأبين المعلم جبر ضومط.

(١) يعني جبر ضومط ويعقوب صروف وعبدالله البستاني.

٦٨٤ - شاجية(*)

[من مجزوء الكامل]

يَمِّمْ ظلالَ السَّروِ - حيث تبيتُ أشباحُ الفناءِ(١)
وقلِ السلامُ على الندى وعلى الهدى وعلى الوفاءِ
أُدرجن في كفن الظلام - وكنَّ في حُلَلِ الضياءِ

* * *

زينَ المحافِل إنّها لنواكَ عاطلة الصُّدورِ
طالَ افتقادُ المدلجين وطالَ تسآلُ الفقيرِ
ماذا عداكَ عن الحضور فلا نراكَ معَ الحضورِ

* * *

صَفِرَت يداك وطالما قد سالَتا بيضًا وصُفرًا
لولا الذي أفنيت ما أبقيتَ بعد الموت ذكْرا
كم موسرٍ عدَّ الألوفَ وكان عند العدِّ صِفرا!!

* * *

باقي صفاتك باسِطٌ ظلاً على بالي الرُّفاتِ
ولَرُبَّ ميت في الحياةِ ورُبَّ حي في المماتِ
يا لَلقصورِ الخاليات ولَلقبورِ الآهلاتِ

* * *

لم يحفروا لك إنما هي كوّة الأمل البعيدِ
نِعمَ الثّواءُ بحُجرَة تُفضي إلى غرفِ الخلودِ
فاذكرْ بها الوطن الشقيَّ وأنت في الوطن السعيدِ

* * *

(*) نظمها ولحنها في حفلة تأبين المعلم نعمة يافث.

(١) السرو من الأشجار التي تغرس في المقابر عند البرازيليين.

٦٨٥ - يا أختُ(*)

[من مجزوء الكامل]

يـا أخـتِ حُـلمُ الأمسِ - صحَّ مبشرًا بغدٍ سعيدْ
وتجسّدَ الطيفُ الملوِّحُ - بالسعادة من بعيدْ
فاستقبلي العهدَ الجديدَ - ببهجة العهدِ الجديدْ
عهدٌ إذا عوَّذته بتميمةِ الحبِّ الأكيدْ
يبقى على غِيَرِ الزمانِ - فكل يوم فيه عيدْ
وإذا دنا يومُ الفراق - كأنه يومُ الوعيدْ
لا تجزعي لنوى الرشيد - سليمُ أحسنُ من رشيدْ(١)

* * *

لك في الشمال شقيقةٌ الوجدُ أمرضَ قلبَها
لا يطمئنُّ فؤادُها حتى تراني قربَها
ولكم تمنّت أن أسا - هرَها وأقعدَ جنبَها
لأكادُ ألمس دمعَها وأكاد أسمعُ عتْبَها
تدعو أخاها كلما رَكَعَت لتدعوَ ربَّها
لا تعجبي إن فرَّجَت بشرى حضوري كَربها
حسبي دليلاً أن حبّك - لي يماثل حبَّها

* * *

هذا «أبو شهلا» الذي بك دون كلِّ فتًى يليقْ
شهمٌ حوى العقلَ الرجيح - كما حوى القلبَ الرقيقْ
فوجدتِ أنتِ به الحبيبَ كما وجدتُ أنا الصديقْ
لا بل وجدتِ الأمَّ والأبَ والشقيقةَ والشقيقْ

(*) عندما زفت شقيقته دعد إلى سليم أبي شهلا في ٢ أيلول سنة ١٩٣٩

(١) كان على أهبة السفر إلى الولايات المتحدة ثاني يوم الحفلة، ثم أكرهته توسلات أمه على العدول بسبب الحرب.

فلئن تركتُك قد تركتُك في يَدَيْ بَرٍّ شفيقْ
إن الحياةَ سياحةٌ فترافقا طولَ الطريق
وتهنّيا فكلاكما نعمَ الرفيقةُ والرفيقْ

٦٨٦ - أحبابنا (*)

[من مجزوء الكامل]

أحبابَنا وُضعَ العشاءُ - وآلُكم بالانتظارِ
وقلوبهم لغيابكم تُشوى على جمرات نارِ
قوموا نعودُ إلى الحمى قد آذنت شمس النهار

* * *

أحبابَنا سكتت على الأغصانِ أصواتُ البلابلْ
وأتى الرعاةُ من الجبالِ - ولم يعدْ في الحقل عاملْ
قوموا نعودُ إلى الحمى عد الجميعُ إلى المنازلْ

* * *

أحبابَنا ما ذي المضاجعُ - في العَراءِ على الجلامدْ
كيف الهجوعُ ولا فراش - ولا غِطاءَ ولا وسائدْ
قوموا نسيرُ إلى الحمى قوموا، نسيمُ الليلِ باردْ!

* * *

«بربارتي» هل بعدُ فيك - من الأحبةِ لي بقيَّةْ
فأرى إذا سمحَ الزمان ولم تخيِّبْني المنيَّةْ
أمّا تُراقبُ عودتي وأخًا يردُّ ليَ التحيَّةْ

* * *

(*) تخيل أنه واقف عند المساء على قبور أحبابه الذين قضوا جوعًا في الوطن إبان الحرب العالمية الأولى.

يـا مـن يحِـنُّ إلى المـرابـع - إن رجـعـت إلى المـرابـغ
موِّنْ عيـونـكَ مـا استـطعتَ - مـن الـبـحـارِ وأنـت راجـغ
فلسـوفَ يُـدهشـكَ المُصابُ وسـوف تُـعـوزُكَ المـدامـغ

٦٨٧ - كنيسة سُبْعُل(*)

[من مجزوء الكامل]

وهَبَ الكنيسـةَ مـذبحًـا ورفـيـقَـهُ وهَـبَ الجـرَسْ
لا لـلنـداء إلى الـعـبـادةِ والـتـطهُّـرِ مـن دَنسْ
فالديـنُ عند الناسِ معنـاهُ التعصُّـبُ والهَوَسْ

* * *

وتعـاركـا فقـداسـةُ الهِبَتَيْنِ بـعـد الـعـزِّ في ذُلْ
مـطروحتـينِ عليـهمـا تتنـاوبُ الـرفسـاتِ أرجُـلْ
عقبى الجميـعِ ،وَلَيْتَ كـلّ قُـراكَ يا لبنـانُ «سُبْعُـلْ»(1)

(*) تعليق على خبر
(١) سُبعل: قرية في شـمالي لبنـان

٦٨٨ - إلى شباب العرب(*)

[من مجزوء الكامل]

ثِبْ يا شبابَ العُرب ثِبْ   مشتِ الشعوب وأنت نائمْ
ثبْ فالعلى نارٌ تأجَّجُ - في العروقِ وفي العزائمْ
وِرد المجرَّةَ بالضراغمِ - تحتَ أجنحةِ القشاعمْ
وارْدُدْ مجاهلَ هذهِ - الأكوانِ واضحةَ المعالمْ

* * *

حطّمت قيدَك فانطلقْ   في حَلبةِ العمل العظيمْ
واستغنِ بالعز الطريف - عن التغني بالقديمْ
إن لم تجلَّ عن الرميم - بنهضةٍ تحيي الرميمْ
ما أنتَ بالخَلَفِ الكريم - لذلكَ السلفِ الكريمْ

* * *

اليوم تجني ما سقيتَ - بذورَه العلَقَ الثمينا
فاحرِصْ على ما قد وجدت - بمن فقدتَ بمَيْسَلُونا
حاشَاكَ بعد بزوغ مجدكَ - أن تخونَ وأن تهونا
ما نلتَ الاستقلالَ إلاّ - بعد أن ذقت المنونا

* * *

الناسُ حولك للوثوب - إذا غَفَت عينُ انتباهِكْ
يتراقصون على أنينك - شاربينَ كؤوس آهِكْ
لم تُغنكَ الصلواتُ إن   سطتِ الذئابُ على شياهِكْ
الحرب من سُنن الحياةِ - ءأنتَ أحكمُ من إلهِكْ!

* * *

(*) ألقاها في الحفلة السنوية التي أقامتها «المدرسة الشرقية» في «صنبول» لتوزيع الشهادات على طلبتها المنتهين سنة ١٩٣٦

لـيس الـفـتى الـعـربـيُّ - بالذئبِ الخَطوف ولا الخَرُوفْ
لـكـنـهُ الـبـطلُ الشريـف - الـقـادرُ الـبـطل الشريـفْ
نـحـن الألَى فـخـروا الأنـامَ - بـكـلِّ جـبّـار لـطـيـفْ
لا يـستـبـد بـغـير طـاغ - مـستـبـدٍّ بـالـضـعـيـفْ

* * *

مـا زلـتَ في بـدءِ الجـهـادِ - فـلا تـقـلْ بـطَلَ الجـهـادْ
الـيـومَ يـومـك لـلسـبـاق - الـيـوم يـومـكَ يـا جـوادْ
فـانهدْ إلى حـومـاتـه لا بـالمـهـنّـدة الحـدادْ
بـل بـالـتسـاهـل والمحبّـة والـوئـام والاتحادْ

* * *

عـشْ لـلعـروبة هـاتـفًـا بـحـيـاتهـا ودوامِـهـا
وامـدد يمـينَ الحـب يـا لـبـنـانهـا لـشـآمِـهـا
أنـظر إلى آثـارهـا تُـنْـبِـئْـكَ عـن أيـامِـهـا
هـذا الـتُراثُ يمـتُّ مـعـظمُـه إلى إسـلامِـهـا

* * *

مـا لي أراكَ بـرئـتَ مـن دمـهـا ومـن أوطـانِهـا
أنـسيـتَ أنـك ليـثُ نهضـتها ونـسـرُ بيـانِهـا
أتقـولُ لسـتُ من الشـآم وأنـت في أحضـانِهـا
أتهـدُّ نـاطحـةَ النـجـوم وأنـتَ من أركـانِهـا

* * *

إن فـاتـكَ الـرأيُ السـديـدُ - فخـذ بـرأي ذوي العـقـولْ
ودعِ الـغـبـيَّ يـقـول مـا شـاءَ التعـصُّـبُ أن يـقـولْ
إلحَـقْ بـشـاعـرِكَ الأبـي وفيلسـوفـكَ يـا جهـولْ
مَـن سـارَ خلف «الـديـك» - يعلمْ أين آخرةُ الوصولْ.[1]

* * *

---

(١) الديك شعار فرنسا.

هلاَّ ذكرتَ فتوحهم بالمشرَفيّةِ والقلَمْ
أيَّام هزُّوا للعلى والعِلْمِ في الغربِ العَلَمْ
جمعوا الذكاءَ إلى الوفاءِ - إلى الإباءِ إلى الشممْ
قهروا العدى نشروا الهدى رضعوا الندى بدعوا الكرمْ

* * *

قل لي بربِّك هل ربحتَ من الغريبِ سوى المحَنْ
وفروغ جيبك واليدين - وقتل روحك والبدَنْ
كانت تدرُّ الشهدَ - أرضُك والسلافةَ واللبنْ
فغدا الوقوف على ربوعك - كالوقوفِ على الدِّمَنْ

* * *

سيجرُّ «عزرائيل» فوق ربوعهم ذيلَ العفاءْ
ويطيِّرُ الشيطان ما اخترعوا بما اخترعوا هَباءْ
ويطهِّرُ الآفاق من عِقْبانهم نسرُ القضاءْ
مَن كان تأباه الجحيمُ فكيف ترضاهُ السماءْ

* * *

شيِّدْ على أنقاضِهم مدنيّةَ الخُلقِ المتينْ
فلأنتَ بالتمدين دون - الناس أجمعهم قمينْ
مثل المهنّدِ إن تُهَزَّ - فإن يُهزَّ بك الحنينْ..
فالغصنُ، فالنسماتُ - فالورقاءُ فالماءُ المَعينْ

* * *

واهًا على عهد السذاجة والحماقاتِ العذابِ
ما ضرَّ لو غادرتَهنَّ - وطِرتَ وحدكَ يا شبابي
خيرَ الصحاب تركتني وتركت لي شرَّ الصحابِ
بعد الأمانيِّ العذابِ - أمَرُّ ألوانِ العذابِ

* * *

عِشْ للتفاؤل يا شبـاب وللبشـاشـةِ والخـلابَـةْ
عش للخيـال وللجمـال وللغـرامِ وللصبابَـةْ
عش للطموح وللجهـاد وللمناعـة والصلابَـةْ
قيـل المهـابـةُ للشيـوخ وأنت أجْـدرُ بـالمهـابَـةْ

* * *

سِرْ في فتـوحِ الخـالـدين وطِرْ إلى أقصى مـطارِكْ
قبَسُ الهـدايةِ في يمينـكَ والعـدالـة في يسـارِكْ
طِـرْ لابسًـا إكليـلَ غـاركَ رافعًـا علَمَ انتصارِكْ
رحـب الفَضـاءِ فِناءُ دارك والعـوالمُ بـابُ دارِكْ

* * *

٦٨٩ - طيور الكتاب(*)

[من المتقـارب]

طيـورُ الكتـابِ حجَجْنَ الحِمى — عصائِبَ من كلِّ صوبٍ وحذْب
يسقنَ من الهَـدي لـوحـاتِ فن — وبـاقـاتِ فكـرٍ وروضـاتِ كُتْب
ولّمـا دنـون من البيتِ حـوّلنَ — أبصـارهنّ وصـحْنَ بـرُعـبِ
إلهـي! إلهـي! لمـاذا؟ ومـاذا — أصـابَكِ يـا خيرَ أرضٍ وشعب؟
أذا وجـهُ بـيروت أمّ الحـضـارة — مـبـدعـةِ الحـرف؟ كـلاّ وربٍّ
أكـلُّ الـبـلادِ خـرابٌ ونهبٌ — أكـلُّ المطارحِ سـاحـاتُ حـربٍ؟
شيـاطينُ قَنْصٍ عـلى كلِّ سَطْحٍ — مـلائـكُ صرعى عـلى كـل درب
ولا بـسـمـةٌ مـن أخٍ لأخٍ — ولا صِـلةٌ بـين شـرقٍ وغـرب
فهـل ذهب العقـلُ من كـل رأس — وهــل نَضَبَ الحبُّ في كـل قلب
ولم يـبـقَ غـيرُ عـداءٍ وبُـغْضٍ — وفتـكِ الأشقـاءِ بعضًـا ببعض
إلهـي لمـاذا وكـيـف ومـاذا — تـولاّكَ يـا خيرَ شعبٍ وأرض

* * *

(*) ألقيت في مؤتمر اتحاد الكتاب اللبنانيين الذي انعقد في بيروت سنة ١٩٨٠

لقد ذُبح الأرز ذَبْحَ الخروفْ — وفرتْ حمائِمُهُ بالألوفْ
بكلّ سماءٍ وأرضٍ تطوف — وكم من رفوفٍ أوت للكهوفْ
زغاليلها من هزالٍ طيوفْ — تموت على كِسْرةٍ من رغيفْ
نيامًا على الأرضِ من دونِ غَمْضٍ — على حسكٍ وقَتادٍ وقضٍّ
إلهي لماذا وكيف وماذا — جرى لك يا خيرَ شعبٍ وأرضٍ ؟

* * *

يعيدُ الرفيقُ الحزينُ الخطابا — ليفهمَ كيفَ فقدنا الصوابا
وكيفَ وكيفَ نبذنا الكتابا — وكيف وكيق انقلبنا ذئابَا
نحدّد للفتك ظفرًا ونابا — يعيدُ الرفيق إليَّ الخطابا
ولكنني لا أحيرُ جوابا — وانغض رأسي حياءً وغمضي[1]
لنبكي معًا خيرَ شعبٍ وأرضٍ

٦٩٠ - زائرة زائرة

[من المتقارب]

أتت قُرَّةُ العينِ في الزَّمهَريرِ — تصُبُّ الجحيمَ على صبِّها
تسُبّ فأسمعُ شكوى الغرامِ — يذيبُ الجلامدَ في سبِّها
زئير اللّبوءةِ في صدرها — ونوحُ الحمامةِ في قلبِها
ولمياءُ تبكي إذا عُوتِبَتْ — ولا تعرفُ الرِّفقَ في عتبها
وتُعربُ في الحبّ عن غيظها — لكي يُعربَ الغيظُ عن حُبِّها

* * *

هَممتُ فأخْرَسَني إصْبعُ — كما انتصَبَت حربةُ الحارسِ
وما الصولجانُ بكفِّ المليك — وما الرمحُ في قبضةِ الفارسِ
وكم نبسةٍ من بنات الخلودِ — تموتُ على شفةِ النابِسِ

---

(١) نغض برأسه: حرّكه كالمتعجب من شيء.

ومَن خَبَر اليأسَ أبدى الرِضى ... وأغضى على غضب اليائس
وصاحت كأنَّ شقاءَ العصورِ ... تجمّع في وجهها العابس

* * *

إلى كم تخونُ وأصفحُ عنكَ ... لقد طفحَ الكيلُ يا غادرُ
خِداعكَ ليس لهُ آخرٌ ... ولكنَّ صبري لهُ آخرُ
لعمري فقد صدَقَ الناصحونَ ... فأكذبُ أهلِ الهوى الشاعِرُ
فقلتُ: إلهي! أأنتِ لميٌّ ... وتغريدُها الناعمُ الساحرُ
ومبسِمُها الحلو؟ أم بُرُكانٌ ... على شفتَي وردة ثائرُ

* * *

لُميّةُ لم يسلُكِ القلبُ قطُّ ... ولا حالَت الروحُ عن عهدِها
ولكنّها تتسلّى العيونُ ... وتبقى القلوبُ على وُدِّها
فلو طارحَتني الهوى «عَشْتَرُوتُ» ... لغازلتُ طيفَكِ في مهدِها
ولو ألصَقَت بفمي خدَّها ... لقبّلتُ ثغركِ في خدِّها
ولُحتِ لعينَيَّ في بُردِها ... فلم أرَ منها سوى بُردِها

* * *

فسكّن إعصارَها نفحةٌ ... من السحرِ نمّت بها شفتايا
وأخمدَ بركانَها قطرةٌ ... من الشعر همَّت بها مقلتايا
ورحتُ من الوجدِ ألثمُ فاها ... فكادت من الوجدِ تأكلُ فايا
وأحلِفُ لستُ أحبُّ سواها ... فتحلِف ليست تطيقُ سوايا
فلم أرَ في الحبِّ مثليَ كهلاً ... سعيدًا تموت عليهِ الصبايا

٦٩١ - رشيد أيّوب(*)

[من المتقارب]

هَلُمَّ بنا حان وقت السفَرْ إلى أين؟ من أنت؟ ماذا تريدْ؟
أنا مَن ينفِّذُ حكمَ القَدَرْ أريد الرشيد، ألستَ الرشيدْ؟

* * *

بلى! مرحبًا يا بشيرَ السلامْ لقد جئتَ واللهِ في الموعدِ
هَلُمَّ هَلُمَّ نهدَّ الخيامْ ونرحلْ إلى الوطن الأبعدِ

* * *

ويا نازلون بوادي الدموعْ إلى الملتقى يا أحبَّ الصحابْ
تأهبَ «درويشُكمْ»[1] للرجوعْ وهَمَّ البُراقُ بشقِّ السحابْ

* * *

[من الطويل]

وطافَت عذارى الوحي حولَ سَريرِهِ تناجي رشيدًا والرشيد بعيدُ
وهبّت شوادي الفجر في كل ناظر وكل لسانٍ دمعةٌ ونشيدُ

* * *

شحاريرُ تبكي في الرياض رفيقها وتندب، ذا يبدي وذاك يُعيدُ
محابيسُ في أقفاصهم وهو طائرٌ طليقٌ وهم يَشْقَوْنَ وهو سعيدُ

* * *

(*) أحيت الجالية العربية الصنبولية حفلة تأبينية للشاعر رشيد أيوب سنة ١٩٤٤ وجدناها بين أوراقه بعنوان: حوار الجسد والروح.
(١) لقب الشاعر.

[من المتقارب]

وأنَّ الـتُّرابُ المـسـجّى أنيـنًـا ... عميقًـا أذاب القلوب التيـاعـا
وأرسـلَ نـحـو الـسـماءِ نِـداءً ... أطـارَ نفوسَ الـرفـاقِ شعَـاعـا

* * *

رفيقي حنـانَيْكَ خـذني معَـكْ ... أرتجـعُ وحـدَكَ؟ مـا أطمعَـكْ!
تـريـدُ حِمـاكَ، ألـستُ حِمـاك ... ومهـدَكَ حيث الهوى أضجعَـكْ؟
أمـا كنتُ يـا بلبـلي مَسجَعَـك ... أمـا كنتُ يـا كـوكبي مـطلَعَـكَ؟
أتـنسى ضـلوعـي الـتي حَمَلتـكَ ... وتنكـرُ قلبي الـذي أرضعَـكْ؟
حَضَنتُـكَ كالـطفلِ ستين عـامًـا ... وأنـزِلُ في الـقـبر كي أرفـعَـكْ
ألم تـشـفِ مـا بـك بي كـلما ... حـبيبـك وافـاك أو ودَّعَـكْ؟
أمـا كـنـتُ طَـرفَـك لمـا بـدا ... أمـا كنتُ لما شـدا مسمَعَـكْ؟
ولمـا تـعـانـقـتـما سـاعدَيك ... ولمـا تـفـارقـتـما مَـدمَـعـكْ؟
ألاَ ابْـقَ بـحـقِّ هـواه مـعـي ... وإلاّ فـدعْـنيَ أمضي مـعَـكْ
وإن كـنـتَ في وطـنِ الـنـيِّراتِ ... وعُـدتَ إلى فَـلَك أطـلعَـك
فـذرني بـلبـنـان في مـوضِـعٍ ... أبـاهي بـه في العـلا موضِعَـك!

* * *

فجـاوبـه الـروحُ حسبُـكَ منّـا ... فـما أنـا منـكَ ولا أنـتَ مـني
سئمتُ جـوارَك عمـرًا طـويـلاً ... وإني سـعـيـدٌ بـفـصـلك عـني

* * *

وجـدتَ الحـيـاةَ بـقـربي ومـا ... وجـدتُ بقـربـك إلا العيـوبـا
إذا مـا النفـوسُ هجـرنَ الجسومَ ... هَـوَت جِيَفًـا وارتفعنَ طيـوبـا

* * *

نـظرتَ بنـوري وجـهَ حبيبي ... فـلولاي لم تـكُ قطُّ بـصـيرا
أمَن كـان عينًـا فـأمسى تـرابًـا ... كمن كـان نـورًا ومـا زال نـورا

* * *

إذا زايلَ الروحُ جسمَ الفتى | فماذا يراه الفتى بعيونِهْ
ترابك لم يكُ حيّاً بدوني | وإنّيَ حيٌّ به وبدونِهْ

* * *

وتزعمُ حَملي وقد كنت حِملي | من المهد روَّضتُ نفسي عليهْ
وأنزله الله عن عاتقي | أبغلٌ أنا لأعودَ إليهْ؟
أيأبى حبيسُ التراب انطلاقًا | وقد سنَحَت فرصةٌ لانطلاقِهْ
فلا تُغرِيَنّي فما أنا ممن | أَصَرَّ على الرقّ بعد انعتاقِه[1]

* * *

[من الطويل]

وإذ يئس الجثمانُ من روحه انثنى | إلى صحبهِ يشكو إليهم عذابَهُ
وناشدَهم إن لم يُعِيدُوا رُفاتَه | إلى الأرزِ أن يحثوا عليه ترابَهْ

* * *

[من الخفيف] (*)

قال ذرّوا على ضريحي منه | حفنة تُرجع الحياة إليّا
وإذا فاتكم ثرى الأرز قولوا | هي منه ولو كذبتم عَليّا

* * *

[من المتقارب]

فعظمي بذكر الحمى يستريح | وإن لم يكن في ثراهُ استراحا
وإن لم يكن نبعُ صنينَ راحي | يكنْ لي قولكُم (النبعُ) راحا

* * *

وطوفوا برمسي وقولوا «القناة» | «وضهر الحسين» وعين القَدَحْ»
تَعُدْ كلُّ ضِلع بصدريَ نائيا | وتهتفْ لكم هَتَفاتِ الفرَحْ

* * *

(١) يغمز بعض مواطنيه الذين ما زالوا بعد استقلال لبنان يتحسرون على الاحتلال الإفرنسي.
(*) سقط هذان البيتان من المطبوعة وهما مثبتان في المخطوطة.

وإمّـا نـظمتمْ نشيـدَ الـرجـوعِ فخـطوا على تـربتي منهُ سـطرا
أجـدْ كـلَّ رُكن من اللحـدِ أفقًا وكـلَّ هـزيـع من الليـل فجـرا

* * *

[من السريـع]

وشُـقّتِ الأرضُ وهِيـلَ الـثرى عـلى حـبيب زالَ كـالـوهـمِ
وانـطبـقَ الـقـبرُ عـليـهِ كـما يـنـطبـقُ الجـفـنُ عـلى حُـلـمِ

٦٩٢- الرجاء الوطني

[من المتقارب]

غـرستُ بلبنـانَ وردَ الأمـلْ فقـلْ للمَهـاجـرِ أن تُمحـلا
وجُـدتُ عليـه بمُـزْنِ المقَـلْ فقل «لـلأمـازونِ» أن يبخـلا
وحلّيتُ قلبي «بنبـعِ العسَـلْ» فقـلْ للّيـالي امـطري حنـظلا

* * *

شفَيتُ بتـذكـار لبنـانَ قلبي وقـد عزَّ عنـد الـطبيب الشّفَـا
وكرَّستُ نفسي لتحريـر شعبي ولـستُ أُبـالي جـفـا أم وفَى
بنَيتُ من «الأَرز» هيكـل حُبي فقـلْ للعـواصفِ أن تعصِفـا

* * *

وإن كـادَ فُلكي ببحـر الـدجَى يُحـطَّمُ فـوق صخـور الغَـدِ
ولم أرَ مـن مُـلتَـجًـا مُـرْتَجَى ولا مـن يـدٍ تـتـلقَّى يـدي
شددتُ «بصِنّين» حبـلَ الرجَـا وقـلت لمـوج الأسى، أزبـدِ!

* * *

٦٩٣ - إلى هائمة

[من المتقارب]

أتـاني كتـابُـكِ يـا «هـائِمَـهْ» ونفسي بلَيـل الأسى هـائِمَـهْ
فـوشَحَها بـالضيـاءِ ووشَى سحـابـةَ آمـالِهـا القـاتِمَـهْ
كتـابٌ تنسَّمتُ من طِيبـه زنـابـقَ أنمُلُكِ النـاعمَـهْ
وضـاحكتُ من زُهـر ألفـاظِـه ثغورَ صبايا القُرى البـاسمَـهْ

* * *

أعـاشِقَتي والَمـدى بينـنـا سـلامٌ عَلَى طيفـكِ الـزائـرِ
شكـوتِ إليَّ الهـوى ولعـل هُيـامَـكِ بـالشعـر لا الشـاعـرِ
فـانيَ لي قـلمٌ سـاحـر ولـكنني لستُ بـالسـاحـرِ
وكم طائر غَرد قد حَلا في السماعِ ولم يحلُ في الناظر

* * *

أعـاشقَتي رحمـةً بـصبـاكِ وخَلّي هـوى شـاعـرٍ تـاعسِ
فـإني أضِـنُّ بـطير الأراك يـغـنّي عـلى طـلَل دارسِ
طويتُ مع الأمس سِفر الغرامِ فـماذا تـرجّـين من يـائسِ ؟
وكيف تـطيبُ لغصن النقـا معـانقـةُ الحـطبِ اليـابسِ

* * *

هـو الحبُّ، فـالتمسي قبلما يلفُّ عليـكِ الحبـالَ، منـاصـا
فقـد تتمنَّـينَ منـه غـدًا خـلاصًا فـلا تجدينَ خـلاصـا
ومن كـان مثلَكِ يجهـلُ بحـرَ - الغرامِ إذا جاوزَ الشطَّ غـاصا
نـصحت وإن كنت لا ترعوين بعثتُ برسمي إليكِ قِصَاصا!!

٦٩٤ - الولادة الجديدة(*)

[من المتقارب]

إذا الشمسُ يا أمِّ لاحت هتفتُ هُتافَ الغريبِ رأى الموطنا
وقبّلتُ غُرّتها بالبَنانِ وطوّقتُ بالساعدين السنا
كذلك كنتُ أمدُّ يديَّ إلى النار طفلاً، أطفلٌ أنا؟!

* * *

وإذ يكفهرُّ جبينُ السماءِ وتسكبُ أجفانُها الدمعَ طلاً
وتُنشرُ فوقَ الرؤوسِ المظلاّتُ - لم أرضَ غيرَ السحابةِ ظِلاً
كذا كنت أعشقُ خوضَ الجداولِ - طفلاً، فهل عُدتُ يا أمِّ طفلا؟!

* * *

مررتُ بأترابيَ التاجرينَ فلم ألقَ إلاَّ العَبوسَ الوقورا
فملتُ إلى الحقلِ حيثُ الصغارُ تُناغي الطيورَ وتجني الزهورا
فهل صار كلٌّ رفاقي كهولاً وهل أنا وحدي ظللتُ صغيرا؟

* * *

فأسمَعني الطيرُ عند الصباحِ جوابَ الطبيعة لي تنشدُ
بُنيَّ! ولدتُكِ طفلاً جديدًا فقلْ للرفاقِ الألى تعهدُ
لقد ملأ الأرضَ أولادُكم وأنتم إلى الآنِ لم تُولدُوا

* * *

(*) «صنبول» سنة ١٩٢٩

٦٩٥ - أختي المريضة في العيد(*)

[من المتقارب]

رأيـتُـكِ في الحُـجـرةِ الـبـاردَهْ تُسـاقِط عينـاك دمعًـا سـخينـا
فـلم تهـنئـي بـسـمـةٌ واحـدَهْ بلقيـاي حتى استحـالَت أنينـا
أخـيّـةُ في كـبـدي الـواقِـدَهْ لِشكـواكِ أضعـافُ مـا تشتكينـا
أخيّـةُ يـا ليتَ هـذا العـذابْ عـلى مُهجتي كـان لا مُهجتِـكْ
وليتَ الكـرى في دمـوعيَ ذابْ لأسـكبـهـنَّ عـلى مُـقـلتِـكْ

* * *

وجـدتُـكِ تـذوِيـنَ كـالـوردةِ وكـالشمس قـد آذنَت بـالغـروبْ
تئـنِّـين في وَحـشـةِ الـوحـدةِ أنـينًـا يـقـطِّع أقسى الـقـلوبْ
فـما تـستريحِـينَ في رَقـدةِ ولا تملكـين يـدًا في الخـطوبْ
فـرُحـتُ أنـادي طبيبَ الـثرى وروحي تنـاجي طبيبَ الـسـماءْ
طبيبَـيْنِ: هـذا ليُعـطي الـدوا وذاك لـيـجـعـلَ فـيـهِ الـشـفـاءْ

* * *

نظرتُـك رَيـعَ الضُحى والشجونْ تَلبّـدُ حـولَـك مثـلَ الـضَبـابْ
وقـد عـمَّ نـورُ النهـارِ الحـزونْ وسـالَ عـلى جنَبـات الهـضـابْ
وداعَبتِ النّسمـاتُ الـغـصـونْ كـما داعبَت كفُّ سامي الـرَّبـابْ
فلو أستـطيـعُ حَملتُ الجميـعْ هـديّـةَ «فصـح» إلى مضجعِـكْ
وخبّـأتُ يـا أختُ شمس الـربيع بـجيـبي لتُـشـرِقَ في مخـدعِـكْ

* * *

(*) عاد من سفر طويل إلى «صنبول» في عيد الفصح، فوجد أخته مريضة لازمة سريرها، والطبيعة في أفتن مجالي جمالها، والناس يملأون الحقول والروابي للنزهة وشم النسيم.

رأيتُ الصبايا صفوفًا تغنِّي | وتطفرُ في العيد مثل الظِّبا
إلى كلِّ روضٍ على كلِّ غصنِ | أهاب الربيعُ فلبّى الصبا
قصائدُ من كلِّ وزن ولحنِ | يرتِّلها الله فوق الرُّبى
وأختي البريئة رهنُ الألمْ | كما حُبس الطفلُ عن ملعبِهْ
إلهيَ ضيّعتَ أحلى نغَمْ | وعطّلت شعرَك من أعذبِهْ!

* * *

فدعْها تَطِرْ نحو تلك الربى | وتجنِ الزهورَ كأترابِها
وإلاَّ فمُرْ بلبلاً مطربا | من الروضِ يشدو على بابِها
وقُل للنسائمِ أن تَجلُبا | إليها الشذا ملء جِلبابِها
وإن شاءَ عفوكَ أن يرحما | صباها ويدرأ عنها الخطَرْ
فَمُنَّ بإبلالِها قبلما | تجفُّ الحقولُ ويذوي الزَّهَرْ

٦٩٦ - أطِلّ (*)

[من مشطور المتقارب]

أطِلّ على وطني من بعيدْ
على أرضِ أجداديَ الطاهِرَهْ
مطالع أنوارها الباهرَهْ
بساتين ليمونها الزاهرة.
على مولدِ الحبِّ في الناصِرَهْ
فأبدي سؤَاليَ ثم أعِيدْ

* * *

أبي كيف بتنا بهذا العَراءْ
أبي من رمانا بهذا الشقاءْ

(*) مترجمة عن البرتوغالية بتصرف.

وشرّدنا تحت كل سماءْ
ألا راحةٌ بعد هذا العناءْ
بلى يا بُنَيَّ بلى سنعودْ

* * *

غدًا تطلعُ الشمس بعد المغيبْ
ويكحلُ عينيكَ مرأى الحبيبْ
غدًا ينتهي دورنا في النحيبْ
بفتحٍ مُبينٍ ونصرٍ قريبْ
بلى يا بنيَّ بلى سنعودْ
ويمسي الشقا والبكا لليهودْ

٦٩٧ - قحط الرجال

[من مشطور المتقارب]

سلِ الساحبين ذيول النِّعمْ
بما سلخوا من جلود الغنمْ
ألم تبقَ فيكم بقيةُ دمْ؟
ألا تشعرونَ بجمرِ الندمْ؟
ألا تُبصرون شقاءَ الوطنْ؟

* * *

ويا ناعمين بذلِّ القيودْ
ويا سادةً في هوانِ العبيدْ
أمن أجل تقبيل رجل العميدْ
وبري الذقون لفرطِ السجودْ
غدرتم بشعبٍ وبعتم وطنْ؟

* * *

بلادي ضللتِ سبيلَ الرشادْ
وهِمت من الدين في كل وادْ
فيا أمَّ كلِّ نبي وهادْ
بربِّكِ هلاَّ عرفتِ الجهادْ
ولو مَرَّةً في سبيل الوطنْ؟

* * *

ألا زَأرةٌ مثل قصفِ الرعودْ؟
يضجُّ بها الأرز غِيلُ الأسودْ
وتهتزُّ منها عظامُ الجدودْ
مردِّدةً من وراءِ اللحودْ
ليحيَ! ليحيَ! ليحيَ الوطنْ!

* * *

ألبنانُ أين أسودُ الدِحالْ؟[1]
ألا بطلٌ واحدٌ للنزالْ؟
ألا «كَرَمٌ» آخرُ في الشَّمالْ؟[2]
إلهي بُلينا بقَحطِ الرجالْ
أما من فتاةٍ لهذا الوطنْ

(١) دحال: جمع دَحْلٍ وهو حفرة تكون في الأرض.
(٢) يوسف بك كرم، اللبناني الإهدني، الذي اشتهر بثورته على الأتراك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

٦٩٨ - نكث العهد

[من المجتث]

دور

يا هند خنتِ العهودا	وطال منكِ البعادْ
لبستِ ثوبًا جديدًا	أفضل منه الحدادْ
عذبتِ قلبًا عليلاً	يبكيهِ قلبُ الجمادْ
رضيتِ عني بديلاً	هذا جزاء الودادْ

قرار

غرام! غرام! كن لي ضياءً في الظلام
وعزّ روحي في الختام فحياتي فداء الغرام[1]

دور

يا هند ردي عذابي	ردي إليَّ الفتونْ
ردي الصبا والتصابي	ردي المنى والمنونْ
يا هند ردي هيامي	ردي إليَّ الجنونْ
ردي ظلال الغرامِ	إن لم تروّي الغصونْ

دور

يا هند فجر الحياةِ	تلاه فجر المشيبْ
يا هند حانت وفاتي	وكل آتٍ قريبْ
قولي إذا زرت تربي	والشمس عند المغيبْ
أزكى تحيات قلبي	عَلى تراب الحبيبْ

---

(١) هذان السطران يخرجان من المجتث ولا وزن لهما.

٦٩٩ - أين السعادة؟

[من المجتث]

في ظلٍّ روضٍ ظليلِ والماءُ عن جانبيْنا
وللنسيمِ العليلِ روحٌ ترفُّ عليْنا
لم يمضِ غير القليلِ والحظُّ عبدٌ لديْنا
حتى دعا للرحيلِ داعي النوى فمضيْنا

أين السعادة أيْنا؟

بين الربى والأزاهير في فجرِ نورِ الحياةِ
لاهينَ مثلَ العصافيرْ ساهينَ عن كل آتِ
حتى دهتنا المقاديرْ بأعظمِ الداهياتِ
وحمّلتنا القناطيرْ بالدرس حتى انضنَيْنا

أين السعادة أيْنا؟

في البيت في «الوطن الأمّ» والعودُ غضٌّ وريقُ
والشملُ عِقدٌ منظّمْ أمٌّ أبٌ وشقيقُ
«أمِيرِكا»، ليتها لَمْ تُفتحْ إليكِ الطريقُ
من بعد ذاك الهنا كمْ لوَّعتِنا فبكَيْنا

أين السعادة أيْنا؟

في وسط بحر التجارَهْ والمال كالموج هاجمْ
إذا داهمتني الخسارَهْ والله بالغيبِ عالمْ
لم يبقَ في الكف «بارَهْ» فبتُّ ليليَ صائمْ
والجارُ أنكرَ جارَهْ والصدقُ أصبح مَيْتَا

أين السعادة أيْنا؟

ما بين نايٍ وعودِ واللحنُ يتبعُ لحنا
في ليل أنسٍ سعيدِ مثل الكواكبِ لُحنا

مذ رقّ صوتُ «الرشيدِ» رقّ الفؤادُ فنُحنا
وراح دورُ النشيدِ وسالتِ العينُ عينا
أين السعادة أيْنَا؟
رأى فحبٌّ فأمَّلْ كلُّ السعادةِ في الحبّْ
ما كان أحلى وأجملْ حُلمَ الغرامِ وأعذبْ
لكنه ما تأهلْ حتى غدا يتعذبْ
فودَّ لو يترمّل أو يصبح القرب بَيْنَنا
أين السعادة أيْنَا؟
نهوى السلام فنسعى بالحب بين الأنامِ
نروم للناس نفعًا أقصى مرامي المرامِ
لكنْ أخو الشر أفعى سروره في الخصامِ
فليس يهدأ طبعًا حتى يُسيءَ إلَيْنَا
أين السعادة أيْنَا؟
سيانِ عبدٌ وسيِّدْ هذا شعار الزمانِ
النحس أمر مؤكَّدْ والسعد إحدى الأماني
لا ذو الصلاح مخلَّدْ ولا أخو الشرِّ فانِ
إن نَلْهُ أو نتعبَّدْ كما ابتدأنا انتهَيْنَا
أين السعادة أيْنَا؟

٧٠٠ - جميل (*)

[من المجتث]

جميلُ نمْ! نمْ! هنيئًا ... يا ليت نومَك نومي
وأين موتَةُ يومٍ ... من موتةٍ كلَّ يومِ

[من البسيط]

زخرفتُ أجنحةَ الأحلامِ فانطلقت ... من الحنايا كأسرابِ الحسَاسينِ
حتى إذا بَلَغَت جنّاتِها وقَعت ... على غصونٍ. . .الأفاعي والثعابينِ!

* * *

[من المجتث]

صبرًا فتى الشعرِ صبرًا ... سيُطلعُ الليل فجرا
إن مات مثلُكَ يأسًا ... فَمَن يُؤمِّل نصرا؟

[من البسيط]

ألستَ مَن راعتِ الدنيا حماستُهُ ... وجلجَلَت في بواديها قصائدُهُ
إن صاح في محفل هبَّ الجلوس به ... عن المقاعد، أو هبّت مقاعِدُهُ

* * *

[من المجتث]

جميلُ رحماكَ! دعني ... من القوافي العقيمَهْ
جميل هل بعد فَقدِ - الأوطان للشعرِ قيمَهْ

(*) أحيت الجالية العربية في «صنبول» سنة ١٩٥٠ حفلة تأبينية لصديقه الأديب جميل صفدي

[من البسيط]

جميلُ إنّا هدَرنا عمرنا عبَثا
هل بعدُ من أمل يُرجى فنكترثا
هيهات! ما أنا من يبكي على جُثثٍ
كسالف العهدِ، أو يستنهضُ الجثثا

* * *

لو كان فينا حياةٌ يا جميلُ لما
كانت تطول حياة المجرمين سنَهْ
الكل عندي سواءٌ في الجناية مَن
خانوا البلاد ومن أَبقَوْا على الخوَنَهْ

* * *

ما سرَّنا نَبَأُ استقلالِنا وعَلا
صوت البشيرِ بتحرير الشقيقينِ
حتى استُطيرَ وغطّى وجهَه ومضى
يبكي دمًا كل ذي أنف وعينَينِ
أرايتَينِ طوى الإفرنجُ حين جلَوْا
أم زحزحوا عن مخازيهم غطاءَينِ...

* * *

[من المجتث]

رشيدُ حسبُكَ! وارجعْ
إلى سجلِّ المنايا
ونكِّس الرأسَ حُزنًا
على رُفات الضحايا

* * *

[من البسيط]

هلاّ ذكرتَ الأولى بالأمس قلت لنا
«أزكى الصلاةِ على أرواحِهِم أبدا!»
الله أكبرُ من أن يستخفَّ بهم
وأن يُضيعَ الدمَ الحرَّ الكريم سُدى
إني أعيذك من كفرٍ بأربعة
باللهِ - بالأمِّ - بالأوطانِ - بالشُّهَدا

* * *

الشرقُ سجن وأهل الشرق أجمَعُهم
قد غُيِّبوا فيهِ أجناسًا وألوانا
أشباحُ خمسةِ أجيالٍ حُشرنَ به
حتى انقَلَبنَ على الأدرانِ أدرانا
همت بأرتاجِه الأبطالُ فانحطَمَت
عن القبورِ فماذا تصنع الآنا؟!(1)
إهتفْ بكلِّ فتى حر: هَلُمَّ أخي
وَلْنَمْحُ ما سطَّرَ الأنذالُ من عارِ
ما ظفَّر الحقَّ في الدنيا وسوَّدَهُ
شيءٌ كتأييدِ أحرارٍ لأحرارِ
عليك بالماءِ فاغسلْ ما استطعتَ فان
لم ينفعِ الغسلُ، فالتطهيرَ بالنارِ!!

---

(1) أرتاج جمع رَتَجٍ وهو الباب العظيم.

٧٠١ - لبنان وثورة حوران

من الـوافـر]

رأيتـك قـد وقفت عـلى الحيـادِ ... أأنت من الصّحـاب أم الأعـادي
وكنتَ إذا عَـدَتْ أدنى العـوادي ... عـلى لـبنـان أقـلقتَ الـنـوادي
وأزعـجـتَ الحـواضر والـبـوادي

* * *

بلى! إني سمعتُ بكل مـا حـلْ ... بـقـطرٍ بعـد سـالف عـزّه ذَلّْ
فـلم أشتِم ولم أشمَت بـه بَـلْ ... ورمتُ لأهله المـوت المعجّـلْ
بـحـد الـسـيـف مـن أيـدي الأعـادي

* * *

وكيف ألـوم في وطني الـزمـانـا؟ ... ومـنّـا ذلُّـه لا مـن سـوانـا
ألـسنـا قـد أهـنّـاه فهـانـا؟! ... وقـلنـا كنْ فـرنـسيًّـا فكـانـا
إذًا فَـلْيَـهْـنِـنـا نـيـل المـرادِ!

* * *

رضـيـنـا لـلتعـصّب أن نهونـا ... فـأغمضنـا عـلى الضيم العيونـا
نقـولُ المسلمـونَ المسلمـونـا ... فـنـرميهم ونـحـنُ الخـائـنـونـا
نـبـيـعُ بـدرهـم مجـد الـبـلادِ

* * *

فـتى حـورانَ لا لاقـيـت ضُرًّا ... لأنت أحقُّ أهـل الشـام فخـرا
لئـن لم يُؤْتِـكَ الـرحمـنُ نَصرا ... فحسبـك أن غضبتَ ومتَّ حـرا
ولم تـسـلَسْ لـقـيـد أو قـيـادِ

* * *

بـربـكَ قـل متى لبنـان ثـارا؟ ... ليـدرك من علوج الغـرب ثـارا؟
متى نفـرت إلى السيف النصارى؟ ... لتغسـل بـالـدم المسفـوك عـارا؟
وتحـرزَ مـرة شرف الجـهـادِ؟

إلامَ إلامَ نحتكر السلاما وأهل الأرض قد عبدوا الحساما
دعوا التقوى لمن صلّى وصاما وكيلوا للذي بدأ الخصاما
ملبّدة تعلّم كلّ بادي!![1]

* * *

أتيناهم بإنجيل المسيحِ فجاؤونا بآلات الفتوحِ
أدِلْ يا ربُّ من روح لروحِ فقد ضاعَ الجميل مع القبيحِ[2]
كما ضاعت جواهرُ في سمادِ!!

* * *

لماذا هذه الغصّاتُ سرا أنخشى بعد هذا الشر شرا
لقد ذقنا من الأمرِ الأمرَّا فليت لنا كذاك العبد حرا[3]
يبيِّض وجهنا بين العبادِ

* * *

نُغيرُ وراءه مستبسلينا وإن نَفْتُرْ ذكرنا (مَيْسَلونا)
وأحيينا بها العزم الدَّفينا فنكسو الظالمين كما كُسينا
حدادًا بالمهنّدةِ الحِدادِ[4]

---

(١) الكيلة الملبدة المهزوزة: صفة إنجيلية.
(٢) أدِلْ فعل أمر من أدال. وأدال الشيء: جعله متداولاً ونقله من حال إلى حال.
(٣) أي عبدالكريم بطل المغرب.
(٤) الحداد الأولى: ثياب المأتم، والمهندة الحداد: السيوف الحادة الماضية.

٧٠٢ - الشر الكبير والخير الكبير

[من الــوافــر]

أمــزّقــتَ الجيــوبَ عــلى فـقيــدٍ ... أذُقـتَ مــرارةَ الهجــرِ الـبـعـيــدِ
وهـل أرخى عليـك البـأسُ ليـلاً ... يـشيـبُ لهـولــه رأسُ الــوليــدِ
وهــل مـدَّ الشقــاءُ إليــك كفًّــا ... أصــابعهــا كقضبــانِ الحــديــدِ
وهــل أصــماك سهمُ الغــدر ممن ... أراك تــعــطُّفَ الخــلِّ الــودودِ
وهـل قـاسيتَ ظلمَ الـتركِ قـدمًـا ... وهـل أشفقتَ من ظلم جـديــدِ؟
لـعمــرُكَ كــلُّ هــذا الشر خــيرٌ ... إذا مــا قِـيسَ بــالشر الـكـبــيرِ
أشــدُّ بــليّــةٍ ذنــبٌ طــفـيــفٌ ... يجــرُّ عليــك تبكيت الضمــيرِ!!

* * *

أذقـتَ أحبَّ لــذّاتِ الـشبــابِ ... وهــل فكّهت نفسَـك في كتــابِ
بــظل خميلةٍ غــنّــاءَ فــاضـت ... بهــا الغـدران كــالشهـدِ المُـذابِ
وهــل نلت الغنى من بعــد فقــرٍ ... مــرغت لـه جبينــك في الــتراب
وهـــل بـدّدت بــالآمـال يــأسًــا ... تلبّـد حـول نفســكَ كـالضبــابِ
وهـل وافتكَ بعـد الحـربِ بُشرى ... سـلامـةِ من تُحبُّ من العــذابِ؟
لـعـمــرك كــلُّ هــذا الخــيرِ شرٌّ ... إذا مــا قـيسَ بــالخــير الـكبــيرِ
ألــذُّ مــلذّة صــنــعٌ جمــيــلٌ ... تنـامُ لـديـهِ مرتــاح الضمـيرِ!!

* * *

٧٠٣ - حب مجهول(*)

[من الوافر]

كأنّي قد خُلقتُ لكي أراكِ فإن لم تطلعي فالكون قبرُ
أراكِ فلا أرى أحدًا سواكِ كأنّ الأرضَ إلاّ منكِ قفرُ

* * *

أحاولُ عند مرآك التّغني بأشعار الهوى فيدُقُّ قلبي
وأسكتُ خافضًا رأسي كأني غلامٌ راعه نظرُ المربّي

* * *

ويمسي العودُ بين يديَّ صبّا لمسِّ أناملي والحبُّ داءُ
ويغدو قلبهُ الخشبيُّ قلبًا يجول اليأسُ فيه والرجاءُ

* * *

يقربك الجمال لكلّ راجٍ فيدنو ثم يبعده الجلالُ
كأنّك ماسةٌ خلفَ الزجاجِ تراها العين لكنْ لا تُنالُ

* * *

رضابك منهل العسل المبرَّدْ فما أحلى وما أشهى الرضابا
وشعرك لم يكن كالليل أسودْ فمن حظي أخذت له خضابا

* * *

قرأت بوجهك الفتان سطرًا تنزّه في البلاغة عن مزيدِ
حويتِ محاسنَ الأكوان طرًّا فشخصك مُعجَمُ الحُسْنِ الفريدِ

(*) في «الريو دي جانيرو» سنة ١٩١٤

٧٠٤ ـ أمــي

[من الوافر]

ولــو عَصَفَت رياحُ الهمِّ عصفـا ولـو قَصَفَتْ رُعـودُ المـوتِ قصفـا
ففي أذنيّ عنـدَ النـزعِ صـوتٌ يحـوِّل لي عـزيفَ الجِنِّ عـزفـا
فـيـطرِبُـني. وذلـك صـوتُ أمـي

* * *

ولـو مُلِئَت ليَ الجامـاتُ صـبرا ولـو جُـرِّعتُ حُلوَ العيش مُـرًّا
فـفي شـفـتيَّ يَـنبـوعٌ عـجيـبٌ يحـوِّلُ لي كـؤوسَ الخَـلِّ خَمـرا
فـيُسـكـرني. وذلـكَ ذكـرُ أمـي

* * *

ولـو هجمت على قلبي البـلايا وهـدَّت سور آمـالي الـرزايـا
فـإن ببـاب فـردوسي مـلاكـا يَسـلُّ السيف في وجـه المنـايـا
فـيـحـرسـني. وذلـك طـيـف أمـي

* * *

ولـو أني رُزئـتُ بفَـقـد مـالي وأصحـابي وأشعـاري الـغـوالي
فـلي كـنـزٌ ـ وقاه الله ـ أغـلى من التـاجِ المرصـع بـالـلآلي
ألا وهـو الحـنـانُ بـصـدر أمـي

* * *

ولـو ـ يا ربُّ ـ في اليـوم العظيمِ تلوتَ عـليَّ حُكمَـكَ بـالجحيمِ
فـلي أملٌ بـأن ستعـود يـومًـا فتصفـحَ في جهنَم عـن أثيـمِ
وقـلبُـكَ يسـتحـي من قـلب أمـي

* * *

٧٠٥ - تسبيحة الحبّ(*)

[من الوافر]

سأجرُفُ بغضكم بالحبّ جرفا ... وأنسفُ غيظكم بالحلم نسفا
وأنهلكم رحيق الصفح صِرفا ... وأُطفئ فيكمُ ما ليس يُطفى
وأشفي منكمُ ما ليس يُشفى

* * *

بَني أمي الجياع إلى خِصامي ... ألا ذقتم يسيرًا من طعامي
أضرَّ بكم لهيبُ الانتقامِ ... فهاكم من يدي كأسَ السلامِ
تفيض محبةً وتسيلُ عَطفا

* * *

فرشتُ لكم طريقَ الحبِ زهرا ... فَلِمْ تطأونَ بالبغضاءِ جمرا
ولِمْ خضتم من الشُّبُهات بحرا ... وقد أنشأتُ للوُرّادِ جسرا
من الإخلاصِ لم أنشئه زُلفى

* * *

لماذا تخلُقونَ الزورُ عني ... وما هذا التجنبُ والتجنّي
أكلُّ جريمتي في الحبِّ أني ... إذا أنشدتُ سُرَّ القوم مني
وألهبَ من حماسته الأكفّا

* * *

لماذا كلما ألقي نشيدا ... ألاقي منكم سهماً جديداً
تريدون «الشكائم» والقيودا ... لحرٍّ لا يريدكمُ عبيدا(١)
ولا يرضى لكم ذُلاً وخَسفا

* * *

(*) «يونطا عروسا» سنة ١٩٢٢

(١) قالت إحدى الجرائد الاحتلالية التي اشتهرت بحملاتها عليه: هذا الشويعر المغرور يلزم له شكيمة.

أريشوا وارشقوا قلبي ورأسي　　فقد مكّنتُ بالتهذيب تُرسي
وصُنتُ عن الوقيعةِ ذيلَ طرسي　　فلي قلمٌ أديبٌ مثلُ نفسي
عن القولِ السفيهِ عفا وعفّا

* * *

غرستُ الحبَّ في قلبي صغيرا　　وأطلقتُ السلامَ به غديرا
أأرجع إذ غدا روضًا نضيرا　　فأجعله ببغضكمُ سعيرا
وأقطف منه جمر الحزن قطفا

* * *

تبارك من رأى شرًّا فأغضى　　ومن في الحب تُغضبه فيرضى
أحبّوا بعضكم يا قوم بعضًا　　فقد ملأ الفسادُ الأرضَ بغضا
وكاد الحب بين الناس يُخفى

* * *

أخيَّ لَوَ آنَّ صدرك مثلُ صدري　　وفكرك في الحياة نظيرُ فكري
وجدتَ لكلّ ذنب كلّ عذر　　وجُدتَ لكل هجّاءٍ بشكرِ
وإن هو زاد طغيانًا وعسفا

* * *

إذا فكّرتُ في معنى الوجودِ　　وفزتُ بلمح أنوار الخلودِ
رثيتُ لكلّ منتقمٍ حقودِ　　يعذّبُ نفسه وأنا وعودي
نروح ونغتدي شدوًا وعزفا

* * *

رأيتُ الوحش يأنسُ للأغاني　　وصدرَ الريحِ يخفق بالحنانِ
وعشب الحقلِ يبسم عن جُمانِ　　ولَم أرَ عابسًا غير الدخانِ
ووجهٍ من رُواءِ الحب جفّا

* * *

عـدوِّي زوِّد الـعـيـنـينِ نـورا ستُـمسي مـثلما أمسي ضريـرا
يسـيرُ العمرِ أوشـكَ أن يسـيرا فـبـادِرْ نـغـتـنـمْ فـيـهِ السرورا
شـقـيـنـا نـصـفَـه فلنهـنَ نـصـفـا

* * *

عـدوي ليس يصلحنا الشقـاقُ وأهـل الشرقِ في البلوى رفـاقُ
ألستَ كـما أسـاقُ أنـا تُسـاقُ وهـل من سبْي بـابلنـا انعتـاقُ
إذا أوسـعـتـنـي شـتـمًا وقـذفـا

* * *

ولـو هـذا التحبُّب للغـريبِ بـذلـنـا بعضـه لأخٍ قـريـبِ
لمـا طـرحَت بنـا أيدي الخـطوب على أقـدامِ غـوغـاءِ الشعـوبِ
كُـرًى تـنـتـابهـا حـذفًـا وقـذفـا

* * *

عـدوِّي حـين تكـويـكَ الضغينَـةْ فـبـادرْ بـالفِـرار مـن المـدينَـةْ
وبـرِّد لـوعـةَ النفس الحـزينَـةْ بـظلِّ عـريشـةٍ أو يـاسمينَـةْ
فـرُبَّ حـرارةٍ بـالـظلِّ تُـطفـى

* * *

إذا فَـيْضُ المحـاسـن راعَ قـلبًـا تـدفّق منـه إحـسـاسًـا وحُبًّـا
وأصبـحَ هـائـمًا بـالكـونِ صَبًّـا فـليس يُـطيـقُ إلاَّ أن يُحِـبًّـا
ولـو لاقـى مـن المـحـبـوبِ حـتـفـا

* * *

عـدوي أنت عـوسجـةُ الحـديقَـةْ وأنتَ الشـوكُ في وردِ الحـقيـقَـةْ
وأنـت مَـرارةُ الخمـر الـعـتيـقَـةْ وأنت سـوادُ سـوداءِ الشـقيـقَـةْ
تــزيــد جمـالهـا لُـطفًـا وظَـرفـا

* * *

عـدوّي ليت عـينَـك في فـؤادي   لـتُصـلحَ فيـه مسـتـترَ الـفسـادِ
أمـا سُـخِّـرتَ من ربِّ الـعبـادِ   رقـيـبًـا لا يـنـامُ عـن انـتـقـادِ
ولا يـغضي عـن الهـفـواتِ طـرفـا

* * *

عَـدُوّي دُمْ دوامَ الـدهـرِ حيًّـا   قـريـرَ الـعـينِ بسَّـامَ المحيَّـا
لأنـت أحـب مـن نـفـسي إلـيَّـا   فكم قـد أسـخَـطَتْ ربي عليَّـا
وكـم نـبَّـهـتـهـا حـتى تـكُـفّـا

* * *

عـدوُّك يـا عـدوي من تَـوارى   بصـدرِك مُـوقـدًا بحشـاك نـارا
فـإن تـطلُبْ من الأعـداءِ ثـارا   فـآخِ الـناس وانتحـرِ انتحـارا
فـأعـداهـم بـثـوبـك قـد تخـفّـى

* * *

عـدوِّي أنـت في حُـلمٍ مخـيـفِ   يـروعك بـالبنـادق والـسيـوفِ
فقمْ متبسـمًا واسمـعْ حـفيفي   فـإني جئتُ بـالـروحِ اللطيـفِ
يـرفُّ عـليـك عـنـد الـنـوم رفّـا

* * *

عـدوّي بحـرُ حبيَ قـد تـرامى   فخُضْ أو غُصْ ولا تخش ارتـطاما
ولا تـرهبْ ضبـابًـا أو ظـلامـا   فـفُلكُ الحـبِّ حـامـلةٌ سـلامـا
تحـفُّ بهـا جـواري الأمـنِ حـفّـا

* * *

عـدوي سـوف تـطحنُنا القبـورُ   وتـنخـلُنـا وتجـبلُنـا الـدهـورُ
فهبـكَ حمـامـةَ الـوادي تصـيرُ   وصـرتُ لـك الجَنـاحَ ألا تـطيرُ
أو الـعُش الـطريَّ ألـسـت تـدفـا؟!

* * *

وهَبك السيلَ يجترفُ الصخورا وهبك الريح تقتلعُ الجذورا
ألست تراهما انقلبا خريرا وهينمةً يهزّان الزهورا
وسالا في الرياض ندى ولطفا؟

* * *

عدوّي قِف قليلاً في المساءِ وطالِع بعضَ آيات السماءِ
فإن لم يُشفَ قلبُك من عِدائي فإنك جاهلٌ ألفِي ويائي
ومن «تسبيحتي» لم تتلُ حرفا. . .

* * *

٧٠٦ - خيال سوريا

[من الوافر]

رأيتُ النهر هدَّارًا طليقا وقد حال اللجين به عقيقا
فكدت أضمُّ للتيار نفسي كأني قد لمحتُ به غريقا
لأن خيال من أهوى أمامي

* * *

رأيت نوادبًا تُذري الجُمانا وقد خضَبَت مدامعُها البنانا
فلم أعجبْ لترجيعِ الثكالى ولم أحزنْ لأنّاتِ الحزانى
لأنَّ خيال والدتي أمامي

* * *

سمعتُ بنكبةِ البلجيكِ سمعا وكيف غدت بها الأبطالُ صرعى
فلم أشْقُقْ على الأبطال جيبا ولم أذرفْ على البلجيكِ دمعا
لأن خيالَ سوريّا أمامي

* * *

٧٠٧ - نشيد سوريا(*)

١

نحن أشبال الأسودِ خيرِ الجدودِ حُمرِ البنود
من تساموا بالفعالِ بين الرجال أهل المعالي
ركبوا متن البحارِ إلى الفخارِ قبل البخارِ
ملأوا الأقطار فضلا يُجـ ـرون عدلاً يعطون سؤلا

القرار

العلمُ عنوان الرشادْ العدلُ عمران البلاد
إنما العلمُ سراجٌ إنما العدلُ علاجٌ وحياةٌ للعبادْ
يا حبذا العصر الجديد عصرُ هارون الرشيدْ في حمى دار السلام
عصرٌ مجيدْ عصر فريدْ عصرٌ سعيدْ عصر السلام

٢

أمَنا أمُّ الجمالِ أمُّ الجلالِ أمّ الكمال
تحت جنحيكِ اجمعينا والحبُّ فينا اجعليهِ دينا
سلحينا بالرشاد والاتحاد يومَ الجهاد
علمينا بالثباتِ حتى المماتِ معنى الحياةِ

٣

أهل سوريا الكراما حيّوا السلاما أحيوا الوئاما
أرضكم أمست خرابا تشكو العذابا تبكي الشبابا
بادروها بالدواء صدقِ الولاء محضِ الوفاء
وارفعوها بالعلوم مثل القديم فوق النجوم

(*) منظومة على وزن نشيد الجيش البرازيلي.

فهرس أشعار المتن

روي الخاء

روي الدال

روي الزاي

روي السين

روي الغين

روي الفاء

روي القاف

الرقم	العنوان	عدد الأبيات	القافية	البحر	الصفحة
٤٠٣	يا نهر	٢٢	اشراقِه	الكامل	٣١٨
٤٠٤	رثاء شقيق معلوف	٦	العريقْ	مجزوء الكامل	٣١٩
٤٠٥	صور البحر	٣٦	تحققْ	مجزوء الكامل	٣٢٠
٤٠٦	عتب	١٠	الصديقْ	مجزوء المتدارك	٣٢١
٤٠٧	الفتنة الكبرى	١٢	بالشروقِ	الوافر	٣٢٢

روي الكاف

الرقم	العنوان	عدد الأبيات	القافية	البحر	الصفحة
٤٠٨	الليل أمثلُ	٨	منعاكا	البسيط	٣٢٣
٤٠٩	آية البعث	٨	تشكيكُ	البسيط	٣٢٤
٤١٠	ليل العليل	١٧	الشاكي	البسيط	٣٢٤
٤١١	إيزابال	٧	أحياكِ	البسيط	٣٢٥
٤١٢	أم كلثوم	٣	ذاكِ	البسيط	٣٢٦
٤١٣	جودي	٤	لولاكِ	البسيط	٣٢٦
٤١٤	كم مطنب	٣	رضاكا	المخلع	٣٢٧
٤١٥	عانق الورد	٨	يديْكا	الخفيف	٣٢٧
٤١٦	تحية	٣	عليكْ	السريع	٣٢٨
٤١٧	لا أشرك	٢	أشركُ	السريع	٣٢٨
٤١٨	أتاني رسول	٢٣	تحاكى	الطويل	٣٢٨
٤١٩	نايف	٢٧	لبكاكا	الكامل	٣٢٩
٤٢٠	من حبة القمح	٤	يمناكا	الكامل	٣٣١
٤٢١	جلوة القلب	٧	عرفوكِ	الكامل	٣٣١
٤٢٢	لما عرفت	١٢	عليكِ	الكامل	٣٣٢
٤٢٣	ألا يا عبيداً	٣	الحَنَك	المتقارب	٣٣٢

روي اللام

الرقم	العنوان	عدد الأبيات	القافية	البحر	الصفحة
٤٢٤	وناقلي	١٩	الأملُ	البسيط	٣٣٣
٤٢٥	سل الإله	٢	أملُ	البسيط	٣٣٤
٤٢٦	لا عذر للحر	٤	أقبلْها	البسيط	٣٣٤
٤٢٧	منبر العمل	٤٦	العملِ	البسيط	٣٣٤
٤٢٨	البلاغ	٣٩	بالي	البسيط	٣٣٧
٤٢٩	أخرى	٢	حالي	البسيط	٣٣٩
٤٣٠	المعلم	١٥	سهلا	الخفيف	٣٣٩
٤٣١	أرسلُ الشعر	٢	جميلا	الخفيف	٣٤١
٤٣٢	يوم في كلوس	٤	الخوالي	الخفيف	٣٤٢
٤٣٣	يا لعصر	٢	للجمال	الخفيف	٣٤٢
٤٣٤	محمد بن يوسف	٧	الأفول	الخفيف	٣٤٢
٤٣٥	تنزّهي	٥	أجلًها	مجزوء الرجز	٣٤٣
٤٣٦	عدنان المالكي	٩	ضلالا	الرمل	٣٤٣
٤٣٧	قد منعنا	٢	عقلِ	الرمل	٣٤٤
٤٣٨	خير ما تتلونه	٣	الأمل	الرمل	٣٤٤
٤٣٩	شعري	٣	الرحيلْ	السريع	٣٤٤
٤٤٠	اليأس	٣٣	كاهلي	السريع	٣٤٤
٤٤١	كم عاقلٍ	٢	العاذلِ	السريع	٣٤٦
٤٤٢	يا سامعاً	٢	الجهلِ	السريع	٣٤٦
٤٤٣	عيون وقاح	٢	ترجلا	الطويل	٣٤٧
٤٤٤	صرفت شبابي	٥	أشغالُ	الطويل	٣٤٧
٤٤٥	تَلَقَّطْ	٢	تسألُ	الطويل	٣٤٧
٤٤٦	حلم يتبخّر	١٤	حاملُهْ	الطويل	٣٤٨
٤٤٧	حياة الزهر	٣	بالمثلِ	الطويل	٣٤٨
٤٤٨	بلبل عند الجدول	٢٣	أكملِ	الطويل	٣٤٩
٤٤٩	لم ألق بين المترفات	٤	أجملا	الكامل	٣٥٠
٤٥٠	يا زهرة الدنيا	٥	شاغلا	الكامل	٣٥٠
٤٥١	يا من يعدُّ	٢	عادلا	الكامل	٣٥١
٤٥٢	الفرد وعيسى	٦	جذلُ	الكامل	٣٥١
٤٥٣	أهلا بكاملة	١٣٨	الحُلي	الكامل	٣٥٢
٤٥٤	أما الألى	٣٩	لي	الكامل	٣٥٩

روي الميم

روي النون

روي الألف اللينة

القصائد المختلفة الروي

الرقم	العنوان	عدد الأبيات	القافية	البحر	الصفحة
٦٩٧	فحص الرحال	٢٥	—	م. المتقارب المتقارب	٥٩٤
٦٩٨	نكث العهد	١٤	—	المجتث	٥٩٦
٦٩٩	أين السعادة	٢٨	—	المجتث	٥٩٧
٧٠٠	حنين	٢٨	—	—	٥٩٩
٧٠١	سناء وثورة حوران	—	—	الوافر	٦٠٢
٧٠٢	الشر الكبير والخير الكبير	١٤	—	الوافر	٦٠٤
٧٠٣	حب مجهول	١٢	—	الوافر	٦٠٥
٧٠٤	أمي	—	—	الوافر	٦٠٦
٧٠٥	تسبيحة	—	—	الوافر	٦٠٧
٧٠٦	خيال سوريا	—	—	الوافر	٦١١
٧٠٧	نشيد سوريا	—	—	—	٦١٢

٢ - فهرس أشعار الحواشي

هذي السطور سماحة الشعب التي

بدمي تضيء عليك لا بمدادي

فاذكر اذا طالعتها الجهد الذي

ما زلت ابذله بطول جهادي

واذا وقفت على ضريحي قل هنا

يثوي الذي يرعى عهود ودادي .

[illegible]

السبارة 2-7

1983